فهرست الجزء الثانى من المواهب اللدنية للشيخ القسطلانى

صحيفه

صحيفه

صحيفه

صحيفه

هذا الجزء الثاني من كتاب المواهب
اللدنية بالمنح المحمدية تأليف خاتمة المحققين
وخلاصة المدققين فريد دهره ووحيد
عصره مفيد الطالبين وشهاب
الملة والدين أحمد بن محمد بن
أبي بكر الخطيب
القسطلاني
نفعنا الله به
آمين

كتاب المواهب اللدنية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* (المقصد الخامس في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص المعراج والاسراء وتعميمه بلطائف التكريم في حضرة التقريب بالمكالمة والمشاهدة والآيات الكبرى)

اعلم منحني الله واياك الترقي في معارج السعادات * وأوصلنا به اليه في حظائر الكرامات * أن قصة الاسراء والمعراج من أشهر المعجزات * وأظهر البراهين البينات * وأقوى الحجج المحكمات * وأصدق الانباء وأعظم الآيات * وأتم الدلالات الدالة على تخصيصه عليه الصلاة والسلام بعموم الكرامات * وقد اختلف العلماء في الاسراء هل هو اسراء واحد في ليلة واحدة يقظة أو مناما أو اسراآن كل واحد في ليلة مرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما أو يقظة بروحه وجسده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم مناما من المسجد الاقصى الى العرش أو هي أربع اسرا آت احتج القائلون بأنه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء وحي بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الافتنة للناس لان الرؤيا مصدر الحلمية وأما البصرية فالرؤية بالتاء * وقد أنكر ابن مالك والحريري وغيرهما كما أفاده الشيخ بدر الدين الزركشي ورود الرؤيا بالبصرية ولحنوا المتنبي في قوله

ورؤياك

ورؤ يالك أحلافى العيون من الغمض (وأجيب) بأنه انما قال الرؤ يا لوقوع ذلك فى الليل وسرعة تقضيه كأنه منام وبان الرؤيا والرؤية واحدة كقربى وقربة ويشهد له قول ابن عباس فى الآية كما عند البخارى هى رؤيا عين أريها صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وزاد سعيد بن منصور عن سفيان فى آخر الحديث وليس رؤيا منام ولم يصرح فى رواية البخارى بالمرءى وعند سعيد بن منصور أيضا من طريق أبى مالك قال هو ما أرى فى طريقه الى بيت المقدس وهذا مما يستدل به على اطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين فى اليقظة وهو يرد على من خطأ المتنبىء على أنه اختلف المفسرون فى هذه الآية فقيل أى الرؤيا التى أريناك ليلة المعراج قال البيضاوى ففسر الرؤيا بالرؤية وقيل رؤيا عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة فصده المشركون وافتتن بذلك ناس وقيل رؤيا وقعة بدر وسئل ابن النقيب شيخه أبا العباس القرطبى عن الآية فقال الصحيح انها رؤية عين يقظة أراه جبريل مصارع القوم ببدر فأرى النبى صلى الله عليه وسلم الناس مصارعهم كما أراه جبريل فتسامعت به قريش فاستسخروا منه انتهى واحتج القائلون بأنه رؤيا منام أيضا بقول عائشة ما فقدت جسده الشريف وأجيب بأن عائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن اذ ذاك زوجا ولا فى سن من يضبط أولم تكن ولدت بعد على الخلاف فى الاسرى متى كان وقال التفتازانى أى ما فقد جسده عن الروح بل كان مع روحه وكان المعراج للجسد والروح جميعا انتهى واحتج القائلون بأنه بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح بقوله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء الذى وقع التعجب به بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبى صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء قالوا ولو كان الاسراء بجسده الى زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون أبلغ فى المدح وأجيب بأن حكمة التخصيص بالمسجد الاقصى سؤال قريش له عنه على سبيل الامتحان عن ما شاهدوه وعرفوه من صفة بيت المقدس وقد علموا أنه لم يسافر اليه فيجيبهم بما عاين ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولهذا لم يسألوه عما رأى فى السماء اذ لا عهد لهم بذلك وقال النووى فى فتاويه وكان الاسراء به عليه الصلاة والسلام مرتين مرة فى المنام ومرة فى اليقظة وذكر السهيلى تصحيح هذا المذهب عن شيخه القاضى أبى بكر بن العربى وأن مرة النوم توطئة له وتيسير عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة فانه أمر عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الاسراء قد سهله الله عليه بالرؤيا

لان هول عظيم فجاء في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه
وقد جوز بعض قائلي ذلك ان تكون قصة المنام قبل المبعث لاجل قول شريك
في روايته وذلك قبل ان يوحى اليه واستشهدوا له بقول عائشة رضي الله عنها أول
ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان
لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح وسيأتي البحث في ذلك ان شاء الله تعالى واحتج
القائلون بأنه أربع اسراآت يقظة بتعدد الروايات في الاسراء واختلاف ما يذكر
فيها فبعضهم يذكر شيئا لم يذكره الآخر وبعضهم يسقط شيئا ذكره الآخر
وأجيب بأنه لا يدل على التعدد لان بعض الرواة قد يحذف بعض الخبر للعلم به أو بنسيانه
وقال الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فاثبت
اسراآت متعددة فقد أبعد واغرب وهرب الى غير مهرب ولم يحصل على مطلب ولم ينقل
ذلك عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لاخبر صلى الله عليه وسلم به أمته
ولنقله الناس على التعدد والتكرار انتهى وقد وقع في رواية عبثر بن القاسم بموحدة
ثم مثلثة بوزن جعفر في روايته عن حصين بن عبد الرحمن عند الترمذي والنسائي
لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يمر بالنبي ومعه الواحد الحديث فان
كان ذلك محفوظا كان فيه قوة لمن ذهب الى تعدد الاسراء وان الذي وقع بالمدينة
أيضا غير الذي وقع بمكة قال في فتح الباري والذي يتحرر من هذه المسئلة ان الاسراء
الذي وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح أبواب السماء بابا بابا ولا من
التقاء الانبياء كل واحد في سماء ولا المراجعة معهم ولا المراجعة مع موسى فيما يتعلق
بفرض الصلوات ولا في طلب تخفيفها وسائر ما يتعلق بذلك وانما تكررت قضايا كثيرة
سوى ذلك رآها صلى الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها بالمدينة بعد الهجرة البعض
ومعظمها في المنام والله أعلم انتهى وقال بعض العارفين ان له صلى الله عليه وسلم أربعة
وثلاثين مرة الذي أسري به منها اسراء واحد بجسمه والباقي بروحه رؤيا رآها انتهى
فالحق انه اسراء واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور
من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة
ولا ينبغي العدول عن ذلك اذ ليس في العقل ما يحيله قال الرازي قال أهل التحقيق
الذي يدل على انه تعالى أسرى بروح محمد صلى الله عليه وسلم وجسده من مكة الى
المسجد الاقصى القرآن والخبر أما القرآن فهو قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
وتقرير الدليل ان العبد اسم للجسد والروح فوجب ان يكون الاسراء حاصلا بجميع
الجسد والروح ويدل عليه قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى ولا شك

ان المراد هنا مجموع الروح والجسد وأيضا قال سبحانه وتعالى فى سورة الجن وأنه لما قام
عبد الله يدعوه والمراد مجموع الروح والجسد وكذا ههنا انتهى * واحتجوا أيضا
بظاهر قوله عليه الصلاة والسلام أسرى بى لان الاصل فى الافعال أن تحمل على
اليقظة حتى يدل دليل على خلافه وبأن ذلك لو كان مناما لما كان فيه فتنة
للضعفاء ولا أستبعده الاغبياء وبأن الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجسام
وقد تواترت الاخبار بأنه أسرى به على البراق * فان قلت ما الحكمة فى كونه
تعالى جعل الاسراء ليلا أجيب بأنه انما جعله ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة
لانه تعالى اتخذه عليه الصلاة والسلام حبيبا وخليلا والليل أخص زمان للمحبين
لجمعهم فيه والخلوة بالحبيب متحققة بالليل * قال ابن المنير ولعل تخصيص الاسراء
بالليل ليزداد الذين آمنوا ايمانا بالغيب وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم
اذ الليل أخفى حالا من النهار قال ولعله لو عرج به نهارا لفات المؤمن فضيلة الايمان
بالغيب ولم يحصل ما وقع من الفتنة على من شقى وجحد انتهى * وفى ذلك حكمة
أخرى على طريقة أهل الاشارات ذكرها العلامة ابن مرزوق وهى أنه قيل
لان الله لما محى آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر قلب الليل فجبر بأن أسرى
فيه بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له لا تفتخر ان
كانت شمس الدنيا تشرق فيك فسيعرج شمس الوجود فى الليل الى السماء وقيل
لانه صلى الله عليه وسلم سراج والسراج انما يوقد بالليل وأنشد

قلت ياسيدى لم تؤثر * الليل على بهجة النهار المنير
قال لا أستطيع تغيير رسمى * هكذا الرسم فى طلوع البدور
انما زرت فى الظلام لكيما * يشرق الليل من أشعة نورى

فان قلت أيما أفضل ليلة الاسراء أو ليلة القدر فالجواب كما قاله الشيخ أبو امامة بن
النقاش أن ليلة الاسراء أفضل فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وليلة القدر أفضل
فى حق الامة لانها لهم خير من عمل فى ثمانين سنة لمن قبلهم واما ليلة الاسراء فلم يأت
فى أرجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف ولذلك لم يعينها النبى صلى الله عليه
وسلم لاصحابه ولا عينها أحد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الى الآن ولا الى أن
تقوم الساعة فيها شىء ومن قال فيها شيأ فانما قاله من كيسه لمرجح ظهر له
استأنس به ولهذا تصادمت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر فيها على شىء
ولو تعلق بها نفع للامة ولو بذرة لبينه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم انتهى فان قلت
هل وقع الاسراء لغيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء أجاب العارف عبد العزيز

المهدوى بأن مرتبة الاسراء بالجسم الى تلك الحضرات العلية لم تكن لاحد من الانبياء الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى * وانما قال تعالى أسرى بعبده اشارة الى أنه تعالى هو المسافر به ليعلم أن الاسراء من عنده عز وجل هبة الهية وعناية ربانية سبقت له عليه الصلاة والسلام مما لم يخطر بسره ولا اختلج فى ضميره وأدخل باء المصاحبة فى قوله تعالى بعبده ليفيد انه تعالى صحبه فى مسراه صحبة بالالطاف والعنايه والاسعاف والرعايه * ويشهد له قوله عليه الصلاة والسلام اللهم أنت الصاحب فى السفر وتأمل قوله تعالى يسيركم فى البر والبحر وقوله أسرى بعبده يلح لك خصوصية مصاحبة الرسول عليه الصلاة والسلام للحق دون عموم الخلق * وقرن سبحانه وتعالى التسبيح بهذا المسرى لينفى بذلك عن قلب صاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من أهل التشبيه والتجسيم ما يتخيله فى حق الحق تعالى من الجهة والحد والمكان ولذا قال لنريه من آياتنا يعنى ما رأى فى تلك الليلة من عجائب الآيات كأنه تعالى يقول ما أسريت به الا لنريه الآيات لا الى فانه لا يحدنى مكان ونسبة الامكنة الى نسبة واحدة فكيف أسرى به الى وأنا عنده وأنا معه أينما كان ولله در القائل شعر

سبحانه من أسرى اليه بعبده * ليرى الذى أخفاه من آياته
بحضوره فى غيبه وكسكره * فى صحوه والمحو فى اثباته
ويرى الذى عنه تكون سره * فى صنعه ان شاءه وهبأته
ويريه ما أبدى له من جوده * بوجوده والفقد من هيآته
سبحانه من سيد ومهيمن * فى ذاته وسماته وصفاته

* وأكده تعالى بقوله ليلا مع ان الاسراء لا يكون فى اللسان العربى الا ليلا لا نهارا ليرتفع الاشكال حتى لا يتخيل انه أسرى بروحه فقط ويزيل من خاطر من يعتقد ان الاسراء ربما يكون نهارا فان القرآن وان كان نزل بلغة العرب فانه خاطب به الناس أجمعين أصحاب اللسان وغيرهم * وقال البيضاوى تبعا لصاحب الكشاف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل أى بعضه كقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك * وتعقبه القطب فى حاشيته على الكشاف كما نبهت عليه فى حاشية الشفاء * والمعاريج ليلة الاسرى عشرة سبع الى السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذى سمع فيه صريف الاقلام فى تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقى * وقد وقع له

عليه

عليه الصلاة والسلام فى سنى الهجرة العشرة ما كان فيه مناسبات لطيفة لهذه المعاريج العشرة ولهذا ختمت سنى الهجرة بالوفاة وهى لقاء الحق جل جلاله والانتقال من دار الفناء الى دار البقاء والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق والى الموعد الحق والى الوسيلة وهى المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج الاسراء باللقاء والحضور بحظيرة القدس * وقد أفاد الامام الذهبى ان الحافظ عبد الغنى جمع أحاديث الاسراء فى جزأين ولم يتيسر لى الوقوف عليهما بعد الفحص * وقد صنف الشيخ أبو اسحاق النعمانى رحمه الله فى الاسراء والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادة الرقائق والاشحان بفواضل الحقائق ولم أوقف عليه حالة كتابتى هذا المقصد الشريف ويرحم الله تعالى شيخ الاسلام والحافظ الشهاب ابن حجر العسقلانى فانه قد جمع فى كتابه الفتح كثيرا مما تشتت من طرق حديث الاسراء وغيره من الاحاديث مع تدقيق مباحث فقهية والكشف عن أسراره معانى كلمه وبدائع ألفاظه وحكمه * وكل من صنف فى شىء من المنح النبوية والمناقب المحمدية لا يستغنى عن استجناء معارف اللطائف من رياض عياض والاستشفاء من أدواء المشكلات بدواء شفائه المبرئ لمعضل الامراض فالله تعالى يفيض عليه وعلى سائر علماء هذه الامة سجال رحمته ورضوانه ويسكننا معهم فى بحبوحة جنانه * وقد وردت أحاديث الاسراء من حديث أنس وأبى بن كعب وجابر بن عبد الله وبريدة وسمرة بن جندب وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وابن عمرو وحذيفة بن اليمانى وشداد بن أوس وصهيب وعلى بن أبى طالب وعمر بن الخطاب ومالك بن صعصعة وأبى أمامة وأبى أيوب وأبى حبة وأبى ذر وأبى سعيد الخدرى وأبى سفيان بن حرب وأبى هريرة وعائشة وأسماء بنت أبى بكر وأم هانئ وأم سلمة وغيرهم * وفى تفسير ابن كثير من ذلك ما يكفى ويشفى وبالجملة فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة الملحدون يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون * وقد روى البخارى عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة ان نبى الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به بينما أنا نائم فى الحطيم وربما قال فى الحجر مضطجعا اذ أتانى آت فقد قال سمعته يقول فشق ما بين هذه الى هذه قال فقلت للجارود وهو الى جنبى ما يعنى به قال من ثغرة نحره الى شعرته فاستخرج قلبى ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض فقال له الجارود هو البراق يا أبا حمزة قال أنس نعم يضع خطوه عند

أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت اذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا يوسف قال هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح فلما خلصت اذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح فلما تجاوزت بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لان غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي ثم صعد بي الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجيء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد على السلام فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع الى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك

ثم

ثم أتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخترت اللبن فقال هي الفطرة
التي أنت عليها وأمتك ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة كل يوم قال فرجعت
فمررت على موسى فقال بم أمرت قال فقلت أمرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان
أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم وانى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت
بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله التخفيف لامتك فرجعت
فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا
فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فوضع عنى عشرا فرجعت الى موسى فقال
مثله فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت
فأمرت بخمس صلوات كل يوم قال ان أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وانى
قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى اسرائيل أشد المعالجة فارجع الى ربك فاسأله
التخفيف لامتك قال سألت ربى حتى استحييت منه ولكن أرضى وأسلم قال فلما
جاوزت نادانى مناد أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى * وفى رواية له ففرج
صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغه
فى صدرى ثم أطبقه * وفى رواية شريك فحشا به صدرى والغاديده وهى باللام
مفتوحة وغين معجمة أى عروق حلقه * وفى النهاية جمع لغدودة وهى لحمة مشرفة
عند اللهاة والشك فى قوله ربما قال فى الحجر من قتادة كما بينه أحمد عن عفان
ولفظه بينما أنا فى الحطيم وربما قال قتادة فى الحجر والمراد بالحطيم هنا الحجر * ووقع
عند البخارى فى اول بدء الخلق بلفظ بينما انا عند البيت وهو واعم * وفى رواية
الزهرى عن أنس عن أبى ذر فرج سقف بيتى وانا بمكة * وفى رواية الواقدى
بأسانيده انه أسرى به من شعب أبى طالب * وفى حديث أم هانىء عند الطبرانى
أنه بات فى بيتها قالت ففقدته من الليل فقال ان جبريل أتانى * والجمع بين هذه
الاقوال كما فى فتح البارى انه بات فى بيت أم هانىء وبيتها عند شعب أبى طالب ففرج
سقف بيته وأضاف البيت اليه لكونه كان يسكنه فنزل منه الملك فاخرجه من
البيت الى المسجد فكان به مضطجعا وبه أثر النعاس ثم أخذه الملك فأخرجه من
المسجد فأركبه البراق * قال وقد وقع فى مرسل الحسن عند ابن اسحاق أن جبريل
اتاه فأخرجه الى المسجد فأركبه البراق وهو يؤيد هذا الجمع فان قيل لم فرج
سقف بيته عليه الصلاة والسلام ونزل منه الملك ولم يدخل عليه من الباب مع قوله
تعالى واتوا البيوت من أبوابها أجيب بأن الحكمة فى ذلك أن الملك انصب من
السماء انصبابة واحدة ولم يعرج على شىء سواه مبالغة فى المفاجأة وتنبيها له على أن

الطلب وقع على غير ميعاد كرامة له عليه الصلاة والسلام وهذا بخلاف موسى عليه الصلاة والسلام فكانت كرامته بالمناجاة عن ميعاد واستعداد بخلاف نبينا عليه الصلاة والسلام فانه حل عنه ألم الانتظار كما حل عنه ألم الاعتذار * ويؤخذ من هذا أن مقام نبينا عليه الصلاة والسلام بالنسبة الى مقام موسى عليه الصلاة والسلام مقام المراد بالنسبة الى مقام المريد ويحتمل ان يكون توطئة وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فأراه الملك بافراجه عن السقف ثم التأم السقف على الفور كيفية ما يصنع به وقرب له الامر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفا في حقه عليه الصلاة والسلام وتثبيتا للصبر والله أعلم * وقوله مضطجعا زاد في بدء الخلق بين النائم واليقظان وهو محمول على ابتداء الحال ثم لما أخرج به الى باب المسجد فأركبه البراق استمر في يقظته * واما ما وقع في رواية شريك عنده أيضا فلما استيقظت فان قلنا بالتعدد فلا اشكال والا حمل على ان المراد استيقظت أفقت يعني انه أفاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت ورجع الى العالم الدنيوي فالمراد الافاقة البشرية من الغمرة الملكية * وقوله اذ أتاني آت هو جبريل عليه الصلاة والسلام * وفي رواية شريك أنه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم * وكانت تلك الليلة أي كانت القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكر هنا فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه * وقد أنكر الخطابي قوله قبل أن يوحى اليه وكذا القاضي عياض والنووي * وعبارة النووي وقع في رواية شريك يعني هذه أوهام انكرها العلماء أحدها قوله قبل أن يوحى اليه وهو غلط فلم يوافق عليه وأجمع العلماء على ان فرض الصلاة كان ليلة الاسرى فكيف يكون قبل الوحي انتهى فقد صرح هؤلاء بأن شريكا تفرد بذلك لكن قال الحافظ ابن حجر في دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن خنيس بالمعجمة ونون مصغرا عن أنس كما أخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي في كتاب المغازي له من طريقه قال ولم يقع التعيين بين المجيئين فيحمل على ان المجيء الثاني كان بعد الوحي وحينئذ وقع الاسراء والمعراج واذا كان بين المجيئين مدة فلا فرق بين ان تكون تلك المدة ليلة واحدة أو ليالي أو عدد سنين وبهذا يرتفع الاشكال من رواية شريك ويحصل به الوفاق أن الاسراء كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة ويسقط تشنيع الخطابي وغيره بأن شريكا خالف الاجماع في دعواه ان المعراج كان قبل البعثة وأقوى ما يستدل به على ان المعراج كان بعد

البعثة قوله فى هذا الحديث نفسه ان جبريل قال لبواب السماء اذ قال له أبعث قال نعم فانه ظاهر فى أن المعراج كان بعد البعثة * ووقع فى رواية ميمون بن سياه عند الطبرانى فأتاه جبريل وميكائيل فقالا أيهم وكانت قريش تنام حول الكعبة فقال أمرنا بسيدهم ثم ذهبا ثم جاؤه وهم ثلاثة * وفى رواية مسلم سمعت قائلا يقول احد الثلاثة بين الرجلين فأتيت فانطلق بى والمراد بالرجلين حمزة وجعفر وكان النبى صلى الله عليه وسلم نائما بينهما * وقوله نقد بالقاف والدال المهملة الثقيلة من ثغرة بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة وهو الموضع المنخفض الذى بين الترقوتين الى شعرته بكسر الشين المعجمة أى شعر العانة الشريفة * وفى رواية مسلم الى أسفل بطنه وفى رواية البخارى الى مراق البطن * وفى رواية شريك عنده فشق جبريل ما بين نحره الى لبته بفتح اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة من الصدر * وقد أنكر القاضى عياض فى الشفا وقوع شق صدره الشريف ليلة الاسرا وقال انما كان وهو صبى قبل الوحى فى بنى سعد ولا انكار فى ذلك كما قاله الحافظ أبو الفضل العسقلانى رحمه الله فقد تواترت الروايات به * وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل ولكل منها حكمة فالاول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس وأخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك وكان هذا فى زمن الطفولية فنشأ على أكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ولعل هذا الشق كان سببا فى اسلام قرينه المروى عند البزار من حديث ابن عباس و يحتمل ان يكون اشارة الى حظ الشيطان المباين كالعفريت الذى أراد أن يقطع عليه صلاته وامكنه الله منه * وأما شق الصدر عند المبعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوى على أكمل الاحوال من التطهير * واما شقه عند ارادة العروج الى السماء فللتهيىء للترقى الى الملأ الاعلى والثبوت فى المقام الاسنى والتقوى لاستجلاء الاسماء الحسنى ولهذا لم يتفق لموسى عليه الصلاة والسلام مثل هذا التهيىء لم تتفق له الرؤية وكيف يثبت الرجل لما لا يثبت له الجبل و يحتمل ان تكون الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر فى شرعه عليه الصلاة والسلام * ثم ان جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شئ من ذلك * قال العارف بن أبى جمرة فيه دليل على ان قدرة الله عز وجل لا يعجزها ممكن ولا تتوقف لعدم شئ ولا لوجوده وليست مربوطة بالعادة الا حيث شاءته القدرة لانه على ما يعهد ويعرف ان البشر

مهما شق بطنه كله وانجرح القلب مات ولم يعش وهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد شق بطنه المكرمة حتى أخرج القلب فغسل وقد شق بطنه كذلك أيضا وهو صغير وشق قلبه وأخرجت منه نزغة الشيطان ومعلوم ان الغالب مهما وصل له الجرح مات صاحبه وهذا النبي صلى عليه وسلم شق بطنه هاتين المرتين ولم يتألم بذلك ولم يمت ولما أن اراد الله تعالى أن لا يؤثر ما أجرى به العادة ان يؤثر بها موت صاحبها فاطل تلك العادة * وقد رمى ابراهيم عليه الصلاة والسلام في النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا وسلاما انتهى * وقد حصل من شق صدره الكريم اكرامه عليه الصلاة والسلام بتحقيق ما أوتي من الصبر فهو من جنس ما أكرم به اسماعيل الذبيح بتحقيق صبره على مقدمات الذبح شد اوكتفا وتلا للجبين واهواء بالمدية الى المنحر فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ووفى بما وعد الله فأكرمه الله بالثناء على صبره الى الابد ولا مرية ان الذي حصل من صبر نبينا صلى الله عليه وسلم على شق الصدر أشد وأجل لان تلك مقدمات وهذه نتيجة وتلك معاريض وهذه حقيقة والمنحر مقتل بما أصابه من اسماعيل الاصورة القتل لا فعله وشق صدر نبينا عليه الصلاة والسلام واستخراج قلبه ثم شقه ثم كذا ثم كذا مقاتل عديدة وقعت كلها ولكن انخرقت العادة ببقاء الحياة فهذا الابتلاء أعظم من ابتلاء الذبيح بما ذكر * فان قلت انما يتحقق الصبر لو كان هناك مشقة فلعل العادة لما انخرقت في ابقاء الحياة انخرقت في رفع المشاق وحل الآلام * أجيب بأنه ورد في حديث شق صدره فأقبل وهو منتقع اللون أو ممتقع اللون بالميم بدل النون وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة المذكورة محقق * قال القاضي عياض واصل انتقع صار كلون النقع والنقع الغبار وهو شبيه بلون الأموات وهذا يدل على غاية المشقة وأما قول ابن الجوزي فشقه وما شق عليه فيحمل على انه صبر صبر من لا يشق عليه انتهى وكذلك الابتلاء أيضا من حيث السن فان ذلك وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم بعيد ما فطم وأيضا فانه كان منفردا عن أمه ويتيما من أبيه واختطف من بين الأطفال وفعل به ما فعل من الافعال تسهيلا لما يلقاه في المآل وتعظيما لما يناله على الصبر من الثواب والثناء ولهذا لما شج وجرح وكسرت رباعيته قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون زاده الله شرفا * وقوله ثم أتيت بطست من ذهب انما أتى بالطست لانه أشهر آلات الغسل عرفا * فان قلت ان استعمال الذهب حرام في شرعه عليه الصلاة والسلام فكيف استعمل الطست الذهب هنا * أجاب العارف بن أبي جمرة بأن تحريم الذهب انما هو لاجل الاستمتاع به في هذه الدار وأما في الآخرة فهو للمؤمنين خالصا لقوله عليه

الصلاة والسلام هو لهم في الدنيا وهو لنا في الآخرة قال ثم ان الاستمتاع بهذا الطست لم يحصل منه عليه الصلاة والسلام وانما كان غيره هو السائق له والمتناول لما كان فيه حتى وضعه في القلب المبارك فسوقان الطست المبارك من هناك وكونه كان من ذهب دال على ترفيع المقام فانتفى التعارض بدليل ما قررناه انتهى وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه لا يكفي أن يقال ان المستعمل له ممن لم يحرم عليه ذلك من الملائكة لانه لو كان قد حرم عليه استعماله لنزه ان يستعمله غيره في أمر يتعلق ببدنه المكرم ويمكن ان يقال ان تحريم استعماله مخصوص بأحوال الدنيا وما وقع في تلك الليلة كان الغالب أنه من أحوال الغيب فيلحق بأحوال الآخرة أو لعل ذلك قبل أن يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة * ويظهر ههنا مناسبات منها أنه من أواني الجنة ومنها انه لا تأكله النار ولا التراب وأنه لا يلحقه الصدأ ومنها انه أثقل الجواهر فناسب قلبه عليه الصلاة والسلام لانه من أواني احوال الجنة ولا تأكله النار ولا التراب ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء ولا يلحقه الصدأ وأنه أثقل من كل قلب عدل به وفيه مناسبة أخرى وهي ثقل الوحي فيه انتهى * قلت قوله ولعل ذلك قبل أن يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة قد جزم هو في أول الصلاة من كتابه فتح الباري بأن تحريم الذهب انما وقع بالمدينة وقال السهيلي وابن دحية ان نظر الى لفظ الذهب ناسب من جهة اذهاب الرجس عنه ولكونه وقع عند الذهاب الى ربه وان نظر الى معناه فلوضاءته ونقائه وصفائه انتهى * والمراد بقوله ملء حكمة وايمانا ان الطست جعل فيها شيء يحصل به كمال الايمان والحكمة فسمي حكمة وايمانا مجازا ويحتمل ان يكون على حقيقته وتجسد المعاني جائز كما ان سورة البقرة تجيء يوم القيامة كأنها ظلة والموت في صورة كبش وكذلك وزن الاعمال وغير ذلك * وقال البيضاوي لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثلت له صلى الله عليه وسلم الجنة والنار في عرض الحائط وفائدته كشف المعنوي بالمحسوس * وقال العارف بن أبي جمرة فيه دليل على ان الايمان والحكمة جواهر محسوسات لا معاني لانه عليه الصلاة والسلام قال عن الطست انه أتى به مملوءا ايمانا وحكمة ولا يقع الخطاب الاعلى ما يفهم ويعرف والمعاني ليس لها أجسام حتى تملأ وانما يملئ الاناء بالاجسام والجواهر وهذا نص من الشارع عليه الصلاة والسلام بضد ما ذهب اليه المتكلمون في قولهم ان الايمان والحكمة أعراض والجمع بين الحديث وما ذهبوا اليه هو أن حقيقة أعيان المخلوقات التي ليس للحواس فيها ادراك ولا من النبوة اخبار عن حقيقتها غير محققة

وانما هي غلبة ظن لان لاعقل بالاجماع من أهل العقل المؤيدين بالتوفيق حدا يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر أن يصل اليه فهذا وما اشبهه منها الانهم تكلموا على ما ظهر لهم من الاعراض الصادرة عن هذه الجواهر التي ذكرها الشارع عليه الصلاة والسلام في الحديث ولم يكن العقل قدرة ان يصل الى هذه الحقيقة التي أخبر بها عليه الصلاة والسلام فيكون الجمع بينهما ان يقال ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذي يدرك بالعقل والحقيقة ما ذكره عليه الصلاة والسلام في الحديث ولهذا نظائر كثيرة بين المتكلمين وآثار النبوة ويقع الجمع بينهما على الاسلوب الذي قررناه وما اشبهه ثم مثل مجيء الموت في هيئة كبش أملح ثم بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ما ظهر منها هنا معان وتوجد يوم القيامة جواهر محسوسات لانها توزن ولا يوزن في الميزان الا الجواهر قال وفي ذلك دليل لاهل الصوفة وأصحاب المعاملات والتحقيق القائلين بأنهم يرون قلوبهم وقلوب اخوانهم وايمانهم وايمان اخوانهم بأعين بصائرهم جواهر محسوسات فمنهم من يعاين ايمانه مثل المصباح ومنهم من يعاينه مثل الشمعة ومنهم من يعاينه مثل المشعل وهو اقواها ويقولون بأنه لا يكون المحقق محققا حتى يعاين قلبه بعين بصيرته كما يعاين كفه بعين بصره فيعرف الزيادة فيه من النقصان ❋ فان قيل ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملئ ايمانا وحكمة ولم يوجد الله تعالى ذلك فيه من غير أن يفعل فيه ما فعل ❋ أجاب العارف ابن أبي جمرة بأنه عليه الصلاة والسلام لما أعطي كثرة الايمان والحكمة وقوي التصديق اذ ذاك أعطي برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف من جميع العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه الصلاة والسلام قوة الايمان من ثلاثة أوجه بقوة التصديق والمشاهدة وعدم الخوف من العادات المهلكات فكمل له عليه الصلاة والسلام بذلك ما أريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم الخوف مما سواه ولاجل ما أعطيه مما اشرنا اليه كان عليه الصلاة والسلام في العالمين اشجعهم واثبتهم واعلاهم حالا ومقالا ففي العلوي كان كما أخبر عليه الصلاة والسلام ان جبريل لما وصل معه الى مقامه قال ها أنت وربك هذا مقامي لا أتعداه فزج فيه أي في النور زجة ولم يتوان ولم يلتفت فكان هناك في الحضرة كما أخبر عنه ربه عز وجل بقوله ما زاغ البصر وما طغى ❋ وأما حاله عليه الصلاة والسلام في هذا العالم فكان اذا حمي الوطيس في الحرب ركض بغلته في نحر العدو وهم شاكون في سلاحهم ويقول أنا ابن عبد المطلب انا النبي لا كذب ثم ان في العناية بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان والحكمة فيه

اشارة الى مذهب أهل السنة فى أن محل العقل ونحوه من أسباب الادراكات كالنظر والفكر انما هو القلب لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة * وأما الحكمة فى غسل قلبه المقدس بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم يقوى القلب ويسكن الروع * قال الحافظ الزين العراقى ولذلك غسل به قلبه عليه الصلاة والسلام ليلة الاسراء ليقوى على رؤية الملكوت واستدل شيخ الاسلام البلقينى بغسل قلبه الشريف به على أنه أفضل من ماء الكوثر قال لانه لم يكن يغسل قلبه المكرم الا بأفضل المياه واليه يومىء قول العارف ابن أبى جمرة فى كتابه بهجة النفوس * وأما قوله عليه الصلاة والسلام فغسل صدرى فالظاهر أن المراد به القلب كما فى الرواية الاخرى * وقد يحتمل أن تحمل كل رواية على ظاهرها ويقع الجمع بأن يقال أخبر عليه الصلاة والسلام مرة بغسل صدره الشريف ولم يتعرض لذكر قلبه وأخبر مرة بغسل قلبه ولم يتعرض لذكر صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما معا مبالغة فى تنظيف المحل المقدس ولاشك ان المحل الشريف كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقى اليه من الخير وقد غسل أوّلا وهو عليه الصلاة والسلام طفل وأخرجت من قلبه نزغة الشيطان وانما كان ذلك اعظاما وتأهبا لما يلقى هنالك * وقد جرت الحكمة فى ذلك فى غيرما موضع مثل الوضوء للصلاة لمن كان متنظفا لان الوضوء فى حقه انما هو عظام وتأهب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته فلذلك غسل جوفه الشريف هنا وقد قال تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب فكان الغسل له عليه الصلاة والسلام من تعظيم شعائر الله واشارة لامته بالفعل بتعظيم شعائر الله كما نص لهم عليه بالقول * وأما قوله ثم اتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض يضع خطوه عند أقصى طرفه فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا * وفى رواية عنده فى الصلاة ثم أخذ بيدى فعرج بى الى السماء فظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السماء * قال العارف ابن أبى جمرة افاد ذلك انهم كانوا يمشون فى الهواء * وقد جرت العادة بأن البشر لا يمشى فى الهواء سيما وقد كان راكبا على دابة من ذوات الاربع لكن لما أن شاءت القدرة ذلك كان فكما بسط الله تعالى لهم الارض يمشون عليها كذلك يمشون فى الهواء كل ذلك بيد قدرته لا ترتبط قدرته تعالى بعادة جارية * وقد سئل عليه الصلاة والسلام حين أخبر عن الاشقياء الذين يمشون على وجوههم يوم القيامة كيف يمشون فقال عليه الصلاة والسلام الذى أمشاهم فى الدنيا على أقدامهم قادر أن يمشيهم يوم القيامة على وجوههم انتهى * وقد استدل بعضهم بهذا الحديث على أن المعراج كان

في ليلة غير ليلة الاسراء الى بيت المقدس لكون الاسراء اليه لم يذكر هنا * فاما المعراج
ففي غير هذه الرواية من الاخبار أنه لم يكن على البراق بل رقي في المعراج وهو السلم
كما وقع التصريح به في حديث عند ابن اسحاق والبيهقي في الدلائل كما سيأتي ان شاء
الله تعالى * ويمكن ان يقال ما وقع هنا اختصار من الراوي والاتيان بثم المقتضية
للتراخي لا ينافي وقوع الاسراء بين الامرين المذكورين وهما الانطلاق والعروج
وحاصله أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر وثابت البناني قد حفظ الحديث
ففي روايته عند مسلم أنه اتى بيت المقدس فصلى فيه ثم عرج الى السماء كما سيأتي ان
شاء الله تعالى * وقد قيل ان الحكمة في الاسراء به راكبا مع القدرة على طي الارض
له الاشارة الى أن ذلك وقع تأنيسا له بالعادة في مقام خرق العادة لان العادة جرت ان
الملك اذا استدعى من يختص به بعث اليه بمركوب سني يحمله عليه في وفادته اليه
* وفي كلام بعض أهل الاشارات لما كان صلى الله عليه وسلم ثمرة شجرة الكون
ودرة صدفة الوجود وسر معنى كلمة كن ولم يكن بد من عرض هذه الثمرة بين يدي
مثمرها ورفعها الى حضرة قربه والطواف بها على ندمان حضرته ارسل اليه اعز
خدام الملك عليه فلما ورد عليه قادما وافاه على فراشه نائما فقال له قم يا نائم * فقد
هيئت لك الغنائم * قال يا جبريل الى أين * قال يا محمد ارفع الاين من البين * انما
انا رسول القدم * أرسلت اليك لاكون من جملة الخدم * يا محمد انت مراد الارادة
الكل مراد لاجلك وأنت مراد لاجله * أنت صفوة كأس المحبة * أنت درة هذه
الصدفة * أنت شمس المعارف أنت بدر اللطائف * ما مهدت الدار الا لاجلك *
ما حمي هذا الحمى الا لوصلك * ما روق كأس المحبة الا لشربك * فقال عليه
الصلاة والسلام يا جبريل فالكريم يدعوني اليه فما الذي يفعل بي قال ليغفر لك
ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال يا جبريل هذا لي فما لعيالي واطفالي قال ولسوف
يعطيك ربك فترضى قال يا جبريل الآن طاب قلبي ها أنا ذاهب الى ربي ثم قال
جبريل يا محمد انما جئت اليك الليلة لاكون خادم دولتك وحاجب حاشيتك *
وحامل غاشيتك * وجيء بالمركوب اليك لاظهار كرامتك * لان من عادة الملوك اذا
استزاروا حبيبا * أو استدعوا قريبا * وأرادوا اظهار اكرامه واحترامه ارسلوا
اخص خدامهم * وأعزنوابهم لنقل اقدامهم * فجئناك على رسم عادة الملوك *
وآداب السلوك * ومن اعتقد انه وصل اليه بالخطا * فقد وقع في الخطا * ومن ظن
انه محجوب بالغطا * فقد حرم العطا * انتهى * والحكمة في كون البراق دابة
دون البغل وفوق الحمار أبيض ولم يكن على شكل الفرس اشارة الى أن الركوب

كان فى سلم وأمن لا فى حرب وخوف أو لاظهار المعجزة بوقوع الاسراع الشديد بدابة لا توصف بذلك فى العادة وذكره بقوله أبيض باعتبار كونه مركوبا أو عطفا على لفظ البراق * واختلف فى تسميته بذلك فقيل من البريق وقال القاضى عياض لكونه ذا لونين يقال شاة برقاء اذا كان فى خلال صوفها الابيض طاقات سود وقيل من البرق لانه وصف بسرعة السير ويحتمل أن لا يكون مشتقا ووصفه بأنه يضع خطوه عند أقصى طرفه بسكون الراء وبالفاء أى يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره * وقال ابن المنير يقطع ما انتهى اليه بصره فى خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من الارض الى السماء فى خطوة واحدة لان بصر الذى فى الارض يقع على السماء فبلغ أعلى السموات فى سبع خطوات انتهى * وفى حديث ابن مسعود عند أبى يعلى والبزار كما أفاده فى الفتح اذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه * وفى رواية ابن سعد عند الواقدى بأسانيده له جناحان قال الحافظ ابن حجر ولم أرها لغيره * وعند الثعلبى بسند ضعيف عن ابن عباس فى صفة البراق له خد كخد الانسان وعرف كعرف الفرس وقوائم كالابل وأظلاف وذنب كالبقر وكان صدره ياقوتة حمراء وفى رواية أبى سعد فى شرف المصطفى فكان الذى أمسك بركابه جبريل وبزمام البراق ميكائيل * وفى رواية معمر عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة أسرى به مسرجا ملجما فاستصعب عليه فقال له جبريل ما حملك على هذا ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه قال فارفض عرقا أخرجه الترمذى وقال حسن غريب وصححه ابن حبان * وذكر ابن اسحاق عن قتادة أنه لما شمس وضع جبريل عليه الصلاة والسلام يده على معرفته وقال أما تستحى وذكر نحوه لكنه مرسل لانه لم يذكر أنسا * وعند ابن اسحاق نعست حتى لصقت بالارض فاستويت عليها * وفى رواية للنسائى وابن مردويه من طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس نحوه موصولا وزاد وكانت تسخر للانبياء قبله ونحوه من حديث أبى سعيد عند ابن اسحاق وفيه دلالة على أن البراق كان معدا لركوب الانبياء خلافا لمن نفى ذلك كابن دحية وأول قول جبريل فما ركبك أكرم على الله منه أى ما ركبك أحد قط فكيف يركبك أكرم منه فيكون مثل قول امرئ القيس * على لاحب لا يهتدى لمناره فيفهم ان له منارا لا يهتدى له وليس المراد الا انه لا منار له البتة فكيف يهتدى له فتأمله * وقد جزم السهيلى بأن البراق انما استصعب عليه لبعد ركوب الانبياء قبله * وقال النووى قال صاحب مختصر العين وتبعه صاحب التحرير كان الانبياء

بركوبه البراق تمال وهذا يحتاج الى نقل صحيح انتهى * وقد تقدم النقل بذلك قال
فى الفتح ويؤيده ظاهر قوله فربطته بالحلقة التى كانت تربط بها الانبياء انتهى
فليتأمل فانه ليس فيه فربطته بالحلقة التى كانت تربطه بها الانبياء وانما قال
تربط بها الانبياء وسكت عن ذكر المربوط ما هو فيحتمل كما قال ابن المنير أن يكون
غير البراق ويحتمل أن يكون ارتباط الانبياء أنفسهم بتلك الحلقة أى تمسكهم بها
ويكون من جنس العروة الوثقى انتهى ولكن وقع التصريح بذلك فى حديث أبى
سعيد عند البيهقى ولفظه فأوثقت دابتى بالحلقة التى كانت الانبياء تربطها فيها
* وقد وقع عند ابن اسحاق من رواية وثيمة فى ذكر الاسراء فاستصعب البراق
وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت فى الفترة * وفى مغازى ابن عائذ
من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب قال البراق هى الدابة التى كان يزور ابراهيم
عليها اسماعيل وعلى هذا فلا يكون ركوب البراق من خصائصه صلى الله عليه وسلم
نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما لم يرو لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام * فان قلت
ما وجه استصعاب البراق عليه أجيب بأنه تنبيه على انه لم يذلل قبل ذلك ان قلنا انه
لم يركبه أحد قبله أو لبعد العهد بركوبه ان قلنا انه ركب قبله ويحتمل أن يكون
استصعابه تيها وزهوا بركوبه صلى الله عليه وسلم وأراد جبريل أبمحمد تستصعب
استنطاقه بلسان الحال أنه لم يقصد الصعوبة وانما تاه زهوا لمكان الرسول عليه
الصلاة والسلام منه ولهذا قال فارفض عرقا فكأنه أجاب بلسان الحال متبرأ
من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب ومثل هذا رجفة الجبل به حتى قال اثبت
فانما عليك نبى وصديق وشهيدان فانها هزة الطرب لا هزة الغضب وكذلك البراق
لما قال له جبريل اسكن فما ركبك أحد أكرم على الله منه استقر وخجل من ظاهر
الاستصعاب وتوجه الخطاب فعرق حتى غرق ووقع فى حديث حذيفة عند الامام
أحمد قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فلم يزل على ظهره هو وجبريل
حتى انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم يسنده حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم
فيحتمل انه قاله عن اجتهاد ويحتمل أن يكون قوله هو وجبريل متعلقا بمرافقته
فى السير لا فى الركوب وقال ابن دحية معناه وجبريل قائد أو سائق أو دليل قال وانما
جزمنا بذلك لان قصة المعراج كانت كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم فلا مدخل
لغيره فيها وقد تعقب الحافظ ابن حجر التأويل المذكور بأن فى صحيح ابن حبان من
حديث ابن مسعود أن جبريل حمله على البراق رديفا له وفى رواية الحارث فى
مسنده أتى بالبراق فركبه خلف جبريل فسار بهما فهذا صريح فى ركوبه معه

والله أعلم انتهى وقد وقع فى غير هذه الرواية بيان ما رآه فى ليلة الاسراء فمن ذلك
ما وقع فى حديث شداد بن أوس عند البزار والطبرانى وصححه البيهقى فى الدلائل انه
أول ما أسرى به مر بأرض ذات نخل فقال له جبريل انزل فصل فصلى فقال صليت
بيثرب ثم مر بأرض بيضاء فقال انزل فصل فصلى فقال صليت بمدين ثم مر ببيت لحم
فقال انزل فصل فنزل فصلى فقال صليت حيث ولد عيسى وفى حديث أنس عند
البيهقى فى الدلائل لما جاء جبريل بالبراق اليه صلى الله عليه وسلم فكأنها أصرت
أذنيها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبك مثله فسار رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا هو بعجوز على جنب الطريق فقال ما هذا يا جبريل قال سر يا محمد
فسار ما شاء الله أن يسير فاذا هو بشئ يدعوه متنحيا عن الطريق يقول هلم يا محمد
فقال له جبريل سر وأنه مر بجماعة فسلموا عليه فقالوا السلام عليك يا أول السلام
عليك يا آخر السلام عليك يا حاشر فقال له جبريل أردد عليهم السلام فرد الحديث
وفى آخره فقال له جبريل أما العجوز التى رأيت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا
الا ما بقى من عمر تلك العجوز والذى دعاك ابليس والعجوز الدنيا أما لو أجبتها
لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة وأما الذين سلموا عليك فابراهيم وموسى
وعيسى عليهم الصلاة والسلام قال الحافظ عماد الدين بن كثير فى ألفاظه نكارة
وغرابة وفى حديث أنه مر بموسى عليه الصلاة والسلام وهو يصلى فى قبره قال أنس
ذكر كلمة فقال أشهد أنك رسول الله ولا مانع أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام
يصلون فى قبورهم لانهم أحياء عند ربهم يرزقون فهم يتعبدون بما يجدون من
دواعى أنفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم أهل الجنة الذكر وسيأتى الاشارة اليه
فى حجة الوداع ان شاء الله تعالى وفى حديث أبى هريرة عند الطبرانى والبزار انه
عليه الصلاة والسلام مر على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما
كان فقال لجبريل عليه الصلاة والسلام ما هذا فقال هؤلاء المجاهدون فى سبيل
الله تضاعف لهم الحسنة الى سبعمائة ضعف وما أنفقوا من شئ فهو يخلفه وهو خير
الرازقين ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت
ولا يفتر عنهم من ذلك شئ فقال ما هذا يا جبريل قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم
عن الصلاة المكتوبة ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون
كما تسرح الانعام يأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم فقال ما هؤلاء قال
هؤلاء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم وما ظلمهم الله وما ربك بظلام للعبيد ثم أتى على
قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدر ولحم آخر نئ فى قدر خبيث فجعلوا يأكلون من

النيء الخبيث ويدعون النضيج فقال ماهؤلاء ياجبريل قال جبريل هذا الرجل
من أمتك تكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى
يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فتبيت عنده حتى
تصبح ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال
ماهذا يا جبريل قال هذا الرجل من أمتك تكون عليه أمانات الناس لا يقدر على
أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض
من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء قال ماهذا
ياجبريل قال هؤلاء خطباء الفتنة قال ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم
فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ماهذا ياجبريل
قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردها
ثم أتى على واد فوجد فيه ريحا طيبة باردة وريح مسك وسمع صوتا فقال ماهذا
ياجبريل قال هذا صوت الجنة تقول رب آتني بما وعدتني فقد كثرت غرفي
واستبرقي وحريري وسندسي وعبقريي ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي
وصحافي وأباريقي ومراكبي وعسلي ومائي ولبني وخمري فأتني بما وعدتني فقال
لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك
بي شيئا ولم يتخذ من دوني أندادا ومن خشيني فهو آمن ومن سألني أعطيته ومن
أقرضني أجزيته ومن توكل علي كفيته انني أنا الله لا اله الا أنا لا أخلف الميعاد قد
أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين قالت رضيت ثم أتى على واد فسمع صوتا
منكرا ووجد ريحا منتنة فقال ماهذا ياجبريل قال هذا صوت جهنم تقول رب آتني
بما وعدتني فقد كثرت سلاسلي وأغلالي وسعيري وحميمي وغساقي وعذابي وقد بعد
قعري واشتد حري فأتني بما وعدتني قال لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة
وكل جبار عنيد لا يؤمن بيوم الحساب قالت قد رضيت قال فسار حتى أتى بيت
المقدس وفي رواية أبي سعيد عند البيهقي دعاني داع عن يميني أنظرني أسألك فلم
أجبه ثم دعاني آخر عن يساري كذلك فلم أجبه وفيه اذا امرأة حاسرة عن ذراعيها
وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى فقالت يامحمد انظرني أسألك فلم ألتفت اليها
وفيه أن جبريل قال له أما الداعي الاول فهو داعي اليهود ولو أجبته لتهودت أمتك
وأما الثاني فداعي النصارى ولو أجبته لتنصرت أمتك وأما المرأة فالدنيا وفيه أنه
صعد الى السماء الدنيا ورأى فيها آدم وأنه رأى أخونة عليها لحم طيب ليس عليها
أحد وأخرى عليها لحم منتن عليها ناس يأكلون قال جبريل هؤلاء الذين يتركون

الحلال

الحلال ويأكلون الحرام وفيه أنه مر بقوم بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر وأن جبريل قال له هم أكلة الربا وأنه مر بقوم مشافرهم كالابل يلتقمون جمرا فيخرج من أسافلهم وأن جبريل قال ان هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما وأنه مر بنساء تعلقن بثديهن وأنهن الزوانى وأنه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمون وأنهم الغمازون اللمازون وفي حديث أبي هريرة عند البزار والحاكم أنه صلى الله عليه وسلم صلى ببيت المقدس مع الملائكة وأنه أتى هناك بأرواح الانبياء فاثنوا على الله وفيه قول ابراهيم لقد فضلكم محمد وفي رواية عبد الرحمن بن هشام عن أنس ثم بعث له آدم فمن دونه فأمهم تلك الليلة وفي حديث أم هانىء عند أبي يعلى ونشر لى رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى وفي رواية أبي سلمة ثم حانت الصلاة فأممتهم أخرجه مسلم وفي حديث أبي أمامة عند الطبرانى في الاوسط ثم أقيمت الصلاة فتدافعوا حتى قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم وفي رواية ثابت البنانى عن أنس عند مسلم قال فربطته يعنى البراق بالحلقة وهي باسكان اللام على الاشهر التى تربط به الانبياء بضمير المذكر اعادة على معنى الحلقة وهو الشيء والمراد حلقة باب مسجد بيت المقدس قاله صاحب التحرير قال عليه الصلاة والسلام ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة أى اخترت اللبن الذى عليه نبتت الخلقة وبه نبت اللحم ونشز العظم أو اخترته لانه الحلال الدائم في دين الاسلام بخلاف الخمر فحرام فيما يستقر عليه الامر وقال النووى المراد بالفطرة هنا الاسلام والاستقامة قال ومعناه والله أعلم اخترت علامة الاسلام والاستقامة قال وجعل اللبن علامة لكونه سهلا طيبا طاهرا سائغا للشاربين سليم العاقبة وأما الخمر فانه أم الخبائث وجالبة لانواع الشر في الحال والمآل انتهى وقال القرطبي يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لكونه أول شيء يدخل جوف المولود ويشق امعاءه والسر في ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون غيره لكونه مألوفا له أولا انتهى واذا كانت الخمرة مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسراء كان بمكة فما وجه تعيينه عليه الصلاة والسلام لاحد المباحين وما وجه عد ذلك صوابا وعد الآخر خطأ وهما سواء في الاباحة فيحتمل ان يكون توقاها تورعا وتعريضا بأنها ستحرم وأنه لما وافق الصواب في علم الله تعالى قال له جبريل أصبت الفطرة أو أصبت أصاب الله بك كما روينا واذا قلنا بأنها كانت من خمر الجنة فيكون سبب تجنبها صورتها ومضاهاتها الخمر المحرمة اى

في علم الله تعالى وذلك أبلغ في الورع ويستفاد منه أن من اتخذ من ماء الرمان أو غيره ولو ماء قراحا وناولها به الخمر في الصورة وهيأه بالهيئة التي يتعاطاها أهل الشهوات من الاجتماعات والآلات فقد أتى منكرا وإن كان لا يحد عليها قاله ابن المنير وينظر فيما يعمله كثير من فقراء اليمن وغيرهم بمكة المشرفة وجدة وغيرهما من ماء قشر البن ويسمونه بالقهوة وهي اسم من أسماء الخمر وفي حديث ابن عباس عند أحمد فلما أتى المسجد الاقصى قام يصلي فلما انصرف جيء بقدحين في أحدهما لبن وفي الآخر عسل فأخذ اللبن وفي رواية البزار بثلاثة أواني وأن الثالث كان خمرا وأن ذلك وقع ببيت المقدس وان الاول كان ماء ولم يذكر العسل وفي حديث شداد بن أوس فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتيت بإناءين أحدهما لبن والآخر عسل ثم هداني الله تعالى فأخذت اللبن فقال شيخ بين يدي يعني لجبريل أخذ صاحبك الفطرة وقد كان اتيانه بالاواني مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ومرة عند وصوله الى سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة وممن صرح بأنه كان مرتين الحافظ عماد الدين بن كثير وعلى هذا فيكون تكرار جبريل عليه الصلاة والسلام لتصويب حيث اختار اللبن تأكيدا للتحذير مما سواه وقد أنكر حذيفة ربط البراق بالحلقة فروى أحمد والترمذي من حديث حذيفة قال يحدثون أنه ربطه أخاف أن يفر منه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة وكذا أنكر حذيفة أيضا صلاته عليه الصلاة والسلام ببيت المقدس وتعقبه البيهقي وابن كثير بأن المثبت مقدم على النافي يعني من أثبت ربط البراق والصلاة في بيت المقدس معه زيادة علم على من نفى فهو أولى بالقبول ووقع ذلك في رواية بريدة عند البزار لما كان ليلة أسري به فأتى جبريل الصخرة التي ببيت المقدس فوضع أصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق ونحوه للترمذي * وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء تربطها فيه فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين * وفي رواية ابن مسعود نحوه وزاد ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ثم أذن مؤذن فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل فقدمني فصليت بهم * وفي حديث ابن مسعود أيضا عند مسلم وحانت الصلاة فأممتهم * وفي حديث ابن عباس عند أحمد فلما أتى صلى الله عليه وسلم الاقصى قام يصلي فاذا النبيون أجمعون يصلون معه * وفي حديث أبي سعيد ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى صخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة

فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد أرسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا أرواح الانبياء فأثنوا على ربهم فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى اتخذنى خليلا وأعطانى ملكا عظيما وجعلنى أمة قانتا يؤتم بى وأنقذنى من النار وجعلها على بردا وسلاما * ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذى كلمنى تكليما واصطفانى وأنزل على التوراة وجعل هلاك فرعون ونجاة بنى اسرائيل على يدى وجعل من أمتى قوما يهدون بالحق وبه يعدلون * ثم ان داود أثنى على ربه فقال الحمد لله الذى جعل لى ملكا عظيما وعلمنى الزبور وألان لى الحديد وسخر لى الجبال يسبحن معى والطير وآتانى الحكمة وفصل الخطاب * ثم ان سليمان أثنى على ربه فقال الحمد لله الذى سخر لى الرياح وسخر لى الشياطين يعملون ما شئت من محاريب وتماثيل وعلمنى منطق الطير وآتانى من كل شىء فضلا وسخر لى جنود الشياطين والانس والجن والطير وآتانى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وجعل لى ملكا طيبا ليس على فيه حساب * ثم ان عيسى عليه الصلاة والسلام أثنى على ربه فقال الحمد لله الذى جعلنى كلمته وجعلنى مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلنى أخلق أى أصور من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وجعلنى أبرئ الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله ورفعنى وطهرنى وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل * قال وان محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثنى على ربى الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شىء وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتى أمة وسطا وجعل أمتى هم الاولون وهم الآخرون وشرح لى صدرى ووضع عنى وزرى ورفع لى ذكرى وجعلنى فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا افضلكم محمد * ثم ذكر أنه عرج به الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء ذكره القاضى عياض فى الشفاء مختصرا من حديث أبى هريرة من غير عزو ورواه البيهقى من حديث أبى سعيد الخدرى وهذا لفظه * وفى رواية ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أنس فلما بلغ بيت المقدس فبلغ المكان الذى يقال له باب محمد أتى الى الحجر الذى به فغمز جبريل بأصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد افلما استويا فى صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين قال نعم قال فانطلق الى أولئك النسوة فسلم عليهن قال فسلمت عليهن

فرددن على السلام فقلت لمن أنتن فقال خيرات حسان نساء قوم أبرار نقوا فلم يدرنوا وأقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا قال ثم انصرفت فلم ألبث الا يسيرا حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا فأخذ بيدي جبريل عليه الصلاة والسلام فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت قال لى جبريل أتدرى من صلى خلفك قلت لا قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله قال القاضي عياض يحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء جميعا فى بيت المقدس ثم صعد منهم الى السماء من ذكر أنه عليه الصلاة والسلام رآه فى السموات ويحتمل أن يكون صلى بهم بعد ان هبط من السماء فهبطوا أيضا والاظهر أن صلاته بهم فى بيت المقدس كان قبل العروج انتهى * وقال ابن كثير صلى بهم ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان فى الحديث مايدل على ذلك ولامانع منه انتهى * وقد اختلف فى هذه الصلاة هل هى فرض أونفل واذا قلنا انها فرض فأى صلاة هى قال بعضهم الاقرب انها الصبح ويحتمل أن تكون العشاء وانما يأتى على قول من قال انه صلى بهم قبل عروجه الى السماء وأما على قول من قال انه صلى بهم بعد العروج فتكون الصبح * قال ابن كثير ومن الناس من يزعم انه أمهم فى السماء والذى تظاهرت به الروايات انه ببيت المقدس والظاهر أنه بعد رجوعه اليه لانه لما مر بهم فى منازلهم جعل يسأل جبريل عنهم واحدا واحدا وهو يخبره بهم ثم قال وهذا هو اللائق لانه أولا كان مطلوبا الى الجناب العلوى ليفرض الله عليه وعلى أمته ما يشاء ثم لما فرغ مما أريد به اجتمع هو واخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه عليهم بتقديمه فى الامامة * وفى رواية ابن اسحاق أنه عليه الصلاة والسلام قال لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أرقط شيئا أحسن منه وهو الذى يمد اليه الميت عينيه اذا احتضر فأصعدنى صاحبى فيه حتى انتهى الى باب من أبواب السماء * وفى رواية كعب فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب حتى عرج هو وجبريل * وفى شرف المصطفى أنه أتى بالمعراج من جنة الفردوس وأنه منضد عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة * وفى رواية أبى سعيد عند البيهقى ثم أتيت بالمعراج الذى تعرج عليه أرواح بنى آدم فلم ير الخلائق أحسن من المعراج أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحا الى السماء فان ذلك عجبه بالمعراج * وقد تقدم فى حديث البخارى السابق فانطلق بى جبريل حتى اتى السماء الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم ولم يقل جبريل

عليه السلام أنا حيث قيل له من هذا انما سمى نفسه فقال جبريل لان لفظ انا فيه اشعار بالعظمة * وفى الكلام السائر أول من قال أنا ابليس فشقى وأيضا فقوله أنا مبهمة لافتقار الضمير الى العود فهى غير كافية فى البيان وعلى هذا فينبغى للمستأذن اذا قيل له من انت أن لا يقول أنا بل يقول فلان * وفى رواية للبخارى ومسلم فعرج وهو بفتح العين بمعنى صعد * وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى حتى انتهى الى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسماعيل تحت يده اثنا عشر ألف ملك * وفى رواية شريك عند البخارى أيضا ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء الدنيا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا وأهلا فيستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به فى الارض حتى يعلمهم أى على لسان من شاء كجبريل * ووقع فى هذه الرواية أنه رأى فى سماء الدنيا النيل والفرات عنصرهما وظاهره يخالف حديث مالك بن صعصعة فان فيه بعد ذكر سدرة المنتهى فاذا فى أصلها أربعة أنهار ويجمع بينهما بأن أصل نبعهما من تحت سدرة المنتهى ومقرهما فى السماء الدنيا ومنها ينزلان الى الارض ووقع فى هذه الرواية أيضا ثم مضى به فى سماء الدنيا فاذا هو بنهر آخر عليه قصور من لؤلؤ وزبرجد وأنه الكوثر وهو مما استشكل من رواية شريك فان الكوثر من الجنة والجنة فوق السماء السابعة ويحتمل ان يكون تقديره ثم مضى فى السماء الدنيا الى السابعة فاذا هو بنهر ثم ان فى قوله فى الحديث افتح دلالة على أنه صادف أبواب السماء مغلقة والحكمة فى ذلك والله أعلم التنويه بقدره عليه الصلاة والسلام وتحقيق أن السموات لم تفتح أبوابها الا من أجله ولو وجدها مفتوحة لم يتحقق أنها فتحت لاجله فلما فتحت له تحقق عليه الصلاة والسلام أن المحل مصون وأن فتحه له كرامة وتبجيل * وأما قوله فى الحديث ارسل اليه وفى رواية بعث اليه فيحتمل ان يكون استفهم عن الارسال اليه للعروج الى السماء وهو الاظهر لقوله اليه لان أصل بعثته قد اشتهر فى الملكوت الأعلى * وقيل سألوه تعجبا من نعمة الله عليه بذلك واستبشارا به وقد علموا أن بشرا لا يترقى فى هذا الترقى الا بأذن من الله تعالى وأن جبريل لا يصعد الا بمن أرسل اليه وقد قيل أن الله تعالى أراد اطلاع نبيه على أنه معروف عند الملأ الاعلى لانهم قالوا أبعث اليه أو أرسل اليه فدل على انهم كانوا يعرفون ان ذلك سيقع له والا لكانوا يقولون ومن محمد مثلا ولذلك اجابوا بقولهم مرحبا به ولنعم المجيء جاء وكلامهم بهذه الصيغة ادل دليل على ماذكرناه من معرفتهم بجلالته وتحقيق رسالته ولان

هذا اجل مايكون من حسن الخطاب والترفيع على المعروف من عادة العرب ❊ فأما قولهم من معك فيشعر بأنهم أحسوا به عليه الصلاة والسلام والا لكان السؤال بلفظ امعك أحد وهذا الاحساس اما بمشاهدة لكون السماء شفافة واما بأمر معنوي كزيادة انوار ونحوها قاله الحافظ ابن حجر ولعله أخذه من كلام العارف ابن أبي جمرة حيث قال في بهجته الشاني أن يكون سؤالهم له لما رأوا حين رؤا اقباله عليهم من زيادة الانوار وغيرها من المآثر الحسان زيادة على ما يعهدونه منه قال وهذا هو الاظهر لأنهم قالوا من الشخص الذي من أجله هذه الزيادة التي معك فأخبرهم بما أرادوا وهو تعيين الشخص باسمه حتى عرفوه انتهى ❊ وقد قال بعض العلماء لقد رأى من آيات ربه الكبرى أنه رأى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس المملكة ❊ وأما قولهم له مرحبا به ولنعم المجيء جاء فيحتمل ان يكونوا قالوه لما عاينوه من بركاته عليه الصلاة والسلام التي سبقته للسماء مبشرة بقدومه وفيه تقديم وتأخير والتقدير جاء فنعم المجيء مجيئه ❊ وانما لم يقل الخازن مرحبا بك بصيغة الخطاب بل قال بصيغة الغيبة لانه حياه قبل ان يفتح الباب وقبل ان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم خطاب ويحتمل ان يكون حياه بصيغة الغيبة تعظيما له لان هاء الغيبة ربما كانت افخم من كاف الخطاب ❊ واما قوله في الحديث فاذا رجل قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الاسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر عن شماله بكى فالاسودة بوزن ازمنة هي الاشخاص والنسم بالنون والسين المهملة المفتوحتين جمع نسمة وهي الروح ❊ وقد قال القاضي عياض جاء ان ارواح الكفار في سجين وأن ارواح المؤمنين منعمة في الجنة يعني فكيف تكون مجتمعة في سماء الدنيا واجاب بأنه يحتمل انها تعرض على آدم أوقاتا فوافق عرضها مرور النبي صلى الله عليه وسلم ويدل على أن كونهم في النار انما هو في أوقات دون أوقات قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ❊ واعترض بأن أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء كما هو نص القرآن والجواب ما أبداه هو احتمالا ان الجنة كانت في جهة يمين آدم والنار في جهة شماله وكان يكشف له عنهما ولا يلزم من رؤية آدم لها وهو في السماء أن تفتح لهم أبواب السماء ولا تلجها ❊ وفي حديث أبي هريرة عند البزار فاذا عن يمينه باب تخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب تخرج منه ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر

واذا نظر عن شماله حزن وهذا الوجه لكان المصير اليه أولى من جميع ما تقدم ولكن سنده ضعيف قاله الحافظ ابن حجر * وأما قوله فى الحديث ثم صعد بى حتى اتى السماء الثانية فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجىء جاء ففتح فلما خلصنا اذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا ثم قالا مرحبا بالاخ الصالح والنبى الصالح الى قوله ثم صعد الى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجىء جاء فلما خلصت فاذا ابراهيم قال هذا أبوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام وقال مرحبا بالابن الصالح فهذه الرواية موافقة لرواية ثابت عن أنس عند مسلم أن فى السماء الاولى آدم وفى الثانية يحيى وعيسى وفى الثالثة يوسف وفى الرابعة ادريس وفى الخامسة هارون وفى السادسة موسى وفى السابعة ابراهيم وخالف ذلك ابن شهاب الزهرى فى روايته عن أنس عن أبى ذر كما فى أول الصلاة من البخارى أيضا أنه لم يثبت كيف منازلهم وقال فيه وابراهيم فى السماء السادسة * وفى رواية شريك عن أنس أن ادريس فى الثانية وهارون فى الرابعة وآخر فى الخامسة لم أحفظ اسمه وابراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة بتفضيل كلام الله وسياقه يدل على أنه لم يضبط منازلهم كما صرح به الزهرى ورواية من ضبط أولى ولاسيما فى اتفاق قتادة وثابت وقد وافقهما يزيد بن أبى مالك عن أنس الا انه خالف فى ادريس وهارون فقال هارون فى الرابعة وادريس فى الخامسة ووافقهم أبو سعيد الا ان فى روايته يوسف فى الثانية وعيسى ويحيى فى الثالثة والمشهور فى الروايات ان الذى فى السابعة هو ابراهيم وأكد ذلك فى حديث مالك بن صعصعة بأنه كان مسندا ظهره الى البيت المعمور فمع التعدد لا اشكال ومع الاتحاد فقد جمع بأن موسى كان حالة العروج فى السادسة وابراهيم فى السابعة على ظاهر حديث مالك ابن صعصعة وعند الهبوط كان موسى فى السابعة لانه لم يذكر فى القصة أن ابراهيم كلمه فى شىء مما يتعلق بما فرض على أمته من الصلاة كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام والسماء السابعة هى أول شىء انتهى اليه حالة الهبوط فناسب ان يكون موسى بها لانه هو الذى خاطبه فى ذلك كما ثبت فى جميع الروايات ويحتمل ان يكون لقى موسى فى السادسة فأصعد معه الى السابعة تفضيلا له على غيره من أجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك فى كلامه مع نبينا فيما يتعلق بأمر أمته فى الصلاة قاله فى فتح البارى وقال ان النووى اشار الى شىء من ذلك * وفى رواية

شريك عن أنس فى قصة موسى لم أظن أحدا يرفع على قال ابن بطال فهم موسى عليه الصلاة والسلام من اختصاصه بكلام الله تعالى له فى الدنيا دون غيره من البشر لقوله تعالى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى أن المراد بالناس هنا البشر كلهم وانه استحق بذلك ان لا يرفع عليه أحد فلما فضل الله تعالى محمدا عليه الصلاة والسلام بما اعطاه من المقام المحمود وغيره ارتفع على موسى وغيره بذلك * وفى حديث أبى سعيد قال موسى يزعم بنو اسرائيل انى أكرم على الله وهذا أكرم على الله منى زاد الاموى فى روايته ولو كان هذا وحده هان ولكن معه أمته وهم افضل الامم عند الله * وفى حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته يعنى موسى بكى فنودى ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدى يدخل الجنة من امته أكثر مما يدخل من امتى ولم يكن بكاء موسى حسدا معاذ الله فان الحسد فى ذلك العالم منزوع من احاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى بل كان اسفا على مافاته من الاجر الذى يترتب عليه رفع الدرجات له بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزمة لتنقيص أجره لان لكل نبى مثل أجر كل من اتبعه ولهذا كان من اتبعه فى العدد دون من اتبع نبينا صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة * وقال العارف ابن أبى جمرة قد جعل الله تعالى فى قلوب انبيائه عليهم الصلاة والسلام الرأفة والرحمة لاممهم وركبهم على ذلك * وقد بكى نبينا صلى الله عليه وسلم فقيل له ما يبكيك قال هذه رحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء والانبياء عليهم الصلاة والسلام قد أخذوا من رحمة الله أوفر نصيب فكانت الرحمة فى قلوبهم لعباد الله أكثر من غيرهم فلاجل ما كان لموسى عليه الصلاة والسلام من الرحمة واللطف بكى اذذاك رحمة منه لامته لان هذا وقت افضال وجود وكرم فرجا لعل ان يكون وقت القبول والافضال فيرحم الله أمته ببركة هذه الساعة * فان قال قائل كيف يكون هذا وأمته لاتخلو عن قسمين قسم مات على الايمان وقسم مات على الكفر فالذى مات على الايمان لابد له من دخول الجنة والذى مات على الكفر لم يدخل الجنة أبدا فبكاؤه لاجل ماذكر لا يسوغ لان الحكم فيهم قدم ونفذ قيل ان الله تعالى قدر قدره على قسمين فقدر قدرا وقدر ان ينفذ على كل الاحوال وقدر قدرا وقدر ان لا ينفذ ويكون رفعه بسبب دعاء أو صدقة أو غير ذلك فلاجل ماركب فى موسى عليه الصلاة والسلام من اللطف والرحمة بالامة طمع لعل أن يكون ما اتفق لامته من القدر الذى قدره الله تعالى وقدر ارتفاعه بسبب الدعاء والتضرع اليه وهذا وقت يرجى فيه التعطف والاحسان من الله تعالى لانه

وقت أسرى فيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع القرب والفضل الجسيم فطمع الكليم لعل أن يلحق لامته من هذا الخير العظيم نصيبا وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله وهذه نفحة من النفحات فتعرض لها موسى فكان امرا قد ردا الاسباب لا تؤثر الا ما سبقت القدرة بأنها فيه تؤثر وما كان قضاء نافذا الا تؤثر فيه ولا ترده الاسباب حتم قد لزم * وفي بكائه عليه الصلاة والسلام وجه آخر وهو البشارة لنبينا صلى الله عليه وسلم وادخال السرور عليه وذلك قول موسى عليه الصلاة والسلام الذي هو أكثر الانبياء اتباعا ان الذين يدخلون الجنة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أكثر مما يدخلها من أمتي * وأما قول موسى عليه الصلاة والسلام لان غلاما ولم يقل غير ذلك من الصيغ فاشارة الى صغر سنه بالنسبة اليه * وفي القاموس الغلام الطار الشارب والكهل ضد * وقال الخطابي العرب تسمى الرجل المستجمع السن غلاما مادامت فيه بقية من القوة * قال في فتح الباري ويظهر لي ان موسى عليه الصلاة والسلام أشار الى ما أنعم الله به على نبينا من استمرار القوة في الكهولة الى أن دخل في أول سن الشيوخة ولم يدخل على بدنه هرم ولا اعتراه في قوته نقص حتى ان الناس في قدومه المدينة لما رأوه مردفا أبا بكر أطلقوا عليه اسم الشاب وعلى أبي بكر اسم الشيخ مع كونه في العمر أسن من أبي بكر والله أعلم * وقد ذكرت ذلك في الهجرة من المقصد الاول * وقد وقع في حديث أبي هريرة عند الطبراني في ذكر ابراهيم فاذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي * وفي رواية مسلم من حديث ثابت عن أنس ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاذا أنا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه وفيه فاذا أنا بيوسف واذا هو قد أعطى شطر الحسن * وفي حديث أبي سعيد عند البيهقي وأبي هريرة عند الطبراني فاذا أنا برجل أحسن ما خلق الله قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب * وهذا ظاهره ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان أحسن من جميع الناس لكن روى الترمذي من حديث أنس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا فعلى هذا يحمل حديث المعراج على ان المراد غير النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده قول من قال ان المتكلم لا يدخل في عموم خطابه وحمل ابن المنير حديث الباب على ان المراد أن يوسف أعطى شطر الحسن الذي أوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم * وأما قوله في الحديث عن ادريس ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي

الصالح فيحمل على أخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد * وقال ابن المنير وفى طريق شاذة مرحبا بالابن الصالح وهذه هى القياس لانه جده الاعلى وقيل ان ادريس الذى لقيه ليس هو الجد المشهور ولكنه الياس فان كان كذلك ارتفع الاشكال * فان قلت لم كان هؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فى السموات دون غيرهم من الانبياء وما وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء تخصه ولم كان فى السماء الثانية بخصوصها اثنان أجيب عن الاقتصار على هؤلاء دون غيرهم من الانبياء بانهم أمروا بملاقاة نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من أدركه فى أول وهلة ومنهم من تأخر فلحقه ومنهم من فاته وقيل اشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما وقع لكل منهم * فأما آدم عليه الصلاة والسلام فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة الى الارض بما سيقع لنبينا صلى الله عليه وسلم من الهجرة الى المدينة والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما ألفه من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما أن يرجع الى وطنه الذى خرج منه (وبعيسى ويحيى) عليهما الصلاة والسلام على ما وقع له أول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغى عليه وارادتهم السوء به (وبيوسف) بما وقع له من اخوته على ما وقع لنبينا عليه الصلاة والسلام من قريش من نصبهم الحرب له وارادتهم اهلاكه وكانت العاقبة له وقد أشار عليه الصلاة والسلام الى ذلك يوم الفتح بقوله لقريش أقول لكم كما قال يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء أى العتقاء (وبادريس) على رفيع منزلته عند الله تعالى (وبهارون) على أن قومه رجعوا الى محبته بعد ان آذوه (وبموسى) على ما وقع له من معالجة قومه وقد أشار الى ذلك عليه الصلاة والسلام بقوله لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر (وبابراهيم) فى استناده الى البيت المعمور بما ختم له صلى الله عليه وسلم فى آخر عمره من اقامة مناسك الحج وتعظيم البيت الحرام * وأجاب العارف ابن أبى جمرة عن وجه اختصاص كل واحد منهم بسماء بان الحكمة فى كون آدم فى السماء الدنيا لانه أول الانبياء وأول الآباء وهو الاصل ولاجل تأنيس النبوة بالابوة * وأما عيسى فانما كان فى السماء الثانية لانه أقرب الانبياء الى النبى صلى الله عليه وسلم ولا انمحت شريعة عيسى عليه الصلاة والسلام الا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ولانه ينزل فى آخر الزمان لامة محمد صلى الله عليه وسلم على شريعته ويحكم بها ولهذا قال عليه الصلاة والسلام أنا أولى الناس بعيسى فكان فى الثانية لاجل هذا المعنى

* وانما كان يحيى عليه الصلاة والسلام معه هناك لانه ابن خالته وهما كالشيء الواحد فلاجل التزم أحدهما بالآخر كانا هناك معا * وانما كان يوسف عليه الصلاة والسلام في السماء الثالثة لان على حسنه تدخل أمة محمد صلى الله عليه وسلم الجنة فأرى له هناك لكي يكون ذلك بشارة له عليه الصلاة والسلام فيسر بذلك * وانما كان ادريس عليه الصلاة والسلام في السماء الرابعة لانه هناك توفي ولم تكن له تربة في الارض على ما ذكر * وانما كان هارون عليه الصلاة والسلام في السماء الخامسة لانه ملازم لموسى عليه الصلاة والسلام لاجل انه أخوه وخليفته في قومه فكان هناك لاجل هذا المعنى وانما لم يكن مع موسى في السماء السادسة لان لموسى مزية وحرمة وهي كونه كليما واختص بأشياء لم تكن لهارون فلاجل هذا المعنى لم يكن معه في السادسة * وانما كان موسى عليه الصلاة والسلام في السماء السادسة لاجل ما اختص به من الفضائل ولانه الكليم وهو أكثر الانبياء أتباعا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم * وانما كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام في السماء السابعة لانه الخليل والاب الاخير فناسب أن يتجدد للنبي صلى الله عليه وسلم بلقيه أنس لتوجهه بعده الى عالم آخر وهو اختراق الحجب وأيضا لانه الخليل ولا أحد أفضل من الخليل الا الحبيب والحبيب هناك ورد على ذلك المقام فكان الخليل فوق الكل لاجل خلته وفضله وارتفع الحبيب فوق الكل لاجل ما اختص به بما زاده عليهم قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فحصل لهم الكمال والدرجة الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفعوا بعضهم فوق بعض بمقتضى الحكمة ترفيعا للمرفوع دون تنقيص بالمنزول انتهى فليتأمل * وقد اختلف في رؤية نبينا صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام فحمله بعضهم على رؤية أرواحهم الا عيسى لما ثبت أنه رفع بجسده وقد قيل في ادريس أيضا ذلك * وأما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل الارواح خاصة ويحتمل الاجساد بأرواحها وقيل يحتمل أن يكون عليه الصلاة والسلام عاين كل واحد منهم في قبره في الارض على الصورة التي أخبر بها من الموضع الذي ذكر أنه عاينه فيه فيكون الله عز وجل قد أعطاه من القوة في البصر والبصيرة ما أدرك به ذلك ويشهد له رؤيته عليه الصلاة والسلام الجنة والنار في عرض الحائط وهو محتمل لان يكون عليه الصلاة والسلام رآهما من ذلك الموضع أو مثل له صورتهما في عرض الحائط والقدرة صالحة لكليهما وقيل يحتمل أن يكون الله سبحانه وتعالى لما أراد باسراء نبينا عليه الصلاة والسلام

رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبيه عليه الصلاة والسلام وتعظيما له
حتى يحصل له من قبلهم ما أشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم نشر
اليه ولا نعلمه نحن وكل هذه الوجوه محتمل ولا ترجيح لاحدها على الآخر اذ القدرة
صالحة لكل ذلك انتهى * وأما قوله فى الحديث ثم رفعت الى سدرة المنتهى
فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا
أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت وما هذا يا جبريل قال أما
الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات * وفى رواية عند
البخارى أيضا فاذا فى أصلها أى سدرة المنتهى أربعة أنهار وعند مسلم يخرج
من أصلها وعنده أيضا من حديث أبى هريرة أربعة أنهار من الجنة النيل والفرات
وسيحان وجيحان فيحتمل أن تكون سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة والانهار تخرج
من أصلها فيصح أنها من الجنة * ووقع فى حديث شريك كما عند البخارى
فى التوحيد أنه رأى فى السماء الدنيا نهرين يطردان فقال له جبريل هما النيل
والفرات عنصرهما والجمع بينهما انه رأى هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع
نهرى الجنة ورآهما فى السماء الدنيا دون نهرى الجنة وأراد بالعنصر عنصر انتشارهما
بسماء الدنيا كذا قاله ابن دحية * وروى ابن أبى حاتم عن أنس انه عليه الصلاة
والسلام بعد أن رأى ابراهيم قال ثم انطلق بى على ظهر السماء السابعة حتى انتهى
الى نهر عليه خيام الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير أخضر أنعم طير رأيت قال
جبريل هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فاذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على
رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه أشد بياضا من اللبن قال فأخذت من آنيته
فاغترفت من ذلك الماء فشربت فاذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك
* وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى فاذا فيها عين تجرى يقال لها السلسبيل فينشق
منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة وسيأتى مزيد لما ذكرناه
من الكوثر فى المقصد الاخير ان شاء الله تعالى * وقد وقع فى حديث ثابت عن
أنس عند مسلم ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله
يستطيع أن ينعتها من حسنها * وقد جاء فى حديث ابن مسعود عند مسلم أيضا
بيان سبب تسميتها بسدرة المنتهى ولفظه لما أسرى برسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انتهى بى الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة واليها ينتهى
ما يعرج من الارض فيقبض منها وهو معنى قول ابن أبى جمرة لان اليها تنتهى

الاعمال ومن هناك ينزل الامر والنهى وتتلقى الاحكام وعندها تقف الحفظة وغيرهم ولا يتعدونها فكانت منتهى لان اليها ينتهى ما يصعد من السفلى وما ينزل من العالم العلوى من أمر الله ❊ وقال النووى لان علم الملائكة ينتهى اليها ولم يجاوزها أحد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعارض قوله فى حديث ابن مسعود هذا انها فى السادسة ما دل عليه بقية الاخبار انه وصل اليها بعدان دخل فى السماء السابعة لانه يحمل على ان أصلها فى السماء السادسة واغصانها وفروعها فى السابعة وليس فى السادسة منها الا أصل ساقها قاله فى فتح البارى ❊ وجاء فى حديث أبى ذر عند البخارى فى الصلاة تغشيها ألوان لا أدرى ما هى ❊ وفى حديث ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب ❊ وفى حديث يزيد ابن أبى مالك عن أنس جراد من ذهب قال البيضاوى وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل لان من شأن الشجر أن يسقط عليها الجراد وشبهه وجعلها من الذهب حقيقة والقدرة صالحة لذلك ❊ وفى حديث أبى سعيد وابن عباس فغشيها الملائكة ❊ وفى حديث على وعلى كل ورقة منها ملك ❊ وفى رواية ثابت عن أنس عند مسلم فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها ❊ وفى رواية حميد عن أنس عند ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت ياقوتا ونحو ذلك قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة أوصاف ظل مديد وطعم لذيذ ورائحة زكية فكانت بمنزلة الايمان الذى يجمع القول والعمل والنية فالظل بمنزلة العمل والطعم بمنزلة النية والرائحة بمنزلة القول ❊ وقال العارف ابن أبى جمرة وهل الشجرة مغروسة فى شئ أم لا يحتمل الوجهين معا لان القدرة صالحة لكليهما فكما جعل الله تعالى فى هذه الدار الارض مقرا للشجر كذلك يجعل الهواء لتلك مقرا وكما رجع صلى الله عليه وسلم يمشى فى الهواء كما كان يمشى فى الارض ولان بالقدرة استقرت الارض مع انها على الماء فلا مانع من ان تكون الشجرة فى الهواء ويحتمل ان تكون مغروسة بأرض وان تكون من تراب الجنة والله قادر على ما يشاء ❊ وأما قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث فأتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فأخذت اللبن فقال هى الفطرة التى أنت عليها فيدل على انه عرض عليه الآنية مرتين مرة ببيت المقدس ومرة عند وصوله سدرة المنتهى ورؤية الانهار الاربعة ❊ وأما الاختلاف فى عدد الآنية وما فيها فيحمل على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر ومجموعها أربعة وان فيها أربعة أشياء من الانهار الاربعة التى رآها تخرج من أصل سدرة المنتهى

* ووقع في حديث أبي هريرة عند الطبري سدرة المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى فلعله عرض عليه من كل نهر اناء * وجاء عن كعب أن نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر الماء نهر سيحان * وانهر النيل فضائل ولطائف أفردها بالتأليف غير واحد من الأئمة ووقع في بعض الطرق انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء في السموات * وأما قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث ثم رفع الى البيت المعمور فمعناه أنه أرى له رقد يحتمل ان يكون المراد الرفوع والرؤية معا لانه قد يكون بينه وبين البيت المعمور عوالم حتى لا يقدر على أدراكه فرفع اليه وأمد في بصره وبصيرته حتى رآه * وروى الطبري من حديث ابن أبي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة لو خر لخر عليها يدخله سبعون ألف ملك كل يوم اذا خرجوا منه لم يعودوا وفي هذا دليل عظيم على قدرة الله تعالى وأنه لا يعجزه شيء ممكن لان هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم هذا العدد العظيم منذ خلق الله تعالى الخلق الى الابد ثم طائفة هذا اليوم لا ترجع اليه أبدا ومع أنه قد روي أنه ليس في السموات ولا في الارض موضع شبر الا وملك واضع جبهته هنالك ساجدا ثم البحار ما من قطرة الا وبها ملك موكل فاذا كانت السموات والارض والبحار هكذا فهؤلاء الملائكة الذين يدخلون أين يذهبون هذا من عظيم القدرة التي لا يشبهها شيء * وفي هذا دليل على ان الملائكة أكثر المخلوقات لانه اذا كان سبعون ألف ملك كل يوم تصلي في البيت المعمور على ما تقدم ثم لا يعودون مع ان الملائكة في السموات والارض والبحار * وفي حديث أبي هريرة عند ابن مردويه وابن أبي حاتم أن في السماء نهرا يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه ثم يخرج فينتفض فيخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا فهم الذين يصلون فيه أي في البيت المعمور ثم لا يعودون اليه واسناده ضعيف * وذكر الامام فخر الدين الرازي عند تفسير قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون أنه روي عن عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس أنه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه الصلاة والسلام كل سحر ويغتسل فيه فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله من كل نقطة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون ألفا ثم لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة * وقد روي أن ثم ملائكة يسبحون الله تعالى فيخلق الله بكل تسبيحة ملكا هذا ما عدا الملائكة

التى لا تعبد وما عدا الملائكة الموكلين بالنبات والارزاق والحفظة والملك الموكل بتصوير ابن آدم والملائكة الذين ينزلون فى السحاب والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة وخزنة الجنة والملائكة الذين يتعاقبون والذين يؤمنون على قراءة المصلى والذين يقولون ربنا لك الحمد والذين يدعون لمنتظر الصلاة والذين يلعنون من هجرت فراش زوجها * وروى ان فى السماء الدنيا وهى من ماء ودخان ملائكة خلقوا من ماء وريح عليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقولون سبحان ذى الملك والملكوت وأن فى الثانية ملائكة على ألوان شتى رافعين أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت وأن فيها ملكا نصف جسده من نار ونصف جسده من ثلج فلا النار يذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك المؤمنين وأن فى الثالثة وهى من حديد ملائكة ذوى أجنحة شتى ووجوه شتى وأصوات شتى رافعى أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك أنت الحى الذى لا تموت وهم صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لا يعرف أحدهم لون صاحبه من خشية الله وأن فى السماء الرابعة وهى من نحاس ملائكة يضعفون على ملائكة الثالثة وكذلك كل سماء أكثر عددا من التى تليها وأن ملائكة السماء الرابعة قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله الملك منهم الى أمر من أموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذى الى جنبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذى لا اله الا هو وأن فى الخامسة وهى من فضة ملائكة يزيدون على ملائكة الاربع سموات وهم سجود وركوع لم يرفعوا أبصارهم الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وأن فى السادسة وهى من ذهب جند الله الاعظم الكروبيون لا يحصر عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك له سبعون ألف ملك جنده وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله فى أموره الى أهل الدنيا رافعوا أصواتهم بالتسبيح والتهليل وأن فى السابعة وهى من ياقوتة حمراء من الملائكة ما يزيدون على من تقدم وعليهم ملك مقدم على سبعمائة ألف ملك منهم جنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والرمل والسهل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق فى السموات والارض ويخلق الله تعالى فى كل يوم ما يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وأن حملة العرش ثمانية يتجاوبون لكل ملك منهم وجوه شتى وأعين شتى فى جسده لا يشبه بعضها بعضا رافعة أصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يفترون لو أن الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه لا يعلم عددهم

الا الله وحملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت حسن رخيم تقول أربعة منهم سبحانك اللهم وبحمدك على حلمك بعد علمك وتقول أربعة سبحانك اللهم وبحمدك على عفوك بعد قدرتك * وقد روى الطبراني من حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل على أي شيء أنت قال على الريح والجنود قال وعلى أي شيء ميكائيل قال على النبات والقطر قال وعلى أي شيء ملك الموت قال على قبض الارواح الحديث وفي اسناده محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك * وروى الترمذي من حديث أبي سعيد مرفوعا وزيراي من أهل السماء جبريل وميكائيل الحديث * وروى النقاش ان اسرافيل أول من سجد من الملائكة وانه جوزي بولاية اللوح المحفوظ * وفي كتاب العظمة لابي الشيخ ابن حيان من ذلك العجب العجاب وعندي منه الجزء الثاني * وقد وقعت في غير رواية البخاري هنا زيادات * فنها ما وقع في رواية أبي سعيد الخدري عند البيهقي في دلائله ثم صعدت الى السماء السابعة فاذا ابراهيم الخليل مساند ظهره الى البيت المعمور كاحسن الرجال ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم على واذا أمتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنهم القراطيس وشطر عليهم ثياب رمدة قال فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدة فصليت أنا ومن معي في البيت * وفي رواية الطبراني فاذا هو برجل أشمط جالس على باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في ألوانهم شيء فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهرا آخر فاغتسلوا فيه وخرجوا وقد خلصت ألوانهم وصارت مثل ألوان البيض الوجوه فقال من هذا ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء وما هذه الانهار التي دخلوها وقد صفت ألوانهم قال هذا أبوك ابراهيم أول من شمط على الارض وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا ايمانهم بظلم واما هؤلاء النفر الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ فتابوا فتاب الله عليهم واما الانهار فاولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم شرابا طهورا * وفي رواية البخاري في الصلاة ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام الحديث والمستوى المصعد وصريف الاقلام بفتح الصاد المهملة تصويتها حالة الكتابة والمراد ما تكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى والقدر المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم بما فيه قبل خلق

السموات والارض وانما هذه الكتابة في صحف الملائكة كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو على ماذكر في الآية * وذكر ابن القيم ان الاقلام اثنا عشر قلما وأنها متفاوتة في الرتب فأعلاها وأجلها قدرا قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلائق كما في سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب قال رب وما أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة فهذا القلم أول الاقلام وأجلها وقد قال غير واحد من أهل التفسير انه القلم الذي أقسم الله به والقلم الثاني قلم الوحي والقلم الثالث قلم التوقيع عن الله ورسوله والرابع قلم طب الابدان الذي تحفظ به صحتها والخامس قلم التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه تساس الممالك والسادس قلم الحساب وهو الذي تضبط به الاموال مستخرجها ومصروفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق والسابع قلم الحكم الذي تثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا والثامن قلم الشهادة الذي تحفظ به الحقوق والتاسع قلم التعبير وهو كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم تواريخ العالم ووقائعه والحادي عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثاني عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على المبطلين ودفع شبه المحرفين فهذه الاقلام التي بها انتظام مصالح العالم قال ويكفي في جلالة القلم انه لم تكتب كتب الله الا به وأنه تعالى أقسم به في كتابه انتهى ملخصا من كتاب أقسام القرآن * وقد وقع في رواية أبي ذر عند مسلم وغيره من الزيادة أيضا ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك الحديث والجنابذ بالجيم ثم النون المفتوحتين ثم ألف ثم موحدة ثم ذال معجمة هي القباب ويؤيده ما في التفسير من البخاري من حديث قتادة عن أنس لما عرج به صلى الله عليه وسلم قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ وأما ما في كتاب الصلاة من البخاري واذا فيها حبائل اللؤلؤ بالمهملة والموحدة وآخره لام فقال القاضي عياض وغيره هو تصحيف * وفي حديث الامام أحمد من رواية حذيفة ففتحت لهما أبواب السماء قال فرأيت الجنة والنار * وفي حديث أبي سعيد انه عرضت عليه الجنة وان رمانها كأنه الدلاء واذا طيرها كأنه البخت وأنه عرضت عليه النار فاذا هي لو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها * ووقع عند مسلم من طريق همام عن قتادة عن أنس بينا أنا أسير في الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف واذا طينه مسك أذفر فقال جبريل هذا الكوثر * وفي رواية أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن ابراهيم عليه الصلاة

والسلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا بني انك لاق ربك الليلة وان أمتك آخر الامم وأضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك في أمتك فافعل * ووقع في حديث ابي سعيد الخدري عند البيهقي ثم صعد بي الى السماء السابعة قال ثم رفعت لي سدرة المنتهى فاذا كل ورقة منها تغطي هذه الامة واذا فيها عين تجري يقال لها السلسبيل فيشق منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر * ثم رفعت الى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن أنت يا جارية قالت لزيد بن حارثة وفيه فاذا رمانها كأنه الدلاء عظما * ثم عرضت على النار فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته لو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دوني * وفي الطبراني من حديث عائشة لما كان ليلة أسرى بي الى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم ار في الجنة شجرة أحسن منها ولا أبيض منها ولا أطيب منها ثمرة فتناولت ثمرة من ثمرها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما أهبطت الى الارض واقعت خديجة فحملت بفاطمة وهو حديث ضعيف وفيه التصريح بأن الاسراء كان قبل ولادة فاطمة وهي ولدت قبل النبوة بسبع سنين وشيء ولا ريب أن الاسراء كان بعد النبوة * وذكر أبو الحسن بن غالب فيما تكلم فيه على أحاديث الحجب السبعين والسبع مائة والسبعين ألف حجاب وعزاها لابي الربيع بن سبع في شفاء الصدور من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد ان ذكر مبدأ حديث الاسراء كما ورد في الامهات أتاني جبريل وكان السفير بي الى ربي الى أن انتهى الى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل في مثل هذا المقام يترك الخليل خليله فقال ان تجاوزته احترقت بالنور فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل هل لك من حاجة قال يا محمد سل الله أن أبسط جناحي على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم زج بي في النور زجا فخرق بي الى السبعين ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجابا وانقطع عني حس كل أنسي وملك فلحقني عند ذلك استيحاش فعند ذلك ناداني مناد بلغة أبي بكر قف ان ربك يصلي فبينما أنا أتفكر في ذلك فأقول هل سبقني أبو بكر فاذا النداء من العلي الاعلى أدن يا خير البرية ادن يا أحمد أدن يا محمد ليدنو الحبيب فأدناني ربي حتى كنت كما قال تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى قال وسألني ربي فلم أستطع ان أجيبه فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها بين ثديي فأورثني علم الاولين والآخرين وعلمني علوما شتى فعلم أخذ علي كتمانه اذ علم انه لا يقدر على

حمله أحد غيرى وعلم خير نبى فيه وعلمنى القرآن فكان جبريل عليه الصلاة والسلام
يذكرنى به وعلم أمرنى بتبليغه الى العام والخاص من أمتى ولقد عاجلت جبريل عليه
الصلاة والسلام فى آية تنزل بها على فعاتبنى ربى وأنزل على ولا تعجل بالقرآن من
قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما * ثم قلت اللهم انه لما لحقنى
استيحاش قبل قدومى عليك سمعت منادياً ينادى بلغة تشبه لغة أبى بكر
فقال لى قف مكانك ان ربك يصلى فعجبت من هاتين هل سبقنى أبو بكر الى
هذا المقام وان ربى لغنى عن ان يصلى فقال تعالى أنا الغنى عن أن أصلى لاحد
وانما أقول سبحانى سبحانى سبقت رحمتى غضبى اقرأ يا محمد هو الذى يصلى
عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما فصلاتى
رحمتى لك ولامتك وأما أمر صاحبك يا محمد فان أخاك موسى كان انسه بالعصا فلما
أردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى وشغل بذكر العصا عن
عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبى بكر وأنك خلقت أنت
وهو من طينة واحدة وهو أنيسك فى الدنيا والآخرة خلقنا ملكا على صورته
يناديك بلغته ليزول عنك الاستيحاش ولا يلحقك من عظيم الهيبة ما يقطعك عن
فهم ما يراد منك ثم قال الله تعالى وأين حاجة جبريل فقلت اللهم انك أعلم فقال
يا محمد قد أجبته فيما سأل ولكن فيمن أحبك وصحبك * وفى رواية فتقدمت
وجبريل على أثرى حتى انتهى بى الى حجاب فراش الذهب فحرك الحجاب فقيل من
هذا قال أنا جبريل ومعى محمد صلى الله عليه وسلم فقال الملك الله أكبر فأخرج يده من
تحت الحجاب فاحتملنى فوضعنى بين يديه فى أسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب
مسيرة خمسمائة عام فقال لى تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بى الملك فى أسرع من طرفة
عين الى حجاب اللؤلؤ فحرك الحجاب فقال الملك من وراء الحجاب من هذا فقال
أنا فلان صاحب الحجاب الذهب وهذا محمد صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة
معى فقال الله أكبر فأخرج يده من تحت الحجاب فاحتملنى حتى وضعنى بين يديه
فلم أزل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزت سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة
خمسمائة عام فقال لى تقدم يا محمد فمضيت فانطلق بى الملك ثم دلى لى رفرف أخضر
يغلب ضوءه ضوء الشمس فالتمع بصرى ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملت حتى
وصلت الى العرش فأبصرت أمرا عظيما لا تناله الالسن * ثم دلى لى قطرة من
العرش فوقعت على لسانى فما ذاق الذائقون شيئا قط أحلى منها فأنبأنى الله بها
نبأ الاولين والآخرين ونور قلبى وغشى نور عرشه بصرى فلم أر شيئا فجعلت أرى

بقلبي ولا أرى بعيني ورأيت من خلفي ومن بين كتفي كما رأيت أمامي الحديث رواه
والذي قبله في كتاب شفاء الصدور كما ذكره ابن غالب والعهدة عليه في ذلك وتكثير
الحجب لم يرد في طريق صحيح ولم يصح في ذلك غير ما في مسلم حجابه النور والرفرف
البساط وقيل انه في الاصل ما كان من الديباج وغيره رقيقا حسن الصنعة
ثم اتسع فيه * واعلم ان ما ذكر في هذا المحل الرفيع من الحجب فهو في حق
المخلوق لا في حق الخالق عز وجل والله سبحانه وتعالى منزه عما يحجب اذ الحجب
انما يحيط بقدر محسوس والخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعاني الاسماء والصفات
والافعال وسائر المخلوقات من معاني الانوار والظلمات كل له مقام من الحجب معلوم
وحظ من الادراك والمعرفة مقسوم وأقرب الخلق الى الله تعالى الملائكة الحافون
والكروبيون وهم محجوبون بنور المهابة والعظمة والكبرياء والجلال والقدس
والقيومية حجب الذات بالصفات وهم في الحجب عنه على طبقات مختلفات كل
على مقام معلوم ودرجات وبالجملة فالمخلوقات كلها ما كانت حجاب عن الخالق فقوم
حجبوا برؤية النعم عن المنعم وبرؤية الاحوال عن المحول وبرؤية الاسباب عن المسبب
وقوم حجبوا بالعلم عن المعلم وبالفهم عن المفهم وبالعقل عن المعقل وذلك كله من
معنى حجاب النعم عن المنعم والمواهب عن الواهب وقوم حجبوا بالشهوات المباحة
وقوم بالشهوات المحرمات والمعاصي والسيئات وقوم حجبوا بالمال والبنين وزينة
الحياة الدنيا اللهم لا تحجب قلوبنا عنك في الدنيا ولا أبصارنا عنك في الآخرة
يا كريم * وقد ورد في الصحيح عن أنس قال لما عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى
ودنى الجبار رب العزة جل جلاله فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى
الى عبده ما أوحى الحديث * وهذا الدنو والتدلي المذكور في هذا الحديث
وغيره من أحاديث المعراج غير الدنو والتدلي المذكور في قوله تعالى في سورة
النجم ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وان اتفقا في اللفظ فان الصحيح
ان المراد في الآية جبريل لانه الموصوف بما ذكر من أول السورة الى قوله ولقد
رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح قالت عائشة رضي الله عنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه
الآية فقال ذلك جبريل لم أره في صورته التي خلق عليها الا مرتين ولفظ القرآن
لا يدل على غير ذلك من وجوه أحدها انه قال علمه شديد القوى وهذا جبريل
الذي وصفه بالقوة في سورة التكوير الثاني انه قال ذو مرة أي حسن الخلق وهو
الكريم الذي في سورة التكوير الثالث انه قال فاستوى وهو بالافق الاعلى

وهو ناحية السماء العليا وهذا استواء جبريل عليه الصلاة والسلام وأما استواء الرب جل جلاله فعلى عرشه الرابع أنه قال ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فهذا دنو جبريل وقد نزل الى الارض حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها * وأما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنى الجبار جل جلاله منه وتدلى الخامس انه قال ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى والذى عند سدرة المنتهى قطعا هو جبريل وبهذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذاك جبريل السادس أن نفس الضمير في قوله ولقد رآه وقوله دنى فتدلى وقوله فاستوى وقوله وهو بالافق الاعلى واحد فلا يجوز أن يخالف بين المفسرين من غير دليل السابع أنه سبحانه أخبر أن هذا الذى دنى فتدلى كان بالأفق الاعلى وهو أفق السماء بل تحتها فدنى من الارض فتدلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنو الرب تبارك وتعالى وتدليه على ما في حديث شريك كان فوق العرش لا الى الارض ثم نفى سبحانه وتعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه ما زاغ البصر وما طغى ما يعرض للراءى الذى لا أدب له بين يدى الملوك والعظماء من التفاته يمينا وشمالا ومجاوزة بصره لما بين يديه وأخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام وفى تلك الحضرة اذ لم يلتفت جانبا ولم يمد بصره الى غير ما أورى من الآيات وما هناك من العجائب بل قام مقام العبد الذى أوجب أدبه اطراقه واقباله على ما أرى دون التفاته الى غيره ودون تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجأش وسكون القلب وطمأنينته وهذا غاية الكمال * وقال في مدارج السالكين وفى هذه الآية أسرار عجيبة هى من غوامض الآداب اللائقة بأكمل البشر صلوات الله وسلامه عليه تواطأ هناك بصره وبصيرته وتوافقا وتصادقا فيما شاهده بصره فالبصيرة مواطئة له وما شاهدته بصيرته فهو أيضا حق مشهود بالبصر فتواطأ في حقه أى ما كذب الفؤاد ما رآه ببصره ولهذا قرأها هشام وأبو جعفر ما كذب الفؤاد ما رأى بتشديد الذال أى لم يكذب القلب البصر بل صدقه وواطأه بصحة الفؤاد والبصر وكون المرئى المشاهد بالبصر والبصيرة حقا وقرأ الجمهور ما كذب الفؤاد بالتخفيف وهو متعد وما رأى مفعوله أى ما كذب قلبه ما رأت عيناه بل واطأه ووافقه فلمواطئة قلبه لقالبه وظاهره لباطنه وبصره لبصيرته لم يكذب الفؤاد البصر ولم يتجاوز البصر حده ولم يمل عن المرئى فيزيغ بل اعتدل البصر على المرئى لم يتجاوزه ولا مال عنه لما اعتدل القلب في الاقبال على الله بكليته والاعراض عما سواه فانه أقبل على الله بكليته وأعرض عما سواه بكليته وللقلب زيغ وطغيان

كما ان للبصر زيغا وطغيانا وكلاهما منتف عن قلبه وبصره فلم يزغ قلبه التفاتا عن الله
الى غيره ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذى أقيم فيه وهذا غاية الكمال والادب مع الله
تعالى الذى لا يلحقه فيه سواه فان عادة النفوس اذا أقيمت فى مقام عال رفيع أن
تتطلع الى ما هو أعلى منه وفوقه ألا ترى الى موسى عليه الصلاة السلام لما أقيم مقام
التكليم والمناجاة طلبت نفسه الرؤية ونبينا صلى الله عليه وسلم لما أقيم فى ذلك
المقام وفاه حقه ولم يلتفت ببصره ولا قلبه الى غير ما أقيم فيه ألبتة ولاجل هذا ما عاقه
عائق ولا وقف به مراد حتى جاوز السموات السبع فلم تعقه ارادة منه لشىء ولم
يعق به دون كمال العبودية همه ولهذا كان مركوبه فى مسراه يسبق خطوه الطرف
فيضع قدمه عند منتهى طرفه مشاكلا لحال راكبه وبعد شأوه الذى يسبق به
العالم أجمع فى سيره فكان قدم البراق لا يتخلف عن موضع نظره كما كان قدمه صلى
الله عليه وسلم لا يتخلف عن محل معرفته فلم يزل صلى الله عليه وسلم فى خفارة كمال
أدبه مع الله سبحانه وتكميل مرتبة عبوديته له حتى خرق حجب السموات وجاوز
السبع الطباق وجاوز سدرة المنتهى ووصل الى محل من القرب سبق به الاولين
والآخرين فانصبت له هناك أقسام القرب انصبابا وانقشعت عنه سحائب الحجب
ظاهرا وباطنا حجابا حجابا وأقيم مقاما غبطه فيه الانبياء والمرسلون فاذا كان فى المعاد
أقيم مقاما من القرب ثانيا يغبطه فيه الاولون والآخرون واستقام هناك على
صراط مستقيم من كمال أدبه مع الله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فأقامه فى هذا العالم
على أقوم صراط على الحق والهدى وأقسم بكلامه القديم على ذلك فى الذكر الحكيم
فقال يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم فاذا كان يوم المعاد
أقامه على الصراط فيسأل السلامة لاتباعه وأهل سنته حتى يجوزوا الى جنات
النعيم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ❋ ثم أن ما ذكرنا
من القرب والدنو المراد به تأكيد المحبة والقربة ورفع المنزلة والرتبة ❋ قال جعفر
الصادق لما قرب الحبيب من الحبيب غاية القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق
تعالى بغاية اللطف وذلك قوله جل جلاله فأوحى الى عبده ما أوحى أى كان ما كان
وجرى ما جرى وقال الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب والطف به الطاف
الحبيب بالحبيب فخفى السر ولم يطلع عليه أحد ولم يعلم أحد ما أوحى الا الذى أوحى
وقال غيره فى قوله فأوحى الى عبده ما أوحى أبهمه لعظمه فان الابهام قد يقع للتعظيم
فهو مبهم لا يطلع عليه بل يتعبد بالايمان به وقيل بل هو مفسر بالاخبار الواردة قال
سعيد بن جبير أوحى الله تعالى اليه صلى الله عليه وسلم ألم أجدك يتيما فآويتك ألم

أجدك ضالا فهديتك ألم أجدك عائلا فاغنيتك ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك * وقيل أوحى الله اليه ان الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها أمتك ذكره الثعلبى والقشيرى وقيل أوحى الله اليه خصصتك بحوض الكوثر فكل أهل الجنة اضيافك بالماء ولهم الخمر واللبن والعسل ذكره القشيرى * وذكر أيضا انه أوحى اليه ما أوحى الى الرسل لقوله تعالى ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل أوحى اليه الصلوات الخمس * وفى رواية أبى سعيد الخدرى عند البيهقى أن الله تعالى قال له صلوات الله وسلامه عليه سل فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الانس والجن والشياطين وسخرت له الرياح وأعطيته ملكا لا ينبغى لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذنك وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب فى التوراة حبيب الرحمن وأرسلتك الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وشرحت لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر الا ذكرت معى وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس وجعلت أمتك أمة وسطا وجعلت أمتك هم الاولون والآخرون وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى ورسولى وجعلت من أمتك اقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأولهم يقضى له وأعطيتك سبعا من المثانى لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشى لم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وجعلتك فاتحا وخاتما وفى اسناده أبو جعفر الرازى ضعفه بعضهم وقال أبو زرعة انه متهم وقال ابن كثير الاظهر انه سيء الحفظ * وذكر الفخر الرازى عن والده قال سمعت أبا القاسم سليمان الانصارى يقول لما وصل محمد صلى الله عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة فى المعارج أوحى الله تعالى اليه يا محمد بم شرفتك قال يا رب بنسبتى اليك بالعبودية فانزل الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا فسماه تعالى بهذا الاسم لتحققه صلى الله عليه وسلم بالاسم الاعظم واتصافه بجميع صفاته فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة الا له عليه الصلاة والسلام وللاقطاب من بعده بتبعيته لا بالحقيقة وان أطلق

على غيره مجازا ويرحم الله الاديب برهان الدين القيراطي فلقد أجاد حيث قال

ودعتني بالعبد يوما فقالوا ❁ قد دعته بأشرف الاسماء

❁ ولبعض أهل الاشارات كأن الله قال له يا محمد قد أعطيتك نورا تنظر به جمالي وسمعا تسمع به كلامي يا محمد اني أعرفك بلسان الحال معنى عروجك الي يا محمد أرسلتك الى الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد مطالب بحقيقة ما يشهد به فأريتك جنتي لتشاهد ما أعددت فيها لاوليائي وأريتك ناري لتشاهد ما أعددت فيها الاعدائي ثم أشهدتك جلالي وأكشف لك عن جمالي لتعلم أني منزه في كمالي عن الشبيه والنظير والوزير والمشير فرآه صلى الله عليه وسلم بالنور الذي قواه من غير ادراك ولا احاطة فردا صمدا لا في شيء ولا من شيء ولا قائما بشيء ولا على شيء ولا مفتقرا الى شيء ليس كمثله شيء فلما كلمه شفاها وشاهده كفاحا فقيل له يا محمد لا بد لهذه الخلوة من سر لا يذاع ورمز لا يشاع فأوحى الى عبده ما أوحى فكان سرا من سر لم يقف عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وأنشد لسان الحال

بين المحبين سر ليس يفشيه ❁ قول ولا قلم في الكون يحكيه

سر يمازجه أنس يقابله ❁ نور تحير في بحر من التيه

❁ ولما انتهى الى العرش تمسك العرش بأذياله وناداه بلسان حاله يا محمد أنت في صفاء وقتك آمنا من مقتك أشهدك جمال أحديته وأطلعك على جلال صمديته وأنا الظمآن اليه الاهفان عليه المتحير فيه لا أدري من أي وجه آتيه جعلني أعظم خلقه فكنت أعظمهم منه هيبة وأكثرهم فيه حيرة وأشدهم منه خوفا يا محمد خلقني فكنت أرعد لهيبة جلاله فكتب على قائمتي لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي وهدء روعي فكان اسمك لقاحا لقلبي وطمأنينة لسري فهذه بركة كتابة اسمك على فكيف اذا وقع جميل نظرك الي يا محمد أنت المرسل رحمة للعالمين ولا بد لي من نصيب من هذه الرحمة ونصيبي يا حبيبي ان تشهد لي بالبراءة مما نسبه أهل الزور الي وتقوله أهل الغرور على زعموا أني أسع من لا مثل له وأحيط بمن لا كيفية له يا محمد من لا حد لذاته ولا عد لصفاته كيف يكون مفتقرا الي أو محمولا علي اذا كان الرحمن اسمه والاستواء صفته وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بي أو ينفصل عني يا محمد وعزته لست بالقريب منه وصلا ولا بالبعيد عنه فصلا ولا بالمطيق له حملا أوجدني رحمة منه وفضلا ولو محقني لكان حقا منه وعدلا يا محمد أنا محمول قدرته ومعمول حكمته ❁ فأجاب لسان حال سيدي زاده الله فضلا وشرفا لديه ووالى صلاته وسلامه عليه أيها العرش

اليك عنى أنا مشغول عنك فلا تكدر على صفوتى ولا تشوش على خلوتى فما أعاره صلى الله عليه وسلم منه طرفا ولا أقرأه من مسطورها أوحى اليه حرفا مازاغ البصر وما طغى * وقد ورد فى بعض أخبار الاسراء مما ذكره العلامة ابن مرزوق فى شرحه لبردة المديح أنه صلى الله عليه وسلم لما كان من ربه تعالى قاب قوسين قال اللهم انك عذبت الامم بعضهم بالحجارة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ فما أنت فاعل بأمتى قال أنزل عليهم الرحمة وأبدل سيآتهم حسنات ومن دعانى منهم لبيته ومن سألنى أعطيته ومن توكل على كفيته وفى الدنيا استر على العصاة وفى الآخرة أشفعك فيهم ولولا أن الحبيب يحب معاتبة حبيبه لما حاسبت أمتك * ولما أراد صلى الله عليه وسلم الانصراف قال يارب لكل قادم من سفره تحفة فما تحفة أمتى قال الله تعالى أنالهم ما عاشوا وأنالهم اذا ماتوا وأنالهم فى القبور وأنالهم فى النشور * واعلم أنه قد اختلف العلماء قديما وحديثا فى رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى ليلة الاسراء فروى البخارى من حديث مسروق قال قلت لعائشة ياأمتاه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك أنه كتم فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك الآية ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين * وفى رواية مسلم من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد أعظم الفرية وقولها قف شعرى أى قام من الفزع لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة وقوع ذلك * قال النووى تبعا لغيره لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وانما اعتمدت الاستنباط على ماذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة والصحابى اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا انتهى * قال الحافظ أبو الفضل العسقلانى جزمه بأن عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة وهو عجيب فقد ثبت ذلك عنها فى صحيح مسلم الذى شرحه الشيخ فعنده من طريق داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق فى الطريق المذكورة قال مسروق وكنت متكئا فجلست فقلت ألم يقل الله ولقد رآه نزلة أخرى فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا فقلت يارسول الله هل رأيت ربك فقال لا انما رأيت جبريل منهبطا * ثم احتجاج عائشة رضى الله

عنها بالآية مخالفها فيه ابن عباس فأخرج الترمذي من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه فقلت أليس يقول الله لا تدركه الابصار قال ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين * وقال القرطبي الابصار في الآية جمع محلا بالالف واللام فيقبل التخصيص * وقد ثبت دليل ذلك سمعا في قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المراد الكفار بدليل قوله في الآية الاخرى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة واذا جازت في الآخرة جازت في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة الى المرئي انتهى وهو استدلال جيد * وقال القاضي عياض رؤية الله تعالى جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها سؤال موسى عليه الصلاة والسلام لها ثم قال وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التأويلات في الآية انتهى * وقد روى ابن أبي حاتم بسنده عن اسماعيل بن علية في تأويل هذه الآية قال هذا في الدنيا * وقال آخرون لا تدركه الابصار أي جميعها وهذا مخصص بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدار الآخرة * وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموا من هذه الآية انه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة فخالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أما الكتاب فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الامام الشافعي رحمه الله فدل هذا على أن المؤمنين لا يحجبون عنه تبارك وتعالى وأما السنة فقد تواترت الاخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة وأنس وجرير وصهيب وبلال وغير واحد من الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين يرون الله تبارك وتعالى في الدار الآخرة في العرصات وفي روضات الجنات جعلنا الله منهم وقيل المنفي في الآية ادراك العقول قال الحافظ ابن كثير وهو غريب جدا وخلاف ظاهر الآية * وقال آخرون لا منافاة بين اثبات الرؤية ونفي الادراك فان الادراك أخص من الرؤية ولا يلزم من نفي الاخص انتفاء الاعم * ثم اختلف هؤلاء في الادراك المنفي ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا هو وان رآه المؤمنون كما أن من رأى القمر فانه لا يدرك حقيقته وكنهه وماهيته فالعظيم أولى بذلك وله المثل الاعلى * وقال آخرون المراد بالادراك الاحاطة قالوا ولا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية كما لا يلزم من عدم الرؤية عدم العلم * وفي صحيح

مسلم

مسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ولا يلزم من هذا عدم الثناء فكذلك هذا * وروى ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لا تدركه الابصار وقال لو أن الجن والانس والشياطين والملائكة منذ خلقوا الى أن فنوا صفوا صفا واحدا ما أحاطوا بالله أبدا * قال ابن كثير غريب لا يعرف الا من هذا الوجه ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة والله أعلم * ومما نسب لامام الحرمين في لمع الادلة أنه قال من أصحابنا من قال ان الرب تعالى يرى ولا يدرك لان الادراك ينبيء عن الاحاطة ودرك الغاية والرب جل جلاله تقدس عن الغاية والنهاية ثم قال فان عارضوا بقوله تعالى في جواب موسى عليه الصلاة والسلام لن تراني وزعموا أن لن تفيد النفي على التأبيد قلنا هذه الآية أوضح الادلة على جواز الرؤية فانها لو كانت مستحيلة لكان معتقد جواز الرؤية ضالا أو كافرا وكيف يعتقد ما لا يجوز على الله تعالى من اصطفاه لرسالته واختاره لنبوته وخصه بكراماته وشرفه بتكليمه وجعله أفضل أهل زمانه وأيده ببرهانه وكيف يجوز على الانبياء الريب في أمر يتعلق بعلم الغيب فيجب حمل الآية على أن ما اعتقد موسى عليه الصلاة والسلام جوازه جائز لكن ظن أن ما اعتقد جوازه ناجز فرجع النفي في الجواب الى الانجاز وما سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه رؤيته في المآل فصرف النفي اليه والجواب يدل على قضية الخطاب انتهى * وقال البيضاوي في هذه الآية دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله تعالى ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى انتهى * ونقل القاضي عياض عن أبي بكر في الآية أن المراد ليس لبشر أن يطيق أن ينظر الي في الدنيا وأنه من نظر الي مات قال وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤيته تبارك وتعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب أهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية قال وقد رأيت نحو هذا لمالك بن أنس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رؤي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القوة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع في حقه انتهى والاستثناء في قوله الا من حيث ضعف

لقوة ينبغي أن يكون منقطعا على معنى لكن من حيث ضعف القوة والا فضعف القوة قد اراد أن يكون مانعا أى امتنع من جهة ضعف القوة لا من جهة كونه مستحيلا ويدل على هذا قوله فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع فى حقه * وقد وقع فى صحيح مسلم ما يؤيد هذه التفرقة فى حديث مرفوع فيه واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا وأخرجه ابن خزيمة أيضا من حديث أبى أمامة ومن حديث عبادة بن الصامت فان جازت الرؤية فى الدنيا عقلا وقد امتنعت شرعا لكن من أثبتها للنبى صلى الله عليه وسلم له أن يقول ان المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه * وفى تفسير ابن كثير أن فى بعض كتب الله المتقدمة أن الله تعالى قال لموسى لما سأله الرؤية ياموسى انه لن يرانى حى الامات * وقد جزم القشيرى فى الرسالة بأنها لا تجوز فى الدنيا على جهة الكرامة وادّعى حصول الاجماع عليه * وحكى القاضى عياض امتناعها فى الدنيا عن جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين * وقال القشيرى أيضا سمعت الامام أبا بكر بن فورك يحكى عن ابى الحسن الاشعرى فى ذلك قولين فى كتاب الرؤية الكبير انتهى * وقد ذهبت عائشة وابن مسعود الى أنه عليه الصلاة والسلام لم ير ربه ليلة الاسراء واختلف عن أبى ذر وذهب جماعة الى اثباتها وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمدا رأى ربه وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير اثباتها وبه قال سائر أصحاب ابن عباس * وجزم به كعب الاحبار والزهرى وصاحبه معمر وآخرون وهو قول الاشعرى وغالب اتباعه ثم اختلفوا هل رآه بعينيه أو بقلبه وجاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة فيجب حمل مطلقها على مقيدها فمن ذلك ما أخرجه النساءى باسناد صحيح وصححه الحاكم أيضا من طريق عكرمة عن ابن عباس قال أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبى العالية عن ابن عباس فى قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال رآه بقلبه وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه وانما رآه بقلبه وعلى هذا فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفى عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر واثباته على رؤية القلب لكن روى الطبرانى فى الاوسط باسناد رجاله رجال الصحيح خلا جهور بن منصور الكوفى وجهور ابن منصور قد ذكره ابن حبان فى الثقات عن ابن عباس أنه كان يقول ان محمدا

صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده ثم ان المراد برؤية الفؤاد رؤية القلب لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه أن الرؤية التي حصلت له خلقت له في قلبه كما تخلق الرؤية بالعين لغيره والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلا ولو جرت العادة بخلقها في العين وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن أنس قال رأى محمد ربه وفي مسلم من حديث أبي ذر أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال نور أنى أراه أي حجابه نور فكيف أراه ومعناه أن النور منعني من الرؤية وعند أحمد قال رأيت نورا ومن المستحيل أن تكون ذات الله تعالى نورا اذ النور من جملة الاعراض والله تعالى يتعالى عن ذلك وعند ابن خزيمة عنه قال رآه بقلبه ولم يره بعينه وبهذا يتبين مراده في حديث أبي ذر بذكر النور أي أن النور حال بينه وبين رؤيته له ببصره وجنح ابن خزيمة في كتاب التوحيد الى ترجيح الاثبات وأطنب في الاستدلال بما يطول ذكره وحمل ما ورد عن ابن عباس على أن الرؤية وقعت مرتين مرة بقلبه ومرة بعينه ومما يعزى للاستاذ عبد العزيز المهدوي انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من سفر الاسراء أخبر العوالم من حيث فلكهم ومراتبهم وسقى كل واحد من كأسه وعلى قدر عقله فخاطب الكفار وهم آخر العوالم بما رأى في الطريق وما كان في المسجد الاقصى على العيان وبما يعرفون لانهم في فلك الاجسام حتى صدقوا بالاسراء ثم ارتقى حتى حدث عن فلك السماء وكذلك في كل سماء وأخبر بما شاهد ورأى في كل فلك وما يليق أن يحدث به أعني الصحابة كلا على قدر مرتبته بلا ضيق ولا مزاحم الى السماء السابعة ولما وصل مقام جبريل تحدث عن الافق المبين وعما فوق الى الدنو والتدلي الى موضع الايحاء عند حضرة اسقاط الصور والخلق فأخبر بذلك أصحابه فنهم من قال رأى جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلى وصدق ومنهم من قال برؤية الفؤاد والبصيرة وصدق وهي عائشة ومن معها ومنهم من قال بعيني رأسه رأى وصدق فكل أخبر بما حدثه صلى الله عليه وسلم من مقامه وسقاه من كأسه وما يليق به فاذا صح هذا المعراج عرفت الاسراء ومقامات الرؤية والقائلين بذلك واختلافهم وقولهم الجميع الحق انتهى ✽ وممن أثبت الرؤية لنبينا صلى الله عليه وسلم الامام أحمد فروى الخلال في كتاب السنة عن المروزي قلت لاحمد انهم يقولون ان عائشة قالت من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية فبأي معنى يدفع قولها قال بقول النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ربي فقول النبي أكبر من قولها ✽ وقد أنكر صاحب الهدى على من زعم ان أحمد قال رأى ربه

بعيني رأسه قال وانما قال مرة رأى محمد ربه وقال مرة بفؤاده * وحكى عن بعض المتأخرين رأى بعيني رأسه وهذا من تصرف الحاكي فان نصوصه موجودة انتهى * وقد رجح القرطبي في المفهم قول الوقف في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به الطائفتان ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال وليست المسألة من العمليات فيكتفى بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي والله أعلم * وأما قوله في الحديث ثم فرضت على الصلاة خمسين صلاة في كل يوم ففي رواية ثابت البناني عن أنس عند مسلم ففرض الله على خمسين صلاة في كل يوم وليلة ونحوه في رواية مالك بن صعصعة عند البخاري أيضا ويحتمل أن يقال ذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على الامة وبالعكس الا ما استثنى من خصائصه * وفي حديث ثابت عن أنس عند مسلم فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان أمتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال يا محمد هن خمس صلوات في اليوم والليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقلت لقد رجعت الى ربي حتى استحييت منه * وفي رواية النسائي عن أنس فقال لي اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك وذكر مراجعته مع موسى وفيه فانه فرض على بني اسرائيل صلاتان فما قاموا بهما وقال في آخره فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك قال فعرفت انها عزمة من الله فرجعت الى موسى فقال ارجع فلم أرجع * فان قلت لم قال موسى عليه الصلاة والسلام لنبينا صلى الله عليه وسلم ان أمتك لا يطيقون ذلك ولم يقل أنت وأمتك لا تطيقون ذلك أجيب بأن العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فهو لما رزقه الله تعالى من الكمال يطيق ذلك وأكثر منه وكيف لا وقد جعلت قرة عينه في الصلاة قال العارف ابن أبي جمرة والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة الاسراء أنه صلى الله عليه وسلم لما عرج به ورأى في تلك الليلة تعبد

الملائكة وان منهم القائم فلا يقعد والراكع فلا يسجد والساجد فلا يقعد فجمع الله تعالى له ولامته تلك العبادات كلها فى ركعة يصليها العبد بشرائطها من الطمأنينة والاخلاص * وقد وقع من موسى عليه الصلاة والسلام من العناية بهذه الامة فى أمر الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الاشارة لذلك فى حديث أبى هريرة عند الطبرانى والبزار قال صلى الله عليه وسلم كان موسى أشدهم على حين مررت وخيرهم لى حين رجعت * وفى حديث أبى سعيد فأقبلت راجعا فمررت بموسى ونعم الصاحب كان لكم فسألنى كم فرض عليك ربك الحديث * قال السهيلى وأما اعتناء موسى عليه الصلاة والسلام بهذه الامة والحاحه على نبيها أن يشفع لها ويسأل التخفيف عنها فلقوله والله أعلم حين قضى اليه الامر بجانب الغربى ورأى صفات أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى الالواح وجعل يقول انى أجد فى الالواح أمة صفتهم كذا اللهم اجعلهم أمتى فيقال له تلك أمة أحمد وهو حديث مشهور وقد تقدم ذكره فى خصائص هذه الامة قال فكان اشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم لقوله اللهم اجعلنى منهم انتهى * وقال القرطبى الحكمة فى أمر موسى بمراجعة النبى صلى الله عليه وسلم فى أمر الصلوات يحتمل أن تكون لكون أمة موسى عليه الصلاة والسلام كلفت من الصلوات ما لم يكلف به غيرها من الامم قبلها فثقلت عليهم فأشفق موسى على أمة محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك ويشير اليه قوله انى قد جربت الناس قبلك انتهى * ووقع فى كلام بعض أهل الاشارات لما تمكنت نار المحبة من قلب موسى أضاءت له أنوار نور الطور فأسرع اليها ليقتبس فاحتبس فلما نودى من النادى اشتاق الى المنادى فكان يطوف فى بنى اسرائيل من يحملنى رسالة الى ربى ومراده ان تطول المناجاة مع الحبيب فلما مر عليه نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ردده فى أمر الصلوات ليسعد برؤية حبيب الحبيب * وقال آخر لما سأل موسى عليه الصلاة والسلام الرؤية ولم تحصل له البغية بقى الشوق يقلقه والامل يعلله فلما تحقق ان سيدنا محمدا الحبيب منح الرؤية وفتح له باب المزية أكثر السؤال ليسعد برؤية من قد رأى كما قيل

وأستنشق الارواح من نحو أرضكم * لعلى أراكم أو أرى من يراكم
وأنشد من لاقيت عنكم عساكم * تجودون لى بالعطف منكم عساكم
فأنتم حياتى ان حييت وان أمت * فياحبذا ان مت عبد هواكم

وقال آخر

وانما السر فى موسى يردده * ليجتلى حسن ليلى حين يشهده

يبدو سناها على وجه الرسول فيا * لله در رسول حين أشهده

وقال آخر

لما جلس الحبيب في مقام القرب * دارت عليه كؤس الحب * ثم عاد وهلال
ما كذب الفؤاد ما رأى بين عينيه وبشر * فأوحى الى عبده ما أوحى مل ء قلبه
وأذنيه فلما اجتاز بموسى عليه الصلاة والسلام قال لسان حاله لنبينا صلى الله عليه
وسلم

يا واردا من أهيل الحي يخبرني * عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر
ناشدتك الله يا راوي حديثهم * حدث فقد ناب سمعي اليوم عن بصر

فاجاب لسان حال نبينا صلى الله عليه وسلم يقول

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا * سر أرق من النسيم اذا سرى
واباح طرفي نظرة أملتها * فغدوت معروفا وكنت منكرا

فلكل قوم يلحظون مذهبهم * وقد علم كل اناس مشربهم * والله بفضله
واحسانه * يوالي انسجام سحائب عفوه ورضوانه * على العارف الرباني أبي عبد
الرحمن السلمي فلقد اجاد اذ أفاد بما أفرده من لطائف المعراج * حسبما جمعه من
كلام أهل الاشارات بأقوم منهاج * وقد استدل العلماء بقوله في الحديث فهن خمس
صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون على عدم فرضية ما زاد على
الصلوات الخمس كالوتر وعلى دخول النسخ قبل الفعل قال ابن بطال وغيره ألا ترى
انه عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل ان تصلى ثم تفضل عليهم بأن أكمل لهم
الثواب وتعقبه ابن المنير فقال هذا ذكره طوائف من الاصوليين والشراح وغيرهم
وهو مشكل على من اثبت النسخ قبل الفعل كالاشاعرة أو منعه كالمعتزلة لكونهم
اتفقوا جميعا على ان النسخ لا يتصور قبل البلاغ وحديث الاسراء وقع فيه النسخ قبل
البلاغ فهو مشكل عليهم جميعا اه فان أراد قبل البلاغ لكل أحد فممنوع وان أراد
قبل البلاغ الى بعض الامة فمسلم لكن قد يقال ليس هو بالنسبة اليهم نسخا لكن
هو نسخ بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك قطعا ثم نسخ بعد ان بلغه
وقبل ان يفعله فالمسألة صحيحة التصوير في حقه صلى الله عليه وسلم * ولما رجع صلى
الله عليه وسلم من سفر الاسراء مر في طريقه بعير لقريش تحمل طعاما فيها جمل يحمل
غرارتين غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى العير نفرت منه واستدارت
وانصرع ذلك البعير * وفي رواية ومر بعير قد أضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان قال صلى
الله عليه وسلم فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتى مكة قبل الصبح

وأخبر قومه بما رأى وقال لهم ان من آية ما أقول لكم انى مررت بعيركم فى مكان كذا
وكذا وقد أضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان وأن مسيرهم ينزلون بمكان كذا وكذا ويأتونكم
يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرف
الناس ينظرون حتى اذا كان قريب من نصف النهار أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل
الذى وصفه عليه الصلاة والسلام * وفى رواية البيهقى سألوه آية أخبرهم بقدوم
العير يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا حتى كادت الشمس ان تغرب فدعا
الله تعالى فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف * وعن عائشة لما أسرى بالنبى صلى
الله عليه وسلم الى المسجد الاقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس كانوا آمنوا
وسعى رجال من المشركين الى أبى بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم أنه أسرى به
الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا
تصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أنه يصبح فقال نعم انى لأصدقه فيما هو
أبعد من ذلك أصدقه فى خبر السماء فى غدوة أو روحة فلذلك سمى الصديق رواه
الحاكم فى المستدرك وابن اسحق وزاد ثم أقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يا نبى الله أحدثت هؤلاء أنك جئت بيت المقدس فى هذه الليلة قال
نعم فقال يا نبى الله صفه لى فانى قد جئته قال الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرفع لى المسجد حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابى
بكر فيقول أبو بكر صدقت أشهد أنك رسول الله كلما وصف له منه شيأ * وقول أبى
بكر صفه لى لم يكن عن شك فانه صدقه من أول وهلة ولكنه أراد اظهار صدقه لقومه
فانهم كانوا يثقون بأبى بكر فاذا طابق خبره عليه الصلاة والسلام ما كان يعلم أبو
بكر وصدقه كان حجة ظاهرة عليهم * وفى رواية البخارى فجلى الله لى بيت المقدس
أى كشف الحجب بينى وبينه حتى رأيته * وفى رواية مسلم فسألونى عن أشياء
لم أثبتها فكربت كربا شديدا لم أكرب مثله قط فرفعه الله الى أنظر اليه ما يسألونى
عن شئ الا أنبأتهم به فيحتمل أن يكون حمل الى أن وضع بحيث يراه ثم أعيد ففى
حديث ابن عباس عند أحمد والبزار فجئ بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع عند دار
عقيل فنعته وأنا أنظر اليه وهذا أبلغ فى المعجزة ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش
بلقيس فى طرفة عين * وأما ما وقع فى حديث أم هانئ عند ابن سعد فخيل
الى بيت المقدس وطفقت أخبرهم عن آياته فان ثبت احتمل أن يكون مثل قريبا
منه كما قيل فى حديث أريت الجنة والنار ويؤول قوله جئ بالمسجد أى جئ بمثاله
* وفى حديث أم هانئ المذكور أنهم قالوا له كم للمسجد من باب قال ولم أكن

عددها قال فجعلت أنظر اليه وأعدها بابا بابا وعند أبي يعلى أن الذي سأله عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدي والد جبير بن مطعم ✽ وأشار ابن أبي جمرة الى أن الحكمة في الاسراء الى بيت المقدس اظهار الحق لمعاند لانه لو عرج به من مكة الى السماء لم يجد لمعاندة الاعداء سبيلا الى البيان والايضاح حيث سألوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك فلما أخبرهم بها حصل التحقيق أنه أسري به الى بيت المقدس واذا صح البعض لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سببا لقوة ايمان المؤمنين ✽ وزيادة في شقاء من عاند وجحد من الكافرين ✽ والله سبحانه وتعالى ✽ أعلم ✽

✽ (المقصد السادس فيما ورد في آي التنزيل من تعظيم قدره ورفعة ذكره وشهادته تعالى بصدق نبوته وثبوت بعثته وقسمه تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه الجليل ومكانته ووجوب طاعته واتباع سنته وأخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان أدركوه ولينصرنه والتنويه به في الكتب السابقة كالتوراة والانجيل بأنه صاحب الرسالة والتبجيل وغير ذلك) ✽

اعلم أطلعني الله واياك على أسرار التنزيل ومنحنا بلطفه تبصرة تهدينا الى سواء السبيل أنه لا سبيل لنا ان نستوعب الآيات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح والاشارة الى علو محله الرفيع ومرتبته ووجوب المبالغة في حفظ الادب معه وكذلك الآيات التي فيها ثناؤه تعالى عليه ✽ واظهار عظيم شأنه لديه ✽ وقسمه تعالى بحياته ونداؤه بالرسول وبالنبي ولم يناده باسمه بخلاف غيره من الانبياء فناداهم بأسمائهم الى غير ذلك مما يشير الى انافة قدره العلي عنده وأنه لا مجد يساوي مجده ✽ ومن تأمل القرآن العظيم وجده طافحا بتعظيم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ويرحم الله ابن الخطيب الاندلسي حيث قال

مدحتك آيات الكتاب فما عسى ✽ يثني على علياك نظم مديحي
واذا كتاب الله أثنى مفصحا ✽ كان القصور قصار كل فصيح

✽ وهذا المقصد أكرمك الله يشتمل على عشرة أنواع (النوع الاول) في آيات تتضمن تعظيم قدره ورفعة ذكره وجليل رتبته ✽ وعلو درجته على الانبياء وتشريف منزلته ✽ قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله قال المفسرون يعني موسى عليه الصلاة والسلام كلمه بلا واسطة وليس نصا في اختصاص موسى عليه الصلاة والسلام بالكلام فقد ثبت أنه تعالى كلم نبينا عليه الصلاة والسلام أيضا كما مر ✽ فان قلت اذا ثبت أنه عليه الصلاة والسلام

كلمه

كلمه ربه وقومه بهذا الوصف فلم يشتق له من الكلام اسم المكلم كما اشتق لموسى أجيب بأن اعتبار المعنى قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم الفاعل فيطرد بمعنى أن كل من قام به ذلك الوصف يشتق له منه اسم وجوبا وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة فلا يطرد وحينئذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف أن يشتق له منه اسم كما حققه القاضي عضد الدين وهذا ملخص تحرير ما قاله المولى سعد الدين التفتازاني انتهى * وقوله ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه الله تعالى من ثلاثة أوجه بالذات في المعراج وبالسيادة على جميع البشر وبالمعجزات لانه عليه الصلاة والسلام أوتي من المعجزات مالم يؤته نبي قبله * قال الزمخشري وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره مالا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس انتهى * وقد بينت هذه الآية وكذا قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض أن مراتب الرسل والانبياء متفاوتة خلافا للمعتزلة القائلين بأنه لا فضل لبعضهم على بعض وفي هاتين الآيتين رد عليهم وقال قوم آدم أفضل لحق الابوة وتوقف بعضهم فقال السكوت أفضل * والمعتمد الذي عليه جماهير السلف والخلف أن الرسل أفضل من الانبياء وكذلك الرسل بعضهم أفضل من بعض بشهادة هاتين الآيتين وغيرهما * قال بعض أهل العلم فيما حكاه القاضي عياض والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة أحوال ان تكون آياته ومعجزاته أظهر وأشهر * أو تكون أمته أزكى وأكثر * أو يكون في ذاته أفضل وأظهر * وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من كلام أو خلة أو رؤية أو ما شاء الله من ألطافه وتحف ولايته واختصاصه انتهى فلا مرية أن آيات نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته أظهر وأبهر وأكثر وأبقى وأقوى * ومنصبه أعلى ودولته أعظم وأوفر * وذاته أفضل وأظهر * وخصوصياته على جميع الانبياء أشهر من أن تذكر * فدرجته أرفع من درجات جميع المرسلين * وذاته أزكى وأفضل من سائر المخلوقين * وتأمل حديث الشفاعة في المحشر وانتهاءها اليه وانفراده هنالك بالسودد كما قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الارض يوم القيامة رواه ابن ماجه * وفي حديث أنس عند الترمذي أنا أكرم ولد آدم يومئذ على ربي ولا فخر لكن هذا لا يدل على كونه أفضل من آدم بل من أولاده فالاستدلال بذلك على مطلق أفضليته عليه الصلاة والسلام على الانبياء كلهم ضعيف واستدل الشيخ سعد الدين التفتازاني لمطلق أفضليته عليه الصلاة والسلام بقوله تعالى كنتم خير أمة

أخرجت للناس قال لانه لاشك ان خيرية الامة بحسب كمالهم في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه واستدل الفخر الرازي في المعالم بأنه تعالى وصف الانبياء بالاوصاف الحميدة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وأمره أن يقتدي بأثرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون تاركا للامر واذا أتى بجميع ما أتوا به من الخصال الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون أفضل منهم وبأن دعوته عليه الصلاة والسلام في التوحيد والعبادة وصلت الى أكثر بلاد العالم بخلاف سائر الانبياء فظهر ان انتفاع أهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم أكمل من انتفاع سائر الامم بدعوة سائر الانبياء فوجب أن يكون أفضل من سائر الانبياء انتهى * وقد روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي آدم فمن سواه الا تحت لوائي * وفي حديث أبي هريرة مرفوعا عند البخاري أنا سيد الناس يوم القيامة * وهذا يدل على أنه أفضل من آدم عليه الصلاة والسلام ومن كل أولاده * وروى البيهقي في فضائل الصحابة أنه ظهر على ابن أبي طالب من البعد فقال صلى الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عائشة ألست بسيد العرب فقال أنا سيد العالمين وهو سيد العرب * وهذا يدل على أنه أفضل الانبياء بل أفضل خلق الله كلهم وقد روى هذا الحديث أيضا الحاكم في صحيحه عن ابن عباس لكن بلفظ أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب وقال انه صحيح ولم يخرجاه وله شاهد من حديث عروة عن عائشة وساقه من طريق أحمد بن عبيد عن ناصح قال حدثنا الحسين بن علوان وهما ضعيفان عن هشام ابن عروة عن أبيه بلفظ ادعوا الى سيد العرب قالت فقلت يا رسول الله ألست سيد العرب فقال وذكره وكذا أورده من حديث عمر بن موسى الوجيهي وهو ضعيف أيضا عن أبي الزبير عن جابر مرفوعا ادعوا لي سيد العرب فقالت عائشة ألست بسيد العرب وذكره قال شيخنا وكلها ضعيفة بل جنح الذهبي الى الحكم على ذلك بالوضع انتهى * ولم يقل صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس عجبا وافتخارا على من دونه حاشاه الله من ذلك وانما قال عليه الصلاة والسلام اظهارا لنعمة الله تعالى عليه واعلاما للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى وعلو منزلته لديه لتعرف نعمة الله عليهم وعليه وكذلك العبد اذا لاحظ ما هو فيه من فيض المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك فقره الى ربه في كل لحظة وعدم استغنائه عنه طرفة عين انشاء له ذلك في قلبه سحائب السرور وفاذا انبسطت هذه السحائب في سماء

عليه وامتلاء أفقه بما أمطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من لذيذ السمر و رقان لم يصبه وابل فطل وحينئذ يجرى على لسانه الافتخار من غير عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله و برحمته كما قال تعالى قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار فى باطنه ولا ينافى أحدهما الآخر والى هذا المعنى يشير قول العارف الربانى سيدى على الوفاءى فى قصيدته التى أولها

مرآت مولاه حاشا ❊ علاه أن يتلاشا

والله ياروح قلبى ❊ لامات من بك عاشا

قوم لهم أنت ساق ❊ لا يرجعون عطاشا

لا تص دهر جناحا ❊ له وفاؤك راشا

بلها لنعيم مقيم ❊ لمن وهبت انتعاشا

ومن بحولك يقوى ❊ ان يضعف الدهر جاشا

عبد له بك عز ❊ فكيف لا ينتعاشا

حاشا وفاؤك يرمى ❊ من أنت مولاه حاشا

❊ فان قلت ما الجمع بين هاتين الآيتين و بين قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق و يعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون والحديث الثابت فى الصحيحين عن أبى هريرة قال استب رجل من المسلمين و رجل من اليهود فقال اليهودى فى قسمه لا والذى اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم اليهودى وقال أى خبيث وعلى محمد فجاء اليهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتكى على المسلم فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على الانبياء ❊ وفى رواية لا تفضلوا بين الانبياء وحديث أبى سعيد الخدرى عند البخارى ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا بين الانبياء وحديث ابن عباس عند البخارى ومسلم مرفوعا ما ينبغى لعبد ان يقول أنا خير من يونس ابن متى وحديث أبى هريرة عند الشيخين من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب ❊ أجاب العلماء بأن قوله عز وجل لا نفرق بين أحد منهم فى الايمان بما أنزل اليهم والتصديق بهم والايمان بأنهم رسل الله وأنبياؤه والتسوية بينهم فى هذا لا تمنع أن يكون بعضهم أفضل من بعض وأجابوا عن الاحاديث بأجوبة فقال بعضهم ان نعتقد أن الله تعالى فضل بعضهم على بعض فى الجملة ونكف عن الخوض فى تفصيل التفضيل بآرائنا قال ابن ظفر بل فان أراد هذا القائل أنا نكف عن الخوض فى تفصيل التفضيل بآرائنا

فصحيح وان أراد أنا لا نذكر في ذلك ما فهمناه من كتاب الله وروى لنا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فمستقيم وقال آخر نفضل من رفع الله درجته بخصائص الحظوة والزلفى ولا نخوض في تفضيل بعضهم على بعض في سياسة المنذرين والصبر على الدين والنهضة في أداء الرسالة والحرص على هدى الضلال فان كلا منهم قد بذل في ذلك وسعه الذي لا يكافئه الله تعالى أكثر منه وقال آخر ما حكاه القاضي عياض ان نهيه عليه الصلاة والسلام عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب قال الحافظ عماد الدين بن كثير وفي هذا نظر انتهى وهل وجه النظر من جهة معرفة المتقدم تاريخا من ذلك ثم رأيت في تاريخ ابن كثير أن وجه النظر أن هذا من رواية أبي سعيد وأبي هريرة وما هاجر أبو هريرة الا عام خيبر متأخرا فيبعد أنه لم يعلمه بهذا الا بعد هذا وقال آخر انما قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب قال القاضي عياض وهذا لا يسلم من الاعتراض وقيل لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقيص بعضهم أو الغض منه وقيل منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيها على حد واحد لا تفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل وأولو عزم انتهى وهذا قريب من القول الثاني قال ابن أبي جمرة في حديث يونس يريد بذلك نفي التكييف والتحديد على ما قاله ابن خطيب الري لانه قد وجدت الفضيلة بينهما في عالم الحس لان النبي صلى الله عليه وسلم أسرى به الى فوق السبع الطباق ويونس نزل به الى الى قعر البحر وقد قال عليه الصلاة والسلام أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام آدم ومن دونه تحت لوائي وقد اختص صلى الله عليه وسلم بالشفاعة الكبرى التي لم تكن لغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهذه الفضيلة وجدت بالضرورة فلم يبق أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على يونس بن متى الا بالنسبة الى القرب من الله سبحانه وتعالى والبعد فمحمد صلوات الله وسلامه عليه وان أسرى به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب ويونس عليه الصلاة والسلام وان نزل به لقعر البحر فهما بالنسبة الى القرب والبعد من الله سبحانه وتعالى على حد واحد انتهى وهو مروي عن امام دار الهجرة مالك بن أنس وعزى نحوه لامام الحرمين وقال ابن المنير ان قلت ان لم يفضل على يونس باعتبار استواء الجهتين بالنسبة الى وجود الحق تعالى فقد فضله باعتبار تفاوت الجهتين في تفضيل

الحق فانه تعالى فضل الملأ الاعلى على الحضيض الادنى فكيف لا يفضله عليه الصلاة والسلام على يونس فان لم يكن التفضيل بالمكان فهو بالمكانة بلا اشكال ثم قال قلت لم ينه عن مطلق التفضيل وانما نهى عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب المكانى فعلى هذا يحمل جمعا بين القواعد انتهى ❊ واختلف هل البشر أفضل من الملائكة فقال جمهور أهل السنة والجماعة خواص بنى آدم وهم الانبياء أفضل من خواص الملائكة وهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وحملة العرش والمقربون والكروبيون والروحانيون وخواص الملائكة أفضل من عوام بنى آدم قال التفتازانى بالاجماع بل بالضرورة وعوام بنى آدم أفضل من عوام الملائكة فالمسجود له أفضل من الساجد فاذا ثبت تفضيل الخواص على الخواص ثبت تفضيل العوام على العوام فعوام الملائكة خدم عمال الخير والمخدوم له فضل على الخادم ولان المؤمنين ركب فيهم الهوى والعقل مع تسليط الشيطان عليهم بوسوسته والملائكة ركب فيهم العقل دون الهوى ولا سبيل للشيطان عليهم فالانسان كما قاله فى شرح العقائد يحصل الفضائل والكمالات العلمية والعملية مع وجود العوائق والموانع من الشهوة والغضب وسنوح الحاجات الضرورية الشاغلة عن اكتساب الكمالات ولا شك أن العبادة وكسب الكمالات مع الشواغل والصوارف أشق وأدخل فى الاخلاص فتكون أفضل والمراد بعوام بنى آدم هنا الصلحاء لا الفسقة كما نبه عليه العلامة كمال الدين بن أبى شريف المقدسى قال ونص البيهقى عليه فى الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا فى الملائكة والبشر فذهب ذاهبون الى أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة وأن الاولياء من البشر أفضل من الاولياء من الملائكة انتهى وذهب المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة الى تفضيل الملائكة وهو اختيار القاضى أبى بكر الباقلانى وأبى عبد الله الحليمى وتمسكوا بوجوه الاول أن الملائكة أرواح مجردة كاملة بالفعل مبرأة عن مبادى الشرور والآفات كالشهوة والغضب وعن ظلمات الهيولا والصورة قوية على الافعال العجيبة عالمة بالكوائن ماضيها وآتيها من غير غلط والجواب أن مبنى ذلك على الاصول الفلسفية دون الاصول الاسلامية الثانى أن الانبياء مع كونهم أفضل البشر يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالى علمه شديد القوى وقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك ولا شك أن المعلم أفضل من المتعلم والجواب أن التعليم من الله تعالى والملائكة انما هم مبلغون الثالث أنه اطرد فى الكتاب والسنة تقديم ذكرهم على ذكر الانبياء وما ذلك الا لتقدمهم

في الشرف والرتبة والجواب أن ذلك لتقدمهم في الوجود أولا ن وجودهم أخفى فالايمان بهم أقوى وبالتقديم أولى الرابع قوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون قال أهل اللسان يفهمون من ذلك أفضلية الملائكة على عيسى اذ القياس في مثله الترقي من الادنى الى الاعلى يقال لا يستنكف من هذا الامر الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير ثم لا قائل بالفصل بين عيسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام * والجواب ان النصارى استعظموا المسيح بحيث يرتفع من أن يكون عبدا من عباد الله بل ينبغي أن يكون ابنا له لانه مجرد لا أب له وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى بخلاف سائر العباد من بني آدم فرد عليهم بأنه لا يستنكف من ذلك المسيح ولا من هو أعلى منه في هذا المعنى وهم الملائكة الذين لا أب لهم ولا أم ويقدرون باذن الله على أفعال أقوى وأعجب من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله تعالى فالترقي والعلو انما هو في أمر التجرد واظهار الآثار القوية لا في مطلق الشرف والكمال فلا دلالة على أفضلية الملائكة انتهى * ثم الملائكة بعضهم أفضل من بعض وأفضلهم الروح الامين جبريل المزكى من رب العالمين المقول فيه من ذي العزة انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فوصفه بسبع صفات فهو أفضل الملائكة الثلاثة الذين هم أفضل الملائكة على الاطلاق وهم ميكائيل واسرافيل وعزرائيل وكذلك الرسل أفضل من الانبياء وكذلك الرسل بعضهم أفضل من بعض ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء والرسل كما تقدم وأول الانبياء آدم وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فأما نبوة آدم فبالكتاب الدال على انه قد أمر ونهي مع القطع بأنه لم يكن في زمنه نبي آخر فهو بالوحي لا غير وكذا السنة والاجماع فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا * وقد اختلف في عدد الانبياء والمرسلين والمشهور في ذلك ما في حديث أبي ذر عند ابن مردويه في تفسيره قال قلت يا رسول الله كم الانبياء قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت يا رسول الله من كان أولهم قال آدم ثم قال يا أبا ذر أربعة سريانيون آدم وشيث ونوح وخنوخ وهو ادريس وهو أول من خط بالقلم وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر وأول نبي من بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى وأول النبيين آدم وآخرهم نبيك وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان في كتابه الانواع والتقاسيم وقد وسمه بالصحيح وخالفه ابن الجوزي فذكره في الموضوعات واتهم به ابراهيم

ابن هشام قال الحافظ بن كثير ولا شك انه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث فالله أعلم * وروى أبو يعلى عن أنس مرفوعا كان من خلى من اخواني من الانبياء ثمانية آلاف نبي ثم كان عيسى ابن مريم ثم كنت أنا * والذين نص الله تعالى على أسمائهم في القرآن آدم وادريس ونوح وهود وصالح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وشعيب وموسى وهارون ويونس وداود وسليمان والياس واليسع وزكريا ويحيى وعيسى وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين والله أعلم * وقال الله تعالى ورفعنا لك ذكرك روى ابن جرير من حديث أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان ربي وربك يقول أتدري كيف رفعت ذكرك قلت الله أعلم قال اذا ذكرت ذكرت معي وذكره الطبراني وصححه ابن حبان وروينا عن الامام الشافعي قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح معناه لا أذكر الا ذكرت معي أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله قال الامام الشافعي يعني والله أعلم ذكره عند الايمان بالله والاذان قال ويحتمل ذكره عند تلاوة القرآن وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية انتهى وقيل رفعه بالنبوة قاله يحيى بن آدم وعن ابن عطاء جعلتك ذكرا من ذكري فمن ذكرك ذكرني وعنه أيضا جعلت تمام الايمان بذكري معك وعن جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك أحد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية قال البيضاوي وأي رفعة مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي الشهادة وجعل طاعته طاعته انتهى يشير الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والله ورسوله أحق أن يرضوه ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله والرسول وقول قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا يقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله انتهى فهو مذكور معه في الشهادة والتشهد مقرون ذكره بذكره في القرآن والخطب والاذان ويؤذن باسمه في موقف القيامة * وأخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة رفعه لما نزل آدم عليه الصلاة والسلام بالهند استوحش فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فنادى بالاذان الله أكبر الله أكبر مرتين أشهد أن لا اله الا الله مرتين أشهد أن محمدا رسول الله مرتين الحديث وكتب اسمه الشريف على العرش وعلى كل سماء وعلى الجنان ومافيها رواه ابن عساكر * وأخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا لما عرج بي الى السماء ما مررت بسماء الا وجدت اسمي مكتوبا فيها محمد رسول الله وفي الحلية عن ابن عباس رفعه ما في الجنة شجرة عليها

ورقة الامكتوب عليها لا اله الا الله محمد رسول الله * وأخرج الطبرانى من حديث
جابر مرفوعا كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لا اله الا الله
محمد رسول الله وعزاه الحافظ ابن رجب فى كتاب أحكام الخواتيم لجزء أبى على
الخالدى وقال انه باطل موضوع وشق اسمه الكريم من اسم الله تعالى كما قال
حسان

وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وسماه من أسمائه الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت ذلك فى أسمائه صلوات الله
وسلامه عليه وصلى عليه فى ملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه فقال تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
فأخبر عباده بمنزلة نبيه عنده فى الملاء الاعلى بأنه يثنى عليه عند الملائكة المقربين
وأن الملائكة تصلى عليه ثم أمر العالم السفلى بالصلاة والتسليم عليه فيجتمع الثناء
عليه من أهل العالمين العلوى والسفلى جميعا وكتبه نبيا وآدم بين الروح والجسد
وختم به النبوة والرسالة وأعلن بذكره الكريم فى الاولين والآخرين ونوه
بقدره الرفيع حين أخذ الميثاق على جميع النبيين وجعل ذكره فى فواتح
الرسائل وخواتمها وشرف به المصاقع على المنابر وزين بذكره أرباب الاقلام
والمحابر ونشر ذكره فى الآفاق شرقا وغربا برا وبحرا حتى فى السموات السبع
وعند المستوى وصريف الاقلام والعرش والكرسى وسائر الملائكة المقربين
من الكروبين والروحانيين والعلويين والسفليين وجعله فى قلوب المؤمنين
بحيث يستطيبون ذكره فترتاح أرواحهم وربما تميل من طرب سماع اسمه
أشباحهم

واذا ذكرتكم وا أميل كأننى * من طيب ذكركم سقيت الراحا

كأنه تعالى يقول أملاء الوجود كله من اتباعك كلهم يثنون عليك ويصلون عليك
ويحفظون سنتك بل ما من فريضة من فرائض الصلاة الا ومعها سنة فهم متمسكون
فى الفريضة بأمرى وفى السنة بأمرك وجعلت طاعتى طاعتك وبيعتى بيعتك فالقراء
يحفظون ألفاظ منشورك والمفسرون يفسرون معانى فرقانك والوعاظ يبلغون
بليغ وعظك والملوك والسلاطين يقفون فى خدمتك ويسلمون من وراء الباب
عليك ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق
الى أبد الآبدين والحمد لله رب العالمين وقال تعالى طه ما أنزلنا عليك القرآن
لتشقى اعلم ان للمفسرين فى طه قولين أحدهما انها من حروف التهجى والثانى

انها كلمة مفيدة وعلى الاول قيل معناها يا طامع الشفاعة للامة ويا هادي الخلق الى الملة وقيل الطاء في الحساب بتسعة والهاء بخمسة فالجملة أربعة عشر ومعناه يا أيها البدر وهذه الاقوال لا يجب أن يعتمد عليها اذهي كما قاله المحققون من بدع المفسرين ومثلها قول الواسطي فيما حكاه القاضي عياض في الشفاء أراد يا طاهر يا هادي وأما على قول من قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان أحدهما أن معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة قال سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان الحبشية وقال البيضاوي ان صح أن معناه يا رجل فلعل أصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار انتهى وقال الكلبي لو قلت في عك يا رجل لم يجبك حتى تقول طه وقال السدي معنى يا طه يا فلان وقال الزمخشري لعل عكا تصرفوا في يا هذا كأنهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طاء واختصروا هذا واقتصروا على ها وأثر الصيغة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به

ان السفاهة طه في خلائقكم * لا قدس الله أخلاق الملاعين

* قال في البحر وقد كان قدم ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ثم تخرص وتجرء على عك بالآية وله هوى وهو انهم قلبوا الياء طاء وهذا لا يوجد في لسان العرب قلب الياء التي للنداء طاء وكذلك حذف اسم الاشارة في النداء واقرارها التي للتنبيه انتهى وقيل معناه يا انسان وقرئ طه باسكان الهاء على انه أمر له صلى الله عليه وسلم بأن يطأ الارض بقدميه * وقد روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فأمر أن يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طاء فقلبت همزته هاء كما قالوا هياك في اياك وهرقت في أرقت ويجوز أن يكون الاصل من وطئ على ترك الهمزة ويكون أصله طا يا رجل ثم أثبتت الهاء فيه للوقف وعلى هذا يحتمل أن يكون أصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية عن الارض لكن يرد ذلك كتبهما على صورة الحرف * وأما قوله تعالى ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فذكروا في سبب نزولها أقوالا أحدها ان أبا جهل والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتشقى حيث تركت دين آبائك فقال صلى الله عليه وسلم بل بعثت رحمة للعالمين فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتعريفا له صلى الله عليه وسلم بأن دين الاسلام والقرآن هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في ادراك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وثانيها أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل أبق على

نفسك فان لما عليك حقا أى ما أنزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة العظيمة وما بعثت الا بالحنفية السمحاء * وروى انه كان اذا قام من الليل ربط صدره بحبل حتى لا ينام وقال بعضهم كان يسهر طول الليل وتعقب بأنه بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل شيأ من ذلك فلا بد وان يكون قد فعله بأمر الله تعالى فاذا فعله عن أمره فهو من باب الشقاوة وثالثها قال بعضهم يحتمل أن يكون المراد لا تشق على نفسك وتعذبها بالاسف على كفر هؤلاء فانما أنزلنا عليك القرآن لتذكر به من آمن فمن آمن وأصلح فلنفسه ومن كفر فلا يحزنك كفره فما عليك الا البلاغ وهذا كقوله فلعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ولا يحزنك كفرهم رابعها ان هذه السورة من أوائل ما نزل بمكة وفى ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا مع أعدائه فكأنه تعالى قال لا تظن انك تبقى على هذه الحالة بل يعلو أمرك ويظهر قدرك فانا ما أنزلنا عليك القرآن لتبقى شقيا بل تصير معظما مكرما زاده الله تعالى تعظيما وتكريما وتشريفا وقال تعالى انا أعطيناك الكوثر السورة قال الامام فخر الدين ابن الخطيب فى هذه السورة كثير من الفوائد منها أنها كالتتمة لما قبلها من السور وذلك لان الله تعالى جعل سورة والضحى فى مدح نبينا صلى الله عليه وسلم وتفصيل أحواله فذكر فى أولها ثلاثة أشياء تتعلق بنبوته وهى قوله ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ثم ختمها كذلك بأحوال ثلاثة فيما يتعلق بالدنيا وهى قوله تعالى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا أى عن علم الحكم والاحكام فهدى ووجدك عائلا فأغنى ثم ذكر فى سورة ألم نشرح انه تعالى شرفه عليه الصلاة والسلام بثلاثة أشياء وهى ألم نشرح لك صدرك أى ألم نفسحه حتى يسع مناجاة الحق ودعوة الخلق ووضعنا عنك وزرك أى عناءك الثقيل الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وهكذا سورة سورة حتى قال انا أعطيناك الكوثر أى أعطيناك هذه المناقب المتكاثرة التى كل واحدة منها أعظم من ملك الدنيا بحذافيرها واذا أنعمنا عليك بهذه النعم فاشتغل بطاعتنا ولا تبالى بقولهم ثم ان الاشتغال بالعبادة اما أن يكون بالنفس وهو قوله فصل لربك واما بالمال وهو قوله وانحر وتأمل قوله انا أعطيناك كيف ذكر بلفظ الماضى ولم يقل سنعطيك ليدل على ان هذا الاعطاء حصل فى الزمان الماضى قال عليه الصلاة والسلام كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد ولا شك ان من كان فى الزمان الماضى عزيزا مرعى الجانب أشرف ممن سيصير كذلك كأنه تعالى يقول يا محمد قد هيأنا أسباب سعادتك قبل دخولك فى هذا الوجود فكيف أمرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا

يا أيها العبد الكريم انا لم نعطك هذا الفضل العميم لاجل طاعتك وانما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب * واختلف المفسرون في تفسير الكوثر على وجوه منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور والمستفيض عند السلف والخلف فروى أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا اسير في الجنة اذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذى أعطاك ربك فاذا طينه مسك اذفر رواه البخارى وقيل الكوثر أولاده لان هذه السورة انما نزلت ردا على من عابه عليه الصلاة والسلام بعدم الاولاد وعلى هذا فالمعنى أنه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلىء منهم ولم يتفق ذلك لنبى من الانبياء غيره وقيل الكوثر الخير الكثير وقيل النبوة وهى الخير الكثير وقيل علماء أمته وقيل الاسلام ولا ريب انهما من الخير الكثير فالعلماء ورثة الانبياء كما رواه أحمد وابو داود والترمذى وأما علماء أمتى كانبياء بنى اسرائيل فقال الحافظ ابن حجر ومن قبله الدميرى والزركشى انه لا أصل له نعم روى أبو نعيم فى فضل العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع وعن بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله عليه أولى لوجوه أحدها ان العلم هو الخير الكثير والثانى اما أن يحمل الكوثر على نعم الاخرة أو على نعم الدنيا قال والاول غير جائز لانه قال انا أعطيناك الكوثر والجنة سيعطيها لا انه أعطاها فوجب حمل الكوثر على ما وصل اليه فى الدنيا وأشرف الامور الواصلة اليه فى الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ على العلم والثالث أنه لما قال انا أعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشىء الذى يتقدم على العبادة هو المعرفة ولان الفاء فى قوله فصل للتعقيب ومعلوم أن الموجب للعبادة ليس الا العلم وقيل الكوثر الخلق الحسن * وعن ابن عباس جميع نعم الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وبالجملة فليس حمل الاية على بعض هذه النعم أولى من حملها على الباقى فوجب حملها على الكل ولذا روى أن سعيد بن جبير لما روى هذا القول عن ابن عباس قال له بعضهم ان ناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله اياه * قال الامام فخر الدين بن الخطيب قال بعض العلماء ظاهر قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر يقتضى أن الله تعالى قد أعطاه ذلك الكوثر فيجب أن يكون الاقرب حمله على ما آتاه الله من النبوة والقرآن والذكر العظيم والنصر على الاعداء * وأما الحوض وسائر ما أعده من الثواب فهو وان جاز

أن يقال انه داخل فيه لان ما ثبت بحكم وعد الله فهو كالواقع الأن الحقيقة ماقدمناه لان ذلك وان أعدله فلا يصح أن يقال على الحقيقة أنه أعطاه الكوثر في حال نزول هذه السورة بمكة ويحتمل أن يجاب عنه بأن من أقر لولده الصغير بشيء يصح أن يقال اعطاه ذلك الشيء مع أن الصبي في ذلك الحال ليس أهلا للتصرف انتهى * وقد روينا في صحيح مسلم من حديث أنس بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا اذ اغفا اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا مايضحكك أضحك الله سنك يارسول الله قال نزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فأقول رب انه من أمتي فيقول ماتدري ما أحدث بعدك وهذا تفسير صريح منه صلى الله عليه وسلم بأن المراد بالكوثر هنا الحوض فالمصير اليه أولى وهذا هو المشهور كما تقدم فسبحان من أعطاه هذه الفضائل العظيمة وشرفه بهذه الخصال العميمة وحباه بما أفاضه عليه من نعمه الجسيمة وقد جرت عادة الله مع أنبياءه عليهم الصلاة والسلام أن يناديهم بأسمائهم الاعلام نحو يا آدم اسكن يانوح اهبط ياموسى انى أنا الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وأما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فناداه بالوصف الشريف من الانباء والارسال فقال ياأيها الرسول ياأيها النبي ولله در القائل

فدعى جميع الرسل كلا باسمه * ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ولا يخفى على أحد أن السيد اذا دعى عبيده بأفضل ماأوجد لهم من الاوصاف العلية والاخلاق السنية ودعى آخرين بأسمائهم الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق من الاخلاق أن منزلة من دعاه بأفضل الاسماء والاوصاف أعز عليه وأقرب اليه ممن دعاه باسمه العلم وهذا معلوم بالعرف أن من دعى بأفضل أوصافه واخلاقه كان له ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهى * وانظر ما في نحو قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة من ذكر الرب تعالى واضافته اليه صلى الله عليه وسلم ومافي ذلك من التنبيه على شرفه واختصاصه بخطابه ومافي ذلك من الاشارة اللطيفة وهي أن المقبل عليه بالخطاب له الحظ الاعظم والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها اذ هو في الحقيقة أعظم خلفائه الا ترى الى عموم رسالته ودعائه وجعله أفضل أنبيائه أمهم ليلة اسرائه وجعل آدم فمن دونه يوم القيامة تحت لوائه فهو المقدم في أرضه وسمائه وفي دار

تكليفه وجزائه ❊ وبالجملة فقد تضمن الكتاب العزيز من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره وعلو منصبه ورفعة ذكره مايقضي بأنه استولى على أقصى درجات التكريم ويكفي اخباره تعالى بالعفو عنه وملاطفته قبل ذكر العتاب في قوله تعالى عفى الله عنك لم أذنت لهم وتقديم ذكره على الانبياء تعظيما له مع تأخره عنهم في الزمان في قوله تعالى ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخباره بتمني أهل النار طاعته في قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول وهذا بحر لا ينفد وقطر لا يعد

❊ (النوع الثاني في أخذ الله الميثاق له على النبيين فضلا ومنة ليؤمنن به ان أدركوه ولينصرنه) ❊

قال الله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الآية أخبر تعالى أنه أخذ الميثاق على كل نبي بعثه من لدن آدم عليه الصلاة والسلام الى محمد صلى الله عليه وسلم أن يصدق بعضهم بعضا قاله الحسن وطاووس وقتادة وقيل معناه أنه تعالى أخذ الميثاق من النبيين وأممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم ❊ وعن علي بن أبي طالب وابن عباس مابعث الله نبيا من الانبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وماقاله قتادة والحسن وطاوس لا يضادد ماقاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يأخذون الميثاق من أممهم بأنه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم أن يؤمنوا به وان ينصروه واحتج له بأن الذين أخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبياء عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات والميت لا يكون مكلفا فتعين أن يكون الميثاق مأخوذا على الامم قالوا ويؤكد هذا أنه تعالى حكم على الذين أخذ عليهم الميثاق بأنهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا يليق بالانبياء وانما يليق بالامم وأجاب الفخر الرازي بأن يكون المراد من الآية أن الانبياء لو كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى أنه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير والفرض وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين وقال في الملائكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم مع أنه تعالى أخبر عنهم بأنهم لا يسبقونه بالقول وبأنهم يخافون ربهم من فوقهم فكل ذلك

خرج على سبيل الفرض والتقدير واذا نزلت هذه الآية على أن الله تعالى لما أوجب على جميع الانبياء أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا فى الاحياء وأنهم لو تركوا ذلك لكانوا فى زمرة الفاسقين فلان يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على أممهم من باب أولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبياء أقوى فى تحصيل المقصود وقال السبكى فى هذه الآية أنه عليه الصلاة والسلام على تقدير مجيئهم فى زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن آدم الى يوم القيامة وتكون الانبياء وأممهم كلهم من أمته ويكون قوله عليه الصلاة والسلام وبعثت الى الناس كافة لا يختص به الناس فى زمانه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا وانما أخذ له المواثيق على الانبياء ليعلموا أنه المتقدم عليهم وأنه نبيهم ورسولهم وفى أخذ المواثيق وهى فى معنى الاستحلاف ولذلك دخلت لام القسم فى لتؤمنن به ولتنصرنه لطيفة وهى كأنها أيمان البيعة التى تؤخذ للخلفاء ولعل ايمان الخلفاء أخذت من هنا فانظر الى هذا التعظيم العظيم للنبى صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فاذا عرف هذا فالنبى محمد صلى الله عليه وسلم نبى الانبياء ولهذا ظهر ذلك فى الاخرة جميع الانبياء تحت لوائه وفى الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم ولو اتفق مجيئه فى زمن آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى وجب عليهم وعلى أممهم اتباعه والايمان به ونصرته وبذلك أخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل لهم فى حياتهم وانما أمره يتوقف على اجتماعهم معه فتأخر ذلك الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على أهلية الفاعل فههنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبى صلى الله عليه وسلم الشريفة وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد فى عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا يأتى عيسى عليه الصلاة والسلام فى آخر الزمان على شريعته وهو نبى كريم على حاله لا كما يظن بعض الناس أنه يأتى واحدا من هذه الامة نعم هو واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبى صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة وكل ما فيهما من أمر ونهى فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو نبى كريم على حاله لم ينقص منه شىء وكذلك لو بعث النبى صلى الله عليه وسلم فى زمانه أو فى زمان موسى وابراهيم ونوح وآدم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى أممهم والنبى صلى الله عليه وسلم نبى عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته أعم وأشمل وأعظم وتتفق مع شرائعهم فى الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم فيما عساه

يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ ولا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الاوقات بالنسبة الى أولئك الامم ما جاءت به أنبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامة الشريفة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا معنى حديثين كانا خفيا عنا أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كنا نظن انه من زمنه الى يوم القيامة فبان انه الى جميع الناس أولهم وآخرهم والثاني قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد كنا نظن انه بالعلم فبان انه زائد على ذلك وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صلى الله عليه وسلم وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتأهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تأهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فههنا التعليق انما هو بحسب المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا في تزويج ابنته اذا وجدت كفؤا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل أهل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف على وجود الكفؤ ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة وأهلية الوكيل انتهى

(النوع الثالث في وصفه له عليه الصلاة والسلام بالشهادة وشهادته له بالرسالة) قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام عند بناء البيت الحرام ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم فاستجاب الله دعاءهما وبعث في أهل مكة رسولا منهم بهذه الصفة من ولد اسماعيل الذي دعا مع أبيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بهذا الدعاء * فان قلت من أين علم ان الرسول هنا المراد به محمد صلى الله عليه وسلم فالجواب من وجوه أحدها اجماع المفسرين وهو حجة الثاني قوله عليه الصلاة والسلام أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى قالوا وأراد بالدعوة هذه الآية وبشارة عيسى هي ما ذكر في سورة الصف من قوله ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد الثالث أن ابراهيم انما دعا بهذا الدعاء بمكة لذريته الذين كانوا بها وبجاورها ولم يبعث الله تعالى الى من بمكة الا محمدا صلى الله عليه وسلم * وقد

امتن الله تعالى على المؤمنين ببعث هذا النبي منهم على هذه الصفة فقال تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة الآية فليس لله منة على المؤمنين أعظم من ارساله محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله أعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببه ادين الله الذي رضيه لعباده وقوله من أنفسهم يعني انه بشر مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي وقرئ في الشواذ من أنفسهم بفتح الفاء يعني من أشرفهم لانه من بني هاشم وبنو هاشم أفضل قريش وقريش أفضل العرب والعرب أفضل من غيرهم * ثم قيل لفظ المؤمنين عام ومعناه خاص في العرب لانه ليس حي من احياء العرب الا وقد ولده وخص المؤمنين بالذكر لانهم المنتفعون به أكثر فالمنة عليهم أعظم * فان قلت هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا ومن العرب شرط في صحة الايمان أو هو من فروض الكفاية أجاب الشيخ ولي الدين بن العراقي بأنه شرط في صحة الايمان قال فلو قال شخص أومن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق ولكني لا أدري هل هو من البشر أو الملائكة أو من الجن أو لا أدري أهو من العرب أو العجم فلا شك في كفره لتكذيبه للقرآن وجحده ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا أعلم في ذلك خلافا فلو كان غبيا لا يعرف ذلك وجب تعليمه اياه فان جحده بعد ذلك حكمنا بكفره انتهى * فان قلت هل هو عليه الصلاة والسلام باق على رسالته الى الآن أجاب أبو المعين النسفي بأن الاشعري قال انه عليه الصلاة والسلام الآن في حكم الرسالة وحكم الشيء يقوم مقام أصل الشيء الا ترى ان العدة تدل على ما كان من أحكام النكاح انتهى وقال غيره ان النبوة والرسالة باقية بعد موته عليه الصلاة والسلام حقيقة كما تبقى وصف الايمان بعد موته لان المتصف بالنبوة والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن انتهى وتعقب بأن الانبياء احياء في قبورهم فوصف النبوة باق للجسد والروح معا وقال القشيري كلام الله تعالى لمن اصطفاه أرسلتك ان تبلغ عني وكلامه تعالى قديم فهو عليه الصلاة والسلام قبل ان يوجد كان رسولا وفي حال كونه والى الابد رسولا لبقاء الكلام وقدمه واستحالة البطلان على الارسال الذي هو كلام الله تعالى * ونقل السبكي في طبقاته عن ابن فورك انه قال انه عليه الصلاة والسلام حي في قبره رسول الله أبد الآباد على الحقيقة لا المجاز

انتهى

انتهى * وقال تعالى هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين والمراد بالاميين العرب تنبيها لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا أميين لا كتاب لهم وليس عندهم شىء من آثار النبوة كما عند أهل الكتاب فمن الله تعالى عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا أفضل الامم وأعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل قبلهم من الامم وفى كونه عليه الصلاة والسلام منهم (فائدتان) احداهما ان الرسول كان أيضا أميا كأمته المبعوث اليهم لم يقرأ كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ولا خرج عن ديار قومه فأقام عند غيرهم حتى تعلم منهم بل لم يزل أميا بين أمة أمية لا يكتب ولا يقرأ حتى بلغ الاربعين من عمره ثم جاء بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذى اعترف حذاق أهل الارض ونظارها انه لم يقرع العالم ناموس أعظم منه وفى هذا برهان عظيم على صدقه عليه الصلاة والسلام * الفائدة الثانية التنبيه على ان المبعوث منهم وهم الاميون خصوصا أهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وأمانته وعفته وأنه نشأ بينهم معروفا بذلك وأنه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفترى الكذب على الله عز وجل هذا هو الباطل ولذلك سأل هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة * وقد قال الله تعالى خطابا له فانهم لا يكذبونك ويروى أن رجلا قال والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك اليوم ولكنا ان نتبعك نتخطف من أرضنا فنزلت هذه الآية رواه أبو صالح عن ابن عباس * وعن مقاتل كان الحارث بن عامر يكذب النبى صلى الله عليه وسلم فى العلانية فاذا خلا مع أهل بيته قال ما محمد من أهل الكذب ويروى ان المشركين كانوا اذا رأوه عليه الصلاة والسلام قالوا انه لنبى * وعن على قال أبو جهل للنبى صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى الآية والمعنى أنهم ينكرونه مع العلم بصحته اذ الجحد لغة هو الانكار مع العلم * فان قلت فما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك أجيب بأنه على طريق الجحد وهو يختلف باختلاف أحوالهم فى الجهل فمنهم من وقع ذلك لجهله فحيث علم آمن ومنهم من علم وأنكر كفرا وعنادا كأبى جهل فيكون المراد بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم لا كلهم وحينئذ فلا تعارض * ويروى أن أبا جهل لقيه فصافحه فقيل له أتصافحه فقال والله انى لاعلم أنه نبى ولكن متى كنا تبعا لبنى عبد مناف فأنزل الله الآية رواه

ابن أبي حاتم والقرآن كله مملوء بالآيات الدالة على صدق هذا الرسول الكريم
وتحقيق رسالته فكيف يليق بكمال الله أن يقر من يكذب عليه أعظم الكذب
ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويعلي كلمته ويرفع
شأنه ويجيب دعوته ويهلك عدوه ويظهر على يده من الآيات والبراهين والادلة
ما يضعف عن مثله قوى البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض
بالفساد ومعلوم ان شهادته سبحانه وتعالى على كل شيء وقدرته على كل شيء
وحكمته وعزته وكماله المقدس يأبى ذلك كل الاباء ومن ظن ذلك به وجوزه عليه
فهو من أبعد الخلق عن معرفته ان عرف منه بعض صفاته كصفة القدرة وصفة
المشيئة والقرآن كله مملوء من هذه الطريق وهذه طريقة الخاصة بل خاصة الخاصة
الذين يستدلون بالله على أفعاله وما يليق به أن يفعله وما لا يفعله واذا تدبرت القرآن
رأيته ينادي على ذلك ويبديه ويعيده لمن له فهم وقلب واع عن الله تعالى قال الله
تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين
فما منكم من أحد عنه حاجزين أفتراه سبحانه وتعالى يخبر أن كماله وحكمه يأبى
أن يقر من تقول عليه بعض الاقاويل بل لابد أن يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك
سنته في المتقولين عليه وقال تعالى أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم
على قلبك ها هنا انتهى جواب الشرط ثم أخبر خبرا جازما غير معلق أنه يمحو الباطل
ويحق الحق وقال تعالى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء
وأخبر أن من نفى عنه الارسال والكلام لم يقدره حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا عظمه
كما يستحق فكيف من ظن أن الله ينصر الكاذب المفتري عليه ويؤيده ويظهر على
يديه الآيات والادلة وهذا في القرآن كثير يستدل تعالى بكماله المقدس وأوصافه
وجلاله على صدق رسوله وعلى وعده ووعيده ويدعو عباده الى ذلك وقال تعالى
لمن طلب آية تدل على صدق رسوله أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم
ما في السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون
فأخبر سبحانه ان الكتاب الذي أنزله يكفي من كل آية ففيه الحجة والدلالة على انه
من الله وأن الله سبحانه أرسل به رسوله وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة
وينجيه من العذاب ثم قال قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات
والارض فاذا كان سبحانه عالما بجميع الاشياء كانت شهادته أصدق شهادة
وأعدلها فانها شهادة بعلم تام محيط بالمشهود به وهو سبحانه وتعالى يذكر علمه عند

شهادته

شهادته وقدرته وملكه عند مجازاته وحكمته عند خلقه وأمره ورحمته عند ارساله رسله وحلمه عند ذنوب عباده فتأمل ورود أسمائه الحسنى فى كتابه وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب انتهى وقال تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا أى شاهدا على الوحدانية وشاهدا فى الدنيا بأحوال الآخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهدا فى الآخرة بأحوال الدنيا وبالطاعة والمعصية والصلاح والفساد وشاهدا على الخلق يوم القيامة كما قال تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا كأنه تعالى يقول يا أيها المشرف من قبلنا انا أرسلناك شاهدا بوحدانيتنا ومشاهدا كمال فردانيتنا تبشر عبادنا عنا وتحذرهم مخالفة أمرنا وتعلمهم مواضع الخوف منا وداعيا الخلق الينا وسراجا يستضيئون بك وشمسا تبسط شعاعك على جميع من صدقك وآمن بك ولا يصل الينا الامن اتبعك وخدمك وقدمك فبشر بفضلنا وطولنا عليهم واحساننا اليهم ﴿ ولما كان الله تعالى قد جعله عليه الصلاة والسلام شاهدا على الوحدانية والشاهد لايكون مدعيا فالله تعالى لم يجعل النبى فى مسألة الوحدانية مدعيا لها لان المدعى من يقول شيأ على خلاف الظاهر والوحدانية أظهر من الشمس والنبى صلى الله عليه وسلم كان ادعى النبوة فجعل الله تعالى نفسه شاهدا له فى مجازات كونه شاهدا له تعالى فقال سبحانه والله يشهد انك لرسوله ومن هذا قوله تعالى ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب فاستشهد على رسالته بشهادة الله له وكذلك قوله تعالى قل أى شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم وقوله لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا وقوله والله يعلم انك لرسوله وقوله محمد رسول الله فهذا كله منه تعالى شهادة لرسوله قد أظهرها وبينها وبين صحتها غاية البيان بحيث قطع العذر بينه وبين عباده وأقام الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهدا لرسوله وقال تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا فيظهر ظهورين ظهورا بالحجة والبيان وظهورا بالنصر والغلبة والتأييد حتى يظهر على مخالفيه ويكون منصورا ومن شهادته تعالى أيضا ما أودعه فى قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت والطمأنينة بكلامه ووحيه فان الله تعالى فطر القلوب على قبول الحق والانقياد له والطمأنينة والسكون اليه ومحبته وفطرها على بغض الكذب والباطل والنفور عنه وعدم السكون اليه ولو بقيت الفطرة على حالها لما آثرت على الحق سواه ولما سكنت الا اليه

ولا اطمأنت الا به ولا سكنت غيره ولهذا ندب الحق سبحانه الى تدبر القرآن فان كل من تدبره أوجب له علما ضروريا و يقينا جازما أنه حق بل أحق كل حق وأصدق كل صدق قال تعالى أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها فلو رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القرآن واستنارت فيها مصابيح الايمان وعلمت علما ضروريا كسائر الامور الوجدانية باللذة والالم أنه من عند الله تكلم به حقا وبلغه رسوله جبريل الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فهذا الشاهد فى القلب من أعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج السالكين وقال تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا فى هذه الآية دلالة على أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة الثقلين وقالت العيسوية من اليهود وهم أتباع عيسى الاصبهانى ان محمدا صادق مبعوث الى العرب غير مبعوث الى بنى اسرائيل ودليلنا على ابطال قولهم هذه الآية لان قوله يا أيها الناس خطاب يتناول كل الناس ثم قال انى رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضى كونه مبعوثا الى جميع الناس وأيضا ولانا نعلم بالتواتر أنه كان يدعى أنه مبعوث الى الثقلين فاما أن تقول كان رسولا حقا أو ما كان كذلك فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه ووجب الجزم بكونه صادقا فى كل ما يدعيه فلما ثبت بالتواتر وبظاهر هذه أنه كان يدعى كونه مبعوثا الى جميع الثقلين وجب كونه صادقا وذلك يبطل قول من يقول انه كان مبعوثا الى العرب فقط لا الى بنى اسرائيل واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا من الناس من يقول انه عام دخله التخصيص ومنهم من أنكر ذلك اما الاولون فقالوا دخله التخصيص من وجهين الاول أنه رسول الى الناس اذا كانوا من جملة المكلفين فأما اذا لم يكونوا من جملة المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام قال رفع القلم عن ثلاث عن الصبى حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق رواه ابن جرير عن ابن عساكر والثانى انه رسول الله الى من وصله خبر وجوده وخبر معجزاته وشرائعه حتى يمكنه عند ذلك متابعته اما لو قدرنا حصول قوم فى طرف من أطراف الارض لم يبلغهم خبره وخبر معجزاته وشرائعه حتى لا يمكنهم عند ذلك متابعته فلا يكونوا مكلفين بالاقرار بنبوته ❋ وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال والذى نفسى بيده لا يسمع بى أحد من هذه الامة ولا يهودى ولا نصرانى ومات ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار رواه مسلم ومفهومه ان من لم يسمع به صلى الله عليه وسلم ولم تبلغه دعوة الاسلام فهو معذور على ما تقرر فى الاصول أنه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح

وفي هذا الحديث نسخ المال كما برسالة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل الآية خاطب تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنه قد أرسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذي لا نبي بعده ولا رسول بل هو المعقب لجميعهم ولهذا قال تعالى على فترة من الرسل أي بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى ابن مريم ❁ وقد اختلفوا في مقدار هذه الفترة كم هي فقال النهدي وقتادة في رواية عنه ستمائة سنة ورواه البخاري عن سلمان الفارسي وعن قتادة خمسمائة وستون سنة وقال الضحاك أربعمائة وبضع وثلاثون سنة وعن الشعبي فيما ذكره ابن عساكر تسعمائة وثلاثة وثلاثون سنة قال الحافظ عماد الدين بن كثير والمشهور أنها ستمائة سنة قال وكانت هي الفترة بين عيسى بن مريم آخر أنبياء بني اسرائيل وبين محمد آخر النبيين من بني آدم على الاطلاق كما في البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعا أنا أولى الناس بابن مريم لانه ليس بيني وبينه نبي وهذا فيه رد على من زعم انه بعث بعد عيسى نبي يقال له خالد بن سنان كما حكاه القضاعي وغيره والمقصود أن الله بعث محمدا على فترة من الرسل وطموس من السبل وتغير الاديان وكثرة عبادة الاوثان والنيران والصلبان وكانت النعمة به أتم والنفع به أعم ❁ وفي حديث عند الامام أحمد مرفوعا ان الله نظر الى أهل الارض فمقتهم عجمهم وعربهم الا بقايا من بني اسرائيل ❁ وفي لفظ مسلم من أهل الكتاب فكان الدين قد التبس على أهل الارض كلهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهدى به الخلائق وأخرجهم الله به من الظلمات الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء صلوات الله وسلامه عليه ❁ وقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم أي عزيز عليه عنتكم أي اثمكم بالشرك والمعاصي حريص عليكم أن تهتدوا قال الحسن عزيز عليه أن تدخلوا النار حريص عليكم أن تدخلوا الجنة ومن حرصه صلى الله عليه وسلم علينا أنه لم يخاطبنا بما يريد ابلاغه الينا وفهمنا اياه على قدر منزلته بل على قدر منزلتنا والى هذا أشار صاحب البردة بقوله

لم يمتحنا بما تعيي العقول به ❁ حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

أي لم نتحير ولم نشك فيما ألقاه الينا ❁ وقال وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ولا رحمة مع التكليف بما لا يفهم ومن حرصه عليه الصلاة والسلام على هدايتنا أنه كان كثيرا ما يضرب المثل بالمحسوس ليحصل الفهم وهذه سنة القرآن ومن تتبع الكتاب

والسنة رأى من ذلك العجب العجاب ❊ ولما ساوى سبحانه وتعالى بين الناس في حرص رسوله عليه الصلاة والسلام على اسلامهم خص المؤمنين برأفته ورحمته لهم وقال تعالى من أنفسكم ولم يقل من أرواحكم فقيل يحتمل أن يكون مراده أنه منا بجسده النفس لا بروحه المقدس ورحم الله القائل

اذا رمت مدح المصطفى شغفا به ❊ تبلد ذهني هيبة لمقامه

فأقطع ليلي ساهر الجفن مطرقا ❊ هوافيه أحلى من لذيذ منامه

اذا قال فيه الله جل جلاله ❊ رؤف رحيم في سياق كلامه

فمن ذا يجاري الوحي والوحي معجز ❊ بمختلفيه نثره ونظامه

❊ تنبيه وأما قول القاضي عياض بعد ذكره الآية ثم وصفه بعد بأوصاف حميدة وأثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم وأخراهم وعزته عليه فهو وان كان القصد منه صحيحا في ظاهره شيء لانه يوهم ان قوله وشدة ما يعنتهم معطوف على متعلق المصدر الذي هو الحرص فيكون مخفوضا به ومما يقوى هذا التوهم قوة اعطاء الكلام أن الضمير الاول من قوله وعزته عليه عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والضمير الثاني عائد على الله عز وجل فلا تبقى الشدة الا أن تكون معطوفة على متعلق المصدر ولا يخفى ما في هذا وقد تأوله بعض العلماء على حذف مضاف أى وكراهة شدة ما يعنتهم أو نحو ذلك من المضافات والاولى أو الصواب ان شاء الله تعالى أن تكون الشدة معطوفة على نفس المصدر الذي هو الحرص ويكون قوله وعزته معطوفا على وشدة والضمير فيه راجع الى الموصول وهو ما في قوله ما يعنتهم والهاء الثانية في عليه عائدة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ❊ وقال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين يجوز أن يكون رحمة مفعولا له أى لاجل الرحمة ويجوز أن ينتصب على الحال مبالغة في أن جعله نفس الرحمة واما على حذف مضاف أى ذا رحمة أو بمعنى راحم قاله السمين ❊ وقال أبو بكر بن طاهر فيما ذكره القاضي عياض زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن أصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب انتهى ❊ وقال ابن عباس رحمة للبر والفاجر لان كل نبي اذا كذب أهلك الله من كذبه ومحمد أخر من كذبه الى الموت أو الى القيامة وأما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والآخرة ❊ وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني الجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة

للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب فذاته عليه الصلاة والسلام كما قيل رحمة نعم المؤمن والكافر قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ※ وقال عليه الصلاة والسلام انما أنا رحمة مهداة رواه الدارمي والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ※ وقال بعض العارفين الانبياء خلقوا كلهم من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة ولقد أحسن القائل

غنيمة عمر الكون بهجة عيشه ※ سرور حياة الدهر فائدة الدهر
هو النعمة العظمى هو الرحمة التي ※ تجلى بها الرحمن في السر والجهر

فبيانه عليه الصلاة والسلام ونصحه رحمة ودعاؤه واستغفاره رحمة فرزق ذلك من قبله وحرمه من رده فان قلت كيف كان رحمة وقد جاء بالسيف واستباحة الاموال فالجواب من وجهين أحدهما انه انما جاء بالسيف لمن استكبر وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر ومن أوصاف الله تعالى الرحمن الرحيم ثم هو منتقم من العصاة وقد قال تعالى و أنزلنا من السماء ماء مباركا ثم قد يكون سببا للفساد وثانيهما أن كل نبي من الانبياء قبل نبينا اذا كذبه قومه أهلك الله المكذبين بالخسف والمسخ والغرق وقد أخر الله تعالى عذاب من كذب نبينا الى الموت أو الى القيامة لا يقال ان الله تعالى قال قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم وقال تعالى ليعذب المنافقين لانا نقول تخصيص العام لا يقدح فيه ※ و في الشفاء للقاضي عياض وحكى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل هل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم كنت أخشى العاقبة فأمنت لثناء الله تعالى على بقوله عز وجل ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين انتهى وذكره السمرقندي في تفسيره بلفظ وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل يقول الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فهل أصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم أصابني من هذه الرحمة شيء كنت أخشى عاقبة الامر فأمنت بك لثناء الله تعالى على في قوله ذي قوة عند ذي العرش مكين وهذا يقتضي أن محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل من جبريل وهو الذي عليه الجمهور خلافا لمن زعم أن جبريل أفضل واستدل بأن الله تعالى وصف جبريل بسبعة أوصاف من صفات الكمال في قوله رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ووصف محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون ولو كان محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبريل في صفات الفضل أو مقاربا له لكان وصف محمدا بمثل ذلك وأجيب بأنا متفقون على أن لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل أخرى سوى ما ذكر في هذه الآية وعدم ذكر الله تعالى تلك الفضائل هنا لا يدل على عدمها بالاجماع واذا

ثبت أن محمداً صلى الله عليه وسلم فضائل أخر زائدة فيكون أفضل من جبريل وبالجملة فافراد أحد الشخصين بالوصف لايدل ألبتة على انتفاء تلك الاوصاف عن الثانى واذا ثبت بالدليل القرآنى أنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين والملائكة من جملة العالمين وجب أن يكون أفضل منهم والله أعلم ❊ وقال تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وهذه الآية نص فى أنه لانبى بعده واذا كان لانبى بعده فلا رسول بطريق الاولى لان مقام الرسالة أخص من مقام النبوة فان كل رسول نبى ولا ينعكس كما قدمنا ذلك فى أسمائه الشريفة من المقصد الثانى وبذلك وردت الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم فروى أحمد من حديث أبى ابن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبنة فلم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويتعجبون منه ويقولون لوتم موضع هذه اللبنة فانا فى النبيين موضع تلك اللبنة ورواه الترمذى عن بندار عن أبى عامر العقدى وقال حديث حسن صحيح ❊ وفى حديث أنس بن مالك مرفوعا ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبى رواه الترمذى وغيره ❊ وفى حديث جابر مرفوعا مثلى ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأحسنها وأكملها الاموضع لبنة فكان من دخلها فنظر اليها قال ماأحسنها الاموضع هذه اللبنة وأنا موضع هذه اللبنة ختم بى الانبياء عليهم الصلاة والسلام رواه أبوداود الطيالسى وكذا البخارى ومسلم ❊ وفى حديث أبى سعيد الخدرى فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة رواه مسلم ❊ وفى حديث أبى هريرة عند مسلم وأرسلت الى الخلق كافة وختم بى النبيون فمن تشريف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم ختم الانبياء والمرسلين به واكمال الدين الحنيف له ❊ وقد أخبر الله فى كتابه ورسوله فى السنة المتواترة عنه انه لانبى بعده ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضال مضل ولو تحذق وتشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلالة عند أولى الالباب ولا يقدح فى هذا نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بعده لانه اذا نزل كان على دين نبينا صلى الله عليه وسلم ومنهاجه مع أن المراد أنه آخر من نبئ قال أبوحيان ومن ذهب الى أن النبوة مكتسبة لاتنقطع أو الى أن الولى أفضل من النبى فهو زنديق يجب قتله والله أعلم

❊(النوع الرابع فى التنويه به صلى الله عليه وسلم فى الكتب السالفة كالتوراة والانجيل بأنه صاحب الرسالة والتبجيل)❊ قال الله تعالى الذين يتبعون الرسول

النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وهذا يدل على أنه لولم يكن مكتوبا لكان ذكرهذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله لان الاصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقاله فلما قال لهم عليه الصلاة والسلام هذا دل على أن ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والانجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته لكن أهل الكتاب كما قال الله تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرّفون الكلم عن مواضعه والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا أبناءهم ووجدوه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل لكنهم حرفوهما بدلوهما ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فدلائل نبوّة نبينا صلى الله عليه وسلم في كتابيهما بعد تحريفهما طافحة واعلام شريعته ورسالته فيهم الائحة وكيف يغني عنهم انكارهم وهذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم أمشقحا فمشقح محمد بغير شك واعتباره انهم يقولون شقحا لاها اذا أرادوا أن يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد شقحا فمشقح محمد لان الصفات التي أقروا بها هي وفاق لاحواله وزمانه ومخرجه ومبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم فليدلونا على من هذه الصفات له ومن خرجت له الامم من بين يديه وانقادت له واستجابت له دعوته ومن صاحب الجمل التي هلكت بابل وأصنامها به على أنا لولم نأت بهذه الانبأ والقصص من كتبهم ألم يك فيما أودع الله عز وجل القرآن دليل على ذلك وفي تركهم جحد ذلك وانكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له فانه يقول الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويقول حكاية عن المسيح اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ويقول يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ويقول الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا نبي قد أظل مولده ويذكرون من صفته ما يجدون في كتابهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة ويحتمل أنهم كانوا يظنون أنه من بني اسرائيل فلما بعثه الله من العرب من نسل اسمعيل عظم ذلك عليهم وأظهروا التكذيب فلعنة الله على الكافرين * وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه وتصديقه فكيف يجوز أن يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك على ما عندهم وما في أيديهم ويقول من علامة نبوتي وصدقي أنكم تجدوني عندكم مكتوبا وهم لا يجدونه كما ذكر أوليس

ذلك مما يزيدهم عنه بعدا وقد كان غنيا أن يدعوهم بما ينفرهم ويستميلهم بما يوحشهم وقد أسلم من أسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام وتميم الدارى وكعب وقد وقفوا منه على مثل هذه الدعاوى * وقد روى ابن عساكر فى تاريخ دمشق من طريق محمد ابن حمزة بن عبد الله بن سلام عن جده عبد الله بن سلام أنه لما سمع بخروج النبى صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم أهل يثرب قال نعم قال ناشدتك بالله الذى أنزل التوراة على موسى هل تجد صفتى فى كتاب الله قال انسب ربك يا محمد فارتج النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال ابن سلام اشهد أنك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان وانى لاجد صفتك فى كتاب الله يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء حتى يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وقوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا يعارض قوله واغلظ عليهم لان النفى محمول على طبعه الكريم الذى جبل عليه والامر محمول على المعالجة أو النفى بالنسبة الى المؤمنين والامر بالنسبة الى الكفار والمنافقين كما هو مصرح به فى نفس الآية وقلوبا غلفا أى مغشاة مغطاة واحدها أغلف ومنه غلاف السيف وغيره ❁ وأخرج البيهقى وأبو نعيم عن أم الدرداء أو امرأة أبى الدرداء قالت قلت لكعب كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة قال كما نجده موصوفا فيها محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق وأعطى المفاتيح ليبصر الله به أعينا عورا ويسمع به آذانا صما ويقيم به ألسنة معوجة حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وحده لا شريك له يعين المظلوم ويمنعه من أن يستضعف * وفى البخارى عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ❁ وعند ابن اسحاق

ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأولف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس * وأخرج البيهقي عن ابن عباس قال قدم الجارود فأسلم فقال والذي بعثك بالحق لقد وجدت وصفك في الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول * وأخرج ابن سعد قال لما أمر ابراهيم باخراج هاجر حمل على البراق فكان لا يمر بأرض عذبة سهلة الا قال أنزل هاهنا يا جبريل فيقول لا حتى أتى مكة فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم هاهنا يخرج النبي صلى الله عليه وسلم الذي من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا * وفي التوراة مما اختاروه بعد الحذف والتبديل والتحريف مما ذكره ابن ظفر في البشر وابن قتيبة في أعلام النبوة تجلى الله من سينا وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فسيناه والجبل الذي كلم الله فيه موسى وساعير هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى وظهرت فيه نبوته وجبال فاران وهو اسم عبراني وليست ألفه الاولى همزة هي جبال بني هاشم التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في أحدها وفيه فاتحة الوحي وهو أحد ثلاثة جبال أحدها أبو قبيس والمقابل له قعيقعان الى بطن الوادي والثالث الشرقي فاران ومنفتحه الذي يلي قعيقعان الى بطن الوادي وهو شعب بني هاشم وفيه مولده صلى الله عليه وسلم على أحد الاقوال * قال ابن قتيبة وليس بهذا غموض لان تجلى الله من سينا انزاله التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام بطور سينا ويجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله على عيسى الانجيل وكان المسيح يسكن من ساعير أرض الخليل بقرية تدعى ناصرة وباسمها سمي من اتبعه نصارى * فكما وجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة وليس بين المسلمين وأهل الكتاب في ذلك اختلاف في أن فاران هي مكة وان ادعى أنها غير مكة قلنا أليس في التوراة ان الله أسكن هاجر واسمعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح أوليس استعلن وعلن

يعني واحد وهو ماظهروانكشف فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه * وفي التوراة أيضا مما ذكره ابن ظفر خطابا لموسى والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه الذين أخذتهم الرجفة خصوصا ثم بني اسرائيل عموما والله ربك يقيم نبيا من اخوتك فاستمع له كالذي سمعت ربك في حوريت يوم الاجتماع حين قلت لا أعود اسمع صوت الله ربي لئلا أموت فقال الله تعالى نعم ما قالوا وسأقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلامي في فمه فيقول لهم كل شيء أمرته به وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني أنتقم منه * قال وفي هذا الكلام أدلة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحاق واخوتهم بنو اسمعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحاق لكان من أنفسهم لا من اخوتهم وأما قوله نبيا مثلك وقد قال في التوراة لا يقوم في بني اسرائيل أحد مثل موسى * وفي ترجمة أخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل أبدا فذهبت اليهود الى أن هذا النبي الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفؤا لموسى عليه الصلاة والسلام بل كان خادما له في حياته ومؤكد الدعوته بعد وفاته فتعين أن يكون المراد به محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفؤ موسى لانه مماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام واجراء النسخ على الشرائع السالفة وقوله تعالى أجعل كلامي في فمه فانه واضح في أن المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه أوحي اليه بكلامي فينطق به على نحو ما سمعه ولا أنزل صحفا ولا ألواحا لانه أمي لا يحسن أن يقرأ المكتوب * وفي الانجيل مما ذكره ابن ظفر بلك في الدر المنظم قال يوحنا في انجيله عن المسيح انه قال أنا أطلب من الاب أن يعطيكم فارقليط آخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يتلوه وهو عند ابن ظفر بلفظ ان أحببتموني فاحفظوا وصيتي وأنا أطلب الى أبي فيعطيكم فارقليط آخر يكون معكم الدهر كله قال فهذا تصريح بأن الله تعالى سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه منابه وتكون شريعته باقية مخلد أبدا فهل هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى ولم يذكر فصول الفارقليط كما أفاده ابن ظفر بلك سوى يوحنا دون غيره من نقلة الاناجيل * وقد اختلف النصارى في تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على أنه المخلص أفضى بنا الامر الى أن المخلص رسول يأتي لخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل اني قد جئت لخلاص العالم فاذا ثبت أن المسيح

هو الذى وصف نفسه بأنه مخلص العالم وهو الذى سأل الاب أن يعطيهم فارقليطا آخر ففى مقتضى اللفظ مادل على أنه قد تقدم فارقليط أول حتى يأتى آخر وان تنزلنا معهم على القول بأنه الحامد فأى لفظ أقرب الى أحمد ومحمد من هذا ❊ قال ابن ظفر وفى الانجيل من تبريره ومادل على أن الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا الكلام الذى تسمعونه ليس هولى بل الاب الذى أرسلنى بهذا الكلام لكم وأما الفارقليط روح القدس الذى يرسله أبى باسمى فهو يعلمكم كل شىء وهو يذكركم كلما قلته لكم فهل بعد هذا بيان أليس هذا صريحا فى أن الفارقليط رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو يصدق بالمسيح ويظهر اسمه أنه رسول حق من الله وليس باله وهو يعلم الخلق كل شىء ويذكرهم كما قاله المسيح عليه الصلاة والسلام لهم وكلما أمرهم به من توحيد الله ❊ وأما قوله أبى فهذه اللفظة مبدلة محرفة وليست منكرة الاستعمال عند أهل الكتابين اشارة الى الرب سبحانه لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذى يستمد منه العلم ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماءدينهم بالآباء الروحانية ولم تزل بنواسرائيل وبنوعيصو يقولون نحن أبناء الله بسوء فهمهم عن الله تعالى ❊ وأما قوله يرسله أبى باسمى فهو اشارة الى شهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم له بالصدق والرسالة وما تضمنه القرآن من مدحه عما افترى فى أمره ❊ وفى ترجمة أخرى للانجيل أنه قال الفارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه مايسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث وهو عند ابن ظفر بلفظ فاذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل مايسمع ويخبركم بكل ما يأتى وهو يمجدنى لانه يأخذ مما هو لى ويخبركم فقوله ليس ينطق من عنده وفى الرواية الاخرى ولا يقول من تلقاء نفسه بل يتكلم بكل مايسمع أى من الله الذى أرسله وهذا كما قال تعالى فى حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وقوله وهو يمجدنى فلم يمجده حق تمجيده الا محمد صلى الله عليه وسلم لانه وصفه بأنه رسول الله وبرأه وبرأ أمه عليهما الصلاة والسلام مما نسب اليهما وأمر أمته بذلك قال ابن ظفر فمن ذا الذى وبخ العلماء على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس ومن ذا الذى أنذر بالحوادث وأخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در أبى محمد عبد الله الشقراطسى حيث قال فى قصيدته المشهورة

توراة موسى أتت عنه فصدقها ❊ انجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت ❊ عما رأوا ورووا فى الاعصر الاول

ويعجبني قول العارف أبي عبدالله بن النعما

هذا النبي محمد جاءت به * توراة موسى للانام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق * ذكرا لأحمد معرب ومذكر

ويرحم الله ابن جابر حيث قال

لمبعثه في كل جيل علامة * على ماجلته الكتب من أمره الجلى
فجاء به انجيل عيسى بآخر * كما قدمضت توراة موسى بأول

* وفي الدلائل للبيهقي عن الحاكم بسند لا بأس به عن أبي أمامة الباهلي عن هشام بن العاص الاموي قال بعثت أنا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وأنه أرسل اليهم ليلا فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج حريرة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء فاذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم أر مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان أحسن ماخلق الله تعالى قال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه الصلاة والسلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج منه حريرة سوداء واذا فيها صورة بيضاء فاذا رجل أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه الصلاة والسلام قال ثم فتح بابا آخر وأخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضاء واذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله ونبينا قال والله انه لهو ثم قام قائما ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه لهو كأنك تنظر اليه فأمسك ساعة ينظر اليها ثم قال أما والله انه لآخر البيوت ولكني عجلته لكم لانظر ماعندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم قال فقلنا له من أين لك هذه الصور فقال ان آدم عليه الصلاة والسلام سأل ربه أن يريه الانبياء من ولده فأنزل الله عليه صورهم فكان في خزانة آدم عليه الصلاة والسلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال * وفي زبور داود عليه الصلاة والسلام من مزمور أربعة وأربعين فاضت النعمة من شفتيك من أجل هذا بارك الله الى الابد تقلد أيها الجبار بالسيف فان شرائعك وسننك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك فهذا المزمور نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هي القول الذي يقرله وهو الكتاب الذي أنزل عليه والسنة التي سنها وفي قوله تقلد سيفك أيها الجبار دلالة على أنه النبي العربي اذليس يتقلد السيوف أمة من الامم سوى

العرب فكلهم يتقلدونها على عواتقهم وفي قوله فان شرائعك وسنتك نص صريح على أنه صاحب شريعة وسنة وأنها تقوم بسيفه والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا * وعن وهب بن منبه قال قرأت في بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لأنزلن على جبال العرب نورا يملأ ما بين المشرق والمغرب ولأخرجن من ولد اسمعيل نبيا أميا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الارض كلهم يؤمن بي ربا وبه رسولا ويكفرون بملل آبائهم ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست أسماؤك لقد كرمت هذا النبي الكريم وشرفته قال الله ياموسى اني أنتقم من عدوه في الدنيا والآخرة وأظهر دعوته على كل دعوة وأذل من خالف شريعته وبالعدل زينته وبالقسط أخرجته وعزتي لاستنقذن به أمما من النار فتحت الدنيا بابراهيم وأختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بريء ذكره ابن ظفر وغيره

(النوع الخامس في آيات تتضمن اقسامه تعالى على تحقيق رسالته وثبوت ما أوحى اليه من آياته وعلو رتبته الشريفة ومكانته)

وهذا النوع أعزك الله لخصت أكثره من كتاب أقسام القرآن للعلامة ابن القيم مع زيادات من فرائد الفوائد فاعلم أنه تعالى أقسم بأمور على أمور وانما أقسم بنفسه الموصوفة بصفاته وآياته المستلزمة لذاته وصفاته وأقسامه ببعض مخلوقاته دليل على أنه من عظيم آياته ثم انه تعالى تارة يذكر جواب القسم وهو الغالب وتارة يحذفه وتارة يقسم على أن القرآن حق وتارة على أن الرسول حق وتارة على أن الجزاء والوعد والوعيد حق فالاول كقوله فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون والثاني كقوله تعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين والثالث كقوله والذاريات ذروا الى قوله وان الدين لواقع وهذه الامور الثلاثة متلازمة فمتى ثبت أن الرسول حق ثبت أن القرآن حق وثبت المعاد ومتى ثبت أن القرآن حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به ومتى ثبت أن الوعيد والوعد حق ثبت صدق الرسول الذي جاء به وفي هذا النوع خمسة فصول

(الفصل الاول في قسمه تعالى على ما خصه به من الخلق العظيم وحباه من الفضل العميم)

قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لأجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم ن من أسماء الحروف كالم والمص وق واختلف

فيها فقيل هي أسماء للقرآن وقيل أسماء للسور وقيل أسماء الله ويدل عليه أن عليا
رضي الله عنه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق كما قيل ولعله أراد يا منزلهما وقيل انه
سر استأثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه
ولعلهم أرادوا أنها أسرار بين الله ورسوله لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب
بما لا يفيد وهل المراد بقوله تعالى ن اسم الحوت وهل المراد به الجنس أو البهموت
وهو الذي عليه الارض وقيل المراد به الدواة وهو مروي عن ابن عباس و يكون
هذا قسما بالدواة والقلم فان المنفعة بهما بسبب الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة
يحصل بالنطق وتارة بالكتابة وقيل ان ن لوح من نور تكتب فيه الملائكة
ما يأمرهم به الله رواه معاوية بن قرة مرفوعا والحق أنه اسم للسورة وأقسم الله تعالى
بالكتاب وآلته وهو القلم الذي هو احدى آياته وأول مخلوقاته الذي جرى به قدره
وشرعه وكتب به الوحي وقيد به الدين وأثبتت به الشريعة وحفظت به العلوم
وقامت به مصالح العباد في المعاش والمعاد وقام في الناس أبلغ خطيب وأفصحه
وأنفعهم لهم وأنصحه وواعظا تشفي مواعظه القلوب من السقم وطبيبا يبرئ باذنه
من أنواع الالم على تنزيه نبيه ورسوله محمد المحمود في كل افعاله وأقواله مما غمصته
أعداؤه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون وكيف يرمى
بالجنون من أتى بما عجزت العقلاء قاطبة عن معارضته وكلت عن مماثلته وعرفهم
عن الحق ما لا تهتدي اليه عقولهم بحيث أذعنت له عقول العقلاء وخضعت له الباب
الالباء وتلاشت في جنب ما جاء به بحيث لم يسعها الا التسليم له والانقياد والاذعان
طائعة مختارة فهو الذي يكمل عقولها كما يكمل الطفل برضاع الثدي * ثم أخبر
تعالى عن كمال حالتي نبيه صلى الله عليه وسلم في دنياه وأخرته فقال وأن لك لأجرا
غير ممنون أي ثوابا غير منقطع بل هو دائم مستمر ونكر الأجر للتعظيم أي أجرا عظيما
لا يدركه الوصف ولا يناله التعبير * ثم اثنى عليه بما منحه فقال وانك لعلى
خلق عظيم وهذه من أعظم آيات نبوته ورسالته ولقد سئلت عائشة رضي الله عنها
عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن * ومن ثم قال ابن عباس
وغيره أي على دين عظيم وسمي الدين خلقا لان الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة
وارادات زاكية وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة وأقوال
مطابقة للحق تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم والارادات فتكتسب
النفس بها اخلاقا هي أزكى الاخلاق وأشرفها وأفضلها وهذه كانت أخلاقه صلى
الله عليه وسلم المقتبسة من القرآن فكان كلامه مطابقا للقرآن تفصيلا وتبيينا

وعلومه

وعلومه علوم القرآن وارادته واعماله ما أوجبه وندب اليه القرآن واعراضه وتركه لما منع منه القرآن ورغبته فيما رغب فيه القرآن وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبته لما أحبه وسعيه في تنفيذ أوامره فترجمت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن وفهم السائل عنها هذا المعنى فاكتفى به واشتفى ولما وصفه تعالى بأنه على خلق عظيم قال فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون أى فسترى يا محمد ويرى المشركون كيف عاقبة أمرك فانك تصير معظما في القلوب ويصيرون اذلاء مغلوبين وتستولى عليهم بالقتل والنهب

(الفصل الثاني في قسمه تعالى على ما أنعم به عليه وأظهره من قدره العلى لديه)

قال الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى السورة اقسم تعالى على انعامه على رسوله صلى الله عليه وسلم واكرامه له واعطائه ما يرضيه وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه في الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد واقسم تعالى بآيتين عظيمتين من آياته دالتين على ربوبيته ووحدانيته وحكمته ورحمته وهما الليل والنهار وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحى بوجهه صلى الله عليه وسلم والليل بشعره قال ولا استبعاد فيه وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذى يوافى بعد ظلام الليل للمقسم عليه وهو نور الوحى الذى وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه ودع محمدا ربه فاقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحى ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه وأيضا فان الذى اقتضته رحمته أن لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا بل هداهم بضوء النهار الى مصالحهم ومعايشهم لا يتركهم في ظلمة الجهل والغى بل يهديهم بنور الوحى والنبوة الى مصالح دنياهم وآخرتهم فتأمل حسن ارتباط المقسم به بالمقسم عليه وتأمل هذه الجزالة والرونق الذى على هذه الالفاظ والجلالة التى على معانيها ونفى سبحانه أن يكون ودع نبيه أو قلاه والتوديع الترك والقلا البغض أى ما تركك منذ اعتنى بك ولا ابغضك منذ أحبك وحذف الكاف من قلا اكتفاء بكاف ودعك ولان رؤس الآى بالياء فأوجب اتفاق الفواصل حذفها وهذا يعم كل أحواله وأن كل حالة يرقيه اليها هى خير له مما قبلها كما أن الدار الآخرة هى خير له مما قبلها ثم وعده بما تقربه عينه وتفرح به نفسه وينشرح به صدره وهو أن يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القرآن والهدى والنصر والظفر بأعدائه يوم بدر وفتح مكة ودخول الناس فى الدين أفواجا والغلبة على بنى قريظة والنضير وبث عساكره وسراياه فى بلاد

لعرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الارض من المدائن وما قذف في قلوب
أعدائه من الرعب ونشر الدعوة ورفع ذكره واعلاء كلمته وما يعطيه بعد مماته
وما يعطيه في موقف القيامة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من
الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر * وقال ابن عباس يعطيه ألف قصر من
لؤلؤ أبيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها وبالجملة فقد دلت هذه الآية على أنه تعالى
يعطيه عليه الصلاة والسلام كل ما يرضيه وأما ما يغتر به الجهال من أنه لا يرضى
وأحد من أمته في النار أو لا يرضى أن يدخل أحد من أمته النار فهو من غرور
الشيطان لهم ولعبه بهم فإنه صلوات الله وسلامه عليه يرضى بما يرضى به ربه تبارك
وتعالى وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة ثم يحد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حدا يشفع فيهم كما سيأتي في المقصد الاخير ان شاء الله تعالى
ورسوله عليه الصلاة والسلام أعرف به وبحقه من أن يقول لا أرضى أن تدخل
أحدا من أمتي النار أو تدعه فيها بل ربه تبارك وتعالى يأذن له فيشفع فيمن شاء الله
أن يشفع فيه ولا يشفع في غير من أذن له ورضيه * ثم ذكره سبحانه نعمه عليه
من ايوائه بعد يتمه فقال ألم يجدك يتيما فآوى وذهب بعضهم الى أن معنى اليتيم من
قولهم درة يتيمة أي ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك اليه واغناك بعد
الفقر * ثم أمره سبحانه أن يقابل هذه النعم الثلاث بما يليق بها من الشكر فنهاه
أن يقهر اليتيم وأن ينهر السائل وأن يكتم النعمة بل يحدث بها فان من شكر النعمة
التحديث بها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها

(الفصل الثالث في قسمه تعالى على تصديقه عليه الصلاة والسلام فيما أتى به من وحيه وكتابه وتنزيهه على الهوى في خطابه)

قال الله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى اقسم
تعالى بالنجم على تنزيه رسوله وبراءته مما نسبه اليه اعداؤه من الضلال والغي
واختلف المفسرون في المراد بالنجم بأقاويل معروفة منها النجم على ظاهره وتكون
آل التعريف للعهد في قول وللتعريف الجنس في آخر وهي النجوم التي يهتدى بها
فقيل الثريا اذا سقطت وغابت وهو مروي عن ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة
وعطية والعرب اذا أطلقت النجم تريد به الثريا اذا سقطت وغابت * وعن ابن
عباس في رواية عكرمة النجوم التي ترمى بها الشياطين اذا سقطت في آثارها عند
استراق السمع وهذا قول الحسن * وعن السدي الزهرة * وعن الحسن
أيضا النجوم اذا سقطت يوم القيامة وقيل المراد النبت الذي لا ساق له وهوى أي

سقط

سقط على الارض وقيل القرآن رواه الكلبي عن ابن عباس لانه نزل نجوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى أي نزل من السماء ليلة المعراج وأظهر الاقوال كما قاله ابن القيم أنها النجوم التي ترمى بها الشياطين ويكون سبحانه قد أقسم بهذه الآية الظاهرة المشاهدة التي نصبها الله تعالى آية وحفظا للوحي من استراق الشياطين على أن ما أتى به رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه بل قد حرس بالنجم اذا هوى رصدا بين يدي الوحي وحرسا له وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية الظهور وفي المقسم به دليل على المقسم عليه وليس بالبين تسمية القرآن عند نزوله بالنجم اذا هوى ولا تسمية نزوله هويا ولا عهد في القرآن بذلك فيحمل هذا اللفظ عليه وليس بالبين تخصيص هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت وليس بالبين أيضا القسم بالنجوم عند انتشارها يوم القيامة بل هذا مما يقسم الرب عليه ويدل عليه بآياته فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره للمخاطبين ولا سيما منكروا البعث فانه سبحانه انما يستدل بما لا يمكن جحده ولا المكابرة فيه ❁ ثم ان بين المقسم به والمقسم عليه من المناسبة ما لا يخفى فان قلنا ان المراد النجوم التي هي للاهتداء فالمناسبة ظاهرة وان قلنا ان المراد الثريا فلانه أظهر النجوم عند الرأى لانه لا يشتبه بغيره في السماء بل هو ظاهر لكل أحد والنبي صلى الله عليه وسلم تميز عن الكل بما منح من الآيات البينات ولان الثريا اذا ظهرت من المشرق حان ادراك الثمار واذا ظهرت من المغرب قرب أوان الخريف وتقل الامراض والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشرك والامراض القلبية وان قلنا ان المراد بها القرآن فهو استدلال بمعجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراءته وانه ما ضل ولا غوى وان قلنا ان المراد النبات فالنبات به نبات القوى الجسمانية وصلاحها والقوى العقلية أولى بالاصلاح وذلك بالرسل وايضاح السبل ❁ وتأمل كيف قال تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل ما ضل محمد تأكيدا لاقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم وهم أعلم الخلق به وبحاله وأقواله وأعماله وأنهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون عليه أمرا واحدا قط ❁ وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل أم لم يعرفوا رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدر عن هوى فقال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفي نطقه عن الهوى أبلغ فانه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن هو الامرين نفي الهوى عن مصدر النطق

ونفيه عن النطق نفسه فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال ثم قال تعالى ان هو الا وحي يوحى فأعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل أي ما نطقه الا وحي يوحى وهذا أحسن من جعل الضمير عائدا الى القرآن فان نطقه بالقرآن والسنة وان كليهما وحي قال الله تعالى وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القرآن والسنة ❋وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها ثم أخبر تعالى عن وصف من علمه الوحي والقرآن بما يعلم أنه مضاد لاوصاف الشيطان معلم الضلال والغواية فقال علمه شديد القوى وهو جبريل أي قواه العلمية والعملية كلها شديدة ولا شك ان مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ولم يصفه لم يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة وهذا نظير قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين كما سيأتي البحث فيه ان شاء الله تعالى ❋ثم أخبر سبحانه وتعالى عن تصديق فؤاده بصره لما رأته عيناه وان القلب صدق العين وليس كمن رأى شيأ على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره بل ما رآه ببصره صدقه الفؤاد وعلم أنه كذلك وفي حديث قصة الاسراء مزيد لما ذكرته هنا والله الموفق والمعين ❋ وقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم أي لا أقسم ان الامر أوضح من أن يحتاج الى قسم أو أقسم ولا مزيدة للتأكيد وهذا قول أكثر المفسرين بدليل قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم قال الزمخشري والوجه ان يقال هي للنفي أي انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له فكأنه بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستأهل فوق ذلك أقسم سبحانه وتعالى بالنجوم في احوالها الثلاثة في طلوعها وجريانها وغروبها وبانصرام الليل واقبال النهار عقيبه من غير فصل ❋ فذكر سبحانه وتعالى حالة ضعف هذا وادباره وحالة قوة هذا وتنفسه واقباله يطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس هرب الليل وأدبر بين يديه وذلك من آياته ودلائل ربوبيته أن القرآن قول رسول كريم وهو هنا جبريل لانه ذكر صفته قطعا بعد ذلك بما يعينه به وأما الرسول الكريم في الحاقة فهو محمد صلى الله عليه وسلم فأضافه الى الرسول الملكي تارة والى البشري أخرى واضافته اليهما اضافة تبليغ لا اضافة انشاء من عندهما ولفظ الرسول يدل على ذلك فان الرسول هو الذي يبلغ كلام من أرسله فهذا صريح في انه كلام من أرسل جبريل ومحمدا صلى الله عليه وسلم فجبريل تلقاه عن الله ومحمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن جبريل وقد وصف الله تعالى رسوله الملكي في هذه السورة بأنه كريم

يعطى أفضل العطايا وهى العلم والمعرفة والهداية والبر والارشاد وهذا غاية الكرم ذو قوة كما قال فى النجم علمه شديد القوى فيمنع بقوته الشياطين أن يدنوا منه وأن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه فروى أنه رفع قريات قوم لوط الاربع على قوادم جناحه حتى سمع أهل السماء نباح كلابها وأصوات بنيها عند ذى العرش مكين أى متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الاشراف والتكريم والتعظيم مطاع ثم فى ملائكة الله المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه أمين على وحى الله ورسالته فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات تتضمن تزكية سند القرآن وأنه سماع محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علوّا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه ثم نزه رسوله البشرى وزكاه مما يقول فيه اعداؤه فقال وما صاحبكم بمجنون وهذا أمر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا بألسنتهم خلافه فهم يعلمون أنهم كاذبون ثم أخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام وهذا يتضمن أنه ملك موجود فى الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر خلافا لقوم فحقيقته عندهم أنه خيال موجود فى الاذهان لا فى العيان وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل وأتباعهم وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا كان تقرير رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل أهم من تقرير رؤيته لربه تبارك وتعالى فان رؤيته عليه الصلاة والسلام لجبريل هى أصل الايمان الذى لا يتم الا باعتقادها ومن أنكرها كفر قطعا وأما رؤيته لربه تعالى فغايتها ان تكون مسئلة نزاع لا يكفر جاحدها بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بأنه لم يره فنحن الى تقرير رؤيته لجبريل أحوج منا الى تقرير رؤيته لربه تعالى وان كانت رؤية الرب سبحانه أعظم من رؤية جبريل فان النبوة لا يتوقف ثبوتها عليها البتة * ثم نزه تعالى رسوليه كليهما صلى الله عليهما وسلم أحدهما بطريق النطق والثانى بطريق اللزوم عما يضاد مقصود الرسالة من الكتمان الذى هو الضنة والبخل والتبديل والتغيير الذى يوجب التهمة فقال وما هو على الغيب بضنين فان الرسالة لا يتم مقصودها الا بأمرين أدائها من غير كتمان وأدائها على وجهها من غير زيادة ولا نقصان والقراءتان كالآيتين تضمنت احداهما وهى قراءة الضاد تنزيهه عن البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به أضن بوزن بخلت أبخل ومعناه وقال ابن عباس ليس ببخيل بما أنزل الله وقال مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم وأجمع المفسرون على أن الغيب ههنا القرآن والوحى قال الفراء يقول الله تعالى يأتيه غيب من السماء وهو منفوس فيه فلا يضن به عليكم وهذا معنى حسن

جداً فان عادة النفوس الشح بالشيء النفيس ولاسيما عن من لا يعرف قدره ومع
هذا فالرسول صلى الله عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحي الذي هو أنفس شيء وأجله
وقال أبو علي الفارسي المعنى يأتيه الغيب فيبينه ويخبر به ويظهره ولا يكتمه
كما يكتم الكاهن ما عنده ويخفيه حتى يأخذ عليه حلوانا وأما قراءة من قرأ بظنين
بالظاء فمعناه المتهم يقال ظننت زيدا بمعنى أتهمته وليس هو من الظن الذي هو
الشعور والادراك فان ذلك يتعدى الى مفعولين والمعنى وماهذا الرسول على القرآن
بمتهم بل هو أمين فيه لا يزيد فيه ولا ينقص منه وهذا يدل على أن الضمير فيه يرجع
الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه قد تقدم وصف الرسول الملكي بالامانة ثم قال وما
صاحبكم بمجنون ثم قال وماهو أي وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل فنفى سبحانه عن
رسوله صلى الله عليه وسلم ذلك كله وزكى سند القرآن أعظم تزكية والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل وقال تعالى فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون انه لقول
رسول كريم الآية أقسم تعالى بالاشياء كلها ما يبصرون منها ومالا يبصرون وهذا
أعم قسم وقع في القرآن فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا والآخرة وما يرى
ومالا يرى ويدخل في ذلك الملائكة كلهم والجن والانس والعرش والكرسي وكل
مخلوق وذلك من آيات قدرته وربوبيته ففي ضمن هذا القسم أن كل ما يرى ومالا يرى
آية ودليل على صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وأن ماجاء به هو من عند الله تعالى
وهو كلامه تعالى لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن وأنه حق ثابت كما أن سائر
الموجودات ما يرى منها ومالا يرى حق كما قال تعالى فورب السماء والارض انه لحق
مثل ما أنكم تنطقون فكأنه سبحانه وتعالى يقول ان القرآن حق كما أن ما تشاهدونه
من الخلق ومالا تشاهدونه حق موجود ويكفي الانسان من جميع ما يبصره ومالا
يبصره نفسه ومبدأ خلقه ونشأته وما يشاهد من أحواله ظاهرا وباطنا ففي ذلك
أبين دلالة على وحدانية الرب سبحانه وثبوت صفاته وصدق ما أخبر به رسوله صلى
الله عليه وسلم ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم يخالط بشاشة الايمان قلبه ثم أقام
سبحانه البرهان القاطع على صدق رسوله وأنه لم يتقول عليه فيما قاله وأنه لو تقول عليه
وافترى لما أقره ولعاجله بالاهلاك فان كمال علمه وقدرته وحكمته تأبى أن يقر من
تقول عليه وافترى عليه وأضل عباده واستباح دماء من كذبه وحريمهم وأموالهم
فكيف يليق بأحكم الحاكمين وأقدر القادرين أن يقر على ذلك بل كيف يليق به
أن يؤيده وينصره ويعليه ويظهره ويظفره بهم فيسفك دماءهم ويستبيح
أموالهم وأولادهم وبلادهم ونساءهم قائلا ان الله أمرني بذلك وأباحه لي بل

كيف يليق به أن يصدقه بأنواع التصديق كلها فصدقه باقراره و بالآيات المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بأنواعها كلها على اختلافها فكل آية على انفرادها مصدقة له ثم يقيم الدلائل القاطعة على أن هذا قوله وكلامه يشهد له باقراره وفعله وقوله فمن أعظم المحال وأبطل الباطل وأبين البهتان أن يجوز على أحكم الحاكمين أن يفعل ذلك والمراد بالرسول الكريم هنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قدمته لانه لما قال انه لقول رسول كريم ذكر بعده أنه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون ما كانوا يصفون جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة ومن ذلك قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون قيل المراد بالكتاب المكنون اللوح المحفوظ قال ابن القيم والصحيح أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة وهو المذكور في قوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة قال مالك أحسن ما سمعت في ذلك أنها مثل الذي في عبس قال ومن المفسرين من قال ان المراد أن المصحف لا يمسه الا طاهر والاول أرجح لان الآية سيقت تنزيها للقرآن ان تتنزل به الشياطين وان محله لا تصل اليه كما قال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون وأيضا فان قوله لا يمسه بالرفع فهذا خبر لفظا ومعنى ولو كان نهيا لكان مفتوحا * ومن حمل الآية على النهي احتاج الى صرف الخبر عن ظاهره الى معنى النهي والاصل في الخبر والنهي حمل كل منهما على حقيقته وليس ههنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الى النهي انتهى ملخصا وهذا الذي قاله ابن القيم قد تمسك به جماعة منهم داود بأنه يجوز مس المصحف للمحدث * وقد أجاب ابن الرفعة في الكفاية عن أدلتهم المزخرفة فقال ما نصه القرآن لا يصح مسه فعلم أن المراد به الكتاب الذي هو أقرب المذكورين ولا يتوجه النهي الى اللوح المحفوظ لانه غير منزل ومسه غير ممكن ولا يمكن أن يكون المراد بالمطهرين الملائكة لانه قد نفي وأثبت فكأنه قال يمسه المطهرون ولا يمسه غير المطهرين والسماء ليس فيها غير مطهر بالاجماع فعلم أنه أراد المطهرين من الآدميين * ويبين ذلك ما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال في كتاب عمرو بن حزم المروي في الدارقطني وغيره ولا تمس القرآن الا وأنت على طهر ثم قال فان قيل قد قال الواحدي ان أكثر أهل التفسير على أن المراد اللوح المحفوظ وأن المطهرين الملائكة ثم لو صح ما قلتم لم يكن فيها دليل لان قوله لا يمسه بضم السين ليس بنهي عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر قلنا أما قول أكثر المفسرين فهو معارض بقول الباقين

والمرجع الى الدليل ❁ وأما كون المراد بالآية الخبر فجوابه أنا نقول اللفظ لفظ الخبر ومعناه النهي وهو كثير في القرآن قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها والمطلقات يتربصن انتهى ❁ وأجاب العلامة البساطي في شرحه لمختصر الشيخ خليل بأن يمسه مجزوم وضم السين لاجل الضمير كما صرح به جماعة وقالوا انه مذهب البصريين ومنهم ابن الحاجب في شافيته انتهى ❁ وقد ذكر هذا العلامة شهاب الدين أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبي الشافعي المشهور بالسمين مع زيادة ايضاح وفوائد فقال في لا هذه وجهان الثاني انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سوء ولكنه أدغم ولما أدغم حرك آخره بالضمة لاجل هاء ضمير المذكر الغائب ولم يحفظ سيبويه في هذا الا الضم وفي الحديث انا لم نرده عليك الا انا حرم وان كان القياس جواز فتحه تخفيفا قال وهذا الذي ذكرته يظهر فساد رد من رد بأنه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء في هذا النحو لا سيما على رأي سيبويه فانه لا يجيز غيره

❁(الفصل الرابع في قسمه تعالى على تحقيق رسالته)❁

قال الله سبحانه وتعالى يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم الآية اعلم أن كل سورة بدأ الله فيها بحروف التهجي كان في أوائلها الذكر أو الكتاب أو القرآن الا نون ثم ان في ذكر هذه الحروف في أوائل السور أمورا تدل على أنها غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها الا ان كشف الله له سر ذلك ❁ واختلف المفسرون في معنى يس على أقوال أحدها انه يا انسان بلغة طيء وهذا قول ابن عباس والحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وقيل بلغة الحبشة وقيل بلغة كلب وحكى الكلبي أنها بالسريانية ❁ قال الامام فخر الدين وتقريره هو أن تصغير انسان أنيسين وكأنه حذف الصدر منه وأخذ العجز وقال يس وعلى هذا فيكون الخطاب مع محمد صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله تعالى انك لمن المرسلين وتعقبه أبو حيان بأن الذي نقل عن العرب في تصغير انسان أنيسان بياء بعدها الف فدل على أن أصله انسيان لان التصغير يرد الاشياء الى أصولها ولا نعلم انهم قالوا في تصغيره أنيسين وعلى تقدير أنه يصغر كذلك فلا يجوز ذلك الا أن يبنى على الضم لانه منادى مقبل عليه ومع ذلك فلا يجوز لانه تحقير ويمتنع ذلك في حق النبوة انتهى ❁ قال السمين وهذا الاعتراض الاخير صحيح فقد نصوا على أن التصغير لا يدخل في الاسماء المعظمة شرعا ولذلك يحكى عن ابن قتيبة لما

قال

قال فى المهيمن انه مصغر من مؤمن والاصل مؤيمن فأبدلت الهمزة هاء قيل له هذا يقرب من الكفر فليتق الله قائله انتهى ❊ وقيل معنى يس يا محمد قاله ابن الحنفية والضحاك وقيل يا رجل قاله أبو العالية وقيل هو اسم من أسماء القرآن قاله قتادة وعن أبى بكر الوراق يا سيد البشر وعن جعفر الصادق أنه أراد يا سيد مخاطبة للنبى صلى الله عليه وسلم وفيه من تعظيمه وتمجيده مالا يخفى وعن طلحة عن ابن عباس انه قسم أقسم الله تعالى به وهو من أسمائه وعن كعب أقسم الله به قبل أن يخلق السموات والارض بألفى عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا فأقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى طريق مستقيم من ايمانه أى طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من أنبيائه بالرسالة فى كتابه الا له صلى الله عليه وسلم

❊(الفصل الخامس فى قسمه تعالى بمدة حياته صلى الله عليه وسلم وعصره وبلده)❊

قال الله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون العمر والعمر واحد ولكنه فى القسم يفتح لكثرة الاستعمال فاذا أقسموا قالوا لعمرك القسم قال النحويون ارتفع قوله لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى قسمى فحذف الخبر لان فى الكلام دليلا عليه وباب القسم يحذف منه الفعل نحو تالله لافعلن والمعنى أحلف بالله فتحذف أحلف لعلم المخاطب بأنك حالف قال الزجاج من قال لعمر الله كأنه حلف ببقاء الله ومن ثم قال المالكية والحنفية ينعقد بها اليمين لان بقاء الله من صفات ذاته وعن مالك لا يعجبنى الحلف بذلك وقال الامام الشافعى واسحاق لا يكون يمينا الا بالنية وعن أحمد كالمذهبين والراجح عنه كالشافعى ❊ واختلف فيمن المخاطب فى الآية على قولين أحدهما أن الملائكة قالت للوط عليه الصلاة والسلام لما وعظ قومه وقال هؤلاء بناتى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون أى يتحيرون فكيف يعقلون قولك ويلتفتون الى نصيحتك والثانى أن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه تعالى أقسم بحياته وفى هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض ❊ قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال الله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون يقول وحياتك وعمرك وبقائك فى الدنيا انهم لفى سكرتهم يعمهون رواه ابن جرير ومراده بقوله وما سمعت الله سمعت كلامه المتلو فى الكتب المنزلة ورواه البغوى فى تفسيره بلفظ وما أقسم الله بحياة أحد الا بحياته وما أقسم بحيات

أحد غيره وذلك يدل على انه أكرم خلق الله على الله وعلى هذا فيكون قسمه تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما معترضا في قصة لوط قال القرطبي واذا أقسم الله تعالى بحياة نبيه فانما أراد بيان التصريح لنا أنه يجوز لنا أن نحلف بحياته ※ وقد قال الامام أحمد فيمن أقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم ينعقد به يمينه وتجب الكفارة بالحنث واحتج بكونه صلى الله عليه وسلم أحد ركني الشهادة وقال ابن خويزمنداد واستدل من جوز الحلف به صلى الله عليه وسلم بأن ايمان المسلمين جرت من عهده صلى الله عليه وسلم أن يحلفوا به صلى الله عليه وسلم حتى ان أهل المدينة الى يومنا هذا اذا خاصم أحدهم صاحبه قال له احلف لى بحق ما حواه صاحب هذا القبر أو بحق ساكن هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد الآية أقسم تعالى بالبلد الامين وهي مكة أم القرى وهو بلده عليه الصلاة والسلام وقيده بحلوله عليه الصلاة والسلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بأن شرف المكان بشرف أهله قاله البيضاوى ※ ثم أقسم بالوالد وما ولد وهو قيل ابراهيم واسماعيل وما ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فتضمن السورة القسم به في موضعين وقيل المراد به آدم وذريته وهو قول الجمهور من المفسرين وانما أقسم تعالى بهم لانهم أعجب خلق الله على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق واستخراج العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وكل ما في الارض من مخلوق خلق لاجلهم وعلى هذا فقد تضمن القسم أصل المكان وأصل السكان فمرجع البلاد الى مكة ومرجع العباد الى آدم ※ وقوله وأنت حل هو من الحلول ضد الظعن فيتضمن أقسامه تعالى ببلده المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع واشتمل على خير العباد فقد جعل الله تعالى بيته هدى للناس ونبيه اماما وهاديا لهم وذلك من أعظم نعمه واحسانه الى خلقه ※ وقيل المعنى وأنت مستحل قتالك واخراجك من هذا البلد الامين الذي يأمن فيه الطير والوحش وقد استحل فيه قومك حرمتك وهذا مروى عن شرحبيل بن سعد وعن قتادة وأنت حل أى لست بآثم وحلال لك أن تقتل بمكة من شئت وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة وأهلها وما فتحت على أحد قبله فأحل ما شاء وحرم ما شاء فقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة وغيره وحرم دار أبي سفيان فان قلت هذه السورة مكية وأنت حل بهذا البلد اخبار عن الحال والواقعة التي ذكرت في آخر مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين أجيب بأنه قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبل كقوله انك ميت وانهم ميتون وعلى كل حال فهذا متضمن للقسم

ببلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ما فيه من زيادة التعظيم وقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان أقسم بحياتك دون سائر الانبياء ولقد بلغ من فضيلتك ان أقسم بتراب قدميك فقال لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ✽ وقال تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر اختلف في تفسير العصر على أقوال فقيل هو الدهر لانه مشتمل على الاعاجيب لانه يحصل فيه السرّاء والضراء والصحة والسقم وغير ذلك وقيل ذكر العصر الذى بمضيه ينقضي عمرك فاذا لم يكن في مقابلته كسب صار ذلك عين الخسران ولله در القائل

اذا نفرح بالايام نقطعها ✽ وكل يوم مضى نقص من الاجل

✽ وفي تفسير الامام فخر الدين والبيضاوى وغيرهما انه أقسم بزمان الرسول صلى الله عليه وسلم قال الامام الرازى واحتجوا له بقوله صلى الله عليه وسلم انما مثلكم ومثل من كان قبلكم مثل رجل استأجر أجرا فقال من يعمل لي من الفجر الى الظهر بقيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل لي من الظهر الى العصر بقيراط فعملت النصارى ثم قال من يعمل لي من العصر الى المغرب بقيراطين فعملتم فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل أجرا فقال الله تعالى وهل نقصت من أجركم شيأ قالوا لا قال فذلك فضلي أوتيه من أشاء فكنتم أقل عملا وأكثر أجرا رواه البخارى قالوا فهذا الحديث دل على أنّ العصر هو عصره صلى الله عليه وسلم الذى هو فيه فيكون على هذا أقسم تعالى بزمانه في هذه الآية وبمكانه في قوله وأنت حل بهذا البلد وبعمره في قوله لعمرك فكأنه قال وعصرك وبلدك وعمرك وذلك كله كالظرف له فاذا وجب تعظيم الظرف فكيف حال المظروف قال ووجه القسم كأنه تعالى قال ما أعظم خسرانهم اذا أعرضوا عنك انتهى

✽ (النوع السادس في وصفه تعالى له عليه الصلاة والسلام بالنور والسراج المنير) ✽

اعلم أنّ الله تعالى قد وصف رسوله صلى الله عليه وسلم بالنور في قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقيل المراد القرآن ووصفه عليه الصلاة والسلام أيضا بالسراج المنير في قوله تعالى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا والمراد كونه هاديا مبينا كالسراج الذى يرى الطريق ويبين الهدى والرشد فبيانه أقوى وأتم وأنفع من نور الشمس واذا كان كذلك وجب أن تكون نفسه القدسية أعظم في النورانية من الشمس وكما أنّ الشمس في عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فكذا نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد

الانوار العقلية لسائر الانفس البشرية ولذلك وصف الله الشمس بأنها سراج حيث قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وكما وصف الله رسوله بأنه نور ووصف نفسه المقدسة بذلك فقال الله نور السموات والارض فليس فيهما نور الا الله ونوره القدسي هو سر الوجود والحياة والجمال والكمال وهو الذى أشرق على العالم فأشرق على العوالم الروحانية وهم الملائكة فصارت سرجا منيرة يستمد منها من هو دونها بجود الله تعالى ثم سرى النور الى عالم النفوس الانسانية ثم طرحته النفوس الى صفحات الجسوم فليس في الوجود الا نور الله السارى الى الشيء منه بقدر قبوله وسعة استعداده ورحب تلقيه والنور في الاصل كيفية يدركها الباصرة أولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين الشمس والقمر على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم أو بمعنى منور السموات والارض فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار وبالملائكة والانبياء من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لانهم يهتدون به في الامور ويؤيد هذا القول قراءة على بن أبى طالب وزيد ابن على وغيرهما الله نور فعلا ماضيا والارض بالنصب وقوله مثل نوره أى مثل هداه سبحانه وتعالى وأضاف النور الى السموات والارض اما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له السموات والارض واما الارادة أهل السماء والارض وأنهم يستضيئون به ❊ وعن مقاتل أى مثل الايمان في قلب محمد كمشكاة فيها مصباح فالمشكاة نظير صدر عبد الله والزجاجة نظير جسد محمد صلى الله عليه وسلم والمصباح نظير الايمان والنبوة في قلب محمد صلى الله عليه وسلم ❊ وعن غيره المشكاة نظير ابراهيم والزجاجة نظير اسماعيل عليهما الصلاة والسلام والمصباح جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة ❊ وعن أبى سعيد الخراز المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذى جعله الله في قلب محمد صلى الله عليه وسلم ❊ وعن كعب وابن جبير النور الثانى هنا محمد صلى الله عليه وسلم ❊ وعن سهل بن عبد الله مثل نور محمد اذ كان مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا وكذا وأراد بالمصباح قلبه وبالزجاجة صدره أى كأنه كوكب درى لما فيه من الايمان والحكمة توقد من شجرة مباركة أى من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله يكاد زيتها يضيء أى تكاد نبوة محمد تبين للناس قبل كلامه حكى هذا القول الاخير القاضى أبو الفضل اليحصبى والفخر الرازى لكنه عن كعب الاحبار ❊ وعن الضحاك يكاد محمد يتكلم بالحكمة

قبل

قبل الوحى قال عبد الله بن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مبينة ❊ كانت بديهته تنبيك بالخبر

لكن التفسير الاول فى هذه الآية هو المختار لانه تعالى ذكر قبل هذه الآية ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات فاذا كان المراد بقوله مثل نوره أى مثل هداه كان ذلك مطابقا لما قبله

❊(النوع السابع فى آيات تتضمن وجوب طاعته واتباع سنته)❊

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال الله تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ❊ قال القاضى عياض فجعل طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب وأوعد على مخالفته بسوء العقاب وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله يعنى من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق أحكام الله فهو فى الحقيقة ما أطاع الا الله وذلك فى الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا فان من أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق فان أحدا من الخلق لا يقدر على ارشاده وهذه الآية من أقوى الادلة على ان الرسول معصوم فى جميع الاوامر والنواهى وفى كل ما بلغه عن الله لانه لو أخطأ فى شئ منها لم تكن طاعته طاعة الله تعالى وأيضا وجب أن يكون معصوما فى جميع أفعاله لانه تعالى أمر بمتابعته فى قوله واتبعوه والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير فثبت ان الانقياد له فى جميع أقواله وأفعاله الا ما خصه الدليل طاعة له وانقياد لحكم الله تعالى قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الآية وهذا عام فى المطيعين لله من أصحاب الرسول ومن بعدهم وعام فى المعية فى هذه الدار وان فاتت فيها معية الابدان وقد ذكروا فى سبب نزول هذه الآية أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن فى وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله مابى وجع غير انى اذا لم أرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك فذكرت الآخرة بحيث لا أراك هناك لانى اذا دخلت الجنة فأنت تكون فى درجات النبيين وان أنا لم أدخل الجنة فحينئذ لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية ❊ وذكر ابن أبى حاتم عن أبى الضحى عن مسروق قال أصحاب محمد يا رسول الله ما ينبغى لنا أن نفارقك فانك لو قد مت

لزعت فوقنا ولم يرك فأنزل الله الآية * وذكر عن عكرمة مرسلا قال أتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك فانك في الجنة في الدرجات العلى فأنزل الله هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت معي في الجنة * وذكر أيضا فيها روايات أخرى ستأتي ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام لكن قال المحققون لا تنكر صحة هذه الروايات الا أن سبب نزول هذه الآية يجب أن يكون شيأ أعظم من ذلك وهو الحث على الطاعة والترغيب فيها وانا نعلم أن خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ فهذه الآية عامة في حق جميع المكلفين وهو أن كل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية في المراتب الشريفة عنده تعالى * ثم ان ظاهر قوله تعالى ومن يطع الله والرسول أنه يكفي الاكتفاء بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال على الصفة يكفي في جانب الثبوت حصول ذلك المسمى مرة واحدة لكن لا بد أن يحمل على غير ظاهره وأن تحمل الطاعة على فعل جميع المأمورات وترك جميع المنهيات اذ لو حملناه على الطاعة الواحدة لدخل فيه الفساق والكفار لانهم قد يأتون بالطاعة الواحدة * قال الرازي قد ثبت في أصول الفقه أن الحكم المذكور عقب الصفة مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف واذا ثبت هذا فنقول قوله من يطع الله أي في كونه الها وطاعة الله في كونه الها معرفته والاقرار بجلالته وعزته وكبريائه وصمديته فصارت هذه الآية تنبيها على أمرين عظيمين من أحوال المعاد فالاول أن منشأ جميع السعادات يوم القيامة اشراق الروح بأنوار معرفة الله فكل من كانت هذه الامور في قلبه أكثر وصفاؤها أقوى كان الى السعادة أقرب والى الفوز بالنجاة أوصل والثاني أن الله تعالى ذكر في الآية السابقة وعد أهل الطاعة بالأجر العظيم والثواب الجسيم ثم ذكر في هذه الآية وعدهم بكونهم مع النبيين والصديقين وليس المراد بكون من أطاع الله وأطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه المعية * وقد ثبت وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال المرء مع من أحب * وثبت عنه أيضا أنه قال ان بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا نزلتم منزلا الا وهم معكم حبسهم العذر فالمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالسير بالروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا

كان النجاشي معه صلى الله عليه وسلم ومن أقرب الناس اليه وهو بين الصحارى بأرض الحبشة وعبد الله بن أبي من أبعد الخلق عنه وهو معه في المسجد وذلك أن العبد اذا أراد قلبه أمرا من طاعة أو معصية أو شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه فالارواح تكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم * وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وهذه الآية الشريفة تسمى آية المحبة * قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فأنزل الله آية المحبة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني وقال تعالى يحببكم الله اشارة الى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها وثمرتها محبة المرسل لكم فما لم تحصل المتابعة فلا محبة لكم حاصلة ومحبته لكم منتفية فجعل سبحانه اتباع رسوله عليه الصلاة والسلام مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون وجود تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء المتابعة لرسوله وانتفاء المتابعة ملزوم لانتفاء محبة الله لهم فيستحيل حينئذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم بدون المتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم فدل على ان متابعة الرسول هي حب الله ورسوله وطاعة أمره ولا يكفي ذلك في العبودية حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما فلا يكون شيء أحب اليه من الله ورسوله ومتى كان شيء عنده أحب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه ألبتة ولا يهديه الله قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله أو مرضات أحد منهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه أو معاملة أحد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان قال بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه انتهى ملخصا من كتاب مدارج السالكين وسيأتي مزيد لذلك ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام * وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون أي الى الصراط المستقيم فجعل رجاء الاهتداء أثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على أن من صدقه

ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة فكل ما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام يجب علينا اتباعه الا ما خصه الدليل وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا يعني القرآن فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين على كل أحد لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه * قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا أي ومن لم يؤمن بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا أعتدنا للكافرين سعيرا * وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية معناه فوربك كقوله فوربك لنسألنهم أجمعين ولا مزيدة لتأكيد لمعنى القسم كما في لئلا يعلم ولا يؤمنون جواب أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول في جميع أموره ويرضى بجميع ما حكم به وينقاد له ظاهرا وباطنا سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها كما ورد في الحديث والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وهذا يدل على ان من لم يرض بحكم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا وعلى انه لابد من حصول الرضى بحكمه في القلب وذلك بأن يحصل الجزم واليقين في القلب بأن الذي يحكم به عليه الصلاة والسلام هو الحق والصدق فلابد من الانقياد باطنا وظاهرا وسيأتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام ثم ان ظاهر هذه الآية يدل على أنه لا يجوز تخصيص النص بالقياس لانه يدل على أنه يجب متابعة قوله وحكمه وأنه لا يجوز العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت مشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس يقتضي ضد مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فبين تعالى انه لا يكمل ايمانه الا بعد أن لا يلتفت الى ذلك الحرج ويسلم الى النص تسليما كليا قاله الامام فخر الدين وجوز غيره تخصيص الكتاب والسنة بالقياس وبه صرح العلامة التاج ابن السبكي في جمع الجوامع

(النوع الثامن فيما يتضمن الادب معه صلى الله عليه وسلم)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فمن الادب أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا اذن ولا تصرف حتى يأمره وينهى ويأذن كما أمر الله تعالى بذلك في هذه الآية وهذا باق الى يوم القيامة لم ينسخ فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته لا فرق بينهما عند ذي عقل سليم * قال مجاهد لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله تعالى على لسانه * وقال الضحاك لا تقضوا أمرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم

* وقال غيره لا تأمروا حتى يأمر ولا تنهوا حتى ينهى وانظر أدب الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة اذ تقدم بين يديه كيف تأخر وقال ما كان لابن أبي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أورثه مقامه والامامة بعده فكان ذلك التأخر الى خلفه وقد أومىء اليه أن اثبت مكانك سعيا الى قدام بكل خطوة الى وراء مراحل الى قدام تنقطع فيها أعناق المطي * ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات فوق صوته كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض قال الرازي أفاد أنه لا يتكلم المؤمن عنده صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده لان العبد داخل في قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض لانه للعموم فلا ينبغي أن يجهر المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد لاسيد والا كان قد جهر كما يجهر بعضكم لبعض قال ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم والسيد ليس أولى عند عبده من نفسه حتى لو كانا في مخمصة ووجد العبد ما لو لم يأكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل للنبي صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد أن بموته ينجو سيده لا يلزمه أن يلقي نفسه في الهلكة لانجاء سيده ويجب لانجاء النبي صلى الله عليه وسلم فكما أن العضو الرئيس أولى بالرعاية من غيره لان عند خلل القلب مثلا لا يبقى لليدين والرجلين استقامة فلو حفظ الانسان نفسه وترك النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو أيضا بخلاف العبد والسيد انتهى واذا كان رفع الاصوات فوق صوته موجبا لحبوط الاعمال فما الظن برفع الآراء ونتائج الافكار على سنته وما جاء به * واعلم أن في الرفع والجهر استخفافا قد يؤدي الى الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وروى أن أبا بكر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا أكلمك الا كأخي السرار وأن عمر رضي الله عنه كان اذا حدثه حدثه كأخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى يستفهمه * وقد روى أن أبا جعفر أمير المؤمنين ناظر مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل أدب قوما فقال لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ومدح قوما فقال ان الذين يغضون أصواتهم الآية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها أبو جعفر * ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا تجعل دعاءه كدعاء بعضنا بعضا وفيه قولان للمفسرين أحدهما انكم لا تدعونه

باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير والتواضع فعلى
هذا المصدر مضاف الى المفعول أى دعاءكم الرسول والثاني ان المعنى لا تجعلوا دعاءه
لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضا ان شاء أجاب وان شاء ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم
بد من اجابته ولا يسعكم التخلف عنها ألبتة فان المبادرة الى اجابته واجبة
والمراجعة بغير اذنه محرمة فعلى هذا المصدر مضاف الى الفاعل أى دعاءه اياكم وقد
تقدم في الخصائص من المقصد الرابع عن مذهب الشافعي ان الصلاة لا تبطل
باجابته صلى الله عليه وسلم * ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا
معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط لم يذهب أحد مذهبا في حاجة له حتى
يستأذنه كما قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر
جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه فاذا كان هذا مذهبا مقيدا لحاجة عارضة لم يوسع لهم
فيه الا باذنه فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين أصوله وفروعه دقيقه وجليله
هل يشرع الذهاب اليه بدون استئذانه فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
* ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انه لا يستشكل قوله بل تستشكل الاراء
بقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقى لنصوصه ولا يحرف كلامه عن
حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول
ولا يتوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد فكل هذا من قلة الادب معه وهو من
الجرأة عليه صلى الله عليه وسلم * ومن الأدب معه صلى الله عليه وسلم كمال
التسليم له والانقياد لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة
خيال باطل يسميه معقولا أو يسميه شبهة أو شكا أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات
أذهانهم فيوحد التحكيم والتسليم والانقياد والاذعان كما وحد المرسل بالعبادة
والخضوع والذل والانابة والتوكل فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله الا بهما
توحيد المرسل وتوحيد متابعة الرسول فلا يتحاكم الى غيره ولا يرضى بحكم غيره
انتهى ملخصا من المدارج والقرآن مملوء بالآيات المرشدة الى الأدب معه صلى الله
عليه وسلم فلتراجع

* (النوع التاسع في آيات تتضمن رده تعالى بنفسه المقدسة على عدوه صلى الله
عليه وسلم ترفيعا لشأنه) *

قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون لما قال المشركون
يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون أجاب تعالى عنه عدوه بنفسه من غير
واسطة وهكذا سنة الاحباب فان الحبيب اذا سمع من يسب حبيبه تولى بنفسه

منتصرا له

منتصرا له جوابه فهنا تولى الحق سبحانه وتعالى جوابهم بنفسه منتصرا له لان نصرته تعالى له أتم من نصرته وأرفع لمنزلته ورده أبلغ من رده وأثبت في ديوان مجده فأقسم تعالى بما أقسم به من عظيم آياته على تنزيه رسوله وحبيبه وخليله مما غمصته اعداؤه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون وسلم أعداؤه المكذبون له أنهم المفتون هو أوهم وقد علم أواهم والعقلاء ذلك في الدنيا ويزداد علمهم به في البرزخ وينكشف ويظهر كل الظهور في الآخرة بحيث يتساوى الخلق كلهم في العلم به وقال تعالى وما صاحبكم بمجنون ولما رأى العاصي ابن وائل السهمي النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش جلوس الى المسجد فلما دخل العاصي قالوا من ذا الذي كنت تحدث معه قال ذلك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد توفي ابن الرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة فرد الله تعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الابتر أي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير ولما قالوا افترى على الله كذبا قال تعالى بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد ولما قالوا لست مرسلا أجاب الله تعالى عنه فقال يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين ولما قالوا أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون رد الله تعالى عليهم فقال بل جاء بالحق وصدق المرسلين فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه فقال انكم لذائقوا العذاب الاليم ولما قالوا أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون رد الله تعالى عليهم بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين ولما حكى الله عنهم قولهم ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاؤا ظلما وزورا وقال قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض ❁ ولما قالوا يلقيه اليه شيطان قال الله تعالى وما تنزلت به الشياطين الآية ❁ ولما تلي عليهم نبأ الاولين قال النضر بن الحارث لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين قال الله تعالى تكذيبا لهم قل لئن اجتمعت الجن والانس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ❁ ولما قال الوليد بن المغيرة ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر قال الله تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون تسلية له عليه الصلاة والسلام ❁ ولما قالوا محمد قلاه ربه فرد الله تعالى عليهم بقوله ما ودعك ربك وما قلى ❁ ولما قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق قال الله تعالى وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق ❁ ولما حسدته أعداء الله اليهود على كثرة النكاح

والزوجات وقالوا ما همته الا النكاح ردّ الله تعالى عليهم عن رسوله ونافح عنه فقال أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * ولما استبعدوا أن يبعث الله رسولا من البشر بقولهم الذى حكى الله تعالى عنهم وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا وجهلوا أن التجانس يورث التؤانس وأن التخالف يورث التباين قال الله تعالى قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أى لو كانوا ملائكة لوجب أن يكون رسولهم من الملائكة لكن لما كان أهل الارض من البشر وجب أن يكون رسولهم من البشر فيا أجل هذه الكرامة وقد كانت الانبياء انما يدافعون عن أنفسهم ويردون على أعدائهم كقول نوح عليه الصلاة والسلام ياقوم ليس بى ضلالة وقول هود ليس بى سفاهة وأشباه ذلك

(النوع العاشر فى ازالة الشبهات عن آيات وردت فى حقه عليه الصلاة والسلام مشكلات متشابهات)

قال الله تعالى ووجدك ضالا فهدى اعلم أنه قد اتفق العلماء على أنه صلى الله عليه وسلم ما ضل لحظة واحدة قط وهل هو جائز عقلا على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جائز عقلا لما فيه من التنفير وعند أصحابنا أنه جائز فى العقول ثم يكرم الله من أراد بالنبوة الا أن الدليل السمعى قام على ان هذا الجائز لم يقع لنبى قال الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى قاله الامام فخر الدين وقال الامام أبو الفضل اليحصبى فى الشفاء والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك فى شىء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والايمان بل على أسرار اشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة ولم ينقل أحد من أهل الاخبار ان أحدا نبىء واصطفى ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل ثم قال وقد استبان لك مما قررناه ماهو الحق من عصمته صلى الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته وكونه على حالة تنافى العلم بشىء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها سمعا ونقلا ولا بشىء مما قرره من امور الشرع وأداه عن ربه من الوحى قطعا عقلا وشرعا وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصدا وغير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر

تحقيقا

تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة والشهوة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته من رضاء وغضب وجد ومزح مايجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين فان من يجهل مايجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو يجوز أو يستحيل عليه ولا يعرف صور أحكامه لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هو عليه ولا ينزهه عما لا يجوز أن يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل صاحبه دار البوار * وقد استدل بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال أفعالهم واتباع آثارهم وسيرتهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة في غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك ولو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في أفعالهم اذ ليس كل فعل من أفعاله يتميز مقصده من القربة والاباحة والحظر والمعصية انتهى واختلف في تفسير هذه الآية على وجوه كثيرة أحدها وجدك ضالا عن معالم النبوة وهو مروي عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب ويؤيده قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان أي ما كنت تدري قبل الوحي أن تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان قاله السمرقندي وقال بكر القاضي ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام فقد كان عليه الصلاة والسلام قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف ايمانا وسيأتي آخر هذا النوع مزيد لذلك ان شاء الله تعالى * الثاني من معنى قوله تعالى ضالا ما روي مرفوعا مما ذكره الامام فخر الدين أنه عليه الصلاة والسلام قال ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي حتى كاد الجوع يقتلني فهداني الله * الثالث يقال ضل الماء في اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الآية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله حتى أظهرت دينه * الرابع أن العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة ضالة كأنه تعالى يقول كانت تلك البلاد كالمفازة ليس فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا أنت فأنت شجرة فريدة في مفازة الجهل * الخامس قد يخاطب السيد والمراد قومه أي وجد قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك * السادس أي محبا لمعرفتي وهو مروي عن ابن عطاء والضال المحب كما قال تعالى انك لفي ضلالك القديم أي محبتك القديمة ولم يريدوا ههنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا * السابع أي وجدك ناسيا فذكرك وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب أن يقال بسبب الهيبة فهداه تعالى الى كيفية الثناء حتى قال لا أحصي ثناء عليك * الثامن أي وجدك

بين أهل ضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم * التاسع أى وجدك متحيرا فى بيان ما أنزل اليك فهداك لبيانه كقوله وأنزلنا اليك الذكر وهذا مروى عن الجنيد * العاشر عن على أنه صلى الله عليه وسلم قال ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بينى و بين ما أريد ثم ما هممت بعدهما بشىء حتى أكرمنى الله برسالته قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى بأعلا مكة لو حفظت لى غنمى حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت حتى أتيت أول دار من دور اهل مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير فجلست أنظر اليهم وضرب الله على أذنى فنمت فما أيقظنى الا مس الشمس ثم قلت أخرى مثل ذلك فضرب الله على أذنى فما أيقظنى الا مس الشمس ثم ما هممت بعدهما بسوء حتى أكرمنى الله بالرسالة * وأما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك فقد احتج بها جماعة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين المجوزين للصغائر على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين و بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها أفضت بهم كما قال القاضى عياض الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكلما احتجوا به منها مما اختلف المفسرون فى معناه وتقابلت الاحتمالات فى مقتضاه وجاءت الاقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الدلالة على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح انتهى * وقد اختلف فى هذه الآية فقال أهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا أثقله الحمل سمع له نقيض أى صوت كصوت الحامل والرحال وهذا مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقداره وقيل المراد منه تخفيف أعباء النبوة التى يثقل الظهر القيام بأمرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله ذلك عليه وحط عنه ثقلها بأن يسرها عليه حتى تيسرت له وقيل الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم لسنة الخليل عليه الصلاة والسلام وكان لا يقدر على منعهم الى أن قواه الله تعالى وقال له اتبع ملة ابراهيم وقيل معناه عصمناك من الوزر الذى أنقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلا فسمى الله العصمة وضعا مجازا ومن ذلك ما فى الحديث أنه عليه الصلاة والسلام حضر وليمة فيها دفوف ومزامير قبل البعثة فضرب الله على أذنه فما أيقظه الا حر الشمس من الغد وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شرعتك حتى شرعنا لك ذلك وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى أنقض أى كاد ينقضه فقال القاضى فيكون المعنى على من جعل

ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها أوزارا وثقلت عليه واشفق منها وقيل أنها ذنوب أمته صارت كالوزر عليه فأمنه الله تعالى من عذابهم في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ووعده الشفاعة في الآجل * وأما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ابن عباس أى انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان وقال بعضهم أراد غفران ما وقع وما لم يقع أى انك مغفور لك وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم لابيك آدم وما تأخر من ذنوب أمتك حكاه السمرقندى والسلمى عن ابن عطاء وقيل المراد أمته وقيل المراد بالذنب ترك الاولى كما قيل حسنات الابرار سيآت المقربين وترك الاولى ليس بذنب لان الاولى وما يقابله مشتركان في اباحة الفعل وقال السبكى قد تأملتها يعنى الآية مع ما قبلها وما بعدها فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم من غير أن يكون هناك ذنب ولكنه أريد أن يستوعب في الآية جميع أنواع النعم من الله على عباده الاخروية وجميع النعم الاخروية شيآن سلبية وهى غفران الذنوب وثبوتية وهى لا تتناهى أشار اليها بقوله ويتم نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيآن دينية وأشار اليها بقوله ويهديك صراطا مستقيما ودنيوية وهى قوله وينصرك الله نصرا عزيزا فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم باتمام أنواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة في غيره ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين الذى عظمه وفخمه باسناده اليه بنون العظمة وجعله خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله لك وقد سبق الى نحو هذا ابن عطية فقال وانما المعنى التشريف بهذا الحكم ولم تكن ذنوب البتة ثم قال وعلى تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب أنه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم وكيف يتخيل خلاف ذلك وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى وأما الفعل فاجماع الصحابة على اتباعه والتأسى به في كل ما يفعله من قليل أو كثير أو صغير أو كبير لم يكن عندهم في ذلك توقف ولا بحث حتى أعماله في السر والخلوة يحرصون على العمل بها وعلى اتباعها علم بهم أو لم يعلم ومن تأمل أحوال الصحابة معه صلى الله عليه وسلم استحيى من الله أن يخطر بباله خلاف ذلك انتهى * وأما قوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فلا مرية أنه صلى الله عليه وسلم أتقى الخلق والامر بالشيء لا يكون الا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به اذ لا يصلح أن يقال للجالس اجلس ولا للساكت اسكت ولا يجوز عليه أن لا يبلغ ولا أن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك

ولا أن يطيع الكافرين والمنافقين حاشاه الله من ذلك وانما أمره الله تعالى بتقوى توجب استدامة الحضور وأجاب بعضهم عن هذا أيضا بأنه صلى الله عليه وسلم كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله عليه الصلاة والسلام فيما مضى بالنسبة الى ما هو فيه ترك للافضل فكان له فى كل ساعة تقوى تجدد وقيل المراد دم على التقوى فانه يصح أن يقال للجالس اجلس ههنا الى ان آتيك وللساكت قد أصبت فاسكت تسلم أى دم على ما أنت عليه وقيل الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد أمته ويدل عليه قوله تعالى ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما تعمل ❊ وأما قوله تعالى فلا تطع المكذبين فاعلم أنه تعالى لما ذكر ما عليه الكفار فى أمره صلى الله عليه وسلم ونسبته الى ما نسبوه اليه مع ما أنعم الله به عليه من الكمال فى أمر الدين والخلق العظيم أتبعه بما يقوى قلبه ويدعوه الى التشديد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فان هذه السورة من أوائل ما نزل فقال ولا تطع المكذبين والمراد رؤساء الكفار من أهل مكة وذلك انهم دعوه الى دينهم فنهاه الله أن يطيعهم وهذا من الله تهييج للتشديد فى مخالفتهم ❊ وأما قوله تعالى فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الآية فاعلم أن المفسرين اختلفوا فيمن المخاطب بهذا فقال قوم المخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم وقال آخرون المخاطب به غيره فأما من قال بالاول فاختلفوا على وجوه الاول أن الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الظاهر والمراد غيره كقوله تعالى يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وكقوله لئن أشركت ليحبطن عملك وكقوله لعيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له أمير وكان تحت راية ذلك الامير جمع فاذا أراد أن يأمر الرعية بأمر مخصوص فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه الى ذلك الامير ليكون ذلك أقوى تأثيرا فى قلوبهم ❊ الثانى قال الفراء علم الله تعالى أن رسوله صلى الله عليه وسلم غير شاك ولكن هذا كما يقول الرجل لولده ان كنت ابنى فبرنى ولعبده ان كنت عبدى فأطعنى ❊ الثالث أنه يقال لضيق الصدر شاك يقول ان ضقت ذرعا بما تعانى من تعنتهم وأذاهم فاصبر واسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك كيف صبر الانبياء على أذى قومهم وكيف كان عاقبة أمرهم من النصر فالمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما فى الكتب المتقدمة وأن القرآن مصدق لما فيه أو تهييج الرسول عليه الصلاة والسلام وزيادة تثبيته أو يكون على سبيل الفرض والتقدير لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال صلى الله عليه وسلم

لما نزلت هذه الآية والله لا أشك ولا اسئل وأمّا الوجه الثاني وهو أن المخاطب غيره صلى الله عليه وسلم فتقريره أن الناس كانوا في زمانه عليه الصلاة والسلام فرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون له والمتوقفون في أمره الشاكون فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال فان كنت في شك أيها الانسان مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان نبينا صلى الله عليه وسلم فاسئل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوّته وهذا مثل قوله تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم ويا أيها الانسان انك كادح واذا مس الانسان ضر فان المراد بالانسان هنا الجنس لا انسان بعينه فكذا هنا ولما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من ان يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ❁ وأمّا قوله تعالى فالذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين أي في انهم لا يعلمون ذلك أو يكون المراد قل لمن امترى يا محمد لا تكونن من الممترين وأنه صلى الله عليه وسلم يخاطب غيره وقيل غير ذلك ❁ وأمّا قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين فقال القاضي عياض لا يلتفت الى قول من قال لا تكونن ممن يجهل أن الله تعالى لو شاء لجمعهم على الهدى اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفاته تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا في أمورهم بسمات الجاهلين وليس في الآية دليل على كونه على تلك الصفة التي نهاه الله عن الكون عليها فأمره صلى الله عليه وسلم بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يخرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه أبو بكر ابن فورك وقيل معنى الخطاب لامته عليه الصلاة والسلام أي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه أبو محمد مكي قال ومثله في القرآن كثير وكذلك قوله تعالى وان تطع أكثر من في الارض فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا وقوله تعالى ان يشأ الله يختم على قلبك ولئن أشركت ليحبطنّ عملك وما أشبه ذلك فالمراد غيره وان هذه حال من أشرك والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا والله تعالى ينهاه عما يشاء ويأمره بما يريد كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية وما طردهم عليه الصلاة والسلام وما كان من الظالمين ❁ وأمّا قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط فلم تعلمها الا بوحينا ❁ وأمّا قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية فمعناه يستخفنك غضب يحملك

على ترك الاعراض عنهم والنزغ أدنى حركة تكون كما قال الزجاج فأمره تعالى أنه متى تحرك عليه غضب على عدوه أورام الشيطان من اغرائه به وخواطر أدنى وساوسه مالم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ به تعالى منه فيكفى أمره ويكون سبب تمام عصمته اذلم يسلط عليه بأكثر من التعرض له ولم يجعل له عليه قدرة ولذا لا يصح أن يتصور له الشيطان فى صورة الملك ويلبس عليه لا فى أول الرسالة ولا بعدها بل لا يشك النبى ان ما يأتيه من الله هو الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضرورى يخلقه الله له أو ببرهان يظهر له به كما قدمته فى المقصد الاول عند البعثة لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته ❁ وأما قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى امنيته الآية فأحسن ما قيل فيها ما عليه جمهور المفسرين ان التمنى المراد به هنا التلاوة والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر واذكار من أمور الدنيا للتالى حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه أو يدخل غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التأويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم آياته قاله القاضى عياض وقد تقدم فى المقصد الاول مزيد لذلك ❁ قال فى الشفاء وأما قوله عليه الصلاة والسلام حين نام عن الصلاة يوم الوادى ان هذا واديه شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين أمر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان أتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدى الصبى حتى نام فاعلم أن تسلط الشيطان فى ذلك الوادى انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واديه شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة وأما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادى وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به فى هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله قال أى القاضى ❁ وأما قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الآيات فليس فيها اثبات ذنب له عليه الصلاة والسلام بل اعلام الله له ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وأن الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين لاختار الاقبال على الاعمى وفعل النبى صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستئلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك أن لا يزكى أى ليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالاسلام أى لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم ان تعرض عمن أسلم بالاشتغال بدعوتهم ان عليك الا البلاغ وقد كان ابن أم مكتوم يستحق التأديب والزجر لانه وان فقد بصره

كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاولئك الكفار وكان يعرف بواسطة
استماع تلك الكلمات شدة اهتمامه عليه الصلاة والسلام بشأنهم فكان اقدامه
على قطع كلامه عليه الصلاة والسلام ايذاء له عليه الصلاة والسلام وذلك معصية
عظيمة فثبت ان فعل ابن أم مكتوم كان ذنبا ومعصية وان الذى فعله الرسول صلى
الله عليه وسلم كان هو الواجب المتعين وقد كان عليه الصلاة والسلام مأذونا له
فى تأديب أصحابه ولكن ابن أم مكتوم بسبب عماه استحق مزيد الرفق به * وأما قوله
تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية فروى ابن أبى حاتم عن مسعر عن عون قال
هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا أبدا بدأ بالعفو قبل المعاتبة وكذا قال مورق العجلى
وغيره * وقال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم أنزل التى فى سورة النور فرخص له
فى أن يأذن لهم ان شاء فقال تعالى فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت
منهم ففوض الامر الى رأيه عليه الصلاة والسلام * وقال عمرو بن ميمون اثنتان
اثنتان فعلهما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشىء اذنه للمنافقين وأخذه
الفداء من الاسرى فعاتبه الله كما تسمعون وأما قول بعضهم ان هذه الآية تدل على
أنه وقع من الرسول ذنب لانه تعالى قال عفا الله عنك لم أذنت لهم والعفو يستدعى
سالفة ذنب وقول الآخر لم أذنت لهم استفهام بمعنى الانكار فاعلم أنا لا نسلم
أن قوله تعالى عفا الله عنك يوجب ذنبا ولم لا يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله
تعالى فى توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل لغيره اذا كان عظيما عنده عفا الله عنك
ما صنعت فى أمرى ورضى الله عنك ما جوابك عن كلامى وعافاك الله الا عرفت
حقى فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا زيادة التبجيل والتعظيم وليس عفا هنا
بمعنى غفر بل كما قال صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط أى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيرى قال وانما يقول العفو لا يكون
الا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنبا
وأما الجواب عن الثانى فيقال اما أن يكون صدر من الرسول صلى الله عليه وسلم
ذنب أم لا فان قلنا لا امتنع على هذا التقدير أن يكون قوله لم أذنت لهم انكارا عليه
وان قلنا انه قد صدر عنه ذنب وحاشاه الله من ذلك فقوله عفا الله عنك يدل على
حصول العفو وبعد العفو يستحيل أن يتوجه الانكار عليه فثبت أنه على جميع
التقادير يمتنع أن يقال ان قوله لم أذنت لهم يدل على كون الرسول مذنبا وهذا
جواب كاف شاف قاطع وعند هذا يحمل قوله لم أذنت لهم على ترك الاولى والاكمل
بل لم يعد هذا أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال نفطويه ذهب ناس

الى ان النبي صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الآية وحاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا فلما أذن لهم أعلمه الله انه لو لم يأذن لهم لقعد والنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن * وأما قوله تعالى في أسارى بدر ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة الى قوله عظيم فروى مسلم في ايراده من حديث عمر بن الخطاب قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون وأسر سبعون استشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليا فقال أبو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني أرى ان تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد تباكيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على أصحابك من الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة فأنزل الله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى الى قوله عظيم وقوله حتى يثخن في الارض أي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي أهله وليس في هذا الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك قال عليه الصلاة والسلام أحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي * وأما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا فقيل المراد بالخطاب من أراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية أصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر أن يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل معناها لولا أنه سبق مني أن لا أعذب أحدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي أن يكون أمر الاسراء معصية وقيل لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به

الصنائع لعوقبتم على الغنائم وقيل لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم وهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما أحل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان عليه الصلاة والسلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي قال جاء جبريل عليه الصلاة والسلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على أن يقتل منهم في العام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما أذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى أضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين قال القاضي بكر ابن العلاء أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان تأويله وافق ما كتب له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله ابن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بأزيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الاسارى كان على تأويل وبصيرة على ما تقدم قبل ذلك مثله فلم ينكره الله عليه لكن الله تعالى أراد لعظم أمر بدر وكثرة أسراها والله تعالى اعلم اظهار نعمته وتأكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لا على وجه عتاب أو انكار أو تذنيب قاله القاضي عياض * وأما قوله تعالى ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية فالمعنى لولا ان ثبتناك لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم لكن أدركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب فضلا عن أن تركن اليهم وهو صريح في أنه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الدواعي اليها فالعصمة بتوفيق الله وحفظه ولو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أي ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير أخطر وقد أعاذه الله من الركون الى اعدائه بذرة من قلبه ومما يعزى للمعري مما يؤيد ذلك قوله

أنحوي هذا العصر ما هي لفظة * جرت في لساني جرهم وثمود
اذا استعملت في صورة الجحد أثبتت * وان اثبتت قامت مقام جحود

وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو فذبحوها وما كادوا يفعلون وقد فعلوا والثاني وهو الثبوت المنفي بنحو قوله تعالى لقد كدت تركن قالوا وهو صلى الله عليه وسلم لم يثبت قلبه ولم يركن * وأما قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه

باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فالمعنى لو افترى علينا بشيء من عند نفسه لاخذنا منه باليمين وقطعنا نياط قلبه وأهلكناه وقد أعاذه الله من التقول عليه فان قلت لا مرية انه يعفى للمحب ولصاحب المحاسن والاحسان العظيم ما لا يعفى لغيره ويسامح مما لا يسامح به غيره كما قال الشاعر

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

ولا شك ان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الحبيب الاعظم ذو المحاسن والاحسان الاكبر فما هذه العقوبة المضاعفة والتهديد الشديد الواردان وقع منه ما يكره وكم من راكن الى أعدائه ومتقول عليه من قبل نفسه لم يعبأ به كأرباب البدع ونحوهم فالجواب انه لا تنافي بين الامرين فان من كانت عليه نعمة الله واختصه منها بما لم يختص به غيره وأعطاه منها ما لم يعط غيره فحباه بالانعام وخصه بمزيد القرب والاكرام اقتضت حالته من حفظ مرتبته القرب والولاية والاختصاص أن تراعى مرتبته من أدنى مشوش وقاطع فلشدة الاعتناء به ومزيد تقريبه واتخاذه لنفسه واصطفائه على غيره تكون حقوق وليه وسيده عليه أتم ونعمه عليه أكمل فالمطلوب منه فوق المطلوب من غيره فهو اذا غفل أو أخل بمقتضى مرتبته نبه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح بما لم يسامح به ذلك البعيد أيضا فيجتمع في حقه الامران واذا أردت معرفة اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع شاهد بذلك فان الملك يسامح خاصته وأولياءه بما لا يسامح به من ليس في منزلتهم ويؤاخذهم بما لا يؤاخذ به غيرهم وأنت اذا كان لك عبدان أو ولدان أحدهما أحب اليك من الآخر وأقرب الى قلبك وأعز عليك عاملته بهذين الامرين واجتمع في حقه المعاملتان بحسب قربه منك وحبك له وعزته فاذا نظرت الى اكمال احسانك اليه واتمام نعمك عليه اقتضت معاملته بما لم تعامل به من هو دونه من التنبيه وعدم الاهمال واذا نظرت الى محبته لك وطاعته وخدمته وكمال عبوديته ونصحه وهبت له مساويه وعفوت عنه بما لا تفعله مع غيره فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه وقد ظهر اعتبار هذا المعنى في الشرع حيث جعل حد من أنعم عليه بالتزويج اذا تعداه الى الزنا الرجم وحد من لم يعطه هذه النعمة الجلد وكذلك ضاعف الحد على الحر الذي قد ملكه نفسه وأتم عليه نعمته ولم يجعله مملوكا لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم يجعل له هذه النعمة نصف ذلك فسبحان من بهرت حكمته في خلقه

فلله سر تحت كل لطيفة * فأخو البصائر غائص يتعقل

انتهى ملخصا * وأما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فقيل

معناه

معناه ما كنت تدرى الايمان على التفصيل الذى شرع لك فى القرآن وقال
أبو العالية هو بمعنى الدعوة الى الايمان لانه كان قبل الوحى لا يقدر أن يدعو
الى الايمان بالله تعالى وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين كان فى المهد
وقبل البلوغ حكاه الماوردى والواحدى والقشيرى وقيل انه من باب حذف
المضاف أى ما كنت تدرى أهل الايمان أى من الذى يؤمن أبو طالب أو العباس
أو غيرهما وقيل المراد به شرائع الايمان ومعالمه وهى كلها ايمان وقد سمى الله الصلاة
ايمانا بقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ
عاما والمراد الخصوص قاله ابن قتيبة وابن خزيمة وقد اشتهر فى الحديث انه صلى الله
عليه وسلم كان يوحد الله ويبغض الاوثان ويحج ويعتمر * وروى أبو نعيم وابن
عساكر عن على قال قيل للنبى صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قيل
فهل شربت خمرا قط قال لا ومازلت أعرف أن الذى هم عليه كفر وما كنت
أدرى ما الكتاب ولا الايمان * وعن عائشة كانت قريش ومن دان دينها
وهم الحمس يقفون بمزدلفة ويقولون نحن أهل الحرم رواه الشيخان وكان صلى الله
عليه وسلم فى الجاهلية يقف بعرفات دونهم توفيقا من الله تعالى رواه البيهقى
وأبو نعيم من حديث جبير بن مطعم * وقد ورد أن العرب لم يزالوا على بقايا من
دين اسماعيل كحج البيت والختان والغسل من الجنابة وكان عليه الصلاة والسلام
لا يقرب الاوثان ويعيبها ولا يعرف شرائع الله التى شرعها لعباده على لسانه فذلك
قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولم يرد الايمان الذى هو الاقرار
بالله لان آباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله ويحجون مع شركهم
والله أعلم

*(المقصد السابع فى وجوب محبته واتباع سنته والاهتداء بهديه وطريقته
وفرض محبة آله وأصحابه وقرابته وعترته وحكم الصلاة والتسليم عليه زاده
الله فضلا وشرفا لديه)*

وفيه ثلاثة فصول الاول فى وجوب محبته واتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته
صلى الله عليه وسلم اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هى المنزلة التى يتنافس
فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها تفانى
المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهى قوت القلوب وغذاء الارواح وقرة
العيون وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذى من فقده
فهو فى بحار الظلمات والشفاء الذى من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام

واللذة التى من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهى روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التى متى خلت منها فهى كالجسد الذى لا روح فيه تحمل أثقال السائرين الى بلد لم يكونوا الا بشق الانفس بالغيه وتوصلهم الى منازل لم يكونوا أبدا بدونها واصليها وتبوئهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولاهى داخليها وهى مطايا القوم التى سراهم فى ظهورها دائما الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذى يبلغهم الى منازلهم الاولى من قريب تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغه أن المرء مع من أحب فيا لها من نعمة على المحبين سابغه لقد سبق القوم السعادة وهم على ظهور الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم فى سيرهم واقفون

من لى بمثل سيرك المذلل * تمشى رويدا وتجىء فى الاول

أجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حى على الفلاح وبذلوا أنفسهم فى طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضا والسماح وواصلوا اليه المسير بالادلاج والغدو والرواح ولقد حمدوا عند وصولهم مسراهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح وقد اختلفوا فى تعريف المحبة وعباراتهم وان كثرت فليست فى الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال وانما هى اختلاف أحوال وأكثرها يرجع الى ثمرتها دون حقيقتها * وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التى لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه وهذا كقول صاحب مدارج السالكين تبعا لغيره المحبة لا تحد بحد أوضح منها فالحدود لا تزيدها الا خفاء وجفاء فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة وانما يتكلم الناس فى أسبابها وموجباتها وعلاماتها وشواهدها وثمراتها وأحكامها فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة وتنوعت بهم العبارات وكثرت الاشارات بحسب الادراك والمقام * وقد وضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة الحاء التى هى من أقصى الحلق والباء الشفهية التى هى نهايته فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداءها منه وانتهاءها اليه * وقد أعطوا الحب حركة الضم التى هى أشد الحركات وأقواها مطابقة لشدة حركة مسماه وقوتها وأعطوا الحب وهو المحبوب حركة الكسر لخفتها من الضمة وخفة المحبوب وذكره على قلوبهم وألسنتهم * فتأمل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة العجيبة بين الالفاظ والمعانى تطلعك على قدر

هذه اللغة وأن لها شأنا ليس لسائر اللغات وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب آثارها وشواهدها والكلام على ما يحتاج الى الكلام عليه منها * فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته واثبات المحب لذاته وهذا من أحكام الفناء في المحبة وهي ان تمحي صفات المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته وهذا يستدعي بيانا أتم من هذا لا يدركه الا من أفناه وارد المحبة عنه وأخذه منه ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبك وهو لابي يزيد وهو أيضا من أحكامها وموجباتها وشواهدها والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله واستحيى منه ولو ناله من محبوبه أيسر شيء لاستكثره واستعظمه ومنها استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول لكنه مخصوص بما من المحب ومنها معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وهو لسهل بن عبد الله وهو أيضا حكم المحبة وموجبها ومنها ان تهب كلك لمن أحببت فلا يبقى لك منك شيء وهو لسيدنا أبي عبد الله القرشي وهو أيضا من موجبات المحبة وأحكامها والمراد ان تهب ارادتك وعزماتك وأفعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها حبسا في مرضاته ومحابه ولا تأخذ منها لنفسك الا ما أعطاكه فتأخذه منه له ومنها أن تمحو من القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة يقتضي ذلك فانه مادامت في القلب بقية لغيره ومسكن لغيره فالمحبة مدخولة * ومنها ان تغار على المحبوب أن يحبه مثلك وهو للشبلي ومراده احتقارك لنفسك واستصغار أن يكون مثلك ممن يحبه ومنها غض طرف المحب عما سوى المحبوب غيرة وعن المحبوب هيبة وهذا يحتاج الى ايضاح اما الاول فظاهر وأما الثاني فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته كالمستحيل ولكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامات المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم * ومنها ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي يقول ذلك * ومنها سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف وأنشد بعضهم

فأسكر القوم دور الكاس بينهم * لكن سكري نشا من رؤية الساقي

* ومنها سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره على الدوام أما سفر القلب في طلبه فهو الشوق الى لقائه وأما لهج اللسان بذكره فلا ريب ان من أحب

شيأ أكثر من ذكره * ومنها الميل الى ما يوافق الانسان كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة وغير ذلك من الملاذ التى لا يخلو كل طبع سليم عن الميل اليها لموافقتها أو لاستلذاذه بادراكه بحاسته أو يكون حبه لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها كما رواه أبو نعيم فى الحلية وابو الشيخ وغيرهما فاذا كان الانسان يحب من منحه فى دنياه مرة أو مرتين معروفا فانيا منقطعا أو استنقذه من هلكة أو مضرة لا تدوم فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم مالا يفنى ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره على ما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبى الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق التكريم المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم * فقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان فهو السبب لبقاء مهجنا البقاء الابدى فى النعيم السرمدى فأى احسان أجل قدرا وأعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة وحياته لاحد بعد الله كما له علينا ولا فضل لبشر كفضله لديا فكيف ننهض ببعض شكره أو نقوم من واجب حقه بمعشار عشره فقد متعنا الله به متع الدنيا والآخرة وأسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لانفسنا وأولادنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين بل لو كان فى منبت كل شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا * وقد روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده رواه البخارى * وقدم الوالد للاكثرية لان كل أحد له والد من غير عكس * وفى رواية النساءى تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة وزاد فى رواية عبد العزيز بن صهيب عن أنس والناس أجمعين * وفى صحيح ابن خزيمة من أهله وماله بدل من والده وولده وذكر الوالد والولد أدخل فى المعنى لانهما أعز على العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان أعز من نفسه ولذا لم يذكر النفس فى حديث أبى هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص قال الخطابى والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار لا حب الطبع * وقال النووى فيه تلميح الى قضية النفس الامارة والمطمئنة فان من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبى صلى الله عليه وسلم راجحا ومن رجح جانب الامارة كان حكمه بالعكس * وفى كلام القاضى عياض أن ذلك شرط فى صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى التعظيم والاجلال وتعقبه صاحب المفهم

بأن ذلك ليس مراد الان اعتقاد الاعظمية ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع خلوه من محبته قال فعلى هذا من لم يجد من نفسه ذلك الميل لم يكمل ايمانه * والى هذا يومي قول عمر في الحديث الذي رواه البخاري في الايمان والنذور من حديث عبد الله بن هشام أن عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت يارسول الله أحب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فقال عمر والذي أنزل عليك الكتاب لانت أحب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا * وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب اليك من نفسك قال بعض الزهاد تقدير الكلام لا تصدق في حبي حتى تؤثر رضائي على هواك وان كان فيه الهلاك وأمّا وقوف عمر في أول أمره واستثناؤه نفسه فلأنّ حب الانسان نفسه طبع وحب غيره اختيار بتوسط الاسباب وانما أراد عليه الصلاة والسلام منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع وتغييرها عما جبلت عليه وعلى هذا فجواب عمر أولا كان بحسب الطبع ثم تأمل فعرف بالاستدلال أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب اليه من نفسه لكونه السبب في نجاتها من المهلكات في الدنيا والآخرة فأخبر بما اقتضاه الاختيار فلذلك حصل الجواب بقوله الآن يا عمر أي الآن عرفت فنطقت بما يجب واذا كان هذا شأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسوله في محبته وجوب تقديمها على محبة أنفسنا وأولادنا ووالدينا والناس أجمعين فما الظن بمحبة الله تعالى ووجوب تقديمها على محبة ماسواه ومحبة الله تعالى تختص عن محبة غيره في قدرها وصفتها وافراده سبحانه وتعالى بها فان الواجب له من ذلك أن يكون أحب الى العبد من ولده ووالده بل من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه الحق ومعبوده أحب اليه من ذلك كله والشيء قد يحب من وجه دون وجه وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه الا الله وحده ولا تصلح الالوهية الا له تعالى والتأله هو المحبة والطاعة والخضوع * ومن علامات الحب المذكور لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض الانسان على نفسه أنه لو خير بين فقد غرض من أغراضه وفقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كانت ممكنة فان كان فقدها أشد عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالاحبية المذكورة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن لا فلا

قال القرطبي كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إيمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة غير أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من أخذ بالحظ الادنى كمن كان مستغرقا في الشهوات محجوبا في الغفلات في أكثر الاوقات لكن الكثير منهم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويبذل نفسه في الامور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكرنا لما وقر في قلوبهم من محبته غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات انتهى وكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله ولا يدخل في الاسلام الا بها والناس متفاوتون في محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل اليهم من جهته عليه الصلاة والسلام من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى أتم لان هذا ثمرة المعرفة وهم بها أعلم ✽ وقد روى ابن اسحاق كما حكاه في الشفاء أن امرأة من الانصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعني صغيرة ورواه البيهقي في الدلائل وذكره صاحب اللباب بلفظ لما قيل يوم أحد قتل محمد صلى الله عليه وسلم وكثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امرأة من الانصار فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى لاندري بأيهم استقبلت فكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا أخوك وأبوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون أمامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بأبي أنت وأمي يارسول الله لا أبالي اذا سلمت من عطب وكذا رواه ابن أبي الدنيا بنحوه في جزء ✽ وقال عمرو بن العاصي ما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ✽ وقال علي بن أبي طالب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ ✽ ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد النون من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان ابن حرب أنشدك بالله يازيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني جالس في أهلي فقال أبو سفيان مارأيت أحدا من الناس يحب أحدا

كتب أصحاب محمد محمد ابو ... مما ذكره القاضي عياض ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لانت أحب الي من أهلي ومالي واني لا ذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت أنك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين واني ان دخلتها لا أراك فأنزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه * قال وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك فقال بأبي أنت وأمي أتمتع بالنظر اليك فاذا كان يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية * وقد ذكره البغوي في تفسيره بلفظ نزلت أي الآية في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك فقال يارسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني اذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لانك ترفع مع النبيين وأني ان دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك وان لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية وكذا ذكره الواحدي في أسباب النزول وعزاه للكلبي عن ثوبان وقال قتادة قال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلى ونحن أسفل منك وكيف نراك فأنزل الله الآية وذكره ابن ظفر في ينبوع الحياة بلفظ أن عامر الشعبي قال ان رجلا من الانصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله يارسول الله لانت أحب الي من نفسي ومالي وولدي وأهلي ولولا أني آتيك فأراك لرأيت ان أموت أو قال أن سوف أموت وبكى الانصاري فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أبكاك قال بكيت أن ذكرت أنك ستموت ونموت فترفع مع النبيين ونكون نحن ان دخلنا الجنة دونك فلم يحر النبي صلى الله عليه وسلم اليه بعني أي لم يرجع اليه بقول فأنزل الله الآية قال وذكر مقاتل بن سليمان مثل هذا وقال هو عبد الله ابن زيد بن عبد ربه الانصاري الذي رأى الاذان وذكر أيضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة له فأتاه ابنه فأخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي فقال اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد أحدا فكف بصره * واعلم أنه لا يمكن أن يجتمع في القلب حبان فان المحبة الصادقة تقتضي توحيد المحبوب فليختر المرء لنفسه احدى المحبتين فانهما لا يجتمعان في القلب والانسان عند محبوبه كائنا ما كان كما قيل

أنت القتيل بأي من أحببته ✱ فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي

ولبعض الحكماء كما ان الغمد لا يتسع لعضبين فكذلك القلب لحبيبين ولذلك لازم اقبالك على من تهواه اعراضك عن كل شيء سواه فمن داهن في المحبة أوداها فقد عرض لهذا الغيرة أوداها فمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام لم تقدم في الحب على الانفس والآباء والابناء لا يتم الايمان الا بها اذ محبته من محبة الله ✱ وقد حكي عن أبي سعيد الخراز مما ذكره القشيري في رسالته انه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يارسول الله اعذرني فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال لي يامبارك من أحب الله فقد أحبني ✱ وقيل ان ذلك وقع لامرأة من الانصار معه صلى الله عليه وسلم يقظة ولابن أبي المجد

ألا يامحب المصطفى زد صبابة ✱ وضمخ لسان الذكر منك بطيبه

ولا تعبأن بالمبطلين فانما ✱ علامة حب الله حب حبيبه

وكذلك كل حب في الله ولله كما في الصحيحين عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار فعلق ذوق الايمان بالرضى بالله ربا وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه أحب الاشياء الى العبد هو ورسوله فمن رضي بالله ربا رضيه الله له عبدا ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين ويؤثر ذلك على أغراض الدنيا ومحبة العبد لله تعالى تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول قاله النووي وقال غيره معناه أن من استكمل الايمان علم ان حق الله ورسوله آكد عليه من حق والده وولده وجميع الناس لان الهدى من الضلال والخلوص من النار انما كان بالله على لسان رسوله وفي قوله عليه الصلاة والسلام حلاة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن في الايمان بشيء حلو وأثبت له لازم ذلك الشيء وأضافه اليه وفيه تلميح الى قصة المريض والصحيح لان المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته على ماهي وكلما نقصت القوة شيأ ما نقص ذوقه بقدر ذلك ✱ وقال العارف ابن أبي جمرة واختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة أو معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوه وهم أهل الصفة أو قال الصوفية قال والصواب معهم في ذلك والله أعلم لان ماذهبوا اليه أبقوا به لفظ الحديث على ظاهره من غير تأويل قال ويشهد

الى ماذهبوا اليه أحوال الصحابة والسلف الصالح وأهل المعاملات فانه حكى عنهم أنهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال حين صنع به ماصنع فى الرمضاء اكراها على الكفر وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك أيضا عند موته أهله يقولون واحرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الاحبه * محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهى حلاوة الايمان * ومنها حديث الصحابى الذى سرق فرسه بليل وهو فى صلاة فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له فى ذلك فقال ما كنت فيه ألذ من ذلك ولا ذلك الا هو حلاوة الايمان التى وجدها محسوسة فى وقته ذلك ومنها حديث الصحابيين اللذين جعلهما صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه من قبل العدو وقد أقبل فرآهما وكبل الجاسوس القوس ورمى الصحابى فأصابه فبقى على صلاته ولم يقطعها ثم رماه ثانية فأصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فأصابه فعند ذلك أيقظ صاحبه وقال لولا انى خفت على المسلمين ماقطعت صلاتى ولا ذلك الا للشدة ماوجد فيها من الحلاوة التى أذهبت عنه مايجد من ألم السلاح * قال ومثل هذا حكى عن كثير من أهل المعاملات انتهى * وحديث هذين الصحابيين ذكره البخارى فى صحيحه فى باب من لم يرالوضوء الا من المخرجين بلفظ ويذكر عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة ذات الرقاع فرمى رجل بسهم فنزفه الدم فركع وسجد ومضى فى صلاته * وقد وصله ابن اسحاق فى المغازى فقال حدثنى صدقة ابن يسار عن عقيل بن جابر عن أبيه مطولا وأخرجه أحمد وأبوداود والدارقطنى وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم كلهم من طريق ابن اسحاق * قال فى فتح البارى وشيخه صدقة ثقة وعقيل بفتح العين لاأعرف راويا عنه غير صدقة ولهذا لم يجزم به البخارى أولكونه اختصره أوللخلاف فى ابن اسحاق وأخرجه البيهقى فى الدلائل من وجه آخر وسمى أحدهما عباد بن بشر الانصارى وعمار بن ياسر من المهاجرين والسورة الكهف * وانما قال مماسواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لايعقل * وفى قوله وان يكون الله ورسوله أحب اليه مماسواهما دليل على انه لابأس بهذه التثنية وأما قوله للذى خطب فقال ومن يعصهما بئس الخطيب أنت فليس من هذا لان المراد فى الخطب الايضاح وأما هنا فالمراد الايجاز فى اللفظ ويدل عليه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى موضع آخر ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه * وقيل انه من الخصائص فيمتنع من غير النبى صلى الله عليه وسلم ولايمتنع منه لان غيره اذا جمع أوهم الطلاق

التسوية بخلافه هو فان منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك والى هذا مال ابن عبد السلام * ومن محاسن الاجوبة فى الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب أن تثنية الضمير هنا للايماء الى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فانها وحدها لاغية اذا لم ترتبط بالاخرى فمن يدعى حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فأوقع متابعته مكتنفة بين قطرى محبة العباد لله ومحبة الله للعباد وأما أمر الخطيب بالافراد فلان كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية اذ العطف فى تقدير التكرير والاصل استقلال كل واحد من المعطوفين فى الحكم ويشير اليه قوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم فأعاد أطيعوا فى الرسول ولم يعده فى أولى الامر لانهم لا استقلال لهم فى الطاعة كاستقلال الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوى والطيبى كما فى فتح الباري * وفى الصحيح ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال فى المدارج فأخبران للايمان طعما وأن القلب يذوقه كما يذوق الفم طعم الطعام والشراب * وقد عبر النبى صلى الله عليه وسلم عن ادراك حقيقة الايمان والاحسان وحصوله للقلب ومباشرته له بالذوق تارة وبالطعام والشراب أخرى وبوجدان الحلاوة تارة كما قال ذاق وقال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان * ولما نهاهم عن الوصال قالوا انك تواصل فقال انى لست كهيئتكم انى أطعم وأسقى * وقد غلط حجاب من ظن ان هذا طعام وشراب حسى للفم وسيأتى تحقيق الكلام ان شاء الله تعالى فى الصوم من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام * والمقصود ان ذوق حلاوة الايمان أمر يجده القلب تكون نسبته اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم وذوق حلاوة الجماع الى اللذة كما قال عليه الصلاة والسلام حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك وللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد ولا تزول الشبه والشكوك الا اذا وصل العبد الى هذه الحالة فيباشر الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته * وقال العارف الكبير تاج الدين ابن عطاء الله يعنى فى هذا الحديث اشارة الى أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعانى كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة * وانما ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا لانه لما رضى بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه وألقى قياده اليه فوجد لذاذة العيش وراحة التفويض * ولما رضى بالله ربا كان له الرضى من الله واذا كان له الرضى من الله أوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من به عليه

وليعرف احسانه عليه * ولما سبقت لهذا العبد العناية خرجت له العطايا من خزائن المنن فلما واصلته امداد الله و نواره عو فى قلبه من الامراض والاسقام فكان سليم الادراك فأدرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه * وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا لانه اذا رضى بالاسلام دينا فقد رضى به المولى ولازم من رضى بمحمد نبيا أن يكون له وليا وأن يتأدب بآدابه و يتخلق بأخلاقه زهدا فى الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجناة وعفوا عمن أساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا و بغضا فمن رضى بالله استسلم له ومن رضى بالاسلام عمل له ومن رضى بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال أن يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا أو يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفاء به انتهى ملخصا * واعلم ان محبة الله على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التى تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء عن المعاصى والرضاء بما يقدره فمن وقع فى معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره فى محبة الله حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال فى المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسع فى الرجاء فيقدم على المعصية أو تستمر الغفلة فيقع وهذا الثانى يسرع الى الاقلاع مع الندم والندب أن يواظب على النوافل و يجتنب الوقوع فى الشبهات والمتصف بذلك فى عموم الاوقات والاحوال نادر * وفى البخارى من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى انه قال ما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه * وفى رواية بشىء أحب الى من اداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ويستفاد من قوله وما تقرب الى عبدى بشىء أحب الى أن أداء الفرائض أحب الاعمال الى الله تعالى * وعلى هذا فقد استشكل كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرائض وأجيب بأن المراد من النوافل اذا كانت مع الفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ويؤيده أن فى رواية أبى أمامة ابن آدم انك لا تدرك ما عندى الا بأداء ما افترضته عليك و يجاب بأن الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف الفرائض * وقال الفاكهانى معنى

الحديث انه اذا أدى الفرائض وداوم على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى ذلك الى محبة الله تعالى * وقد استشكل أيضا كيف يكون البارى جل وعلا سمع العبد وبصره الخ وأجيب بأجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره فى ايثاره أمرى فهو يحب طاعتى ويؤثر خدمتى كما يحب هذه الجوارح ومنها ان المعنى أن كليته مشغولة بى فلا يصغى بسمعه الا الى ما يرضينى ولا يرى ببصره الا ما أمرته به ومنها ان المعنى كنت له فى النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله فى المعاونة على عدوه ومنها أنه على حذف مضاف أى كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك الخ قال الفاكهانى * قال ويحتمل معنى آخر أدق من الذى قبله وهو أن يكون بمعنى مسموعه لان المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملى بمعنى مأمولى والمعنى أنه لا يسمع الا ذكرى ولا يلتذ الا بتلاوة كتابى ولا يأنس الا بمناجاتى ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى ولا يمد يده الا فيما فيه رضاى ورجله كذلك * وقال غيره اتفق العلماء ممن يعتد بقوله على أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده منزلة الآلات التى يستعين بها ولهذا وقع فى رواية فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى قال والاتحادية زعموا أنه على حقيقته وان الحق عين العبد تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا * وقال الخطابى عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح فى الطلب وذلك أن مساعى الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة * وعن أبى عثمان الحيرى أحد أئمة الطريق قال معناه كنت أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاسماع وعينه فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى كذا أسنده عنه البيهقى فى الزهد * وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد اذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى تصفى من الكدورات أنه يصير فى معنى الحق تعالى الله عن ذلك وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد ان الله هو الذاكر لنفسه والموحد لنفسه والمحب لنفسه وأن هذه الاسباب والرسوم تصير عدما صرفا وعلى هذه الاوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله فى بقية الحديث ولئن سألنى زاد فى رواية عبد الواحد عبدى انتهى ملخصا * قال العلامة ابن القيم تضمن هذا الحديث الشريف الالهى الذى حرام على غليظ الطبع كثيف القلب فهم معناه والمراد به حصر أسباب محبته فى أمرين أداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا لله

أوجبت محبة الله له محبة أخرى منه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة
قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم تبق منه سعة
لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى مالكا لزمام قلبه
مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق فى محبته التى قد اجتمعت
قوى محبه كلها له ولاريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان أبصر أبصر به
وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو فى قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه والباء
هنا باء المصاحبة وهى مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها
فالمسألة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه فى محابه
حصلت موافقة الرب لعبده فى حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألنى لأعطينه
ولئن استعاذنى لأعيذنه أى كما وافقنى فى مرادى بامتثال أوامرى والتقرب الى
بمحابى فأنا أوافقه فى رغبته ورهبته فيما يسألنى أن أفعله به وفيما يستعيذنى
أن يناله وقوى أمر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه فى
اماتة عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره مايكره عبده ويكره مساءته فمن
هذه الجهة يقتضى أن لا يميته ولكن مصلحته فى اماتته فانه ما أماته الا ليحييه
ولا أمرضه الا ليصحه ولا أفقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة
فى صلب أبيه آدم الا ليعيده اليها على أحسن أحواله فهذا هو الحبيب على الحقيقة
لا سواه انتهى وقال الخطابى التردد فى حق الله غير جائز والبداء عليه فى الامور غير
سائغ ولكن له تأويلان أحدهما ان العبد قد يشرف على الهلاك فى أيام عمره من
داء يصيبه أو فاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون
ذلك من فعله كتردد من يريد أمرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من
لقائه اذا بلغ الكتاب أجله لان الله تعالى قد كتب الفناء على خلقه واستأثر
بالبقاء لنفسه والثانى أن يكون معناه ماردّدت رسلى فى شىء أنا فاعله كترديدى
اياهم فى قبض نفس عبدى المؤمن كما روى فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام
وما كان من لطمه عين ملك الموت وتردده اليه مرة بعد أخرى قال وحقيقة المعنى
على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وقال الكلاباذى
ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل لصفة الذات يعنى باعتبار متعلقها أى عن الترديد
بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب الى أن تنتقل
محبته فى الحياة الى محبته للموت فيقبض على ذلك * قال وقد يحدث الله تعالى
فى قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه مايشتاق معه

الى الموت فضلا عن ازالة ذكراه عنه انتهى وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمأنت قلوبهم به واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففى القلب طاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات * قال صاحب المدارج ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدى اليه بطريق توصله اليه ويحرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فينجذب اليها بكليته ويزهد فى التعلقات الفانية ويدأب فى تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة وترك المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطرة يكرهها الله تعالى ولا بخطرة فضول لا تنفعه فيصفو لذلك قلبه بذكر ربه ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره كما قال

وأخرج من بين البيوت لعلنى * أحدث عنك النفس فى السر خاليا

فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق فى ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله امامه واستاذه ومعلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته ومبادى أموره وكيفية نزول الوحى عليه ويعرف صفاته واخلاقه وآدابه وحركاته وسكونه ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لاهله وأصحابه الى غير ذلك مما منحه الله تعالى مما ذكرت بعضه حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه فاذا رسخ فى قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحى المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت فيه وماذا أريد بها وحظه المختص به منها من الصفات والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد فى التخلص منها كما يجتهد فى تحصيل الشفاء من المرض المخوف

* (ولمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم علامات) * أعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف مع ما حد لنا من شريعته قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسب متابعة الرسول محبة الله تعالى اياه وقد قال الحكيم وهو محمود الوراق كما أفاده المحاسبى فى كتابه القصد والرجوع

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كان

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه من نعمه الظاهرة والباطنة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة * ومن أعظم مطالعة منة الله على عبده منة تأهله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم وأصل هذا نور يقذفه الله تعالى فى قلب ذلك العبد فاذا دار ذلك النور أشرقت له ذاته فرأى فى نفسه وما أهلت له من الكمالات والمحاسن فعلت به همته وقويت عزيمته وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان الا ويطرح أحدهما الآخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن أن يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا وأطعته أمرا وأجبته دعوة وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق وعن طاعة غيره بطاعته وان لم تكن كذلك فلا تتعنى فلست على شىء * وتأمل قوله تعالى فاتبعونى يحببكم الله أى الشأن فى أن الله تعالى يحبكم لا فى أنكم تحبونه وهذا لا ينالوه الا باتباع الحبيب * وقال المحاسبى فى كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله عز وجل اتباع مرضات الله والتمسك بسنن رسوله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه وأسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان فى القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده فى اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد عطشه فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذذه بها بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه وسرورا له وقرة عين فى حقه ونعيما لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية ولا يجد فى أوراد العبادة كلفة * وفى الترمذى عن أنس مرفوعا ومن أحيى سنتى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة * وعن ابن عطاء من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب فى أوامره ونواهيه وأفعاله وأخلاقه * وقال أبو اسحاق الرقى من أقران الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم * وعن غيره ولا يظهر على أحد شىء من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فأما من

أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة
والسلام بدعواه علما لدنيا أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون
العلم لدنيا رحمانيا بموافقته لما جاء به الرسول عن ربه تعالى * فالعلم اللدني نوعان
لدني رحماني ولدني شيطاني والمحك هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم
وأما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني
الحاد وكفر يخرج عن الاسلام موجب لاراقة الدم والفرق ان موسى عليه الصلاة
والسلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولو كان مأمورا بها
لوجب عليه أن يهاجر الى موسى ويكون معه ولهذا قال له أنت موسى نبي بني
اسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته عامة
للجن والانس في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من اتباعه * فمن
ادعى أنه مع محمد كالخضر مع موسى أو جوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه
وليتشهد بشهادة الحق فانه مفارق لدين الاسلام بالكلية فضلا عن أن يكون من
خاصة أولياء الله تعالى وانما هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه * والعلم
اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه أزكى الصلاة
وأتم التسليم وبه يحصل الفهم في الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه كما قال
علي بن أبي طالب وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون
الناس فقال لا الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي
فاتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور الابصار وشفاء الصدور ورياض النفوس
ولذة الارواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين * ومن علامة محبته
أن يرضى مدعيها بما شرعه الله حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى قال الله تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا
مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه
ولم يسلم له * قال شيخ المحققين وامام العارفين تاج الدين ابن عطاء الله الشاذلي
اذاقني الله حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة على أن الايمان الحقيقي لا يحصل
الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا
وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد
واجب على كل مؤمن في كليهما فأحكام التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة
باكتساب العباد وأحكام التعريف هو ما أورده عليك من فهم المراد فتبين من هذا
أنه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بالامرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره

ثم

❁ ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عن من لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب وانما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في القسم علما منه سبحانه بما في النفوس منطوية عليه من حب الغلبة ووجود النصرة سواء كان الحق عليها أو لها وفي ذلك اظهار عنايته برسوله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان بالاهية حتى يذعنوا لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم لانه كما وصفه به ربه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه قضاء الله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وأكد ذلك بقوله يد الله فوق أيديهم وفي الآية اشارة أخرى الى تعظيم قدره وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى وربك فأضاف نفسه اليه كما قال في الآية الاخرى كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فأضاف الحق سبحانه نفسه الى محمد وأضاف زكريا اليه ليعلم العباد فرق ما بين المنزلتين وتفاوت بين الرتبتين ❁ ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم في أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها وانما ضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة له في نقضه وابرامه انتهى ❁ وقال سهل بن عبد الله من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وروينا عن سيدنا العارف الكبير أبي عبد الله القرشي أنه قال حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ولا يبقى لك منك شيء انتهى فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خفايا حقائق أسرار أنسه ❁ ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام نصرة دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيره مما ذكرته من أخلاقه العظيمة وتقدم في كلام العارف بن عطاء الله مزيد لذلك قريبا فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ بالطاعات وتحمل المشاق

في الدين وآثر ذلك على أغراض الدنيا * ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم التسلي عن المصائب فان المحب يجد في لذة المحبة ماينسيه المصائب ولا يجد من مسها مايجد غيره حتى كأنه قد اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة موجود ممزوج بالحلاوة فان فقد تلك الحلاوة اشتاق الى ذلك الكرب كما قيل

تشكى المحبون الصبابة ليتني * تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها * فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

* ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره فمن أحب شيأ أكثر من ذكره ولبعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب ولآخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس ولغيره للمحب ثلاث علامات أن يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله طاعة له وقال المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد أجمع الحكماء على أن من أحب شيأ أكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشيء ألذ من ذكر المحبوب انتهى فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات وانقطعت أوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ورقت الى معادن الذخائر وبغية الطلبات وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين وباح الانين وتحركت المواجيد وتغير اللون واستبسلت الجوارح وفتر البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكى وربما شهق وربما وله وربما سقط ولسيدي محمد وفا

اذا أباح دم المهجور هاجره * باح المحب بما تخفي ضمائره
أيكتم الحب صب باح مدمعه * لماجري بالذي تخفي سرائره
كأنما قلبه أجفان مقلته * ودمعه في أماقيه خواطره
ياحيرة الجذع هل من جيرة لفتى * عليه في حكمه قد جار جائره
آه وكم لي على خطب الهوى خطب * من الغرام به تملو منابره
مهفهف أبلج بدر على غصن * تخفي البدور اذا لاحت بوادره
مطرز الخد بالريحان في ضرج * مورد آسه تزهو زواهره
مكمل الخلق ماتحصى خصائصه * منضر الحسن قد قلت نظائره

وربما زاد الوجد على المحب فقتله أول نقد من أثمان المحبة بذل الروح فما للمفلس

الجمان وسومها بدم المحب يباع وصلهم تالله ماهزلت فيستامها المفلسون والا كسدت فينفقها بالنسيئة المعسرون لقد أسيمت للعرض في سوق من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس فتأخر البطلون وقام المحبون ينظرون أيهم يصلح أن يكون ثمنا فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين لما كثر المدعون للمحبة طولبوا باقامة البينة على صحة الدعوى فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرقة الشجي فتنوع المدعون في الشهود فقيل لا تثبت هذه الدعوة الا ببينة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فتأخر كثرهم وثبت اتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه فطولبوا بعدالة البينة بتزكية يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون فقيل لهم ان نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهلموا الى بيعة ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم فلما عرفوا عظمة ذلك المشترى وفضل الثمن وجلالة من أجرى على يده عقد التبايع عرفوا قدر السلعة وأن لها شأنا عظيما فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار وقالوا والله لا نقيلك ولا نستقيلك فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل لهم قد صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معها ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ❋ ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام تعظيمه عند ذكره واظهار الخشوع والخضوع مع سماع اسمه فكل من أحب شيأ خضع له كما كان كثير من الصحابة بعده اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا وتهيبا وتوقيرا قال أبو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به وكان أيوب السختياني اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه وكان جعفر بن محمد كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وكان عبد الرحمن بن القاسم اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى لونه كأنه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع وكان الزهري من أهنأ الناس وأقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنك ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان بن سليم

من المعبدين المتهجدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وكان قتادة اذا سمع الحديث أخذه البكاء والعويل والزويل أشار الى ذلك القاضي عياض ❁ ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة الشوق الى لقائه اذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه ولبعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخي المحبة ارتياح الذات لمشاهدة الصفات أي مشاهدة أسرار الصفات فيرى بلوغ السؤال ولو بمشاهدة الرسول ولهذا كانت الصحابة رضي الله عنهم اذا اشتد بهم الشوق وأزعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتفوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان ما كان خالد يأوى الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أصحابه من المهاجرين والأنصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك حتى يغلبه النوم ❁ ولما احتضر بلال نادت امرأته واحرباه فقال واطرباه غدا ألقى الاحبه محمدا وصحبه اذا ذاق المحب طعم المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب في قلبه ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل

والصبر يحمد في المواطن كلها ❁ الا عليك فانه لا يحمد

❁ وعن زيد بن أسلم خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت فاذا عجوز تنفش صوفا وتقول

على محمد صلاة الابرار ❁ صلى عليه الطيبون الاخيار
قد كنت قواما بكا بالاسحار ❁ ياليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات فقال لها أعيدي علي قولك فأعادته بصوت حزين فبكى وقال لها وعمر لا تنسيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار ❁ ويحكى أنه رؤيت امرأة مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل بماذا قالت بمحبتي للنبي صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا فنستحي ان نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه ❁ ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم حب القرآن الذي أتى به وهدى به وتخلق به واذا أردت ان تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ورسوله فانظر محبة القرآن من

قلبك والتذاذك بسماعه أعظم من التذاذ أصحاب الملاهي والغناء المطرب بسماعهم فانه من المعلوم أن من أحب محبوبا كان كلامه وحديثه أحب شيء اليه كما قيل

ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي * أما تأملت مافيه من لذيذ خطابي

* ويروى ان عثمان بن عفان قال لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن مسعود اقرأ على قال أقرأ عليك وعليك أنزل فقال انى أحب ان أسمعه من غيرى فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى اذا بلغ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع رأسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكاء رواه البخارى وهذا يجده من سمع الكتاب العزيز بأذن قلبه قال الله تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال صاحب عوارف المعارف أذاقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذى لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين بكى وأبكى لان الحرارة والبرودة اذا اضطربتا عصرتا ماء فاذا ألم السماع بالقلب تارة يخف ألمامه فيظهر أثره فى الجسد ويقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويتصوب أثره أى يصعد نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يتصوب أثره الى الروح فتموج منه الروح موجا يكاد يضيق عنه نطاق القالب فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها أحوال تجدها أربابها من أصحاب الاحوال وقد كان ابن عمر رضى الله عنهما ربما مر بآية فى ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب مريضا * وقد كان الصحابة اذا اجتمعوا وفيهم أبو موسى الاشعرى يقولون يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون فللمحبين السماع القرآنى من الوجد والذوق واللذة والحلاوة والسرور اضعاف ما للمحبين السماع الشيطانى فاذا رأيت الرجل ذوقه ووجده وطربه ونشأته فى سماع الابيات دون سماع الآيات وفى سماع الالحان دون سماع القرآن كما قيل

تقرأ عليك الختمة وأنت جامد * كالحجر بيت من الشعر

ينشد تميل كالنشوانى فاعلم أن هذا من أقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله

ورسوله أدام الله لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا في غير سبيل سنته بمنه ورحمته

* ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته وقراءة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسوله صلى الله عليه وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه ويقول

أشم منك نسيما لست أعرفه * أظن لمياء جرت فيك أردانا

فتعمه تلك الكلمة وتشمله فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول

لي حبيب خياله نصب عيني * سره في ضمائري مدفون
ان تذكرته فكلي قلوب * أو تأملته فكلي عيون

* فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين ويرتوي برى عطف محبوبه الذي لا شيء أروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء أشد لهيبه وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عنهم أشد عليهم من العذاب الجسماني كما ان نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله أعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب * ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم أن يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فان كان العقل قويا مستحكما لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا احدث السكر المخرج له عن حكمه * وقد حدوا السكر بأنه سقوط التمالك في الطرب كأنه يبقى في السكران بقية يلتذ بها ويطرب فلا يتمالك صاحبها ولا يقدر أن يخفي معها وقد يكون سبب السكر قوة الفرح بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير أفعاله بحيث يزول عقله ويعربد أعظم من من عربدة شارب الخمر وربما قتله سكره هذا الفرح بسبب طبيعي وهو انبساط دم القلب وهلة واحدة انبساطا غير معتاد والدم هو حامل الحار الغريزي فيبرد القلب بسبب انبساط الدم عنه فيحدث الموت ومن هذا قول سكران الفرح بوجود راحلته في المفازة بعدان استشعر الموت اللهم أنت عبدي وانا ربك أخطأ من شدة فرحه وسكرة الفرح فوق سكرة الشراب فصور في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا أشد العشق ظفر بكنز عظيم استولى عليه آمنا مطمئنا كيف تكون سكرته أو من

غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى أضر به العدم فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب اضعافه كيف تكون سكرته ومن أقوى أسباب ما نحن فيه سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية المغربة المعربة اذا صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع وهذا السكر يحدث عندها من جهتين احداهما أنها فى نفسها توجب لذة قوية يغمر منها العقل الثانية أنها تحرك النفس الى نحو محبوبها وجهته فتحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل للمحبوب واحضاره فى النفس وادناء صورته الى القلب واستيلائها على الفكر لذة عظيمة تغمر العقل فتجتمع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا أطيب وألذ من سكر الشراب وتحصل له به نشأة ألذ من نشأة الشراب * وقد ذكر الامام أحمد وغيره أن الله تعالى يقول لداود مجدنى بذلك الصوت الذى كنت تمجدنى به فى الدنيا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول أنا أرده عليك فيقوم عند ساق العرش ويمجده فاذا سمع أهل الجنة صوته استفرغ نعيم أهل الجنة وأعظم من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم الذى يغنيهم لذة رؤيته عن رؤية الجنة ونعيمها فأمر لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة وهذه صفة لا تلج كل أذن وصيب لا تحيى به كل أرض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها كل طفيلى أشار اليه فى المدارج * فمن اتصف بهذه العلامات التى ذكرتها فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل قوله عليه الصلاة والسلام للذى حده فى الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما أكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله فأخبر أنه يحب الله ورسوله مع وجود ما صدر منه وفيه الرد على من زعم أن مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهى عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء له وفيه أنه لا تنافى بين ارتكاب النهى وثبوت محبة الله ورسوله فى قلب المرتكب وأن من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله ويحتمل أن يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله فى قلب العاصى مقيدا بما اذا ندم على وقوع المعصية أو اذا أقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور بخلاف من لم يقع منه ذلك فانه يخشى بتكرار الذنب أن يطبع على قلبه حتى يسلب منه ذلك الحب نسأل الله العفو والثبات على محبته وسلوك سنته برحمته ومنته * تنبيه قد اختلف العلماء أيما أرفع درجة درجة المحبة أو درجة الخلة فحكى القاضى عياض أن بعضهم جعلهما سواء فلا يكون الحبيب الا خليلا

ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالمحبة وقال بعضهم درجة الخلة أرفع واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابابكر فلم يتخذه وقد أطلق المحبة لفاطمة وابنيها وأسامة انتهى وهذا هو الظاهر من المعنى الاخص لان المحبة مأخوذة من معنى الخلة لكن يرد ماروي في قصة الاسراء في مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه تعالى حيث قال له تعالى يامحمد سل فقال يارب انك اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما فقال له تعالى ألم أعطك خيرا من هذا الى قوله واتخذتك حبيبا أو ما في معناه رواه البيهقي بطوله وهذا يعطي ان درجة المحبة أرفع * وقد احتج من قال بتفضيل مقام المحبة على الخلة بفروق كثيرة ذكر القاضي عياض في الشفاء منها نقلا عن الامام أبي بكر بن فورك عن بعض المتكلمين نبذة * منها ان الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه به من قوله تعالى فكان قاب قوسين أو أدنى * ومنها ان الخليل قال لاتخزني والحبيب قيل له يوم لايخزي الله النبي * ومنها ان الخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل له ياأيها النبي حسبك الله * ومنها ان الخليل هو الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر * وفي كتابي تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري وجوه آخر غير ماحكاه القاضي عياض وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفاء وذلك ان مقتضى الفرق بين الشيئين أن يكون في حد ذاتهما يعني باعتبار مدلولي خليل وحبيب وماحكاه القاضي عياض وذكرته في التحفة يقتضي تفضيل ذات محمد صلى الله عليه وسلم على ذات ابراهيم عليهما الصلاة والسلام لايقال باعتبار ثبوت وصف الخلة له فيلزم ذلك لانا نقول كل منهما ثابت له وصف الخلة والمحبة اذ لايسلب عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام وصف المحبة لاسيما والخلة أخص من المحبة ولايسلب عن نبينا صلى الله عليه وسلم وصف الخلة لاسيما وقد ثبت في حديث أبي هريرة قول الله تعالى له اني اتخذتك خليلا * وقد قام الاجماع على فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على جميع الانبياء بل هو أفضل خلق الله تعالى مطلقا وأما قوله ان الخليل يصل بالواسطة فلايفيد غرضا في هذا المقام الذي هو بصدده وليس المراد به قطعا الا الوصول الى المعرفة اذ الوصول الحسي يمتنع على الله تعالى وأما قوله والحبيب يصل اليه به فالوصول الى الله تعالى لايكون الا به

حبيبا كان أو خليلا وأما قوله الخليل هو الذى تكون مغفرته فى حد الطمع الخ فانه لا يصح أن يكون على جهة التفسير للخليل ولا تعلق له بمعناه وقصارى ما ذكر أنه يعطى تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى حد ذاته من غير نظر الى ما جعله علة معنوية فى ذلك من وصف المحبة والخلة والحق أن الخلة أعلى وأكمل وأفضل من المحبة * قال ابن القيم وأما ما يظنه بعض الغالطين من أن المحبة أكمل من الخلة وأن ابراهيم خليل الله ومحمدا حبيب الله فن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة والخلة نهاية المحبة قال وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى اتخذه خليلا ونفى أن يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعائشة ولأبيها ولعمر بن الخطاب وغيرهم وأيضا فانه تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين ويحب المحسنين ويحب المتقين ويحب المقسطين وخلته خاصة بالخليلين قال وانما هذا من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله انتهى * قال الشيخ بدر الدين الزركشى فى شرحه لبردة الابوصيرى وزعم بعضهم أن المحبة أفضل من الخلة وقال محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله وضعف بأن الخلة خاصة وهى توحيد المحبة والمحبة عامة قال الله تعالى ان الله يحب التوابين قال وقد صح أن الله تعالى اتخذ نبينا خليلا فقال ان الله تعالى اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا انتهى

(الفصل الثانى فى حكم الصلاة عليه والتسليم فريضة وسنة وفضيلة وصفة ومحلا)

قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما * قال أبو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء قال فى فتح البارى وهذا أولى الاقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى عليه ثناءه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب أصل الصلاة * وعن ابن عباس أن معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة * وروى ابن أبى حاتم عن مقاتل ابن حيان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار * وقال الضحاك ابن مزاحم صلاة الله رحمته * وفى رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء أخرجهما اسماعيل القاضى عنه وكأنه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها * وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة وتعقب بأن الله غاير بين الصلاة والرحمة فى قوله سبحانه وتعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ولذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما

حتى سألوه عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وأقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام وجوز الحليمي أن تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فصلاته على أنبيائه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة فهي التي وسعت كل شيء وحكى القاضي عياض عن بكر القشيري أنه قال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي رحمة وبهذا يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين سائر المؤمنين حيث قال الله تعالى في سورة الأحزاب ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو الذي يصلي عليكم وملائكته ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك أرفع مما يليق بغيره والاجماع منعقد على ان في هذه الآية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها وقال الحليمي في الشعب معنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد عظم محمدا والمراد تعظيمه في الدنيا باعلاء ذكره واظهار دينه وابقاء شريعته وفي الآخرة باجزال مثوبته وتشفيعه في أمته وابداء فضيلته بالمقام المحمود وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة عليه انتهى ولا يعكر عليه عطف آله وأزواجه وذريته عليه فانه لا يمتنع أن يدعى لهم بالتعظيم اذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به وما تقدم عن أبي العالية أظهر فانه يحصل به استعمال لفظ الصلاة بالنسبة الى الله تعالى والى ملائكته والى المؤمنين المأمورين بذلك بمعنى واحد ويؤيده أنه لا خلاف في جواز الترحم على غير الانبياء واختلف في جواز الصلاة على غير الانبياء ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد ارحم محمدا أو ترحم على محمد جاز لغير الانبياء وكذا لو كان بمعنى البركة وكذلك الرحمة لسقط الوجوب في التشهد عند من يوجبه بقول المصلي في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ويمكن الانفصال عنه بأن ذلك وقع بطريق التعبد فلا بد من الاتيان به ولو سبق الاتيان بما يدل عليه فان قلت في أي وقت وقع الامر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فالجواب كما قال أبو ذر الهروي انه وقع في السنة الثانية من الهجرة وقيل ليلة الاسراء وقيل ان شهر شعبان شهر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان آية الصلاة يعني ان الله وملائكته يصلون على النبي نزلت فيه والله أعلم * قال الحليمي والمقصود

بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى بامتثال أمره تعالى وقضاء بعض حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن عبد السلام فقال في الباب الثامن من كتابه المسمى بشجرة المعارف ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله أمرنا بمكافأة من أحسن الينا فان عجزنا عنها كافئناه بالدعاء فأرشدنا الله لما علم عجزنا عن مكافأة نبينا الى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ أبي محمد المرجاني وقال ابن العربي فائدة الصلاة عليه ترجع الى الذي يصلي عليه لدلالة ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة والاحترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم

* واختلف في حكم الصلاة عليه صلوات الله وسلامه عليه على أقوال أحدها أنها تجب في الجملة بغير حصر لكن أقل ما يحصل به الاجزاء مرة الثاني يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد قاله القاضي أبو بكر بن بكير من المالكية وعبارته كما قاله القاضي عياض افترض الله تعالى على خلقه أن يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها الثالث تجب كلما ذكر قاله الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي وجماعة من الشافعية وقال ابن العربي من المالكية انه الاحوط وكذا قاله الزمخشري واستدلوا لذلك بحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فمات فدخل النار فأبعده الله أخرجه ابن حبان من حديث أبي هريرة وحديث رغم أنف من ذكرت عنده فلم يصل علي رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه الحاكم وحديث شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل علي أخرجه الطبراني من حديث جابر لان الدعاء بالرغم والابعاد والشقاء يقتضي الوعيد والوعيد على الترك من علامات الوجوب ومن حيث المعنى أن فائدة الامر بالصلاة عليه مكافأته على احسانه واحسانه مستمر فتتأكد اذا ذكر واستدلوا أيضا بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلى عليه كان كآحاد الناس وأجاب من لم يوجب ذلك بأجوبة منها أنه قول لا يعرف من أحد من الصحابة ولا التابعين فهو مخترع ولو كان ذلك على عمومه للزم المؤذن اذا أذن أن يصلي عليه وكذا سامعه ولزم القارئ اذا مر بآية فيها ذكره عليه الصلاة والسلام في القرآن ولزم الداخل في الاسلام اذا تلفظ بالشهادتين ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة السمحة المطهرة بخلافه ولكان الثناء على الله تعالى كلما ذكر أحق بالوجوب ولم يقولوا به

* وقد أطلق القدوري وغيره من الحنفية أن القول بوجوب الصلاة كلما

ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قائله لانه لا يحفظ عن أحد من الصحابة أنه خاطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك ولانه لو كان كذلك لما تفرغ لعبادة أخرى وأجابوا عن الاحاديث بأنها خرجت مخرج المبالغة فى تأكيد ذلك وطلبه وفى حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنا وبالجملة فلا دلالة على تكرر وجوب ذلك بتكرر ذكره صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد انتهى ملخصا والله أعلم الرابع فى كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه الزمخشرى الخامس فى كل دعاء حكاه أيضا السادس أنها من المستحبات وهو قول ابن جرير الطبرى وادعى الاجماع على ذلك واحتج على ذلك مع ورود صيغة الامر بذلك بالاتفاق من جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة ان ذلك غير مستلزم فرضيتها حتى يكون تارك ذلك عاصيا فدل على ان الامر فيه للندب ويحصل الامتثال لمن قاله ولو كان خارج الصلاة * قال فى فتح البارى وما ادعاه من الاجماع معارض بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك فى الصلاة اما بطريق الوجوب واما بطريق الندب ولا يعرف عن السلف لذلك مخالف الا ما أخرجه ابن أبى شيبة والطبرانى عن ابرهيم النخعى أنه كان يرى أن قول المصلى فى التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته يجزئ عن الصلاة ومع ذلك انما ادعى اجزاء السلام عن الصلاة السابع تجب فى العمر مرة فى الصلاة أو غيرها ككلمة التوحيد قاله أبو بكر الرازى من الحنفية الثامن تجب فى الصلاة من غير تعيين المحل ونقل ذلك عن أبى جعفر الباقر التاسع تجب فى التشهد وهو قول الشعبى واسحاق بن راهويه العاشر تجب فى القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام التحلل قاله الشافعى ومن تبعه واستدل لذلك بما رواه أصحاب السنن وصححه الترمذى وابن خزيمة والحاكم عن أبى مسعود البدرى أنهم قالوا يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلى عليك اذا نحن صلينا عليك فى صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الحديث ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذى فى التشهد الذى كان قد علمهم اياه كما يعلمهم السورة من القرآن وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته رواه الشافعى فى مسنده عن أبى هريرة بمثله وقد احتج بهذه الزيادة جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة والبيهقى لايجاب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى التشهد بعد التشهد وقبل السلام وقال الشافعى فى الام فرض الله الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولم يكن فرض الصلاة عليه

في موضع أولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك أخبرنا ابراهيم ابن محمد حدثنا صفوان بن سليم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أنه قال يارسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم الحديث أخبرنا ابراهيم بن محمد حدثني سعيد بن اسحاق بن كعب بن عجرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم الحديث ✻ قال الشافعي فلما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد في الصلاة وروى أنه علمهم كيف يصلون عليه في الصلاة لم يجز أن نقول التشهد في الصلاة واجب والصلاة فيه غير واجبة ✻ وقد تعقب بعض المخالفين هذا الاستدلال من أوجه أحدها ضعف ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى والكلام فيه مشهور الثاني على تقدير صحته فقوله في الاول يعني في الصلاة لم يصرح بالقائل يعني الثالث قوله في الثاني انه كان يقول في الصلاة وإن كان ظاهره أن المراد الصلاة المكتوبة لكنه يحتمل أن يكون المراد بقوله في الصلاة أي في صفة الصلاة عليه وهو احتمال قوي لان أكثر الطرق عن كعب بن عجرة يدل على أن السؤال وقع عن صفة الصلاة لا عن محلها الرابع ليس في الحديث ما يدل على تعيين ذلك في التشهد خصوصا بينه وبين السلام ✻ وقد أطنب قوم من متأخري المالكية وغيرهم في التشنيع على الشافعي في اشتراطه ذلك في الصلاة وزعم أنه تفرد بذلك وحكى الاجماع على خلافه جماعة منهم أبو جعفر الطبري والطحاوي وابن المنذر وحكى القاضي عياض في الشفاء مقالاتهم وقد عيب عليه غير واحد وقالوا كان ينبغي سكوته عنها لان مبنى تأليفه الشفاء على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وأداء حقوقه والقول بوجوب الصلاة عليه في الصلاة من غرض المبالغة في تعظيمه ✻ وقد استحسن هو القول بطهارة فضلاته مع أن الاكثر على خلافه لكنه استجاده لما فيه من الزيادة في تعظيمه وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه وهو من جنس الصلاة ومقتضياتها واذا شرع السلام فيها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا تجب الصلاة على سيد المرسلين ✻ وقد انتصر جماعة كثيرة من العلماء الاعلام للشافعي كالحافظ عماد الدين بن كثير والعلامة ابن القيم وشيخ الاسلام والحفاظ أبي الفضل بن حجر وتلميذه شيخنا الحافظ والعلامة أبي امامة ابن النقاش وغيرهم ممن يطول عدهم واستدلوا لذلك بأدلة نقلية ونظرية ودفعوا دعوى الشذوذ فنقلوا

القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود وأبو مسعود البدري وجابر ابن عبد الله ونقله أصحاب الشافعي عن عمر بن الخطاب وابنه عبد الله ومن التابعين الشعبي فيما رواه البيهقي كما سيأتي وكذا أبو جعفر الباقر ومقاتل وأخرج الحاكم بسند قوي عن ابن مسعود قال يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه قال الحافظ ابن حجر وهذا أقوى شيء يحتج به للشافعي فان ابن مسعود ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد في الصلاة وأنه قال ثم ليتخير من الدعاء ما شاء فلما ثبت عن ابن مسعود الامر بالصلاة عليه قبل الدعاء دل على أنه أطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعاء واندفعت حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب اليه الشافعي وادعى مثل ما ذكره القاضي عياض قال وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر الصلاة عليه وفي جزء الحسن بن عرفة مرفوعا وأخرج المعمري في عمل يوم وليلة عن ابن عمر بسند جيد قال لا تكون صلاة الا بقراءة وتشهد وصلاة على وأخرج البيهقي في الخلافيات بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار التابعين قال كنا نعلم التشهد فاذا قال وأشهد أن محمدا عبده ورسوله يحمد ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل حاجته * وفي حديث أبي جعفر عن ابن مسعود مرفوعا من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه قال الدارقطني والصواب أنه من قول أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته لرأيت أنها لا تتم لكن راويه عن أبي جعفر جابر الجعفي وهو ضعيف كذا في الشفاء * وقد وافق الشافعي من فقهاء الامصار أحمد في احدى الروايتين عنه وعمل به أخيرا كما حكاه عنه أبو زرعة الدمشقي فيما ذكره الحافظ ابن كثير وأوجب اسحاق بن راهويه الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان والمشهور عن أحمد أنها تبطل بتركها عمدا أو سهوا وعليه أكثر أصحابه حتى ان بعض أئمة الحنابلة أوجب أن يقال في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما علمهم أن يقولوا لما سألوه كما ذكره ابن كثير ووافق الخرقي اسحاق في التقييد بالعمد دون السهو والخلاف أيضا عند المالكية كما ذكره ابن الحاجب في سنن الصلاة ثم قال على الصحيح فقال شارحه ابن عبد السلام يريد أن في وجوبها قولين وهو ظاهر كلام الامام ابن المواز وبه صرح عنه ابن القصار وعبد الوهاب كما في الشفاء بلفظ انه يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي قال وحكى أبو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة أقوال في الصلاة الوجوب

والسنة والندب ورأيت مما يعزى للقاضي أبي بكر بن العربي في سراج المريدين قال ابن المواز والشافعي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من فرائض الصلاة وهو الصحيح انتهى ❊ وقد يلزم القائل من الحنفية بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر كالطحاوي وذكره السروجي في شرح الهداية عن أصحاب المحيط والعقد والتحفة من كتبهم ان يقولوا بوجوبها في التشهد لتقدم ذكره صلى الله عليه وسلم في آخر التشهد في قوله وأشهد أن محمدا رسول الله لكن لهم أن يلتزموا ذلك ولا يجعلونه شرطا في صحة الصلاة ولم يخالف الشافعي أحد من أصحابه في ذلك بل قال بعض أصحابنا بوجوب الصلاة على الآل كما حكاه البندنيجي والدارمي ونقله امام الحرمين والغزالي قولا عن الشافعي ❊ قال الحافظ ابن كثير والصحيح أنه وجه على أن الجمهور على خلافه وللقول بوجوبه ظواهر الحديث وأما مخالفة الخطابي من أصحاب الشافعي فلا يعتد به لمقتضى الامر المحمول على الوجوب اجماعا وأولى أحواله الصلاة ولا مانع من احتمال كونه مرادا وأما قوله ولا أعلم له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب أن الشافعي قدوة يقتدى به والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار له فيه الى غيره وأما قوله في الشفاء والدليل على أنها ليست من فروض الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه ففيه نظر لانه ان أراد بالعمل الاعتقاد فيحتاج الى نقل صريح عنهم بأن ذلك ليس بواجب وأنى يوجد ذلك وأما قوله وقد شنع الناس عليه يعني الشافعي في هذه المسئلة جدا فلا معنى له وأي شناعة في ذلك ولم يخالف فيه نصا ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك من محاسن مذهبه ولا ريب أن القائل بجواز ترك الصلاة على أفضل خلق الله في الصلاة التي هي رأس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها والثناء عليه أولى بالتشنيع وأما نقله الاجماع فقد تقدم ما فيه وأما قوله ان الشافعي اختار تشهد ابن مسعود فلم يقل به أحد والشافعي انما اختار تشهد ابن عباس كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مقصد عباداته ❊ وقد استدل للوجوب بما أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي وصححه وكذا ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من حديث فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل هذا ثم دعاه اليه فقال اذا صلى أحدكم فليبدأ بالحمد لله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء ❊ قلت ومما يعد من كرامات امامنا الشافعي وسره السارى أن القاضي عياضا ساق هذا الحديث باسناده من طريق الترمذي من غير أن يطعن في سنده

بعد قوله فصل فى المواطن التى تستحب فيها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم
ورغب من ذلك فى تشهد الصلاة وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء وهذا الحديث
كما ترى من أعظم الادلة لنا فان قال قائل ليس لكم فيه دلالة لانه قال سمع فيه رجلا
يدعو فى صلاته ولم يقل فى تشهده فيجاب بأنه يلزم على هذا أن القاضى عياضا
ساقه فى غير محله لانه عقد الفصل كما قدمته لبيان مواطن استحباب الصلاة ثم
قال ومن ذلك فى تشهد الصلاة * وفى مصابيح البغوى من حديث فضالة بن
عبيد هذا ما يدل على أنه كان فى التشهد ولفظه قال دخل رجل فقال اللهم اغفر لى
وارحمنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجلت أيها المصلى اذا صليت فقعدت
فاحمد الله بما هو أهله ثم صل على ثم ادعه وفى قوله عجلت استلواح فوات الكمال
عن الحقيقة المجزئة اذ لو كانت مجزئة لما حسن اللوم والتعليم بصيغة الامر فان قيل
انه فى مقام تعليم المستحبات اذ لو كان فى الواجبات لامره بالاعادة كما أمر المسيء
صلاته فيجاب بأن فى قوله هذا اغنية عن الامر بالاعادة لانه حيث علمه ما هو الواجب
علم قطعا انه لم يأت به أولا فلم يكن آتيا به فوجبت اعادته وهم أهل الفهم والعرفان
فان قال ان قوله فقعد يحتمل أن يكون عطفا على مقدر تقديره اذا صليت وفرغت
فقعدت للدعاء فاحمد الله فيجاب بأن الاصل عدمه وانما هو عطف على المذكور
اى اذا كنت فى الصلاة فقعدت للتشهد فاحمد الله أى أثن عليه بقولك التحيات لله
الخ والله أعلم * وقال الجرجانى من الحنفية وغيره لو كانت فرضا للزم تأخير البيان
عن وقت الحاجة لانه عليه الصلاة والسلام علمهم التشهد وقال فليتخير من الدعاء
ما شاء ولم يذكر الصلاة عليه وأجيب باحتمال أن لا تكون فرضت حينئذ وقال
الحافظ زين الدين العراقى فى شرح الترمذى قد ورد هذا فى الصحيح بلفظ ثم ليتخير
وثم للتراخى فدل على أنه كان هناك شىء بين التشهد والدعاء انتهى * وقد
أطنب الشيخ أبو أمامة بن النقاش فى تفسيره فى الانتصار للشافعى فى هذه المسئلة
مما يطول ذكره فالله يثيبه على قصده الجميل * وأما صفة الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم فعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال لقينى كعب بن عجرة فقال الا أهدى لك
هدية ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف
نسلم عليك فكيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل
ابراهيم انك حميد مجيد رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنساءى فان قلت
كيف يطابق قوله اللهم صل على محمد قوله كما صليت على آل ابراهيم أجاب القاضى

عياض

عياض بأن آل دقيهم كما في قوله عليه الصلاة والسلام في أبي موسى انه أعطى مزمارا من مزامير آل داود ولم يكن له آل مشهور بحسن الصوت ✽ وقد روى هذا الحديث ابن أبي حاتم بلفظ لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال قلنا يا رسول الله فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد ✽ وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول وعلينا معهم ✽ وعن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد رواه الامام أحمد ✽ وعن أبي مسعود الانصاري قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد ابن عبادة فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم رواه مالك ومسلم وغيرهما فان قلت ما موقع التشبيه في قوله كما صليت على ابراهيم مع أن المقرر أن المشبه دون المشبه به والواقع هنا عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم وحده أفضل من ابراهيم ومن آل ابراهيم ولا سيما وقد أضيف اليه آل محمد وقضيته كونه أفضل أن تكون الصلاة المطلوبة له أفضل من كل صلاة حصلت أو تحصل لغيره فقد أجاب العلماء عنه بأجوبة كثيرة منها أنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك قبل أن يعلم أنه أفضل من ابراهيم وقد أخرج مسلم من حديث أنس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم يا خير البرية قال ذاك ابراهيم وتعقب بأنه لو كان كذلك لغير صيغة الصلاة عليه بعد أن أعلم أنه أفضل ومنها أنه قال ذلك تواضعا وشرع ذلك لامته ليكتسبوا بذلك الفضيلة ومنها أن التشبيه انما هو لاصل الصلاة بأصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح وهو كقول القائل أحسن الى ولدك كما أحسنت الى فلان ويريد بذلك أصل الاحسان لا قدره ومنه قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك ورجح هذا القول القرطبي في المفهم ومنها أن قوله اللهم صل على محمد مقطوع عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بقوله وعلى آل محمد وتعقب بأن غير الانبياء لا يمكن

أن يساووا الانبياء فكيف يطلب لهم صلاة مثل الصلاة التى وقعت لابراهيم والانبياء من آله ويمكن الجواب عنه بأن المطلوب الثواب الحاصل لهم لا جميع الصفات التى كانت سببا للثواب * وقد نقل العمرانى فى البيان عن الشيخ أبى حامد أنه نقل هذا الجواب عن نص الشافعى واستبعد ابن القيم صحة ذلك عن الشافعى لانه مع فصاحته ومعرفته بلسان العرب لا يقول هذا الكلام المستلزم هذا التركيب الركيك البعيد من كلام العرب كذا قال وتعقبه الحافظ ابن حجر فقال ليس التركيب المذكور ركيكا بل التقدير اللهم صل على محمد وصل على آل محمد كما صليت الخ فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية ومنها رفع المقدمة المذكورة أولا وهى أن المشبه به يكون أرفع من المشبه وأن ذلك ليس مطردا بل قد يكون التشبيه بالمثل بل بالدون كما فى قوله تعالى مثل نوره كمشكاة وأين يقع نور المشكاة من نوره تعالى ولكن لما كان المراد من المشبه به أن يكون شيأ ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور بالمشكاة وكذا هنا لما كان تعظيم ابراهيم وآل ابراهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن أن يطلب لمحمد وآل محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لابراهيم وآل ابراهيم ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله فى العالمين أى كما أظهرت الصلاة على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين ولهذا لم يقع فى العالمين الا فى ذكر ابراهيم دون ذكر آل محمد على ما وقع فى الحديث الذى وردت فيه وهو حديث أبى مسعود الانصارى الذى ذكرته وهذا معنى قول الطيبى وليس التشبيه المذكور من باب الحاق الناقص بالكامل لكن من باب الحاق مالم يشتهر بما اشتهر * وقال النووى أحسن الاجوبة ما نسب الى الشافعى أن التشبيه لاصل الصلاة أو للمجموع بالمجموع وقال ابن القيم بعد أن زيف أكثر الاجوبة الا تشبيه المجموع بالمجموع وأحسن منه أن يقال هو صلى الله عليه وسلم من آل ابراهيم وقد ثبت ذلك عن ابن عباس فى تفسير قوله ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال محمد من آل ابراهيم فكأنه أمرنا أن نصلى على محمد وعلى آل محمد خصوصا بقدر ما صلينا عليه مع ابراهيم وآل ابراهيم عموما فيحصل لآله ما يليق بهم ويبقى الباقى كله له وذلك القدر أزيد مما لغيره من آل ابراهيم وتظهر حينئذ فائدة التشبيه وأن المطلوب له بهذا اللفظ أفضل من المطلوب بغيره من الالفاظ وقال الحليمى سبب هذا التشبيه أن الملائكة قالت فى بيت ابراهيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد * وقد علم أن محمدا وآل محمد من أهل بيت ابراهيم فكأنه قال قولوا اللهم اجب دعاء الملائكة الذين قالوا ذلك

فى محمد

فى محمد وآل محمد كما أجبتها عند ما نالوها فى آل ابراهيم الموجودين حينئذ ولذلك ختم بما ختم به الآية وهو قوله انك حميد مجيد * ومما يعزى للعارف الربانى أبى محمد المرجانى أنه قال ومن قوله صلى الله عليه وسلم كما صليت على ابراهيم وكما باركت على ابراهيم ولم يقل كما صليت على موسى لان موسى عليه الصلاة والسلام كان التجلى له بالجلال فخر موسى صعقا والخليل ابراهيم كان التجلى له بالجمال لان المحبة والخلة من آثار التجلى بالجمال فلهذا أمرهم صلوات الله وسلامه عليه أن يصلوا عليه كما صلى على ابراهيم فيسألوا له التجلى بالجمال وهذا لا يقتضى التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله وسلامه عليهما لانه انما أمرهم ان يسألوا له التجلى بالوصف الذى تجلى به للخليل عليه الصلاة والسلام فالذى يقتضيه الحديث المشاركة فى الوصف الذى هو التجلى بالجمال ولا يقتضى التسوية فى المقامين ولا فى الرتبتين فان الحق سبحانه يتجلى بالجمال لشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا فى وصف التجلى بالجمال فيتجلى لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده ورتبته منه ومكانته فيتجلى للخليل عليه الصلاة والسلام بالجمال بحسب مقامه ويتجلى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالجمال بحسب مقامه فعلى هذا يفهم الحديث انتهى فان قلت ما المراد بآل محمد فى هذا الحديث فالجواب أن الراجح أنهم من حرمت عليهم الصدقة كما نص عليه الشافعى واختاره الجمهور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام للحسن بن على انا آل محمد لا تحل لنا الصدقة وقيل المراد بآل محمد أزواجه وذريته وقيل المراد بهم جميع الامة أمة الاجابة حكاه أبو الطيب الطبرى عن بعض الشافعية ورجحه النووى فى شرح مسلم وقيده القاضى حسين بالاتقياء منهم وعليه يحمل كلام من أطلق ويؤيده ما رواه تمام فى فوائده والديلمى عن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقى من أمة محمد زاد الديلمى ثم قرأ ان أولياؤه الا المتقون واسناده ضعيف لكن ورد ما يشهد لذلك فى الصحيحين لحديث ان آل أبى فلان ليسوا لى بأولياء انما وليى الله وصالح المؤمنين انتهى ملخصا * وقد استدل العلماء بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه هذه الكيفية بعد سؤالهم عنها بأنها أفضل كيفيات الصلاة عليه لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك أنه لو حلف أن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة فطريق البران يأتى بذلك هكذا صوبه النووى فى الروضة بعد ذكر حكاية الرافعى عن ابراهيم المروزى أنه قال يبر اذا قال كلما ذكره الذاكرون وكلما سها عن ذكره الغافلون قال النووى وكأنه أخذ ذلك من كون الشافعى ذكر هذه الكيفية يعنى فى خطبة

الرسالة له ولكن بلفظ غفل بدل سها * وقال الاذرعي ابراهيم المذكور كثير النقل من تعليقة القاضي حسين ومع ذلك فالقاضي قال في طريق البران يقول اللهم صل على محمد كما هو أهله ويستحقه وكذا نقله البغوي في تعليقه ولو جمع بينهما فقال ما في الحديث وأضاف اليه أثر الشافعي وما قاله القاضي لكان أشمل ولو قيل انه يعمد الى جميع ما اشتملت عليه الروايات الثابتة فيستعمل منها ذكرا محصلا به البر لكان حسنا * وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم وقد يستدل بهذا الحديث من ذهب الى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور ويعضده حديث الاعرابي الذي قال اللهم ارحمني وارحم محمدا ولا ترحم معنا أحدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعا وحكى القاضي عياض رحمه الله عن جمهور المالكية منعه وانه ضعيف عندهم قال وأجازه أبو محمد بن أبي زيد انتهى وسيأتي ما في ذلك من البحث ان شاء الله تعالى في المقصد التاسع عند الكلام على التشهد * وعن سلامة الكندي ان عليا كان يعلم الناس الدعاء وفي لفظ يعلم الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بأمرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا القابس آلاء الله تصل بأهله أسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وأبهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم حديث موقوف رواه الطبراني لكن قال الحافظ ابن كثير في سنده نظر قال وقال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا كذا قال وقوله

داحي المدحوات أي باسط الارضين وكل شيء بسطته ووسعته فقد دحوته وبارىء المسموكات أي خالق السموات وكل شيء رفعته وأعليته فقد سمكته والدامغ لجيشات الاباطيل أي المهلك لما نجم وارتفع منها وفاره أصل الدمغ من الدماغ دمغه أصاب دماغه وجيشات من جاش اذا ارتفع واضطلع افتعل من الضلاعة وهي القوة وأورى قبس القابس أي أظهر نورا من الحق لطالبه والاء الله نعم الله تصل بأهله أي أهل ذلك القبس وهو الاسلام والحق أسبابه وأهله المؤمنون وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم أي هديت بعد الكفر والفتن لموضحات الاعلام ونائرات والمنيرات الواضحات يقال نار الشيء وأنار اذا اوضح وشهيدك يوم الدين يريد الشاهد على أمته يوم القيامة وبعيثك نعمة أي مبعوثك فعيل بمعنى مفعول وافسح له أي وسع له وفي عدنك أي في جنة عدن والمعلول من العلل وهو الشرب بعد الشرب يريد ان اعطاءه مضاعف كأنه يعل به عباده أي يعطيهم عطاء بعد عطاء وأعل على بناء الناس وفي رواية البانين أي ارفع فوق أعمال العاملين عمله وأكرم مثواه أي منزله ونزله رزقه والخطة بضم الخاء المعجمة الامر والقصة والفصل القطع ❁ وعن عبد الله بن مسعود قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه فقالوا له علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد حديث موقوف رواه ابن ماجه ❁ وعن رويفع بن ثابت الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى على محمد وقال اللهم أنزله المقعد الصدق المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي رواه الطبراني قال ابن كثير واسناده حسن ولم يخرجوه ❁ وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه أبو داود ❁ وعن طاوس سمعت ابن عباس يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا وأعطه سؤله في الآخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى رواه القاضي اسماعيل قال ابن كثير واسناده جيد قوي صحيح

❁(وأما المواطن التي تشرع فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم)❁

فيها التشهد الاخير وهي واجبة فيه كما قدمناه وفي وجوبها في التشهد الاول قولان أظهرهما المنع لبنائه على التخفيف بل هي سنة وفي استحباب الصلاة على الآل في التشهد الاول القولان وفي وجوبها في الاخير رأيان أصحهما المنع بل هي سنة تابعة وأقلها اللهم صل على محمد وكذا صلى الله على محمد وأقلها على الآل وآله وقال في الكفاية باعادة على ومنها خطبة الجمعة وكذا غيرها من الخطب فلا تصح خطبة الجمعة الا بها لانها عبادة وذكر الله فيها شرط فوجب ذكر الرسول فيها كالاذان والصلاة وهذا مذهب الشافعي وأحمد ومنها عقب اجابة المؤذن لما رواه الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث كعب بن علقمة وذكره بلفظ الرجاء وان كان متحقق الوقوع أدبا وارشادا منه وتذكيرا بالخوف وتفويضا الى الله بحسب مشيئته وليكون الطالب للشيء بين الرجاء والخوف وقوله حلت عليه الشفاعة أي وجبت وقيل غشيته ونزلت به ✱ تنبيه قال شيخنا في المقاصد الحسنة حديث الدرجة الرفيعة المدرج فيما يقال بعد الاذان لم أره في شيء من الروايات وأصل الحديث عند أحمد والبخاري والاربعة عن جابر مرفوعا من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة قال وكأن من زادها اغتر بما وقع في بعض نسخ الشفاء من حديث جابر المشار اليه لكن مع زيادتها في هذه النسخة المعتمدة علم عليها كاتبها بما يشير الى الشك فيها ولم أرها في سائر نسخ الشفاء بل في الشفاء عقدلها فصلا في مكان آخر ولم يذكر فيه حديثا صريحا وهو دليل لغلطها انتهى والله أعلم ومنها أول الدعاء وأوسطه وآخره لما روى أحمد من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه أو الوضوء توضأ والا أهرقه ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره ومنها ومن آكدها عقب دعاء القنوت لما رواه أحمد وأهل السنن وابن جرير وابن حبان والحاكم من حديث أبي الجوزاء عن الحسن بن علي قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت

وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وزاد النساءى في سننه وصلى الله على النبي وسيأتي في المقصد التاسع البحث في ذلك ان شاء الله تعالى ومنها أثناء تكبيرات العيدين لما روى اسماعيل القاضي ان ابن مسعود وأبا موسى وحذيفة خرج عليهم الوليد بن عقبة فقال ان هذا العيد قد دنا فكيف التكبير فيه فقال عبد الله تبتدئ فتكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرأ ثم تكبر وتركع ثم تقوم فتكبر وتحمد ربك وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تركع فقال حذيفة وأبو موسى صدق أبو عبد الرحمن قال ابن كثير اسناده صحيح ومنها عند دخول المسجد والخروج منه لما رواه أحمد عن فاطمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرج صلى على محمد ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك ومنها في صلاة الجنازة فان السنة أن يقرأ الفاتحة بعد احدى التكبيرات وبعد الاولى أولى وأن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الثانية ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة يقول اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده وفي ذلك حديث رواه الشافعي والنساءى ومنها عند التلبية لما رواه الشافعي والدارقطني عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق قال كان يؤمر الرجل اذا فرغ من تلبيته أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال ومنها عند الصفا والمروة لما روى اسماعيل القاضي عن عمر بن الخطاب أنه قال اذا قدمتم فطوفوا بالبيت سبعا وصلوا عند المقام ركعتين ثم ائتوا الصفا فقوموا عليه من حيث ترون البيت فكبروا سبع تكبيرات تكبيرا بعد حمد الله وثناء عليه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومسئلة لنفسك وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير اسناده حسن جيد قوي ومنها عند الاجتماع والتفرق لما روى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه الا كان عليهم ترة فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وروى اسماعيل القاضي عن أبي سعيد قال ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب ومنها عند الصباح والمساء لما روى الطبراني من حديث أبي الدرداء مرفوعا من صلى علي حين يصبح

عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة ومنها عند الوضوء لحديث ابن ماجه عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضوء لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ومنها عند طنين الاذن لحديث أبي رافع عند ابن السني مرفوعا اذا طنت أذن أحدكم فليذكرني وليصل علي وليقل ذكر الله من ذكرني بخير ومنها عند نسيان الشيء لحديث أبي موسى المديني بسند فيه ضعف عن أنس برفعه اذا نسيتم شيأ فصلوا علي تذكروه ان شاء الله تعالى ومنها بعد العطاس كما ذهب اليه ابو موسى المديني وجماعة ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى كالاكل والشرب والوقاع ونحو ذلك ومنها عند زيارة قبره الشريف لحديث أبي داود عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد يسلم علي الارد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام وروى ابن عساكر من صلى علي عند قبري سمعته وورد الامر بالاكثار منها يوم الجمعة وليلتها فعن أوس ابن أوس الثقفي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يارسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت يعني وقد بليت قال ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء رواه أحمد وأبو داود والنساءى وقد صحح هذا الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني قال الحافظ ابن كثير وقد روى البيهقي من حديث أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلاة عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة ولكن في اسناده ضعف فان قلت ما الحكمة في خصوصية الاكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها أجاب ابن القيم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهي ان كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة فانما نالته على يده صلى الله عليه وسلم فجمع الله لامته بين خيري الدنيا والآخرة فأعظم كرامة تحصل لهم فانها تحصل لهم يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو يوم عيدهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم أن يكثروا من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته

﴿ وأما فضيلة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ﴾

فقد ورد التصريح بهما في أحاديث قوية لم يخرج البخاري منها شيأ فمنها ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فلم يجد أحدا يتبعه فأتاه عمر بمطهرة من خلفه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا فتنحى عنه حتى رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال أحسنت يا عمر حين وجدتني ساجدا فتنحيت عني ان جبريل أتاني فقال من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفعه عشر درجات رواه الطبراني وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح قال ابن كثير وقد اختار هذا الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج على الصحيحين * وعن أبي طلحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والسرور يرى في وجهه فقالوا يا رسول الله انا لنرى السرور في وجهك فقال انه أتاني الملك فقال يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول انه لا يصلي عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا قال بلى رواه الدارمي وأحمد وابن حبان والحاكم والنسائي واللفظ له * وعن عامر بن ربيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة لم تزل الملائكة تصلي عليه ما صلى علي فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر رواه أحمد وابن ماجه من حديث شعبة * وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي من صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة صلى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة فليقلل من ذلك أو ليكثر رواه أحمد والتخيير بعد الاعلام بما فيه الخيرة في الخبر فيه على جهة التحذير من التفريط في تحصيله وهو قريب من معنى التهديد * وروى الترمذي أن أبي بن كعب قال يا رسول الله اني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي قال ما شئت قلت الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالنصف قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت فالثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير لك قلت أجعل لك صلاتي كلها قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك ثم قال هذا حديث حسن فهذا ما يتعلق بالصلاة وأما السلام فقال النووي يكره افراد الصلاة عن السلام واستدل بورود الأمر بهما معا في الآية يعني قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وتعقبوه بأن النبي صلى الله عليه وسلم علم أصحابه التسليم قبل تعليمهم الصلاة كما هو مصرح به في قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك وقوله عليه الصلاة والسلام بعد ان علمهم

الصلاة والسلام كما قد علمتم وأفرد التسليم مدة قبل الصلاة عليه لكن قال في فتح الباري انه يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلا أما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر فانه يكون ممتثلا وقال أبو محمد الجويني من أصحابنا السلام بمعنى الصلاة فلا يستعمل في الغائب ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام سواء في هذا الاحياء والاموات وأما الحاضر فيخاطب به فيقال سلام عليك أو عليكم أو السلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه انتهى * وقد جرت عادة بعض النساخ أن يفردوا عليا وفاطمة رضي عنهما بالسلام فيقولوا عليه أو عليها السلام من دون سائر الصحابة في ذلك وهذا وان كان معناه صحيحا لكن ينبغي أن يساوى بين الصحابة رضي الله عنهم في ذلك فان هذا من باب التعظيم والتكريم والشيخان وعثمان أولى بذلك منهما أشار اليه ابن كثير * وأما الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف فيها وأخرج البيهقي بسند واه من حديث بريدة رفعه لا تتركن في التشهد الصلاة علي وعلى أنبياء الله وأخرج اسماعيل القاضي بسند ضعيف من حديث أبي هريرة صلوا على أنبياء الله وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم علي فصلوا على أنبياء الله فان الله بعثهم كما بعثني وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم أخرجه ابن أبي شيبة من طريق عثمان عن عكرمة عنه قال ما أعلم الصلاة تنبغي على أحد من أحد الا على النبي صلى الله عليه وسلم وسنده صحيح وحكي القول به عن مالك وجاء نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال سفيان يكره أن يصلى الا على نبي وعن بعض شيوخ مذهب مالك لا يجوز أن يصلى الا على محمد قالوا وهذا غير معروف عن مالك وانما قال أكره الصلاة على غير الانبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به وخالفه يحيى بن يحيى فقال لا بأس به واحتج بأن الصلاة دعاء بالرحمة فلا تمنع الا بنص أو اجماع * وأما الصلاة على غير الانبياء فان كان على سبيل التبعية كما تقدم في الحديث اللهم صل على محمد وآل محمد ونحوه فهذا جائز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا أفرد غير الانبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته وبقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وبحديث عبد الله بن أبي أوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى أخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير الانبياء بالصلاة لان هذا قد صار شعارا للانبياء اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم

فلا يقال أبو بكر صلى الله عليه وسلم أو قال علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله عز وجل وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم ولهذا لم يثبت شعارا لآل أبي أوفى وهذا مسلك حسن وقال آخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة على غير الانبياء قد صارت من شعار أهل الاهواء يصلون على من يعتقدون فيهم فلا يقتدى بهم في ذلك ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو من باب التحريم أو كراهة التنزيه أو خلاف الاولى على ثلاثة أقوال حكاها النووي في كتاب الاذكار ثم قال الصحيح الذي عليه الاكثرون أنه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار أهل البدع وقد نهينا عن شعارهم

(الفصل الثالث في ذكر محبة أصحابه عليه الصلاة والسلام وآله وقرابته وأهل بيته وذريته)

قال الطبري اعلم ان الله تعالى لما اصطفى نبيه صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما عمه به من فضله الباهر وحباه أعلى ببركته من انتمى اليه نسبا أو نسبة ورفع من انطوى عليه نصرة وصحبة والزم مودة قرباه كافة بريته وفرض محبة جملة أهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى وروى انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال علي وفاطمة وابناهما وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا * وقد اختلف في المراد بأهل البيت في هذه الآية فروى ابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادي في السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ بن كثير وهذا يعني ما في الآية نص في دخول أزواجه صلى الله عليه وسلم لانهن سبب نزول هذه الآية وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا اما وحده على قول أو مع غيره على الصحيح وقيل المراد النبي صلى الله عليه وسلم قال عكرمة من شاء باهلته انها نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم فان كان المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن ففي هذا نظر فانه قد ورد في ذلك أحاديث تدل على ان المراد أعم من ذلك فروى الامام أحمد عن واثلة بن الاسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما

علي فجذبه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساء ثم تلى هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق زاد في رواية ابن جرير فقلت وأنا يا رسول الله من أهلك قال وأنت من أهلي قال واثلة وانها لأرجى ما أرتجي * وعن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيتها اذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وتحته كساء قالت وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله عز وجل هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فأدخلت رأسي من البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله فقال انك الى خير انك الى خير رواه أحمد وفي اسناده من لم يسم وبقية اسناده ثقات وقوله حامتي بالتشديد أي خاصتي * وعن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا رواه ابن جرير ورواه أحمد في المناقب والطبراني * وعن زيد بن أرقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيبه واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث فيه ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي ثلاث مرات فقيل لزيد من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته قال بلى ان نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قال كل هؤلاء حرم الصدقة قال نعم خرجه مسلم والثقل محركة كما في القاموس كل شيء نفيس مصون قال ومنه حديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وهي بكسر المهملة وسكون المثناة الفوقية والآخذ بهذا الحديث أحرى وليس المراد بالأهل الأزواج فقط بل هن مع أهله ولا يشك من تدبر القرآن أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في الآية الكريمة فان سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وهذا اختيار ابن عطية بعد ان نقل ان الجمهور على انهم علي وفاطمة والحسن والحسين قال وحجة الجمهور قوله

تعالى عنكم ويطهركم بالميم ولو كان النساء خاصة لقال عنكن وأجيب بأن الخطاب بلفظ التذكير وقع على سبيل التغليب فيكون المراد به كالمراد بالآل في حديث كيفية الصلاة عليه السابق ذكره على قول من فسره به كما قدمته مع غيره قريبا في الفصل السابق والله أعلم ولله در القائل

يا آل بيت رسول الله حبكم * فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفضل أنكم * من لم يصل عليكم لا صلاة له

وأخرج أحمد عن أبي سعيد معنى حديث زيد بن أرقم السابق مرفوعا بلفظ اني أوشك أن أدعى فأجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي وان اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بماذا تخلفوني فيهما وعترة الرجل كما قاله الجوهري أهله ونسله ورهطه الادنون أي الاقارب * وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال يا أيها الناس ارقبوا محمدا في أهل بيته رواه البخاري والمراقبة للشيء المحافظة عليه يقول احفظوهم فلا تؤذوهم وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما في البخاري أيضا لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى أن أصل من قرابتي وهذا قاله على سبيل الاعتذار لفاطمة عن منعه اياها ما طلبته منه من تركة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جرى منه على موجب الايمان لانه صلى الله عليه وسلم شرط الاحبية فيه على النفس والمال والولد كما ذكرته في الفصل الاول من هذا المقصد ثم انه صلى الله عليه وسلم أثبت لاقاربه ما أثبت لنفسه من ذلك فقال من أحبهم فبحبي أحبهم وحثنا على ذلك شفقة منه علينا صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ولقد أحسن القائل

رأيت ولاءي آل طه فريضة * على رغم أهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى * بتبليغه الا المودة في القربى

وفي الترمذي وقال حديث حسن غريب أحبوا الله لما يغذوكم به وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي وفي المناقب لاحمد من أبغض أهل البيت فهو منافق وروى ابن سعد من صنع الى أحد من أهل بيتي معروفا فعجز عن مكافأته في الدنيا فانا المكافئ له يوم القيامة والمراد بالقرابة من ينتسب الى جده الاقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أو رآه من ذكر وأنثى وهم علي وأولاده الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم من فاطمة رضي الله عنها وجعفر ابن أبي طالب وأولاده عبد الله وعون ومحمد ويقال أنه كان لجعفر ابن أبي طالب

ابن اسمه أحمد وعقيل ابن أبي طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزة بن عبد المطلب وأولاده يعلى وعمارة وامامة والعباس بن عبد المطلب وأولاده الذكور العشرة وهم الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه يقول العباس رضي الله عنه تموا بتمام فصاروا عشره يارب فاجعلهم كراما برره ويقال ان لكل منهم رؤية وكان له من الاناث أم حبيبة * وآمنة * وصفية وأكثرهم من لبابة أم الفضل ومعتب بن أبي لهب والعباس بن أبي لهب وكان زوج آمنة بنت العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب وأخته ضباعة وكانت زوج المقداد بن الاسود وأبو سفيان ابن الحارث ابن عبد المطلب وابنه جعفر ونوفل بن الحارث ابن عبد المطلب وابناه المغيرة والحارث ولعبد الله ابن الحارث هذا رؤية وكان يلقب ببة بموحدتين الثانية ثقيلة وأميمة وأروى وعاتكة وصفية بنات عبد المطلب أسلمت صفية وصحبت وفي الباقيات خلاف والله أعلم * وفي البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي وفي لفظ آخر اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى أي نازلا مني منزلة هارون من موسى والباء زائدة * وقال الطيبي معنى الحديث أنت متصل بي نازل مني منزلة هارون من موسى وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله الا انه لا نبي بعدي فعرف أن الاتصال بينهما ليس من جهة النبوة بل من جهة ما دونها وهو الخلافة ولما كان هارون المشبه به انما كان خليفة في حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة علي للنبي صلى الله عليه وسلم بحياته والله أعلم وأما ما استدل به من هذا الحديث على استحقاق علي للخلافة دون غيره من الصحابة فان هارون كان خليفة موسى فأجيب بأن هارون لم يكن خليفة موسى الا في حياته لا بعد موته لانه مات قبل موسى باتفاق أشار الى ذلك الخطابي وأما حديث الترمذي والنسائي من كنت مولاه فعلي مولاه فقال الشافعي رضي الله عنه يعني بذلك ولاء الاسلام كقوله تعالى ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم وقول عمر أصبحت مولى كل مؤمن أي ولي كل مؤمن وطرق هذا الحديث كثيرة جدا استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد وكثير من أسانيدها صحاح وحسان وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال من آذى عليا فقد آذاني خرجه أحمد وأخرج الخلعي الذهبي من أحب عليا فقد أحبني وقد ذكر النقاش أن قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا

نزلت فى على وقال محمد بن الحنفية لاتجد مؤمنا الا وهو يحب عليا وأهل بيته وقال أبو حيان فى البحر ومن الغريب ما أنشدنا الامام اللغوى رضى الدين أبو عبد الله محمد ابن يوسف الانصارى الشاطبى لزبينا ابن اسحاق النصرانى الرسعنى

عدى وتيم لاأحاول ذكرهم * بسوء ولكنى محب لهاشمى
وما يعترينى فى على ورهطه * اذا ذكروا فى الله لومة لائم
يقولون ما بال النصارى تحبهم * وأهل النهى من أعرب وأعاجم
فقلت لهم انى لأحسب حبهم * سرى فى قلوب الخلق حتى البهائم

* وقالت عائشة رضى الله عنها كانت فاطمة أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها أحب الرجال اليه رواه الترمذى * وفى البخارى ان فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى والبضعة بفتح الباء الموحدة وحكى ضمها وكسرها أيضا وبسكون المعجمة أى قطعة لحم واستدل به السهيلى على أن من سبها فانه يكفر * وفى الترمذى من حديث اسامة بن زيد وقال حسن غريب أنه صلى الله عليه وسلم قال فى حسن وحسين اللهم انى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وخرجه مسلم من حديث أبى هريرة فى الحسن خاصة زاد أبو حاتم فما كان أحد أحب الى من الحسن بعد ما قال صلى الله عليه وسلم ما قال * وفى حديث أبى هريرة أيضا عند الحافظ السلفى قال ما رأيت الحسن بن على قط الا فاضت عيناى دموعا وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وأنا فى المسجد فأخذ بيدى واتكأ على حتى جئنا سوق قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس فى المسجد ثم قال ادع ابنى قال فأتى الحسن بن على يشتد حتى وقع فى حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل فمه فى فمه ويقول اللهم انى أحبه فأحبه وأحب من يحبه ثلاث مرات * وفى الترمذى من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يشمهما ويضمهما اليه وقال من أحبنى وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معى فى درجتى يوم القيامة رواه أحمد وقال الترمذى كان معى فى الجنة وقال حديث غريب وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام بل من حيث رفع الحجاب وتقدم نحوه فى قوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين فى المقصد السادس * وفى حديث أبى زهير ابن الارقم عن رجل من الازد أنه صلى الله عليه وسلم قال فى الحسن من أحبنى فليحبه فليبلغ الشاهد الغائب * وفى البخارى هما ريحانتاى من الدنيا وكان عليه الصلاة والسلام يمص لسان الحسن أو شفته رواه أحمد * وعن عقبة بن الحارث قال رأيت أبا بكر وحمل الحسن وهو يقول

بأبي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك ۞ وعن محمد بن سيرين عن
أنس كان يعني الحسين أشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم رواهما البخاري
وعنده من رواية الزهري عن أنس لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من
الحسن بن علي وهذا قد يعارضه قول علي في صفة النبي صلى الله عليه وسلم لم أر قبله
ولا بعده مثله أخرجه الترمذي في الشمائل كما تقدم في المقصد الثالث وأجيب بأن
يحمل النفي على عموم الشبه والاثبات على معظمه وقول أنس لم يكن أحد أشبه
بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي قد يعارض رواية ابن سيرين عنه
السابقة كان الحسين يعني بالياء أشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بأن
يكون أنس قال ما وقع في رواية الزهري في حياة الحسن لانه كان يومئذ أشد شبها
بالنبي صلى الله عليه وسلم من أخيه الحسين وأما ما وقع في رواية ابن سيرين فكان
بعد ذلك أو المراد بمن فضل عليه الحسين في الشبه كان من عدا الحسن ويحتمل أن
يكون كل منهما كان أشد شبها به في بعض أعضائه فقد روى الترمذي وابن حبان من
طريق هاني بن هاني عن علي قال الحسن أشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين الرأس الى الصدر والحسين أشبه النبي صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل
من ذلك ۞ وقد عدوا من كان له شبه بالنبي صلى الله عليه وسلم سوى الحسن
والحسين جعفر بن أبي طالب وقد قال عليه الصلاة والسلام لجعفر أشبهت خلقي
وخلقي وقال الترمذي حسن صحيح وابنه عبد الله بن جعفر وقثم بن العباس بن عبد
المطلب وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ومسلم بن عقيل ابن أبي طالب ومن
غير بني هاشم السائب ابن يزيد المطلبي الجد الاعلى للامام الشافعي وعبد الله بن
عامر بن كريز بضم الكاف وفتح الراء وكابس بن ربيعة رجل من أهل البصرة
وجه اليه معاوية وقبله بين عينيه واقطعه قطيعة وكان أنس اذا رآه بكى فهؤلاء
عشرة ونظمهم شيخ الاسلام الحافظ أبو الفضل ابن حجر فقال

شبه النبي لعشر سائب وأبي ۞ سفيان والحسنين الطاهرين هما
وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم ۞ ومسلم كابس يتلوه مع قثما

وعدهم بعضهم سبعة وعشرين وممن كان يشبهه أيضا فاطمة ابنته وابراهيم ولده
وولدا جعفر عبد الله السابق ذكره وأخوه عون وكان يشبهه أيضا من أهل البيت
غير هؤلاء ابراهيم ابن الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب ويحيى ابن القاسم بن
محمد بن جعفر بن علي بن الحسين ابن علي وكان يقال له الشبيه ۞ قال الشريف
محمد بن أسعد النسابة في الزورة الانيسة لمشهد السيدة نفيسة انه كان ليحيى هذا

موضع خاتم النبوة شامة قدر بيضة الحمامة تشبه خاتم النبوة وكان اذا دخل الحمام ورآه الناس صلوا على النبي صلى الله عليه وسلم وازدحموا عليه يقبلون ظهره تبركا ولذا وصف بالشبيه والقاسم بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب وعلي بن علي بن نجاد بن رفاعة الرفاعي شيخ بصري من اتباع التابعين والمراد بالشبه هنا الشبه في البعض إذ الاقتسام حسنه صلى الله عليه وسلم منزه عن الشريك كما قال البوصيري وأجاد

منزه عن شريك في محاسنه ۞ فجوهر الحسن فيه غير منقسم

كما أشرت اليه في أول المقصد الثالث وقد أطلت المقال وانما جرني الى ذلك ذكر حمل الصديق للحسن على عاتقه المشعر بالاكرام من أفضل البشر بعد النبيين لأهل البيت المحمدي وحملهم على الاعناق ولاسيما مع قوله رضي الله عنه لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى ان أصل من قرابتي فلما تضمن هذا الحديث ذلك الشبه الكريم جرني الكلام اليه وهذا وقع لي كثيرا في هذا المجموع بل في غالبه لكنه لا يخلو عن فرائد الفوائد * وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب مني وأنا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني أخرجه البغوي في معجمه * وقال صلى الله عليه وسلم للعباس أيضا والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ثم قال أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني فانما عم الرجل صنو أبيه رواه الترمذي وقال حسن صحيح وفي قوله لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم الاشارة الى الايمان الحقيقي المنجي وهو التصديق القلبي وبين المحبة والايمان ارتباط من جهة أن المحبة ميل القلب الى المحبوب والايمان التصديق القلبي فيجتمعان في القلب وجعلهما متلازمين فيلزم من نفي أحدهما نفي الآخر ثم علل هذه المحبة بكونها لله ولرسوله فلا عبرة بمحبة تكون لغير ذلك ثم جعل أذاه كأذى نفسه لانه عضوه وعصبه ثم عظم مقامه بتنزيله منزلة الاب فكما أنه يجب على الولد تعظيم والده والقيام بحقوقه فكذلك عمه فقال وانما عم الرجل صنو أبيه وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون أي مثل أبيه قال ابن الاثير وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد يريد ان أصل العباس وأصل أبي واحد انتهى وجلله عليه الصلاة والسلام وبنيه بكساء ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا اللهم احفظه في ولده رواه الترمذي وقال حسن غريب وبين ابن السري في روايته أن بنيه الذين جللوا بالكساء كانوا ستة الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم

ومعبد وعبد الرحمن قال وغطاهم بشملة له سوداء مخططة بحمرة وقال اللهم ان هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كسترهم بهذه الشملة قال فلم يبق في البيت مدرة ولا باب الا أمن * وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن أبي طالب اني أحبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت أعلم من حب عمي لك قال الطبري أخرجه أبو عمرو والبغوي * وروى الدارقطني أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين أبو سفيان بن الحارث خير أهلي أو من خير أهلي * وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا أهل البيت أحد الا أدخله الله النار * واعلم انه قد اشتهر استعمال أربعة ألفاظ يوصفون بها الاولى آله عليه الصلاة والسلام والثانية أهل بيته والثالثة ذو والقربى والرابعة عترته فأما الاولى فذهب قوم الى انهم هم أهل بيته وقال آخرون هم الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس وقال قوم من دان بدينه وتبعه فيه وأما اللفظة الثانية وهي أهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب أو سبب وأما اللفظة الثالثة وهي ذوو القربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله تعالى بمودتهم قال علي وفاطمة وأبناهما وأما اللفظة الرابعة وهي عترته فقيل العشيرة وقيل الذرية فأما العشيرة فهي الاهل الادنون وأما الذرية فنسل الرجل وأولاد بنت الرجل ذريته يدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود الى قوله وعيسى ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة أمه مريم فهذه الذرية الطاهرة قد خصوا بمزايا التشريف وعموا بواسطة السيدة فاطمة بفضل منيف وألبسوا رداء الشرف ومنحوا بمزيد الاكرام والتحف * وقد وقع الاصطلاح على اختصاصهم من بين ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بالشطفة الخضراء لمزيد شرفهم والسبب في ذلك كما قيل ان المأمون أراد أن يجعل الخلافة في بني فاطمة فاتخذ لهم شعارا وألبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها والاحمر مختلف في كراهته والاصفر شعار اليهود بآخرة ثم انثنى عزمه عن ذلك وردّ الخلافة لبني العباس فبقي ذلك شعار الاشراف العلويين من الزهراء لكنهم اختصروا الثياب الى قطعة من ثوب أخضر توضع على عمائمهم شعارا ثم انقطع ذلك الى أواخر القرن الثامن قال في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من انباء الغمر بأبناء العمر وفيها أمر السلطان الاشراف أن يمتازوا

عن

عن الناس بعصائب خضر على العمائم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول الاديب أبو عبدالله بن جابر الاندلسي

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وللاديب شمس الدين الدمشقي رحمه الله

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان قد خصهم بها * شرفا ليفرقهم من الاطراف

والاشرف السلطان هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد ابن قلاون

(وأما الصحابة رضوان الله عليهم)

فقال سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة لما أخبر سبحانه وتعالى أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا من غير شك ولا ريب قال محمد رسول الله وهذا مبتدأ وخبر وقال البيضاوي وغيره جملة مبينة للمشهود به يعني قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق الى قوله وكفى بالله شهيدا قال ويجوز أن يكون رسول الله صفة ومحمد خبر مبتدأ محذوف انتهى وهذه الآية مشتملة على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على أصحابه فقال والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة والغلظة على الكفار والرحمة والبر بالاخيار ثم اثنى عليهم بكثرة الاعمال مع الاخلاص التام فمن نظر اليهم أعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن أعمالهم * قال مالك بلغني أن النصارى كانوا اذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فان هذه الامة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما في الكتب كما قال سبحانه وتعالى ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه أي افراخه فآزره أي شده وقواه فاستغلظ شب فطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه وحسن منظره فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطأ مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الآية انتزع الامام مالك رحمه الله في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر وقد وافقه على ذلك جماعة من العلماء والاحاديث في فضل الصحابة كثيرة ويكفي ثناء الله عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله

ومعبد وعبد الرحمن قال وغطاهم بشملة له سوداء مخططة بحمرة وقال اللهم
ان هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاسترهم من النار كسترهم بهذه الشملة قال فلم يبق
في البيت مدرة ولا باب الا أمن * وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن أبي
طالب اني أحبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت أعلم من حب عمي لك قال
الطبري أخرجه أبو عمرو والبغوي * وروى الدارقطني أنه صلى الله عليه وسلم قال
يوم حنين أبو سفيان بن الحارث خير أهلي أو من خير أهلي * وأخرج الحاكم
وصححه عن أبي سعيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا أهل البيت
أحد الا أدخله الله النار * واعلم انه قد اشتهر استعمال أربعة ألفاظ يوصفون بها
الاولى آله عليه الصلاة والسلام والثانية أهل بيته والثالثة ذو والقربى والرابعة
عترته فأما الاولى فذهب قوم الى انهم هم أهل بيته وقال آخرون هم الذين حرمت
عليهم الصدقة وعوضوا عنها خمس الخمس وقال قوم من دان بدينه وتبعه فيه
وأما اللفظة الثانية وهي أهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من
اجتمع معه في رحم وقيل من اتصل به بنسب أو سبب وأما اللفظة الثالثة وهي ذوو
القربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى
قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين
أمرنا الله تعالى بمودتهم قال علي وفاطمة وأبناهما وأما اللفظة الرابعة وهي عترته
فقيل العشيرة وقيل الذرية فأما العشيرة فهي الاهل الادنون وأما الذرية فنسل
الرجل وأولاد بنت الرجل ذريته ويدل عليه قوله تعالى ومن ذريته داود الى قوله
وعيسى ولم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة أمه مريم فهذه الذرية الطاهرة قد
خصوا بمزايا التشريف وعموا بواسطة السيدة فاطمة بفضل منيف وألبسوا
رداء الشرف ومنحوا مزيد الاكرام والتحف * وقد وقع الاصطلاح على
اختصاصهم من بين ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بالشطفة الخضراء لمزيد
شرفهم والسبب في ذلك كما قيل ان المأمون أراد أن يجعل الخلافة في بني فاطمة
فاتخذ لهم شعارا وألبسهم ثيابا خضرا لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار
سائر المسلمين في جمعهم ونحوها والاحمر مختلف في كراهته والاصفر شعار اليهود
بآخرة ثم أنثنى عزمه عن ذلك وردّ الخلافة لبني العباس فبقي ذلك شعار الاشراف
العلويين من الزهراء لكنهم اختصروا الثياب الى قطعة من ثوب أخضر توضع
على عمائمهم شعارا ثم انقطع ذلك الى أواخر القرن الثامن قال في حوادث سنة ثلاث
وسبعين وسبعمائة من انباء الغمر بأبناء العمر وفيها أمر السلطان الاشراف أن يمتازوا

عن الناس بعصائب خضر على العمائم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما وفى ذلك يقول الاديب أبو عبد الله بن جابر الاندلسى

جعلوا لابناء الرسول علامة ✿ ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم ✿ يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وللاديب شمس الدين الدمشقى رحمه الله

أطراف تيجان أتت من سندس ✿ خضر باعلام على الاشراف
والاشرف السلطان قد خصهم بها ✿ شرفا ليفرقهم من الاطراف

والاشرف السلطان هو شعبان بن حسن بن الناصر محمد ابن قلاون

✿(وأما الصحابة رضوان الله عليهم)✿

فقال سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة لما أخبر سبحانه وتعالى أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حقا من غير شك ولا ريب قال محمد رسول الله وهذا مبتدأ وخبر وقال البيضاوى وغيره جملة مبينة للمشهود به يعنى قوله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق الى قوله وكفى بالله شهيدا قال ويجوز أن يكون رسول الله صفة ومحمد خبر مبتدأ محذوف انتهى وهذه الآية مشتملة على كل وصف جميل ثم ثنى بالثناء على أصحابه فقال والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم كما قال تعالى فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فوصفهم بالشدة والغلظة على الكفار والرحمة والبر بالاخيار ثم اثنى عليهم بكثرة الاعمال مع الاخلاص التام فمن نظر اليهم أعجبه سمتهم وهديهم لخلوص نياتهم وحسن أعمالهم ✿ قال مالك بلغنى أن النصارى كانوا اذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فان هذه الامة المحمدية خصوصا الصحابة لم يزل ذكرهم معظما فى الكتب كما قال سبحانه وتعالى ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه أى افراخه فآزره أى شده وقواه فاستغلظ شب فطال فاستوى على سوقه يعجب الزراع قوته وغلظه وحسن منظره فكذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطأ مع الزرع ليغيظ بهم الكفار ومن هذه الآية انتزع الامام مالك رحمه الله فى رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر وقد وافقه على ذلك جماعة من العلماء والاحاديث فى فضل الصحابة كثيرة ويكفى ثناء الله عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله

مغفرة وأجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ومن في قوله منهم لبيان الجنس * واختلف في تعريف الصحابي فقيل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين واليه ذهب البخاري وسبقه اليه شيخه ابن المديني وعبارته كما قال شيخنا من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحابه انتهى وهذا هو الراجح والتقييد بالاسلام يخرج من صحبه أو رآه من الكفار ولو اتفق اسلامه بعد موته لكن يرد على التعريف من صحبه أو رآه مؤمنا به ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد الى الاسلام كعبيد الله ابن جحش فانه ليس بصحابي اتفاقا وكذلك ابن خطل وربيعة ابن أمية ابن خلف الجمحي وهو ممن أسلم في الفتح وشهد حجة الوداع وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله في خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شيء أغضبه * وقد أخرج له الامام أحمد في مسنده واخراجه له مشكل ولعله لم يقف على قصة ارتداده فينبغي أن يزاد في التعريف ومات على ذلك فلو ارتد ثم عاد الى الاسلام لكنه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح أنه معدود في الصحابة لاطباق المحدثين على عد الاشعث بن قيس ونحوه ممن وقع له ذلك واخراجهم أحاديثهم في المسانيد لكن قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك نظرا كبيرا فان الردة محبطة للعمل عند أبي حنيفة ونص عليه الشافعي في الام وان كان الرافعي قد حكى عنه أنها انما تحبط بشرط اتصالها بالموت وحينئذ فالظاهر أنها محبطة للصحبة المتقدمة أما من رجع الى الاسلام في حياته صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن أبي سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الاسلام وهل يشترط في الرائي أن يكون بحيث يميز ما رآه أو يكتفي بمجرد حصول الرؤية قال الحافظ ابن حجر محل نظر وعمل من صنف في الصحابة يدل على الثاني فانهم ذكروا مثل محمد بن أبي بكر الصديق وانما ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر وأيام كما ثبت في الصحيح أن أمه أسماء بنت عميس ولدته في حجة الوداع قبل أن تدخل مكة وذلك في أواخر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة ومنهم من بالغ فكان لا يعد في الصحابة الا من صحب الصحبة العرفية * وروى عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يعد في الصحابة الا من أقام مع النبي صلى الله عليه وسلم سنة فصاعدا أو غزا معه غزوة فصاعدا والعمل على خلاف هذا القول ومنهم من اشترط في ذلك ان يكون حين اجتماعه به بالغا وهو مردود أيضا لانه يخرج مثل الحسن بن علي ونحوه من احداث الصحابة وأما التقييد بالرؤية فالمراد به عند عدم

المانع منها فان كان كابن أم مكتوم الاعمى فهو صحابي جزما فالاحسن أن يعبر بالتلاقي بدل الرؤية ليدخل فيه ابن أم مكتوم ونحوه قال الحافظ زين الدين العراقي وقولهم من رأى النبي صلى الله عليه وسلم هل المراد رآه في حال نبوته أو أعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبل النبوة على دين الحنيفية كزيد ابن عمرو بن نفيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أنه يبعث أمة وحده وقد ذكره في الصحابة أبو عبد الله بن منده وكذلك لو رآه قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش الى بعد زمن البعثة وأسلم ثم مات ولم يره ولم أر من تعرض لذلك ويدل على أن المراد رآه بعد نبوته انهم ترجموا في الصحابة لمن ولد للنبي صلى الله عليه وسلم كابراهيم وعبد الله ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها كالقاسم انتهى وهل يختص جميع ذلك ببني آدم أم يعم غيرهم من العقلاء محل نظر أما الجن فالراجح دخولهم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطائعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة وان كان ابن الاثير عاب على أبي موسى فلم يستند في ذلك الى حجة وأما الملائكة فيتوقف عدهم في ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله فيمن رآه في قيد الحياة الدنيوية أما من رآه بعد موته وقبل دفنه فالراجح أنه ليس صحابيا والالعد من اتفق أنه رأى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الاعصار وكذلك من كشف له من الاولياء عنه صلى الله عليه وسلم فرآه كذلك على طريق الكرامة كما قدمت مباحثه في خصوصياته عليه الصلاة والسلام من المقصد الرابع اذ حجة من أثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه أنه مستمر الحياة وهذه الحياة ليست دنيوية وانما هي أخروية لا تتعلق بها أحكام الدنيا وأما من رآه في المنام وان كان قد رآه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا ولا يجب عليه أن يعمل بما أمره به في تلك الحالة وقد أجمع جمهور العلماء من السلف والخلف على أنهم خير خلق الله وأفضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة المقربين لما روى البخاري من حديث عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وله من حديث عمران بن حصين خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثا * قال في فتح الباري والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر من الامور المقصودة ويطلق على مدة من الزمان واختلفوا في تحديدها من عشرة أعوام الى مائة وعشرين لكن لم أر من

صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قائل وقال صاحب المحكم هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن وهذا أعدل الاقوال والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحابة وتقدم في أول المقصد الاول حديث بعثت من خير قرون بني آدم وفي رواية بريدة عند أحمد خير هذه الامة القرن الذي بعثت فيهم ✿ وقد ضبط الائمة من الحفاظ آخر من مات من الصحابة على الاطلاق بلا خلاف أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم وكان موته سنة مائة على الصحيح وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشر ومائة وهو الذي صححه الذهبي وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها اليوم أحد ✿ وفي رواية مسلم أرأيتكم ليلتكم هذه فانه ليس من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة وأما ما ذكر ان عكراش بن ذؤيب عاش بعد يوم الجمل مائة سنة فذلك غير صحيح وان صح فمعناه أنه استكمل المائة بعد الجمل لا أنه بقي بعدها مائة سنة كما نص عليه الائمة وأما ما ذكر أيضا من أمر بابارتن ونحوه فان ذلك لا يروج على من له أدنى مسكة من العقل كما قاله الائمة وأما آخر الصحابة موتا بالاضافة الى النواحي فقد أفردهم ابن منده وأما قوله ثم الذين يلونهم فهم أهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون ثم الذين يلونهم وهم أتباع التابعين واقتضى هذا الحديث أن تكون الصحابة أفضل من التابعين والتابعون أفضل من اتباع التابعين لكن هل هذه الفضيلة بالنسبة الى المجموع أو الافراد والذي ذهب اليه ابن عبد البر هو الاول كما قدمت ذلك في خصائص هذه الامة من المقصد الرابع واحتج لذلك سوى ما تقدم بحديث مثل أمتي مثل المطر لا يدري آخره خير أم أوله قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق وقد يرتقي بها الى درجة الصحة وقد روى ابن أبي شيبة من حديث عبد الرحمن ابن جبير بن نفير أحد التابعين باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدركن المسيح أقواما انهم لمثلكم أو خير ثلاثا ولن يخزي الله أمة انا أولها والمسيح آخرها ٥ وروى أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة رفعه تأتي أيام للعامل فيها أجر خمسين قيل منهم أو منا يا رسول الله قال بل منكم وهو شاهد لحديث مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره لكن حديث للعامل منهم أجر خمسين منكم لا يدل على أفضلية غير الصحابة لان مجرد زيادة الاجر لا يستلزم ثبوت الافضلية المطلقة وأيضا الاجر انما يقع تفاضله بالنسبة الى ما يماثله في ذلك العمل فأما ما فاز به من شاهد النبي صلى الله عليه وسلم

من فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها أحد ولا ريب أن من قاتل معه أو في زمانه بأمره أو أنفق شيأ من ماله بسببه لا يعدله أحد في الفضل بعده كائنا من كان قال الله تعالى لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكذلك من ضبط الشرع المتلقى عنه وبلغه لمن بعده فيحصل النزاع يتمحض فيمن لم يحصل له الا مجرد المشاهدة وقد ظهر أنه فاز بما لم يفز به من لم يحصل له ذلك وبهذا يمكن تأويل الاحاديث المتقدمة ثم ان الصحابة على ثلاثة أصناف الاول المهاجرون الثاني الانصار وهم الاوس والخزرج وحلفاؤهم ومواليهم الثالث من أسلم يوم الفتح قال ابن الاثير في الجامع والمهاجرون أفضل من الانصار وهذا على سبيل الاجمال وأما على سبيل التفصيل فان جماعة من سباق الانصار أفضل من جماعة من متأخري المهاجرين وانما سباق المهاجرين أفضل من سباق الانصار ثم هم بعد ذلك متفاوتون فرب متأخر في الاسلام أفضل من متقدم عليه مثل عمر بن الخطاب وبلال بن رباح وقد ذكر العلماء الصحابة ترتيبا على طبقات وممن قسمهم كذلك الحاكم في علوم الحديث ❁ الطبقة الاولى قوم أسلموا بمكة أول البعث وهم سباق المسلمين مثل خديجة بنت خويلد وعلي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق وزيد بن حارثة وبقية العشرة وقد تقدم الخلاف في أول من أسلم في المقصد الاول ❁ الطبقة الثانية أصحاب دار الندوة بعد اسلام عمر بن الخطاب حمل النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين الى دار الندوة وأسلم لذلك جماعة من أهل مكة ❁ الطبقة الثالثة الذين هاجروا الى الحبشة فرارا بدينهم من أذى المشركين أهل مكة منهم جعفر بن أبي طالب وأبو سلمة بن الاسد ❁ الطبقة الرابعة أصحاب العقبة الاولى وهم سباق الانصار الى الاسلام وكانوا ستة وأصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثنى عشر وقد تقدمت أسماء أهل العقبتين في المقصد الاول ❁ الطبقة الخامسة أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين من الانصار منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة ❁ الطبقة السادسة المهاجرون الذين وصلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته وهو بقباء قبل أن يبني المسجد وينتقل الى المدينة ❁ الطبقة السابعة أهل بدر الكبرى قال صلى الله عليه وسلم لعمر في قصة حاطب بن أبي بلتعة وما يدريك لعل الله اطلع على هذه العصابة من أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم رواه مسلم ❁ الطبقة الثامنة الذين هاجروا بين بدر والحديبية ❁ الطبقة التاسعة أهل بيعة الرضوان

الذين بايعوا بالحديبية تحت الشجرة قال عليه الصلاة والسلام لا يدخل النار ان شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة أحد رواه مسلم * الطبقة العاشرة الذين هاجروا بعد الحديبية وقبل الفتح كخالد بن الوليد وعمرو بن العاصي ومثل بعضهم بأبي هريرة لكن قال الحافظ العراقي لا يصح التمثيل به فانه هاجر قبل الحديبية عقيب خيبر بل في أواخرها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم * الطبقة الحادية عشر الذين أسلموا يوم الفتح وهم خلق كثير فمنهم من أسلم طائعا ومنهم من أسلم كارها ثم حسن اسلام بعضهم والله أعلم بهم * الطبقة الثانية عشر صبيان أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ورأوه عام الفتح وبعده في حجة الوداع وغيرهما كالسائب ابن يزيد ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح على الصحيح من الاقوال * وأما عدة أصحابه صلى الله عليه وسلم فمن رام حصر ذلك رام أمرا بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالى لكثرة من أسلم من أول البعثة الى أن مات النبي صلى الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان والبوادي وقد روى البخاري أن كعب بن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يعني الديوان لكن قد جاء ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك * وقد روى أنه سار عام الفتح في عشرة آلاف من المقاتلة والى حنين في اثني عشر ألفا والى حجة الوداع في تسعين ألفا والى تبوك في سبعين ألفا * وقد روى أنه قبض عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا والله أعلم بحقيقة ذلك ثم ان أفضلهم على الاطلاق عند أهل السنة اجماعا أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما عن ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ابن عفان رواه البخاري وفي رواية عبيد الله ابن عمر عن نافع كنا في زمان النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم رواه البخاري أيضا * وقوله لا نعدل بأبي بكر أحدا أي لا نجعل له مثلا ولأبي داود من طريق سالم عن ابن عمر كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبراني في رواية فيسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره * وروى خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن ابن عمر كنا نقول اذا ذهب أبو بكر وعمر وعثمان استوى الناس فيسمع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فلا ينكره وفي ذلك تقديم عثمان بعد أبي بكر وعمر وأهل السنة على أن عليا بعد عثمان وذهب بعض السلف الى تقديم

على على عثمان وممن قال به سفيان الثورى وقيل لا يفضل أحدهما على الآخر ونقل ذلك عن مالك فى المدونة وتبعه جماعة منهم يحيى ابن القطان وقال ابن معين من قال أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعرف لعلى سابقة وفضيلة فهو صاحب سنة ولا شك أن من اقتصر على عثمان ولم يعرف لعلى فضيلة فهو مذموم وقد ادعى ابن عبد البر أن حديث الاقتصار على الثلاثة أبى بكر وعمر وعثمان خلاف قول أهل السنة ان عليا أفضل الناس بعد الثلاثة وتعقب بأنه لا يلزم من سكوتهم اذ ذاك عن تفضيله عدم تفضيله فالمقطوع به عند أهل السنة القول بأفضلية أبى بكر ثم عمر ثم اختلفوا فيمن بعدهما فالجمهور على تقديم عثمان وعن مالك الوقف والمسئلة اجتهادية ومستندها أن هؤلاء الاربعة اختارهم الله لخلافة نبيه واقامة دينه فمنزلتهم عنده بحسب ترتيبهم فى الخلافة وقال الامام أبو منصور البغدادى أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الاربعة ثم الستة تمام العشرة يعنى طلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن بن عوف وأبا عبيدة عامر بن الجراح * وقد روى الترمذى عن سعيد بن زيد أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة فى الجنة أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى والزبير وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر فقال له القوم ننشدك الله من العاشر فقال نشدتمونى بالله سعيد بن زيد فى الجنة يعنى نفسه * وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه أنه خرج الى المسجد فسأل عن النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا وجه ههنا فخرجت فى اثره حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته فتوضأ فقمت اليه فاذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها فجلست عند الباب فقلت لأكونن بوّاب النبى صلى الله عليه وسلم اليوم فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت من هذا فقال أبو بكر فقلت على رسلك ثم ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت هذا أبو بكر يستأذن فقال ائذن له وبشره بالجنة فأقبلت حتى قلت لابى بكر ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم معه فى القف ودلى رجليه فى البئر كما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكشف عن ساقيه ثم رجعت فجلست وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقنى فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يريد أخاه يأت به فاذا انسان يحرك الباب فقلت من هذا قال عمر بن الخطاب فقلت على رسلك ثم جئت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستأذن

فقال ائذن له و بشره بالجنة فجئت فقلت ادخل و بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة فجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القف عن يساره ودلى رجليه فى البئر فرجعت وجلست وقلت ان يرد الله بفلان خيرا يأت به فجاء انسان فحرك الباب فقلت من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت على رسلك وجئت الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ائذن له و بشره بالجنة على بلوى تصيبه فجئت فقلت ادخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالجنة على بلوى تصيبك فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر قال شريك قال سعيد بن المسيب فأولتها قبورهم رواه أحمد ومسلم وأبو حاتم وأخرجه البخارى * وأخرج أبو داود نحوه عن أبى سلمة عن نافع بن عبد الحارث الخزاعى قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط المدينة فقال املك على الباب فجاء أبو بكر فاستأذن فذكر نحوه قال الطبرانى وفى حديث أن نافع بن الحارث هو الذى كان يستأذن وهذا يدل على تكرر القصة لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر عدم التعدد وأنها عن أبى موسى ووهم القول بغيره وأنشد لنفسه

لقد بشر الهادى من الصحب زمرة * بجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد زبير سعد طلحة عامر * أبو بكر عثمان ابن عوف على عمر

ولأبى الوليد بن الشحنة

أسماء عشر رسول الله بشرهم * بجنة الخلد عمن زانها وعمر
سعد سعيد على عثمان طلحة بو * بكر ابن عوف ابن جراح الزبير عمر

فان قلت من اعتقد فى الخلفاء الاربعة الافضلية على الترتيب المعلوم ولكن محبته لبعضهم تكون أكثر هل يكون اثما به أم لا فأجاب شيخ الاسلام الولى بن العراقى أن المحبة قد تكون لامر دينى وقد تكون لامر دنيوى فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن كان أفضل كانت محبتنا الدينية له أكثر فمتى اعتقد فى واحد منهم أنه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان تناقضا نعم ان أحببنا غير الافضل أكثر من محبة الافضل لامر دنيوى كقرابة واحسان فلا تناقض فى ذلك ولا امتناع فمن اعترف بأن أفضل الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على لكنه أحب عليا أكثر من أبى بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية لازمة للافضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بأفضلية أبى بكر الا بلسانه وأما بقلبه فهو مفضل لعلى لكونه أحبه محبة دينية زائدة على محبة أبى بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية

لكونه من ذريته على أولية ذلك من المعاني فلا امتناع فيه والله أعلم انتهى
* وقد روى الطبري في الرياض وعزاه للملا في سيرته عن أنس مرفوعا ان الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج
* وأخرج الحافظ السلفي في مشيخته من حديث أنس مرفوعا حب أبي بكر واجب على أمتي * وأخرج الانصاري عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا بكر ليت اني لقيت اخواني فقال أبو بكر يا رسول الله نحن اخوانك قال لا أنتم أصحابي اخواني الذين لم يروني وصدقوا بي وأحبوني حتى اني لاحب الى أحدهم من ولده ووالده قالوا يا رسول الله أما نحن اخوانك قال لا بل أنتم أصحابي الا تحب يا أبا بكر قوما أحبوك بحبي اياك قال فأحبهم ما أحبوك بحبي اياك فمحبة من أحبه الرسول صلى الله عليه وسلم كآل بيته وأصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أن محبته عليه الصلاة والسلام علامة على محبة الله تعالى وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم فمن أحب شيأ أحب من يحب وأبغض من يبغض قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله فحب آل بيته عليه الصلاة والسلام وأصحابه وأولاده وأزواجه من الواجبات المتعينات وبغضهم من الموبقات المهلكات
* ومن محبتهم وجوب توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بأن يمشي على سننهم وآدابهم وأخلاقهم والعمل بأقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال وحسن الثناء عليهم بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد أثنى الله تعالى عليهم في كتابه المجيد ومن أثنى الله عليه فهو واجب الثناء والاستغفار لهم
* قالت عائشة أمروا أن يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم رواه مسلم وغيره وفائدة المستغفر لهم عائدة عليه * قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول صلى الله عليه وسلم من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره ومما يجب أيضا الامساك عما شجر بينهم أي وقع بينهم من الاختلاف والاضطراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أصحابي فأمسكوا وان يلتمس لهم مما نقل من ذلك فيما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج اذهم أهل ذلك كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود من مآثرهم مما يطول ايراد بعضه وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات فسبهم

والطعن فيهم اذا كان مما يخالف الادلة القطعية كفر كقذف عائشة رضى الله عنها والافبدعة وفسق قال عليه الصلاة والسلام أيها الناس احفظونى فى أختانى وأصهارى وأصحابى لا يطالبنكم الله بمظلمة أحد منهم فانها ليست مما يوهب رواه الخلعى وقال عليه الصلاة والسلام الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا من بعدى من أحبهم فقد أحبنى ومن أبغضهم فقد أبغضنى ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه الله رواه المخلص الذهبى وهذا الحديث كما قال بعضهم خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب فى حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه اشارة الى أن حبهم من الايمان وبغضهم كفر لانه اذا كان بغضهم بغضاله كان كفرا بلا نزاع للحديث السابق لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه وهذا يدل على كمال قربهم منه بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كأن أذاهم واقع عليه وواصل اليه صلى الله عليه وسلم والغرض الهدف الذى يرمى فيه فهو نهى عن رميهم مؤكدا ذلك بتحذيرهم الله منه وما ذاك الا لشدة الحرمة * وروى مرفوعا من سب أحدا من أصحابى فاجلدوه خرجه تمام فى فوائده * وقال مالك بن أنس وغيره فيما ذكره القاضى عياض من أبغض الصحابة فليس له فى فىء المسلمين حق قال ونزع بآية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الآية وقال من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار والله أعلم

(المقصد الثامن فى طبه صلى الله عليه وسلم لذوى الامراض والعاهات وتعبيره الرؤيا وانبائه بالانباء المغيبات)

اعلم أنه لا سبيل لاحد الى الاحاطة بنقطة من بحار معارفه أو قطرة مما أفاضه الله تعالى عليه من سحائب عوارفه وأنت اذا تأملت ما منحه الله تعالى به من جوامع الكلم وخصه به من بدائع الحكم وحسن سيره وحكم حديثه وانبائه بأنباء القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى مع الخضر ويوسف مع اخوته وأصحاب الكهف وذى القرنين واشباه ذلك وبدأ الخلق وأخبار الدار الآخرة وما فى التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى واظهار أحوال الانبياء وأممهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم وغير ذلك مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فضلا عما أفاضه من العلم ومحاسن الآداب والشيم والمواعظ والحكم والتنبيه على طرق الحجج العقليات

والردّ على فرق الامم ببراهين الادلة الواضحات والاشارة الى فنون العلوم الذى اتخذ أهلها كلامه فيها قدوة واشاراته حجة كاللغة والمعانى والبيان والعربية وقوانين الاحكام الشرعية والسياسات العقلية ومعارف عوارف الحقائق القلبية الى غير ذلك من ضروب العلوم وفنون المعارف الشاملة لمصالح أمته كالطب والعبارة والحساب وغير ذلك مما لا يعد ولا يحد قضيت بأن مجال هذا الباب فى حقه عليه الصلاة والسلام ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء فان بحر علمه ومعارفه زاخر لا تكدره الدلا وهذا المقصد أعزك الله يشتمل على ثلاثة فصول

(الفصل الاول فى طبه صلى الله عليه وسلم لذوى الامراض والعاهات)

اعلم أنه قد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يعود من مرض من أصحابه حتى انه لقد عاد غلاما كان يخدمه من أهل الكتاب وعاد عمه وهو مشرك وعرض عليهما الاسلام فأسلم الاول وكان يهوديا كما روى البخارى وأبو داود من حديث أنس أن غلاما من اليهود كان يخدم النبى صلى الله عليه وسلم فمرض فعاده صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه فقال أسلم فنظر الى أبيه وهو عنده فقال أطع أبا القاسم فأسلم فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذى أنقذه من النار وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأل عن حاله ويقول كيف تجدك وفى حديث جابر عند البخارى ومسلم والترمذى وأبى داود قال مرضت فأتانى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودنى وأبو بكر وهما ماشيان فوجدانى أغمى على فتوضأ النبى صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه على فأفقت فاذا النبى صلى الله عليه وسلم وعند أبى داود فنضح فى وجهى فأفقت وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال يا جابر لا أراك ميتا من وجعك هذا وفى حديث أبى موسى عند البخارى مرفوعا أطعموا الجائع وعودوا المرضى وفكوا العانى وعنده من رواية البراء أمرنا صلى الله عليه وسلم بسبع وذكر منها عيادة المريض وعند مسلم خمس تجب للمسلم على المسلم فذكرها منها قال ابن بطال يحتمل أن يكون الامر على الوجوب يعنى الكفاية كاطعام الجائع وفك الاسير ويحتمل أن يكون على الندب للفواصل والالفة وعند الطبرى يتأكد فى حق من ترجى بركته وتسن فى من يراعى حاله وتباح فى ما عدا ذلك وهو فرض كفاية عند أبى حنيفة كما قاله أبو الليث السمرقندى فى مقدمته واستدل بعموم قوله عودوا المرضى على مشروعية العيادة فى كل مرض واستثنى بعضهم الارمد ورد بأنه قد جاء فى عيادة الارمد بخصوصها حديث زيد بن الارقم قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع كان

يعني رواه أبو داود وصححه الحاكم وأما ما أخرجه البيهقي والطبراني مرفوعا ثلاثة ليس لهم عيادة الرمد والدمل والضرس فصحح البيهقي أنه موقوف على يحيى بن أبي كثير ويؤخذ من اطلاقه أيضا عدم التقييد بزمان يمضي من ابتداء مرضه وهو قول الجمهور وجزم الغزالي في الاحياء بأنه لا يعاد الا بعد ليال ثلاث واستند الى حديث أخرجه ابن ماجه عن أنس كان صلى الله عليه وسلم لا يعود مريضا الا بعد ثلاثة وهذا حديث ضعيف تفرد به مسلمة بن علي وهو متروك وقال أبو حاتم هو حديث باطل ولا نطيل بايراد ماورد في فضل العيادة ويكفي حديث أبي هريرة مما حسنه الترمذي مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وهذا لفظ ابن ماجه وفي سنن أبي داود عن أنس مرفوعا من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفا وفي حديث أبي سعيد عند ابن حبان في صحيحه مرفوعا خمس من عملهن في يوم كتبه الله من أهل الجنة من عاد مريضا وشهد جنازة وصام يوما وراح الى الجمعة واعتق رقبة وعند أحمد عن كعب مرفوعا من عاد مريضا خاض في الرحمة فاذا جلس عنده استنقع فيها زاد الطبراني واذا قام من عنده فلا يزال يخوض فيها حتى يرجع من حيث خرج ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص يوما من الايام بعيادة المريض ولا وقتا من الاوقات فترك العيادة يوم السبت مخالف للسنة ابتدعه يهودي طبيب الملك قد مرض وألزمه بملازمته فأراد يوم الجمعة أن يمضي لسبته فمنعه فخاف على استحلال سبته ومن سفك دمه فقال ان المريض لا يدخل عليه يوم السبت فتركه الملك ثم أشيع ذلك وصار كثير من الناس يعتمده ومن الغريب مانقله ابن الصلاح عن الغراوي ان العيادة تستحب في الشتاء ليلا وفي الصيف نهارا ولعل الحكمة في ذلك أن المريض يتضرر بطول الليل في الشتاء وبطول النهار في الصيف فتحصل له بالعيادة استراحة وينبغي اجتناب التطبب بأعداء الدين من يهودي أو نحوه فانه مقطوع بغشه سيما ان كان المريض كبيرا في دينه أو علمه خصوصا ان كان هذا العدو يهوديا لان قاعدة دينهم ان من نصح منهم مسلما فقد خرج عن دينه وان من استحل السبت فهو مهدر الدم عندهم حلال لهم سفك دمه ولا ريب أن من خاطر بنفسه يخشى عليه أن يدخل في عموم النهي في من قتل نفسه بشيء وقد كثر الضرر في هذا الزمن بأهل الذمة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله يرحم القائل

لعن النصارى واليهود فانهم ✲ بلغوا بمكرهم بنا الآمالا

خرجوا

ومما كان يفعله عليه الصلاة والسلام ويأمر به تطييب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم ففي حديث أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله فان ذلك يطيب نفسه يريد مثل أن يقول له لا بأس عليك طهور ان شاء الله ووجهك الآن أحسن وما أشبه ذلك وقد يكون من هذا أن يذكر له الاجر والداخل عليه في مرضه وأن المرض كفارة فربما أصلح ذلك قلبه وأمن من خوف زال ونحوه وقال بعضهم في هذا الحديث نوع شريف جدا من أنواع العلاج وهو الارشاد الى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة وتنتعش به القوة وينبعث به الحار الغريزي ويساعده على دفع العلة أو تخفيفها الذي هو غاية تأثير الطبيب وفي تفريح نفس المريض وتطييب قلبه وادخال السرور عليه تأثير عجيب في شفاء علته وخفتها فان الارواح والقوى تقوى بذلك فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي وقد شاهد الناس كثيرا من المرضى تنتعش قواهم بعيادة من يحبونه ويعظمونه ورؤيتهم له ولطفهم بهم ومكالمتهم اياهم قال في الهدى وكان صلى الله عليه وسلم يسأل المريض عن شكواه وكيف يجده عن ما يشتهيه فان اشتهى شيأ وعلم أنه لا يضره أمر له به ويضع يده على جبهته وربما وضعها بين ثدييه ويدعو له ويصف له ما ينفعه في علته وربما توضأ وصب على المريض من وضوئه كما في حديث جابر المتقدم وربما كان يقول للمريض لا بأس عليك طهور ان شاء الله وربما كان يقول كفارة وطهور وقالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا عاد مريضا يضع يده على المكان الذي يألم ثم يقول بسم الله رواه أبو يعلى بسند حسن وأخرج الترمذي من حديث أبي أمامة بسند لين رفعه تمام عيادة المريض ان يضع أحدكم يده على جبهته فيسأله كيف هو وعند ابن السني بلفظ كيف أصبحت أو كيف أمسيت واذا علمت هذا فاعلم أن المرض نوعان مرض القلوب ومرض الابدان فأما طب القلوب ومعالجتها فخاص بما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى لا سبيل الى حصوله الا من جهته فان صلاح القلوب ان تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وان تكون مؤثرة لرضاه ومحابه متجنبة لمناهيه ومساخطه ولا صحة لها ولا حياة ألبتة الا بذلك ولا سبيل الى تلقي ذلك الا من جهة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأما طب الاجساد فمنه ما جاء في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم ومنه ما جاء عن غيره لانه صلى الله عليه وسلم انما بعث هاديا وداعيا الى الله والى جنته ومعرفا

بالله ومبينا للائمة مواقع رضاه وآمرالهم بها ومواقع سخطه وناهيالهم عنها ومخبرهم أخبار الانبياء والرسل وأحوالهم مع أممهم وأخبار تخليق العالم وأمر المبدا والمعاد وكيفية شقاوة النفوس وسعادتها وأسباب ذلك وأما طب الاجساد فجاء من تكميل شريعته ومقصودا لغيره بحيث انما يستعمل للحاجة اليه فاذا قدر الاستغناء عنه كان صرف الهم الى علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها مما يفسدها هو المقصود باصلاح الجسد واصلاح الجسد بدون اصلاح القلب لا ينفع وفساد البدن مع اصلاح القلب مضرته يسيرة جدا وهى مضرة زائلة تعقبها المنفعة الدائمة التامة فاذا علمت هذا فاعلم أن ضرر الذنوب فى القلوب كضرر السموم فى الابدان على اختلاف درجاتها فى الضرر وهل فى الدنيا والآخرة شر وداء الا وسببه الذنوب والمعاصى فللمعاصى من الآثار القبيحة المذمومة والمضرة بالقلب والبدن والدنيا والآخرة مالا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم فان العلم نور يقذفه الله فى القلب والمعصية تطفىء ذلك النور وللامام الشافعى رضى الله عنه

شكوت الى وكيع سوء حفظى ❋ فأرشدنى الى ترك المعاصى
وقال اعلم بأن العلم نور ❋ ونور الله لا يؤتاه عاصى

ومنها حرمان الرزق ففى المسند وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ومنها وحشة يجدها العاصى فى قلبه بينه وبين الله ولا يوازنها ولا يقارنها لذة ومنها تعسير أموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا دونه أو متعسرا عليه ومنها ظلمة يجدها فى قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم اذا ادلهم وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع فى البدع والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر ثم تقوى هذه الظلمة حتى تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراها كل أحد ومنها أنها توهن القلب والبدن ومنها حرمان الطاعة وتقصير العمر ومحق البركة ولا تمتنع زيادة العمر بأسباب كما ينقص بأسباب وقيل تأثير المعاصى فى محق العمر انما هو بأن حقيقة الحياة هى حياة القلب فليس عمر المرء الا أوقات حياته بالله فتلك ساعات عمره فالبر والتقوى والطاعات تزيد فى هذه الاوقات التى هى حقيقة عمره ولا عمر له سواها وبالجملة فالعبد اذا أعرض عن الله واشتغل بالمعاصى ضاعت عليه أيام حياته الحقيقية ومنها أن المعصية تورث الذل ومنها أنها تفسد العقل فان للعقل نورا والمعصية تطفىء نور العقل ومنها أنها تزيل النعم وتحل النقم فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ولا حلت به نقمة الا بذنب وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقد أحسن القائل

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان الذنوب تزيل النعم
وحطها بطاعة رب العباد * فرب العباد سريع النقم

ومن عقوبتها أنها تستجلب مواد هلاك العبد فى دنياه وآخرته فان الذنوب هى أمراض متى استحكمت قتلت ولا بد وكما أن البدن لا يكون صحيحا الا بغذاء يحفظ قوته واستفراغ يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الرديئة التى متى غلبت عليه أفسدته وحمية يمتنع بها من تناول ما يؤذيه و يخشى ضرره فكذلك القلب لا تتم حياته الا بغذاء من الايمان والاعمال الصالحة يحفظ قوته واستفراغ بالتوبة النصوح يستفرغ المواد الفاسدة والاخلاط الرديئة التى متى غلبت عليه أفسدته وحمية توجب له حفظ الصحة وتجنب ما يضادها وهى عبارة عن ترك استعمال ما يضاد الصحة والتقوى اسم متناول لهذه الامور الثلاثة فما فات منها فات من التقوى بقدره واذا تبين هذا فالذنوب مضادة لهذه الامور الثلاثة فانها تستجلب المواد المؤذية وتوجب التخاليط المضادة للحمية وتمنع الاستفراغ بالتوبة النصوح فانظر الى بدن عليل قد تراكمت عليه الاخلاط ومواد المرض وهو لا يستفرغها ولا يحتمى لها كيف تكون صحته و بقاؤه وقد أحسن القائل

جسمك بالحمية حصنته * مخافة من ألم طارى
وكان أولى بك أن تحتمى * من المعاصى خشية النار

فمن حفظ القوة بامتثال الاوامر واستعمل الحمية باجتناب النواهى واستفرغ التخليط بالتوبة النصوح اذا لم يدع للخير مطلبا ولا للشر مهربا وفى حديث أنس ألا أدلكم على دائكم ودوائكم ألا ان داءكم الذنوب ودواءكم الاستغفار فقد ظهر لك أن طب القلوب ومعالجتها لا سبيل الى معرفته الا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحى وأما طب الاجساد فغالبه يرجع الى التجربة ثم هو نوعان نوع لا يحتاج الى فكر ونظر بل فطر الله على معرفته الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش والبرد والتعب وهذا لا يحتاج فيه الى معالجة طبيب ونوع يحتاج الى الفكر والنظر كدفع ما يحدث فى البدن مما يخرجه عن الاعتدال وهو اما حرارة أو برودة وكل منهما اما الى رطوبة أو يبوسة أو الى ما يتركب منهما وغالب ما يقاوم الواحد منها بضده والدفع قد يقع من خارج البدن وقد يقع من داخله وهو أعسرهما والطريق الى معرفته بتحقيق السبب والعلامة فالطبيب الحاذق هو الذى يسعى فى تفريق ما يضر بالبدن جمعه أو عكسه وفى تنقيص ما يضر بالبدن زيادته أو عكسه ومدار ذلك على ثلاثة أشياء حفظ الصحة والاحتماء عن المؤذى

واستفراغ المادة الفاسدة وقد أشير الى الثلاثة فى القرآن فالاول فى قوله تعالى
فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وذلك أن السفر مظنة النصب
وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فأبيح الفطر وكذا القول
فى المرض والثانى وهو الحمية من قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم فانه استنبط منه
جواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد وقال تعالى فى آية الوضوء وان كنتم
مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فأباح للمريض العدول عن الماء الى التراب حمية له أن يصيب جسده
ما يؤذيه وهو تنبيه على الحمية عن كل مؤذله من داخل أو خارج والثالث من قوله
تعالى أو به أذى من رأسه ففدية فانه أشير بذلك الى جواز حلق الرأس لذى منع منه
المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحتقن فى الرأس تحت الشعر لانه اذا
حلق رأسه تفتحت المسام فخرجت تلك الابخرة منها فهذا الاستفراغ يقاس عليه
كل استفراغ يؤذى انحباسه فقد أرشد تعالى عباده الى أصول الطب الثلاثة
ومجامع قواعده وفى الصحيحين من حديث عطاء عن أبى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما أنزل الله داء الا وأنزل له شفاء وأخرجه النسائى وصححه ابن
حبان والحاكم عن ابن مسعود بلفظ ان الله لم ينزل داء الا وأنزل له شفاء فتداووا
وعند أحمد من حديث أنس ان الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا وعند
البخارى فى الادب المفرد وأحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذى وابن خزيمة
والحاكم عن أسامة بن شريك رفعه تداووا يا عباد الله فان الله لم يضع داء الا وضع له
شفاء الا داء واحدا وهو الهرم وفى لفظ الا السام وهو بمهملة مخففا الموت يعنى الا داء
الموت أى المرض الذى قدر على صاحبه الموت فيه واستثنى الهرم فى الرواية الاولى
اما لانه جعله شبيها بالموت والجامع بينهما نقص الصحة أو لقربه من الموت وافضائه
اليه ويحتمل أن يكون استثناء منقطعا والتقدير لكن الهرم لا دواء له ولابى داود
عن أبى الدرداء رفعه ان الله جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام
وفى البخارى ان الله تعالى لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم فلا يجوز التداوى بالحرام
وروى مسلم عن جابر مرفوعا لكل داء دواء فاذا أصيب دواء الداء برئ باذن الله
تعالى فالشفاء متوقف على اصابة الدواء الداء باذن الله تعالى وذلك أن الدواء قد
يحصل معه مجاوزة الحد فى الكيفية أو الكمية فلا ينجع بل ربما أحدث داء آخر
وفى رواية على عند الحميدى فى كتابه المسمى بطب أهل البيت ما من داء الا وله دواء
فاذا كان كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر فجعله بين الداء والدواء فكلما

شرب المريض من الدواء لم يقع على الداء فاذا أراد الله برءه أمر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدواء فينفعه الله تعالى به وفي حديث ابن مسعود رفعه ان الله لم ينزل داء الا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله رواه أبونعيم وغيره وفيه اشارة الى أن بعض الادوية لا يعلمها كل أحد وأما قوله لكل داء دواء فيجوز أن يكون على عمومه حتى يتناول الادواء القاتلة والادواء التي لا يمكن طبيب معرفتها و يكون الله قد جعل لها أدوية تبرئها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل لهم اليها سبيلا لانه لا علم للخلائق الا ما علمهم الله ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفاء على مصادفة الدواء للداء وقد يقع لبعض المرضى انه يتداوى من دائه بدواء فيبرأ ثم يعتريه بعد ذلك الداء والدواء بعينه فلا ينجع والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء فرب مرضين تشابها و يكون أحدهما مركبا لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركبا فيقع الخطأ من هناك وقد يكون متحدا لكن يريد الله أن لا ينجع وهنا تخضع رقاب الاطباء وفي مجموع ماذكرناه من الاحاديث الاشارة الى اثبات الاسباب وأن ذلك لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعاء بطلب الشفاء ودفع المضار وغير ذلك وقد سئل الحارث بن أسد المحاسبي في كتاب القصد من تأليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم قيل له من أين ذلك قال من وجود ذلك عن سيد المتوكلين الذي لم يلحقه لاحق ولا يسبقه في التوكل سابق محمد خير البرية صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول في خبر النبي صلى الله عليه وسلم من استرقى واكتوى برئ من التوكل قال برئ من توكل المتوكلين الذين ذكرهم في حديث آخر فقال يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب وأما سواهم من المتوكلين فيباح لهم الدواء والاسترقاء فجعل المحاسبي التوكل بعضه أفضل من بعض وقال في التمهيد انما أراد بقوله برئ من التوكل اذا استرقا الرقاء المكروهة في الشريعة أو اكتوى وهو يعلق رغبته في الشفاء بوجود الكي وكذلك قوله لا يسترقون الرقاء المخالفة للشريعة ولا يكتوون وقلوبهم معلقة بنفع الكي ومعرضة عن فعل الله تعالى وان الشفاء من عنده وأما اذا فعل ذلك على ما جاء في الشريعة وكان ناظرا الى رب الدواء وتوقع الشفاء من الله تعالى وقصد بذلك استعمال بدنه اذا صح لله تعالى واتعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص منه الدواء شيأ استدلالا بفعل سيد المتوكلين اذ عمل بذلك في نفسه وفي غيره انتهى فقد تبين أن التداوي لا ينافي التوكل بل لا تتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وأن

تعرضا لها يقدح في نفس التوكل كما يقدح في الامر والحكمة وحكى ابن القيم أنه ورد في خبر اسرائيلي أن الخليل عليه الصلاة والسلام قال يارب ممن الداء قال مني قال فمن الدواء قال مني قال فما بال الطبيب قال رجل أرسل الدواء على يديه قال وفي قوله صلى الله عليه وسلم لكل داء دواء تقوية لنفس المريض والطبيب وحث على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء وبرد من حرارة اليأس وانفتح له باب الرجاء وقويت نفسه وانبعثت حرارته الغريزية وكان ذلك سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت القوى التي هي حاملة لها فقهرت المرض ودفعته انتهى فان قلت ما المراد بالانزال في قوله في الاحاديث السابقة الا أنزل له دواء وفي الرواية الاخرى شفاء فالجواب أنه يحتمل أن يكون عبر بالانزال عن التقدير ويحتمل أن يكون المراد انزال علم ذلك على لسان الملك للنبي صلى الله عليه وسلم وأين يقع طب حذاق الاطباء الذي غايته أن يكون مأخوذا من قياس أو مقامات وحدس وتجربة من الوحي الذي يوحيه الله تعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم بما ينفعه ويضره فنسبة ما عند حذاق الاطباء من الطب الى هذا الوحي كنسبة ما عندهم من العلوم الى ما جاء به صلى الله عليه وسلم بل ههنا من الادوية التي تشفي من الامراض مالم يهتد اليها عقول أكابر الاطباء ولم تصل اليها علومهم وتجربتهم وأقيستهم من الادوية القلبية والروحانية وقوة القلب واعتماده على الله تعالى والتوكل عليه والانكسار بين يديه والصدقة والصلاة والدعاء والتوبة والاستغفار والاحسان الى الخلق والتفريج عن المكروب فان هذه الادوية قد جربتها الامم على اختلاف أديانها ومللها فوجد والها من التأثير في الشفاء مالم يصل اليه علم أعلم الاطباء وقد جربت ذلك والله مرات فوجدته يفعل مالا تفعله الادوية الحسية ولا ريب أن طب النبي صلى الله عليه وسلم متيقن البرء لصدوره عن الوحي ومشكاة النبوة وطب غيره أكثره حدس وتجربة وقد يتخلف الشفاء عن بعض من يستعمل طب النبوة وذلك لمانع قام بالمستعمل من ضعف اعتقاد الشفاء به وتلقيه بالقبول وأظهر الامثلة في ذلك القرآن الذي هو شفاء لما في الصدور ومع ذلك فقد لا يحصل لبعض الناس شفاء صدره به لقصوره في الاعتقاد والتلقي بالقبول بل لا يزيد المنافق الا رجسا الى رجسه ومرضا الى مرضه فطب النبوة لا يناسب الا الابدان الطيبة والقلوب الحية فاعراض الناس عن طب النبوة لاعراضهم عن الاستشفاء بالقرآن الذي هو الشفاء النافع وكان علاجه صلى الله عليه وسلم

للمريض

للمريض على ثلاثة أنواع أحدهما بالادوية الالهية الروحانية والثانى بالادوية الطبيعية والثالث بالمركب من الامرين

(النوع الاول فى طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية الالهية)

اعلم أن الله تعالى لم ينزل من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع فى ازالة الداء من القرآن فهو للداء شفاء ولصداء القلوب جلاء كما قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولفظة من كما قال الامام فخر الدين ليست للتبعيض بل للجنس والمعنى وننزل من هذا الجنس الذى هو القرآن شفاء من الامراض الروحانية وشفاء أيضا من الامراض الجسمانية أما كونه شفاء من الامراض الروحانية فظاهر وذلك لان المرض الروحانى نوعان الاعتقادات الباطلة وأشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة فى الالهية والنبوات والمعاد والقضاء والقدر والقرآن مشتمل على دلائل المذهب الحق فى هذه المطالب وابطال المذاهب الباطلة ولما كان أقوى الامراض الروحانية هو الخطأ فى هذه المطالب والقرآن مشتمل على الدلائل الكاشفة عما فى هذه المذاهب الباطلة من العيوب لاجرم كان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض الروحانى وأما الاخلاق المذمومة فالقرآن مشتمل على تفصيلها وتعريفها وما فيها من المفاسد والارشاد الى الاخلاق الفاضلة والاعمال المحمودة فكان القرآن شفاء من هذا النوع من المرض فثبت أن القرآن شفاء من جميع الامراض الروحانية وأما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته ينفع كثيرا من الامراض واذا اعتبر الجمهور من الفلاسفة وأصحاب الطلسمات بأن لقراءة الرقى المجهولة والعزائم التى لا يفهم منها شئ آثارا عظيمة فى تحصيل المنافع ودفع المفاسد أفلا تكون قراءة القرآن العظيم المشتمل على ذكر جلال الله تعالى وكبريائه وتعظيم الملائكة المقربين وتحقير المردة والشياطين سببا لحصول النفع فى الدين والدنيا ويتأيد ما ذكرناه بما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ونقل عن الشيخ أبى القاسم القشيرى رحمه الله أن ولده مرض مرضا شديدا حتى أشرف على الموت فاشتد عليه الامر قال فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فشكوت اليه ما بولدى فقال أين أنت من آيات الشفاء فانتبهت فأفكرت فيها فاذا هى فى ستة مواضع من كتاب الله وهى قوله تعالى ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما فى الصدور ويخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء قال فكتبتها ثم حللتها بالما

وسقيته اياها فكأنما نشط من عقال أو كما قال وانظر رقية اللديغ بالفاتحة وما فيها من السر البديع والبرهان الرفيع وتأمل قوله عليه الصلاة والسلام في بعض أدعيته وأن تجعل القرآن ربيع قلبي وجلاء حزني وشفاء صدري فيكون له بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء ويعيد البدن الى صحته واعتداله وفي حديث علي عند ابن ماجه مرفوعا خير الدواء القرآن وها هنا أمر ينبغي أن يتفطن له نبه عليه ابن القيم وهو ان الآيات والاذكار والادعية التي يستشفى بها ويرقى بها هي في نفسها نافعة شافية ولكن تستدعي قبول المحل وقوة همة الفاعل وتأثيره فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل أو لعدم قبول المحل المنفعل أو لمانع قوي فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء كما يكون ذلك في الادوية والادواء الحسية فان عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء وقد يكون لمانع قوي يمنع من اقتضائه أثره فان الطبيعة اذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول وكذلك القلب اذا أخذ الرقى والتعاويذ بقبول تام وكان الدواء في نفس فعاله وهمة مؤثرة أثر في ازالة الداء وكذلك الدعاء فانه من أقوى الاسباب في رفع المكروه وحصول المطلوب ولكن قد يتخلف أثره عنه اما لضعفه في نفسه بأن يكون دعاء لا يحبه الله لما فيه من العدوان واما لضعف القلب وعدم اقباله على الله وجمعيته عليه وقت الدعاء واما لحصول المانع من الاجابة من أكل الحرام والظلم ورين الذنوب على القلوب واستيلاء الغفلة والشهوة واللهو وقد روى الحاكم حديث واعلموا أن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه ومن أنفع الادوية الدعاء وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ويمنع نزوله ويرفعه أو يخففه اذا نزل وهو سلاح المؤمن واذا جمع مع الدعاء حضور القلب والجمعية بالكلية على المطلوب وصادف من أوقات الاجابة كثلث الليل الاخير مع الخضوع والانكسار والذل والتضرع وقتا واستقبال القبلة والطهارة ورفع اليدين والبداءة بالحمد والثناء على الله تعالى والصلاة والتسليم على سيدنا محمد بعد التوبة والاستغفار والصدقة وألح في المسئلة وأكثر التملق والدعاء وتوسل اليه بأسمائه وصفاته والتوجه اليه بنبيه صلى الله عليه وسلم فان هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا الا سيما ان دعا بالادعية التي أخبر صلى الله عليه وسلم أنها مظنة الاجابة فانها متضمنة للاسم الاعظم ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله تعالى والالتجاء اليه في كل ما ينوب الانسان وأما الرقى فاعلم أن الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحاني واذا كان على لسان الابرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله تعالى لكن لما عز هذا

النوع

النوع | فزع الناس الى الطب الجسماني وفي البخاري من حديث عائشة أنه صلى الله
عا | عليه وسلم كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات وهي الفلق
والناس والاخلاص فيكون من باب التغليب أو المراد الفلق والناس وكذلك
كل ما ورد من التعويذ في القرآن كقوله تعالى وقل رب أعوذ بك من همزات
الشياطين وأما ما أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي من حديث ابن مسعود أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره عشر خصال فذكر منها الرقى الا بالمعوذات
ففي سنده عبد الرحمن بن حرملة قال البخاري لا يصح حديثه وعلى تقدير صحته فهو
منسوخ بالاذن في الرقية بالفاتحة وأما حديث أبي سعيد عند النسائي كان صلى
الله عليه وسلم يتعوذ من الجن وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان فأخذ بهما
وترك ما سواهما وحسنه الترمذي فلا يدل على المنع من التعوذ بغير هاتين السورتين
بل على الاولوية ولا سيما مع ثبوت التعوذ بغيرهما وانما اجتزى بهما لما اشتملتا
عليه من جوامع الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا وقد أجمع العلماء على
جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط ان تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه
وصفاته وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر
بذاتها بل بتقدير الله تعالى واختلفوا في كونها شرطا والراجح أنه لا بد من اعتبارها
وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله
كيف ترى في ذلك فقال اعرضوا على رقاكم لا بأس بالرقى اذا لم يكن فيه شرك وله
من حديث جابر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم
فقالوا يا رسول الله انها كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب قال فاعرضوها
على قال فعرضوا عليه قال ما أرى بأسا من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه وقد
تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها ولو لم يعقل معناها لكن
دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي الى الشرك فانه يمتنع وما لا يعقل
معناه لا يؤمن أن يؤدي الى الشرك فيمنع احتياطا والشرط الاخير لا بد منه وقال
قوم لا تجوز الرقية الا من العين واللدغة لحديث عمران بن حصين لا رقية الا من
عين أو حمة وأجيب بأن معنى الحصر فيه أنهما أصل كل ما يحتاج الى الرقية فيلحق
بالعين جواز رقية من به خبل أو مس ونحو ذلك لاشتراكهما في كونهما ينشآن عن
أحوال شيطانية من انس أو جن ويلحق بالسم كل ما عرض للبدن من قرح ونحوه
من المواد السمية وقد وقع عند أبي داود من حديث أنس مثل حديث عمران وزاد
أو دم وفي مسلم من حديث أنس أيضا رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرقى

من العين والحمة والنملة وفي حديث آخر والأذن ولأبي داود ومن حديث الشفاء بنت عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا تعلمين هذه يعني حفصة رقية النملة والنملة قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد وقيل المراد بالحصر يعني الأفضل أي لا رقية أنفع كما قيل لا سيف أقطع الاذو الفقار وقال قوم المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه ذكره ابن عبد البر والبيهقي وغيرهما وروى أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم عن ابن مسعود رفعه أن الرقى والتمائم والتولة شرك والتمائم جمع تميمة وهي خرزة أو قلادة تعلق في الرأس كانوا في الجاهلية يعتقدون أن ذلك يدفع الآفات والتولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففا شيء كانت المرأة تستجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر وانما كان ذلك من الشرك لانهم أرادوا دفع المضار وجلب المنافع من عند غير الله ولا يدخل في ذلك ما كان بأسماء الله وكلامه فقد ثبت في الأحاديث استعمال ذلك قبل وقوعه كما سيأتي ان شاء الله تعالى ولا خلاف في مشروعية الفزع الى الله سبحانه وتعالى والالتجاء اليه سبحانه في كل ما وقع وكل ما يتوقع وقال بعضهم المنهي عنه من الرقى هو الذي يستعمله المعزم وغيره ممن يدعي تسخير الجن له فيأتي بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل تجمع الى ذكر الله تعالى وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعانة بهم والتعوذ من مردتهم ويقال ان الحية لعداوتها للانسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بني آدم فاذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها وكذا اللديغ اذا رقي بتلك الاسماء سالت سمومها من بدن الانسان فلذلك كره من الرقى ما لم يكن بذكر الله وأسمائه خاصة وباللسان العربي الذي يعرف معناه ليكون بريئا من شوب الشرك وعلى كراهة الرقى بغير كتاب الله تعالى علماء الامة وقال القرطبي الرقى ثلاثة أقسام أحدها ما كان يرقى به في الجاهلية مما لا يعقل معناه فيجب اجتنابه لئلا يكون فيه شرك أو يؤدي الى الشرك الثاني ما كان بكلام الله أو بأسمائه فيجوز فان كان مأثورا فيستحب الثالث ما كان بأسماء غير الله من ملك أو صالح أو معظم من المخلوقات كالعرش قال فهذا ليس من الواجب اجتنابه ولا من المشروع الذي يتضمن الالتجاء الى الله تعالى به والتبرك بأسمائه فيكون تركه أولى الا أن يتضمن تعظيم المرقي به فينبغي أن يجتنب كالحلف بغير الله تعالى وقال الربيع سألت الشافعي عن الرقية فقال لا بأس أن يرقى بكتاب الله تعالى وبما يعرف من ذكر الله تعالى قلت أيرقي أهل الكتاب المسلمين قال نعم اذا رقوا بما يعرف من كتاب الله وبذكر الله انتهى

وفي الموطأ

وفي الموطأ أن أبابكر قال لليهودية التي كانت ترقي عائشة ارقيها بكتاب الله قال النووي وقال القاضي عياض واختلف قول مالك في رقية اليهودي والنصراني المسلم وبالجواز قال الشافعي والله أعلم وروى ابن وهب عن مالك كراهية الرقية بالحديدة والملح وعقد الخيط والذي يكتب خاتم سليمان وقال لم يكن ذلك من أمر الناس القديم * رقية الذي يصاب بالعين روى مسلم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين أي الاصابة بالعين شيء ثابت موجود وهي من جملة ما تحقق كونه قال المازري أخذ الجمهور بظاهر الحديث وأنكره طوائف من المبتدعة لغير معنى لان كل شيء ليس محالا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا الى فساد دليل فهو من مجوزات العقول فاذا أخبر الشارع بوقوعه لم يكن لانكاره معنى وهل من فرق بين انكارهم هذا وانكارهم ما يخبر به من أمور الآخرة وقد استشكل بعض الناس هذه الاصابة فقال كيف تعمل العين من بعد حتى يحصل الضرر للمعيون وأجيب بأن طبائع الناس تختلف فقد يكون ذلك من سم يصل من عين العائن في الهواء الى بدن المعيون وقد نقل عن بعض من كان معيانا أنه قال اذا رأيت شيأ يعجبني وجدت حرارة تخرج من عيني ويقرب ذلك بالمرأة الحائض تضع يدها في اناء اللبن فيفسد ولو وضعتها بعد طهرها لم يفسد ومن ذلك أن الصحيح قد ينظر الى العين الرمداء فيرمد وقال المازري زعم بعض الطبايعيين أن العائن تنبعث من عينيه قوة سمية تتصل الى العين فتهلك أو تفسد وهو كاصابة السم من نظر الافعى وأشار الى منع الحصر في ذلك مع تجويزه وان الذي يتمشى على طريقة أهل السنة أن العين انما تضر عند نظر العائن بعادة أجراها الله تعالى أن يحدث الضرر عند مقابلة شخص آخر وهل ثم جواهر حقيقة أولا هو أمر محتمل لا يقطع باثباته ولا نفيه ومن قال ممن ينتمي الى الاسلام من أصحاب الطبايع بالقطع بأن ثم جواهر لطيفة غير مرئية تنبعث من العائن فتتصل بالمعيون وتتخلل بمسام جسمه فيخلق الباري الهلاك عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السم فقد أخطأ بدعوى القطع ولكنه جائز أن تكون عادة ليست ضرورية ولا طبيعية انتهى وهو كلام سديد وليس المراد بالتأثير المعنى الذي تذهب اليه الفلاسفة بل ما أجرى الله به العادة من حصول الضرر للمعيون وقد أخرج البزار بسنده عن جابر رفعه أكثر من يموت بعد قضاء الله وقدره بالنفس قال الراوي يعني العين وقد أجرى الله تعالى العادة بوجود كثير من القوى والخواص في الاجسام والارواح كما يحدث لمن ينظر اليه من يحتشمه من الخجل فيرى في وجهه حمرة شديدة

لم تكن قبل ذلك وكذا الاصفرار عند رؤيه من يخافه وكثير من الناس من يسقم بمجرد النظر اليه وتضعف قواه وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى في الارواح من التأثيرات واشدة ارتباطها بالعين وليست هي المؤثرة وانما التأثير للروح والارواح مختلفة في طبائعها وكيفياتها وخواصها فمنها ما يؤثر في البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك الروح وكيفيتها الخبيثة والحاصل أن التأثير بارادة الله تعالى وخلقه ليس مقصورا على الاتصال الجسماني بل يكون تارة به وتارة بالمقابلة وأخرى بمجرد الرؤية وأخرى بتوجه الروح كالذي يحدث من الادعية والرقى والالتجاء الى الله تعالى وتارة يقع ذلك بالتوهم والتخيل فالذي يخرج من عين العائن سهم معنوي ان صادف البدن لا وقاية له أثر فيه والا لم ينفذ السهم بل ربما رد على صاحبه كالسهم الحسي انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره قال ابن القيم والغرض العلاج النبوي لهذه العلة فمن التعوذات والرقى الاكثار من قراءة المعوذتين والفاتحة وآية الكرسي ومنها التعوذات النبوية نحو أعوذ بكلمات الله التامة من شر كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ونحو أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الارض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن واذا كان يخشى ضرر عينه واصابتها للمعين فليدفع شرها بقوله اللهم بارك عليه كما قال صلى الله عليه وسلم لعامر بن ربيعة لما عان سهل بن حنيف ألا باركت عليه ومما يدفع به اصابة العين قول ما شاء الله لا قوة الا بالله ومنها رقية جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم بسم الله أرقيك من شر كل شيء يؤذيك من شر كل ذي نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيك وعنده أيضا من حديث عائشة كان جبريل يرقي النبي صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى بسم الله يبريك ومن كل داء يشفيك ومن شر كل حاسد اذا حسد ومن شر كل ذي عين وأخرج مسلم من حديث ابن عباس رفعه العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وظاهر الامر الوجوب وحكى المازري فيه خلافا وصحح الوجوب وقال متى خشي الهلاك وكان اغتسال العائن مما جرت العادة بالشفاء به فانه يتعين وقد تقرر أنه يجب بذل الطعام للمضطر وهذا أولى ولم يبين في حديث ابن عباس صفة الاغتسال قال الحافظ ابن حجر وقد وقعت في حديث سهل بن حنيف عند أحمد والنسائي أن أباه حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج وساروا معه نحو ماء حتى اذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة

اغتسل سهل بن حنيف وكان أبيض حسن الجسم والجلد فنظر اليه عامر بن ربيعة فقال مارأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل أى صرع وسقط الى الارض فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون من أحد قالوا عامر بن ربيعة فدعا عامر افتغيظ عليه فقال على م يقتل احدكم أخاه هلا اذا رأيت ما يعجبك بركت ثم قال اغتسل له فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة ازاره فى قدح ثم صب ذلك الماء عليه رجل من خلفه على رأسه وظهره ثم كفأ القدح ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس قال المازرى المراد بداخلة ازاره الطرف المتدلى الذى يلى حقوه الايمن قال وظن بعضهم أنه كناية عن الفرج انتهى وزاد القاضى عياض أن المراد مايلى جسده من الازار وقيل أراد موضع الازار من الجسد وقيل أراد وركه لانه معقد الازار ورأيت مما عزى لخط شيخنا الحافظ أبى الخير السخاوى قال ابن بكير راويه عن مالك انه كناية عن الثوب الذى يلى الجسد وقال ابن الاثير فى النهاية كان من عادتهم أن الانسان اذا أصابته عين من أحد جاء للعاين بقدح فيه ماء فيدخل كفه فيه فيتمضمض ثم يمجه فى القدح ثم يغسل وجهه فيه ثم يدخل يده اليسرى فيصب على يده اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على يده اليسرى ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الايمن ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الايسر ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه الايمن ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه الايسر ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ثم يغسل داخلة ازاره ولا يوضع القدح بالارض ثم يصب ذلك الماء المستعمل على رأس المصاب بالعين من خلفه صبة واحدة فيبرأ باذن الله تعالى وقال المازرى وهذا المعنى مما لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه من جهة العقل فلا يرد لكونه لا يعقل معناه وقال ابن العربى ان توقف فيه متشرع قلنا له قل الله ورسوله أعلم وقد عضدته التجربة وصدقته المعاينة أو متفلسف فالرد عليه أظهر لان عنده أن الادوية تفعل بقواها وقد تفعل بمعنى لا يدرك ويسمون ماهذا سبيله الخواص قال ابن القيم ومن علاج ذلك والاحتراز منه ستر محاسن من يخاف عليه العين بما يردها عنه كما ذكره البغوى فى كتاب شرح السنة أن عثمان بن عفان رأى صبيا مليحا فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين ثم قال فى تفسيره ومعنى دسموا نونته أى سودوا نونته والنونة النقرة التى تكون فى ذقن الصغير وذكر عن أبى عبد الله الساجى أنه كان فى بعض أسفاره للحج أو الغزو على ناقة فارهة فكان فى الرفقة رجل عاين قل ما نظر الى شىء الا أتلفه

فقيل لابى عبد الله احفظ ناقتك من العائن فقال ليس له الى ناقتى سبيل فأخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبى عبد الله فجاء الى رحله فنظر الى الناقة فاضطربت وسقطت فجاء أبو عبد الله فأخبر أن العائن قد عانها وهى كما ترى فقال دلونى عليه فوقف عليه فقال بسم الله حبس حابس وحجر يابس وشهاب قابس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس اليه فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير فخرجت حدقتا العائن وقامت الناقة لا بأس بها انتهى وفى حديث هذا الباب من الفوائد أن العائن اذا عرف يقضى عليه بالاغتسال وان الاغتسال من النشرة النافعة وان العين تكون مع الاعجاب ولو بغير حسد ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح وأن الذى يعجبه الشىء يبادر الى الدعاء للذى يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية منه وأن الاصابة بالعين قد تقتل وقد اختلف فى جريان القصاص بذلك فقال القرطبى لو أتلف العائن شيأ ضمنه ولو قتل فعليه القصاص أو الدية اذا تكرر ذلك منه بحيث يصير عادة وهو فى ذلك كالساحر عند من لا يقتله كفرا انتهى ولم تتعرض الشافعية للقصاص فى ذلك بل منعوه وقالوا انه لا يقتل غالبا ولا يعد مهلكا وقال النووى فى الروضة ولا دية فيه ولا كفارة لان الحكم انما يترتب على منضبط عام دون ما يختص ببعض الناس وبعض الاحوال مما لا انضباط له كيف ولم يقع منه فعل أصلا وانما غايته حسد وتمن لزوال النعمة وأيضا فالذى ينشأ عن الاصابة بالعين حصول مكروه لذلك الشخص ولا يتعين ذلك المكروه فى زوال الحياة فقد يحصل له مكروه بغير ذلك من أثر العين انتهى قال الحافظ ابن حجر ولا يعكر عليه الا الحكم بقتل الساحر فانه فى معناه والفرق بينهما عسر ونقل ابن بطال عن بعض أهل العلم أنه ينبغى للامام منع العائن اذا عرف بذلك من مداخلة الناس وان يلزم بيته فان كان فقيرا رزقه ما يقوم به فان ضرره أشد من ضرر المجذوم الذى منعه عمر من مخالطة الناس وأشد من ضرر الثوم الذى منع الشارع آكله من حضور الجماعة قال النووى وهذا القول صحيح متعين لا يعرف من غيره تصريح بخلافه

(ذكر رقية النبى صلى الله عليه وسلم التى كان يرقى بها)

عن عبد العزيز قال دخلت أنا وثابت على أنس بن مالك فقال ثابت يا أبا حمزة اشتكيت فقال أنس ألا أرقيك برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال قل اللهم رب الناس مذهب الباس اشف أنت الشافى لا شافى الا أنت شفاء لا يغادر سقما رواه البخارى وقوله مذهب الباس بغير همز للمواخاة أصله الهمزة

وفى قوله لاشافى الا أنت اشارة الى أن كل مايقع من الدواء والتداوى ان لم يصادف تقديرالله والا فلا ينجع وقوله لايغادر بالغين المعجمة أى لايترك وفى البخارى أيضا عن مسروق عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول اللهم رب الناس أذهب الباس واشفه وأنت الشافى لاشفاء الا شفاؤك شفاء لايغادر سقما وقوله يمسح بيده أى على الوجع وقوله الا شفاؤك بالرفع بدل من موضع لاشفاء وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى ويقول امسح الباس رب الناس بيدك الشفاء لا كاشف له الا أنت رواه البخارى وفى صحيح مسلم عن عثمان بن أبى العاص أنه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا يجده فى جسده منذ أسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ضع يدك على الذى تألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر وانما كرره ليكون أنجع وأبلغ كتكرار الدواء لاخراج المادة * ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الفزع والارق المانع من النوم عن بريدة قال شكا خالد الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما أنام الليل من الأرق فقال صلى الله عليه وسلم اذا أويت الى فراشك فقل اللهم رب السموات السبع وما أظلت ورب الارضين السبع وما أقلت ورب الشياطين وما أضلت كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا أن يفرط على أحد منهم أو يبغى على عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك رواه الترمذى * ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حر المصيبة ببرد الرجوع الى الله تعالى فى المسند مرفوعا مامن أحد تصيبه مصيبة فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم آجرنى فى مصيبتى وأخلف لى خيرا منها الا آجره الله فى مصيبته وأخلف له خيرا منها قال فى الهدى النبوى وهذه الكلمة من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له فى عاجلته وآجلته فانها تتضمن أصلين عظيمين اذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن المصيبة أحدهما أن العبد وأهله وماله ملك لله عز وجل حقيقة وقد جعله الله عند العبد عارية فاذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ متاعه من المستعير الثانى أن مصير العبد ومرجعه الى الله ولا بد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويجىء ربه فردا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن بالحسنات والسيئات فاذا كانت هذه بداية العبد ونهايته فكيف يفرح بموجود أو يأسى على مفقود ففكره فى مبدا ومعاده من أعظم علاج هذا الداء قال ومن علاجه أن يطفئ نار مصيبته ببرد التأسى بأهل المصائب وأنه لو فتش العالم لم ير فيه الا مبتلى أما بفوات محبوب أو حصول مكروه وأن سرور الدنيا أحلام نوم أو ظل زائل ان

نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت وفي هذا الدعاء كما قوله في زاد المعاد من تحقيق الرجاء لمن الخير كله بيده والاعتماد عليه وحده وتفويض الأمر إليه والتضرع إليه أن يتولى إصلاح شأنه ولا يكله إلى نفسه والتوسل إليه بتوحيده من ماله تأثير في دفع هذا الداء وكذا قوله في حديث أسماء بنت عميس عند أبي داود أيضا مرفوعا كلمات الكرب الله ربي لا أشرك به شيأ وفي مسند الامام أحمد من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك بن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا وإنما كان هذا الدعاء بهذه المنزلة لاشتماله على الاعتراف بعبودية الداعي وعبودية آبائه وأمهاته وأن ناصيته بيده يصرفها كيف يشاء وإثبات القدر وأن أحكام الرب نافذة في عبده ماضية فيه لا انفكاك له عنها ولا حيلة له في دفعها وأنه سبحانه وتعالى عدل في هذه الأحكام غير ظالم لعبده ثم توسله بأسماء الرب تعالى التي سمى بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا ومنها ما استأثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وهذه الوسيلة أعظم الوسائل وأحبها إلى الله وأقربها تحصيلا للمطلوب ثم سؤاله أن يجعل القرآن لقلبه ربيعا كالربيع الذي يرتع فيه الحيوان وأن يجعله لصدره كالنور الذي هو مادة الحياة وبه يتم معاش العباد وأن يجعله شفاء همه وغمه فيكون بمنزلة الدواء الذي يستأصل الداء ويعيد البدن إلى صحته واعتداله وأن يجعله لحزنه كالجلاء الذي يجلو الطبوع والأصدية وغيرها فإذا صدق العليل في استعمال هذا الدواء أعقبه شفاء تاما وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال يا أبا أمامة مالي أراك في المسجد في غير وقت الصلاة فقال هموم لزمتني وديون يا رسول الله فقال ألا أعلمك كلاما إذا أنت قلته أذهب الله عز وجل همك وقضى دينك قال قلت بلى يا رسول الله قال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال قال ففعلت ذلك فأذهب الله همي وقضى ديني وقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من ثمانية أشياء كل اثنين منها قرينان مزدوجان فالهم والحزن

أخوان والعجز والكسل أخوان والجبن والبخل أخوان وضلع الدين وغلبة الرجال أخوان فحصلت الاستعاذة من كل شر وفي سنن أبي داود أيضا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وانما كان الاستغفار له تأثير في دفع الهم والضيق لانه قد اتفق أهل الملل وعقلاء كل ملة أن المعاصي والفساد يوجبان الهم والغم والحزن وضيق الصدر وأمراض القلب واذا كان هذا تأثير الذنوب والاثام في القلوب فلا دواء لها الا التوبة والاستغفار وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثرت همومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وثبت في الصحيحين أنها كنز من كنوز الجنة وفي الترمذي أنها باب من أبواب الجنة وفي بعض الآثار أنه ماينزل ملك من السماء ولا يصعد الا بلا حول ولا قوة الا بالله وروى الطبراني من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كربني أمر الا تمثل لي جبريل فقال لي يامحمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وفي كتاب ابن السني من حديث أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله عز وجل وعنده أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص قال قال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لا يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة أخي يونس فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين وعند الترمذي لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط الا استجيب له وروى الديلمي في مسند الفردوس عن جعفر بن محمد بن الصادق قال حدثني أبي عن جدي أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر دعا بهذا الدعاء اللهم أحرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك على فلا أهلك وأنت رجاءي فكم من نعمة أنعمت بها على قل لك بها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري فيامن قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويامن قل عند بليته صبري فلم يخذلني ويامن رآني على الخطايا فلم يفضحني ياذا المعروف الذي لا ينقضي أبدا وياذا النعمة التي لا تحصى عددا أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد وبك أدرأ في نحور الاعداء والجبارين اللهم أعني على ديني بالدنيا وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حظرته على يامن لا تضره الذنوب ولا ينقصه العفو هب لي مالا ينقصك واغفر لي مالا يضرك انك أنت الوهاب أسألك فرجا قريبا وصبرا جميلا

ورزقا واسعا والعافية من البلايا وشكر العافية وفي رواية وأسألك الشكر العافية وأسألك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الفقر)

عن ابن عمر أن رجلا قال يا رسول الله ان الدنيا أدبرت عني وتولت قال له فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبه يرزقون قل عند طلوع الفجر سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة تأتيك الدنيا صاغرة فولى الرجل فمكث ثم عاد فقال يا رسول الله لقد أقبلت على الدنيا فما أدري أين أضعها رواه الخطيب في رواة مالك

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء الحريق)

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه فان قلت ما وجه الحكمة في اطفاء الحريق بالتكبير أجاب صاحب زاد المعاد بأنه لما كان الحريق سببه النار وهي مادة الشيطان التي خلق منها وكان فيه من الفساد العام ما يناسب الشيطان بمادته وفعله وكان للشيطان اعانة عليه وتنفيذ له وكانت النار تطلب بطبعها العلو والفساد وهما هدى الشيطان واليهما يدعو وبهما يهلك بني آدم فالنار والشيطان كل منهما يريد العلو في الارض والفساد وكبرياء الله تعالى تقمع الشيطان وفعله ولهذا كان تكبير الله تعالى له أثر في أطفاء الحريق فان كبرياء الله تعالى لا يقوم لها شيء فاذا كبر المسلم ربه أثر تكبيره في خمود النار التي هي مادة الشيطان وقد جربنا نحن وغيرنا هذا فوجدناه كذلك انتهى وقد جربت ذلك بطيبة في سنة خمس وتسعين وثمانمائة فوجدت له أثرا عظيما لم أجده لغيره ولقد شاع وذاع رؤية طيور بحريق طيبة الواقع في ثالث عشر رمضان في سنة ست وثمانين وثمانمائة معلنة بالتكبير

(ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يطب به من داء الصرع)

في الصحيحين أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني أصرع واني أتكشف فادع الله لي فقال ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت دعوت الله لك أن يعافيك فقالت أصبر قالت فاني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها قال ابن القيم ثم الصرع صرعان صرع من الارواح الخبيثة الارضية وصرع من الاخلاط الرديئة والثاني هو الذي يتكلم فيه الاطباء فأما علاج صرع الارواح فيكون بأمرين أمر من جهة المصروع وأمر من جهة المعالج فالذي من جهة المصروع

يكون بقوة نفسه وصدق توجهه الى فاطر هذه الارواح وبارئها اوانا تعوذ الصحيح الذي قد تواطأ عليه القلب واللسان فان هذا نوع محاربة والمحارب لايتم له الانتصاف من عدوه بالسلاح الا بأمرين أن يكون السلاح صحيحا في نفسه جيدا وأن يكون الساعد قويا والثاني من جهة المعالج بأن يكون فيه هذان الامران أيضا حتى ان من المعالجين من يكتفي بقوله أخرج منه أو يقول بسم الله الرحمن الرحيم أو يقول لاحول ولا قوة الا بالله قال وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أخرج عدو الله أنا رسول الله وكان بعضهم يعالج ذلك بآية الكرسي ويأمر بكثرة قراءة المصروع ومن يعالجه بها وبقراءة المعوذتين قال ومن حدث له الصرع وله خمسة وعشرون سنة وخصوصا بسبب دماغي أيس من برئه وكذلك اذا استمر به الى هذا السن قال فهذه المرأة التي جاء الحديث أنها تصرع وتتكشف يجوز أن يكون صرعها من هذا النوع فوعدها النبي صلى الله عليه وسلم بصبرها على هذا المرض بالجنة ولقد جربت الاقسام بالنبي صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار الى آخر سورة الفتح في ابنتين صغيرتين صرعتا فشفيتا ومن الغريب قصة غزالة الحبشية خادمتنا لما صرعت بدرب الحجاز الشريف واستغثت به صلى الله عليه وسلم في ذلك فجيء الى بصارعها في المنام بأمره صلى الله عليه وسلم فوبخته وأقسم أن لايعود اليها فاستيقظت وما بها قلبة ومن ثم لم يعد اليها فلله الحمد

﴿ذكر دوائه صلى الله عليه وسلم من داء السحر﴾

قال النووي السحر حرام وهو من الكبائر بالاجماع وقد يكون كفرا وقد لايكون كفرا بل معصية كبيرة فان كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر كفر والا فلا وأما تعليمه وتعلمه فحرام واذا لم يكن فيه ما يقتضي الكفر عزر فاعله واستتيب منه ولا يقتل عندنا وان تاب قبلت توبته وقال مالك الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب ولا تقبل توبته بل يتحتم قتله والمسئلة مبنية على الخلاف في قبول توبة الزنديق لان الساحر عنده كافر كما ذكرناه وعندنا ليس بكافر وعندنا تقبل توبة المنافق والزنديق قال القاضي عياض وبقول مالك قال أحمد بن حنبل وهو مروي عن جماعة من الصحابة والتابعين قال أصحابنا فاذا قتل الساحر بسحره انسانا واعترف أنه مات بسحره وأنه يقتل غالبا لزمه القصاص فان قال مات به ولكنه قد يقتل وقد لايقتل فلا قصاص وتجب الدية والكفارة وتكون الدية في ماله لا على عاقلته لان العاقلة لاتحمل ماثبت باعتراف الجاني قال أصحابنا ولا يتصور ثبوت القتل بالسحر بالبينة وانما يتصور باعتراف الساحر

انتهى واختلف في السحر فقيل هو تخييل فقط ولا حقيقة له وهو اختيار أبي جعفر الاستراباذي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية وطائفة قال النووي والصحيح أن له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة قال شيخ الاسلام أبو الفضل العسقلاني لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين أولا فمن قال انه تخييل فقط منع ذلك والقائلون بأن له حقيقة اختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعا من الامراض أو ينتهي الى الاحالة بحيث يصير الجماد حيوانا مثلا وعكسه فالذي عليه الجمهور هو الاول وقال المازري جمهور العلماء على اثبات السحر لان العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص ونظير ذلك ما وقع من حذاق الاطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى ينقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعا وقيل لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله في قوله يفرقون به بين المرء وزوجه لكون المقام مقام تهويل فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره الله تعالى قال المازري والصحيح من جهة العقل أن يقع به أكثر من ذلك قال والآية ليست نصا في منع الزيادة ولو قلنا انها ظاهرة في ذلك ثم قال والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة أن السحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد والكرامة لا تحتاج الى ذلك انما تقع غالبا اتفاقا وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدي ونقل امام الحرمين الاجماع على أن السحر لا يقع الا من فاسق وان الكرامة لا تظهر على يد فاسق ونقل نحوه النووي في زيادة الروضة عن المتولي وينبغي أن يعتبر حال من يقع منه الخارق فان كان متمسكا بالشريعة متجنبا الموبقات فان الذي يظهر على يديه من الخوارق كرامة والا فهو سحر وقال القرطبي السحر حيل صناعية يتوصل اليها بالاكتساب غير أنها لدقتها لا يتوصل اليها الا آحاد الناس ومادته الوقوف على خواص الاشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها وأكثرها تخييلات بغير حقيقة وايهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال تعالى عن سحرة فرعون وجاؤا بسحر عظيم مع أن حبالهم وعصيهم لم يخرجوا عن كونها حبالا وعصيا وقال أبو بكر الرازي في الاحكام أخبر الله تعالى الذي ظنه موسى أنها تسعى لم يكن سعيا وانما كان تخييلا وذلك أن عصيهم كانت مجوفة وقد ملئت زئبقا وكذلك الحبال كانت من أدم محشوة زئبقا وقد حفر واقبل ذلك أسرابا وجعلوا لها آزاجا وملؤها نارا فلما طرحت على ذلك الموضع وحمي الزئبق حركها لان من شأن الزئبق اذا

أصابته النار أن يطير فلما أثقلته كثافة الحبال والعصي صارت تتحرك بحركته فظن من رآها أنها تسعى ولم تكن تسعى حقيقة انتهى قال القرطبي والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيرا في القلوب كالحب والبغض والقاء الخير والشر وفي الابدان بالالم والسقم وانما المنكر ان ينقلب الجماد حيوانا أو عكسه بسحر الساحر وقد ثبت في البخاري من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر حتى ان كان ليخيل اليه أنه يفعل الشيء وما يفعله حتى اذا كان ذات ليلة عند عائشة دعا ودعا ثم قال يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما أستفتيته أتاني رجلان فقعدا احدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما ما بال الرجل قال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في أي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال وأين هو قال في بئر ذروان فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس من أصحابه فجاء فقال يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء وكان رؤس نخلها رؤس الشياطين فقلت يا رسول الله أفلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان أثور على الناس فيه شرا فأمر بها فدفنت وفي رواية للبخاري ايضا فأتى البئر حتى استخرجه قال هذه البئر التي رأيتها قالت عائشة أفلا تنشرت قال أما الله شفاني وأكره أن أثير على الناس شرا وفي حديث بن عباس عند البيهقي في الدلائل بسند ضعيف في آخر قصة السحر الذي سحر به النبي صلى الله عليه وسلم أنهم وجدوا وترا فيه احدى عشرة عقدة وأنزلت سورة الفلق والناس فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة وأخرجه ابن سعد بسند آخر منقطع عن ابن عباس أن عليا وعمارا لما بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم لاستخراج السحر وجدا طلعة فيها احدى عشرة عقدة فذكر نحوه وفي رواية ذكرها في فتح الباري فنزل رجل فاستخرجه وأنه وجد في الطلعة تمثالا من شمع تمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا فيه ابر مغروزة واذا وتر فيه احدى عشرة عقدة فنزل جبريل بالمعوذتين فكلما قرأ آية انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها ألما ثم يجد بعدها راحة وقد بين الواقدي السنة التي وقع فيها السحر كما أخرجه عنه بن سعد بسند له الى عمر بن عبد الحكم مرسلا قال لما رجع صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع جاءت رؤساء اليهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا الى بني زريق وكان ساحرا فقالوا أنت أسحرنا وقد سحرنا فلم نصنع شيأ ونحن نجعل لك جعلا على ان تسحره لنا سحرا ينكاه فجعلوا له ثلاثة دنانير ووقع في رواية أبي ضمرة عند الاسماعيلي فأقام أربعين ليلة وفي رواية وهيب عن هشام عند أحمد ستة أشهر

ويمكن الجمع بأن تكون السنة أشهر من ابتداء تغير مزاجه والاربعين يوما من استحكامه وقال السهيلي لم أقف في شيء من الاحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث صلى الله عليه وسلم فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري أنه لبث سنة قال الحافظ ابن حجر وقد وجدناه موصولا بالاسناد الصحيح فهو المعتمد وقال المازري أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث وزعموا أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها قال وكل ما أدى الى ذلك فهو باطل وزعموا أن تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع اذ يحتمل على هذا أنه يخيل اليه أنه يرى جبريل وليس هو ثم وأنه يوحى اليه بشيء ولم يوح اليه شيء قال المازري وهذا كله مردود لان الدليل قد قام على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن الله تعالى وعلى عصمته في التبليغ والمعجزات شاهدات بتصديقه فتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث لاجلها ولا كانت الرسالة من أجلها فهو في ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالامراض فغير بعيد أن يخيل اليه في أمر من أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثل ذلك في أمور الدين انتهى وقال غيره لا يلزم من أنه كان يظن أنه فعل الشيء ولم يكن فعله أن يجزم بفعله ذلك وانما يكون ذلك من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت فلا يبقى على هذا للملحدة حجة وقال القاضي عياض يحتمل أن يكون المراد بالتخيل المذكور أنه يظهر له من نشاطه ومن سابق عادته من الاقتدار على الوطء فاذا دنا من المرأة فتر عن ذلك كما هو شأن المعقود ويكون قوله في الرواية الاخرى حتى كاد ينكر بصره أي كالذي ينكر بصره بحيث أنه اذا رأى الشيء يخيل اليه أنه على غير صفته فاذا تأمله عرف حقيقته ويؤيد جميع ما تقدم أنه لم ينقل عنه في خبر من الاخبار أنه قال قولا فكان بخلاف ما أخبر به قال بعضهم وقد سلك النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القصة مسلكي التفويض وتعاطي الاسباب ففي أول الامر فوض وسلم لامر ربه واحتسب الاجر في صبره على بلائه ثم لما تمادى ذلك وخشي من تماديه أن يضعفه عن فنون عباداته جنح الى التداوي فقد أخرج أبو عبيد من مرسل عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال احتجم النبي صلى الله عليه وسلم على رأسه يعني حين طب ثم جنح الى الدعاء وكل من المقامين غاية في الكمال وقال ابن القيم من أنفع الادوية وأقوى ما يؤخذ من النشرة مقاومة السحر الذي هو من تأثير الارواح الخبيثة بالادوية الالهية من الذكر والدعاء والقراءة فالقلب اذا كان ممتلئا من الله مغمورا بذكره وله ورد من الذكر والدعاء والتوجه لا يخل به كان ذلك من أعظم الاسباب

المانعة من اصابة السحر له قال وسلطان تأثير السحر هو في القلوب الضعيفة ولهذا كان غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال لان الارواح الخبيثة انما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لما يناسبها انتهى ملخصا ويعكر عليه حديث الباب وجواز السحر على النبي صلى الله عليه وسلم مع عظم مقامه وصدق توجهه وملازمة ورده ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذي ذكره محمول على الغالب وانما وقع به صلى الله عليه وسلم لبيان تجويز ذلك عليه وأما ما يعالج به من النشرة المقاومة للسحر فذكر ابن بطال ان في كتب وهب بن منبه ان يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضرب ذلك بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقلاقل ثم يحسو منه ثلاث حسيات ثم يغتسل به فانه يذهب عنه ما كان به وهو جيد للرجل اذا احتبس عن أهله وممن صرح بجواز النشرة المزني عن الشافعي وأبو جعفر الطبري وغيرهما انتهى وقال ابن الحاج في المدخل كان الشيخ أبو محمد المرجاني أكثر تداويه بالنشرة يعملها لنفسه ولاولاده ولاصحابه فيجدون على ذلك الشفاء وأخبر رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها له في المنام وقال انه مرة رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما تعلم ما عمل معك ومع أصحابك في هذه النشرة نقله عنه خادمه وهي هذه القدماء لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه الى آخر السورة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا الى آخر السورة وسورة الاخلاص والمعوذتين ثم يكتب اللهم أنت المحيي وأنت المميت وأنت الخالق البارىء وأنت المبلي وأنت المعافي وأنت الشافي خلقتنا من ماء مهين وجعلتنا في قرار مكين الى قدر معلوم اللهم اني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا يا من بيده الابتلاء والمعافاة والشفاء والدواء أسألك بمعجزات نبيك محمد صلى الله عليه وسلم حبيبك وبركات خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام وحرمة كليمك موسى عليه الصلاة والسلام اللهم اشفه

(ذكر رقية تنفع لكل شكوى)

عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشتكى منكم شيأ فليقل ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا حوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من عندك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ باذن الله رواه أبو داود في سننه * رقيته عليه الصلاة والسلام من الصداع روى الحميدي في الطب عن يونس بن يعقوب عن عبد الله قال كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الصداع بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الكبير وأعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نعار ومن شر حر النار رواه ابن السني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وأصاب أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ورم في رأسها فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ذلك من فوق الثياب فقال بسم الله أذهب عنها سوءه وفحشه بدعوة نبيك الطيب المبارك المكين عندك بسم الله صنع ذلك ثلاث مرات وأمرها أن تقول ذلك فقالت ثلاثة أيام فذهب الورم رواه الشيخ ابن النعمان بسنده والبيهقي * رقيته صلى الله عليه وسلم من وجع الضرس روى البيهقي أن عبد الله بن رواحة شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم وجع ضرسه فوضع صلى الله عليه وسلم يده على خده الذي فيه الوجع وقال اللهم أذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المكين المبارك عندك سبع مرات فشفاه الله قبل أن يبرح وروى الحميدي أن فاطمة رضي الله عنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تشكو ما تلقى من ضربان الضرس فأدخل سبابته اليمنى فوضعها على السن الذي تألم فقال بسم الله وبالله أسألك بعزتك وجلالك وقدرتك على كل شيء فان مريم لم تلد غير عيسى من روحك وكلمتك أن تكشف ما تلقى فاطمة بنت خديجة من الضر كله فسكن ما بها ومن الغريب ما شاع وذاع عن شيخنا المحب الطبري امام مقام الخليل بمكة ورأيته يفعله غير مرة وضع يده على رأس الموجوع ضرسه ويسأل عن اسمه واسم أمه وعن المدة التي يريد المألوم أن لا يألمه فيها فيقول سبع سنين أو تسع سنين مثلا بالوتر فالوتر فما يرفع يده الا وقد سكن ألمه ويمكث المدة المذكورة لا يألمه كما أشيع ذلك واشتهر ومما جرب أن يكتب على الخد الذي يلي الوجع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون وان شاء كتب وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم * رقية لعسر البول روى النسائي عن أبي الدرداء أنه أتاه رجل يذكر أن أباه احتبس بوله فأصابه حصاة البول فعلمه رقية سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك أمرك في السماء والارض كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الارض واغفر لنا ذنوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين فأنزل شفاء من شفائك ورحمة من رحمتك على هذا الوجع فيبرأ وأمره أن يرقيه فرقاه بها فبرئ وقد تقدم هذا في رقية الشكوى العامة من حديث أبي الدرداء * رقية الحمى عن أنس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وهي موعوكة وهي تسب الحمى فقال لا تسبيها فانها مأمورة ولكن ان

شئت علمتك كلمات اذا قلتهن أذهب الله عنك قالت علمني قال قولي اللهم ارحم جلدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا أم ملدم ان كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعي الرأس ولا تنتني الفم ولا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني الى من اتخذ مع الله الها آخر قال فقالتها فذهب عنها رواه البيهقي وقد جرب ذلك كما رأيته بخط شيخنا ولفظه اللهم ارحم عظامي الدقيق وجلدي الرقيق وأعوذ بك من فورة الحريق يا أم ملدم ان كنت آمنت بالله واليوم الآخر فلا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم ولا تغوري على الفم وانتقلي الى من يزعم أن مع الله الها آخر فاني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويكتب للحمى المثلثة مما ذكره صاحب الهدى على ثلاث ورقات لطاف بسم الله فرت بسم الله مرت بسم الله قلت ويؤخذ كل يوم ورقة ويجعلها في فمه ويبلعها بماء وقد رخص جماعة من السلف في كتابة بعض القرآن وشربه وجعل ذلك من الشفاء الذي جعل الله فيه قال ابن الحاج في المدخل وقد كان الشيخ أبو محمد المرجاني لا تزال الاوراق للحمى وغيرها على باب الزاوية فمن كان به ألم أخذ ورقة منها فاستعملها فيبرأ باذن الله تعالى وكان المكتوب فيها أزلي لم يزل ولا يزال يزيل الزوال وهو لا يزال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقال المروزي بلغ أبا عبد الله اني حممت فكتب لي من الحمى رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله وبالله ومحمد رسول الله يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل اشف صاحب هذا الكتاب بحولك وقوتك وجبروتك اله الحق آمين ومما جرب للخراج ونقله صاحب زاد المعاد أن يكتب عليه ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ومما يكتب لعسر الولادة ما روى الخلال عن عبد الله بن الامام أحمد ابن حنبل قال رأيت أبي يكتب للمرأة اذا عسر عليها ولادتها في جام أبيض أو شيء نظيف حديث ابن عباس لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها قال الخلال أخبرنا أبو بكر المروزي أن أبا عبد الله جاءه رجل فقال يا أبا عبد الله اكتب لامرأة قد عسر عليها الولادة منذ يومين فقال قل له يجيء بجام واسع وزعفران قال المروزي ورأيته يكتب لغير واحد وفي المدخل يكتب في آنية جديدة أخرج أيها الولد من بطن ضيق الى سعة هذه الدنيا أخرج بقدرة الذي جعلك في قرار مكين الى قدر معلوم

لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الى آخر السورة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وتشربها النفساء ويرش منه على وجهها قال الشيخ المرجاني أخذته عن بعض السادة فما كتبته لاحد الا نجح فى وقته انتهى وروى عن عكرمة عن ابن عباس قال مر عيسى عليه الصلاة والسلام على امرأة وقد اعترض ولدها فى بطنها فقالت يا كلمة الله أدع الله لى أن يخلصنى مما أنا فيه فقال يا خالق النفس من النفس ويا مخلص النفس من النفس ويا مخرج النفس من النفس خلصها قال فرمت بولدها واذا هى قائمة قال فاذا عسر على المرأة ولدها فاكتبه لها ومما يكتب أيضا الذلك ويكون فى أناء نظيف اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت وتشرب الحامل منه وترش على بطنها ومما يكتب للرعاف على جبهة المرعوف وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الامر ولا يجوز كتابتها بدم الرعاف كما يفعله بعض الجهال فان الدم نجس فلا يجوز أن يكتب به كلام الله ومما يكتب لعرق النسا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شىء ومليك كل شىء وخالق كل شىء أنت خلقتنى وخلقت عرق النسا فى فلا تسلطه على باذا ولا تسلطنى عليه بقطع واشفنى شفاء لا يغادر سقما لا شافى الا أنت * وأما حفيظة رمضان لا آلاء الا آلاؤك يا الله انك سميع عليم محيط به علمك كعسلهون وبالحق أنزلناه وبالحق نزل الى آخرها فقال شيخنا اشتهرت ببلاد اليمن ومكة ومصر والمغرب وجملة بلدان أنها حفيظة رمضان تحفظ من الغرق والسرق والحرق وسائر الآفات وتكتب فى آخر جمعة منه وجمهورهم يكتبها والخطيب يخطب على المنبر وبعضهم بعد صلاة العصر وهذه بدعة لا أصل لها وان وقعت فى كلام غير واحد من الاكابر بل أشعر كلام بعضهم الى ورودها فى حديث ضعيف وكان الحافظ ابن حجر ينكرها جدا حتى وهو قائم على المنبر فى أثناء خطبته حين يرى من يكتبها

(ذكر ما يقى من كل بلاء)

عن أبان بن عثمان عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات حين يمسى لم تصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح لم تصبه فجأة بلاء حتى يمسى قال فأصاب أبان بن عثمان الفالج فجعل الذى سمع منه الحديث ينظر اليه فقال مالك تنظر فوالله ما كذبت على عثمان ولا كذب عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن اليوم الذى أصابنى فيه ما أصابنى غضبت فنسيت

أن أقولها ورواه أبو داود ورواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنده فكان أبان أصابه طرف فالج فجعل الرجل ينظر اليه فقال له أبان مالك تنظر الي أما ان الحديث كما حدثتك ولكن لم أقله يومئذ ليمضي الله أمره قدره

(ذكر ما يستجلب به المعافاة من سبعين بلاء)

ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد المالكي الافريقي في كتابه أخبار أفريقية عن أنس بن مالك مرفوعا من قال بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عشر مرات برىء من ذنوبه كيوم ولدته أمه وعوفي من سبعين بلاء من بلايا الدنيا منها الجنون والجذام والبرص والريح ويشهد له ما رواه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانها من كنز الجنة قال مكحول من قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولا ملجأ من الله الا اليه كشف الله عنه سبعين بابا من الضر أدناها الفقر وروى الطبراني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم ومن ذلك في الامان من الفقر عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لا حول ولا قوة الا بالله مائة مرة في كل يوم لم يصبه فقر أبدا رواه ابن أبي الدنيا وروى الطبراني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبطأ عليه رزقه فليكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب يرفعه من قال كل يوم وليلة لا اله الا الله الملك الحق المبين مائة مرة كان له أمانا من الفقر وأنسا من وحشة القبر واستفتح به باب الغنى واستقرع به باب الجنة قال بعض رواته لو رحلتم في هذا الحديث الى الصين ما كان كثيرا ذكره عبد الحق في كتاب الطب النبوي

(ذكر دواء داء الطعام)

روى البخاري في تاريخه عن عبد الله بن مسعود من قال حين يوضع الطعام بسم الله خير الاسماء في الارض وفي السماء لا يضر مع اسمه داء اجعل فيه رحمة وشفاء لم يضره ما كان

(ذكر دواء أم الصبيان)

عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى لم تضره أم الصبيان رواه ابن السني وذكره عبد الحق في الطب النبوي وأم الصبيان هي الريح التي تعرض لهم فربما يخشى عليهم منها وسر التأذين

كما قاله صاحب تحفة الودود بأحكام المولود أن يكون أول ما يقرع سمع المولود كلماته المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله في الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها مع ما في ذلك من فائدة أخرى وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان وهو كان يرصده حتى يولد فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به

(النوع الثاني في طبه صلى الله عليه وسلم بالأدوية الطبيعية)

ذكر ما كان عليه الصلاة والسلام يعالج به الصداع والشقيقة اعلم أن الصداع ألم في بعض أجزاء الرأس أو كله فما كان منه في أحد جانبي الرأس لازما سمي شقيقة وإن كان شاملا لجميعه لازما سمي بيضة وخودة تشبيها ببيضة السلاح التي تشتمل على الرأس كلها وإن كان في مؤخر الرأس أو مقدمه وسببه أبخرة مرتفعة أو أخلاط حارة أو باردة ترتفع إلى الدماغ فإن لم تجد منفذا أحدثت الصداع فإن مال إلى أحد شقي الرأس أحدث الشقيقة وإن ملك كل الرأس أحدث داء البيضة تشبيها ببيضة السلاح التي تشتمل على الرأس كلها وأسباب الصداع كثيرة منها ما تقدم ومنها ما يكون عن ورم في المعدة أو في عروقها أو ريح غليظة فيها أو لامتلائها ومنها ما يكون من الحركة العنيفة كالجماع والقيء والاستفراغ والسهر وكثرة الكلام ومنها ما يحدث من الأعراض النفسانية كالهم والحزن والجوع والحمى ومنها ما يحدث عن حادث في الرأس كضربة تصيبه أو ورم في صفاق الدماغ أو حمل شيء ثقيل يضغط الرأس أو تسخينه بشيء خارج عن الاعتدال أو تبريده بملاقاة الهواء أو الماء في البرد وأما الشقيقة فهي في شرايين الرأس وحدها أو تختص بالموضع الأضعف من الرأس وعلاجها بشد العصابة وقد أخرج الإمام أحمد من حديث بريدة أنه صلى الله عليه وسلم كان ربما أخذته الشقيقة فيمكث اليوم واليومين لا يخرج وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته وارأساه وأنه خطب وقد عصب رأسه فعصب الرأس ينفع في الشقيقة وغيرها من أوجاع الرأس وفي البخاري من حديث ابن عباس احتجم صلى الله عليه وسلم وهو محرم في رأسه من شقيقة كانت به وقد جاءت مقيدة في بعض طرق ابن عباس نفسه فعند أبي داود الطيالسي في مسنده من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم في وسط رأسه وقد قال الأطباء أنها نافعة جدا وورد أنه صلى الله عليه وسلم احتجم أيضا في الأخدعين والكاهل أخرجه الترمذي وحسنه وأبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم وقد قال الأطباء الحجامة على الأخدعين تنفع من أمراض الرأس والوجه والأذنين والعينين

والأسنان

والاسنان والانف وقد ورد فى حديث ضعيف جدا أخرجه ابن عدى من طريق عمر بن رياح عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رفعه الحجامة فى الرأس تنفع من سبع من الجنون والجذام والبرص والنعاس والصداع ووجع الضرس والعين وعمر متروك رماه الفلاس وغيره بالكذب وروى ابن ماجه فى سننه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا صدع غلف رأسه بالحناء ويقول انه نافع باذن الله من الصداع وفى صحته نظر وهو علاج خاص بما اذا كان الصداع من حرارة ملتهبة ولم يكن عن مادة يجب استفراغها واذا كان كذلك نفع فيه الحناء نفعا ظاهرا قالوا واذا دق وضمدت به الجبهة مع الخل سكن الصداع وهذا لا يختص بوجع الرأس بل يعم جميع الاعضاء وفى تاريخ البخارى وسنن أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شكا اليه أحد وجعا فى رأسه الا قال له احتجم ولا شكا وجعا فى رجليه الا قال له اختضب بالحناء وفى الترمذى عن على بن عبد الله عن جدته وكانت تخدم النبى صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة ولا نكتة الا أمرنى أن أضع عليها الحناء

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للرمد)

وهو ورم حار يعرض فى الطبقة الملتحمة من العين وهو بياضها وسببه انصباب أحد الاخلاط أو أبخرة تصعد من المعدة الى الدماغ فان اندفع الى الخياشيم أحدث الزكام أو الى العين أحدث الرمد أو الى اللهات والمنخرين أحدث الخنان بالخاء المعجمة والنون أو الى الصدر أحدث النزلة أو الى القلب أحدث الشوصة وان لم ينحدر وطلب نفاذا فلم يجد أحدث الصداع كما تقدم وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يعالج الرمد بالسكون والدعة وترك الحركة وفى سنن ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على النبى صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال أدن وكل فأخذت تمرا فأكلت فقال تأكل تمرا وبك رمد فقلت يا رسول الله أمضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى أنه حمى عليا من الرطب لما أصابه الرمد وفى البخارى من حديث سعيد بن زيد قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين والكمأة نبات لا ورق لها ولا ساق يوجد فى الارض من غير أن يزرع وروى الطبرى من طريق المنكدر عن جابر قال كثرت الكمأة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامتنع قوم من أكلها وقالوا هو جدرى الارض فبلغه ذلك فقال ان الكمأة ليست جدرى الارض ألا ان الكمأة من المن واختلف فى قوله من المن فقيل من المن الذى أنزل

الله على بنى اسرائيل وهو الطل الذى يسقط على الشجر فيجمع ويؤكل حلوا ومنه الترنجبيل فكأنه يشبه الكمأة بجامع ما بينهما من وجود كل منهما عفوا بغير علاج وقال الخطابى ليس المراد أنها نوع من المن الذى أنزل الله على بنى اسرائيل فان الذى أنزل على بنى اسرائيل كان كالترنجبيل الذى يسقط على الشجر وانما المعنى ان الكمأة شىء ينبت من غير تكلف ببذر ولا سقى وانما اختصت الكمأة بهذه الفضيلة لانها من الحلال المحض الذى ليس فى اكتسابه شبهة ويستنبط منه أن استعمال الحلال المحض يجلو البصر وقال ابن الجوزى فى المراد بكونها شفاء للعين قولان أحدهما أنه ماؤها حقيقة الا أن أصحاب هذا القول اتفقوا على أنها لا تستعمل صرفا فى العين لكن اختلفوا كيف يصنع بها على رأيين أحدهما أن يخلط فى الادوية التى يكتحل بها حكاه أبو عبيدة ثانيهما أن تشق وتوضع على الجمر حتى يغلى ماؤها ثم يؤخذ الميل فيجعل فى ذلك الشق وهو فاتر فيكتحل بمائها لان النار تلطفه وتذهب فضلاته الرديئة وتبقى النافع منه ولا يجعل الميل فى مائها وهى باردة يابسة فلا ينجع وقال آخر تجعل الكمأة فى قدر جديدة ويصب عليها الماء ولا يطرح فيها ملح ثم يؤخذ غطاء جديد نقى فيجعل على القدر فما جرى على الغطا من بخار الكمأة فذلك الماء الذى يكتحل به وقال ابن واقد ان ماء الكمأة اذا عصر وربى به الاثمد كان ذلك من أصلح الاشياء للعين اذا اكتحل به يقوى اجفانها ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل وقال أيضا اذا اكتحل بماء الكمأة وحده بميل من ذهب تبين للفاعل لذلك قوة عجيبة وحدة فى البصر كثيرة وقال ابن القيم اعترف فضلاء الاطباء أن ماء الكمأة يجلو العين منهم المسيحى وابن سينا وغيرهما قال والذى يزيل الاشكالات عن هذا الاختلاف أن الكمأة وغيرها خلقت فى الاصل سليمة من المضار ثم عرضت لها الآفات بأمور أخرى من مجاورة أو امتزاج أو غير ذلك من الاسباب الذى أرادها الله تعالى فالكمأة فى الاصل نافعة لما اختصت به من وصفها بأنها من الله وانما عرضت لها المضار بالمجاورة واستعمال كل ما وردت به السنة بصدق ينتفع به من يستعمله ويدفع الله عنه الضرر لنيته والعكس بالعكس والله أعلم

* (ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من العذرة) *

وهى بضم المهملة وسكون الذال المعجمة وجع فى الحلق يعترى الصبيان غالبا وقيل هى قرحة تخرج بين الاذن والحلق أو فى الخرم الذى بين الانف والحلق وهو الذى يسمى سقوط اللهاة وقيل هو اسم للهاة والمراد وجعها سمى باسمها وقيل هو موضع

قريب من اللهاة واللهات بفتح اللام اللحمة التى فى أقصى الحلق وفى البخارى من
حديث أم قيس بنت محصن الاسدية أسد خزيمة وهى أخت عكاشة أنها أتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن لها قد علقت عليه من العذرة فقال النبى صلى
الله عليه وسلم على م تدغرن أولادكن بهذا العلاق عليكم بهذا العود الهندى فان
فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب يريد الكست وهو العود الهندى وقوله تدغرن
خطاب للنسوة وهو بالغين المعجمة والدال المهملة والدغر غمز الحلق وعن جابر بن
عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة وعندها صبى يسيل
منخراه دما فقال ما هذا فقالوا به العذرة أو وجع فى رأسه فقال ويلكن لا تقتلن
أولادكن أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع فى رأسه فلتأخذ قسطا هنديا
فلتحكه بماء ثم تسعطه اياه فأمرت عائشة فصنع ذلك بالصبى فبرئ الحديث وفى القسط
تجفيف يشد اللهات ويرفعها الى مكانها وكانوا يعالجون أولادهم بغمز اللهاة
و بالعلاق وهو شئ يعلقونه على الصبيان فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن
ذلك وأرشدهم الى ما هو أنفع للاطفال وأسهل عليهم والسعوط ما يصب فى الانف
وقد استشكل معالجتها أى العذرة بالقسط الهندى مع كونه حارا والعذرة انما
تعرض فى زمن الحر بالصبيان وأمزجتهم حارة لا سيما وقطر الحجاز حار وأجيب بأن
مادة العذرة دم يغلب عليه البلغم وفى القسط تجفيف للرطوبة وقد يكون نفعه
فى هذا الداء بالخاصية وأيضا فالادوية الحارة قد تنفع من الامراض الحارة بالعرض
كثيرا بل وبالذات أيضا وقد ذكر ابن سينا فى معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع الشب
اليمانى على أنا لو لم نجد شيأ من التوجيهات لكان المعجز خارجا عن القواعد الطبية

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء استطلاق البطن)

فى الصحيحين من حديث أبى المتوكل عن أبى سعيد الخدرى أن رجلا أتى النبى صلى
الله عليه وسلم فقال ان أخى يشتكى بطنه وفى رواية استطلق بطنه فقال اسقه
عسلا فسقاه فقال انى سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله وكذب بطن
أخيك وفى رواية مسلم فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلا فقال
سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال صدق الله وفى رواية أحمد عن يزيد بن هارون
فقال فى الرابعة أسقه عسلا قال فأظنه قال فسقاه فبرأ فقال صلى الله عليه وسلم
صدق الله وكذب بطن أخيك قال الخطابى وغيره أهل الحجاز يطلقون الكذب
فى موضع الخطاء يقال كذب سمعك أى زل فلم يدرك حقيقة ما قيل له فمعنى كذب
بطن أخيك أى لم يصلح لقبول الشفاء بل زل عنه وقال الامام فخر الدين الرازى لعله

صلى الله عليه وسلم علم بنور الوحي أن ذلك العسل سيظهر نفعه بعد ذلك فلما
لم يظهر نفعه في الحال مع كونه عليه الصلاة والسلام كان عالما بأنه سيظهر نفعه
بعد ذلك كان جاريا مجرى الكذب فلهذا أطلق عليه هذا اللفظ وقد اعترض بعض
الملاحدة فقال العسل مسهل فكيف يوصف لمن وقع به الاسهال وأجيب بأن ذلك
جهل من قائله بل هو كقوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه فقد اتفق الاطباء
على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والعادة والزمان والغذاء
المألوف والتدبير وقوة الطبيعة وعلى أن الاسهال يحدث من أنواع منها الهيضة التي
تنشأ عن تخمة واتفقوا على أن علاجها بترك الطبيعة وفعلها فان احتاجت الى
مسهل أعينت ما دام بالعليل قوة فكأن هذا الرجل كان استطلاق بطنه من تخمة
أصابته فوصف له صلى الله عليه وسلم العسل لدفع الفضول المجتمعة في نواحي المعدة
من اخلاط لزجة تمنع من استقرار الغذاء فيها وللمعدة خمل كخمل المنشفة فاذا
علقت بها الاخلاط اللزجة أفسدتها وأفسدت الغذاء الواصل اليها فكان دواؤها
باستعمال ما يجلو تلك الاخلاط ولا شيء في ذلك مثل العسل لاسيما ان مزج بالماء
الحار وانما لم يفده أول مرة لان الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب الداء ان
قصر عنه لم يدفعه بالكلية وان جاوزه أوهى القوة وأحدث ضررا آخر فكأنه
شرب منه أولا مقدارا لا يفي بمقاومة الداء فأمره بمعاودة سقيه فلما تكررت الشربات
بحسب مادة الداء برأ باذن الله تعالى وفي قوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن
أخيك اشارة الى أن هذا الدواء نافع وأن بقاء الداء ليس لقصور الدواء في الشفاء
ولكن لكثرة المادة الفاسدة فمن ثم أمره بمعاودة شرب العسل لاستفراغها وقال
بعضهم ان العسل تارة يجري سريعا الى العروق وينفذ معه جل الغذاء ويدر البول
فيكون قابضا وتارة يبقى في المعدة فيهيجها بلذعه لها حتى تدفع الطعام ويسهل
البطن فيكون مسهلا فانكار وصفه بالمسهل مطلقا قصور من المنكر وقال ابن
الجوزي في وصفه صلى الله عليه وسلم العسل لهذا المسهل أربعة أقوال أحدها ان
حمل الآية على عمومها في الشفاء أولى والى ذلك أشار بقوله صدق الله أي في قوله
فيه شفاء للناس فلما نبهه على هذه الحكمة تلقاها بالقبول فشفي باذن الله تعالى
الثاني أن الوصف المذكور على المألوف من عادتهم من التداوي بالعسل في الامراض
كلها الثالث أن الموصوف له ذلك كانت به هيضة كما تقدم تقريره الرابع يحتمل
أن يكون أمره بطبخ العسل قبل شربه فانه يعقد البلغم فلعله شربه أولا بغير طبخ
انتهى والثاني والرابع ضعيفان ويؤيد الاول حديث ابن مسعود عليكم بالشفاءين

العسل والقرآن أخرجه ابن ماجه والحاكم مرفوعا وأخرجه ابن أبي شيبة والحاكم موقوفا ورجاله رجال الصحيح وأثر علي اذا اشتكى أحدكم فليستوهب من امرأته شيأ من صداقها فليشتر به عسلا ثم يأخذ ماء السماء فيجمع هنيأ مريأ مباركا أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير بسند حسن ورويناعنه رضي الله عنه أنه قال اذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشربه فانه شفاء قال الحافظ ابن كثير بعد أن ذكره أي من وجوه قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء وقال وأنزلنا من السماء ماء مباركا وقال فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيأ مريأ وقال في العسل فيه شفاء للناس

(ذكر ما به صلى الله عليه وسلم من يبس الطبيعة)

بما يمشيه ويلينه روى الترمذي وابن ماجه في سننه من حديث أسماء بنت عميس قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا كنت تستمشين قالت بالشبرم قال حار حار رضا رضا ثم قالت فاستمشيت بالسنى فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو أن شيأ كان فيه شفاء من الموت لكان في السنى قال أبو عيسى هذا حديث غريب وقد ذكر البخاري في تاريخه الكبير من حديث أسماء بنت عميس مثل ما ذكره الترمذي وذكر أبو محمد الحميدي في كتاب الطب له أنه صلى الله عليه وسلم قال اياكم والشبرم فانه حار حار رضا رضا روعليكم بالسنى فتداووا به فلو دفع الموت شيء لدفعه السنى وحكى عبد الحق الاشبيلي في كتاب الطب النبوي له أن المحاسبي ذكر في كتابه في المسمى بالقصد الى الله أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب السنى بالتمر وفي سنن ابن ماجه من حديث ابراهيم بن أبي عبلة قال سمعت عبد الله ابن حرام وكان ممن صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القبلتين يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالسنى والسنوت فان فيهما شفاء من كل داء الا السام قيل يا رسول الله وما السام قال الموت قالوا والشبرم قشر عرق شجرة وهو حار يابس في الدرجة الرابعة وهو من الادوية التي منع الاطباء من استعمالها لخطرها وفرط اسهالها وأما السنى فهو نبت حجازي وأفضله المكي وهو دواء شريف مأمون الغائلة قريب من الاعتدال حار يابس في الدرجة الاولى يسهل الصفراء أو السوداء ويقوي جرم القلب وهذه فضيلة شريفة ومن خاصيته النفع من الوسواس السوداوي قال الرازي السنى والشاهترج يسهلان الاخلاط المحترقة وينفعان من الجرب والحكة قال والشربة من كل واحد منهما من أربعة

دراهم الى سبعة دراهم وأما السنوت فقيل هو العسل وقيل رب عكة السمن يخرج خطوطا سوداء على السمن وقيل حب يشبه الكمون وليس به وقيل هو الكمون الكرماني وقيل انه الرازيانج وقيل انه الشبت وقيل انه العسل الذي يكون في زقاق السمن قال بعض الاطباء وهذا أجدرها بالمعنى وأقرب الى الصواب أي يخلط السنى مدقوقا بالعسل المخالط للسمن ثم يلعق فيكون أصلح من استعماله مفردا لما في العسل والسمن من اصلاح السنى واعانته على الاسهال

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم للمفؤود)

وهو الذي أصيب فؤاده فهو يشتكيه كالمبطون روى أبو داود عن سعد قال مرضت مرضا فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي انك رجل مفؤود فأت الحارث بن كلدة من ثقيف فانه رجل متطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك بهن الفؤاد وهذا الحديث من الخطاب العام الذي أريد به الخاص كأهل المدينة ومن جاورهم والتمر لاهل المدينة كالحنطة لغيرهم واللدود ما يسقاه الانسان من أحد جانبي الفم وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الداء سيما تمر المدينة ولا سيما العجوة وفي كونها سبعا خاصية أخرى تدرك بالوحي وفي الصحيحين من تصبح بسبع تمرات عجوة من تمر العالية لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لذات الجنب)

في البخاري مرفوعا عليكم بهذا العود الهندي فان فيه سبعة أشفية منها ذات الجنب وفي الترمذي من حديث زيد بن ارقم قال قال صلى الله عليه وسلم تداووا من ذات الجنب بالقسط البحري والزيت واعلم أن ذات الجنب هو ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للاعضاء وقد يطلق على ما يعرض في نواحي الجنب من رياح غليظة تحتقن بين الصفاقات والعضل الذي في الصدر والاضلاع فيحدث وجعا فالاول هو ذات الجنب الحقيقي الذي تكلم عليه الاطباء قالوا ويحدث بسببه خمسة أمراض الحمى والسعال والنفس وضيق النفس والنبض المنشاري ويقال لذات الجنب أيضا وجع الخاصرة وهو من الامراض المخوفة لانها تحدث بين القلب والكبد وهو من سيء الاسقام والمراد بذات الجنب هنا الثاني لان القسط وهو العود الهندي هو الذي يداوى به الريح الغليظة وقد حكى الامام ابن القيم عن المسيحي أنه قال العود حار يابس قابض يحبس للبطن ويقوي الاعضاء الباطنة ويطرد الريح ويفتح السدد ويذهب فضل الرطوبة نافع من ذات الجنب جيد للدماغ قال ويجوز

ان

أن ينفع من ذات الجنب الحقيقية أيضا اذا كانت ناشئة عن مادة بلغمية ولاسيما في وقت انحطاط العلة

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم لداء الاستسقاء)

عن أنس قال قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو خرجتم الى ابل الصدقة فشربتم من ألبانها وأبوالها فلما صحوا عمدوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الابل وحاربوا الله ورسوله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم فأخذوا فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وألقاهم في الشمس حتى ماتوا رواه الشيخان واعلم أن الاستسقاء مرض مادي سببه مادة غريبة باردة تتخلل الاعضاء فتربو لها اما الاعضاء الظاهرة كلها واما المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والاخلاط وأقسامه ثلاثة لحمي وهو أصعبها وهو الذي يربو معه لحم جميع البدن بمادة بلغمية تفشو مع الدم في الاعضاء وزقي وهو الذي يجتمع منه في البطن الاسفل مادة مائية رديئة يسمع لها عند الحركة خضخضة كالماء في الزق وهو أردأ أنواعه عند أكثر الاطباء وطبلي وهو الذي ينتفخ معه البطن بمادة ريحية اذا ضربت عليه سمعت له صوتا كصوت الطبل وانما أمرهم صلى الله عليه وسلم بشرب ذلك لان في لبن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتلطيفا وتفتيحا للسدد اذ كان أكثر رعيها الشيح والقيصوم والبابونج والاقحوان والاذخر وغير ذلك من الادوية النافعة للاستسقاء خصوصا اذا استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل وهو حار كما يخرج من الحيوان فان ذلك مما يزيد في ملوحة اللبن وتقطيعه الفضول واطلاقه البطن وأما ضعف المعدة فذكر ابن الحاج في المدخل أن بعض الناس مرض بمعدته فرأى الشيخ الجليل أبو محمد المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو أن يأخذ كل يوم على الريق وزن درهم من الورد المربا ويكون ملتوتا بالمصطكا بعد دقها ويجعل فيها سبع حبات من الشونيز يفعل ذلك سبعة أيام ففعله فبرئ ومرض بعض الناس ببرد المعدة فرأى الشيخ المرجاني أيضا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء أوقية ونصف أوقية عسل نحل ودرهمين شونيزا ومثلها أنسونا ونصف أوقية من النعنع الاخضر ومن القرنفل نصف درهم ومن القرفا نصف درهم وشيء من قشر الليمون مع قليل من الخل ويعقد ذلك على النار فاستعمله فبرئ ومرض آخر بسلس الريح فرأى الشيخ المرجاني النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء شونيز ثلاثة دراهم

ومن الخزاما درهمين ونصف ومن الكمون الابيض ثلاثة دراهم ومثله من السعتر الشامي ومثله من الفليا وزن درهم من البلوط وهو ثمر الفؤاد وأوقية من الزيت المرقى يجعل فيه من العسل النحل ما يعقد به وهو ربع رطل ويؤخذ منه غدوة النهار وزن درهمين على الريق وعند النوم وزن درهم ونصف فاستعمله فبرىء ثم انه عليه الصلاة والسلام بعد ذلك قال في النوم لذلك الشخص الذى أخبره بهذا الدواء انه ينفع لأدواء الريح وسلس الريح والمعدة وبرودتها ووجع الفؤاد وألم الحيض وألم النفاس وتعقد الرياح والزيت المرقى صفته ان تأخذ شيأ من الزيت الطيب وتجعله في اناء نظيف وتحركه بعود وتقرأ عليه سورة الاخلاص والمعوذتين ولقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخر السورة وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الى آخر السورة وحصل لآخر قولنج فرأى الشيخ المرجانى النبى صلى الله عليه وسلم فأشار بهذا الدواء وهو ان يأخذ ثلاثة دراهم من عسل النحل ووزن درهم ونصف من الزيت المرقى واحدى وعشرين حبة من الشونيز ويخلط الجميع ثم يفطر عليه يفعل مثله عند النوم يفعل ذلك حتى يبرىء ويعمل التلبينة ويستعملها بعد أن يفطر على ذلك والتلبينة حساء يعمل من دقيق أو نخالة وربما عمل فيه عسل ويكون غذاؤه مصلوقة الدجاج أو لحم الضان ففعله فبرىء بعد ان أعيى الاطباء ومرض آخر بوجع الظهر فشكى ذلك للشيخ فرأى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يشير بهذا الدواء وهو عسل نحل وشونيز ودهن الألية والزيت المرقى ورقيق البيضة ويخلط ذلك كله ويمده على الموضع ويذر عليه دقيق العدس بقشره مع الحرمل بعد ما يدق دقا ناعما حتى يعود مثل الدقيق ففعله فبرىء وشكى بعض الناس الدوخة فى رأسه فرأى الشيخ النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فأشار الى هذا الدواء قرنفل وزنجبيل وقرفا وجوزة طيب وسنبل من كل واحد درهم ونصف وشونيز درهمين يدق الجميع ثم يطبخ ويعقد بعسل النحل فاذا اقرب استواؤه عصر عليه قليل ليمون فيكون عسل النحل غالبا عليه ففعله فبرىء انتهى وهذا وان كان منا ما فقد عضدته التجربة مع ارشاد الشيخ المرجانى لذلك

* (ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من داء عرق النسا) *

وهو بفتح النون والمهملة المرض الحال بالعرق والاضافة فيه من باب اضافة الشىء الى محله قيل وسمى بذلك لان ألمه ينسى ما سواه وهذا العرق ممتد من مفصل الورك وينتهى الى آخر القدم وراء الكعب وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دواء عرق النسا ألية شاة اعرابية تذاب ثم تجزىء ثلاثة أجزاء ثم يشرب على

الريق في كل جزء رواه ابن ماجه وهذا الدواء خاص بالعرب وأهل الحجاز ومن جاورهم ودوا أنفعه لهم لان هذا المرض يحدث عن يبس وقد يحدث من مادة غليظة لزجة فعلاجها بالاسهال والالية فيها الخاصيتان الانضاج والتليين وهذا المرض يحتاج علاجه الى هذين الامرين وفي تعيين الشاة الاعرابية قلة فضولها وصغر مقدارها ولطف جوهرها وخاصية مرعاها لانها ترعى أعشاب البر الحارة كالشيح والقيصوم ونحوهما وهذه اذا تغذى بها الحيوان صار في لحمه من طبعها بعد ان تلطفه تغذيه ويكسبها مزاجا ألطف منها ولاسيما الالية

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الاورام)

والخراجات بالبط والبزل يذكر عن علي رضي الله عنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يعوده بظهره ورم فقالوا يارسول الله هذه مدة فقال بطوا عنه قال علي فما برحت حتى بطت والنبي صلى الله عليه وسلم شاهد

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بقطع العروق والكي)

روى البخاري ومسلم من حديث جابر ابن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث الى أبي بن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه عليه وأخرج مسلم عن جابر لما رمى سعد بن معاذ في أكحله حسمه النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطحاوي وصححه الحاكم عن أنس قال كواني أبو طلحة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم كوى أسعد بن زرارة من الشوكة وروى مسلم عن عمران بن حصين قال كان يسلم علي حتى اكتويت فتركت ثم تركت الكي فعاد وفي رواية ان الذي كان انقطع عني رجع الى يعني تسليم الملائكة وروى أحمد وأبوداود والترمذي عن عمران نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكي فاكتوينا فما أفلحنا ولا أنجحنا الحديث وانما يستعمل الكي في الخلط الباغي الذي لاتحسم مادته الا به ولهذا وصفه صلى الله عليه وسلم ثم نهى عنه وانما كرهه لما فيه من الالم الشديد والخطر العظيم ولهذا كانت العرب تقول في أمثلتها آخر الدواء الكي والنهي فيه محمول على الكراهة أو على خلاف الاولى لما يقتضيه مجموع الاحاديث وقيل انه خاص بعمران لانه كان به الباسور وكان موضعه خطرا فنهاه عن كيه فلما اشتد عليه كواه فلم ينجح وقال ابن قتيبة الكي نوعان كي الصحيح لئلا يعتل فهذا الذي قيل فيه لم يتوكل من اكتوى لانه يريد أن يدفع القدر والقدر لا يدافع والثاني كي الجرح اذا فسد والعضو اذا قطع فهو الذي شرع التداوي له فان كان الكي لامر محتمل فهو خلاف الاولى لما فيه من تعجيل التعذيب بالنار لامر غير

محقق وحاصل الجمع ان الفعل يدل على الجواز وعدم الفعل لا يدل على المنع بل يدل على أن تركه أرجح من فعله ولذا وقع الثناء على تاركه وأما النهي عنه فاما على سبيل الاختيار والتنزيه واما عن مالا يتعين طريقا الى الشفاء وقال بعضهم انما نهى عنه مع اثباته الشفاء فيه اما لكونهم كانوا يرون أنه يحسم الداء بطبعه فكرهه لذلك ولذلك كانوا يبادرون اليه قبل حصول الداء لظنهم أنه يحسم الداء فيتعجل الذى يكتوى التعذيب بالنار لامر مظنون قال فى فتح البارى ولم أرفى أثر صحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم اكتوى الا أن القرطبى نسب الى كتاب آداب النفوس للطبرى أن النبى صلى الله عليه وسلم اكتوى وذكره الحليمى بلفظ وروى أنه اكتوى للجرح الذى أصابه بأحد قال الحافظ بن حجر والثابت فى الصحيح فى غزوة أحد أن فاطمة أحرقت حصيرا فحشت به جرحه وليس هذا الكى المعهود

* (ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الطاعون) *

قال الخليل الطاعون الوبأ وقال ابن الاثير الطاعون المرض العام والوبأ الذى يفسد له الهواء فتفسد به الامزجة والابدان وقال القاضى أبو بكر ابن العربى الطاعون الوجع الغالب الذى يطفىء الروح سمى بذلك لعموم مصابه وسرعة قتله وقال أبو الوليد الباجى هو مرض يعم الكثير من الناس فى جهة من الجهات بخلاف المعتاد من أمراض الناس وقال القاضى عياض أصل الطاعون القروح الخارجة فى الجسد والوباء عموم الامراض فسميت طاعونا تشبيها بها فى الهلاك وقال النووى فى تهذيبه هو بثر وورم مؤلم جدا ويخرج مع لهب ويسود ماحوله أو يخضر أو يحمر حمرة شديدة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان وقىء ويخرج غالبا فى المراق والآباط وقد يخرج فى الايدى والاصابع وسائر البدن وقال ابن سينا الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالا يحدث فى المواضع الرخوة والمغابن من البدن وأغلب مايكون تحت الابط أوخلف الاذن أوعند الارنبة وسببه ورم ردىء يستحيل الى جوهر سمى يفسد العضو ويغير مايليه ويؤدى الى القلب كيفية رديئة تحدث القىء والغثيان والغشى والخفقان وهو لرداءته لايقبل من الاعضاء الاما كان أضعف بالطبع وأرداه مايقع فى الاعضاء الرئيسة والاسود منه قل من يسلم منه وأسلمه الاحمر ثم الاصفر والطواعين تكثر عند الوباء فى البلاد الوبية ومن ثم أطلق على الطاعون وباء وبالعكس وأما الوباء فهو فساد جواهر الهواء الذى هو مادة الروح ومدده والحاصل ان حقيقته ورم ينشأ عن هيجان الدم وانصباب الدم الى عضو فيفسده وان غيرذلك من الامراض العامة الناشئة عن فساد الهواء يسمى

طاعونا بطريق المجاز لاشتراكهما في عموم المرض أو كثرة الموت والدليل على أن
الطاعون يغاير الوباء أن الطاعون لم يدخل المدينة النبوية وقد قالت عائشة دخلنا
المدينة وهي أوبأ أرض الله وقال بلال أخرجونا الى أرض الوباء والطاعون من
طعن الجن وانما لم يتعرض له الاطباء لكونه من طعن الجن لانه أمر لا يدرك بالعقل
وانما عرف من الشارع فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم ومما يؤيد أن
الطاعون انما يكون من طعن الجن وقوعه غالبا في أعدل الفصول وفي أصح
البلاد هواء وأطيبها ماء ولانه لو كان بسبب فساد الهواء لدام في الارض لان الهواء
يفسد تارة ويصح أخرى والطاعون يذهب احيانا ويجيء احيانا على غير قياس
ولا تجربة فربما جاء سنة على سنة وربما أبطأ سنين وبأنه لو كان كذلك لعم الناس
والحيوان والموجود بالمشاهدة أنه يصيب الكثير ولا يصيب من هم بجانبهم ممن
هو في مثل مزاجهم ولو كان كذلك لعم جميع البدن وهذا يختص بموضع دون موضع
من الجسد لا يجاوزه ولان فساد الهواء يقتضي تغير الاخلاط وكثرة الاسقام وهذا
في الغالب يقتل غالبا بلا مرض فدل على أنه طعن الجن كما ثبت في الاحاديث الواردة
في ذلك منها حديث أحمد والطبراني عن أبي بكر بن أبي موسى الاشعري عن أبيه
قال سألت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو وخز أعدائكم من الجن وهو
لكم شهادة قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر يقع في الالسنة وهو في النهاية
تبعا لغريبي الهروي بلفظ وخز أخوانكم ولم أره بلفظ اخوانكم بعد التتبع الطويل
البالغ في شيء من طرق الاحاديث المسندة لا في الكتب المشهورة ولا في الاجزاء
المنثورة وقد عزاه بعضهم لمسند أحمد والطبراني وكتاب الطواعين لابن أبي الدنيا
ولا وجود لذلك في واحد منها والله أعلم انتهى وفي الصحيحين من حديث أسامة
ابن زيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطاعون رجز أرسل على
طائفة من بني اسرائيل وعلى من كان من قبلكم فاذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا
عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه وقد ذكر العلماء في النهي
عن الخروج حكما منها ان الطاعون في الغالب يكون عاما في البلد الذي يقع به فاذا
وقع فالظاهر مداخلة سببه لمن هو بها فلا يفيده الفرار لان المفسدة اذا تعينت حتى
لا يقع الانفكاك عنها كان الفرار عبثا فلا يليق بالعاقل ومنها ان الناس لو تواردوا
على الخروج لصار من عجز عنه بالمرض المذكور أو بغيره ضائع المصلحة لفقد من
يتعهده حيا وميتا وأيضا لو شرع الخروج فخرج الاقوياء لكان في ذلك كسر
قلوب الضعفاء وقد قالوا ان حكمة الوعيد في الفرار من الزحف لما فيه من كسر قلب

من لم يفر وادخال الرعب عليه بخلافه وقد جمع الغزالي بين الامرين فقال الهواء لا يضر من حيث ملاقاته ظاهر البدن بل من حيث دوام الاستنشاق فيصل الى القلب والرئة فيؤثر في الباطن ولا يظهر على الظاهر الا بعد التأثير في الباطن فالخارج من البلد الذي يقع فيه لا يخلص غالبا مما استحكم به وينضاف الى ذلك أنه لو رخص للاصحاء في الخروج لبقي المرضى لا يجدون من يتعاهدهم فتضيع مصالحهم ومنها ماذكره بعض الاطباء ان المكان الذي يقع به الوباء تتكيف أمزجة أهله بهواء تلك البقعة فتألفها وتصير لهم كالاهوية الصحيحة لغيرهم فلو انتقلوا الى الاماكن الصحيحة لم توافقهم بل ربما اذا استنشقوا هواءه استصحب معه الى القلب من الابخرة الرديئة التي حصل تكيف بدنها بها فافسدته فمنع من الخروج لهذه النكتة ومنها أن الخارج يقول لو أقمت لأصبت والمقيم يقول لو خرجت لسلمت فيقع في اللو المنهي عنه وقال العارف ابن أبي جمرة البلاء انما يقصد به أهل البقعة لا البقعة نفسها فمن أراد الله تعالى انزال البلاء به فهو واقع به لا محالة فأين ما توجه يدركه فأرشدنا الشارع الى عدم النصب وقال ابن القيم جمع صلى الله عليه وسلم للأمة في نهيه عن الدخول الى الارض التي هو بها ونهيه عن الخروج منها بعد وقوعه كمال التحرز منه فان في الدخول في الارض التي هو فيها تعرضا للبلاء وموافاته في محل سلطانه واعانة الانسان على نفسه وهذا مخالف للشرع والعقل بل تجنب الدخول الى أرضه من باب الحمية التي أرشد الله تعالى اليها وهي حمية من الامكنة والأهوية المؤذية وأما نهيه عن الخروج من بلده ففيه معنيان أحدهما حمل النفوس على الثقة بالله تعالى والتوكل عليه والصبر على أقضيته والرضاء والثاني ماقاله أئمة الطب انه يجب على من كان يحترز من الوباء أن يخرج عن بدنه الرطوبات الفضلية ويقلل الغذاء ويميل الى التدبير المجفف من كل وجه والخروج من أرض الوباء والسفر منها لا يكون الا بحركة شديدة وهي مضرة جدا وهذا كلام أفضل المتأخرين من الاطباء فظهر المعنى الطبي من الحديث النبوي ومافيه من علاج القلب والبدن وصلاحهما انتهى

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السلعة)

أخرج البخاري في تاريخه والطبراني والبيهقي عن شرحبيل الجعفي قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وبكفي سلعة فقلت يارسول الله قد آذتني تحول بيني وبين قائم السيف أن أقبض عليه وعنان الدابة فنفث في كفي ووضع كفه على السلعة فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها عنها وما أرى أثرها ومسح صلى الله عليه وسلم وجه

ابيض

أبيض بن حمال وكان به القوباء فلم يمس من ذلك اليوم ومنها أثر رواه البيهقي وغيره

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من الحمى)

روى البخاري من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فأطفؤها بالماء البارد واختلف في نسبتها الى جهنم فقيل حقيقة واللهب الحاصل في جسم المحموم قطعة من جهنم وقدر الله ظهورها بأسباب تقتضيها ليعتبر العباد بذلك كما ان أنواع الفرح واللذة من نعيم الجنة أظهرها في هذه الدار عبرة ودلالة وقيل الخبر ورد مورد التشبيه والمعنى أن حر الحمى شبيه بحر جهنم تنبيها للنفوس على شدة حر النار وأن هذه الحرارة الشديدة شبيهة بفيحها وهو ما يصيب من قرب منها من حرها قوله فأطفؤها بهمزة قطع أمر من أطفأ وروى الطبراني الحمى حظ المؤمن من النار وفي رواية نافع عن ابن عمر عند الشيخين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمى أو شدة الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء بهمزة وصل والراء مضمومة على المشهور وحكى كسر الراء وفي رواية ابن ماجه بالماء البارد وفي ورواية عن أبي جمرة بالجيم عند البخاري قال كنت أجالس ابن عباس بمكة فأخذتني الحمى فاحتبست أياما فقال ما حبسك فقلت الحمى قال أبردها بماء زمزم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء أو بماء زمزم شك قال ابن القيم قوله بالماء فيه قولان أحدهما أنه كل ماء وهو الصحيح والثاني أنه ماء زمزم ثم قال بعد أن روى حديث أبي جمرة هذا وراوي هذا قد شك فيه ولو جزم به لكان أمر الأهل مكة بماء زمزم اذ هو متيسر عندهم وأمر غيرهم بما عندهم من الماء انتهى وتعقب بأنه وقع في رواية أحمد عن عفان بن همام فابردوها بماء زمزم ولم يشك وكذا أخرجه النساءي وابن حبان والحاكم قال ابن القيم واختلف من قال انه على عمومه هل المراد به الصدقة بالماء أو استعماله على قولين والصحيح انه استعماله وأظن ان الذي حمل من قال ان المراد به الصدقة أنه أشكل عليه استعمال الماء البارد في الحمى ولم يفهم وجهه مع ان لقوله وجها حسنا وهو أن الجزاء من جنس العمل فكما أخمد لهيب العطش عن الظمآن بالماء البارد أخمد الله لهيب الحمى عنه جزاء وفاقا انتهى وقال الخطابي وغيره اعترض بعض سخفاء الاطباء على هذا الحديث بأن قال اغتسال المحموم بالماء خطر يقربه من الهلاك لانه يجمع المسام ويحقن البخار ويعكس الحرارة التي في داخل الجسم فيكون ذلك سببا للتلف وقد غلط بعض من ينسب الى العمل فانغمس في الماء لما أصابته الحمى فاحتقنت الحرارة في باطن بدنه فأصابته علة صعبة كادت تهلكه فلما خرج من علته قال

قوله سيما الاحسن ذكره وانما أوقعه فى ذلك جهله بمعنى الحديث والجواب ان هذا الاستشكال صدر عن صدر مرتاب فى صدق الخبر فيقال له أولا من أين حملت الأمر على الاغتسال وليس فى الحديث الصحيح بيان الكيفية فضلا عن اختصاصها بالغسل وانما فى الحديث الارشاد الى تبريد الحمى بالماء فان أظهر الوجود أو اقتضت صناعة الطب أن انغماس كل محموم فى الماء أو صبه اياه على جميع بدنه يضره فليس هو المراد وانما قصده عليه الصلاة والسلام استعمال الماء على وجه ينفع فليبحث عن ذلك الوجه ليحصل الانتفاع به وهذا كما وقع فى أمره العائن بالاغتسال وأطلق وقد ظهر من الحديث الآخر انه لم يرد مطلق الاغتسال وانما اراد الاغتسال على كيفية مخصوصة وأولى ما يحمل عليه كيفية تبريد الحمى بالماء ما صنعته أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فانها كانت ترش على بدن المحموم شيأ من الماء بين ثدييه وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة المأذون فيها والصحابى ولا سيما مثل أسماء بنت أبى بكر التى هى كانت تلازم بيت النبى صلى الله عليه وسلم اعلم بالمراد من غيرها وقد ذكر أبو نعيم وغيره من حديث أنس يرفعه اذا حم أحدكم فليرش عليه الماء البارد ثلاث ليال من السحر وقال المازرى لا شك ان علم الطب من أكثر العلوم احتياجا الى التفصيل حتى ان المريض يكون الشىء دواءه فى ساعة فيكون داءه فى الساعة التى تليها العارض يعرض له من غضب يحمى مزاجه مثلا فيتغير علاجه ومثل ذلك كثير فاذا فرض وجود الشفاء لشخص بشىء فى حالة ما لم يلزم منه وجود الشفاء به له أو لغيره فى سائر الاحوال والاطباء مجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف السن والزمان والعادة والغذاء المتقدم والتأثير المألوف وقوة الطباع ويحتمل أن يكون هذا فى وقت مخصوص فيكون من الخواص التى اطلع عليها النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى ويضمحل عند ذلك جميع كلام أهل الطب وجعل ابن القيم خطابه صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث خاصا لاهل الحجاز وما والاهم اذ كان أكثر الحميات التى تعرض لهم من نوع الحمى اليومية العرضية الحادثة من شدة حرارة الشمس قال وهذه ينفعها الماء البارد شربا واغتسالا لأن الحمى حرارة غريبة تشتعل فى القلب وتنتشر منه بتوسط الروح والدم فى العروق الى جميع البدن وهى قسمان عرضية وهى الحادثة عن ورم أو حركة أو اصابة حرارة الشمس أو القيظ الشديد ونحو ذلك ومرضية وهى ثلاثة أنواع وتكون عن مادة ثم منها ما يسخن جميع البدن فان كان مبدأ تعلقها بالروح فهى حمى يوم لا تقلع غالبا فى يوم ونهايتها الى ثلاث وان كان تعلقها بالاعضاء

الاصلية فهي حمى دق وهي أخطرها وان كان تعلقها بالاخلاط سميت عفنية وهي بعدد الاخلاط الاربعة أعني صفراوية سوداوية بلغمية دموية وتحت هذه الانواع المذكورة أصناف كثيرة بسبب الافراد والتركيب انتهى واذا تقرر هذا فيجوز أن يكون المراد النوع الاول فانها تسكن بالانغماس في الماء البارد وشرب الماء المبرد بالثلج وبغيره ولا تحتاج الى علاج آخر وقد قال جالينوس لو أن شابا خصب اللحم خصب البدن ليس في أحشائه ورم استحم بماء بارد أو سبح فيه في وقت القيظ عند منتهى الحمى لانتفع بذلك وقد تكرر في الحديث استعماله صلى الله عليه وسلم الماء البارد في علته كما في الحديث صبوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن وفي المسند وغيره من حديث الحسن عن سمرة رفعه الحمى قطعة من النار فابردوها عنكم بالماء البارد وكان صلى الله عليه وسلم اذا حم دعا بقربة من ماء فافرغها على رأسه فاغتسل وصححه الحاكم ولكن قال في اسناده راو ضعيف وعن أنس رفعه اذا حم أحدكم فليشن عليه من الماء البارد من السحر ثلاث ليال أخرجه الطحاوي وأبو نعيم في الطب وأخرج الطبراني من حديث عبد الرحمن بن المرقع رفعه الحمى رائد الموت وهي سجن الله في الارض فبردوا لها الماء في الشنان وصبوه عليكم فيما بين الاذانين المغرب والعشاء قال ففعلوا فذهب عنهم وقد أخرج الترمذي من حديث ثوبان مرفوعا اذا أصاب أحدكم الحمى وهي قطعة من النار فليطفئها عنه بالماء يستنقع في نهر جاري ويستقبل جريته وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس ولينغمس فيه ثلاث غمسات ثلاثة أيام فان لم يبرأ فخمس والا فسبع والا فتسع فانها لا تكاد تجاوز تسعا باذن الله تعالى قال الترمذي غريب وفي سنده سعيد بن زرعة مختلف فيه

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حكة الجسد وما يولد القمل)

لما كانت الحكة لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة رخص صلى الله عليه وسلم للزبير ابن العوام وعبد الرحمن ابن عوف في لبس الحرير لحكة كانت بهما كما في البخاري عن قتادة أن أنسا حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير في قميص من حرير من حكة كانت بهما وفي رواية أن عبد الرحمن والزبير شكيا الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني القمل فأرخص لهما في الحرير فرأيته عليهما في غزاة وفي رواية رخص النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام في الحرير وفي رواية رخص النبي صلى الله عليه وسلم أو رخص لحكة كانت بهما ويحتمل ان تكون احدى العلتين

بأحد الرجلين أو ان الحكة حصلت من القمل فنسبت العلة تارة الى السبب وتارة الى المسبب قال النووى هذا الحديث صريح فى الدلالة لمذهب الشافعى وموافقيه أنه يجوز لبس الحرير للرجل اذا كانت به حكة لما فيه من البرودة وكذا القمل وما فى معنى ذلك وقال مالك لا يجوز وهذا الحديث حجة عليه انتهى وتعقب قوله لما فيه من البرودة بأن الحرير حار والصواب أن الحكمة فيه انما هى لخاصية فيه تدفع الحكة والقمل وقال ابن القيم واذا اتخذ منه ملبوس كان معتدل الحرارة فى مزاجه مسخنا للبدن وربما برد البدن بتسمينه اياه وقال الرازى الابريسم أسخن من الكتان وأبرد من القطن يربى اللحم وكل لباس خشن فانه يهزل ويصلب البشرة فلابس الاوبار والاصواف تسخن وتدفى وملابس الكتان والحرير والقطن تدفى ولا تسخن فثياب الكتان باردة يابسة وثياب الصوف حارة يابسة وثياب القطن معتدلة الحرارة وثياب الحرير ألين من ثياب القطن وأقل حرارة منه ولما كانت ثياب الحرير ليس فيهما من اليبس والخشونة كغيرهما صارت نافعة من الحكة لان الحكة كما قدمته لا تكون الا عن حرارة ويبس وخشونة فلذلك رخص عليه الصلاة والسلام لهما فى الحرير لمداواة الحكة

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من السم الذى أصابه بخيبر)

تقدم فى غزوتها قصة اليهودية التى أهدت اليه الشاة المسمومة وقد روى عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك أن امرأة يهودية أهدت للنبى صلى الله عليه وسلم شاة مصلية بخيبر فقال ماهذه قالت هذه هدية وحذرت ان تقول صدقة فلا يأكل فأكل النبى صلى الله عليه وسلم وأكل أصحابه ثم قال أمسكوا ثم قال للمرأة هل سممت هذه الشاة قالت من أخبرك قال هذا العظم لساقها وهو فى يده قلت نعم قال لم قالت أردت ان كنت كاذبا أن يستريح منك الناس وان كنت نبيا لم يضرك قال فاحتجم النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثا على كاهله وقد ذكروا فى علاج السم أنه يكون بالاستفراغات وبالادوية التى تعارض فعل السم وتبطله اما بكيفياتها واما بخواصها فمن عدم الدواء فليبادر الى الدواء الكلى وأنفعه الحجامة ولاسيما اذا كان البلد حارا فان القوة السمية تسرى فى الدم فتبعثه فى العروق والمجارى حتى تصل الى القلب والاعضاء فاذا بادر المسموم وأخرج الدم خرجت معه تلك الكيفية السمية التى خالطته فان كان استفراغا تاما لم يضره السم بل اما أن يذهب واما أن يضعف فتقوى عليه الطبيعة فتبطل فعله أو تضعفه ولما احتجم صلى الله عليه وسلم احتجم على الكاهل لانه أقرب الى القلب

فخرجت المادة السمية مع الدم لا خروجا كليا بل بقي أثرها مع ضعفه لما يريد الله تعالى من تكميل مراتب الفضل كلها بالشهادة زاده الله فضلا وشرفا

(النوع الثالث في طبه صلى الله عليه وسلم بالادوية المركبة من الالهية والطبيعية ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من القرحة والجرح وكل شكوى)

عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للمريض بسم الله تربة أرضنا وريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا رواه البخاري وفي رواية لمسلم كان اذا اشتكى الانسان أو كانت به قرحة أو جرح قال باصبعه هكذا ووضع سفيان سبابته بالارض الحديث وقوله تربة أرضنا خبر مبتدأ محذوف أي هذه تربة أرضنا وقوله يشفى سقيمنا ضبط بوجهين بضم أوله على البناء للمجهول وسقيمنا بالرفع وبفتح أوله على أن الفاعل مقدر وسقيمنا بالنصب على المفعولية قال النووي معنى الحديث انه أخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة ثم وضعها على التراب فعلق بها شيء منه ثم مسح به على الموضع العليل أو الجرح قائلا الكلام المذكور في حالة المسح وقال القرطبي زعم بعض الناس ان السر فيه أن تراب الارض لبرودته ويبسه يبرئ الموضع الذي به الالم ويمنع انصباب المواد اليه ليبسه مع منفعته في تجفيف الجراح واندمالها وقال في الريق انه يختص بالتحليل والانضاج وابراء الجرح والورم ولا سيما من الصائم والجائع وتعقبه القرطبي بأن ذلك انما يتم اذا وقعت المعالجة على قوانينها من مراعاة مقدار التراب والريق وملازمة ذلك في أوقاته والا فالنفث ووضع السبابة على الارض انما يعلق بها ما ليس له بال ولا أثر وانما هذا من باب التبرك باسماء الله تعالى وآثار رسوله صلى الله عليه وسلم وأما وضع الاصبع بالارض فلعله لخاصية في ذلك أو لحكمة لاخفاء آثار القدرة بمباشرة الاسباب المعتادة وقال البيضاوي قد شهدت المباحث الطبية على أن للريق مدخلا في النضج وتعديل المزاج وتراب الوطن له تأثير في حفظ المزاج ودفع الضرر فقد ذكروا انه ينبغي للمسافر ان يستصحب تراب أرضه ان عجز عن استصحاب مائها حتى اذا ورد المياه المختلفة جعل شيأ منه في سقائه ليأمن مضرة ذلك ثم ان الرقى والعزائم لها آثار عجيبة تتقاعد العقول عن الوصول الى كنهها وقال التوربشتي كأن المراد بالتربة الاشارة الى النطفة كأنه تضرع بلسان الحال أنك اخترعت الاصل الاول من التراب ثم أبدعته من ماء مهين فهين عليك ان تشفي من كانت هذه نشأته وقال النووي وقيل المراد بأرضنا أرض المدينة لبركتها وبعضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لشرف ريقه فيكون ذلك مخصوصا وفيه نظر وفي حديث عائشة عند أبي داود

والنسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على ثابت بن قيس بن شماس وهو مريض فقال اكشف الباس رب الناس ثم أخذ ترابا من بطحان فجعله في قدح ثم نفث عليه ثم صبه عليه قال الحافظ ابن حجر هذا الحديث تفرد به الشخص المرقي

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من لدغة العقرب)

عن عبد الله بن مسعود قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي اذ سجد فلدغته عقرب في اصبعه فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعن الله العقرب ماتدع نبيا ولا غيره ثم دعا باناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة في الماء والملح ويقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حتى سكنت رواه ابن أبي شيبه في مسنده وقال ابن عبد البر رقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العقرب بالمعوذتين وكان يمسح الموضع بماء فيه ملح وهذا طب مركب من الطبيعي والالهي فان سورة الاخلاص قد جمعت الاصول الثلاثة التي هي مجامع التوحيد وفي المعوذتين استعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلا ولهذا أوصى صلى الله عليه وسلم عقبة ابن عامر ان يقرأهما عقب كل صلاة رواه الترمذي وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة الى الصلاة وقال ما تعوذ المتعوذون بمثلهما وأما الماء والملح فهو الطب الطبيعي فان في الملح نفعا لكثير من السموم ولا سيما لدغة العقرب وفيه من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها ولما كان في لسعها قوة نارية تحتاج الى تبريد وجذب استعمل صلى الله عليه وسلم الماء والملح لذلك

(ذكر الطب من النملة)

وهي بفتح النون واسكان الميم قروح تخرج في الجنب وسمي نملة لان صاحبه يحس في مكانه كأن نملة تدب عليه وتعضه وفي حديث مسلم عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم رخص في الرقية من الحمة والعين والنملة وروى الخلال ان الشفاء بنت عبد الله كانت ترقي في الجاهلية من النملة فلما هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قد بايعته بمكة قالت يارسول الله اني كنت أرقي في الجاهلية من النملة وأريد أن أعرضها عليك فعرضتها فقالت بسم الله ضلت حتى تعود من أفواهها ولا تضر أحدا اللهم اكشف الباس رب الناس قال ترقي بها على عود سبع مرات وتقصد به مكانا نظيفا وتدلكه على حجر بخل خمر حاذق وتطليه على النملة

(ذكر طبه عليه الصلاة والسلام من البثرة)

روى النسائي عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال عندك ذريرة قلت نعم فدعا بها فوضعها على بثرة بين أصبعين من أصابع رجله ثم قال اللهم مطفىء الكبير

ومكبراً صغيراً مافتئها عني فطفئت

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم من حرق النار)

روى النسائي عن محمد بن حاطب قال تناولت قدراً فأصاب كفي من مائها فاحترق ظهر كفي فانطلقت بي أمي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أذهب البأس رب الناس وأحسبه قال واشف أنت الشافي وتفل

(ذكر طبه صلى الله عليه وسلم بالحمية)

وهي قسمان حمية عما يجلب المرض وحمية عما يزيده فيقف على حاله فالاولى حمية الاصحاء والثانية حمية المرضى فان المريض اذا احتمى وقف مرضه عن التزايد وأخذت القوى في دفعه والاصل في الحمية قوله تعالى وان كنتم مرضى أو على سفر الى قوله فتيمموا صعيداً طيباً فحمى المريض من استعمال الماء لانه يضره كما وقعت الاشارة لذلك في أوائل هذا المقصد وقد قال بعض أفاضل الاطباء رأس الطب الحمية والحمية للصحيح عندهم في المضرة بمنزلة التخليط للمريض والناقه وأنفع ما تكون الحمية للناقه من المرض لان التخليط يوجب الانتكاس والانتكاس أصعب من ابتداء المرض والفاكهة تضر بالناقه من المرض لسرعة استحالتها وضعف الطبيعة عن دفعها لعدم القوة وفي سنن ابن ماجه عن صهيب قال قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه خبز وتمر فقال أدن وكل فأخذت تمراً فأكلت فقال أتأكل تمراً وبك رمد فقلت يا رسول الله أمضغ من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه الاشارة الى الحمية وعدم التخليط وأن الرمد يضر به التمر وعن أم المنذر بنت قيس الانصارية قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وهو ناقه من مرض ولنا دوالي معلقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل منها وقام علي يأكل منها فطفق النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعلي انك ناقه حتى كف قالت وصنعت شعيراً وسلقاً فجئت به فقال صلى الله عليه وسلم لعلي من هذا أصب فانه أنفع لك رواه ابن ماجه . وانما منعه صلى الله عليه وسلم من أكله من الدوالي لان في الفاكهة نوع ثقل على المعدة ولم يمنعه من السلق والشعير لانه من أنفع الاغذية للناقه ففي ماء الشعير التغذية والتلطيف والتليين وتقوية الطبيعة فالحمية من أكبر الادوية للناقه قبل زوال الداء لكي يمتنع تزايده وانتشاره قال ابن القيم ومما ينبغي أن يعلم أن كثيراً مما يحمى عنه العليل والناقه والصحيح اذا اشتدت الشهوة اليه ومالت اليه الطبيعة فتناول منه الشيء اليسير الذي لا تعجز الطبيعة عن هضمه لم يضره تناوله بل ربما انتفع به فان الطبيعة

وللعدة بتلقيانه بالقبول والمحبة تخلصان ما يخشى من ضرره وقد يكون أنفع من تناوله ما تكرهه الطبيعة وتدفعه من الدواء ولهذا أقر النبي صلى الله عليه وسلم صهيبا وهو أرمد على تناول التمرات اليسيرة وعلم أنها لا تضره ففي هذا الحديث يعني حديث صهيب سر طبي لطيف فان المريض اذا تناول ما يشتهيه عن جوع صادق وكان فيه ضرر ما كان أنفع وأقل ضررا مما لا يشتهيه عن جوع صادق وان كان نافعا في نفسه فان صدق شهوته ومحبة الطبيعة له تدفع ضرره وكذلك بالعكس

(ذكر حمية المريض من الماء)

عن قتادة ابن النعمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله العبد حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء قال الترمذي حديث حسن غريب وروى الحميدي مرفوعا لو أن الناس أقلوا من شرب الماء لاستقامت أبدانهم وللطبراني في الأوسط عن أبي سعيد مرفوعا من شرب الماء على الريق انتقصت قوته وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف

(ذكر أمره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الماء المشمس خوف البرص)

روى الدارقطني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لا تغتسلوا بالماء المشمس فانه يورث البرص وروى الدارقطني هذا المعنى مرفوعا من حديث عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف وكذا أخرج العقيلي نحوه عن أنس بن مالك ورواه الشافعي عن عمر فعلى هذا يكره استعمال الماء المشمس شرعا خوف البرص لكنهم اشترطوا شروطا ان يكون في البلاد الحارة والأوقات الحارة دون الباردة وفي الأواني المنطبعة على الأصح دون الحجر والخشب ونحوهما واستثنى النقدان لصفائهما وقال الجويني بالتسوية حكاه ابن الصلاح ولا يكره المشمس في الحياض والبرك قطعا وان يكون الاستعمال في البدن لا في الثوب وان يكون مستعملا حال حرارته فلو بردت زادت الكراهة في الأصح في الروضة وصحح في الشرح الصغير عدم الزوال واشترط صاحب التهذيب كما قاله الجيلي أن يكون رأس الاناء منسدا لتحبس الحرارة وفي شرح المهذب أنها شرعية يثاب تاركها وقال في شرح التنبيه ان اعتبرنا القصد فشرعية والا فارشادية واذا قلنا بالكراهة فكراهة تنزيه لا تمنع صحة الطهارة وقال الطبري ان خاف الأذى حرم وقال ابن عبد السلام لو لم يجد غيره وجب استعماله واختار النووي في الروضة عدم الكراهة مطلقا وحكاه الروياني في البحر عن النص

(ذكر الحمية من طعام البخلاء)

عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طعام البخيل داء وطعام الاسخياء شفاء رواه التنيسي عن مالك فى غير الموطأ كما ذكره عبد الحق فى الاحكام

(ذكر الحمية من داء الكسل)

روى أبو داود فى المراسيل عن يونس عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه رآه مضطجعا فى الشمس قال يونس فنهانى وقال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها تورث الكسل وتثير الداء الدفين

(ذكر الحمية من داء البواسير)

عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجامعن أحدكم وبه حقن خلاء فانه يكون منه البواسير رواه أبو احمد والحاكم

(ذكر حماية الشراب من سم أحد جناحى الذباب بانغماس الثانى)

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فان فى أحد جناحيه شفاء وفى الآخر داء وفى رواية أبي داود فانه يتقى بجناحه الذى فيه الداء فليغمسه كله وفى رواية الطحاوى فانه يقدم السم ويؤخر الشفاء وفى قوله كله دفع توهم المجاز فى الاكتفاء بالبعض قال شيخنا لم يقع لى فى شىء من الطرق تعيين الجناح الذى فيه الشفاء من غيره لكن ذكر بعض العلماء أنه تأمله فوجده يتقى بجناحه الأيسر فعرف أن الأيمن هو الذى فيه الشفاء وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر مرفوعا عمر الذباب أربعون ليلة والذباب كله فى النار الا النحل وسنده لا بأس به قال الجاحظ كونه فى النار ليس تعذيباله بل ليعذب أهل النار به ويتولد من العفونة ومن عجيب أمره ان رجيعه يقع على الثوب الاسود أبيض وبالعكس وأكثر ما يظهر فى أماكن العفونة ومبدأ خلقه منها ثم من التوالد وهو أكثر الطيور سفادا وربما بقى عامة اليوم على الانثى ويحكى أن بعض الخلفاء سأل الشافعى لأى علة خلق الذباب فقال مذلة للملوك وكان ألحت عليه ذبابة وقال الشافعى سألنى ولم يكن عندى جواب فاستنبطت ذلك من الهيئة الحاصلة فرحمة الله عليه ورضوانه

(ذكر أمره صلى الله عليه وسلم بالحمية من الوباء النازل فى الاناء بالليل بتغطيته)

عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا الاناء وأوكوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء رواه مسلم فى صحيحه قيل وذلك فى آخر شهور السنة الرومية

(ذكر حمية الولد من ارضاع الحمق)

روى أبو داود في المراسيل باسناد صحيح عن زياد السهمي قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسترضع الحمقى فان اللبن يشبه وعند ابن حبيب بمعناه وعند القضاعي بسند حسن من حديث ابن عباس مرفوعا الرضاع يغير الطباع ولابن حبيب أيضا مرفوعا أنه نهى عن استرضاع الفاجرة وعن عمر بن الخطاب أن اللبن ينزع لمن تسترضع *(وأما الحمية من البرد)* فاشتهر على الالسنة اتقوا البرد فانه قتل أبا الدرداء لكن قال شيخ الحفاظ ابن حجر لا أعرفه فان كان واردا فيحتاج الى تأويل فان أبا الدرداء عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا انتهى وأما ما اشتهر أيضا أصل كل داء البردة فقال شيخنا رواه أبو نعيم والمستغفري معا في الطب النبوي والدارقطني في العلل كلهم من طريق تمام بن نجيح عن الحسن البصري عن أنس رفعه وتمام ضعفه الدارقطني وغيره ووثقه ابن معين ولابي نعيم أيضا من حديث ابن المبارك عن السائب بن عبد الله بن علي بن زحر عن ابن عباس مرفوعا مثله ومن حديث عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رفعه أصل كل داء من البردة وقد قال الدارقطني عقب حديث أنس من علله عباد ابن منصور عن الحسن من قوله وهو أشبه بالصواب وجعله الزمخشري في الفائق من كلام ابن مسعود قال الدارقطني في كتاب التصحيف قال أهل اللغة رواه المحدثون البردة يعني باسكان الراء والصواب البردة يعني بالفتح وهي التخمة لانها تبرد حرارة الشهوة أو لانها ثقيلة على المعدة بطيئة الذهاب من برد اذا ثبت وسكن وقد أورد أبو نعيم مضموما لهذه الاحاديث حديث الحارث بن فضيل عن زياد بن ميناء عن أبي هريرة رفعه استدفئوا من الحر والبرد وكذا أورد المستغفري مع ما عنده منها حديث اسحاق بن نجيح عن أبان عن أنس رفعه ان الملائكة لتفرح بفراغ البرد عن أمتي أصل كل داء البرد وهما ضعيفان وذلك شاهد لما حكي عن اللغويين في كون المحدثين رووه بالسكون انتهى

(الفصل الثاني في تعبيره صلى الله عليه وسلم الرؤيا)

يقال عبرت الرؤيا بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد للمبالغة في ذلك وأما الرؤيا بوزن فعلى وقد تسهل الهمزة فهي ما يراه الشخص في منامه قال القاضي أبو بكر ابن العربي الرؤيا ادراكات يخلقها الله تعالى في قلب العبد على يد ملك أو شيطان اما باسمائها أي حقيقتها واما بكناها أي بعباراتها واما تخليطا وذهب القاضي أبو بكر بن الطيب الى أنها اعتقادات واحتج بأن الرائي قد يرى نفسه بهيمة

أو طائراً مثلاً وليس هذا ادراكا فوجب أن يكون اعتقاداً لان الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد قال ابن العربي والاول أولى والذي يكون من قبيل ما ذكره ابن الطيب من خبر قبيل المثل فالادراك انما يتعلق به لا بأصل الذات وقال المازري كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا وقال فيها غير الاسلاميين أقاويل كثيرة منكرة لانهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل ولا يقوم عليها برهان وهم لا يصدقون بالسمع فاضطربت أقاويلهم فمن ينتمي الى الطب ينسب جميع الرؤيا الى الاخلاط فيقول من غلب عليه البلغم رأى أنه يسبح في الماء ونحوه وذلك لمناسبة الماء طبيعة البلغم ومن غلبت عليه الصفراء رأى النيران والصعود في الجو وهكذا الى آخره وهذا وان جوزه العقل وجاز ان يجري الله العادة به لكنه لم يقم عليه دليل ولا اطردت به عادة والقطع في موضع التجويز غلط ومن ينتمي الى الفلسفة يقول ان صور ما يجري في الارض هي في العالم العلوي كالنقوش فما حاذى بعض النفوس منها انتقش فيها قال وهذا أشد فساداً من الاول لكونه تحكما لا برهان عليه والانتقاش من صفات الاجسام وأكثر ما يجري في العالم العلوي الاعراض والاعراض لا ينتقش فيها قال والصحيح ما عليه أهل السنة أن الله تعالى يخلق في النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان فاذا خلقها فكأنه جعلها علما على أمور اخرى خلقها أو يخلقها في ثاني حال ومهما وقع منها على خلاف المعتقد فهو كما يقع لليقظان ونظيره أن الله تعالى خلق الغيم علامة على المطر وقد يتخلف وتلك الاعتقادات تقع تارة بحضرة الملك فيقع بعدها ما يسر وتارة بحضرة الشيطان فيقع بعدها ما يضره والعلم عند الله وأخرج الحاكم والعقيلي من رواية محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال لقي عمر عليا فقال يا أبا الحسن الرجل يرى الرؤيا فمنها ما يصدق ومنها ما يكذب قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد ولا أمة ينام فيمتلئ نوما الا تخرج روحه الى العرش فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تكذب قال الذهبي في تلخيصه هذا حديث منكر ولم يصححه المؤلف وذكر ابن القيم حديثا مرفوعا غير معزو وان رؤيا المؤمن كلام يكلمه ربه به في المنام ووجد الحديث للترمذي في نوادر الاصول من حديث عبادة بن الصامت أخرجه في الاصل الثامن والسبعين وهو من روايته عن شيخه عمر بن أبي عمر وهو واه وفي سنده جنيد بن ميمون عن حمزة بن الزبير عن عبادة قال الحكيم قال بعض أهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أي

في المنام ورؤيا الانبياء وحي بخلاف غيرهم فالوحي لا يدخله خلل لانه محروس
بخلاف رؤيا غير الانبياء فانها قد يحضرها الشيطان وقال الحكيم أيضا وكل الله
بالرؤيا ملكا اطلع على أحوال بني آدم من اللوح المحفوظ فينسخ منها و يضرب لكل
على قصته مثلا فاذا نام مثلت له تلك الاشياء على طريق الحكمة الالهية لتكون له
بشرى أو نذارة أو معاتبة والآدمي قد يسلط عليه الشيطان لشدة العداوة بينهما
فهو يكيده بكل وجه و يريد افساد اموره بكل طريق فيلبس عليه رؤياه اما
بتغليطه فيها أو بغفلته عنها وفي البخاري من حديث أنس أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزأ من
النبوة والمراد غالب رؤيا الصالحين والا فالصالح قد يرى الاضغاث ولكنه نادر لقلة
تمكن الشيطان منهم بخلاف عكسهم فان الصدق فيها نادر لغلبة تسلطه عليهم
وقد استشكل كون الرؤيا جزأ من النبوة مع أن النبوة انقطعت بموته صلى الله
عليه وسلم وأجيب بأن الرؤيا ان وقعت منه صلى الله عليه وسلم فهي جزء من
أجزاء النبوة حقيقة وان وقعت من غير النبي فهي جزء من أجزاء النبوة على سبيل
المجاز وقيل المعنى أنها جزء من علم النبوة لان النبوة وان انقطعت فعلمها باق وتعقب
بقول مالك كما حكاه ابن عبد البر انه سئل أيعبر الرؤيا كل أحد فقال أبالنبوة يلعب
ثم قال الرؤيا جزء من النبوة وأجيب بأنه لم يرد أنها نبوة باقية وانما أراد أنها لما
أشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب لا ينبغي أن يتكلم فيها بغير علم
فليس المراد أن الرؤيا الصالحة نبوة لان المراد تشبيه الرؤيا بالنبوة وجزء الشيء
لا يستلزم ثبوت وصفه كمن قال أشهد أن لا اله الا الله رافعا صوته لا يسمى مؤذنا
وفي حديث أم كرز الكعبية عند أحمد وصححه ابن خزيمة وابن حبان ذهبت النبوة
وبقيت المبشرات وعند أحمد من حديث عائشة مرفوعا لم يبق بعدي من المبشرات
الا الرؤيا وفي حديث ابن عباس عند مسلم وأبي داود أنه عليه الصلاة والسلام
كشف الستارة ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه والناس صفوف خلف
أبي بكر فقال يا أيها الناس انه لم يبق من مبشرات النبوة الا الرؤيا الصالحة
يراها المسلم أو ترى له والتعبير بالمبشرات خرج مخرج الغالب فان من الرؤيا ما تكون
منذرة وهي صادقة يريها الله المؤمن رفقا به ليستعد لما يقع قبل وقوعه وقوله من
الرجل الصالح لا مفهوم له فان المرأة الصالحة كذلك وحكى ابن بطال الاتفاق
عليه وقوله جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة كذا في أكثر الاحاديث وروى
مسلم من حديث أبي هريرة جزء من خمسة وأربعين جزأ من النبوة وعنده أيضا

من حديث ابن عمر جزء من سبعين جزءا وعند الطبراني جزء من ستة وسبعين وسنده ضعيف وعنه من عند البرمن طريق عبد العزيز بن المختار عن ثابت عن أنس مرفوعا جزء من ستة وعشرين جزءا ووقع في شرح مسلم للنووي وفي رواية عبادة أربعة وعشرين والذي يتحصل من الروايات عشرة أقوال ما عند النووي وأكثرها من ستة وسبعين وأضربنا عن باقيها خوف الاطالة قال القاضي أبو بكر بن العربي أجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها الا ملك أو نبي وانما القدر الذي أراده النبي صلى الله عليه وسلم أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة في الجملة لان فيها اطلاعا على الغيب من وجه ما وأما تفصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة وقال المازري لا يلزم العالم أن يعرف كل شيء جملة وتفصيلا فقد جعل الله للعالم حدا يقف عنده فمنه ما يعلم به المراد جملة وتفصيلا ومنه ما يعلمه جملة لا تفصيلا وهذا من هذا القبيل وقد تكلم بعضهم على الرواية المشهورة وأبدى لها مناسبة فنقل ابن بطال عن أبي سعيد السفاقسي أن بعض أهل العلم ذكر ان الله تعالى أوحى الى نبيه في المنام ستة أشهر ثم أوحى اليه بعد ذلك في اليقظة بقية مدة حياته ونسبتها الى الوحي في المنام جزء من ستة وأربعين جزءا لانه عاش بعد النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح قال ابن بطال هذا التأويل بعيد من وجهين أحدهما انه قد اختلف في قدر المدة التي بعد بعثته صلى الله عليه وسلم والثاني أنه يبقى حديث السبعين جزءا بغير معنى وهذا الذي قاله من الانكار في هذه المسئلة سبقه اليه الخطابي فقال كان بعض أهل العلم يقولون في تأويل هذا العدد قولا لا يكاد يتحقق وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أقام بعد الوحي ثلاثا وعشرين سنة وكان يوحى اليه في منامه ستة أشهر وهي نصف سنة فهي جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة قال الخطابي وهذا وان كان وجها تحتمله قسمة الحساب والعدد فأول ما يجب على من قاله أن يثبت ما ادعاه خبرا ولم نسمع فيه أثرا ولا ذكر مدعيه في ذلك خبرا فكأنه قاله على سبيل الظن والظن لا يغني من الحق شيئا وليس كل ما خفي علينا علمه يلزمنا حجته كأعداد الركعات وأيام الصيام ورمي الجمرات فانا لا نصل من علمها الى أمر يوجب حصرها تحت أعدادها ولم يقدح ذلك في موجب اعتقادنا للازومها وقد ذكروا في المناسبات غير ذلك مما يطول ذكره وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أصدق الرؤيا بالاسحار رواه الترمذي والدارمي وروى مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا قال الخطابي في المعالم في قوله اذا اقترب الزمان قولان أحدهما أن يكون

معناه تقارب زمان الليل وزمان النهار وهو وقت استوائهما أيام الربيع وذلك وقت اعتدال الطبائع الاربع غالبا قال والمعبرون يقولون أصدق الرؤيا ما كان عند اعتدال الليل والنهار وادراك الثمار والثاني أن اقتراب الزمان انتهاء مدته اذا دنا قيام الساعة وتعقب الاول بأنه يبعده التقييد بالمؤمن فان الوقت الذي تعتدل فيه الطبائع لا يختص به وجزم ابن بطال بأن الثاني هو الصواب واستدل بما أخرجه الترمذي من طريق معمر عن أيوب في هذا الحديث بلفظ في آخر الزمان لا تكذب رؤيا المؤمن وقيل المراد بالزمان المذكور زمان المهدي عند بسط العدل وكثرة الأمن وبسط الخير والرزق فان ذلك الزمان يستقصر لاستلذاذه فتتقارب أطرافه وقال القرطبي في المفهم المراد والله أعلم بآخر الزمان المذكور في هذا الحديث زمان الطائفة الباقية مع عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بعد قتله الدجال فأهل هذا الزمان أحسن هذه الامة حالا بعد الصدر الاول وأصدقهم أقوالا فكانت رؤياهم لا تكذب ومن ثم قال عقب هذا وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا وانما كانت كذلك لان من كثر صدقه تنور قلبه وقوى ادراكه وانتقشت فيه المعاني على وجه الصحة وكذلك من كان غالب أحواله الصدق في يقظته فانه يستصحب ذلك في نومه فلا يرى الا صدقا وهذا بخلاف الكاذب والمخلط فانه يفسد قلبه ويظلم فلا يرى الا تخليطا وأضغاثا وقد يندر المنام احيانا فيرى الصادق ما لا يصح ويرى الكاذب ما يصح ولكن الاغلب الاكثر ما تقدم انتهى ملخصا وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فانما هي من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها فانها لا تضره رواه البخاري وفي رواية لمسلم ورؤيا السوء من الشيطان فمن رأى رؤيا وكره منها شيأ فلينفث عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان ولا يخبر بها أحدا فان رأى رؤيا حسنة فليبشر ولا يخبر بها الا من يحب وقوله فليبشر بفتح التحتانية وسكون الموحدة وضم المعجمة من البشرى وفي حديث أبي رزين عند الترمذي ولا يقصها الا على واد بتشديد الدال اسم فاعل من الود أوذي رأى وفي أخرى ولا يحدث بها الا لبيبا أو حبيبا وفي أخرى لا تقص رؤياك الا على عالم أو ناصح وفي حديث أبي سعيد عند مسلم فليحمد الله عليها وليحدث بها وحاصل ما ذكر من آداب الرؤيا الصالحة ثلاثة أشياء ان يحمد الله عليها وان يستبشر بها وان يتحدث بها لكن لمن يحب دون من يكره وحاصل ما ذكر من آداب الرؤيا المكروهة أربعة أشياء أن يتعوذ بالله من شرها

ومن شر الشيطان ويتفل حين يهب من نومه ولا يذكرها لأحد أصلا وفي البخاري من حديث أبي هريرة خامسة وهي الصلاة ولفظه فمن رأى شيئا يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل لكن لم يصرح البخاري بوصله وصرح به مسلم وزاد مسلم سادسة وهي التحول من جنبه الذي كان عليه فقال عن جابر رفعه إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا وليتحول عن جنبه الذي كان عليه قال النووي وينبغي أن تجمع هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته فإن اقتصر على بعضها أجزأ في رفع ضررها كما صرحت به الأحاديث وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه لم ير في شيء من الأحاديث الاقتصار على واحد ثم قال لكن أشار المهلب إلى أن الاستعاذة كافية في دفع شرها انتهى ولا ريب أن الصلاة تجمع ذلك كله كما قاله القرطبي لأنه إذا قام يصلي تحول عن جنبه وبصق ونفث عند المضمضة في الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله في أقرب الأحوال إليه فيكفيه الله شرها وذكر بعضهم سابعة وهي قراءة آية الكرسي ولم يذكر لذلك مستندا فإن أخذه من عموم قوله في حديث أبي هريرة ولا يقربك شيطان فيتجه قال وينبغي أن يقرأها في صلاته المذكورة وحكمة ما نقل كما قال القاضي عياض أمر به طرد اللشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيرا له واستقذارا واختصت به اليسار لأنها محل الأقذار ونحوها والتثليث للتأكيد وقد ورد التفل والنفث والبصق قال النووي في الكلام على النفث في الرقية تبعا للقاضي عياض اختلف في التفل والنفث فقيل هما بمعنى واحد ولا يكونان إلا بريق وقال أبو عبيد يشترط في التفل ريق يسير ولا يكون في النفث وقيل عكسه وسئلت عائشة عن النفث في الرقية فقالت كما ينفث آكل الزبيب لا ريق معه قال ولا اعتبار بما يخرج معه من بلة بغير قصد قال وقد جاء في حديث أبي سعيد في الرقية بفاتحة الكتاب فجعل يجمع بزاقه قال القاضي وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفس المباشر للرقية المقارن للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء وقال النووي أيضا أكثر الروايات في الرؤيا فلينفث وهو النفخ اللطيف بلا ريق فيكون التفل والبصق محمولا عليه مجازا وتعقبه الحافظ ابن حجر أن المطلوب في الموضعين مختلف لأن المطلوب في الرقية التبرك برطوبة الذكر كما تقدم والمطلوب هنا طرد الشيطان وإظهار احتقاره واستقذاره كما نقله هو عن عياض كما تقدم فالذي يجمع الثلاثة الحمل على التفل فإنه نفخ معه ريق لطيف فبالنظر إلى النفخ قيل له نفث وبالنظر إلى الريق قيل له بصق وأما قوله فإنها لا تضره فمعناه

كما قاله الروى ان الله تعالى جعل ماذكر سببا للسلامة من المكروه المرتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال وأما التحول والتفاؤل بتحول تلك الحال التى كان عليها والحكمة فى قوله فى الرؤيا الحسنة ولا يخبر بها الا من يحب لانه اذا حدث بها من لا يحب قد يفسرها له بما لا يحب اما بغضا واما حسدا فقد تقع على تلك الصفة أو يتعجل لنفسه من ذلك حزنا ونكدا فأمر بترك تحديث من لا يحب بسبب ذلك وقد روى من حديث أنس مرفوعا الرؤيا لاول عابر وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشى ولكن له شاهد أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه بسند حسن وصححه الحاكم عن أبى رزين العقيلى رفعه الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت وعند الدارمى بسند حسن عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج تاجر يختلف فى التجارة فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجى غائب وتركنى حاملا فرأيت فى منامى أن سارية بيتى انكسرت وأنى ولدت غلاما أعور فقال خير يرجع زوجك ان شاء الله تعالى صالحا وتلدين غلاما برا فذكرت ذلك ثلاثا فجاءت ورسول الله صلى الله عليه وسلم غائب فسألتها فاخبرتنى بالمنام فقلت لها لئن صدقت رؤياك ليموتن زوجك وتلدين غلاما فاجرا فقعدت تبكى فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مه يا عائشة اذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على خير فان الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها وعند سعيد ابن منصور من مرسل عطاء بن أبى رباح جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انى رأيت كان جائزة بيتى انكسرت وكان زوجها غائبا فقال رد الله عليك زوجك فرجع سالما الحديث قال أبو عبيد وغيره معنى قوله الرؤيا لأول عابر اذا كان العابر الاول عالما فعبر وأصاب وجه التعبير والا فهى لمن أصاب بعده اذ ليس المدار الا على اصابة الصواب فى تعبير المنام ليتوصل بذلك الى مراد الله تعالى فيما ضرب به من المثل فان أصاب فلا ينبغى أن يسأل غيره وان لم يصب فليسأل الثانى وعليه أن يخبر بما عنده ويبين ما جهل الاول هكذا قال وفيه بحث يطول ذكره ومن آداب المعبر ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر أنه كتب الى أبى موسى فاذا رأى أحدكم رؤيا فقصها على أخيه فليقل خيرلنا وشرلأعدائنا ورجاله ثقات ولكن سنده منقطع وفى حديث ابن زمل عند الطبرانى والبيهقى فى الدلائل لما قص على النبى صلى الله عليه وسلم رؤيا فقال عليه الصلاة والسلام خير تلقاه وشر تتوقاه وخير لنا وشر على أعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص على رؤياك الحديث وسنده ضعيف جدا ويأتى ان شاء الله تعالى * ومن آداب

العابران لا يعبرها عند طلوع الشمس ولا عند غروبها ولا عند الزوال ولا في الليل
وان لا يقصها على امرأة لكن ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة يقول
هل رأى أحد الليلة رؤيا فيقص عليه ماشاء الله ان يقص ويعبرلهم ما يقصون وبوب
عليه البخاري باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح قالوا وفيه اشارة الى ضعف ما أخرجه
عبد الرزاق عن معمر عن سعيد بن عبد الرحمن عن بعض علمائهم قال لا تقصص
رؤياك على امرأة ولا تخبر بها حتى تطلع الشمس وفيه اشارة الى الرد على من قال
من أهل التعبير ان المستحب ان يكون التعبير من بعد طلوع الشمس الى الرابعة ومن
العصر الى قبل الغروب فان الحديث دل على استحباب تعبيرها قبل طلوع الشمس
فلا يخالف قولهم بكراهة تعبيرها في أوقات كراهة الصلاة قال المهلب تعبير الرؤيا
عند صلاة الصبح أولى من غيره من الاوقات لحفظ صاحبها لها لقرب عهده بها وقبل
ما يعرض له نسيانها ولحضور ذهن العابر وقلة شغله بالفكرة فيما يتعلق بمعاشه
ولا يعرف الرائي ما يعرض له بسبب رؤياه فيستبشر بالخير ويحذر من الشر ويتأهب
لذلك فربما كان في الرؤيا تحذير من معصية فيكف عنها وربما كانت انذارا لأمر
فيكون له مترقبا قال فهذه عدة فوائد لتعبير الرؤيا أول النهار وقاله في فتح الباري وذكر
أئمة التعبير ان من آداب الرائي أن يكون صادق اللهجة وان ينام على وضوء على
جنبه الايمن وأن يقرأ عند نومه والشمس والليل والتين وسورة الاخلاص
والمعوذتين وان يقول اللهم اني أعوذ بك من سيء الاحلام وأستجير بك من
تلاعب الشيطان في اليقظة والمنام اللهم اني أسألك رؤيا صالحة صادقة نافعة
حافظة غير منسية اللهم أرني في منامي ما أحب ولا يقصها على عدو ولا جاهل
اذا علمت هذا فاعلم أن جميع المرائي تنحصر في قسمين أضغاث أحلام وهي لا تنذر
بشيء وهي أنواع الاول تلاعب الشيطان ليحزن الرائي كأن يرى أنه قطع رأسه
وهو يتبعه أو رأى أنه واقع في هول ولا يجد من ينجده ونحو ذلك وروى مسلم عن
جابر جاء أعرابي فقال يا رسول الله اني حلمت أن رأسي قطع وأنا أتبعه فزجره صلى
الله عليه وسلم وقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك في المنام الثاني أن يرى أن بعض
الملائكة يأمره أن يفعل المحرمات ونحوه من المحال عقلا الثالث ما يحدث به نفسه
في اليقظة أو يتمناه فيراه كما هو في المنام وكذا رؤية ما جرت به عادته في اليقظة
أو ما يغلب على مزاجه ويقع على المستقبل غالبا وعن الحال كثيرا وعن الماضي
قليلا القسم الثاني الرؤيا الصادقة وهي رؤيا الانبياء ومن تبعهم من الصالحين
وقد تقع لغيرهم بندور وهي التي تقع في اليقظة على وفق ما وقعت في النوم وقد تقع

لنبينا صلى الله عليه وسلم من الرؤيا الصادقة التي كفلق الصبح مالا يعد ولا يحد قالت عائشة أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح الحديث رواه البخاري وفي رواية الرؤيا الصالحة وهما بمعنى واحد بالنسبة الى أمور الآخرة في حق الانبياء وأما بالنسبة الى أمور الدنيا فالصالحة في الاصل أخص فرؤيا النبي صلى الله عليه وسلم كلها صادقة وقد تكون صالحة وهو الاكثر وغير صالحة بالنسبة الى الدنيا كما وقع في الرؤيا يوم أحد فانه صلى الله عليه وسلم رأى بقرا يذبح ورأى في سيفه ثلما فأول البقر ما أصاب أصحابه يوم أحد والثلم الذي في سيفه برجل من أهل بيته يقتل ثم كانت العاقبة للمتقين وكان بعد ذلك النصر والفتح على الخلق أجمعين وأما رؤيا غير الانبياء فبينهما عموم وخصوص ان فسرنا الصادقة بأنها التي لا تحتاج الى تفسير وأما ان فسرناها بأنها غير الاضغاث فالصالحة أخص مطلقا وقال الامام نصر بن يعقوب الدينوري في التعبير القادري الرؤيا الصالحة ما يقع بعينه أو ما يعبر في المنام أو يخبر به من لا يكذب والصالحة ما فسر واعلم أن الناس في الرؤيا على ثلاث درجات الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ورؤياهم كلها صدق وقد يقع فيها ما يحتاج الى تعبير والصالحون والاغلب على رؤياهم الصدق وقد يقع فيها ما لا يحتاج الى تعبير ومن عداهم يقع في رؤياهم الصدق والاضغاث وهم على ثلاثة أقسام مستورون فالغالب استواء الحال في حقهم وفسقة فالغالب على رؤياهم الاضغاث ويقل فيها الصدق وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جدا ويشير الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثا أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة وقد وقعت الصادقة من بعض الكفار كما في رؤيا صاحبي السجن مع يوسف عليه الصلاة والسلام ورؤيا ملكهما وغير ذلك وقد روى الامام أحمد مرفوعا وصححه ابن حبان من حديث أبي سعيد أصدق الرؤيا بالاسحار وذكر الامام نصر بن يعقوب الدينوري أن الرؤيا أول الليل يبطىء تأويلها ومن النصف الثاني يسرع بتفاوت أجزاء الليل وان أسرعها تأويلا رؤيا السحر ولا سيما عند طلوع الفجر وعن جعفر الصادق أسرعها تأويلا رؤيا القيلولة وعن محمد بن سيرين رؤيا النهار مثل رؤيا الليل والنساء مثل الرجال وعن القيرواني أن المرأة اذا رأت ما ليست له أهلا فهو لزوجها وكذا حكم العبد لسيده كما أن رؤيا الطفل لأبويه

(ومن مرائيه الكريمة عليه الصلاة والسلام)

شربه اللبن وتعبيره بالعلم كما في حديث ابن عمر عند البخاري قال سمعت رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم يقول بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى اني لأرى الري يخرج في أظفاري ثم أعطيت فضلي يعني عمر قالوا فما أولته يا رسول الله قال العلم وفي رواية الكشميهني من أظافيري وفي رواية صالح ابن كيسان من أطرافي وهذه الرؤية يحتمل ان تكون بصرية وهو الظاهر ويحتمل أن تكون علمية ويؤيد الاول ما أخرجه الحاكم والطبراني من طريق أبي بكر بن عبد الله ابن عمر عن أبيه عن جده في هذا الحديث فشربت حتى رأيته يجري في عروقي بين الجلد واللحم على أنه محتمل أيضا قال بعض العارفين الذي خلص اللبن من بين فرث ودم قادر على أن يخلق المعرفة من بين شك وجهل وهو كما قال لكن اطردت العادة بأن العلم بالتعلم والذي ذكره قد يكون خارقا للعادة فيكون من باب الكرامة وقال العارف ابن أبي جمرة تأول النبي صلى الله عليه وسلم اللبن بالعلم اعتبارا بما بين له أول الامر حين أتي بقدح خمر وقدح لبن فأخذ اللبن فقال له جبريل أخذت الفطرة انتهى وقد جاء في بعض الاحاديث المرفوعة تأويله بالفطرة كما أخرجه البزار من حديث أبي هريرة رفعه اللبن في المنام فطرة وذكر الدينوري أن اللبن المذكور في هذا يختص بلبن الابل وأنه لشاربه مال حلال وعلم قال ولبن البقر خصب السنة ومال حلال وفطرة أيضا ولبن الشاة مال وسرور وصحة جسم وألبان الوحش شك في الدين وألبان السباع غير محمودة الا أن لبن اللبوة مال مع عداوة لذي أمر وفي الحديث ان علم النبي صلى الله عليه وسلم بالله لا يبلغ أحد درجته فيه لانه شرب حتى رأى الري يخرج من أطرافه وأما اعطاؤه فضله لعمر ففيه اشارة الى ما حصل لعمر من العلم بالله بحيث كان لا تأخذه في الله لومة لائم ووجه التعبير في الحديث بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع وكونهما سببا للصلاح فاللبن للغذاء البدني والعلم للغذاء المعنوي

(ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم القميص وتعبيره بالدين)

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك ومر علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا ما أولته يا رسول الله قال الدين رواه البخاري وفي رواية الترمذي الحكيم من طريق أخرى في هذا الحديث فقال أبو بكر على م تؤول هذا يا رسول الله والثدي بضم المثلثة وكسر الدال وتشديد الياء جمع ثدي بفتح ثم سكون والمعنى أن القميص قصير جدا بحيث لا يستر من الحلق الى نحو السرة بل فوقها وقوله ومنها ما يبلغ دون ذلك يحتمل أن يريد به من جهة

لسفل وهو الظاهر فيكون أطول ويحتمل أن يكون دونه من جهة العلو فيكون أقصر ويؤيد الاول ما في رواية الترمذي الحكيم المذكورة فنهم من كان قيصه الى سرته ومنهم من كان قيصه الى ركبته ومنهم من كان قيصه الى انصاف ساقيه ويجوز النصب في قوله الدين والتقدير اولت الدين ويجوز الرفع وفي رواية الحكيم المذكورة على الايمان وقد قيل في وجه تعبير القميص بالدين ان القميص يستر العورة في الدنيا والدين يسترها في الآخرة ويحجبها عن كل مكروه والاصل فيه قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير واتفق أهل التعبير على أن القميص يعبر بالدين وأن طوله يدل على بقاء آثار صاحبه من بعده وقال ابن العربي انما أول صلى الله عليه وسلم القميص بالدين لان الدين يستر عورة الجهل كما يستر القميص عورة البدن قال وأما غير عمر فالذي كان يبلغ الثدي هو الذي يستر قلبه عن الكفر ولو كان يتعاطى المعاصي والذي كان يبلغ أسفل من ذلك وفرجه باد هو الذي لم يستر رجله عن المشي الى المعصية والذي يستر رجله هو الذي احتجب بالتقوى من جميع الوجوه والذي يجر قيصه زاد على ذلك بالعمل الصالح الخالص وأشار العارف ابن أبي جمرة الى أن المراد بالناس في الحديث المؤمنون لتأويله القميص بالدين قال والذي يظهر أن المراد خصوص هذه الامة المحمدية بل بعضها والمراد بالدين العمل بمقتضاه كالحرص على امتثال الاوامر واجتناب المناهي وكان لعمر في ذلك المقام العالي قال ويؤخذ من هذا الحديث أن كل ما يرى في القميص من حسن أو غيره فانه يعبر بدين لابسه قال والنكتة في القميص أن لابسه اذا اختار نزعه واذا اختار أبقاه فلما ألبس الله المؤمنين لباس الايمان واتصفوا به كان الكامل في ذلك سابغ الاثواب ومن لا فلا وقد يكون نقص الثوب بسبب نقص الايمان وقد يكون بسبب نقص العمل وفي الحديث أن أهل الدين يتفاضلون في الدين بالقلة والكثرة وبالقوة والضعف وهذا من أمثلة ما يحمد في المنام ويذم في اليقظة شرعا أعني جر القميص لما روى من الوعيد في تطويله

(ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم السوارين الذهب في يده الشريفة)

وتعبيرهما بالكذابين روى البخاري عن عبيد الله بن عبد الله قال سألت عبد الله ابن عباس عن رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكر فقال ابن عباس ذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم اذ رأيت أنه وضع في يدي سواران من ذهب ففظعتهما وكرهتهما فأذن لي فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان فقال عبيد الله أحدهما العنسي الذي قتله

فيهرو ربالبمن والاخر بسيلة وفى رواية ابى هريرة عند البخارى بينا انا نائم اذ أوتيت خزائن الارض فوضع فى يدى سواران من ذهب فكبرا على وأهمانى فاوحى الى أن انفخهما فنفختهما فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة قال المهلب هذه الرؤيا ليست على وجهها وانما هى ضرب من المثل وانما أول النبى صلى الله عليه وسلم السوارين بالكذابين لان الكذب وضع الشىء فى غير موضعه فلما رأى فى يديه سوارين من ذهب وليسا من لبسه لانهما من حلية النساء عرف أنه سيظهر من يدعى ما ليس له وأيضا فى كونهما من ذهب والذهب منهى عن لبسه دليل على الكذب وأيضا فالذهب مشتق من الذهاب فعلم أنه شىء يذهب عنه وتأكد ذلك بالاذن له فى نفخهما فطارا فعرف أنه ينسب اليهما أمر وأن كلامه بالوحى الذى جاء به يزيلهما من موضعهما وقال ابن العربى كان النبى صلى الله عليه وسلم يتوقع بطلان أمر مسيلمة والعنسى فأول الرؤيا عليهما ليكون ذلك اخراجا للمنام عليهما فان الرؤيا اذا عبرت خرجت ويحتمل أن يكون بوحى والمراد بخزائن الارض التى ذكر ما فتح على أمته من الغنائم ومن ذخائر كسرى وقيصر وغيرهما ويحتمل معادن الارض التى فيها الذهب والفضة وقال القرطبى انما كبر عليه السواران لكون الذهب من حلية النساء ومما حرم على الرجال وفى طيرانهما اشارة الى اضمحلال أمرهما ومناسبة هذا التأويل لهذه الرؤيا أن أهل صنعاء وأهل اليمامة كانوا أسلموا فكانوا كالساعدين للاسلام فلما ظهر فيهم الكذابان وبهرجا على أهلهما بزخرف أقوالهما ودعاويهما الباطلة انخدع أكثرهم لذلك فكان اليدين بمنزلة البلدين والسوارين بمنزلة الكذابين وكونهما من ذهب اشارة الى ما زخرفا والزخرف من أسماء الذهب وقال أهل التعبير من رأى أنه يطير فان كان الى جهة السماء تعريجا ناله ضرر فان غاب فى السماء ولم يرجع مات وان رجع أفاق من مرضه وان كان يطير عرضا سافر ونال رفعة بقدر طيرانه

(ومن ذلك رؤيته عليه الصلاة والسلام المرأة السوداء)

الثائرة الرأس وتعبيرها بنقل وباء المدينة الى الجحفة روى البخارى من حديث عبد الله ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهى الجحفة فأولت أن وباء المدينة نقل اليها وهذا من قسم الرؤيا المعبرة وهى مما ضرب به المثل ووجه التمثيل أنه شق من اسم السوداء السوء والداء فتأول خروجها بما جمع اسمها وتأول من ثوران شعرها أن الذى يسوء ويثير الشر يخرج من المدينة وقال القيروانى من أهل التعبير كل

شيء غلبت عليه السوداء في أكثر وجوهها فهو منكر وهو قال غيره ثوران الرأس يؤول بالحمى لأنها تثير البدن بالاقشعرار وبارتفاع الرأس لاسيما من السوداء فإنها أكثر استيحاشا

(ومن ذلك رؤيته عليه الصلاة والسلام)

أنه في درع حصينة وبقرا تنحر وتعبير ذلك عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هجر فإذا هي المدينة يثرب ورأيت فيها بقرا والله خير فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد وثواب الصدق الذي أتانا بعد يوم بدر رواه البخاري ومسلم وروى الإمام أحمد وغيره عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت كأني في درع حصينة ورأيت بقرا تنحر فأولت الدرع الحصينة بالمدينة والبقر بقرا وهذه اللفظة الأخيرة وهي بقر بفتح الموحدة وسكون القاف مصدر بقره يبقره بقرا ولهذا الحديث سبب جاء بيانه في حديث ابن عباس عند أحمد أيضا والنسائي والطبراني وصححه الحاكم من طريق أبي الزناد عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة عن ابن عباس في قصة أحد وإشارة النبي صلى الله عليه وسلم عليهم أن لا يبرحوا من المدينة وإيثارهم الخروج لطلب الشهادة ولبسه اللامة وندامتهم على ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل وفيه إني رأيت أني في درع حصينة الحديث بنحو حديث جابر وأتم منه وقد تقدمت الإشارة إليه في غزوة أحد من المقصد الأول والمراد بقوله وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذي أتانا الله بعد يوم بدر فتح خيبر ثم مكة أي ما جاء الله به بعد بدر الثانية من تثبيت قلوب المؤمنين قال في فتح الباري وفي هذا السياق إشعار بأن قوله في الخبر والله خير من جملة الرؤيا قال والذي يظهر لي أن لفظة والله خير لم يتحرر لي إيراده وأن رواية ابن إسحاق هي المحررة وأنه رأى بقرا ورأى خيرا فأول البقر على من قتل من الصحابة يوم أحد وأول الخير على ما حصل لهم من ثواب الصدق في القتال والصبر على الجهاد يوم بدر وبعده إلى فتح مكة والمراد بالبعدية على هذا لا يختص بما بين بدر وأحد نبه عليه ابن بطال

(ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم أنه أوتي برطب)

روى مسلم عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيت الليلة فيما يرى النائم كأنا في دار عقبة بن رافع وأتينا برطب من رطب ابن طاب فأولته بأن الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة وأن ديننا قد طاب

(ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم سيفا يهزه)

وتعبيره ماروى فى حديث أبى موسى المتقدم أنه صلى الله عليه وسلم قال ورأيت فى رؤياى هذه انى هززت سيفا فانقطع صدره فاذاهو ما أصيب به المؤمنون يوم أحد ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان فاذاهو ماجاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين رواه الشيخان وهذه أيضا من ضرب المثل ولما كان صلى الله عليه وسلم يصول بالصحابة عبر عن السيف بهم وبهزه عن أمره لهم بالحرب وعن القطع فيه بالقتل فيهم وفى الهزة الاخرى لما عاد الى حالته من الاستواء عبر به عن اجتماعهم والفتح عليهم وقال أهل التعبير السيف يصرف على أوجه منها أن من نال سيفا فانه ينال سلطانا اما ولاية واما وديعة واما زوجة واما ولدا فان سله من غمده فانثلم سلمت زوجته وأصيب ولده فان انكسر الغمد وسلم السيف فبالعكس فان سلما أوعطبا فكذلك وقائم السيف يتعلق بالاب والعصبات ونعله بالام وذوى الرحم وان جرد السيف وأراد قتل شخص فهولسانه يجرده فى خصومة وربما عبر السيف بسلطان جائر وقال بعض أهل التعبير أيضا من رأى أنه أغمد سيفا فانه يتزوج أوضرب شخصا بسيف فانه يبسط لسانه فيه ومن رأى أنه يقاتل آخر وسيفه أطول من سيفه فانه يغلبه ومن رأى سيفا عظيما فهو فتنة ومن قلد سيفا قلد أمرا فان كان قصيرا لم يدم أمره

(ومن ذلك رؤيته صلى الله عليه وسلم أنه على قليب)

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيتنى على قليب وعليها دلو فنزعت منها ماشاء الله ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذنوبا أوذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفرله ثم استحالت غربا فأخذها عمر ابن الخطاب فلم أرعبقريا من الناس ينزع نزع ابن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن وعبقرى القوم سيدهم وكبيرهم وقويهم وفى رواية فلم يزل ينزع حتى تولى الناس والحوض يتفجر وفى رواية فأتانى أبو بكر فأخذ الدلو من يدى ليريحنى وفى رواية موسى عن سالم عن أبيه رأيت الناس اجتمعوا فقام أبو بكر فنزع ذنوبا أوذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفرله ثم قام عمر بن الخطاب فاستحالت غربا فما رأيت من الناس يفرى فريه حتى ضرب الناس بعطن رواه البخارى قال النووى قالوا هذا المنام مثال لماجرى للخليفتين من ظهور آثارهما الصالحة وانتفاع الناس بهما وكل ذلك مأخوذ من النبى صلى الله عليه وسلم لانه صاحب الامر فقام به أكمل مقام وقرر به قواعد الدين ثم خلفه أبو بكر فقاتل أهل الردة وقطع

دابرهم ثم خلفه عمر فاتسع الاسلام فى زمنه فشبه أمر المسلمين بقليب فيه الماء الذى فيه حياتهم وصلاحهم وأميرهم المستقى لهم منها وفى قوله فأخذ الدلو من يدى أبى بكر اشارة الى خلافة أبى بكر بعد موته صلى الله عليه وسلم لان الموت راحة من كد الدنيا وتعبها فقام أبو بكر بتدبير أمر الامة ومعاناة أحوالهم وأما قوله وفى نزعه ضعف فهو اخبار عن حاله فى قصر مدة ولايته وأما ولاية عمر فانها لما طالت كثر انتفاع الناس بها واتسعت دائرة الاسلام بكثرة الفتوح وتمصير الامصار وتدوين الدواوين وليس فى قوله عليه الصلاة والسلام والله يغفر له نقص ولا اشارة الى أنه وقع منه ذنب وانما هى كلمة كانوا يقولونها وقوله فاستحالت فى يده غربا أى تحولت الدلو غربا بفتح المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة أى دلوا عظيما وأخرج أحمد وأبو داود عن سمرة بن جندب أن رجلا قال يا رسول الله رأيت كان دلوا عظيما دلى من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء على فانتشطت وانتضح عليه منها شىء والعراقى جمع عرقوة الدلو وهى الخشبة المعروضة على فم الدلو وهما عرقوتان كالصليب وقد يقال عرقيت الدلو اذا ركبت العرقوة فيها وانتشطت أى جذبت ورفعت فهذه نبذة من مرائيه الكريمة صلى الله عليه وسلم مع تعبيرها

(وأما ما رآه غيره فعبره صلى الله عليه وسلم له)

مما يختص ويعم من أمور الدنيا والآخرة فقد كان صلى الله عليه وسلم اذا انفتل من صلاة الصبح أقبل على أصحابه فيقول من رأى منكم الليلة رؤيا فليقصها على أعبرها له فيقص الناس عليه مرائيهم وروى البخارى والترمذى عن سمرة ابن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول لاصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا فيقص عليه من شاء الله أن يقص وانه قال ذات غداة هل رأى أحد منكم رؤيا وقالوا ما منا أحد رأى شيأ قال لكنى أتانى الليلة آتيان وانهما ابتعثانى فقالا لى انطلق فانطلقت فأتيت على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فتثلغ رأسه الحديث وأقام صلى الله عليه وسلم يسأل أصحابه هل رأى منكم الليلة أحد رؤيا ما شاء الله ثم ترك السؤال فكان يعبر لمن قص متبرعا واختلف النقلة فى سبب تركه السؤال فقيل سبب ذلك حديث أبى بكرة عند الترمذى وأبى داود أنه صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم من رأى منكم رؤيا فقال رجل أنا يا رسول الله رأيت كان ميزانا نزل من السماء

فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ثم رفع الميزان فرأينا الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى قالوا فمن حينئذ لم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا عن رؤيا قال بعضهم وسبب كراهته عليه الصلاة والسلام إشارة لستر العواقب واخفاء المراتب فلما كانت هذه الرؤيا كاشفة لمنازلهم مبينة لفضل بعضهم على بعض في التعيين خشي أن تتواتر وتتوالى ما هو أبلغ في الكشف من ذلك ولله في ستر خلقه حكمة بالغة ومشيئة نافذة وقال ابن قتيبة فيما ذكره ابن المنير سبب تركه السؤال حديث ابن زمل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال صلى الله عليه وسلم وهو ثاني رجليه سبحان الله وبحمده واستغفر الله ان الله كان توابا سبعين مرة ثم يقول سبعون بسبعمائة لا خير في من كانت ذنوبه في يوم أكثر من سبعمائة ثم يستقبل الناس بوجهه فيقول هل رأى أحد منكم شيأ قال ابن زمل فقلت ذات يوم أنا يا رسول الله قال خيرا تلقاه وشرا تتوقاه وخير لنا وشر لاعدائنا والحمد لله رب العالمين اقصص رؤياك قال رأيت جميع الناس على طريق رحب لاحب سهل والناس على الجادة منطلقون فبينما هم كذلك اشفى ذلك الطريق بهم على مرج لم تر عيني مثله يرف رفيفا يقطر نداه فيه من أنواع الكلاء فكأني بالرعلة الاولى حين أشرفوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق فلم يضلوه يمينا ولا شمالا ثم جاءت الرعلة الثانية من بعدهم وهم أكثر منهم أضعافا فلما أشفوا على المرج كبروا ثم أكبوا رواحلهم في الطريق فمنهم المرتع ومنهم الآخذ الضغث ومضوا على ذلك قال ثم قدم عظم الناس فلما اشفوا على المرج كبروا وقالوا هذا خير المنزل فالوا في المرج يمينا وشمالا فلما رأيت ذلك لزمت الطريق حتى أتيت أقصى المرج فاذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات وأنت في أعلاها درجة واذا عن يمينك رجل اقنى آدم اذا هو تكلم يسمو يكاد يفرع الرجال طولا واذا عن يسارك رجل ربعة تار أحمر كثير خيلان الوجه اذا هو تكلم أصغيتم اليه اكراما له واذا امام ذلك شيخ كأنكم تقتدون به واذا امام ذلك ناقة عجفاء شارف واذا أنت كأنك تبعثها يا رسول الله قال فانتقع لون رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سري عنه فقال أما ما رأيت من الطريق الرحب اللاحب السهل فذلك ما حملتكم عليه من الهدى فأنتم عليه وأما المرج الذي رأيت فالدنيا وغضارة عيشها لم نتعلق بها ولم تردنا ولم نردها وأما الرعلة الثانية والثالثة وقص كلامه فانا لله وانا اليه راجعون وأما أنت فعلى

طريقة صالحة فلن تزال عليها حتى تلقاني وأمّا المبر فالدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفا وأمّا الرجل الطويل الآدم فذلك موسى نكرمه بفضل كلام الله اياه وأمّا الرجل الربعة التار الأحمر فذلك عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام نكرمه بفضل منزلته من الله وأمّا الشيخ الذي رأيت كأننا نقتدي به فذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأمّا الناقة العجفاء الشارف الذي رأيتني أبعثها فهي الساعة عليها أي على الأمّة تقوم لانه لانبي بعدي ولا أمّة بعد امّتي قال الراوي فما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا أحدا عن رؤيا الا أن يجيء الرجل متبرعا فيحدثه بها رواه ابن قتيبة والطبراني والبيهقي في الدلائل وسنده ضعيف جدا ومن غريب ما نقل عنه صلى الله عليه وسلم من التعبير أنّ زرارة ابن عمرو النخعي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد النخع فقال يارسول الله اني رأيت في طريقي هذا رؤيا رأيت أتانا تركتها في الحي ولدت جديا أسفع أحوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك من أمة تركتها مصرة حملا قال نعم تركت أمة أظنها قد حملت قال فقد ولدت غلاما وهو ابنك قال فما باله اسفع أحوى قال ادن مني فدنا منه قال هل بك برص تكتمه قال نعم والذي بعثك بالحق ما رآه مخلوق ولا علم به أحد قال فهو ذاك قال ورأيت النعمان بن المنذر عليه قرطان ودملجان ومسكتان قال ذلك ملك العرب عاد الى أفضل زيه وبهجته قال ورأيت عجوزا شمطاء تخرج من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو ورأيتها تقول لظى لظى بصير وأعمى آكلكم آكلكم وأهلكم ومالكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال وما الفتنة يارسول الله قال يقتل الناس امامهم ثم يشتجرون اشتجار أطباق الرأس وخالف صلى الله عليه وسلم بين أصابعه يحسب المسيء أنه محسن ودم المؤمن عند المؤمن أحلى من شرب الماء البارد فانظر الى هذا التعبير البارز من مشكاة النبوة مغشوا حلاوة الحق مكسوا طلاوة الصدق مجلوا بأنوار الوحي والاسفع الذي أصاب جسده لون آخر والاحوى الاسود الذي ليس بالشديد والمسكتان السواران من ذهب وأطباق الرأس عظامه والاشتجار الاختلاف والاشتباك فان قلت تعبيره عليه الصلاة والسلام السوارين هنا يرجع الى بشرى وعبرهما بالكذابين فيما مر أجيب بأن النعمان ابن المنذر كان ملك العرب وكان عمالا من جهة الاكاسرة وكانوا يسورون الملوك ويحلونهم وكان السواران من زي النعمان ليسا بمنكرين في حقه ولا موضوعين في غير

موضعهما

موضعه ما عرفا وأما النبي صلى الله عليه وسلم فنهى عن لباس الذهب لا سيما دادأمته
فعبر أن نهيه ذلك لانه ليس من زيه فاستدل به على أمر وضع في غير موضعه
ولكن حمدت لعاقبة بذهابهما ولله الحمد ومن ذلك ما روى عن قيس بن عباد
بضم العين وتخفيف الموحدة قال كنت في حلقة فيها سعد بن مالك وابن عمر فمر
عبد الله ابن سلام فقالوا هذا رجل من أهل الجنة فقلت له انهم قالوا كذا وكذا قال
سبحان الله ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم انما رأيت كأنما عمود وضع
في روضة خضراء فنصب فيها وفي رأسها عروة وفي أسفلها منصف والمنصف
الوصيف فقال ارقه فرقيته حتى أخذت بالعروة فقصصتها على رسول صلى الله عليه
وسلم فقال يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى رواه البخاري وفي رواية خرشة
بينما أنا نائم أتاني رجل فقال لي قم فأخذ بيدي فانطلقت معه فاذا أنا بجواد بجيم
ودال مشددة جمع جادة وهي الطريق المسلوك عن شمالي قال فأخذت لآخذ
فيها أي أسير فقال لا تأخذ فيها فانها طريق أهل الشمال وفي رواية النسائي من
طريقه فبينما أنا أمشي اذ عرض لي طريق عن شمالي فأردت أن اسلكها فقال
انك لست من أهلها وفي رواية مسلم فاذا منهج عن يميني فقال لي خذ هاهنا فأتى بي
جبلا فقال لي اصعد قال فجعلت اذا أردت أن أصعد خررت حتى فعلت ذلك مرارا
وفي رواية ابن عون فقال تلك الروضة روضة الاسلام وذلك العمود عمود الاسلام
وتلك العروة العروة الوثقى لا تزال متمسكا بالاسلام حتى تموت وفي رواية خرشة عند
النسائي وابن ماجه قال رأيت خيرا تلك المنهج فالمحشر وأما الجبل فهو منزل الشهداء
زاده مسلم ولن تناله وهذا علم من أعلام نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فان عبد الله
ابن سلام لم يمت شهيدا وانما مات على فراشه في أول خلافة معاوية بالمدينة وقولهم
انه من أهل الجنة أخذوه من قوله لما ذكر طريق الشمال انك لست من أهلها
وانما قال ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم على سبيل التواضع وكراهية
ان يشار اليه بالاصابع خشية أن يدخله العجب عافانا الله من سائر المكاره وقال
القيرواني الروضة التي لا يعرف نبتها تعبر بالاسلام لنضارتها وحسن بهجتها
وتعبر أيضا بكل مكان فاضل وقد تعبر بالمصحف وكتب العلم والعالم ونحو ذلك
انتهى وقال غيره من المعبرين الحلقة والعروة المجهولة تدل ان تمسك بها على قوته
في دينه واخلاصه فيه ومن ذلك ما رواه البخاري عن أم العلاء وهي امرأة من
نسائهم بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأريت لعثمان ابن مظعون بعد موته
في النوم عينا تجري فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له قال

ذاك عمله يجرى له وقد قيل يحتمل أنه كان لعثمان شيء من عمله بقى له ثوابه جاريا كالصدقة وأنكره مغلطاى وقال لم يكن له شيء من الامور الثلاثة التى ذكرها مسلم فى حديث أبى هريرة رفعه اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر بأنه كان له ولد صالح شهد بدرا وما بعدها وهو السائب مات فى خلافة أبى بكر فهو أحد الثلاث قال وقد كان عثمان من الاغنياء فلا يبعد أن يكون له صدقة استمرت بعد موته وقال المهلب العين الجارية تحتمل وجوها فان كان ماؤها صافيا عبرت بالعمل الصالح والافلا وقال غيره العين الجارية عمل جار من صدقة أو معروف لحى أو ميت وقال آخر عين الماء نعمة وبركة وخير وبلوغ أمنية ان كان صاحبها مستورا فان كان غير عفيف أصابته مصيبة يبكى لها أهل داره والله أعلم فهذا طرق من تعبيره عليه الصلاة والسلام يهدى الى غيره مما يشابهه والافالذى نقل عنه عليه الصلاة والسلام من غرائب التأويل ولطائف التعبير كما قاله ابن المنير لا تحصره المجلدات وأنت اذا تأملت أن كل كرامة أوتيها واحد من هذه الامة فى علم أو عمل هى من آثار معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم وثمر تصديقه وبركات طريقته وثمرات الاهتداء بهديه وتوفيقه واستحضرت ما أوتيه الامام محمد بن سيرين من لطائف التعبير مما شاع وذاع وامتلأت به الاسماع طبق الارض صدقا وصوابا وعجبا عجابا بل بحرا عبابا قضيت بأن ما منحه صلى الله عليه وسلم من العلوم والمعارف لا تحيط به العبارات ولا تدرك حقيقة كنهه الاشارات ولذا كان هذا ابن سيرين واحد من أمته عليه الصلاة والسلام نقل عنه فى فن التعبير مالا يعد لكثرته فكيف بنبيه صلى الله عليه وسلم وزاده فضلا وشرفا لديه وأفاض علينا من سحائب علومه ومعارفه وتعطف علينا بعواطفه

(الفصل الثالث فى انبائه صلى الله عليه وسلم بالانباء المغيبات)

اعلم أن علم الغيب يختص به تعالى وما وقع منه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وغيره فمن الله تعالى اما بوحى أو بالهام والشاهد لهذا قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول ليكون معجزة له واستدل به على ابطال الكرامات وأجيب بتخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير توسطه وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون برؤيا الملائكة كاطلاعنا على أحوال الآخرة بتوسط الانبياء وفى حديث مر أنه عليه الصلاة والسلام قال والله انى لا أعلم الا ما علمنى ربى فكل ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الانباء المنبأة عن الغيوب ليس هو الا من اعلام الله له به اعلاما على ثبوت نبوته ودلائل على صدق رسالته

وقد اشتهر وانتشر أمره عليه الصلاة والسلام بين أصحابه بالاطلاع على الغيوب حتى ان كان بعضهم يقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عندنا من يخبره لأخبرته حجارة البطحاء ويشهد له قول ابن رواحة

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات أن ما قال واقع

وقول حسان بن ثابت

نبي يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله في كل مشهد
فان قال في يوم مقالة غائب * فتصديقها في ضحوة اليوم أو غد

وهذا الفصل ينقسم قسمين الاول فيما أخبر به عليه الصلاة والسلام مما نطق به القرآن من ذلك قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقوله ولن تفعلوا اخبار عن غيب تقضي العادة بخلافه ومن ذلك قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم الآية فانه قد كان لقريش قافلتان احداهما ذات غنيمة دون الاخرى فأخبر الله تعالى عن ما في ضمائرهم وانجز لهم ما وعد ولا شك أن الوعد كان قبل اللقاء لان الوعد بالشيء بعد وقوعه غير جائز ومن ذلك قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذا اخبار عن المستقبل لان السين بمعنى الاستقبال يعني كفار قريش يوم بدر وقد كان عددهم ما بين التسعمائة الى الالف وكانوا مستعدين بالمال والسلاح وكان عدد المسلمين ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وليس معهم الا فرسان احدهما الزبير بن العوام والاخرى للمقداد فهزم الله المشركين ومكن المسلمين من قتل أبطالهم واغتنام أموالهم * ومن ذلك قوله تعالى في كفار قريش سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا يريد ما قذف الله في قلوبهم من الخوف يوم أحد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى أبو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا أن يعودوا عليهم ليستأصلوهم فألقى الله في قلوبهم الرعب * ومن ذلك قوله تعالى الم غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الى قوله لا يخلف الله وعده سبب نزول هذه الآية ان كسرى وقيصر تقاتلا فغلب كسرى قيصر فساء المسلمين ذلك لان الروم أهل كتاب ولتعظيم قيصر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وتمزيق كسرى كتابه وفرح المشركون به فأخبر الله

تعالى بأن الروم بعد أن غلبوا سيغلبون فى بضع سنين والبضع مابين الثلاثة الى العشرة فغلبت الروم أهل فارس يوم الحديبية وأخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين * ومن ذلك قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا فأخبر انهم لا يتمنون الموت بالقلب ولا بالنطق باللسان مع قدرتهم عليه أبدا فأخبر ووجد مخبره كما أخبر فلو لم يعلموا مايلحقهم من الموت لسارعوا الى تكذيبه بالتمنى ولو لم يعلم ذلك لخشى أن يجيبوا اليه فيقضى عليه بالكذب قال البيضاوى وهذه الجملة أخبار بالغيب وكان كما أخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمنى ليس من عمل القلب فيخفى وروى مرفوعا لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه فمات مكانه ومابقى يهودى على وجه الارض * ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيجعل أمته خلفاء الارض أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم وقد فعل تعالى ذلك ولله الحمد والمنة فانه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والاسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشى ملك الحبشة الذى تملك بعد أصحمة رحمه الله ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ماعنده من الكرامات قام بالامر بعده خليفته أبو بكر الصديق رضى الله عنه فلم شعث ماوهى عند موته صلى الله عليه وسلم وأطد جزيرة العرب ومهدها وبعث الجيوش الاسلامية الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ففتحوا طرفا منها وجيشا آخر صحبة أبى عبيدة الى أرض الشام وجيشا ثالثا صحبة عمرو بن العاص الى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامى فى أيامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وماوالاها وتوفاه الله تعالى واختار له ماعنده من الكرامة على الاسلام وأهله بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام فى الامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الانبياء على مثله فى قوة سيره وكمال عدله وتم فى أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر الى آخرها وأكثر اقليم فارس وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر الى أقصى مملكته وقصر قيصر وانتزع يده من بلاد الشام فانحاز الى قسطنطينية وأنفق أموالهما فى سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك

الاسلامية

الاسلامية الى أقصى مشارق الارض ومغاربها ففتحت بلاد المغرب الى أقصى ماهنالك أندلس وقيروان وسبتة مما يلى البحر المحيط ومن ناحية المشرق الى اقصى بلاد الصين وقتل كسرى وباد ملكه بالكلية وفتحت مدائن العراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا وجىء بالخراج من المشارق والمغارب الى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه للأئمة على حفظ القرآن فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله * ومن ذلك قوله تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاليهود أذل الكفار فى كل مكان وزمان كما أخبر * ومن ذلك قوله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وهذا ظاهر فى العيان بأن دين الاسلام كما أخبر عال على سائر الاديان ومن ذلك قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فكان كما أخبر دخل الناس فى الاسلام أفواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام الى غير ذلك مما يطول استقصاؤه

(القسم الثانى فيما أخبر به عليه الصلاة والسلام من الغيوب)

سوى ما فى القرآن العزيز فكان كما أخبر به فى حياته وبعد مماته أخرج الطبرانى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رفع لى الدنيا فأنا أنظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كأنما أنظر الى كفى هذه وعن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعدا الا وقد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته رواه أبو داود وروى مسلم من حديث ابن مسعود فى الدجال فيبعثون عشرة فوارس طليعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم وهم خير فوارس على ظهر الارض يومئذ فوضح من هذا الخبر بما يأتى من الاخبار ورسخ من خواطر الابرار الاخيار أنه صلى الله عليه وسلم عرفهم بما يقع فى حياته وبعد موته وما قد انحتم وقوعه فلا سبيل الى فوته وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحه فى السماء الا ذكرنا منه

تعالى بأن الروم بعد أن غلبوا سيغلبون في بضع سنين والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة فغلبت الروم أهل فارس يوم الحديبية وأخرجوهم من بلادهم وذلك بعد سبع سنين * ومن ذلك قوله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا فأخبر أنهم لا يتمنون الموت بالقلب ولا بالنطق باللسان مع قدرتهم عليه أبدا فأخبر ووجد مخبره كما أخبر فلولم يعلموا ما يلحقهم من الموت لسارعوا الى تكذيبه بالتمني ولولم يعلم ذلك لخشي أن يجيبوا اليه فيقضي عليه بالكذب قال البيضاوي وهذه الجملة أخبار بالغيب وكان كما أخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب فيخفى وروى مرفوعا لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض * ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيجعل أمته خلفاء الارض أئمة الناس والولاة عليهم وبهم تصلح البلاد وتخضع لهم العباد وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم وقد فعل تعالى ذلك ولله الحمد والمنة فانه لم يمت صلى الله عليه وسلم حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها وأخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض أطراف الشام وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والاسكندرية وهو المقوقس وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة الذي تملك بعد أصحمة رحمه الله ثم لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم واختار الله له ما عنده من الكرامات قام بالامر بعده خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم شعث ما وهى عند موته صلى الله عليه وسلم وأطد جزيرة العرب ومهدها وبعث الجيوش الاسلامية الى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ففتحوا طرفا منها وجيشا آخر صحبة أبي عبيدة الى أرض الشام وجيشا ثالثا صحبة عمرو بن العاص الى بلاد مصر ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بصرى ودمشق ومخاليفهما من بلاد حوران وما والاها وتوفاه الله تعالى واختار له ما عنده من الكرامة على الاسلام وأهله بأن ألهم الصديق أن يستخلف عمر الفاروق فقام في الامر بعده قياما تاما لم يدر الفلك بعد الانبياء على مثله في قوة سيره وكمال عدله وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها وديار مصر الى آخرها وأكثر اقليم فارس وكسر كسرى وأهانه غاية الهوان وتقهقر الى أقصى مملكته وقصر قيصر وانتزع يده من بلاد الشام فانحاز الى قسطنطينية وأنفق أموالهما في سبيل الله كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لما كانت الدولة العثمانية امتدت الممالك

الاسلامية الى أقصى مشارق الارض ومغاربها ففتحت بلاد المغرب الى أقصى ماهنالك أندلس وقيروان وسبتة مما يلى البحر المحيط ومن ناحية المشرق الى أقصى بلاد الصين وقتل كسرى وبادملكه بالكلية وفتحت مدائن العراق وخراسان والاهواز وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا وجىء بالخراج من المشارق والمغارب الى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه للأئمة على حفظ القرآن فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله * ومن ذلك قوله تعالى ضربت عليهم الذلة والمسكنة فاليهود أذل الكفار فى كل مكان وزمان كما أخبر * ومن ذلك قوله تعالى هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وهذا ظاهر فى العيان بأن دين الاسلام كما أخبر عال على سائر الاديان ومن ذلك قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها فكان كما أخبر دخل الناس فى الاسلام أفواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفى بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام الى غير ذلك مما يطول استقصاؤه

(القسم الثانى فيما أخبر به عليه الصلاة والسلام من الغيوب)

سوى ما فى القرآن العزيز فكان كما أخبر به فى حياته وبعد مماته أخرج الطبرانى عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رفع لى الدنيا فأنا أنظر اليها والى ما هو كائن فيها الى يوم القيامة كأنما أنظر الى كفى هذه وعن حذيفة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيأ فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابى هؤلاء وانه ليكون منه الشىء قد نسيته فأراه فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا وقد سماه لنا باسمه واسم أبيه وقبيلته رواه أبو داود وروى مسلم من حديث ابن مسعود فى الدجال فيبعثون عشرة فوارس طليعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم وهم خير فوارس على ظهر الارض يومئذ فوضح من هذا الخبر ونظيره مما يأتى من الاخبار ورسخ من خواطر الابرار الاخيار أنه صلى الله عليه وسلم عرفهم بما يقع فى حياته وبعد موته وما قد انحتم وقوعه فلا سبيل الى فوته وقال أبو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحه فى السماء الا ذكرنا منه

علما ولا شك أن الله تعالى قد أطلعه على أزيد من ذلك وألقى عليه علم الاولين والآخرين وأما علم عوارف المعارف الالهية فتلك لا يتناها عددها واليه صلى الله عليه وسلم ينتهي مددها ✱ ومن ذلك ما رواه الشيخان عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي للناس في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى وصف بهم وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات وفي حديث أنس عند أحمد والبخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد أحدا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فضربه برجله وقال له اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فكان كما أخبر عليه الصلاة والسلام ✱ ومن ذلك ما رواه الشيخان من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله قال النووي قال الشافعي وسائر العلماء معناه لا يكون كسرى بالعراق ولا قيصر بالشام كما كان في زمنه صلى الله عليه وسلم فأعلمنا صلى الله عليه وسلم بانقطاع ملكهما من هذين الاقليمين وكان كما قال فأما كسرى فانقطع ملكه وزال بالكلية من جميع الارض وتمزق ملكه كل ممزق واضمحل بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأما قيصر فانهزم من الشام ودخل أقصى بلاده فافتتح المسلمون بلاده واستقرت للمسلمين ولله الحمد انتهى وقد وقع ذلك في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب كما قدمته وقال عليه الصلاة والسلام لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما أتى بهما عمر ألبسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة ✱ ومن ذلك اخباره صلى الله عليه وسلم بالمال الذي تركه عمه العباس عند أم الفضل بعد أن كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها وأسلم كما تقدم ذلك في غزوة بدر من المقصد الاول واخباره بشأن كتاب حاطب الى أهل مكة وبموضع ناقته حين ضلت وكيف تعلقت بخطامها في الشجرة ولما رجع المشركون يوم الاحزاب قال النبي صلى الله عليه وسلم الآن نغزوهم ولا يغزوننا فلم يغزوه صلى الله عليه وسلم بعدها وبعث صلى الله عليه وسلم جيشا الى مؤتة وأمر عليهم زيد بن حارثة ثم قال فان أصيب فجعفر بن أبي طالب فان أصيب فعبد الله بن رواحة فلما التقى المسلمون بمؤتة جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فكشف له حتى نظر الى معركتهم فقال أخذ الراية زيد بن حارثة حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا له ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب حتى استشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم جعفر ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فاستشهد فصلى عليه ثم قال استغفروا لاخيكم

فاخبر.

فأخبر أصحابه بقتلهم فى الساعة التى قتلوا فيها وموتة دون دمشق بأرض البلقاء
وعن أسماء بنت عميس قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة اليوم
الذى قتل فيه جعفر وأصحابه فقال يا أسماء أين بنو جعفر فجئت بهم فضمهم وشمهم
ثم ذرفت عيناه بالدموع فبكى فقلت يارسول الله أبلغك عن جعفر شيء قال نعم
قتل اليوم رواه يعقوب الاسفراينى فى كتاب دلائل الاعجاز وخرجه ابن اسحاق
والبغوى * ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام زويت لى الارض فرأيت مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها فكان كذلك امتدت فى المشارق
والمغارب ما بين أقصى الهند الى أقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه
وذلك مالم تملكه أمة من الامم ومن ذلك اعلامه قريشا بأكل الارضة ما فى
صحيفتهم التى تظاهروا بها على بنى هاشم وقطعوا بها رحمهم وأنها أبقت فيها كل
اسم لله فوجدوها كما قال عليه الصلاة والسلام * ومن ذلك ما رواه الطبرانى فى
الكبير والبزار من حديث ابن عمر قال كنت جالسا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى
مسجد منى فأتى رجل من الانصار ورجل من ثقيف فسلما ثم قالا يارسول الله جئنا
نسألك فقال ان شئتما أن أخبركما بما جئتما تسألانى عنه فعلت وان شئتما أن أمسك
وتسألانى فعلت فقالا أخبرنا يارسول الله فقال الثقفى للانصارى سل فقال أخبرنى
يارسول الله قال جئتنى تسألنى عن مخرجك من بيتك تؤم البيت الحرام ومالك
فيه وعن ركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما وعن سعيك بين الصفا والمروة ومالك
فيه وعن وقوفك عشية عرفة ومالك فيه وعن رميك الجمار ومالك فيه وعن نحرك
ومالك فيه وعن حلاقك رأسك ومالك فيه مع الافاضة فقال والذى بعثك بالحق
أعن هذا جئت أسألك * ومن ذلك ما روى عن واثلة بن الاسقع قال أتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى نفر من أصحابه يحدثهم فجلست وسط الحلقة
فقال بعضهم يا واثلة قم عن هذا المجلس فقد نهينا عنه فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعونى واياه فانى أعلم بالذى أخرجه من منزله قلت يارسول الله ما الذى
أخرجنى قال أخرجك من منزلك لتسأل عن البر وعن الشك قال قلت والذى
بعثك بالحق ما أخرجنى غيره فقال صلى الله عليه وسلم البر ما استقر فى الصدر
واطمأن اليه القلب والشك مالم يستقر فى الصدر فدع ما يريبك الى ما لا يريبك
وان أفتاك المفتون * ومن ذلك قوله لفاطمة رضى الله عنها فى مرضه أنك
أول أهلى لحوقا بى فعاشت بعده ثمانية اشهر وقيل ستة أشهر وقوله عليه الصلاة
والسلام لنسائه أسرعكن بى لحوقا أطولكن يدا فكانت زينب بنت جحش لانها

كانت تعمل بيدها وتتصدق به ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام لعلي أتدري من أشقى الآخرين قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك أخرجه أحمد في المناقب وعند ابن أبي حاتم الذي يضربك على هذا وأشار إلى يافوخه وعند المحاملي قال علي عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخضبن هذه من هذه وأشار إلى لحيته ورأسه وعند الضحاك الذي يضربك على هذا فيبتل منها هذه وأخذ بلحيته فضربه عبد الرحمن بن ملجم وعند الطبراني وأبي نعيم من حديث جابر مرفوعا انك مؤمر مستخلف وانك مقتول وان هذه مخضوبة من هذه وقال صلى الله عليه وسلم لمعاوية أما انك ستلي أمر امتي من بعدي فاذا كان ذلك فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم قال معاوية فمازلت أرجوها حتى قمت مقامي هذا رواه ابن عساكر وأخرج ابن عساكر أيضا من حديث عروة ابن رويم مرفوعا لن يغلب معاوية أبدا وان عليا قال يوم صفين لو ذكرت هذا الحديث ما قاتلت معاوية ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام يقتل هذا مظلوما وأشار الى عثمان رضي الله عنه خرجه البغوي في المصابيح من الحسان والترمذي وقال حسن غريب وخرجه أحمد فكان كما قال عليه الصلاة والسلام فاستشهد في الدار وبين يديه المصحف فنضح الدم على هذه الآية فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وفي الشفاء أنه صلى الله عليه وسلم قال يقتل عثمان وهو يقرأ في المصحف وان الله عسى أن يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وقد أخرجه الحاكم عن ابن عباس بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا عثمان تقتل وأنت تقرأ سورة البقرة فتقع قطرة من دمك على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وقد أخرجه الحاكم عن ابن عباس لكن قال الذهبي انه حديث موضوع وقد روى مسلم عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف على أطم من اطام المدينة ثم قال هل ترون ما أرى اني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر فوقعت فتنة قتل عثمان وتتابعت الفتن الى فتنة الحرة وكانت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين سنة من الهجرة وجرت فيها مواقع كثيرة موجودة في كتب التواريخ وأخرج البيهقي عن الحسن قال لما كان يوم الحرة قتل أهل حتى لا يكاد ينفلت منهم أحد وأخرج أيضا عن أنس بن مالك قال قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن منهم ثلاثمائة من الصحابة وذلك في خلافة يزيد وأخرج أيضا عن مغيرة قال انتهب أبو مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام وافتض فيها ألف عذراء وقال عليه الصلاة والسلام لأبي موسى وهو قاعد على قف بئر أريس لما طرق

عثمان الباب أئذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه اشارة الى ما تقدم من استشهاده يوم الدار بل أصرح من ذلك كله ما رواه أحمد عن ابن عمر قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فمر رجل فقال يقتل فيها هذا يومئذ ظلما قال فنظرت فاذا هو عثمان واسناده صحيح وأخبر عليه الصلاة والسلام بوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير عليا كما أخرجه الحاكم وصححه والبيهقي عن أم سلمة قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت ثم التفت الى علي فقال له ان وليت من أمرها شيأ فارفق بها وعن ابن عباس مرفوعا ايتكن صاحبة الجمل الادبب تخرج حتى تنبحها كلاب الحوءب ويقتل حولها قتلى كثيرة ثم رابعدما كادت رواه البزار وأبو نعيم وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن أبي الاسود قال شهدت الزبير خرج يريد عليا فقال علي أنشدك الله هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقاتله وأنت له ظالم فمضى الزبير منصرفا وفي رواية أبي يعلى والبيهقي قال الزبير بلى ولكن نسيت * ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الحسن ابن علي ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فيئتين عظيمتين من المسلمين رواه البخاري فكان كما قال عليه الصلاة والسلام لانه لما قتل علي بن أبي طالب بايع الحسن أكثر من أربعين ألفا فبقي سبعة أشهر خليفة بالعراق وما وراء النهر من خراسان ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءى الجمعان بموضع يقال له مسكن بناحية الانبار من أرض السواد فعلم ان لن تغلب احدى الفيئتين حتى يذهب أكثر الاخرى فكتب الى معاوية يخبره انه يصير الامر اليه دون غيره على أن يشترط عليه أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه فأجابه معاوية الا عشرة فلم يزل يراجعه حتى بعث اليه برق أبيض وقال اكتب فيه ما شئت فانا التزمه واصطلحا على ذلك فكان الامر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سيصلح به بين فيئتين عظيمتين من المسلمين وأخرج الدولابي أن الحسن قال كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء المسلمين * ومن ذلك اعلامه صلى الله عليه وسلم بقتل الحسين بالطف وأخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه رواه البغوي في معجمه من حديث أنس بن مالك بلفظ استأذن ملك القطر ربه ان يزور النبي صلى الله عليه وسلم فأذن له وكان في يوم أم سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل علينا أحد فبينما هي على الباب اذ دخل الحسين فاقتحم

فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك أتحبه قال نعم قال ان أمتك ستقتله وان شئت أريتك المكان الذي يقتل به فأراه فجاء بسهلة وتراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها قال ثابت كنا نقول انها كربلاء وخرجه أبو حاتم في صحيحه ورواه أحمد بنحوه والسهلة بالكسر رمل خشن ليس بالدقاق الناعم وفي رواية الملا فالت ثم ناولني كفا من تراب أحمر وقال ان هذا من تربة الارض التي يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي انه قد قتل قالت أم سلمة فوضعته في قارورة عندي وكنت أقول ان يوما يتحول فيه دما اليوم عظيم الحديث واستشهد الحسين كما قال عليه الصلاة والسلام بكربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع بالطف وقتله سنان ابن أنس النخعي وقيل غيره ولما قتلوه بعثوا برأسه الى يزيد فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون بالرأس فبينما هم كذلك اذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم

أترجوا أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس خرجه منصور ابن عمار وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة عن نضرة الازدية أنها قالت لما قتل الحسين ابن علي امطرت السماء دما فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دما وكذا روي في أحاديث غير هذا وقال صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية رواه البخاري فكان كما قال عليه الصلاة والسلام * ومن ذلك ما رواه أبو عمر ابن عبد البر ان عبد الله ابن عمر رأى رجلا مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعرفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيته قال نعم قال ذاك جبريل أما انك ستفقد بصرك فعمي في آخر عمره * ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لثابت ابن قيس بن شماس تعيش حميدا وتقتل شهيدا رواه الحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم فقتل يوم مسيلمة الكذاب باليمامة * ومن ذلك قوله لعبد الله ابن الزبير ويل لك من الناس وويل للناس منك فكان من أمره مع الحجاج ما كان * ومن ذلك حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الدين بدأ نبوة ورحمة ثم يكون خلافة ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون سلطانا وجبرية وقوله ملكا عضوضا أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضا وفي حديث سفينة عند أبي داود والترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك قال سعيد بن جمهان أمسك خلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة علي فوجدناها

ثلاثين سنة فقيل له ان بني أمية يزعمون ان الخلافة فيهم فقال كذب بنوا الزرقاء بل هم ملوك من شر الملوك وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس أن أم الفضل مرت به صلى الله عليه وسلم فقال انك حامل بغلام فاذا ولدتيه فأتيني به قالت فلما ولدته أتيته به فأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى وألبأه من ريقه وسماه عبد الله وقال اذهبي بأبي الخلفاء فأخبرت العباس فأتاه فذكر له ذلك فقال هو ما أخبرتك هذا أبو الخلفاء حتى يكون منهم السفاح حتى يكون منهم المهدي حتى يكون منهم من يصلي بعيسى بن مريم وأخرج أبو يعلى عن معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتظهرن الترك على العرب حتى تلحقها بمنابت الشيح والقيصوم

* ومن ذلك اخباره عليه الصلاة والسلام بعالم المدينة أخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك الناس أن يضربوا أكباد الابل فلم يجدوا عالما أعلم من عالم المدينة قال سفيان ابن عيينة نرى هذا العالم مالك بن أنس وقال عبد الرزاق ولم يعرف بهذا الاسم غيره ولا ضربت أكباد الابل الى أحد مثل ماضربت اليه وقال أبو مصعب كان الناس يزدحمون على باب مالك ويقتتلون عليه من الزحام يعني لطلب العلم وممن روى عنه من الائمة المشهورين محمد ابن شهاب الزهري والسفيانان والشافعي والاوزاعي امام أهل الشام والليث بن سعد امام أهل مصر وأبو حنيفة النعمان ابن ثابت الامام وصاحباه أبو يوسف ومحمد ابن الحسن وعبد الرحمن بن مهدي شيخ الامام أحمد ويحيى بن يحيى شيخ البخاري وأبو رجاء قتيبة بن سعيد شيخ البخاري ومسلم وذو النون المصري والفضيل بن عياض وعبد الله ابن المبارك وابراهيم بن أدهم كما نقله العلامة عيسى بن مسعود الزواوي في كتابه المنهج السالك الى معرفة قدر الامام مالك

(واخباره بعالم قريش)

عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتسبوا قريشا فان عالمها يملأ طباق الارض علما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده وفيه الجارود مجهول لكن له شواهد عن أبي هريرة في تاريخ بغداد للخطيب وعن علي وابن عباس في المدخل للبيهقي قال الامام أحمد وغيره هذا العالم هو الشافعي لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم قرشي من الصحابة وغيرهم ماانتشر من علم الشافعي وما كان الامام أحمد يذكر حديثا موضوعا يحتج به أو يستأنس به في أمر يخصه الشافعي وأما قوله وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عالم قريش الخ

بصيغة التمريض احتياطا للشك في ضعفه فان اسناده لا يخلو من ضعف قاله العراقي ردا على الصغاني في زعمه أنه موضوع وقد جمع الحافظ بن حجر طرقه في كتاب سماه لذة العيش في طرق حديث الائمة من قريش كما أفاده شيخنا وأخبر عليه الصلاة والسلام بأن طائفة من أمته لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وبأن الله تعالى يبعث الى هذه الامة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها رواه الحاكم من حديث أبي هريرة وبذهاب الامثل فالامثل رواه الحاكم وصححه بلفظ تذهبون الخير فالخير وبالخوارج رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اذ أتاه ذوالخويصرة فقال يا رسول الله اعدل فقال ويلك ومن يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت ان لم أعدل فقال عمر يا رسول الله دعني أضرب عنقه فقال عليه الصلاة والسلام دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية آيتهم رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم واشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه وأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد فأتي به حتى نظرت اليه على نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي نعته وأخبر عليه الصلاة والسلام أيضا بالرافضة أخرجه البيهقي عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في أمتي قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وأخبر أيضا بالقدرية والمرجئة وقال هم مجوس هذه الامة رواه الطبراني في الاوسط عن أنس وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أصحابه باشياء بين موته وبين الساعة وحذر من مفاجأتها كما يحذر من حاد عن الطاعة وأن الساعة لا تقوم حتى تظهر جملة من الامارات في العالم فاذا جاءت الطامة الكبرى يطيش منها الجاهل والعالم كما روى من رفع الامانة والقرآن واشتهار الخيانة وحسد الاقران وقلة الرجال وكثرة النسوان الى غير ذلك مما شهدت بصحته الاخبار وقضى بحقيقة وقوعه الاعتبار وقد تعين أن نلم بذكر طرف من الآثار الصحاح والحسان فروى البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل

ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال
فيفيض حتى يهم الرجل من يقبل صدقته وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه
عليه لا أرب لي فيه وحتى يتطاول الناس في البنيان وحتى يمر الرجل بقبر الرجل
فيقول ياليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس
أجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها
خيرا ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن
الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط
حوضه فلا يسقي فيه ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها
فهذه ثلاثة عشر علامة جمعها أبو هريرة في حديث واحد ولم يبق بعد هذا ما ينظر من
صحيح العلامات والاشراط وقد ظهر أكثر هذه العلامات فأما قوله حتى تقتتل فئتان
عظيمتان دعواهما واحدة يريد فتنة معاوية وعلي بصفين قال القاضي أبو بكر بن
العربي وهذا أول خطب طرق الاسلام وتعقبه القرطبي بأن أول أمر دهم الاسلام
موت النبي صلى الله عليه وسلم ثم بعد موته موت عمر لان بموته صلى الله عليه وسلم
انقطع الوحي وكان أول ظهور الشر ارتداد العرب وغير ذلك وبموت عمر سل سيف
الفتنة بقتل عثمان وكان من قضاء الله وقدره ما كان وما يكون وأما قوله قوم دجالون
كذابون قريب من ثلاثين فقد جاء عددهم معينا من حديث حذيفة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون في أمتي دجالون كذابون سبعة وعشرون
منهم أربع نسوة وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي أخرجه الحافظ أبو نعيم وقال هذا
حديث غريب قال القاضي عياض هذا الحديث قد ظهر فلو عد من تنبأ من زمن
النبي صلى الله عليه وسلم الى الآن ممن اشتهر بذلك لوجد هذا العدد ومن طالع
كتب التواريخ عرف صحة هذا وقوله حتى يقبض العلم فقد قبض ولم يبق الا رسمه
وأما الزلازل فوقع منها شيء كثير وقد شاهدنا بعضها وأما قوله حتى يكثر فيكم المال
فيفيض وحتى يهم رب المال من يقبل صدقته فهذا مما لم يقع وقوله حتى يمر الرجل
بقبر الرجل فيقول ياليتني مكانه لما يرى من عظيم البلاء ورياسة الجهلاء وخمول
العلماء وغير ذلك مما ظهر كثير منه وفي حديث أبي هريرة عند الشيخين أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من الحجاز تضيء لها
أعناق الابل ببصرى وقد خرجت نار عظيمة على قرب مرحلة من المدينة وكان
بدوها زلزلة عظيمة في ليلة الاربعاء بعد العشاء ثالث جمادى الآخرة سنة أربع
وخمسين وستمائة وفي يوم الثلاثاء اشتدت حركتها وعظمت رجفتها وتتابعت

جاءتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات لبارئها ودامت الحركة أثر الحركة حتى أيقن أهل المدينة بوقوع الملحمة وزلزلوا زلزالا شديدا من جملة ثمانية عشر حركة في يوم واحد دون ليلته قال القرطبي وكان يأتي المدينة ببركته صلى الله عليه وسلم نسيم بارد وشوهد من هذه النار غليان كغليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن فاحرقتها قال وقال لى بعض أصحابنا ولقد رأيتها صاعدة في الهواء من مسيرة خمسة أيام قال وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى وقال الشيخ قطب الدين القسطلانى أقامت اثنين وخمسين يوما وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من رجب ليلة الاسراء والمعراج به صلى الله عليه وسلم وبالجملة فاستيفاء الكلام على هذه النار يخرج عن المقصود وقد نبه عليها القرطبي في التذكرة وأفردها بالتأليف الشيخ قطب الدين القسطلانى في كتاب سماه جمل الايجاز في الاعجاز بنار الحجاز فأتى فيه من رقائق الحقائق بالعجب العجاب والله الموفق للصواب

* (المقصد التاسع في لطيفة من عباداته صلى الله عليه وسلم) *

قال الله تعالى مخاطباله صلى الله عليه وسلم ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فأمره تعالى بعبادته حتى يأتيه الموت وهو المراد باليقين وانما سمى الموت باليقين لانه أمر متيقن فان قلت ما الفائدة في قوله حتى يأتيك اليقين وكان قوله واعبد ربك كافيا في الامر بالعبادة أجاب القرطبي تبعا لغيره بأنه لو قال واعبد ربك مطلقا ثم عبده مرة واحدة كان مطيعا ولما قال حتى يأتيك اليقين أى اعبد ربك في جميع زمان حياتك ولا تمل ولا تخل لحظة من لحظات الحياة من هذه العبادات كما قال العبد الصالح وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وهذا مصير منه الى أن الامر المطلق لا يفيد التكرار وهى مسئلة معروفة في الاصول اختلف فيها وهى هل الامر المطلق يفيد التكرار أو المرة الواحدة أو لا يفيد شيأ منهما على مذاهب الاول انه لا يفيد التكرار ولا ينافيه بل انما يفيد طلب فعل المأموربه من غير اشعار بالمرة أو المرات لكن المرة ضرورية لاجل تحقيق الامتثال اذ لا توجد الماهية بأقل منها وهذا اختار الامام مع نقله له عن الاقلين ورجحه الآمدى وابن الحاجب وغيرهما الثانى أنه يفيد التكرار مطلقا كما ذهب اليه الاستاذ أبو اسحاق الاسفرايني وأبو حاتم القزويني فان عين للتكرار أمدا استوعبه والا استوعب زمان العمر لكن بحسب الامكان فلا يستوعب زمن قضاء الحاجة والنوم وغيرهما من الضروريات

الثالث أنه يدل على المرة حكاه الشيخ أبو اسحاق في شرح اللمع عن أكثر أصحابنا وأبي حنيفة وغيرهم وان علق بشرط أو صفة اقتضى التكرار بحسب تكرار المعلق به نحو وان كنتم جنبا فاطهروا والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة انتهى ملخصا من شرح العلامة أبي الحسن الاشموني لنظمه جمع الجوامع للعلامة ابن السبكي وقد روى جبير بن نفير مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أوحي الى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحي الى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين رواه البغوي في شرح السنة وأبو نعيم في الحلية عن أبي مسلم الخولاني وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بأربعة أشياء التسبيح والتحميد والسجود والعبادة واختلف العلماء في أنه كيف صار الاقبال على مثل هذه الطاعات سببا لزوال ضيق القلب والحزن فحكى الامام فخر الدين الرازي عن بعض المحققين أنه قال اذا اشتغل الانسان بمثل هذه الانواع من العبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة واذا صارت حقيرة خف على القلب فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم قال أهل السنة اذا نزل بالعبد بعض المكاره فزع الى الطاعات كأنه يقول تجب علي عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكروهات وقال تعالى فاعبده واصطبر لعبادته فأمره تعالى عليه الصلاة والسلام بالعبادة والمصابرة على مشاق التكاليف في الانذار والابلاغ فان قلت فلم لم يقل واصبر على عبادته بل قال واصطبر لعبادته فالجواب لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب اصطبر لقرنك أي اثبت له فيما يورد عليك من مشاقه والمعنى أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها قاله الفخر الرازي وكذا البيضاوي وقال تعالى ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه فأول درجات السير الى الله عبودية الله تعالى وآخرها التوكل عليه واذا كان العبد لا يزال مسافرا الى ربه لا ينقطع سيره اليه مادام في قيد الحياة فهو محتاج الى زاد العبادة لا يستغني عنه ألبتة ولو أتى بأعمال الثقلين جميعا وكلما كان العبد الى الله تعالى أقرب كان جهاده الى الله أعظم قال تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق اجتهادا وقياما بوظائف العبادة ومحافظته عليها الى أن توفاه الله تعالى وتأمل أصحابه رضي الله عنهم فانهم كانوا كلما ترقوا من القرب بمقام اعظم جهادهم واجتهادهم ولا يلتفت

الى ما يظنه بعض المنتسبين الى التصوف حيث قال القرب في الحقيقي ينقل العبد من الاعمال الظاهرة الى الاعمال الباطنة ويريح الجسد والجوارح من كد العمل زاعما بذلك سقوط التكاليف عنه وهؤلاء أعظم كفرا والحادا حيث عطلوا العبودية وظنوا أنهم استغنوا عنها بما حصل لهم من الخيالات الباطلة التي هي من أماني النفس وخدع الشيطان فلو وصل العبد من القرب الى أعلى مقام يناله العبد لما سقط عنه من التكاليف مثقال ذرة ما دام قادرا عليه وقد اختلف العلماء هل كان عليه الصلاة والسلام قبل بعثته متعبدا بشرع من قبله أم لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهو قول الجمهور واحتجوا بأنه لو كان كذلك لنقل ولما أمكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم أمره فأولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به أهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا والتعليل الاول المستند الى النقل أولى وذهب آخرون الى الوقف في أمره عليه الصلاة والسلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل وهذا مذهب الامام أبي المعالي امام الحرمين وكذا الغزالي والآمدي وقال آخرون كان عاملا بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع أم لا فوقف بعضهم عن التعيين وأحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة في من كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى فهذه جملة المذاهب في هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي أبو بكر وأبعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في أن عيسى عليه الصلاة والسلام آخر الانبياء فلزمت شريعته من جاء بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح أنه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم انتهى ملخصا من كلام القاضي عياض وهو كلام حسن بديع لكن قوله فهذه جملة المذاهب فيه نظر لانه بقي منها شيء فقد قيل شريعة آدم أيضا وهو محكي عن ابن برهان وقيل جميع الشرائع حكاه صاحب المحصول عن المالكية وأما قول من قال انه عليه الصلاة والسلام كان على شريعة ابراهيم وليس له شرع هو منفرد به وأن المقصود من بعثته صلى الله عليه وسلم احياء شرع ابراهيم وعول في اثبات مذهبه على قوله تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا فهذا قول ساقط مردود ولا يصدر مثله الا عن ضعيف العقل كثيف الطبع وانما المراد بهذه الآية الاتباع في التوحيد لانه لما وصف ابراهيم عليه الصلاة والسلام في هذه الآية بأنه ما كان

من المشركين فلما قال أن اتبع كان المراد منه ذلك ومثله قوله تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله تعالى نبيهم من لم يبعث ولم يكن له شريعة تخصه كيوسف ابن يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم فى هذه الآية وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى فان قيل النبى صلى الله عليه وسلم انما نفى الشرك وثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية واذا كان كذلك لم يكن متابعا لاحد فيمتنع حمل قوله أن اتبع على هذا المعنى فوجب حمله على الشرائع التى يصح حصول المتابعة فيها أجاب الفخر الرازى بأنه يحتمل أن يكون المراد الامر بمتابعته فى كيفية الدعوى الى التوحيد وهو أن يدعو اليه بطريق الرفق والسهولة وايراد الدلائل مرة بعد أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة فى القرآن وقد قال صاحب الكشاف لفظة ثم فى قوله ثم أوحينا اليك تدل على تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله فان أشرف ما أوتى خليل الله من الكرامة وأجل ما أوتى من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل أن هذه اللفظة دلت على تباعد النعت فى المرتبة على سائر المدائح التى مدحه الله بها انتهى ومراده بالمدائح المذكورة فى قوله ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين وقال ابن العراقى فى شرح تقريب الاسانيد وليت شعرى كيف تلك العبادة وأى أنواعها هى وعلى أى وجه فعلها يحتاج ذلك لنقل ولا أستحضره الآن انتهى وقال شيخ الاسلام البلقينى فى شرح البخارى لم يجئ فى الاحاديث التى وقفنا عليها كيفية تعبده عليه الصلاة والسلام لكن روى ابن اسحاق وغيره أنه عليه الصلاة والسلام كان يخرج الى حراء فى كل عام شهرا من السنة يتنسك فيه وكان من تنسك قريش فى الجاهلية أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين حتى اذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتى يطوف بالكعبة وحمل بعضهم التعبد على التفكر قال وعندى أن هذا التعبد يشتمل على أنواع وهى الانعزال عن الناس كما صنع ابراهيم عليه الصلاة والسلام باعتزاله قومه والانقطاع الى الله تعالى فان انتظار الفرج عبادة كما رواه على بن أبى طالب مرفوعا وينضم الى ذلك الافكار وعن بعضهم كانت عبادته عليه الصلاة والسلام فى حراء التفكر انتهى وقد آن أن أشرع فيما قصدته على النحو الذى أردته وقد اقتصرت من عباداته على سبعة أنواع النوع الاول فى الطهارة وفيه فصول الاول

فى ذكر وضوئه صلى الله عليه وسلم وسواكه ومقدار ما كان يتوضأ به اعلم أن الوضوء بالضم الفعل وبالفتح الماء الذى يتوضأ به على المشهور فيهما وهو مشتق من الوضاءة وسمى به لان المصلى يتنظف به فيصير وضيا وقد استنبط بعض العلماء كما حكاه فى فتح البارى ايجاب النية فى الوضوء من قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا لان التقدير اذا أردتم القيام الى الصلاة فتوضؤا لاجلها ومثله قوله اذا رأيت الامير فقم أى لاجله وقال ابن القيم لم يروأنه صلى الله عليه وسلم كان يقول فى أول وضوئه نويت رفع الحدث ولا غيرها لاهو ولا أصحابه ألبتة ولم يروعنه لا بسند صحيح ولا ضعيف انتهى قلت أما التلفظ بالنية فلا نعلم أنه روى عنه صلى الله عليه وسلم وأما كونه أتى بها فقد قال الامام فخر الدين الرازى فى المعالم اعلم انا اذا أردنا أن نقول فى أمر من الامور هل فعله الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا فى اثباته طرق الاول أنا اذا أردنا أن نقول انه عليه الصلاة والسلام توضأ مع النية والترتيب قلنا لا شك أن الوضوء مع النية والترتيب أفضل والعلم الضرورى حاصل بأن أفضل الخلق لم يواظب على ترك الافضل طول عمره فثبت أنه أتى بالوضوء المرتب المنوى ولم يثبت عندنا أنه أتى بالوضوء العارى عن النية والترتيب والشك لا يعارض اليقين فثبت أنه أتى بالوضوء المرتب المنوى فوجب أن يجب علينا مثله والطريق الثانى ان نقول لو أنه عليه الصلاة والسلام ترك النية والترتيب وجب علينا تركه للدلائل الدالة على وجوب الاقتداء به ولما لم يجب علينا تركه ثبت أنه ما تركه بل فعله وفى الصحيحين وغيرهما من حديث عمر مرفوعا انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء مانوى قال البخارى فدخل فيه الايمان والوضوء والصلاة والزكاة والحج والصوم والاحكام واشار بذلك الوضوء الى خلاف من لم يشترط فيه النية كما نقل عن الاوزاعى وأبى حنيفة وغيرهما وحجتهم أنه ليس عبادة مستقلة بل وسيلة الى العبادة كالصلاة ونوقضوا بالتيمم فانه وسيلة وقد اشترط الحنفية فيه النية واستدل الجمهور على اشتراط النية فى الوضوء بالادلة الصحيحة المصرحة بوعد الثواب عليه فلابد من قصد يميزه ليحصل الثواب الموعود به وقوله انما الاعمال بالنيات ليس المراد منه نفى ذات العمل لانه قد يوجد بغير نية بل المراد نفى أحكامها كالصحة والكمال لكن الحمل على نفى الصحة أولى لانه أشبه بنفى الشئ نفسه ولان اللفظ دل على نفى الذات بالصريح وعلى نفى الصفات بالتبع فلما منع الدليل نفى الذات بقيت دلالته على نفى الصفات مستمرة قال ابن دقيق العيد الذين اشترطوا النية قدروا صحة الاعمال والذين لم يشترطوها قدروا كمال الاعمال

ورجح الاول لان الصحة أكثر لزوما للحقيقة من الكمال فالحمل عليها أولى وفي هذا الكلام ايهام أن بعض العلماء لا يرى اشتراط النية وليس الخلاف بينهم في ذلك الا في الوسائل واما المقاصد فلا اختلاف بينهم في اشتراط النية لها ومن ثم خالف الحنفية في اشتراطها للوضوء كما تقدم وخالف الاوزاعي في اشتراطها في التيمم أيضا نعم بين العلماء اختلاف في اقتران النية بأول العمل كما هو معروف في مبسوطات الفقه واما قوله أي البخاري فدخل فيه الايمان فتوجيه دخول النية في الايمان على طريقة البخاري أن الايمان عمل وأما الايمان بمعنى التصديق فلا يحتاج الى نية كسائر أعمال القلوب من خشية الله وتعظيمه ومحبته والتقرب اليه لانها متميزة لله فلا تحتاج الى نية تميزها لان النية انما تميز العمل لله عن العمل لغيره رياء وتميز مراتب الاعمال كالفرض عن الندب وتميز العبادة عن العادة كالصوم عن الحمية وقوله أيضا والاحكام أي المعاملات التي يدخل فيها الاحتياج الى المحاكمات فتشمل البيوع والانكحة والاقارير وغيرها وكل صورة لم تشترط فيها النية فذلك لدليل خاص وقد ذكر ابن المنير ضابطا لما تشترط فيه النية مما لا تشترط فيه فقال كل عمل لا تظهر له فائدة عاجلة بل المقصود به طلب الثواب فالنية مشترطة فيه وكل عمل ظهرت فائدته ناجزة وتقاضته الطبيعة قبل الشريعة لملاءمة بينهما فلا تشترط النية فيه الا لمن قصد بفعله معنى آخر يترتب عليه الثواب قال وانما اختلف العلماء في بعض الصور من جهة تحقيق مناط التفرقة قال وأما ما كان من المعاني المحضة كالخوف والرجاء فهذا لا يقال باشتراط النية فيه لانه لا يمكن ان يقع الا منويا ومتى فرضت النية مفقودة فيه استحالت حقيقته فالنية فيه شرط عقلي وأما الاقوال فتحتاج الى النية في ثلاثة مواطن أحدها التقرب الى الله تعالى فرارا من الرياء والثاني التمييز عن الالفاظ المحتملة لغير المقصود والثالث قصد الانشاء ليخرج سبق اللسان انتهى ذكره الحافظ ابن حجر في فتح البارى وقد اختلف العلماء في الوقت الذي وجب فيه الوضوء فقال بعضهم أول ما فرض بالمدينة وتمسك بقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الآية ونقل ابن عبد البر اتفاق أهل السير على أن غسل الجنابة فرض عليه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة كما افترضت الصلاة وأنه لم يصل قط الا بوضوء وقال وهذا مما لا يجهله عالم وقال الحاكم في المستدرك أهل السنة لهم حاجة الى دليل الرد على من زعم أن الوضوء لم يكن قبل نزول آية المائدة ثم ساق حديث ابن عباس دخلت فاطمة رضي الله عنها على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقالت هؤلاء الملأ من قريش قد تعاهدوا

ليقتلوك فقال ائتوني بوضوء فتوضأ قال الحافظ ابن حجر وهذا يصلح أن يكون رداً على من أنكر وجود الوضوء قبل الهجرة لا على من أنكر وجوبه حينئذ وقد جزم ابن الجهم المالكي بأنه كان قبل الهجرة مندوبا وجزم ابن حزم بأنه لم يشرع الا بالمدينة ورد عليه بما أخرجه ابن لهيعة في المغازي التي يرويها عن أبي الاسود عن عروة أن جبريل عليه الصلاة والسلام علم النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء عند نزوله عليه بالوحي وهو مرسل ووصله أحمد من طريق ابن لهيعة أيضا لكن قال عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد عن أبيه وأخرجه ابن ماجه من طريق رشدين بن سعد عن عقيل عن الزهري نحوه ولكن لم يذكر زيد بن حارثة في السند وأخرجه الطبراني في الاوسط من طريق الليث عن عقيل موصولا ولو ثبت لكان على شرط الصحيح لكن المعروف رواية ابن لهيعة وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة قيل له كيف كنتم تصنعون قال يجزي أحدنا الوضوء مالم يحدث رواه البخاري وأبو داود والترمذي وعن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلاة رواه الدارمي وروى مسلم عن بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح صلى صلوات بوضوء واحد فقال له عمر فعلت شيأ لم تكن تفعله فقال عمدا فعلته يا عمر يعني لبيان الجواز وفي رواية أحمد وأبي داود من حديث عبد الله بن أبي عامر الغسيل أنه صلى الله عليه وسلم أمر بالوضوء لكل صلاة طاهرا أوغير طاهر فلما شق ذلك عليه أمر بالسواك عند كل صلاة ووضع عنه الوضوء الا من حدث واختلف العلماء في موجب الوضوء فقيل يجب بالحدث وجوبا موسعا وقيل به وبالقيام الى الصلاة معا ورجحه جماعة من الشافعية وقيل بالقيام الى الصلاة حسب ويدل له ما رواه أصحاب السنن عن ابن عباس مرفوعا انما أمرت بالوضوء اذا قمت الى الصلاة وقد تمسك بحديث عبد الله بن أبي عامر هذا من قال بوجوب السواك عليه صلى الله عليه وسلم لكن في اسناده محمد بن اسحاق وقد رواه بالعنعنة وهو مدلس والخصائص لاتثبت الا بدليل صحيح وأخرج الطبراني في الاوسط والبيهقي في السنن عن عائشة مرفوعا ثلاث هن على فرائض وهن لكم سنة الوتر والسواك وقيام الليل وقد روى أحمد في مسنده باسناد حسن من حديث واثلة بن الاسقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمرت بالسواك حتى خشيت ان يكتب على وقد حكى بعضهم الاجماع على أنه ليس بواجب علينا لكن حكي عن بعض الشافعية انه أوجبه للصلاة ونوزع فيه واتفقوا على انه مستحب مطلقا ويتأكد

فى أحوال منها عند الوضوء وارادة الصلاة ومنها عند القيام من النوم لما ثبت فى الصحيحين من حديث حذيفة أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك لكن قد يقال المراد قام من الليل للصلاة فيكون المراد السواك للصلاة وعند الوضوء ومنها قراءة القرآن كما جزم به الرافعى ومنها تغير الفم سواء فيه تغير الرائحة أو تغير اللون كصفرة الاسنان كما ذكره الرافعى ومنها دخول المنزل جزم به النووى فى زيادة الروضة لما روى مسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل بيته بدأ بالسواك ومنها ارادة النوم كما ذكره الشيخ أبو حامد فى الرونق وروى فيه ما رواه ابن عدى فى الكامل من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستاك اذا أخذ مضجعه وفيه حرام بن عثمان متروك ومنها الانصراف من صلاة الليل لما روى ابن ماجه من حديث ابن عباس باسناد صحيح قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالليل ركعتين ركعتين ثم ينصرف فيستاك ويجزىء بكل خشن ولو بأصبع غيره الخشنة وقد جزم النووى فى شرح المهذب ودقائق المنهاج أنه يجزىء بها قطعا قال فى شرح تقريب الاسانيد وما أدرى ما وجه التفرقة بين أصبعه وأصبع غيره وكونه جزأ منه لا يظهر منه ما يقتضى منعه بل كونها أصبعه أبلغ فى الازالة لانه يتمكن بها أكثر من تمكن غيره أن يستوكه بأصبعه لاجرم قال النووى فى شرح المهذب المختار اجزاؤه مطلقا قال وبه قطع القاضى حسين والمحاملى فى اللباب والبغوى واختاره فى البحر انتهى ولقد اطبق أصحاب الشافعى على استحباب الاراك فروى الطبرانى من حديث أبى خيرة الصناحى وله صحبة حديثا قال فيه ثم أمر لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأراك فقال استاكوا بهذا وفى مستدرك الحاكم من حديث عائشة فى دخول أخيها عبد الرحمن بن أبى بكر فى مرضه صلى الله عليه وسلم ومعه سواك من أراك فأخذته عائشة فطيبته ثم أعطته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاك به والحديث فى الصحيح وليس فيه ذكر الاراك وفى بعض طرقه عند البخارى ومعه سواك من جريد النخل وقد روى أبو نعيم فى كتاب السواك من حديث عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا وروى البيهقى أيضا من حديث ربيعة بن أكثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك عرضا الحديث قال أصحابنا والمراد بقوله عرضا عرض الاسنان فى طول الفم وهل الاولى أن يباشر المستاك بيمينه أو شماله قال بعضهم بيمينه لحديث كان يعجبه التيمن فى ترجله وتنعله وطهوره وسواكه وبناه بعضهم على أنه هل هو من باب التطهير

والتطيب أو من باب ازالة القاذورات فان قلنا بالاول استحب ان يكون باليمنى وان قلنا بالثانى فبشماله لحديث عائشة كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه واليسرى لخلائه وما كان من اذى رواه أبو داود باسناد صحيح قال فى شرح تقريب الاسانيد وما استدل به على انه باليمين ليس فيه دلالة فان المراد منه بالشق الايمن فى الترجل والبداءة بلبس النعل والبداءة بالاعضاء اليمنى فى التطهير والبداءة بالجانب الايمن فى الاستياك وأما كونه يفعل ذلك بيمينه فيحتاج الى نقل والظاهر انه من باب ازالة الاذى كالامتخاط ونحوه فيكون باليسرى وقد صرح بذلك أبو العباس أحمد القرطبى فقال فى المفهم حكاية عن مالك انه لا يتسوك فى المساجد لانه من باب ازالة القذر والله أعلم وأما مقدار ما كان عليه الصلاة والسلام يتوضأ أو يغتسل به من الماء فعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع الى خمسة امداد ويتوضأ بالمد وفى رواية كان يغتسل بخمسة مكاكيك ويتوضأ بمكوك رواه البخارى ومسلم وأبو داود وعنده يتوضأ باناء يسع رطلين ويغتسل بالصاع ورواه الترمذى وعنده انه صلى الله عليه وسلم قال يجزى فى الوضوء رطلان من ماء وعن عائشة قالت كان صلى الله عليه وسلم يغتسل بالصاع ويتوضأ بالمد رواه أبو داود وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم وميمونة كانا يغتسلان من اناء واحد والصاع خمسة ارطال وثلث برطل بغداد وهو على ما قاله النووى مائة وثمانية وعشرون درهما واربعة اسباع درهم وحذر صلى الله عليه وسلم امته من الاسراف فيه ومر بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف يا سعد قال أفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار رواه أحمد باسناد لين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى وقال صلى الله عليه وسلم ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء رواه الترمذى من حديث أبى بن كعب

* (الفصل الثانى فى وضوئه صلى الله عليه وسلم) *

مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا عن ابن عباس قال توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة مرة رواه البخارى وأبو داود وغيرهما وهو بيان لمجمل قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا الآية اذ الامر يفيد طلب ايجاد الحقيقة ولا يتعين بعدد فبين الشارع ان المرة الواحدة للايجاب وما زاد عليها للاستحباب وأما حديث أبى بن كعب أنه صلى الله عليه وسلم دعا بماء فتوضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ففيه بيان بالقول والفعل معا لكنه حديث ضعيف خرجه ابن ماجه

وله طرق اخرى كلها ضعيفة كما قال في فتح الباري وعن عبد الله بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ مرتين مرتين وقال هو نور على نور ذكره رزين وعن عثمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا رواه أحمد ومسلم وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء ابراهيم ذكره رزين وضعفه النووي في شرح مسلم كما حكاه في مشكاة المصابيح ولم يأت في شيء من الاحاديث المرفوعة في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم انه زاد على ثلاث بل روي عنه أنه نهى عن الزيادة على الثلاث فمن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال من زاد على هذا أو نقص فقد أساء وظلم رواه أبو داود باسناد جيد لكن عده مسلم في جملة ما انكروه على عمرو بن شعيب لان ظاهره ذم النقص عن الثلاثة وأجيب بأنه أمر نسبي والاساءة تتعلق بالنقص والظلم بالزيادة وقيل فيه حذف تقديره من نقص من واحدة ويؤيده ما رواه أبو نعيم بن حماد من طريق المطلب بن حنطب مرفوعا الوضوء مرة ومرتين وثلاثا فان نقص من واحدة أو زاد على الثلاث فقد أخطأ وهو مرسل رجاله ثقات وأجيب عن الحديث أيضا بأن الرواة لم يتفقوا على ذكر النقص فيه بل أكثرهم يقتصر على قوله فمن زاد فقط كذا رواه ابن خزيمة في صحيحه قال الشافعي لا أحب أن يزيد المتوضىء على ثلاث فان زاد لم اكرهه أي لم أحرمه لان قوله لا أحب يقتضي الكراهة وهذا هو الاصح عند الشافعية أنه يكره كراهة تنزيه وحكى الدارمي من الشافعية عن قوم ان الزيادة على الثلاث تبطل الوضوء كالزيادة في الصلاة وهو قياس فاسد وقال أحمد واسحاق وغيرهما لا تجوز الزيادة على الثلاث وقال ابن المبارك لا آمن أن يأثم ويلزم من القول بتحريم الزيادة على الثلاث أو كراهتها أنه لا يندب تجديد الوضوء على الاطلاق

❊(الفصل الثالث في صفة وضوئه صلى الله عليه وسلم)❊

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه انه دعا بماء فأفرغ على يديه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه ثلاثا الى المرفقين ثم مسح برأسه ثم غسل رجليه ثلاث مرات الى الكعبين ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه رواه البخاري وقد استدل به بعضهم بقوله ثم ادخل يمينه على عدم اشتراط نية الاغتراف ولا دلالة فيه نفيا ولا اثباتا وأما اشتراط نية الاغتراف في هذا

الحديث ما يثبتها ولا ما ينفيها قال الغزالى بمجرد الاغتراف لا يصير الماء مستعملا لان الاستعمال انما يقع فى المغترف منه وبهذا قطع البغوى وقد ذكروا فى حكمة تأخير غسل الوجه أنه لاعتبار أوصاف الماء لان اللون يدرك بالبصر والطعم يدرك بالفم والريح بالانف فقدمت المضمضة والاستنشاق قبل الوجه وهو مفروض احتياطا للعبادة وقال النووى فى قوله نحو وضوئى انما لم يقل عليه الصلاة والسلام مثل لان حقيقة مماثلته لا يقدر عليها غيره لكن تعقبه فى فتح البارى بأنه ثبت التعبير بها فى رواية البخارى فى الرقاق من طريق معاذ بن عبد الرحمن عن حمران عن عثمان ولفظه من توضأ مثل وضوئى هذا وفى الصيام من رواية معمر من توضأ وضوءى هذا قال وعلى هذا فالتعبير بنحو من تصرف الرواة لانها تطلق على المثلية مجازا ولان مثل وان كانت تقتضى المساواة ظاهرا لكنها تطلق على الغالب فبهذا تلتئم الروايات ويكون المتروك بحيث لا يخل بالمقصود انتهى وعن عبد الله ابن زيد بن عاصم الانصارى أنه قيل له توضأ لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فاكفأ منه على يديه فغسلهما ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فتمضمض واستنشق من كف واحد ففعل ذلك ثلاثا ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثم أدخل يده فاستخرجها فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم أدخل يده فاستخرجها فمسح برأسه فأقبل بيديه وأدبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية فأقبل بهما وأدبر بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذى بدأ منه رواه البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والترمذى والنساءى وفى رواية لابى داود ثم مسح برأسه وأذنيه ظاهرهما وباطنهما وأدخل أصابعه فى صماخى أذنيه وفى رواية أبى داود والترمذى والنساءى عن عبد خير أبى عمارة بن زيد بن خولى بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو وتشديد الياء الهمدانى من كبار أصحاب على بن أبى طالب قال أتانا على وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فأتى باناء فيه ماء وطست فأفرغ من الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنثر ثلاثا تمضمض ونثر من الكف الذى يأخذ فيه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا وغسل يده اليسرى ثلاثا ثم جعل يده اليمنى فى الاناء فمسح برأسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى ثلاثا ورجله اليسرى ثلاثا وقال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو هذا قال ابن القيم

والصحيح انه صلى الله عليه وسلم لم يكرر مسح رأسه انتهى وقال النووى والاحاديث الصحيحة فيها المسح مرة واحدة وفى بعضها الاقتصار على قوله مسح واحتج الشافعى بحديث عثمان رضى الله عنه فى صحيح مسلم أنه صلى الله عليه وسلم توضأ ثلاثا ثلاثا وبالقياس على باقى الاعضاء انتهى وأجيب بأنه مجمل مبين فى الروايات الصحيحة أن المسح لم يتكرر فيحمل على الغالب ويخص بالمغسول وبأن المسح مبنى على التخفيف فلا يقاس على الغسل الذى المراد منه المبالغة فى الاسباغ وبأن العدد لو اعتبر فى المسح لصار فى صورة الغسل اذ حقيقة الغسل جريان الماء واحتج الشافعية أيضا بما رواه أبو داود فى سننه من حديث عثمان من وجهين صحح أحدهما ابن خزيمة أنه صلى الله عليه وسلم مسح رأسه ثلاثا وفى رواية أبى داود أيضا والترمذى من حديث الربيع بنت معوذ فغسل كفيه ثلاثا ووضأ وجهه ثلاثا وتمضمض واستنشق مرة ووضأ يديه ثلاثا ومسح برأسه مرتين بدأ بمؤخر رأسه ثم بمقدمه وبأذنيه كليهما ظهورهما وبطونهما ووضأ رجليه ثلاثا ثلاثا وقد أجاب العلماء عن أحاديث المسح مرة واحدة بأن ذلك لبيان الجواز ويؤيده رواية مرتين هذه وقال ابن السمعانى كما حكاه فى فتح البارى اختلاف الرواية يحمل على التعدد فيكون مسح تارة مرة وتارة ثلاثا فليس فى رواية مسح مرة حجة على منع التعدد ويحتج للتعدد بالقياس على المغسول لان الوضوء طهارة حكمية ولا فرق فى الطهارة الحكمية بين الغسل والمسح قال ومن أقوى الادلة على عدم التعدد الحديث المشهور الذى صححه ابن خزيمة وغيره من طريق عبد الله بن عمرو بن العاصى فى صفة الوضوء بعد أن فرغ من زاد على هذا فقد أساء وظلم فان فى رواية سعيد بن منصور التصريح بأنه مسح رأسه مرة واحدة فدل على ان الزيادة فى مسح الرأس على المرة غير مستحبة ويحمل ما ورد من الاحاديث فى تثليث المسح ان صحت على ارادة الاستيعاب بالمسح لأنها مسحات مستقلة لجميع الرأس جمعا بين الادلة انتهى وفى حديث عبد الله بن زيد المتقدم عند البخارى الذى ذكرته قبل ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر وفى رواية بدأ بمقدم رأسه حتى ذهب بهما الى قفاه ثم ردهما فى المكان الذى بدأ منه وزاد ابن الطباع بعد قوله ثم مسح رأسه كله كما هو فى رواية ابن خزيمة وفى رواية غيره كما قدمته برأسه بزيادة الباء موافقة لقوله تعالى وامسحوا برؤسكم قال البيضاوى الباء فى الآية مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب

خلاف مالو قيل وامسحوا برؤسكم فانه كقوله واغسلوا وجوهكم انتهى وقال الشافعي احتمل قوله تعالى وامسحوا برؤسكم جميع الرأس أو بعضه فدلت السنة على ان بعضه يجزىء والفرق بينه و بين قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم في التيمم أن المسح فيه بدل عن الغسل ومسح الرأس أصل فافترقا ولا يرد كون مسح الخف بدلا عن غسل الرجل لان الرخصة فيه ثبتت بالاجماع وقد روى من حديث عطاء أنه صلى الله عليه وسلم توضأ فحسر العمامة عن رأسه ومسح مقدم رأسه وهو مرسل لكن اعتضد بمجيئه من وجه آخر موصولا أخرجه أبو داود من حديث أنس و في اسناده أبو معقل لا يعرف حاله لكن اعتضد كل من المرسل والموصول بالآخر وحصلت القوة من الصورة المجموعة وهذا مثال لما ذكره الشافعي من أن المرسل يعتضد بمرسل آخر أو مسند و في الباب أيضا عن عثمان في صفة الوضوء قال ومسح مقدم رأسه أخرجه سعيد بن منصور وفيه خالد بن يزيد بن أبي مالك مختلف فيه وصح عن ابن عمر الاكتفاء بمسح بعض الرأس قاله ابن المنذر وغيره ولم يصح عن احد من الصحابة انكار ذلك قاله ابن حزم قاله الحافظ ابن حجر وهذا كله مما يقوى به المرسل المتقدم ذكره انتهى واختلف في القدر الواجب في مسح الرأس فذهب الشافعي وجماعة الى أن الواجب ما ينطلق عليه الاسم ولو شعرة واحدة أخذا باليقين وذهب مالك وأحمد وجماعة الى وجوب استيعابه أخذا بالاحتياط وقال أبو حنيفة في رواية الواجب ربعه لانه عليه الصلاة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع والله أعلم وعن طلحة بن مصرف عن أبيه عن جده قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتوضأ والماء يسيل من وجهه ولحيته على صدره فرأيته يفصل بين المضمضة والاستنشاق رواه أبو داود وعنه أيضا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فمضمض ثلاثا واستنشق ثلاثا من كف واحد رواه ابن ماجه وفي حديث مسلم أن عثمان دعا باناء فأفرغ على كفيه ثلاث مرات فغسلهما ثم أدخل يمينه في الاناء فمضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاث مرات وفي حديث عبد الله بن زيد عند البخاري ثم غسل ومضمض واستنشق من كف واحد ثم قال هكذا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النووي فيه أن السنة في المضمضة والاستنشاق ان يأخذ الماء لهما بيمينه قال وفي الافضل في كيفية المضمضة والاستنشاق خمسة أوجه الاصح يتمضمض و يستنشق بثلاث غرفات يتمضمض من كل واحدة ثم يستنشق والثاني يجمع بينهما بغرفة واحدة يتمضمض منها ثلاثا ثم يستنشق منها ثلاثا والثالث يجمع أيضا بغرفة ولكن يتمضمض منها ثم

يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق ثم يتمضمض منها ثم يستنشق والرابع يفصل بينهما بغرفتين فيتمضمض من احداهما ثلاثا ثم يستنشق من الاخرى ثلاثا والخامس يفصل بست غرفات يتمضمض بثلاث غرفات ثم يستنشق بثلاث غرفات قال والصحيح الاول وبه جاءت الاحاديث الصحيحة وقد ذهب الامام أحمد وأبو ثور الى وجوب الاستنشاق وهو أن يبلغ الماء الى خياشيمه مستدلين بقوله عليه الصلاة والسلام فى حديث أبى هريرة اذا توضأ أحدكم فليجعل فى أنفه ماء ثم ليستنثر لظاهر الامر وحمله الجمهور ومالك والشافعى وأهل الكوفة على الندب لقوله عليه الصلاة والسلام للاعرابى توضأ كما أمرك الله وليس فى الآية ذكر الاستنشاق والله أعلم وعند أبى داود كان عليه الصلاة والسلام يمسح الماقين وعن عثمان أنه صلى الله عليه وسلم كان يخلل لحيته رواه الترمذى وابن ماجه وعنده من حديث ابن عمر كان عليه الصلاة والسلام اذا توضأ عرك عارضيه بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها وعن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا توضأ أخذ كفا من ماء فيدخله تحت حنكه و يخلل به لحيته و يقول بهذا أمرنى ربى عز وجل رواه أبو داود وعن أبى رافع كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ حرك خاتمه رواه ابن ماجه والدارقطنى وضعفه وعن المستورد بن شداد كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ يدلك أصابع رجليه بخنصره رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وعن عائشة كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت اليسرى لخلائه وما كان من أذى وعن المغيرة بن شعبة أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر وأنه ذهب لحاجة له وأن المغيرة جعل يصب الماء عليه وهو يتوضأ رواه البخارى ومسلم وعن صفوان بن عسال صببت على النبى صلى الله عليه وسلم الماء فى السفر والحضر فى الوضوء رواه ابن ماجه وفى ذلك جواز استعانة الرجل بغيره فى صب الماء فى الوضوء من غير كراهة وكذا احضار الماء من باب أولى ولا دليل فى هذين الحديثين لجواز الاعانة بالمباشرة وقد روى الحاكم فى المستدرك من حديث الربيع بنت معوذ أنها قالت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بوضوء فقال اسكبى فسكبت عليه وهذا أصرح فى عدم الكراهة من الحديثين المذكورين لكونه فى الحضر ولكونه بصيغة الطلب والله أعلم وفى الترمذى من حديث معاذ بن جبل كان صلى الله عليه وسلم اذا توضأ مسح وجهه بطرف ثوبه وعن عائشة كانت له عليه الصلاة والسلام خرقة ينشف بها بعد الوضوء قال الترمذى هذا الحديث ليس بالقائم وأبو معاذ الراوى ضعيف عند أهل الحديث وقد احتج صلى الله عليه وسلم

ولم يتوضأ ولم يزد على غسل يديه رواه الدارقطني وأكل كتف شاة ثم صلى ولم يتوضأ رواه البخاري ومسلم والنسائي قال كان آخر الامرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الوضوء مما غيرت النار وشرب صلى الله عليه وسلم لبنا ولم يتمضمض ولم يتوضأ وصلى رواه أبوداود وأتى بالسويق فأمر به فثرى فأكل منه ثم قام الى المغرب فتمضمض رواه البخاري ومالك والنسائي وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام من النوم ربما توضأ وربما لم يتوضأ لان عينه تنام ولا ينام قلبه كما في البخاري وغيره وفيه دليل على ان النوم ليس حدثا بل مظنة الحدث فلو أحدث لعلم بذلك فتكون الخصوصية شعوره بالوقوع بخلاف غيره قال الخطابي وانما منع قلبه النوم ليعي الوحي الذي يأتيه في منامه

(الفصل الرابع في مسحه صلى الله عليه وسلم على الخفين)

اعلم انه قد صرح جمع من الحفاظ بأن المسح على الخفين متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة وقال ابن عبد البر لا أعلم أنه قد روى عن أحد من فقهاء السلف انكاره الا عن مالك مع ان الروايات الصحيحة عنه مصرحة باثباته وقد أشار الشافعي في الام الى انكار ذلك على المالكية والمعروف المستقر عندهم الآن قولان الجواز مطلقا وثانيهما للمسافر دون المقيم وهذا الثاني مقتضى ما في المدونة وبه جزم ابن الحاجب وقال ابن المنذر اختلف العلماء أيهما أفضل المسح على الخفين أو نزعهما وغسل الرجلين والذي أختاره أن المسح أفضل لاجل من طعن فيه من أهل البدع من الخوارج والروافض وقال النووي مذهب أصحابنا أن الغسل أفضل لكونه الاصل لكن بشرط أن لا يترك المسح قد تمسك من اكتفى بالمسح بقوله تعالى وأرجلكم عطفا على وامسحوا برؤسكم فذهب الى ظاهرها جماعة من الصحابة والتابعين وحكى عن ابن عباس في رواية ضعيفة والثابت عنه خلافه وعن عكرمة والشعبي وقتادة الواجب الغسل أو المسح وعن بعض أهل الظاهر يجب الجمع بينهما وحجة الجمهور الاحاديث الصحيحة من فعله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي ان شاء الله تعالى فانه بيان للمراد وأجابوا عن الآية بأجوبة منها انه قرىء وأرجلكم بالنصب عطفا على أيديكم وقيل انه معطوف على محل برؤسكم كقوله تعالى ياجبال أوبي معه والطير بالنصب وقيل المسح في الآية محمول على مشروعية المسح على الخفين فحملوا قراءة الجر على مسح الخفين وقراءة النصب على غسل الرجلين وحمل البيضاوي الجر على الجوار قال ونظيره كثير في القرآن كقوله تعالى عذاب يوم أليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة

والكسائي وقولهم جرجنب خرب ولقصاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على أنه ينبغي أن يقتصد في صب الماء عليهما ويغسل غسلا يقرب من المسح انتهى وعن المغيرة بن شعبة أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فتبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الغائط فحملت معه اداوة قبل الفجر فلما رجع أخذت أهريق على يديه من الاداوة فغسل يديه ووجهه وعليه جبة من صوف ذهب يحسر عن ذراعيه فضاق كم الجبة فأخرج يده من تحت الجبة وألقى الجبة على منكبيه وغسل ذراعيه ثم مسح بناصيته وعلى العمامة ثم أهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما ثم ركب وركبت الحديث رواه مسلم وعند الترمذي من حديث المغيرة أيضا أنه صلى الله عليه وسلم مسح على الخفين على ظاهرهما وعند أبي داود من حديثه أيضا ومسح عليه الصلاة والسلام على الجوربين والنعلين وعنه قال مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخفين فقلت يارسول الله نسيت فقال بل أنت نسيت بهذا أمرني ربي عز وجل رواه أبو داود وأحمد وعن عمرو بن أمية الضمري قال رأيته صلى الله عليه وسلم يمسح على عمامته وخفيه رواه البخاري وأحمد وقال علي بن أبي طالب جعل صلى الله عليه وسلم المسح على الخفين ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم رواه مسلم

(الفصل الخامس في تيممه صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن التيمم ثابت بالكتاب والسنة والاجماع وهو من خصائص هذه الامة وأجمعوا على أن التيمم لا يكون الا في الوجه واليدين سواء كان عن حدث أكبر أو عن حدث أصغر وسواء تيمم عن الاعضاء كلها أو بعضها واختلفوا في كيفيته فذهبنا ومذهب الاكثرين أنه لا بد من ضربتين ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين وعن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء رواه مسلم وفي رواية أبي امامة عند البخاري وجعلت الارض كلها لي ولامتي مسجدا وطهورا وهذا عام وحديث حذيفة خاص فينبغي أن يحمل العام عليه فتختص الطهورية بالتراب ومنع بعضهم الاستدلال بلفظ التربة على خصوصية التيمم بالتراب بأن قال تربة كل مكان ما فيه من تراب أو غيره وأجيب بأنه ورد في الحديث بلفظ التراب أخرجه ابن خزيمة وغيره وفي حديث علي وجعل لي التراب طهورا أخرجه أحمد والبيهقي باسناد حسن

وعن عمار قال رجل الى عمر بن الخطاب انى أجنبت فلم أصب الماء فقال عمار لعمر أما تذكر انا كنا فى سفر أنا وأنت فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتمكت فصليت فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال انما كان يكفيك هكذا وضرب النبى صلى الله عليه وسلم بكفيه الارض ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه رواه البخارى ومسلم واستدل بالنفخ على استحباب تخفيف التراب وسقوط استحباب التكرار فى التيمم لان التكرار يستلزم عدم التخفيف وعن أبى الجهيم بن الحارث ابن الصمة قال مررت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد على حتى قام الى جدار فحته بعصا كانت معه ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد على رواه البغوى فى شرح السنة وقال حديث حسن وهذا محمول على ان الجدار كان مباحا أو مملوكا لانسان كان يعرف رضاه

(الفصل السادس فى غسله صلى الله عليه وسلم)

والغسل بضم الغين اسم للاغتسال وقيل اذا أريد به الماء فهو مضموم وأما المصدر فيجوز فيه الضم والفتح رواه ابن سيدة وغيره وقيل المصدر بالفتح والاغتسال بالضم وقيل الغسل بالفتح فعل المغتسل وبالضم الماء الذى يغتسل به وبالكسر ما يجعل مع الماء كالاشنان وحقيقة الغسل جريان الماء على الاعضاء وحقيقة الاغتسال غسل جميع الاعضاء مع تمييز ما للعبادة عما للعادة بالنية و وجوب الغسل على الجنب مستفاد من قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا وقوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ففى الآية الاولى اجمال وهو قوله تعالى فاطهروا وبينه قوله فى الآية الثانية حتى تغتسلوا ويؤيده قوله تعالى فى الحائض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن المفسر باغتسلن اتفاقا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف على نسائه بغسل واحد رواه مسلم من حديث أنس وعن أبى رافع طاف صلى الله عليه وسلم ذات يوم على نسائه يغتسل عند هذه وعند هذه قال قلت له يا رسول الله الا تجعله غسلا واحدا آخرا قال هذا أزكى وأطيب وأطهر رواه أحمد وأبو داود والنسائى وقد أجمع العلماء على انه لا يجب الغسل بين الجماعين وأما الوضوء فاستحبه الجمهور وقال أبو يوسف انه لا يستحب وأوجبه ابن حبيب من المالكية وأهل الظاهر لحديث اذا أتى أحدكم أهله ثم اراد أن يعود فليتوضأ بينهما وضوأ رواه مسلم وحمله بعضهم على الوضوء اللغوى فقال المراد به غسل الفرج انتهى وقالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم توضأ كما يتوضأ

الصلاة ثم يدخل أصابعه فى الماء فيخلل بها أصول الشعر ثم يصب على رأسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على جسده كله رواه البخارى ويحتمل ان يكون غسلهما للتنظيف مما بهما ويحتمل ان يكون هو الغسل المشروع عند القيام من النوم ويدل عليه زيادة ابن عيينة فى هذا الحديث عن هشام قبل ان يدخلهما فى الاناء رواه الشافعى والترمذى وزاد أيضا ثم يغسل فرجه وكذا لمسلم وأبى داود وهى زيادة جليلة لان تقديم غسله يحصل به الامن من مسه فى اثناء الغسل ويحتمل أن يكون الابتداء بالوضوء قبل الغسل سنة مستقلة بحيث يجب غسل أعضاء الوضوء مع بقية الجسد ويحتمل أن يكتفى بغسلهما فى الوضوء عن اعادته وعلى هذا فيحتاج الى نية غسل الجنابة فى أول عضو وانما قدم أعضاء الوضوء تشريفا لها ولتحصل له صورة الطهارتين الصغرى والكبرى ونقل ابن بطال الاجماع على ان الوضوء لا يجب مع الغسل وهو مردود فقد ذهب جماعة منهم أبو ثور وداود وغيرهما الى أن الغسل لا ينوب عن الوضوء للمحدث وقوله فيخلل بها أصول الشعر أى شعر رأسه ويدل عليه رواية حماد بن سلمة عن هشام عند البيهقى يخلل بها شق رأسه الايمن فيتتبع بها أصول الشعر ثم يفعل بشق رأسه الايسر كذلك وقال القاضى عياض احتج به بعضهم على تخليل شعر اللحية فى الغسل اما لعموم قوله أصول الشعر وأما بالقياس على شعر الرأس وفائدة التخليل ايصال الماء الى الشعر والبشرة ومباشرة الشعر باليد ليحصل تعميمه بالماء وهذا التخليل غير واجب اتفاقا الا ان كان الشعر متلبدا بشئ يحول بين الماء وبين الوصول الى أصوله واختلف فى وجوب الدلك فلم يوجبه الاكثر ونقل عن مالك والمزنى وجوبه واحتج له ابن بطال بالاجماع على وجوب امرار اليد على أعضاء الوضوء عند غسلها فيجب ذلك فى الغسل قياسا لعدم الفرق بينهما وتعقب بأن جميع من لم يوجب الدلك أجازوا غمس اليد فى الماء للمتوضئ من غير امرار فبطل الاجماع وانتفت الملازمة وفى قوله فى هذا الحديث ثلاث غرفات استحباب التثليث فى الغسل قال النووى ولا نعلم فيه خلافا الا ما انفرد به الماوردى فانه قال لا يستحب التكرار فى الغسل قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى ومنه تخلصت ماذكرته قلت وكذا قال الشيخ أبو على السنجى وكذا قال القرطبى وقالت ميمونة وضعت له صلى الله عليه وسلم ماء للغسل فغسل يديه مرتين أو ثلاثا ثم أفرغ على شماله فغسل مذاكيره ثم مسح يده بالارض ثم مضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم أفاض على جسده ثم تحول عن مكانه فغسل قدميه رواه البخارى ولم يقيد فى هذه الرواية بعدد فيحمل على أقل مسمى الغسل

وهو مرة واحدة لان الاصل عدم الزيادة عليها وفيه مشروعية المضمضة والاستنشاق في غسل الجنابة لقوله ثم مضمض واستنشق وتمسك به الحنفية للقول بوجوبهما وتعقب بأن الفعل المجرد لا يدل على الوجوب الا اذا كان بيانا لمجمل تعلق به الوجوب وليس الامر هنا كذلك وعنها توضأ صلى الله عليه وسلم وضوءه للصلاة غير رجليه وغسل فرجه وما أصابه من الاذى ثم افاض عليه الماء ثم نحى رجليه فغسلهما رواه البخاري وفيه التصريح بتأخير الرجلين في وضوء الغسل الى آخره وهو مخالف لظاهر رواية عائشة ويمكن الجمع بينهما اما بحمل رواية عائشة على المجاز واما بحمله على حالة أخرى وبحسب اختلاف هاتين الحالتين اختلف نظر العلماء فذهب الجمهور الى استحباب تأخير غسل الرجلين وعن مالك ان كان المكان غير نظيف فالمستحب تأخيرهما والا فالتقديم وعند الشافعية في الافضل قولان قال النووي أصحهما ومشهورهما ومختارهما أنه يكمل وضوءه قال ولم يقع في شيء من طرق هذا الحديث التنصيص على مسح الرأس في هذا الوضوء وتمسك به المالكية لقولهم ان الوضوء للغسل لا يمسح فيه الرأس بل يكتفى عنه بغسلها وعن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنا فأفيض على رأسي ثلاثا وأشار بيديه كلتيهما رواه البخاري وفيه عن أبي هريرة قال أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياما فخرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام في مصلاه ذكر أنه جنب فقال لنا مكانكم ثم رجع فاغتسل ثم خرج الينا ورأسه يقطر فكبر فصلينا معه وقوله ذكر أي تذكر لا أنه قال ذلك لفظا وعلم الراوي بذلك من قرائن أو باعلامه له بعد ذلك وظاهر قوله فكبر الاكتفاء بالاقامة السابقة فيؤخذ منه جواز التخلل الكثير بين الاقامة والدخول في الصلاة وعنده أيضا من حديث ميمونة وضعت للنبي صلى الله عليه وسلم غسلا وسترته بثوب وصب على يديه فغسلهما ثم صب بيمينه على شماله فغسل فرجه فضرب بيده الارض فمسحها ثم غسلها فتمضمض واستنشق وغسل وجهه وذراعيه ثم صب على رأسه وأفاض على جسده ثم تنحى فغسل قدميه فناولته ثوبا فلم يأخذه فانطلق وهو ينفض يديه وقد استدل بعضهم بقولها فناولته ثوبا فلم يأخذه على كراهة التنشيف بعد الغسل ولا حجة فيه لانها واقعة حال تطرق اليها الاحتمال فيجوز أن يكون عدم الاخذ لامر آخر لا يتعلق بكراهة التنشيف بل لامر يتعلق بالخرقة أو غير ذلك قال المهلب يحتمل تركه الثوب لابقاء بركة الماء أو للتواضع أو لشيء رآه في الثوب من حرير أو وسخ وقد وقع عند أحمد في هذا الحديث عن الاعمش قال فذكرت

ذلك لابراهيم النخعي فقال لا بأس بالمنديل وانما رده مخافة أن يصير عادة وقال التيمي في شرحه في هذا الحديث دليل على انه كان ينشف ولولا ذلك لم تأته بالمنديل وقال ابن دقيق العيد نفضه الماء بيده يدل على أن لا كراهة في التنشيف لان كلا منهما ازالة وقال النووي اختلف أصحابنا فيه على خمسة أوجه أشهرها ان المستحب تركه وقيل مكروه وقيل مباح وقيل مستحب وقيل مكروه في الصيف مباح في الشتاء وفي هذا الحديث جواز نفض اليدين من ماء الغسل وكذا ماء الوضوء ولكن فيه حديث ضعيف أورده الرافعي وغيره ولفظه لا تنفضوا أيديكم في الوضوء فانها مراوح الشيطان قال ابن الصلاح لم أجده وتبعه النووي وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ للصلاة رواه البخاري وفيه رد على من حمل الوضوء هنا على التنظيف وقولها وتوضأ للصلاة أي وضوءا كالصلاة أي وضوءا شرعيا لا لغويا وليس المراد أنه توضأ لاداء الصلاة والحكمة فيه أنه يخفف الحدث ولاسيما على القول بجواز تفريق الغسل فينويه فيرتفع الحدث عن تلك الاعضاء المخصوصة على الصحيح ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبة بسند رجاله ثقات عن شداد بن أوس الصحابي قال اذا أجنب أحدكم من الليل ثم أراد أن ينام فليتوضأ فانه نصف غسل الجنابة وقيل الحكمة فيه أنه أحد الطهارتين فعلى هذا يقوم التيمم مقامه وقد روى البيهقي باسناد حسن عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أجنب وأراد أن ينام توضأ أو تيمم ويحتمل ان يكون التيمم هنا عند عسر وجود الماء وقيل غير ذلك انتهى ملخصا من فتح الباري

﴿النوع الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم﴾

اعلم ان بالصلاة يحصل تحقيق العبودية وأداء حق الربوبية وسائر العبادات وسائل الى تحقيق سر الصلاة وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على أهل السموات فلله ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع الى يوم القيامة وهكذا السجود والقيام والقعود واجتمع فيها أيضا من العبادات ما لم يجتمع في غيرها منها الطهارة والصمت واستقبال القبلة والاستفتاح بالتكبير والقراءة والقيام والركوع والسجود والتسبيح في الركوع والدعاء في السجود الى غير ذلك فهي مجموع عبادات عديدة لان الذكر بمجرده عبادة والقراءة بمجردها عبادة وكذا كل فرد فرد وقد أمر الله تعالى نبيه بالصلاة في قوله أتل ما أوحي اليك من الكتاب وأقم الصلاة وقال تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها وفي ذلك كما نبه عليه صاحب كتاب التنوير أمدنا الله بمدده اشارة الى أن

فى الصلاة تكليف النفوس شاقا عليها لانها تأتى فى أوقات ملاذ العباد واشغالهم فيطالبهم بالخروج عن ذلك كله الى القيام بين يديه والفراغ مما سوى الله تعالى فلذلك قال تعالى واصطبر عليها قال ومما يدل على أن فى القيام بالصلاة تكاليف العبودية وأن القيام بها على خلاف ما تقتضيه البشرية قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين فجعل الصبر والصلاة مقترنين اشارة الى انه يحتاج فى الصلاة الى الصبر صبر على ملازمة أوقاتها وصبر على القيام بمتوفاتها وواجباتها وصبر يمنع القلوب فيها عن غفلاتها ولذلك قال تعالى بعد ذلك وانها لكبيرة الا على الخاشعين فافرد الصلاة بالذكر ولم يفرد الصبر اذ لو كان كذلك لقال وانه لكبير فذلك يدل على ما قلنا أولان الصبر والصلاة مقترنان مثلا زمان فكان أحدهما هو عين الآخر كما قال تعالى فى الآية الاخرى والله ورسوله أحق أن يرضوه انتهى ملخصا ثم ان الكلام فيها ينقسم الى خمسة أقسام القسم الاول فى الفرائض وما يتعلق بها وفيه أبواب الاول فى الصلوات الخمس وفيه فصول الاول فى فرضها عن أنس قال فرضت على النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به خمسون صلاة ثم نقصت حتى جعلت خمسا ثم نادى يا محمد انه لا يبدل القول لدى وأن لك بهذه الخمس خمسين رواه الترمذى هكذا مختصرا ورواه البخارى ومسلم من حديث طويل تقدم فى مقصد الاسراء مع ما فيه من المباحث وعن ابن عباس قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين وفى الخوف ركعة رواه مسلم وأبو داود والنسائى وقوله فى الخوف ركعة محمول على ان المراد ركعة مع الامام وينفرد بالاخرى وعن عائشة فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين ثم أتمها فى الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الاولى رواه البخارى وعنده فى كتاب الهجرة من طريق معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر صلى الله عليه وسلم ففرضت أربعا فعين فى هذه الرواية ان الزيادة فى قوله فى الحديث الذى قبله وزيد فى صلاة الحضر وقعت بالمدينة وقد أخذ بظاهر هذا الحديث الحنفية وبنوا عليه ان القصر فى السفر عزيمة لا رخصة واحتج مخالفوهم بقوله تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة لان نفى الجناح لا يدل على العزيمة والقصر انما يكون فى شىء أطول منه ويدل على انه رخصة أيضا قوله عليه الصلاة والسلام صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم واما خبر فرضت الصلاة ركعتين أى فى السفر فمعناه لمن أراد الاقتصار عليهما جمعا بين الاخبار قاله فى المجموع

(الفصل الثاني في ذكر تعيين الاوقات التي صلى فيها صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس)

عن جابر أن جبريل عليه الصلاة والسلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه مواقيت الصلاة فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس وأتاه حين كان الظل مثل ظل شخصه فصنع كما صنع فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى العصر ثم أتاه جبريل حين وجبت الشمس فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى المغرب ثم أتاه حين غاب الشفق فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى العشاء ثم أتاه حين انشق الفجر فتقدم جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه والناس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الغداة ثم أتاه في اليوم الثاني حين كان ظل الرجل مثل شخصه فصنع كما صنع بالامس فصلى الظهر ثم أتاه حين كان ظل الرجل مثلي شخصه فصنع كما صنع بالامس فصلى العصر ثم أتاه حين وجبت الشمس فصنع كما صنع بالامس فصلى المغرب ثم أتاه حين غاب الشفق فصنع كما صنع بالامس فصلى العشاء ثم أتاه حين امتد الفجر وأصبح والنجوم بادية مشتبكة وصنع كما صنع بالامس فصلى الغداة ثم قال ما بين هاتين الصلاتين وقت رواه النساءى وفي رواية قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر حين زالت الشمس وكان الفيء قدر الشراك ثم صلى العصر حين كان الفيء قدر الشراك وظل الرجل مثله ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين طلع الفجر ثم صلى الغداة أي الظهر حين كان الظل طول الرجل ثم صلى العصر حين كان ظل الرجل مثليه ثم صلى المغرب حين غابت الشمس ثم صلى العشاء الى ثلث الليل أو نصف الليل شك أحد رواته ثم صلى الفجر فأسفر وعن ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم أمني جبريل عند البيت مرتين فصلى بي الظهر في الاولى حين كان الفيء مثل الشراك ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثله ثم صلى المغرب حين وجبت الشمس وأفطر الصائم ثم صلى العشاء حين غاب الشفق ثم صلى الفجر حين برق الفجر وحرم الطعام على الصائم وصلى المرة الثانية الظهر حين كان ظل كل شيء مثله كوقت العصر بالامس ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثليه ثم صلى

المغرب كوقت الاولى ثم صلى العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين أسفر ثم التفت الى جبريل فقال يا محمد هذا وقت الانبياء من قبلك والوقت فيما بين هذين الوقتين رواه الترمذي وغيره وقوله صلى بي الظهر حين كان ظل كل شيء مثله أي فرغ منها حينئذ كما شرع في العصر في اليوم الاول وحينئذ فلا اشتراك بينهما في وقت ويدل له حديث مسلم وقت الظهر اذا زالت الشمس مالم تحضر العصر وقوله في حديث جابر فصلى الظهر حين زالت الشمس يقتضي جواز فعل الظهر اذا زالت الشمس ولا ينتظر بها وجوبا ولا ندبا مصير الفيء مثل الشراك كما اتفقت عليه أئمتنا ودلت عليه الاخبار الصحيحة واما حديث ابن عباس فالمراد به أنه حين زالت الشمس كان الفيء حينئذ مثل الشراك لأنه أخر الى ان صار مثل الشراك ذكره في المجموع وقد بين ابن اسحاق في المغازي ان صلاة جبريل به صلى الله عليه وسلم كانت صبيحة الليلة التي فرضت الصلاة فيها وهي ليلة الاسراء * ولفظه قال نافع بن جبير وغيره لما أصبح صلى الله عليه وسلم من الليلة التي أسرى به لم يرعه الا جبريل نزل حين زاغت الشمس ولذلك سميت الاولى أي صلاة الظهر فأمر فصيح بأصحابه الصلاة جامعة فاجتمعوا فصلى به جبريل وصلى النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه فذكر الحديث * وفيه رد على من زعم ان بيان الاوقات انما وقع بعد الهجرة والحق ان ذلك وقع قبلها ببيان جبريل وبعدها ببيان النبي صلى الله عليه وسلم وانما دعاهم بقوله الصلاة جامعة لان الاذان لم يكن شرع حينئذ واستدل بهذا الحديث على جواز الائتمام بمن يأتم بغيره ويجاب عنه بما يجاب عن قصة أبي بكر في صلاته خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصلاة الناس خلفه فانه محمول على أنه كان مبلغا فقط كما سيأتي تقريره ان شاء الله تعالى وقد صلى صلى الله عليه وسلم العصر والشمس في حجرة عائشة لم يظهر الفيء من حجرتها رواه البخاري ومسلم وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس مرتفعة حية فيذهب الذاهب الى العوالي فيأتيهم والشمس مرتفعة وبعض العوالي من المدينة على أربعة أميال رواه البخاري وفي ذلك دليل على تعجيله صلى الله عليه وسلم بصلاة العصر لوصف الشمس بالارتفاع بعد ان تمضي مسافة أربعة أميال والمراد بالشمس ضوءها وعن سلمة بن الاكوع أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي المغرب اذا غربت الشمس وتوارت بالحجاب رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن رافع بن خديج كنا نصلي المغرب معه صلى الله عليه وسلم فينصرف أحدنا وانه ليرى مواقع نبله رواه البخاري ومسلم والنبل بفتح النون السهام العربية أي

بعيد واقع سهامه اذا رمى بها ومقتضاه المبادرة بالمغرب فى أول وقتها بحيث ان الفراغ منها يقع والضوء باق وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان الحر أبرد بالصلاة واذا كان البرد عجل رواه النساءى من حديث أنس و يؤخر العصر مادامت الشمس بيضاء نقية رواه أبوداود من رواية على بن شيبان وقال عليه الصلاة والسلام اذا قدم العشاء فابدؤا به قبل صلاة المغرب ولا تعجلوا عن عشائكم رواه البخارى ومسلم وعند أبى داود لا تؤخروا الصلاة لطعام ولا غيره وأعتم صلى الله عليه وسلم بالعشاء ليلة حتى نادى عمر الصلاة نام النساء والصبيان فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما ينتظرها من أهل الارض أحد غيركم قال ولا تصلى يومئذ الا بالمدينة وكانوا يصلون فيما بين ان يغيب الشفق الى ثلث الليل الاول زاد فى رواية وذلك قبل ان يفشو الاسلام وفى رواية فخرج ورأسه تقطر ماء يقول لولا أن أشق على أمتى أو على الناس لامرتهم بالصلاة هذه الساعة رواه البخارى ومسلم وفى رواية أبى داود من حديث أبى سعيد فلم يخرج حتى مضى نحو من شطر الليل فقال خذوا مقاعدكم فأخذنا مقاعدنا فقال ان الناس قد صلوها وأخذوا مضاجعهم وانكم لن تزالوا فى صلاة ما انتظرتم الصلاة ولولا ضعف الضعيف وسقم السقيم لاخرت هذه الصلاة الى شطر الليل وفى حديث أبى هريرة لولا أن أشق على أمتى لامرتهم ان يؤخروا العشاء الى ثلث الليل أو نصفه صححه الترمذى فعلى هذا من وجد به قوة على تأخيرها ولم يغلبه النوم ولم يشق على أحد من المأمومين فالتأخير فى حقه أفضل وقد قرر النووى ذلك فى شرح مسلم وهو اختيار كثير من أهل الحديث من الشافعية وغيرهم وقال الطحاوى يستحب الى الثلث وبه قال مالك وأحمد وأكثر الصحابة والتابعين وهو قول الشافعى فى الجديد وقال فى القديم التعجيل أفضل وكذا قال فى الاملاء وصححه النووى فى جماعة وقالوا انه مما يفتى به على القديم وتعقب بأنه ذكره فى الاملاء وهو من كتبه الجديدة والمختار من حيث الدليل أفضلية التأخير قاله فى فتح البارى

(الفصل الثالث فى ذكر كيفية صلاته صلى الله عليه وسلم وفيه فروع الاول)

فى صفة افتتاحه صلى الله عليه وسلم روى أبوداود أنه عليه الصلاة والسلام سمع بلالا يقيم الصلاة فلما قال قد قامت الصلاة قال أقامها الله وأدامها وكان صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير رواه عبد الرزاق من حديث عائشة وروى البخارى عن ابن عمر قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم افتتح التكبير فى الصلاة واستدل به على تعين لفظ التكبير دون غيره من ألفاظ التعظيم

وهو قول الجمهور ووافقهم أبو يوسف وعن الحنفية تنعقد بكل لفظ يقصد به التعظيم وقد روى البزار باسناد صحيح على شرط مسلم عن على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام الى الصلاة قال الله أكبر ولاحمد والنسائى من طريق واسع بن حبان انه سأل ابن عمر عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله أكبر كلما وضع ورفع وليعلم أن تكبيرة الاحرام ركن عند الجمهور وقيل شرط وهو مذهب الحنفية ووجه عند الشافعية وقيل سنة قال ابن المنذر ولم يقل به أحد غير الزهرى ولم يختلف أحد فى ايجاب النية فى الصلاة قال البخارى فى أواخر الايمان باب ما جاء فى قوله عليه الصلاة والسلام الاعمال بالنية فدخل فيه الايمان والوضوء والصلاة والزكاة وقال ابن القيم فى الهدى النبوى كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة قال الله أكبر ولم يقل شيأ قبلها ولا تلفظ بالنية ولا قال أصلى صلاة كذا مستقبل القبلة أربع ركعات اماما أو مأموما ولا أداء ولا قضاء ولا فرض الوقت قال وهذه عشر بدع لم ينقل عنه أحد قط باسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظة واحدة البتة بل ولا عن أحد من الصحابة ولا استحبه أحد من التابعين ولا الائمة الاربعة وقول الشافعى انها ليست كالصيام فلا يدخل أحد فيها الا بذكر أى تكبيرة الاحرام ليس الا وكيف يستحب الشافعى أمرا لم يفعله صلى الله عليه وسلم فى صلاة واحدة ولا أحد من أصحابه انتهى وعبارة الشافعى فى كتاب المناسك ولو نوى الاحرام بقلبه ولم يلب أجزأ وليس كالصلاة لان فى أولها نطقا واجبا هذا نصه وقد قال الشيخ أبو على السنجى فى شرح التلخيص وابن الرفعة فى المطلب والزركشى فى الديباج وغيرهم انما أراد الشافعى بذلك تكبيرة الاحرام فقط انتهى وبالجملة فلم ينقل أحد أنه عليه الصلاة والسلام تلفظ بالنية ولا علم أحدا من أصحابه التلفظ بها ولا أقره على ذلك بل المنقول عنه فى السنن أنه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وفى الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام لما علم المسيء صلاته قال له اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن فلم يأمره بالتلفظ بشىء قبل التكبير نعم اختلف العلماء فى التلفظ بها فقال قائلون هو بدعة لانه لم ينقل فعله وقال آخرون انه مستحب لانه عون على استحضار النية القلبية وعبادة اللسان كما انه عبودية القلب والافعال المنوية عبودية الجوارح وبنحو ذلك أجاب الشيخ تقى الدين السبكى والحافظ عماد الدين ابن كثير وأطنب ابن القيم فى غير الهدى فى رد الاستحباب وأكثر فى الاستدلال بما فى ذكره طول يخرجنا عن المقصود لاسيما والذى استقر عليه أصحابنا استحباب التلفظ بها وقاسه بعضهم على ما فى الصحيحين من حديث

أنس انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يلبي بالحج والعمرة جميعا يقول لبيك عمرة وحجا * وفي البخاري من حديث عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو بوادي العقيق أتاني الليلة آت من ربي فقال صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة وهذا تصريح باللفظ والحكم كما يثبت بالنص يثبت بالقياس لكن تعقب هذا بأنه عليه الصلاة والسلام قال ذلك في ابتداء احرامه تعليما للصحابة ما يهلون به ويقصدونه من النسك وامتثالا للامر الذي جاءه من ربه تعالى في ذلك الوادي ولقد صلى عليه الصلاة والسلام أكثر من ثلاثين ألف صلاة فلم ينقل عنه أنه قال نويت أصلي صلاة كذا وكذا وتركه سنة كما أن فعله سنة فليس لنا أن نسوي بين ما فعله وتركه فيأتي من القول في الموضع الذي تركه بنظير ما أتى به في الموضع الذي فعله والفرق بين الحج والصلاة أظهر من ان يقاس أحدهما على الآخر انتهى ما قاله هذا المتعقب فليتأمل * وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم يكبر فاذا أراد أن يركع فعل مثل ذلك فاذا رفع رأسه من الركوع فعل مثل ذلك وفي رواية واذا رفع رأسه من الركوع رفعهما كذلك أيضا * وقال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد وفي أخرى نحوه * وقال ولا يفعل ذلك حين يسجد ولا حين يرفع من السجود رواه البخاري ومسلم وعند أبي داود من حديث علقمة كان صلى الله عليه وسلم اذا قام من سجدتين كبر ورفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه كما صنع حتى افتتح وهو قطعة من حديث رواه أيضا الترمذي وكان يكبر في كل خفض ورفع رواه مالك وقال النووي أجمعت الامة على استحباب رفع اليدين عند تكبيرة الإحرام واختلفوا فيما سواها فقال الشافعي وأحمد وجمهور العلماء من الصحابة يستحب أيضا رفعهما عند الركوع وعند الرفع منه وهو رواية عن مالك وللشافعي قول أنه يستحب رفعهما في موضع رابع وهو اذا قام من التشهد الاول وهذا القول هو الصواب فقد صح فيه حديث ابن عمر عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعله رواه البخاري وكان صلى الله عليه وسلم يضع يده اليمنى على اليسرى رواه أبو داود ومذهب الشافعي والاكثرين أن المصلي اذا وضع يديه جعلهما تحت صدره فوق سرته * وقال أبو حنيفة وبعض الشافعية تحت سرته وكان عليه الصلاة والسلام يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة فقال له أبو هريرة يا رسول الله بأبي أنت وأمي اسكاتتك بين التكبير وبين القراءة ما تقول قال أقول اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الابيض من الدنس اللهم اغسل

خطاياى بالماء والثلج والبرد رواه البخارى ومسلم * وعن على كان صلى الله عليه
وسلم اذا قام الى الصلاة وفى رواية اذا افتتح الصلاة كبر ثم قال وجهت وجهى
للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ان صلاتى ونسكى
ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين اللهم
أنت الملك لا اله الا أنت أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى
فاغفر لى ذنوبى جميعا لا يغفر الذنوب الا أنت واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى
لاحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها الا أنت لبيك وسعديك
والخير كله فى يديك والشر ليس اليك أنا بك واليك وأتوب اليك تباركت ربنا
وتعاليت أستغفرك وأتوب اليك الحديث رواه مسلم * وعن عائشة كان صلى الله
عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك رواه الترمذى وأبو داود * وعن جبير بن مطعم انه رأى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصلى صلاة قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله
بكرة وأصيلا أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه * قال ابن عمر نفخه
الكبر ونفثه الشعر وهمزه المؤتة رواه أبو داود وعن محمد بن مسلمة قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام يصلى تطوعا قال الله أكبر وجهت وجهى
للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وذكر الحديث مثل حديث
جابر الا أنه قال وأنا من المسلمين ثم قال اللهم أنت الملك لا اله الا أنت سبحانك
وبحمدك ثم يقرأ رواه النسائى

(الفرع الثانى فى ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم البسملة فى أول الفاتحة)
روى عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله
الرحمن الرحيم رواه أبو داود وقال الترمذى ليس اسناده بذاك ورواه الحاكم
عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن
الرحيم ثم قال صحيح وفى صحيح ابن خزيمة عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرأ البسملة أول الفاتحة فى الصلاة وعدها آية لكنه من رواية عمر بن هارون
البلخى وفيه ضعف عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عنها * وروى الحافظ أبو بكر
أحمد بن موسى بن مردويه فى تفسيره عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الحمد لله رب العالمين سبع آيات بسم الله الرحمن الرحيم احداهن وهى
السبع المثانى والقرآن العظيم وهى أم الكتاب ورواه الدارقطنى عن أبى هريرة
مرفوعا بنحوه أو مثله وقال رواته كلهم ثقات وروى البيهقى عن على وابن عباس

وأبى هريرة انهم فسروا قوله سبعا من المثانى بالفاتحة وأن البسملة هى الآية السابعة منها * وعن شعبة عن قتادة عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين رواه البخارى أى كانوا يفتتحون بالفاتحة * وفى رواية مسلم فلم أسمع أحدا منهم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم كذا أخرجه مسلم وغيره لكنه حديث معلول أعله الحفاظ كما هو فى كتب علوم الحديث * وفى شرح ألفية العراقى لشيخنا الحافظ أبى الخير السخاوى امتع الله بوجوده فى باب العلل مانصه وعلة المتن القادحة فيه كحديث نفى قراءة البسملة فى الصلاة المروى عن أنس اذ ظن راو من رواته حين سمع قول أنس صليت خلف النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين نفى البسملة فنقله مصرحا بما ظنه وقال لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم فى أول القراءة ولا فى آخرها * وفى لفظ فلم يكونوا يفتتحون القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم وصار بمقتضى ذلك حديثا مرفوعا والراوى لذلك مخطىء فى ظنه ولذا قال الشافعى رحمه الله فى الام ونقله عنه الترمذى فى جامعه المعنى أنهم يبتدؤن بقراءة أم القرآن قبل ما يقرأ بعدها لا أنهم يتركون البسملة أصلا ويتأيد بثبوت تسمية أم القرآن بجملة الحمد لله رب العالمين فى صحيح البخارى وكذا بحديث قتادة قال سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم كذا أخرجه البخارى فى صحيحه وكذا صححه الدارقطنى والحازمى وقال انه لا علة له لان الظاهر كما أشار اليه أبو شامة أن قتادة لما سأل أنسا عن الاستفتاح فى الصلاة بأى سورة وأجابه بالحمد لله سأله عن كيفية قراءته فيها ولانه لم يراه ابهام السائل مانعا من تعيينه بقتادة خصوصا وهو السائل أولا وقد أخرج ابن خزيمة فى صحيحه وصححه الدارقطنى أن أبا مسلمة سعيد بن يزيد سأل أنسا أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح بالحمد لله أو ببسم الله فقال لا أحفظ فيه شيأ قال وهذا مما يتأيد به خطأ النافى ولكن قد روى هذا الحديث عن أنس جماعة منهم حميد وقتادة والتحقيق أن المعل رواية حميد خاصة اذ رفعها وهم من الوليد بن مسلم عن مالك عنه بل ومن بعض أصحاب حميد عنه فانها فى سائر الموطئات عن مالك صليت وراء أبى بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لا ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم فيه وكذا الذى عند سائر حفاظ أصحاب حميد عنه انما هو فى الوقف خاصة وبه صرح ابن معين عن ابن أبى عدى حيث قال ان حميدا كان اذا رواه عن أنس لم يرفعه واذا قال فيه

عن قتادة عن أنس ونحوه وأما رواية قتادة وهي من رواية الوليد وغيره عن الاوزاعي
أن قتادة كتب اليه يخبره ان أنسا حدثه قال صليت فذكره بلفظ لا يذكرون
بسم الله الرحمن الرحيم لا في أول قراءة ولا في آخرها فلم يتفق أصحابه عنه على هذا
اللفظ بل أكثرهم لا ذكر عندهم للنفي فيه وجماعة منهم بلفظ فلم يكونوا يجهرون
ببسم الله الرحمن الرحيم ومن اختلف عليه فيه من أصحابه شعبة فجماعة منهم
غندر لا ذكر عندهم فيه للنفي وأبو داود الطيالسي فقط حسبما وقع من طريق غير
واحد عنه بلفظ فلم يكونوا يفتتحون القراءة ببسم الله وهي موافقة للاوزاعي
وأبو عمرو الدوري وكذا الطيالسي وغندر أيضا بلفظ فلم أسمع أحدا منهم يقرأ ببسم
الله بل كذا اختلف غير قتادة من أصحاب أنس فاسحق بن أبي طلحة وثابت
البناني باختلاف عليهما ومالك بن دينار ثلاثتهم عن أنس بدون نفي واسحاق وثابت
أيضا ومنصور بن زاذان وأبو قلابة وأبو نعامة كلهم عنه بالنفي اما في الجهر خاصة وهو لفظ
اسحاق منهم يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين فيما يجهر فيه وحينئذ فطريق
الجمع بين هذه الروايات كما قال شيخنا يعني شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله ممكن
بحمل نفي القراءة على نفي السماع ونفي السماع على نفي الجهر ويؤيده ان لفظ رواية
منصور بن زاذان فلم يسمعنا قراءة بسم الله وأصرح منها رواية الحسن عن انس
كما عند ابن خزيمة كانوا يسرون ببسم الله وبهذا الجمع زالت دعوى الاضطراب
كما انه ظهر أن الاوزاعي الذي رواه عن قتادة بمكاتبة مع أن قتادة ولد أكمه وكاتبه
مجهول لعدم تسميته لم ينفرد به وحينئذ فيجاب عن قول أنس لا أحفظه بأن المثبت
مقدم على النافي خصوصا وقد تضمن النفي عدم استحضار أنس رضي الله عنه لاهم
شيء يستحضره وبامكان نسيانه حين سؤال ابي مسلمة له وتذكره له بعد فانه ثبت
ان قتادة أيضا سأله أيقرأ الرجل في الصلاة بسم الله فقال صليت وراء رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله ويحتاج اذا استقر
عمل حديث أنس على نفي الجهر الى دليل له وان لم يكن من مباحثنا وقد ذكر له
الشارح دليلا وأرشد شيخنا يعني الحافظ ابن حجر لما يؤخذ منه ذلك بل قال ان قول
نعيم المجمر صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن حتى
بلغ ولا الضالين وقال الناس آمين وكان كلما سجد واذا قام من الجلوس في الاثنتين
يقول الله أكبر ويقول اذا سلم والذي نفسي بيده اني لاشبهكم صلاة برسول الله
صلى الله عليه وسلم أصح حديث ورد فيه ولا علة له وممن صححه ابن خزيمة وابن
حبان ورواه النسائي والحاكم وقد بوب عليه النسائي الجهر ببسم الله الرحمن

الرحيم

الرحيم ولكن تعقب الاستدلال به لاحتمال أن يكون أبوهريرة أراد بقوله أشبهكم في معظم الصلاة لا في جميع أجزائها الاسيما وقد رواه عنه جماعة غير نعيم بدون ذكر البسملة وأجيب بأن نعيما ثقة فزيادته مقبولة والخبر ظاهر في جميع الأجزاء فيحمل على عمومه حتى يثبت دليل يخصه ومع ذلك فيطارقه أن يكون سماع نعيم لها من أبي هريرة حال مخافتته لقربه منه * وقد قال فخر الدين الرازي في تصنيف له في الفاتحة روى الشافعي باسناده وكذا رواه الحاكم في مستدركه أن معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض الى الركوع والسجود فلما سلم المهاجرون والانصار قالوا يا معاوية سرقت الصلاة أين بسم الله الرحمن الرحيم أين التكبير عند الركوع والسجود فأعاد الصلاة مع التسمية والتكبير * ثم قال الشافعي وكان معاوية سلطانا عظيم القوة شديد الشوكة فلولا ان الجهر بالتسمية والتكبير كان كالامر المقرر عند كل الصحابة من المهاجرين والانصار لما قدروا على اظهار الانكار عليه بسبب تركه انتهى وهو حديث حسن أخرجه الحاكم في صحيحه والدارقطني وقال ان رجاله ثقات ثم قال الامام بعد وقد بينا ان هذا يعني الانكار المتقدم يدل على ان الجهر بهذه الكلمة كالامر المتواتر فيما بينهم وكذا قال الترمذي عقب ايراده بعد ان ترجم بالجهر بالبسملة حديث معتمر بن سليمان عن اسماعيل بن حماد بن أبي سليمان عن أبي خالد الوالبي الكوفي ابن عباس * قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ووافقه على تخريجه الدارقطني وأبو داود وضعفه بل وقال الترمذي ليس اسناده بذاك والبيهقي في المعرفة واستشهد له بحديث سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم بمثلها صوته الحديث وهو عند الحاكم في مستدركه أيضا ثم انه وقد قال بهذا عدة من أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم أبو هريرة وابن عمر وابن الزبير ومن بعدهم من التابعين رووا الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وبه يقول الشافعي انتهى وقال الشيخ أبو امامة ابن النقاش والذي يروم تحقيق هذه المسألة ينبغي أن يعرف ان هذه المسئلة بعلم القراآت أمس وذلك أن من القراء الذين صحت قراءتهم وتواترت عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان يقرأ بها آية من الفاتحة وهم حمزة وعاصم والكسائي وابن كثير وغيرهم من الصحابة والتابعين ومنهم من لا يعدها آية من الفاتحة كابن عامر وأبي عمرو ونافع في رواية عنه وحكم قراءتها في الصلاة حكم قراءتها خارجها

فى قرأ على قراءة من جعلها من أم القران لزمه فرضا ان يقرأ بها ومن قرأ على قراءة من لم يرها من أم القران فهو مخير بين القراءة والترك فحينئذ الخلاف فيها كالخلاف فى حرف من حروف القرآن وكلا القولين صحيح ثابت لامطعن على مثبته ولا على منفيه ولا ريب أن النبى صلى الله عليه وسلم تارة قرأ بها وتارة لم يقرأ بها هذا هو الانصاف ثم قال والمستيقن الذى يجب المصير اليه ان كلا من العملين ثابت لانه لا يختلف اثنان من أهل الاسلام ان هذه القرآت السبع كلها حق مقطوع بها من عند الله وليست هذه أول كلمة ولا أول حرف اختلف فى اثباته وحذفه وقل سورة من القران ليس فيها ذلك كلفظ هو فى سورة الحديد هو الغنى الحميد ولفظ من فى سورة التوبة فى قوله تعالى جنات تجرى من تحتها الانهار والفات عديدة وواوات وهاآت كذلك وكل هذا من نتيجة كون القرآن نزل على سبعة أحرف وهذا هو الذى يدلك على بطلان قول من لم يجعلها من الفاتحة لموضع اختلاف الناس فيها وقوله ان الاختلاف لا يثبت معه قران فما أدرى ماهذا الظن وهذا الذى ذكرناه هو الذى يريحك من تلك التقريرات من الجانبين * ثم قال ولا ريب ان الواقع من النبى صلى الله عليه وسلم كلا الامرين من الجهر والاسرار فجهر واسر غير ان أسراره كان أكثر من جهره وقد صح فى الجهر أحاديث كما انه قد صح فى الاسرار بها أحاديث لامطعن فيها لعار من العصبية ولا يلتفت لقول من يقول ان الواقع من النبى صلى الله عليه وسلم كان الجهر فقط انتهى وقيل لبعض العارفين بماذا ترى ظهر اسم الامام الشافعى وغلب ذكره فقال أرى ذلك باظهارها واسم الله فى البسملة لكل صلاة انتهى

(الفرع الثالث فى ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم الفاتحة وقوله آمين بعدها)

كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين ومد بها صوته * وفى رواية وخفض بها صوته رواه الترمذى وفى رواية أبى داود ورفع بها صوته * وفى رواية له جهر بآمين وقال ابن شهاب وكان صلى الله عليه وسلم اذا قال ولا الضالين جهر بآمين أخرجه السراج ولابن حبان من رواية الزبيدى عن ابن شهاب كان اذا فرغ من قراءة أم القرآن رفع صوته وقال آمين وللحميدى من طريق سعيد المقبرى عن أبى هريرة بنحوه بلفظ اذا قال ولا الضالين ولابى داود وصححه ابن حبان من حديث وائل بن حجر نحوه ورواية الزبيدى وفيه رد على من أومأ الى النسخ فقال انما كان صلى الله عليه وسلم يجهر بآمين فى ابتداء الاسلام

لديهم فان وائل بن حجر انما أسلم فى أواخر الامر

(الفرع الرابع فى ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم بعد الفاتحة فى صلاة الغداة)

عن أبى برزة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ فى صلاة الغداة مابين الستين الى المائة رواه النسائى وعن عمرو بن حريث أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر والليل اذا عسعس رواه مسلم * وفى رواية النسائى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ فى الفجر اذا الشمس كورت وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الفجر ق والقرآن المجيد ونحوها وكانت قراءته بعد تخفيفا رواه مسلم وعن عبد الله بن السائب قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم الصبح بمكة فاستفتح سورة المؤمنون حتى جاء ذكر موسى وهارون أوذكر عيسى شك الراوى أو اختلف عليه أخذت النبى صلى الله عليه وسلم سعلة فركع الحديث رواه مسلم قال النووى فيه جواز قطع القراءة وجواز القراءة ببعض السورة وكرهه مالك انتهى وتعقب بأن الذى كرهه مالك أن يقتصر على بعض السورة مختارا والمستدل به ظاهر فى أنه كان للضرورة فلا يرد عليه وكذا يرد على من استدل به على انه لا يكره قراءة بعض الآية أخذا من قوله حتى جاء ذكر موسى وهارون أوذكر عيسى لان كلا من الموضعين يقع فى وسط آية نعم الكراهة لاتثبت الابدليل وأدلة الجواز كثيرة وفى حديث زيد بن ثابت أنه صلى الله عليه وسلم قرأ الاعراف فى الركعتين وأم أبو بكر بالصحابة فى صلاة الصبح بسورة البقرة قرأها فى الركعتين وهذا اجماع منهم وقرأ فى الصبح اذا زلزلت فى الركعتين كلتيهما قال الراوى فلا أدرى أنسى أم قرأ ذلك عمدا رواه أبو داود وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ فى صبح الجمعة الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان حين من الدهر رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث أبى هريرة وانما كان يقرؤهما كاملتين وقراءة بعضهما خلاف السنة وانما كان يقرأهما لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق آدم ودخول الجنة والنار وأحوال يوم القيامة لان ذلك يقع يوم الجمعة ذكره ابن دحية فى العلم المشهور وقرره تقريرا حسنا كما أفاده ابن حجر قال وقد ورد فى حديث ابن مسعود التصريح بمداومته صلى الله عليه وسلم على قراءتهما فى صبح الجمعة أخرجه الطبرانى ولفظه يديم ذلك وأصله فى ابن ماجه لكن بدون هذه الزيادة ورجاله ثقات لكن صوب أبو حاتم ارساله قال وكان ابن دقيق العيد لم يقف عليه فقال فى الكلام على حديث الباب ليس فى الحديث مايقتضى فعل ذلك دائما اقتضاء قويا وهو كما قال بالنسبة لحديث الباب فان الصيغة ليست نصا

فى المداومة لكن الزيادة المذكورة نص فى ذلك ولهذه الزيادة شاهد من حديث ابن عباس عند الطبرانى بلفظ كل جمعة أخرجه الطبرانى فى الكبير ولما تعين السورة للركعة فورد من حديث على عند الطبرانى بلفظ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعة الاولى من صلاة الصبح يوم الجمعة الم تنزيل وفى الركعة الثانية هل أتى على الانسان وقد اختلف تعليل المالكية لكراهة قراءة السجدة فى الصلاة فقيل لكونها تشتمل على زيادة سجود فى الفرض قال القرطبى وهو تعليل فاسد بشهادة هذا الحديث وقيل لخشية التخليط على المصلين ومن ثم فرق بعضهم بين الجهرية والسرية لان الجهرية يؤمن معها التخليط لكن صح من حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة فيها سجدة فى صلاة الظهر فسجد بهم فيها رواه أبو داود والحاكم فبطلت التفرقة ومنهم من علل الكراهة بخشية اعتقاد العوام أنها فرض قال ابن دقيق العيد اما القول بالكراهة مطلقا فيأباه الحديث لكن اذا انتهى الحال الى وقوع هذه المفسدة فينبغى ان تترك احيانا لتندفع فان المستحب قد يترك لدفع المفسدة المتوقعة وهو يحصل بالترك فى بعض الاوقات انتهى وقال صاحب المحيط من الحنفية يستحب قراءتهما فى صبح يوم الجمعة بشرط ان يقرأ غير ذلك أحيانا لئلا يظن الجاهل أنه لا يجزى غيره قال الحافظ ابن حجر ولم أر فى شىء من الطرق التصريح بأنه صلى الله عليه وسلم سجد لما قرأ سورة الم فى هذا المحل الا فى كتاب الشريعة لابى داود من طريق أخرى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غدوت على النبى صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فى صلاة الفجر فقرأ سورة فيها سجدة فسجد الحديث وفى اسناده من ينظر فى حاله انتهى وعن على عند الطبرانى فى الاوسط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فى الصبح يوم الجمعة فى الم تنزيل وهذه الزيادة حسنة تدفع احتمال ان يكون قرأ السورة ولم يسجد

(الفرع الخامس فى ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم فى صلاتى الظهر والعصر)

عن أبى قتادة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الظهر فى الاوليين بأم الكتاب وسورتين وفى الركعتين الاخريين بأم الكتاب ويسمعنا الآية أحيانا ويطول فى الركعة الاولى مالا يطول فى الركعة الثانية وهكذا فى العصر وهكذا فى الصبح رواه البخارى ومسلم قال الشيخ تقى الدين السبكى كان السبب فى تطويله الاولى على الثانية أن النشاط فى الاولى يكون أكثر فناسب التخفيف فى الثانية حذرا من الملل انتهى * وروى عبد الرزاق عن معمر عن يحيى

في آخر هذا الحديث فظننا أنه يريد بذلك أن يدرك الناس الركعة الاولى وعن أبي سعيد الخدري قال كنا نحزر أي نقدر قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهر والعصر فحزرنا قيامه في الركعتين الاولين من الظهر قدر الم تنزيل السجدة وفي رواية في كل ركعة قدر ثلاثين آية وحزرنا قيامه في الاخريين قدر النصف من ذلك وحزرناه في الركعتين الاوليين من العصر على قدر قيامه في الاخريين من الظهر وفي الاخريين من العصر على النصف من ذلك رواه مسلم وعن جابر بن سمرة كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر بالليل اذا يغشى وفي رواية بسبح اسم ربك الاعلى وفي العصر نحو ذلك الحديث رواه مسلم وعنه كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق رواه أبو داود والترمذي وعن البراء كنا نصلي خلفه صلى الله عليه وسلم الظهر فنسمع منه الآية بعد الآيات من لقمان والذاريات رواه النسائي قال ابن دقيق العيد فيه جواز الاكتفاء بظاهر الحال في الاخبار دون التوقف على اليقين لان الطريق الى العلم بقراءة السورة في السرية لا يكون الا بسماع كلها وانما يفيد يقين ذلك لو كان في الجهرية وكأنه مأخوذ من سماع بعضها مع قيام القرينة على باقيها ويحتمل ان يكون الرسول صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم عقب الصلاة دائما أو غالبا بقراءة السورتين وهو بعيد جدا انتهى وعن أنس قرأ صلى الله عليه وسلم في الظهر بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية رواه النسائي وعن أبي سعيد كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضي حاجته ثم يأتي أهله فيتوضأ ويدرك النبي صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى رواه مسلم

(الفرع السادس في ذكر قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة المغرب)

عن أم الفضل بنت الحارث قالت سمعته صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفا رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي والنسائي وفي رواية انها الآخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصرح عقيل في روايته عن ابن شهاب أنها آخر صلاته صلى الله عليه وسلم ولفظه ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله تعالى أورده البخاري في باب الوفاة وعنده في باب انما جعل الامام ليؤتم به من حديث عائشة أن الصلاة التي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه في مرض موته كانت الظهر وجمع بينهما بأن الصلاة التي حكتها عائشة كانت في المسجد والتي حكتها أم الفضل كانت في بيته كما رواه النسائي لكن يعكر عليه رواية ابن اسحاق عن ابن شهاب في هذا الحديث بلفظ خرج الينا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عاصب رأسه فى مرضه فصلى المغرب الحديث رواه الترمذى ويمكن حمل قوله خرج لينا أى من مكانه الذى هو راقد فيه الى من فى البيت فصلى بهم فتلتئم الروايات وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور رواه البخارى ومسلم زاد البخارى فى الجهاد وكان جبير بن مطعم جاء فى أسارى بدر وزاد الاسماعيلى وهو يومئذ مشرك وللبخارى فى المغازى وذلك أول ما وقر الايمان فى قلبى وللطبرانى وأخذنى من قراءته الكرب ولسعيد بن منصور فكأنما صدع قلبى وفى قوله سمعته صلى الله عليه وسلم دليل على الجهر بها والله أعلم وعن مروان بن الحكم قال قال لى زيد ابن ثابت مالك تقرأ فى المغرب بقصار المفصل وقد سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ بطولى الطوليين رواه البخارى زاد أبو داود قلت وما طولى الطوليين قال الاعراف وفى رواية النساءى من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب بسورة الاعراف فرقها فى ركعتين * وعن عبد الله بن عتبة قرأ صلى الله عليه وسلم فى صلاة المغرب حم الدخان رواه النساءى وهذه الاحاديث فى القراءة مختلفة المقادير لان الاعراف من السبع الطوال والطور من طوال المفصل والمرسلات من أوساطه * قال الحافظ ابن حجر ولم أر حديثا مرفوعا فيه التنصيص على القراءة فيها بشىء من قصار المفصل الا حديثا فى ابن ماجه عن ابن عمر نص فيه على الكافرون والاخلاص ومثله لابن حبان عن جابر بن سمرة * فأما حديث ابن عمر فظاهر اسناده الصحة الا انه معلول قال الدارقطنى أخطأ بعض رواته فيه * وأما حديث جابر بن سمرة ففيه سعيد بن السماك وهو متروك والمحفوظ انه قرأ بهما فى الركعتين بعد المغرب واعتمد بعض أصحابنا وغيرهم حديث سليمان بن يسار عن أبى هريرة قال ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من فلان قال سليمان فكان يقرأ فى الصبح بطوال المفصل وفى المغرب بقصار المفصل رواه النساءى وصححه ابن خزيمة وغيره وهذا يشعر بالمواظبة على ذلك لكن فى الاستدلال به نظر نعم حديث رافع انهم كانوا ينتفلون بعد صلاة المغرب يدل على تخفيف القراءة فيها وطريق الجمع بين هذه الاحاديث أنه صلى الله عليه وسلم كان أحيانا يطيل القراءة فى المغرب اما لبيان الجواز واما لعلمه بعدم المشقة على المأمومين وليس فى حديث جبير دليل على أن ذلك تكرر منه * وأما حديث زيد بن ثابت ففيه اشعار بذلك لكونه أنكر على مروان المواظبة على القراءة بقصار المفصل ولو كان مروان يعلم أن النبى صلى

الله عليه وسلم واظب على ذلك لاحتج به على زيد لكن لم يرد زيد منه فيما يظهر المواظبة على القراءة بالطوال وانما أراد منه ان يتعاهد ذلك كما رآه من النبي صلى الله عليه وسلم * وفي حديث أم الفضل اشعار بانه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصحة بأطول من المرسلات لكونه كان في حال شدة مرضه وهو مظنة التخفيف وهو يرد على أبي داود ادعاء نسخ التطويل في المغرب لانه روى عقب حديث زيد بن ثابت من طريق عروة أنه كان يقرأ في المغرب بالقصار * قال وهذا يدل على نسخ حديث زيد ولم يبين وجه الدلالة فكيف يصح دعوى النسخ وأم الفضل تقول ان آخر صلاة صلاها بهم قرأ بالمرسلات قال ابن خزيمة في صحيحه هذا من الاختلاف المباح فجائز للمصلي ان يقرأ في المغرب وفي الصلوات كلها بما أحب الا انه اذا كان اماما استحب له ان يخفف القراءة انتهى والراجح عند النووي أن المفصل من الحجرات الى آخر القرآن والله أعلم

(الفرع السابع في ذكر ما كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة العشاء)

عن البراء كان صلى الله عليه وسلم يقرأ في العشاء والتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه صلى الله عليه وسلم رواه البخاري ومسلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا أتى على آية عذاب وقف وتعوذ رواه الترمذي من حديث حذيفة وكان اذا قرأ سبح اسم ربك الاعلى قال سبحان ربي الاعلى رواه أحمد وأبو داود من رواية ابن عباس وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا أقسم بيوم القيامة فانتهى الى قوله أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات عرفا فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله رواه أبو داود والترمذي الى قوله وأنا على ذلك من الشاهدين وكان صلى الله عليه وسلم يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة وعنها سأله أبو هريرة ويسكت بعد الفاتحة ويسكت ثالثة بعد قراءة السورة وهي سكتة لطيفة جدا حتى يتراد اليه النفس ولم يكن يصل القراءة بالركوع وأما السكتة الاولى فانه كان يجعلها بقدر الاستفتاح وأما الثانية فلاجل قراءة المأموم الفاتحة فينبغي تطويلها بقدرها ذكره في زاد المعاد وعن سمرة بن جندب سكتتان حفظتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل في صلاته واذا فرغ من القراءة ثم قال بعد ذلك واذا قرأ ولا الضالين قال وكان يعجبه اذا فرغ من القراءة أن يسكت حتى يتراد اليه نفسه رواه الترمذي

(الفرع الثامن فى ذكر صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم)
عن أبى حميد الساعدى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه فذكر الحديث الى أن قال ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا يصوب رأسه ولا يقنع رواه أبو داود والدارمى

(الفرع التاسع فى مقدار ركوعه صلى الله عليه وسلم)
عن ابن جبير قال سمعت أنس بن مالك يقول ماصليت وراء أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى يعنى عمر بن عبد العزيز قال فحزرنا ركوعه عشر تسبيحات وسجوده عشر تسبيحات رواه أبو داود وعن البراء كان ركوع النبى صلى الله عليه وسلم وسجوده وبين السجدتين واذا رفع من الركوع ماخلا القيام والقعود قريبا من السواء رواه البخارى ومسلم قال النووى هذا الحديث محمول على بعض الاحوال والا فقد ثبت فى الحديث تطويل القيام فانه كان يقرأ فى الصبح بالستين آية الى المائة وفى الظهر بالم السجدة وأنه كانت تقام الصلاة فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضى حاجته ثم يرجع الى أهله فيتوضأ ثم يأتى المسجد فيدرك الركعة الاولى وأنه قرأ سورة المؤمنون حتى بلغ ذكر موسى وهارون وأنه قرأ فى المغرب بالطور والمرسلات وفى البخارى بالاعراف فكل هذا يدل انه كانت فى اطالة القيام أحوال بحسب الاوقات انتهى قال ابن القيم مراد البراء ان صلاته صلى الله عليه وسلم كانت معتدلة فكان اذا أطال القراءة أطال القيام والركوع والسجود واذا خفف خفف الركوع والسجود وتارة يجعل الركوع والسجود بقدر القيام وهديه عليه الصلاة والسلام الغالب تعديل الصلاة وتناسبها انتهى

(الفرع العاشر فى ذكر ما كان صلى الله عليه وسلم يقوله فى الركوع والرفع منه)
عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى يتأول القرآن رواه البخارى ومسلم ومعنى يتأول القرآن يعمل بما أمر به فى قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فكان صلى الله عليه وسلم يقول هذا الكلام البديع فى الجزالة المستوفى ما أمر به فى الآية وعنها كان صلى الله عليه وسلم يقول فى ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة والروح رواه البخارى وعن حذيفة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وكان صلى الله عليه

وسلم اذا رفع ظهره من الركوع قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد رواه مسلم * قال النووي يبدىء يعني المصلي بقوله سمع الله لمن حمده حين الشروع في الرفع من الركوع ويمده حتى ينتصب قائما ثم يشرع في ذكر الاعتدال وهو ربنا ولك الحمد الخ قال وفي هذا الحديث دلالة للشافعي وطائفة أنه يستحب لكل مصل من امام ومأموم ومنفرد أن يجمع بين سمع الله لمن حمده وربنا ولك الحمد في حال انتصابه في الاعتدال لانه ثبت أنه صلى الله عليه وسلم فعلهما جميعا وقد قال عليه الصلاة والسلام صلوا كما رأيتموني أصلي رواه البخاري انتهى وقال ابن القيم كان عليه الصلاة والسلام اذا استوى قائما قال ربنا ولك الحمد وربما قال ربنا لك الحمد وربما قال اللهم ربنا لك الحمد صح عنه ذلك كله واما الجمع بين اللهم والواو فلم يصح انتهى * قلت وقع في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة في رواية الاصيلي مرفوعا اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد فجمع بين اللهم والواو وهو يرد على ابن القيم كما ترى وقال الشيخ تقي الدين في شرح العمدة كأن اثبات الواو دال على معنى زائد لانه يكون التقدير ربنا استجب أو ما قارب ذلك ولك الحمد فيكون الكلام مشتملا على معنى الدعاء ومعنى الخبر واذا قيل باسقاط الواو دل على أحد هذين انتهى وقال ابن العراقي اسقاط الواو وحكاه عن الشافعي ابن قدامة وقال لان الواو للعطف وليس هنا شيء يعطف عليه وعن مالك وأحمد في ذلك خلاف وقال النووي كلاهما جاءت به روايات كثيرة والمختار انه على وجه الجواز وان الامرين جائزان ولا ترجيح لاحدهما على الآخر انتهى * وعن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع قال اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه مسلم قوله ملء السموات وملء الارض أي حمدا لو كان أجساما لملأ السموات والارض ومعنى سمع الله لمن حمده أي أجاب يعني ان من حمد الله تعالى متعرضا لثوابه استجاب الله له فأعطاه ما تعرض له فأنا أقول لك الحمد ليحصل ذلك وقوله أهل منصوب على النداء وقوله وكلنا لك عبد بالواو يعني أحق قول العبد لا مانع لما أعطيت الخ واعترض بينهما قوله وكلنا لك عبد ومثل هذا الاعتراض قوله تعالى قالت رب اني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى على قراءة من قرأ وضعت بفتح العين واسكان التاء والجد بفتح الجيم الغنى أي لا ينفع

ذا القيام ملك غناه وانما خدمه الايمان والطاعة وقيل غير ذلك والله أعلم وفى رواية ابن أبى أوفى عند مسلم كان صلى الله عليه وسلم يقول بعد قوله من شئ بعد اللهم طهرنى بالثلج والبرد والماء البارد

(الفرع الحادى عشر فى ذكر صفة سجوده صلى الله عليه وسلم وما يقول فيه)

كان صلى الله عليه وسلم اذا انتهى من ذكر قيامه عن الركوع يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع يديه وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام كان يرفع يديه أيضا وصححه بعض الحفاظ كابن حزم والذى غره ان الراوى غلط من قوله كان يكبر فى كل خفض ورفع الى قوله كان يرفع يديه فى كل خفض ورفع وهو ثقة ولم يفطن لسبب غلطه ووهم فصححه نبه عليه فى زاد المعاد وكان عليه الصلاة والسلام يضع يديه قبل ركبتيه رواه أبو داود ثم جبهته وانفه وقال أمرت أن أسجد على سبعة أعظم الجبهة واليدين والركبتين وأطراف القدمين رواه البخارى ومسلم من حديث ابن عباس قال النووى فينبغى للساجد أن يسجد على هذه الاعضاء كلها وان يسجد على الجبهة والانف جميعا فاما الجبهة فيجب وضعها مكشوفة على الارض ويكفى بعضها والانف مستحب فلو تركه جاز ولو اقتصر عليه وترك الجبهة لم يجز هذا مذهب الشافعى ومالك والاكثرين وقال أبو حنيفة عليهما معا الظاهر الحديث وقال الاكثرون بل ظاهر الحديث انهما فى حكم عضو واحد لانه قال فيه سبعة فلو جعلا عضوين لصارت ثمانية وكان عليه الصلاة والسلام اذا سجد فرج بين يديه حتى يبدو بياض ابطيه رواه الشيخان وقالت ميمونة جافى بين يديه حتى لو شاءت بهيمة ان تمر بين يديه لمرت رواه مسلم ولم يذكر عنه صلى الله عليه وسلم أنه سجد على كور عمامته ولم يثبت عنه ذلك فى حديث صحيح ولا حسن ولكن روى عبد الرزاق فى المصنف عن أبى هريرة كان صلى الله عليه وسلم يسجد على كور عمامته وهو من رواية عبد الله بن محرر وهو متروك وذكر أبو داود فى المراسيل أنه صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلى فسجد بجبينه وقد اعتم على جبهته فحسر صلى الله عليه وسلم عن جبهته وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى سجوده اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله أوله وآخره علانيته وسره رواه مسلم من حديث أبى هريرة وقوله دقه وجله بكسر أولهما أى قليله وكثيره * وعن عائشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى السجود وهما منصوبتان وهو يقول اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على

فلك نفسك رواه مسلم * قال الخطابي في هذا الحديث معنى لطيف وذلك أنه عليه الصلاة والسلام استعاذ بالله وسأله أن يجيره برضاه من سخطه وبمعافاته من عقوبته والرضى والسخط ضدان متقابلان وكذلك المعافاة والمعاقبة فلما صار الى ذكر ما لا ضد له وهو الله تعالى استعاذ به منه ومعناه الاستغفار من التقصير في بلوغ الواجب من حق عبادته والثناء عليه وقوله لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيقه ولا آتي عليه وقيل لا أحيط به وقال مالك لا أحصي نعمتك واحسانك والثناء بهما عليك وان اجتهدت في الثناء عليك وقوله أنت كما أثنيت على نفسك اعتراف بالعجز عن تفصيل الثناء فانه لا يقدر على بلوغ حقيقته ورد الثناء الى الجملة دون التفصيل والاحصاء والتعيين فوكل ذلك كله لله تعالى المحيط بكل شيء جملة وتفصيلا وكما أنه لا نهاية لصفاته لا نهاية للثناء عليه لان الثناء تابع للمثنى عليه فكل شيء أثنى به عليه وان كثر وطال وبولغ فيه فقدر الله أعظم وسلطانه أعز وصفاته أكثر وأكبر وفضله واحسانه أوسع وأسبغ انتهى وههنا فائدة لطيفة ذكرها بعض المحققين في نهيه صلى الله عليه وسلم عن قراءة القرآن في الركوع والسجود وهي ان القرآن أشرف الكلام وحالتا الركوع والسجود حالتا ذل وانخفاض من العبد فمن الادب مع كلام الله تعالى أن لا يقرأ في هاتين الحالتين وتكون حالة القيام والانتصاب أولى به والله أعلم وروى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم سجد على الماء والطين وكان صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه من السجود مكبرا غير رافع يديه ثم يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى وكان عليه الصلاة والسلام يجلس للاستراحة جلسة لطيفة بحيث تسكن جوارحه سكونا بينا ثم يقوم الى الركعة الثانية كما في صحيح البخاري وغيره قال النووي ومذهبنا استحبابها عقيب السجدة الثانية من كل ركعة يقوم عنها ولا تستحب في سجود التلاوة في الصلاة وكان عليه الصلاة والسلام يقول بين السجدتين اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني رواه أبو داود والدارمي من حديث ابن عباس

(الفرع الثاني عشر في ذكر جلوسه صلى الله عليه وسلم للتشهد)

كان صلى الله عليه وسلم اذا جلس للتشهد يفرش رجله اليسرى وينصب اليمنى رواه مسلم قال النووي معناه يجلس مفترشا وفيه حجة لابي حنيفة ومن وافقه أن الجلوس في الصلاة يكون مفترشا سواء فيه جميع الجلسات وعند مالك يسن متوركا بأن يخرج رجله اليسرى من تحته ويفضي بوركه الى الارض وقال الشافعي رحمه الله السنة ان يجلس كل الجلسات مفترشا الا الجلسة التي يعقبها السلام والجلسات

عند الشافعى أربع الجلوس بين السجدتين وجلسة الاستراحة فى كل ركعة يعقبها
قيام والجلسة للتشهد الاول والجلسة للتشهد الاخير والجميع يسن مفترشا
الا الاخيرة ولو كان على المصلى سجود سهو فالاصح أنه يجلس مفترشا فى تشهده فاذا
سجد سجدتى السهو تورك ثم سلم هذا تفصيل مذهب الشافعى واحتج أبو حنيفة
باطلاق حديث عائشة هذا واحتج الشافعى بحديث أبى حميد الساعدى فى صحيح
البخارى وفيه التصريح بالافتراش فى الجلوس الاول والتورك فى آخر الصلاة
وحمل حديث عائشة هذا على الجلوس فى غير التشهد الاخير ليجمع بين هذه
الاحاديث انتهى فليتأمل مع قول ابن القيم فى الهدى انه لم ينقل أحد عنه صلى الله
عليه وسلم ان هذا كان صفة جلوسه فى التشهد الاول ولا أعلم أحدا قال به
انتهى وقال أبو حميد الساعدى فى عشرة من أصحابه صلى الله عليه وسلم أنا أعلمكم
بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فاعرض فذكر الحديث الى أن قال حتى
اذا كانت السجدة التى فيها التسليم أخرج رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه
الايسر ثم سلم قالوا صدقت هكذا كان يصلى رواه أبو داود والدارمى وفى رواية لابى
داود فاذا قعد فى الركعتين قعد على بطن قدمه اليسرى ونصب اليمنى واذا كان
فى الرابعة أفضى بوركه اليسرى الى الارض وأخرج قدميه من ناحية واحدة
الحديث وكان عليه الصلاة والسلام اذا قعد فى التشهد وضع يده اليسرى على ركبته
اليسرى ووضع يده اليمنى على ركبته اليمنى وعقد ثلاثا وخمسين وأشار بالسبابة
وفى رواية مسلم وضع يده على ركبته ورفع أصبعه التى تلى الابهام ويدعو بها ويده
اليسرى على ركبته باسطها عليها وعند أبى داود من حديث وائل بن حجر حد مرفقه
اليمنى على فخذه اليمنى وقبض ثنتين وحلق حلقة ثم رفع أصبعه فرأيته يحركها
ويدعو وفى حديث ابن الزبير عنده أيضا كان يشير بها ولا يحركها الحديث وكان
صلى الله عليه وسلم يستقبل بأصابعه القبلة فى رفع يديه وركوعه وفى سجوده
وفى التشهد ويستقبل بأصابع رجليه القبلة فى سجوده

(الفرع الثالث عشر فى ذكر تشهده صلى الله عليه وسلم)

كان صلى الله عليه وسلم يتشهد دائما فى هذه الجلسة الاخيرة ويعلم أصحابه أن يقولوا
التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله رواه مسلم من رواية ابن عباس وهو الذى اختاره الشافعى لزيادة المباركات
لا تشهد ابن مسعود وان قاله القاضى عياض رحمه الله تعالى وعبارة الشافعى فيها

أخرجه البيهقي بسنده الى الربيع بن سليمان أخبرنا الشافعي جوابا لمن سأله بعد ذكر حديث ابن عباس فانا نرى الرواية اختلفت فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم * فروى ابن مسعود خلاف هذا فساق الكلام الى أن قال فلما رأيته واسعا وسمعته يعني حديث ابن عباس صحيحا ورأيته أكثر لفظا من غيره يعني من المرفوعات أخذت به غير معنف لمن أخذ بغيره هذا آخر كلامه وليس فيه تصريح بالافضلية والعلم عند الله * وقال أبو حنيفة وأحمد وجمهور الفقهاء وأهل الحديث تشهد ابن مسعود أفضل لانه عند المحدثين أشد صحة وقال مالك رحمه الله تشهد عمر بن الخطاب الموقوف عليه أفضل لانه علمه الناس على المنبر ولم ينازعه أحد فدل على تفضيله ومذهب الشافعي ان التشهد الاول سنة والثاني واجب وجمهور المحدثين أنهما واجبان وقال أحمد الاول واجب يجبر تركه بالسجود والثاني ركن تبطل الصلاة بتركه * وقال أبو حنيفة ومالك وجمهور الفقهاء هما سنتان * وعن مالك رواية بوجوب الاخير وقد كان عليه الصلاة والسلام يأتي بالتشهدين * وفي الغيلانيات عن القاسم بن محمد قال علمتني عائشة قالت هذا تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وهو مثل حديث ابن مسعود سواء رواه البيهقي باسناد جيد * قال النووي في هذا الحديث فائدة حسنة وهي ان تشهده عليه الصلاة والسلام بلفظ تشهدنا انتهى * قال الحافظ ابن حجر وكأنه يشير الى رد ما وقع في الرافعي أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول في التشهد وأشهد أني رسول الله وتعقبوه بأنه لم يرد كذلك صريحا نعم وقع في البخاري من حديث سلمة بن الاكوع قال خفت أزواد القوم فذكر الحديث وفيه فقال صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله * ومن لطائف التشهد ما قاله البيضاوي علمهم ان يفردوه صلى الله عليه وسلم بالذكر لشرفه ومزيد حقه عليهم فان قيل كيف يشرع هذا اللفظ وهو خطاب لبشر مع كونه منهيا عنه في الصلاة فالجواب أن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم * فان قلت ما الحكمة في العدول عن الغيبة الى الخطاب في قوله السلام عليك أيها النبي مع ان لفظ الغيبة هو الذي يقتضيه السياق كان يقول السلام على النبي فينتقل من تحية الله الى تحية النبي ثم الى تحية النفس ثم الى تحية الصالحين أجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذي علمه الصحابة ويحتمل ان يقال على طريق أهل المعرفة بالله

أن المصلين لما استفتحوا باب الملكوت بالتحيات أذن لهم في الدخول في حريم الحي الذي لا يموت فقرت أعينهم بالمناجاة فنبهوا على أن ذلك بواسطة نبي الرحمة وبركة متابعته فالتفتوا فاذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر فاقبلوا عليه قائلين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته انتهى وقال الترمذي الحكيم في قوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من أراد أن يحظى بهذا السلام الذي يسلمه الخلق في صلاتهم فليكن عبدا صالحا والا حرم هذا الفضل العظيم * وقال القفال في فتاويه وترك الصلاة يضر بجميع المسلمين لان المصلي يقول اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ولا بد ان يقول في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيكون التارك للصلاة مقصرا في خدمة الله وفي حق رسوله وفي حق نفسه وفي حق كافة المسلمين ولذلك عظمت المصيبة بتركها واستنبط منه السبكي أن في الصلاة حقا للعباد مع حق الله تعالى وأن من تركها أخل بجميع حق المؤمنين من مضى ومن يجيء الى يوم القيامة لوجوب قوله فيها السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين انتهى وتقدم الكلام على وجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الاخير وما في ذلك من المباحث في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وعند الطبراني مرفوعا عن سهل بن سعد لا صلاة لمن لم يصل على نبيه وكذا عند ابن ماجه والدارقطني * وعن أبي مسعود الانصاري عند الدارقطني من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه * وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تشهد أحدكم في الصلاة فليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم محمدا وآل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم واغتر قوم بتصحيحه فوهموا فانه من رواية يحيى بن أبي السباق وهو مجهول عن رجل مبهم وبالغ ابن العربي في انكار ذلك فقال حذار مما ذكره ابن أبي زيد من زيادته وترحم فانه قريب من البدعة لانه صلى الله عليه وسلم علمهم كيفية الصلاة بالوحي ففي الزيادة على ذلك استدراك عليه انتهى قال الحافظ ابن حجر وابن أبي زيد ذكر ذلك في الرسالة في صفة التشهد لما ذكر ما يستحب في التشهد ومنه اللهم صل على محمد وآل محمد فزاد وترحم على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد الخ فان كان انكاره ذلك لكونه لم يصح فسلم والا فدعوى من ادعى أنه لا يقال وارحم محمدا مردودة لثبوت ذلك في عدة أحاديث أصحها في التشهد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته قال ثم وجدت لابن أبي زيد مستندا فأخرج الطبري في تهذيبه من طريق حنظلة بن علي عن أبي هريرة رفعه

من قال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم شهدت له يوم القيامة وشفعت له ورجال سنده رجال الصحيح الا سعيد بن سليمان مولى سعيد بن العاص الراوي له عن حنظلة بن علي فانه مجهول وهذا كله فيما يقال مضموما الى السلام أو الصلاة وقد وافق ابن العربي الصيدلاني من الشافعية على المنع ونقل القاضي عياض عن الجمهور الجواز مطلقا وقال القرطبي في المفهم انه الصحيح لورود الاحاديث به وخالفه غيره ففي الذخيرة من كتب الحنفية عن محمد يكره ذلك لايهامه النقص لان الرحمة غالبا انما تكون لفعل ما يلام عليه وجزم ابن عبد البر بمنعه فقال لا يجوز لاحد اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول رحمه الله لانه عليه الصلاة والسلام قال من صلى علي ولم يقل من ترحم علي ولا من دعا لي وان كان معنى الصلاة الرحمة ولكنه خص بهذا اللفظ تعظيما له فلا يعدل عنه الى غيره انتهى * وأخرج ابو العباس السراج عن أبي هريرة انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد * وفي حديث بريدة رفعه اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على ابراهيم وعلى آل ابراهيم * ووقع في حديث ابن مسعود عند أبي داود والنسائي على محمد النبي الامي وفي حديث أبي سعيد على محمد عبدك ورسولك كما صليت على ابراهيم ولم يذكر آل محمد ولا آل ابراهيم وعند أبي داود من حديث أبي هريرة اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته ووقع في آخر حديث ابن مسعود في العالمين انك حميد مجيد قال النووي في شرح المهذب ينبغي أن يجمع ما في الاحاديث الصحيحة فيقول اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك مثله ويزيد في آخره في العالمين وقال في الاذكار مثله وزاد عبدك ورسولك بعد قوله محمد في صل ولم يزدها في وبارك وقال في التحقيق والفتاوى مثله الا أنه أسقط النبي الامي وقد تعقبه الاسنوي فقال لم يستوعب ما ثبت في الاحاديث مع اختلاف كلامه وقال الاذرعي لم يسبق الى ما قاله والاظهر ان الافضل لمن تشهد أن يأتي بأكمل الروايات ويقول كل ما ثبت هذا مرة وهذا مرة واما التلفيق فانه يستلزم احداث صفة في التشهد لم ترد مجموعة في حديث واحد وسبقه الى معنى ذلك ابن القيم * وقد كان صلى الله

عليه وسلم يدعو فى الصلاة اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات اللهم وأعوذ بك من المأثم والمغرم فقال له قائل ما أكثر ما تستعيذ من المغرم فقال ان الرجل اذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف رواه البخارى ومسلم من رواية عائشة قال ابن دقيق العيد فتنة المحيا ما يعرض للانسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات وأعظمها والعياذ بالله تعالى أمر الخاتمة عند الموت وفتنة الممات يجوز ان يراد بها الفتنة عند الموت أضيفت اليه لقربها منه ويجوز ان يكون المراد بها فتنة القبر ولا يكون مع هذا الوجه متكررا مع قوله عذاب القبر لان العذاب مرتب على الفتنة والسبب غير المسبب وروى الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن سفيان الثورى ان الميت اذا سئل من ربك تراءى له الشيطان فيشير الى نفسه انى أنا ربك فلهذا ورد سؤال التثبيت له حين يسأل وقد استشكل دعاؤه صلى الله عليه وسلم بما ذكر مع انه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأجيب بأجوبة منها انه قصد التعليم لامته ومنها ان المراد السؤال منه لامته فيكون المعنى هنا أعوذ بالله لامتى ومنها سلوك طريق التواضع واظهار العبودية والتزام خوف الله واعظامه والافتقار اليه وامتثال أمره فى الرغبة اليه ولا يمتنع تكرير الطلب مع تحقق الاجابة لان فى ذلك تحصيل الحسنات ورفع الدرجات وفيه تحريض لامته على ملازمة ذلك لانه اذا كان مع تحقق المغفرة لا يترك التضرع فمن لم يتحقق ذلك أحرى بالملازمة وأما الاستعاذة من فتنة الدجال مع تحققه أنه لا يدركه فلا اشكال فيه على الوجهين الاولين وقيل على الثالث يحتمل ان يكون ذلك قبل ان يتحقق عدم ادراكه ويدل عليه قوله فى الحديث الآخر عند مسلم ان يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه الحديث والله أعلم وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بعد التشهد اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة الدجال الاعور وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات رواه أبو داود وعن على بن أبى طالب أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول ما بين التشهد والتسليم اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت رواه مسلم وغيره * وفى رواية له واذا سلم قال اللهم اغفر لى ما قدمت الخ ويجمع بينهما بحمل الرواية الثانية على ارادة السلام لان مخرج الطريقين واحد وأورده ابن حبان بلفظ كان اذا فرغ من الصلاة وسلم وهذا ظاهر فى أنه بعد السلام ويحتمل أنه كان يقول ذلك قبل السلام وبعده وسيأتى

الجواب عما استشكل فى دعائه عليه الصلاة والسلام بهذا الدعاء فى أدعيته صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى وحاصل ماثبت عنه صلى الله عليه وسلم من المواضع التى كان يدعو بها فى داخل صلاته ستة مواطن الاول عقب تكبيرة الاحرام كما فى حديث أبى هريرة فى الصحيحين اللهم باعد بينى و بين خطاياى الحديث ونحوه * الثانى فى الركوع كما فى حديث عائشة عند الشيخين كان يكثر ان يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى * الثالث فى الاعتدال من الركوع كما فى حديث ابن أبى أوفى عند مسلم أنه كان يقول بعد قوله من شىء بعد اللهم طهرنى بالثلج والبرد والماء البارد * الرابع فى سجوده وهو أكثر ما كان يدعو فيه وأمر به * الخامس بين السجدتين اللهم اغفرلى الخ * السادس فى التشهد وكان أيضا يدعو فى القنوت وفى حال القراءة اذا مر بآية رحمة سأل واذا مر بآية عذاب استعاذ وتقدم كل ذلك والله أعلم

(الفرع الرابع عشر فى ذكر تسليمه صلى الله عليه وسلم من الصلاة)

كان صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن شماله حتى يرى بياض خده رواه مسلم والنسائى من حديث عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه وفى حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن يساره السلام عليكم ورحمة الله رواه الترمذى وزاد أبو داود حتى يرى بياض خده * وفى رواية النسائى حتى يرى بياض خده من ههنا وبياض خده من ههنا الحديث وهذا كان فعله الراتب رواه عنه خمسة عشر صحابيا * وهم عبد الله بن مسعود * وسعد بن أبى وقاص * وسهل ابن سعد * ووائل بن حجر * وأبو موسى الاشعرى * وحذيفة بن اليمان * وعمار بن ياسر * وعبد الله بن عمر * وجابر بن سمرة * والبراء بن عازب * وأبو مالك الاشعرى * وطلق بن على * وأوس بن أوس * وأبو ثور * وعدى بن عمرو * هذا مذهب الشافعى وأبى حنيفة وأحمد والجمهور ومذهب مالك فى طائفة المشروع تسليمة ودليل مذهبنا ماتقدم وأما ما روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه فلم يثبت من وجه صحيح وأجود ما فى ذلك حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة السلام عليكم يرفع بها صوته حتى يوقظنا وهو حديث معلول وهو فى السنن لكنه فى قيام الليل والذين رووا عنه التسليمتين رووا ما شاهدوا فى الفرض والنفل وحديث عائشة ليس هو صريحا فى الاقتصار على تسليمة واحدة بل أخبرت أنه كان يسلم تسليمة واحدة يوقظهم بها ولم تنف الاخرى بل سكتت

عنها وليس سكوتهم عنها مقدما على رواية من حفظها وضبطها وهم أكثر عددا وأحاديثهم أصح والله أعلم واختلف فى التسليم فقال مالك والشافعى وأحمد وجمهور العلماء انه فرض لاتصح الصلاة الا به وقال أبو حنيفة والثورى والاوزاعى سنة لو ترك صحت صلاته وقال أبو حنيفة لو فعل منافيا للصلاة من حدث أو غيره فى آخرها صحت صلاته واحتج بأنه عليه الصلاة والسلام لم يعلمه الاعرابى حين علمه واجبات الصلاة واحتج الجمهور بحديث أبى داود مفتاح الصلاة الطهور وتحليلها التسليم وكان صلى الله عليه وسلم اذا قام فى الصلاة طأطأ رأسه رواه أحمد وكان لايجاوز بصره اشارته وكان قد جعل الله قرة عينه فى الصلاة كما قال وجعلت قرة عينى فى الصلاة رواه النساءى ولم يكن يشغله عليه الصلاة والسلام ماهو فيه عن مراعاة أحوال المأمومين مع كمال اقباله وقربه من ربه وحضور قلبه بين يديه وكان يدخل فى الصلاة فيريد اطالتها فيسمع بكاء الصبى فيتجوز فى صلاته مخافة أن يشق على أمه رواه البخارى وأبو داود والنساءى وكان يؤم الناس وهو حامل امامة بنت أبى العاص بن الربيع على عاتقه رواه مسلم وغيره قال النووى وهذا يدل لمذهب الشافعى رحمه الله ومن وافقه أنه يجوز حمل الصبى والصبية وغيرهما من الحيوان فى صلاة الفرض والنفل للامام والمأموم والمنفرد وحمله أصحاب مالك رحمه الله على النافلة ومنعوا جواز ذلك فى الفريضة وهذا التأويل فاسد لان قوله يؤم الناس صريح أو كالصريح فى أنه كان فى الفرض وادعى بعض المالكية أنه منسوخ وبعضهم أنه خاص به صلى الله عليه وسلم وبعضهم أنه كان لضرورة وكلها مردودة ولا دليل عليها ولا ضرورة اليها بل الحديث صحيح صريح فى جواز ذلك وليس فيه ما يخالف الشرع لان الآدمى طاهر ومافى جوفه من النجاسة معفو عنها لكونه فى معدته وثياب الاطفال وأجسادهم محمولة على الطهارة ودلائل الشرع متظاهرة على هذا والافعال فى الصلاة لاتبطلها اذا قلت أو تفرقت وفعله عليه الصلاة والسلام للجواز وتنبيها على هذه القواعد التى ذكرتها وهذا يرد ما ادعاه أبو سليمان الخطابى أن هذا الفعل يشبه ان يكون بغير عمد لحملها فى الصلاة لكنها كانت تتعلق به عليه الصلاة والسلام فلم يدفعها فاذا قام بقيت معه قال ولا يتوهم أنه حملها ووضعها مرة بعد أخرى لانه عمل كثير ويشغل القلب واذا كان علم الخميصة شغله فكيف لا يشغله هذا هذا كلام الخطابى وهو باطل ودعوى مجردة ومما يرده قوله فى صحيح مسلم فاذا قام حملها واذا رفع من السجود أعادها وقوله فى رواية غير مسلم خرج حاملا أمامة وصلى وذكر الحديث * وأما قصة الخميصة فانها تشغل القلب بلا فائدة

وحمل

وحمل أمامة لا نسلم أنه يشغل القلب وان شغله فيترتب عليه فوائد وبيان قواعد مما ذكرناه وغيره فاحتمل ذلك الشغل لهذه الفوائد بخلاف الخميصة والصواب الذى لا يعدل عنه ان الحديث كان للبيان والتنبيه على هذه القواعد فهو جائز لنا وشرع مستمر الى يوم القيامة والله أعلم انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يصلى فيجيء الحسن أو الحسين فيركب على ظهره فيطيل السجدة كراهية ان يلقيه عن ظهره وكان يرد السلام بالاشارة على من يسلم عليه وهو فى الصلاة قال جابر بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة فأدركته وهو يصلى فسلمت عليه فأشار الى * رواه مسلم وقال عبد الله بن مسعود لما قدمت من الحبشة أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فسلمت عليه فأومأ برأسه رواه البيهقى وكان يصلى وعائشة معترضة بينه وبين القبلة فاذا سجد غمزها بيده فقبضت رجليها واذا قام بسطتهما رواه البخارى وكان صلى الله عليه وسلم لا يلتفت فى صلاته وفى البخارى عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات فى الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وروى أبو داود من حديث سهل بن الحنظلية أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين من يحرسنا الليلة قال أنس بن أبى مرثد الغنوى أنا يا رسول الله قال اركب فركب فرساله فقال استقبل هذا الشعب حتى تكون فى أعلاه فلما أصبحنا ثوب بالصلاة فجعل صلى الله عليه وسلم يصلى وهو يلتفت الى الشعب حتى اذا قضى الصلاة قال أبشروا قد جاء فارسكم فهذا الالتفات من الاشتغال بالجهاد فى الصلاة وهو يدخل فى مداخل العبادات كصلاة الخوف وقريب منه قول عمر رضى الله عنه انى لاجهز الجيش وأنا فى الصلاة فهذا جمع بين الصلاة والجهاد ونظيره التفكر فى معانى القرآن واستخراج كنوز العلم منه وكان صلى الله عليه وسلم يصلى فعرض له الشيطان ليقطع عليه صلاته فأخذه وخنقه حتى سال لعابه على يديه وروى مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل يعنى يبكى وفى رواية ولصدره أزيز كأزيز الرحا من البكاء * رواه أحمد ولم يكن صلى الله عليه وسلم يغمض عينيه فى صلاته وعن أنس قال كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال صلى الله عليه وسلم أميطى عنا قرامك هذا فانه لا تزال تصاويره تعرض لى فى صلاتى رواه البخارى ولو كان يغمض عينيه لما عرضت له فى صلاته وقد اختلف الفقهاء فى كراهيته والحق ان يقال ان كان تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو أفضل وان كان يحول بينه وبين الخشوع كأن يكون فى قبلته زخرفة أو غيرها مما يشغل

قلبه فلا يكره التغميض قطعا بل ينبغي ان يكون مستحبا في هذه الحالة وقد كانت صلاته صلى الله عليه وسلم متوسطة عارية عن الغلو كالوسوسة في عقد النية ورفع الصوت بها والجهر بالاذكار والدعوات التي شرعت سرا وتطويل ما السنة تخفيفه كالتشهد الاول الى غير ذلك مما يفعله كثير ممن ابتلى بداء الوسوسة عافانا الله منها وهي نوع من الجنون وصاحبها بلا ريب مبتدع مستنبط في أفعاله وأقواله شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه وقد قال عليه الصلاة والسلام ان خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وعنه أيضا واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ومما نسب لامام الحرمين الوسوسة نقص في العقل أو جهل باحكام الشرع * ومن غرائب ما يقع لهؤلاء الموسوسين أن بعضهم يشتغل بتكرير الطهارة حتى تفوته الجماعة وربما فاته الوقت ومنهم من يشتغل بالنية حتى تفوته التكبيرة الاولى وربما تفوته ركعة أو أكثر ومنهم من يحلف انه لا يزيد على هذه التكبيرة ثم يكذب ثم من العجب أن بعضهم يتوسوس في حال قيامه حتى يركع الامام فاذا خشي فوات الركوع كبر سريعا وأدركه فمن لم يحصل له النية في القيام الطويل حال فراغ باله فكيف حصلت له في الوقت الضيق مع شغل باله بفوات الركعة ومنهم من يكثر التلفظ بالتكبير حتى يشوش على غيره من المأمومين ولا ريب ان ذلك مكروه ومنهم من يزعج أعضاءه ويحني جبهته ويقيم عروق عينيه ويصرخ بالتكبير كأنه يكبر على العدو ومنهم من يغسل عضوه غسلا يشاهده ببصره ويكبر ويقرأ بلسانه ويسمع بأذنه ويعلمه بقلبه ومع ذلك يصدق الشيطان في انكاره يقين نفسه وجحده لما رآه ببصره وسمعه بأذنه وقد سأل رجل أبا الوفاء بن عقيل فقال اني أكبر وأقول ما كبرت واغسل العضو في الوضوء وأقول ما غسلته فقال ابن عقيل دع الصلاة فانها لا تجب عليك فقال له كيف ذلك فقال لان النبي صلى الله عليه وسلم قال رفع القلم عن المجنون حتى يفيق ومن يكبر ثم يقول ما كبرت فليس بعاقل والمجنون لا تجب عليه الصلاة فمن أراد التخلص من هذه البلية فليتبع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم السنية ويقتدي بملته الحنيفية فان غلبه الامر وضاقت عليه المسالك فليتضرع الى الله ويبتهل اليه في كشف ذلك

(الفرع الخامس عشر في ذكر قنوته صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن القنوت يطلق على القيام والسكوت ودوام العبادة والدعاء والتسبيح والخشوع كما قال تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون وقال تعالى أمن

هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما الآية وقال تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين والمراد به هنا الدعاء في الصلاة في محل مخصوص من القيام وعن أنس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من سليم رعل وذكوان عند بئر يقال لها بئر معونة فقتلوهم فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة الغداة وذلك بدأ القنوت وما كنا نقنت قال عبد العزيز بن صهيب فسأل رجل أنسا عن القنوت أبعد الركوع أو عند فراغ القراءة قال بل عند فراغ القراءة * وفي أخرى قنت شهرا بعد الركوع يدعو على أحياء من العرب * وفي أخرى قنت شهرا بعد الركوع في صلاة الصبح يدعو على رعل وذكوان ويقول عصية عصت الله ورسوله * وفي أخرى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية يقال لهم القراء فأصيبوا فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على شيء ما وجد عليهم فقنت شهرا في صلاة الفجر هذه رواية البخاري ومسلم وللبخاري كان القنوت في المغرب والفجر وفي رواية أبي داود والنسائي قنت في صلاة الصبح بعد الركوع * وفي أخرى قنت شهرا ثم تركه وفي أخرى للنسائي قنت شهرا يلعن رعلا وذكوان ولحيان وعن ابن عباس قنت صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح في دبر كل صلاة اذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الاخيرة يدعو على أحياء من سليم على رعل وذكوان وعصية ويؤمن من خلفه رواه أبو داود وعن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فأنزل الله عليه ليس لك من الامر شيء الى قوله فانهم ظالمون رواه البخاري وعن أبي هريرة لما رفع صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الثانية قال اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وفي رواية في صلاة الفجر وفي رواية ثم بلغنا انه ترك ذلك لما أنزل الله تعالى ليس لك من الامر شيء رواه البخاري ومسلم وعن البراء كان صلى الله عليه وسلم يقنت في الصبح والمغرب رواه مسلم والترمذي ولابي داود في صلاة الصبح ولم يذكر المغرب وعن أبي مالك الاشجعي قال قلت لابي يا أبت انك قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب ههنا بالكوفة خمس سنين أكانوا يقنتون قال أي بني محدث رواه الترمذي وعن سعيد بن جبير قال اشهد أني

سمعت ابن عباس يقول ان القنوت فى صلاة الفجر بدعة رواه الدارقطنى قال بعض العلماء والصواب أنه صلى الله عليه وسلم قنت وترك وكان تركه القنوت أكثر من فعله فانه انما قنت عند النوازل للدعاء لقوم والدعاء على آخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وخلصوا من الاسر وأسلم من دعا عليهم فجاؤا تائبين وكان قنوته لعارض فلما زال العارض ترك القنوت ولم يكن مختصا بالفجر بل كان يقنت فى صلاة الفجر والمغرب ذكره البخارى فى صحيحه عن أنس وذكره مسلم عن البراء وصح عن أبى هريرة انه قال والله لأنا أقربكم صلاة من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقنت فى الركعة الاخيرة من الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده وقال ابن أبى فديك ولا ريب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثم تركه فهذا رد على القائل بكراهة القنوت فى الفجر مطلقا عند النوازل وغيرها ويقولون هو منسوخ وفعله بدعة * وأهل الحديث متوسطون بين هؤلاء وبين من استحبه ويقولون فعله سنة وتركه سنة ولا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا للسنة من قنت فقد أحسن ومن ترك فقد أحسن انتهى ومذهب الشافعى رحمه الله تعالى ان القنوت مشروع فى صلاة الصبح دائما فى الاعتدال من ثانية صلاة الصبح * لما رواه أنس ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت فى الفجر حتى فارق الدنيا * رواه أحمد وغيره قال ابن الصلاح قد حكم بصحته غير واحد من الحفاظ منهم الحاكم والبيهقى وأبو عبد الله محمد بن على البلخى وفى البيهقى العمل بمقتضاه عن الخلفاء الاربعة وقال بعضهم أجمعوا على أنه صلى الله عليه وسلم قنت فى الصبح ثم اختلفوا هل تركه فتمسك بما أجمعوا عليه حتى يثبت ما اختلفوا فيه انتهى * وأما حديث ابن أبى فديك عن عبد الله بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع فى الركعة الثانية من صلاة الصبح يرفع يديه ويدعو بهذا الدعاء اللهم اهدنى فيمن هديت الخ فقال ابن القيم فى زاد المعاد ما أبين الاحتجاج به لو كان صحيحا أو حسنا ولكن لا يحتج بعبد الله هذا وان كان الحاكم صحح حديثه فى القنوت انتهى * وهذا الحديث رواه الحاكم وصححه ورد عليه كما قاله ابن القيم وقد اتفقوا على ضعف عبد الله بن سعيد وعن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يقنت فى صلاة الصبح وفى وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدنى فيمن هديت أخرجه محمد بن نصر فى كتاب قيام الليل والصحيح أنه لا يتعين فيه دعاء مخصوص بل يحصل بكل دعاء وفيه وجه أنه لا يحصل

الا بالدعاء المشهور وهو اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن
توليت وبارك لى فيما أعطيت وقنى شرما قضيت فانك تقضى ولا يقضى عليك وانه
لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت رواه أبو داود والترمذى والنسائى من
حديث الحسن بن على قال علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن
فى الوتر فذكره واسنادهم صحيح قال البيهقى قد صح أن تعليم هذا الدعاء وقع لقنوت
صلاة الصبح وقنوت الوتر انتهى * وقوله فانك تقضى بالفاء وبالواو فى قوله وانه
لا يذل وربنا قبل وتعاليت الا ان الفاء لم تقع فى رواية أبى داود وزاد البيهقى بعد قوله
انه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت وزاد ابن أبى عاصم فى كتاب التوبة
نستغفرك اللهم ونتوب اليك وتسن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى آخره لان النسائى قد رواه من حديث الحسن بسند صحيح أو حسن كما قاله
فى شرح المهذب ولفظه أى النسائى وصلى الله على النبى وجزم فى الاذكار باستحباب
الصلاة على الآل والسلام وخالفه صاحب الاقليد فقال اما ما وقع فى كتب
أصحابنا من زيادة وسلم وما يعتاده الائمة الآن من ذكر الآل والازواج والاصحاب
فكل ذلك لا أصل له * قلت وعبارة النووى فى الاذكار يستحب ان يقول
عقب هذا الدعاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم فقد جاء فى حديث النسائى
باسناد حسن وصلى الله على النبى انتهى * وتعقب بأن لفظ الدعوى خلاف
الدليل وتزيد عليه ذكر الآل والتسليم * نعم وقعت الزيادة فى الرافعى والرويانى
معزوة لحديث الحسن بن على عند النسائى لكنها ليست عنده فى رواية أحد من
الرواة عنه على أن لفظ وصلى الله على النبى زائد على رواية الترمذى وهى زيادة
غريبة غير ثابتة لاجل عبد الله بن على أحد رواته لانه غير معروف وعلى تقدير
أن يكون هو عبد الله بن على بن الحسن بن على فهو منقطع لانه لم يسمع من جده
الحسن بن على فقد تبين أنه ليس من شرط الحسن لانقطاعه أو جهالة راويه ولم
تنجبر الزيادة بمجيئها من وجه آخر وحينئذ فقد تبين شذوذها على ما لا يخفى * نعم
أصل الحديث الى آخر وتعاليت حسن لاعتقاده برواية الترمذى وغيره بخلاف
الزيادة اذ لم تجىء فى غيره وحيث سننا الصلاة على الآل على ما جزم به النووى
فينبغى عدها فى القنوت بعضا قال فى المجموع عن البغوى ويكره اطالة القنوت
كالتشهد الاول وهو ظاهر على ما صححه فيه وفى تحقيقه فى باب سجود السهو من
أن الاعتدال ركن طويل أما على ما صححه فيهما فى صلاة الجماعة من أنه قصير وهو
ما فى المنهاج والروضة فقضيته ان القياس البطلان لان تطويل الركن القصير عمدا

مبطل وجواب بحمل ذلك على غير محل القنوت اذ البحث نفسه القائل بكراهة الاطالة قائل بأن تطويل الركن القصير مبطل عمده ويسن المنفرد والامام برضى المحصورين الجمع فى قنوت الوتر بين القنوت السابق وبين قنوت عمر وهو اللهم انا نستعينك الخ والاولى تأخيره عن القنوت السابق ويسن رفع يديه رواه البيهقى باسناد جيد قال فى المجموع وفى سن مسح وجهه بهما وجهان أشهرهما نعم وأصحهما لا قال البيهقى ولا أحفظ فى مسحه هنا عن أحد من السلف شيأ وان روى عن بعضهم فى الدعاء خارج الصلاة ومسح غير الصدر كالصدر مكروه * وقال النووى فى الاذكار اختلف أصحابنا فى رفع اليدين فى القنوت ومسح الوجه بهما على ثلاثة أوجه أصحها يستحب رفعهما ولا يمسح الوجه * والثانى يرفع ويمسحه الثالث لا يمسح ولا يرفع واتفقوا على أنه لا يمسح غير الوجه من الصدر ونحوه بل قالوا ذلك مكروه انتهى ويجهر الامام دون المنفرد بالقنوت وان كانت الصلاة سرية للاتباع رواه البخارى * قال الماوردى وليكن جهره به دون جهره بالقراءة فان سمعه المأموم أمن كما كانت الصحابة يؤمنون خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك رواه أبو داود باسناد حسن ويوافقه فى الثناء سرا أو يسكت لانه ثناء أوذكر لا يليق به التأمين والدعاء يشمل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيؤمن فيها صرح به الطبرى وان لم يسمع المأموم قنوت الامام قنت معه سرا كبقية الاذكار والدعوات ولا قنوت لغير وتر وصبح الا لنازلة من خوف أو قحط أو وباء أو جراد أو نحوها فيستحب ان يقنت فى مكتوبة غير الصبح لا منذورة وصلاة جنازة ونافلة * وفى البخارى من حديث أبى هريرة انه صلى الله عليه وسلم جهر بالقنوت فى النازلة انتهى ملخصا من شرح البهجة لشيخ الاسلام أبى يحيى زكريا الانصارى مع زيادة من غيره والله أعلم

(الفصل الرابع فى سجوده صلى الله عليه وسلم للسهو فى الصلاة)

اعلم ان السهو هو الغفلة عن الشىء وذهاب القلب الى غيره قاله الازهرى وفرق بعضهم فيما حكاه القاضى عياض بين السهو والنسيان من حيث المعنى وزعم ان السهو جائز فى الصلاة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بخلاف النسيان قال لان النسيان غفلة وآفة والسهو انما هو شغل فكان النبى صلى الله عليه وسلم يسهو فى الصلاة ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما هو فى الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها انتهى قال ابن كيكلدى وهو ضعيف من جهة الحديث ومن جهة اللغة أما من جهة الحديث فلما ثبت فى الصحيحين من قوله صلى الله عليه وسلم انما أنا

بشر مثلكم أنسى كما تنسون وأما من جهة اللغة فقول الأزهري المتقدم ونحوه
قول الجوهري وغيره وقال في النهاية السهو في الشيء تركه عن غير علم والسهو
عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن دقيق وبه يظهر الفرق بين السهو الذي وقع
من النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة والسهو عن الصلاة الذي ذم الله فاعله وقد
كان سهوه صلى الله عليه وسلم من اتمام نعم الله على أمته واكمال دينهم ليقتدوا به
فيما يشرعه لهم عند السهو وهذا معنى الحديث المنقطع الذي في الموطأ الآتي
التنبيه عليه ان شاء الله تعالى انما أنسى أو أنسى لاسن فكان صلى الله عليه
وسلم ينسى فيترتب على سهوه احكام شرعية تجري على سهو أمته الى يوم القيامة
واختلف في حكمه فقال الشافعية والمالكية مسنون كله وعن المالكية قول
آخر السجود للنقص واجب دون الزيادة * وعن الحنابلة التفصيل بين الواجبات
فيجب لتركها سهوا وبين القولية فلا يجب وكذا يجب اذا سها بزيادة فعل أو قول
يبطل عمده * وعن الحنفية واجب كله وحجتهم عليه قوله عليه الصلاة والسلام
في حديث ابن مسعود عند البخاري ليسجد سجدتين والامر للوجوب وقد ثبت من
فعله عليه الصلاة والسلام وأفعاله في الصلاة محمولة على البيان وبيان الواجب
واجب ولا سيما مع قوله عليه الصلاة والسلام صلوا كما رأيتموني أصلي انتهى وقد
ورد عنه صلى الله عليه وسلم السجود على قسمين الاول السجود قبل التسليم * عن
الاعرج عن عبد الله بن مالك بن بحينة انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ركعتين من بعض الصلوات ثم قام فلم يجلس فقام الناس فلما قضى صلاته
ونظرنا تسليمه كبر قبل التسليم فسجد سجدتين وهو جالس ثم سلم رواه البخاري
وفي رواية له عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن بحينة أيضا انه قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قام من اثنتين من الظهر لم يجلس بينهما فلما قضى صلاته سجد
سجدتين ثم سلم بعد ذلك وفي رواية أيضا عن الاعرج عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قام في صلاة الظهر وعليه جلوس فلما أتم صلاته سجد سجدتين يكبر
في كل سجدة وهو جالس قبل ان يسلم وسجدهما الناس معه مكان ما نسي من
الجلوس ورواه مسلم أيضا وزاد الضحاك عن الاعرج عند ابن خزيمة بعد قوله ثم
قام فلم يجلس فسبحوا به فمضى حتى فرغ من صلاته وفي رواية الترمذي قام في الظهر
وعليه جلوس فلما أتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل ان
يسلم وفي هذا مشروعية سجود السهو وانه سجدتان فلو اقتصر على سجدة واحدة
ساهيا لم يلزمه شيء أو عامدا بطلت صلاته لانه تعمد الاتيان بسجدة زائدة ليست

مشروعة وأنه يكبر لهما كما يكبر في غيرهما من السجود واستدل به على ان سجود السهو قبل السلام ولا حجة فيه لكون جميعه كذلك نعم يرد على من زعم ان جميعه بعد السلام كالحنفية واستدل به أيضا على ان المأموم يسجد مع الامام اذا سهى الامام وان لم يسه المأموم وأن سجود السهو لا تشهد بعده وأن محله آخر الصلاة فلو سجد للسهو قبل ان يتشهد ساهيا أعاد عند من يوجب التشهد الاخير وهم الجمهور وفيه أن من سهى عن التشهد الاول حتى قام الى الركعة ثم ذكر لا يرجع فقد سبحوا به صلى الله عليه وسلم كما في رواية ابن خزيمة فلم يرجع فلو تعمد المصلي الرجوع بعد تلبسه بالركن بطلت صلاته عند الشافعي

(القسم الثاني في السجود بعد السلام)

عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر أو العصر فسلم من ركعتين فقال له ذو اليدين الصلاة يا رسول الله انقصت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه أحق ما يقول هذا قالوا نعم فصلى ركعتين أخراوين ثم سجد سجدتين قال سعد ورأيت عروة بن الزبير صلى من المغرب ركعتين فسلم وتكلم ثم صلى ما بقي منها وسجد سجدتين وقال هكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وقوله صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر في أن أبا هريرة حضر القصة وحمله الطحاوي على المجاز فقال المراد به صلى بالمسلمين وسبب ذلك قول الزهري ان صاحب القصة استشهد ببدر فان مقتضاه ان تكون القصة وقعت قبل بدر وقبل اسلام أبي هريرة بأكثر من خمس سنين لكن اتفق أئمة الحديث كما نقله ابن عبد البر وغيره على أن الزهري وهم في ذلك وسببه أنه جعل القصة لذي الشمالين وذو الشمالين هو الذي قتل ببدر * وهو خزاعي واسمه عمير واما ذو اليدين فتأخر بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة لانه حدث بهذا الحديث بعد النبي صلى الله عليه وسلم كما أخرجه الطبراني وغيره وهو سلمي واسمه الخرباق كما سيأتي فلما وقع عند الزهري بلفظ فقام ذو الشمالين وهو يعرف أنه قتل ببدر قال لاجل ذلك أن القصة وقعت قبل بدر وقد جوز بعض الائمة ان تكون القصة وقعت لكل من ذي الشمالين وذي اليدين و أن أبا هريرة روى الحديثين فأرسل أحدهما وهو قصة ذي الشمالين وشاهد الاخرى وهي قصة ذي اليدين وهذا محتمل في طريق الجمع. وروى البخاري أيضا عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى صلاتي العشي قال محمد ابن سيرين وأكثر ظني العصر ركعتين ثم سلم ثم قام الى خشبة في مقدم المسجد فوضع يده

عليه اوفيهم أبو بكر وعمر فهاباان يكلماه وخرج سرعان الناس فقالوا قصرت الصلاة ورجل يدعوه النبي صلى الله عليه وسلم ذا اليدين فقال أنسيت أم قصرت الصلاة فقال لم أنس ولم تقصر فقال بلى قد نسيته فصلى ركعتين ثم سلم فكبر فسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر ثم وضع رأسه فكبر وسجد فسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر وعن ابن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر فسلم من ثلاث ركعات ثم دخل منزله فقام اليه رجل يقال له الخرباق وكان في يديه طول فقال يا رسول الله فذكر صنيعه وخرج غضبان يجر رداءه حتى انتهى الى الناس فقال أصدق هذا قالوا نعم فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم رواه مسلم وهو من افراده لم يروه البخاري ورواه أحمد وأبو داود والخرباق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة وآخره قاف هو اسم ذي اليدين كما ذهب اليه الاكثر وطول يديه يمكن أن يحمل على الحقيقة أو كناية عن طولهما بالعمل أو البذل قال الحافظ ابن حجر الظاهر في نظري توحد حديث أبي هريرة وان كان قد جنح ابن خزيمة ومن تبعه الى تعدد هذه القصة والحامل لهم على ذلك اختلاف الواقع في السياقين * ففي حديث أبي هريرة ان السلام وقع من اثنتين وأنه صلى الله عليه وسلم قام الى خشبة في المسجد * وفي حديث عمران هذا أنه سلم من ثلاث وأنه دخل منزله لما فرغ من الصلاة * فأما الاول فقد حكى كيكلدي العلائي ان بعض شيوخه حمله على ان المراد به أنه سلم في ابتداء الركعة الثالثة واستبعده ولكن طريق الجمع يكتفي فيها بأدنى مناسبة وليس بأبعد من دعوى تعدد القصة فانه يلزم منه كون ذي اليدين في كل مرة استفهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك واستفهم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة عن صحة قوله * وأما الثاني فلعل الراوي لما رآه تقدم من مكانه الى جهة الخشبة ظن أنه دخل منزله لكون الخشبة كانت في جهة منزله فان كان كذلك والا فرواية أبي هريرة أرجح لموافقة ابن عمر له على سياقه كما أخرجه الشافعي وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة انتهى * وعن معاوية بن حديج بضم الحاء المهملة آخره جيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوما فانصرف وقد بقي من الصلاة ركعة فأدركه رجل فقال أنسيت من الصلاة ركعة فرجع فدخل المسجد فأمر بلالا فأقام الصلاة فصلى بالناس ركعة فأخبرت بذلك الناس فقالوا أوتعرف الرجل قلت لا الا أن أراه فمر بي فقلت هو هذا فقالوا هذا طلحة بن عبيد الله رواه أبو داود والبيهقي في سننهما وابن خزيمة في صحيحه وعين الصلاة المغرب وقال ابن

خزيمة وهذه القصة غير قصة ذى اليدين لان المسلم للنبى صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة طلحة بن عبيد الله ومخبره فى تلك القصة ذو اليدين والسهو منه عليه الصلاة والسلام فى قصة ذى اليدين انما كان فى الظهر أو العصر وفى هذه القصة انما كان السهو فى المغرب لا فى الظهر ولا فى العصر * وعن محمد بن سيرين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من اثنتين فقال له ذو اليدين أقصرت الصلاة أم نسيت يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق ذو اليدين فقال الناس نعم فقام صلى الله عليه وسلم فصلى اثنتين أخريين ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع ثم كبر فسجد مثل سجوده للصلاة أو أطول ثم رفع * وفى رواية سلمة بن علقمة قلت لمحمد يعنى ابن سيرين فى سجدتى السهو تشهد فقال ليس فى حديث أبى هريرة رواه البخارى ومسلم ومالك وأبو داود والترمذى والنسائى قال الحافظ ابن حجر لم يقع فى غير هذه الرواية لفظ القيام وقد استشكل بأنه صلى الله عليه وسلم كان قائما * وأجيب بأن المراد بقوله فقام أى اعتدل لانه كان مستندا الى الخشبة كما مر وقد يفهم من قول محمد بن سيرين عن التشهد ليس فى حديث أبى هريرة أنه ورد فى حديث غيره وهو كذلك فقد رواه أبو داود والترمذى وابن حبان والحاكم من طريق أشعث بن عبد الملك عن محمد ابن سيرين عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن أبى المهلب عن عمران بن حصين أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى بهم فسهى فسجد سجدتين ثم تشهد ثم سلم قال الترمذى حسن غريب وقال الحاكم صحيح على شرطهما وقال ابن حبان ما روى ابن سيرين عن خالد غير هذا الحديث وضعفه البيهقى وابن عبد البر وغيرهما ووهموا رواية أشعث لمخالفته غيره من الحفاظ عن ابن سيرين فرواية أشعث شاذة لكن قد ورد فى التشهد فى سجود السهو عن ابن مسعود عند أبى داود والنسائى * وعن المغيرة عند البيهقى وفى اسنادهما ضعف فقد يقال ان الاحاديث الثلاثة فى التشهد باجتماعها ترتقى الى درجة الحسن * قال العلائى وليس ذلك ببعيد وقد صح ذلك عن ابن مسعود من قوله * أخرجه ابن أبى شيبة انتهى ملخصا من فتح البارى * وفى رواية أبى سفيان عن أبى هريرة عند مسلم صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم من ركعتين صلاة العصر فقام ذو اليدين فقال أقصرت الصلاة يارسول الله أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن فقال قد كان بعض ذلك يارسول الله * وفى رواية أبى داود من طريق حماد ابن زيد عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبى هريرة فى هذا

الحديث قال فكبر ثم كبر وسجد السهو وهذا يؤيد من قال لابد من تكبيرة الاحرام في سجود السهو بعد السلام والجمهور على الاكتفاء بتكبيرة السجود وهو ظاهر غالب الاحاديث * وقال أبو داود لم يقل أحد كبر ثم كبر الا حماد بن زيد فأشار الى شذوذ هذه الزيادة * ويحتمل ان تكون الخشبة المذكورة في هذا الحديث الجذع الذي كان عليه الصلاة والسلام يستند اليه قبل اتخاذ المنبر وانما وقع الاستفهام هل قصرت الصلاة لان الزمان كان زمان النسخ وقوله فقال لم أنس ولم تقصر صريح في نفي النسيان ونفي القصر وفيه تفسير للمراد بقوله في رواية أبي سفيان المتقدمة كل ذلك لم يكن وتأييد لما قاله أصحاب المعاني بأن لفظة كل اذا تقدمت وعقبها النفي كان نفيا للكل فردا لا للمجموع بخلاف ما اذا تأخرت كأن يقول لم يكن كل ذلك ولهذا أجاب ذو اليدين في رواية أبي سفيان بقوله قد كان بعض ذلك وأجابه في هذه الرواية بقوله بلى قد نسيت لانه لما نفى الامرين وكان مقررا عند الصحابة أن السهو غير جائز عليه في الامور البلاغية جزم بوقوع النسيان لا القصر وهو حجة لمن قال ان السهو جائز على الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيما طريقه التشريع قال ابن دقيق العيد وهو قول عامة العلماء والنظار * وشذت طائفة فقالوا لا يجوز على النبي السهو وهذا الحديث يرد عليهم يعني حديث ابن مسعود فان فيه انما انا بشر مثلكم أنسى كما تنسون وان كان القاضي عياض نقل الاجماع على عدم جواز دخول السهو في الاقوال التبليغية وخص الخلاف بالافعال لكنهم تعقبوه نعم اتفق من جوز ذلك على أنه لا يقر عليه بل يقع له بيان ذلك اما متصلا بالفعل أو بعده كما وقع في هذا الحديث من قوله لم أنس ولم تقصر ثم تبين انه نسي ومعنى قوله لم أنس أي في اعتقادي لا في نفس الامر ويستفاد من ان الاعتقاد عند فقد اليقين يقوم مقام اليقين وفائدة السهو في مثل ذلك بيان الحكم الشرعي اذا وقع مثله لغيره واما من منع السهو مطلقا فأجابوا عن هذا الحديث بأجوبة فقيل قوله لم أنس نفي للنسيان ولا يلزم منه نفي السهو وهذا قول من فرق بينهما وقد تقدم تضعيفه ويكفي فيه قوله في هذه الرواية بلى قد نسيت وأقره على ذلك وقيل قوله لم أنس على ظاهره وحقيقته وكان يتعمد ما يقع منه من ذلك ليقع التشريع منه بالفعل لكونه أبلغ من القول وتعقب بحديث ابن مسعود عند البخاري ومسلم بلفظ صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فزاد أو نقص شك بعض الرواة والصحيح أنه زاد فلما سلم قيل له يا رسول الله أحدث في الصلاة شيء قال وما ذلك قالوا صليت كذا وكذا قال فثنى رجليه واستقبل القبلة وسجد سجدتين ثم سلم فلما أقبل علينا

بوجهه قال انه لو حدث فى الصلاة شئ لنبأتكم به ولكن انما أنا بشر مثلكم
أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى واذا شك أحدكم فى صلاته فليتحر الصواب
فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين ففيه اثبات العلة قبل الحكم بقوله انما أنا بشر
مثلكم ولم يكتف باثبات وصف النسيان له حتى دفع قول من عساه يقول
ليس نسيانه كنسياننا فقال كما تنسون * وبهذا الحديث أيضا يرد قول من قال
معنى قوله لم أنس انكارا للفظ الذى نفاه عن نفسه حيث قال لا أنسى ولكن
أنسى لاسن وانكار اللفظ الذى أنكره على غيره حيث قال بئس مالأحدكم
ان يقول نسيت آية كذا وكذا وقد تعقبوا هذا أيضا بأن حديث لا أنسى لا أصل له
فانه من بلاغات مالك التى لم توجد موصولة بعد البحث الشديد وهى أربعة قاله ابن
عبد البر * واما الآخر فلا يلزم من ذم اضافة نسيان الآية ذم اضافة نسيان
كل شئ فان الفرق بينهما واضح جدا * وقيل ان قوله لم أنس راجع الى السلام
أى سلمت قصدا بانيا على اعتقادى أنى صليت أربعا وهذا جيد * وكان ذا اليدين
فهم العموم فقال بلى قد نسيت * وكان هذا القول أوقع شكا احتاج معه الى
استثبات الحاضرين وبهذا التقرير يندفع ايراد من استشكل كون ذى اليدين
عدلا ولم يقبل خبره بمفرده فسبب التوقف فيه كونه أخبر عن أمر يتعلق بفعل
المسؤل مغاير المافى اعتقاده وبهذا يجاب من قال ان من أخبر بأمر حسى بحضرة
جمع لا يخفى عليهم ولا يجوز عليهم التواطىء ولا حامل لهم على السكوت عنه ثم لم
يكذبوه انه لا يقطع بصدقه فان سبب عدم القطع كون خبره معارضا باعتقاد
المسؤل خلاف ما أخبر به وفيه أن الثقة اذا انفرد بزيادة خبر وكان المجلس متحدا
وامتنع فى العادة غفلتهم عن ذلك أنه لا يقبل خبره وفيه جواز البناء على الصلاة لمن
أتى بالمنافى سهوا وقال سحنون انما يبنى من سلم من ركعتين كما فى قصة ذى اليدين
لان ذلك وقع على غير القياس فيقتصر فيه على مورد النص وألزم بقصر ذلك على
احدى صلاتى العشى فيمنعه مثلا فى الصبح * والذين قالوا يجوز البناء مطلقا
قيدوه بما اذا لم يطل الفصل وفيه أن الكلام سهوا لا يقطع الصلاة خلافا للحنفية
واستدل به على أن تعمد الكلام لمصلحة الصلاة لا يبطلها * وتعقب بأنه صلى
الله عليه وسلم لم يتكلم الا ناسيا * واما قول ذى اليدين له بلى قد نسيت
وقول الصحابة له صدق ذو اليدين فانهم تكلموا معتقدين للنسخ فى وقت يمكن
وقوعه فتكلموا ظنا انهم ليسوا فى صلاة كذا قيل وهو فاسد لانهم تكلموا بعد
قوله عليه الصلاة والسلام لم تقصر * وأجيب بانهم لم ينطقوا وانما أومؤا كما عند

أبي داود في رواية ثم ساق مسلم اسنادها وهذا اعتمده الخطابي وقال حمل القول على الاشارة مجاز سائغ بخلاف عكسه فينبغي رد الروايات التي فيها التصريح بالقول الى هذه الرواية وهو قوي أقوى من قول غيره يحمل على ان بعضهم قال بالنطق وبعضهم قال بالاشارة لكن يبقى قول ذي اليدين بلى نسيت ويجاب عنه وعن البقية على تقدير ترجيح أنهم نطقوا بأن كلامهم كان جوابا للنبي صلى الله عليه وسلم وجوابه لا يقطع الصلاة وتعقب بأنه لا يلزم من وجوب الاجابة عدم قطع الصلاة وأجيب بأنه ثبت مخاطبته في التشهد وهو حي بقولهم السلام عليك أيها النبي ولم تفسد الصلاة والظاهر ان ذلك من خصائصه وعن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا فقيل له أزيد في الصلاة فقال وماذاك قالوا صليت خمسا فسجد سجدتين بعد ما سلم رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي بهذا اللفظ الا ان مسلما لم يقل فيه بعد ما سلم وعبد الله هذا هو ابن مسعود ففي هذه الاحاديث السجود بعد السلام وقد اختلف في ذلك فقال مالك والمزني وأبو ثور من الشافعية بالتفرقة اذا كان السهو بالنقصان أو بالزيادة ففي الاول يسجد قبل السلام وفي الزيادة يسجد بعده وزعم ابن عبد البر انه أولى من قول غيره للجمع بين الخبرين قال وهو موافق للنظر لانه في النقص جبر فينبغي أن يكون من أصل الصلاة وفي الزيادة ترغيم للشيطان فيكون خارجها وقال ابن دقيق العيد لاشك ان الجمع أولى من الترجيح وادعاء النسخ ويترجح الجمع المذكور بالمناسبة المذكورة واذا كانت المناسبة ظاهرة وكان الحكم على وفقها فيعم الحكم جميع محالها فلا يتخصص الا بنص وتعقب بأن كون السجود في الزيادة ترغيما للشيطان فقط ممنوع بل هو جبر أيضا لما وقع من الخلل فانه وان كان زيادة فهو نقص في المعنى وقال الخطابي لم يرجع من فرق بين الزيادة والنقصان الى فرق صحيح وأيضا فقصة ذي اليدين وقع فيها السجود بعد السلام وهي عن نقصان وأما قول النووي أقوى المذاهب قول مالك ثم أحمد فقد قال غيره بل طريق أحمد أقوى لانه قال يستعمل كل حديث فيما يرد فيه ومالم يرد فيه شيء يسجد قبل السلام قال ولولا ماروي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك لرأيت كله قبل السلام لانه من شأن الصلاة فيفعل قبل التسليم وعند امامنا الشافعي سجود السهو كله قبل السلام وعند الحنفية كله بعد السلام واعتمد الحنفية على حديث ابن مسعود هذا وتعقب بأنه لم يعلم بزيادة الركعة الا بعد السلام حين سألوه هل زيد في الصلاة وقد اتفق العلماء في هذه الصورة على ان سجود السهو بعد السلام لتعذره قبله لعدم

علمه بالسهو وانما تابعه الصحابة لتجويزهم الزيادة في الصلاة لانه كان زمان توقع النسخ وأجاب بعضهم بما وقع في حديث ابن مسعود من الزيادة وهي اذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين وأجيب بانه معارض بحديث أبي سعيد عند مسلم ولفظه اذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم وبه تمسك الشافعية وجمع بعضهم بينهما بحمل الصورتين على حالتين ورجح البيهقي طريقة التخيير في سجود السهو قبل السلام أو بعده ونقل الماوردي الاجماع على الجواز وانما الخلاف في الافضل وكذا أطلق النووي وتعقب بأن امام الحرمين نقل في النهاية الخلاف في الاجزاء عن المذهب واستبعد القول بالجواز ويمكن ان يقال الاجماع الذي نقله الماوردي والنووي قبل هذه الاراء في المذاهب المذكورة والله أعلم قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله ولو سهى سهوين فأكثر كفاه عند الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأحمد سجدتان للجميع والجمهور انه يسجد للسهو في التطوع كالفرض

(الفصل الخامس فيما كان صلى الله عليه وسلم يقول بعد انصرافه من الصلاة وجلوسه بعدها وسرعة انفتاله بعدها)

عن ثوبان كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام رواه مسلم ولم يمكث مستقبل القبلة الا مقدار ما يقول ذلك وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى أقبل على أصحابه فيحمل ما ورد من الدعاء بعد الصلاة على انه كان يقوله بعد أن يقبل على أصحابه بوجهه الشريف فقد كان عليه الصلاة والسلام يسرع الانفتال الى المأمومين وكان ينفتل عن يمينه وعن شماله وقال ابن مسعود رأيته صلى الله عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره رواه الشيخان وقال أنس أكثر ما رأيته صلى الله عليه وسلم ينصرف عن يمينه رواه مسلم وقالت أم سلمة كان اذا سلم مكث في مكانه يسيرا قالت نرى والله أعلم لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال رواه البخاري وقالت عائشة كان لم يقعد الا مقدار ما يقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام رواه مسلم وهذا الحديث تمسك به من قال ان الدعاء بعد الصلاة لا يشرع والجواب ان المراد بالنفي المذكور نفي استمراره عليه الصلاة والسلام جالسا على هيئته قبل السلام الا بقدر ان يقول ما ذكر وكان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على

كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رواه الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة وكان يقول بأعلى صوته لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا إله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن الجميل لا إله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رواه مسلم من حديث عبد الله بن الزبير وعن سعد أنه كان يعلم بنيه هؤلاء الكلمات ويقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بهن دبر الصلوات اللهم إني أعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من البخل وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر رواه البخاري وعن زيد ابن أرقم كان صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد انك الرب وحدك لا شريك لك اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان محمدا عبدك ورسولك اللهم ربنا ورب كل شيء انا شهيد ان العباد كلهم اخوة اللهم ربنا ورب كل شيء اجعلني مخلصا لك وأهلي في كل ساعة من الدنيا والآخرة ياذا الجلال والاكرام اسمع واستجب الله أكبر الله أكبر الله نور السموات والارض الله أكبر حسبي الله ونعم الوكيل الله أكبر الله أكبر رواه أبو داود وأحمد ورأيت في كتاب الهدى لابن القيم وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة سواء للمنفرد والامام والمأموم فلم يكن ذلك من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أصلا ولا روي عنه باسناد صحيح ولا حسن وخص بعضهم ذلك بصلاتي الفجر والعصر ولم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء بعده ولا أرشد اليه أمته وانما هو استحسان رآه من رآه عوضا عن السنة بعدهما قال وعامة الادعية المتعلقة بالصلاة انما فعلها فيها وأمر بها فيها قال وهذا هو اللائق بحال المصلي فانه مقبل على ربه مناجيه فاذا سلم منها انقطعت المناجاة وانتهى موقفه وقربه فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه وهو مقبل عليه ثم يسأل اذا انصرف عنه ثم قال لكن الاذكار الواردة بعد المكتوبة يستحب لمن أتى بها ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن يفرغ منها ويدعو بما شاء ويكون دعاؤه عقب هذه العبادة الثانية وهي الذكر الوارد بعد المكتوبة لا لكونه دبر المكتوبة انتهى وقد كان في خاطري من دعواه النفي مطلقا شيء لما سيأتي ثم رأيت شيخ مشايخنا امام الحفاظ أبا الفضل ابن حجر تعقبه فقال وما ادعاه من النفي مطلقا مردود فقد ثبت عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ والله اني لأحبك فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك أخرجه أبو داود

والنسائي وحديث زيد بن أرقم سمعته صلى الله عليه وسلم يدعو في دبر الصلاة اللهم ربنا ورب كل شيء أخرجه أبو داود والنسائي وحديث صهيب رفعه كان يقول اذا انصرف من الصلاة اللهم أصلح لي ديني أخرجه النسائي وصححه ابن حبان وغير ذلك ثم قال فان قيل المراد بدبر الصلاة قرب آخرها وهو التشهد قلنا قد ورد الامر بالذكر دبر الصلاة والمراد به بعد السلام اجماعا فكذا هذا حتى يثبت ما يخالفه وقد أخرج الترمذي من حديث امامة قيل يارسول الله أي الدعاء أسمع قال جوف الليل الاخير ودبر الصلوات المكتوبات وقال حسن وأخرج الطبراني من رواية جعفر بن محمد الصادق قال الدعاء بعد المكتوبة أفضل من الدعاء بعد النافلة كفضل المكتوبة على النافلة قال وفهم كثير من الحنابلة ان مراد ابن القيم نفي الدعاء بعد الصلاة مطلقا وليس كذلك فان حاصل كلامه أنه نفاه بقيد استمرار استقبال المصلي القبلة وايراده عقب السلام واما اذا انفتل بوجهه أو قدم الاذكار المشروعة فلا يمتنع عنده الاتيان بالدعاء حينئذ انتهى وكان عليه الصلاة والسلام حين تقام الصلاة في المسجد اذا رآهم قليلا جلس واذا رآهم جماعة صلى رواه أبو داود وقال أبو مسعود البدري كان صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليليني منكم أولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم رواه مسلم وقال ابن عباس قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فقمت عن يساره فأخذ بيدي من وراء ظهره يعدلني كذلك من وراء ظهره الى الشق الايمن رواه البخاري ومسلم وقال أنس سقط صلى الله عليه وسلم عن فرس فجحش شقه الايمن فدخلنا عليه نعوده فحضرت الصلاة فصلى بنا قاعدا فصلينا وراءه قعودا فلما قضى الصلاة قال انما جعل الامام ليؤتم به فاذا ركع فاركعوا حتى قال واذا صلى قاعدا فصلوا قعودا أجمعون زاد بعض الرواة واذا صلى قائما فصلوا قياما رواه البخاري ومسلم قال الحميدي ومعاني سائر الروايات متقاربة وزاد البخاري قوله واذا صلى جالسا فصلوا جلوسا هو في مرضه القديم وقد صلى في مرضه الذي مات فيه جالسا والناس خلفه قياما لم يأمرهم بالقعود وانما يؤخذ بالآخر فالآخر من أمره صلى الله عليه وسلم انتهى وقال الشافعي وأبو حنيفة وجمهور السلف لا يجوز للقادر على القيام ان يصلي خلف القاعد الا قائما واحتجوا بأنه صلى الله عليه وسلم صلى في مرض موته بعد هذا قاعدا وأبو بكر والناس خلفه قياما وان كان بعض العلماء زعم أن أبا بكر رضي الله عنه كان هو الامام والنبي صلى الله عليه وسلم مقتد به لكن الصواب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان هو الامام

(الباب الثاني في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الجمعة)

عن أنس بن مالك قال أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بمرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه فقال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك والناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير ولكم فيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل وما يوم المزيد فقال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا أفيح فيه كثيب من مسك فاذا كان يوم الجمعة أنزل الله ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله تعالى أنا ربكم قد صدقتكم وعدي فسلوني أعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدي مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم ربهم فيه من الخير وفيه استوى ربك على العرش رواه الشافعي في مسنده وروى مسلم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وروى البيهقي في الدعوات من حديث أنس كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان وكان يقول ليلة الجمعة ليل أغر ويوم الجمعة يوم أزهر وليوم الجمعة من الخواص ما يبلغ العشرين ذكرها ابن القيم في الهدي النبوي لا أطيل بذكرها هنا وليست من غرضي وهو أفضل أيام الاسبوع كما ان يوم عرفة أفضل أيام العام وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة ولهذا كان لوقفة الجمعة يوم عرفة مزية على سائر الايام وقال أبو أمامة بن النقاش يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع ويوم النحر أفضل أيام العام قال وغير هذا لا يسلم قائله من اعتراض يعجز عن دفعه انتهى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد رواه البخاري وفي رواية ابن عيينة عن أبي الزناد عند مسلم نحن الآخرون ونحن السابقون أي الآخرون زمانا والاولون منزلة والمراد باليوم يوم الجمعة وقوله بيد بفتح الباء الموحدة واسكان المثناة من تحت وفتح الدال المهملة أي غير واذا عرف هذا فقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه أي

على نبيهم موسى حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم لاجله فان قيل هل في العقل وجه يدل على ان يوم الجمعة أفضل من يوم السبت والاحد وذلك لان أهل الملل اتفقوا على انه تعالى خلق العالم في ستة أيام وبدأ الخلق والتكوين في يوم الاحد وتم يوم الجمعة فكان الفراغ يوم السبت فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك الاعمال فعينوا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى مبدء الخلق والتكوين يوم الاحد فنجعل هذا عيدا لنا فهذان اليومان معقولان فما الوجه في جعل يوم الجمعة عيدا فالجواب ان يوم الجمعة هو يوم الكمال والتمام وحصول الكمال والتمام يوجب الفرح الكامل والسرور العظيم فجعل يوم الجمعة يوم العيد أولى من هذا الوجه والله أعلم * وقال ابن بطال وليس المراد في الحديث أنه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فتركوه لانه لا يجوز لاحد ان يترك مافرض الله تعالى عليه وهو مؤمن وانما يدل والله أعلم أنه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل الى اختيارهم ليقوموا فيه بشريعتهم فاختلفوا فيه ولم يهتدوا ليوم الجمعة كذا قال لكن قد روى ابن أبي حاتم عن السدي التصريح بأنه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه فأبوا ولفظه ان الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا ياموسى اجعل لنا يوم السبت فجعل عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وهم القائلون سمعنا وعصينا ويحتمل قوله فهدانا الله له بأن نص لنا عليه وان يراد الهداية اليه بالاجتهاد ويشهد للثاني مارواه عبد الرزاق باسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل ان يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل ان تنزل الجمعة فقالت الانصار ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى كذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه نذكر الله تعالى ونصلي ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وأنزل الله تعالى بعد ذلك اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة وهذا وان كان مرسلا فله شاهد باسناد حسن أخرجه أحمد وأبوداود وابن ماجه وصححه ابن خزيمة من حديث كعب بن مالك قال كان أول من صلى بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسعد بن زرارة فمرسل ابن سيرين يدل على ان أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد ولا يمنع ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن من اقامتها ثم ولذلك جمع بهم أول ماقدم المدينة انتهى * وقال ابن اسحاق لما قدم عليه الصلاة والسلام المدينة أقام بقباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم

الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فأدركته الجمعة في بني سالم فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة وذلك قبل تأسيس مسجده وكان صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة حين تميل الشمس رواه البخاري من حديث أنس * وفي رواية اذا اشتد البرد بكر بالصلاة واذا اشتد الحر ابرد بالصلاة يعني الجمعة * وفي رواية سهل بن سعد عند البخاري ومسلم كنا نصلي معه صلى الله عليه وسلم الجمعة ونقيل بعد الجمعة * ثم اعلم أن الخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح الا بها وقال سعيد بن جبير هي بمنزلة الركعتين من صلاة الظهر فاذا تركها وصلى الجمعة فقد ترك ركعتين من صلاة الظهر ولم يكن يؤذن في زمانه صلى الله عليه وسلم على المنار وبين يديه وانما كان بلال يؤذن وحده بين يديه صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر كما صرح به أئمة الحنفية والمالكية والشافعية وغيرهم وعبارة البرهان المرغيناني من الحنفية في هدايته واذا صعد الامام المنبر جلس وأذن المؤذن بين يدي المنبر بذلك جرى التوارث ولم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الاذان وعبارة ابن الحاجب من المالكية ويحرم السعي عند أذان جلوس الخطبة وهو المعهود فلما كان عثمان وكثر وأمر بأذان قبله على الزوراء ثم نقله هشام الى المسجد وجعل الآخر بين يديه انتهى ونحوه قال ابن عبد الحق في تهذيب الطالب وأما قول ابن أبي زيد في رسالته وهذا الاذان الثاني أحدثه بنوا أمية فقال شارحوه الفاكهاني وغيره يعني الاذان الثاني في الاحداث وهو الاول في الفعل قال وكان بعض شيوخنا يقول الاول هو الثاني والثاني هو الاول ومنشؤه ما تقدم انتهى وعبارة الزركشي كغيره من الشافعية ويجلس الامام على المستراح يستريح من تعب الصعود ثم يؤذن المؤذن بعد جلوسه فان التأذين كان حين يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن قبله أذان فلما كان زمن عثمان وكثر الناس أمرهم بالتأذين ثانيا ثم يديم الجلوس الى فراغ المؤذن انتهى * وعن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء رواه البخاري وقال الزوراء موضع بالسوق بالمدينة * وفي رواية له أيضا ان التأذين الثاني يوم الجمعة أمر به عثمان حين كثر أهل المسجد وهو يفسر بما فسر به قول ابن أبي زيد السابق وعند ابن خزيمة كان الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر أذانين يوم الجمعة قال ابن خزيمة

قوله أذانين يريد الاذان والاقامة تغليبا أو لاشتراكهما في الاعلام والنسائي
كان بلال يؤذن اذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فاذا نزل أقام * وفي
رواية وكيع عن ابن أبي ذئب فأمر عثمان بالاذان الاول ونحوه للامام الشافعي من
هذا الوجه قال في فتح الباري ولا منافاة لانه باعتبار كونه مزيدا يسمى ثالثا وباعتبار
كونه مقدما على الاذان والاقامة يسمى أولا وأما قوله في رواية البخاري ان
التأذين الثاني فتوجيهه بالنظر الى الاذان الحقيقي لا الاقامة وقال الشيخ خليل
في التوضيح واختلف النقل هل كان يؤذن بين يديه عليه الصلاة والسلام أو على
المنار الذي نقله أصحابنا أنه كان على المنار نقله ابن القاسم عن مالك في المجموعة
ونقل ابن عبد البر في كافيه عن مالك أن الاذان بين يدي الامام ليس من الامر
القديم وقال غيره هو أصل الاذان في الجمعة وكذلك نقل صاحب تهذيب
الطالب والمازري وفي الاستذكار ان هذا اشتبه على بعض أصحابنا فأنكر أن
يكون الاذان يوم الجمعة بين يدي الامام كان في زمنه عليه الصلاة والسلام وأبي
بكر وعمر وأن ذلك حدث في زمان هشام قال وهذا قول من قل علمه ثم استشهد
بحديث السائب بن يزيد المروي في البخاري السابق ثم قال وقد رفع الاشكال
فيه ابن اسحاق عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان يؤذن بين يدي النبي
صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة وأبي بكر وعمر انتهى
والحكمة في جعل الاذان في هذا المحل ليعرف الناس بجلوس الامام على المنبر
فينصتون له اذا خطب قاله المهلب قال في فتح الباري وفيه نظر فان في سياق محمد بن
اسحاق عند الطبراني وغيره في هذا الحديث ان بلالا كان يؤذن على باب المسجد
فالظاهر أنه كان لمطلق الاعلام لا لخصوص الانصات والذي يظهر أن الناس
أخذوا بفعل عثمان في جميع البلاد اذ ذاك لكونه كان حينئذ خليفة مطاع الامر
لكن ذكر الفاكهاني أن أول من أحدث الاذان الاول بمكة الحجاج وبالبصرة
زياد وفي تفسير جويبر عن الضحاك عن معاذ أن عمر أمر مؤذنين أن يؤذنا للناس
الجمعة خارج المسجد حتى يسمع الناس وأمر أن يؤذن بين يديه كما كان في عهد
النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ثم قال عمر نحن ابتدعناه لكثرة المسلمين
وهذا منقطع بين مكحول ومعاذ ولا يثبت وقد تواترت الاخبار أن عثمان هو الذي
زاده فهو المعتمد وقد روى عبد الرزاق ما يقوي هذا الاثر عن ابن جريج قال قال
سليمان بن موسى أول من زاد الاذان بالمدينة عثمان فقال عطاء كلا انما كان
يدعو الناس ولا يؤذن غير أذان واحد انتهى لكن عطاء لم يدرك عثمان ابن

عفان

عفان فرواية من أثبت ذلك عنه مقدمة على انكاره ويمكن الجمع بأن التي
كان في زمن عمر بن الخطاب استمر على عهد عثمان ثم رأى أن يجعله أذانا وأن يكون
على مكان عال ففعل ذلك فنسب اليه لكونه بألفاظ الاذان وترك ما كان يفعله
عمر لكونه مجرد اعلام * وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر قال الاذان
الاول يوم الجمعة بدعة فيحتمل أن يكون قال ذلك على سبيل الانكار وأن يكون
أراد به لم يكن في زمنه عليه الصلاة والسلام لان كل مالم يكن في زمنه عليه الصلاة
والسلام يسمى بدعة لكن منها ما يكون حسنا ومنها ما يكون غير ذلك ثم ان فعل
عثمان رضي الله عنه كان اجماعا سكوتيا لانهم لم ينكروه عليه انتهى * وأول
جمعة جمعها النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه كما قدمناه في حديث الهجرة في بني
سالم بن عوف في بطن واديهم فخطبهم وهي أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها
الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأومن به ولا أكفره وأعادي من
يكفر به وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله
أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من
العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من
يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا
أوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الآخرة وأن
يأمره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل به على
وجل ومخافة من ربه عون وصدق على ما يبتغون من الآخرة ومن يصل الذي
بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا
في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى
ذلك يود لو أن بينه وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد هو
الذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما أنا
بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله
يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وأن تقوى الله
توقي مقته وتوقي عقوبته وسخطه وأن تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع
الدرجة فخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله
ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما أحسن الله اليكم وعادوا أعداءه
وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن
بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا

لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ذكر هذه الخطبة القرطبي في تفسيره وغيره وقد كان صلى الله عليه وسلم يخطب متوكئا على قوس أو عصى ✽ وفي سنن ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا خطب في الجمعة خطب على عصا وعند أبي داود باسناد حسن أنه صلى الله عليه وسلم قام متوكئا على قوس أو عصا قالوا والحكمة في التوكىء على نحو السيف الاشارة الى أن هذا الدين قام بالسلاح ولهذا قبضه باليسرى كعادة مريد الجهاد ونازع فيه العلامة ابن القيم في الهدى النبوي وقال ان الدين لم يقم الا بالقرآن والوحي كذا قاله والله أعلم وكان صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر سلم رواه ابن ماجه وكان صلى الله عليه وسلم يخطب قائما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قائما رواه مسلم من رواية جابر بن سمرة وفي رواية له كانت له صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس وفي حديث ابن عمر عند أبي داود كان عليه الصلاة والسلام يخطب خطبتين كان يجلس اذا صعد المنبر حتى يفرغ المؤذن ثم يقوم فيخطب ثم يجلس فلا يتكلم ثم يقوم فيخطب قال ابن المنذر الذي عليه أهل العلم من علماء الامصار الخطبة قائما ونقل غيره عن أبي حنيفة أن القيام في الخطبة سنة وليس بواجب وعن مالك رواية أنه واجب فان تركه أساء وصحت الخطبة وعند الباقين أن القيام شرط يشترط للقادر كالصلاة واستدلوا بحديث جابر بن سمرة وبمواظبته صلى الله عليه وسلم على القيام وبمشروعية الجلوس بين الخطبتين فلو كان القعود مشروعا في الخطبتين ما احتيج الى الفصل بالجلوس ولان الذي نقل عنه الجلوس وهو معاوية كان معذورا فعند ابن أبي شيبة من طريق الشعبي أن معاوية انما خطب قاعدا لما كثر شحم بطنه واستدل الشافعي لوجوب الجلوس بين الخطبتين بما تقدم وبمواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك مع قوله صلوا كما رأيتموني أصلي وكان صلى الله عليه وسلم يقول بعد الثناء أما بعد كما قاله البخاري وكان صلى الله عليه وسلم اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول ثم أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا

فلاهاله ومن ترك دينا أو ضياعا فالى وعلى رواه مسلم والنسائى من حديث جابر وفى رواية كانت خطبته صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثنى عليه ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته وذكر نحوه * وفى أخرى كان يخطب الناس يحمد الله ويثنى عليه بما هو أهله ثم يقول من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وخير الحديث كتاب الله ثم ذكر نحو ما تقدم * وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت ما أخذت ق والقرآن المجيد الا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها كل جمعة على المنبر اذا خطب الناس رواه مسلم * وعن الحكم بن حزن الكلفى قال قدمت الى النبى صلى الله عليه وسلم سابع سبعة أو تاسع تسعة فلبثنا عنده أياما شهدنا فيها الجمعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على قوس أو قال على عصا فحمد الله وأثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال يا أيها الناس انكم لن تفعلوا أو لن تطيقوا كلما أمرتكم به ولكن سددوا وأبشروا رواه أحمد وأبو داود * وعن يعلى بن أمية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك رواه البخارى ومسلم * وعن أبى الدرداء قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فقال توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبل ان تشتغلوا وصلوا الذى بينكم وبين ربكم تسعدوا وأكثروا الصدقة ترزقوا وأمروا بالمعروف تخصبوا وانهوا عن المنكر تنصروا يا أيها الناس ان أكيسكم أكثركم ذكرا للموت وأكرمكم أحسنكم استعدادا له ألا وان من علامات العقل التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور رواه ورواه ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله مختصرا بنحوه * وفى مراسيل أبى داود عن الزهرى قال كان صدر خطبة النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى نسأل الله ربنا أن يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه * وعنده أيضا عنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا خطب كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت لا يعجل الله لعجلة أحد ولا يخف لأمر الناس ما شاء الله لا ما شاء الناس يريد الله أمرا ويريد الناس أمرا ما شاء الله كان ولو كره الناس ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شىء الا باذن الله عز وجل * وقال جابر كان صلى الله عليه وسلم اذا

خطب يوم الجمعة يقول بعد أن يحمد الله ويصلي على أنبيائه أيها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم. ان العبد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لايدري ما الله قاض فيه وبين أجل قد بقي لايدري ما الله صانع فيه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات والذى نفسي بيده مابعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار اقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

* وعن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب يوما فقال ألا ان الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ألا وان الآخرة أجل صادق يقضي فيها ملك قادر ألا وان الخير كله بحذافيره في الجنة ألا وان الشر كله بحذافيره في النار ألا فاعملوا وأنتم من الله على حذر واعلموا انكم معروضون على أعمالكم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره رواه الشافعي وعند أبي نعيم في الحلية نحوه واختلفوا هل يجب الانصات ويمنع من جميع أنواع الكلام حال الخطبة أم لا وعن الشافعي في المسئلة قولان مشهوران وبناهما بعض الاصحاب على الخلاف في أن الخطبة بدل عن الركعتين أم لا فعلى الاول يحرم لا على الثاني والثاني هو الارجح عندهم فمن ثم أطلق من أطلق منهم اباحة الكلام حتى شنع على من شنع عليهم من المخالفين وعن أحمد أيضا روايتان وعنهما أيضا التفرقة بين من يسمع الخطبة وبين من لا يسمعها واغرب ابن عبد البر فنقل الاجماع على وجوب الانصات على من سمعها الا عن قليل من التابعين ودخل سليك الغطفاني وهو صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له صلى الله عليه وسلم صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين رواه البخاري ومسلم وأبو داود واستدل به على ان الخطبة لا تمنع الداخل من صلاة تحية المسجد وتعقب بأنها واقعة عين وعموم لها فيحتمل اختصاصها بسليك ويدل عليه قوله في حديث أبي سعيد عند أهل السنن جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب في هيئة بذة فقال له أصليت قال لا قال صل ركعتين وحض الناس على الصدقة الحديث فأمره بأن يصلي ركعتين ليراه بعض الناس وهو قائم فيتصدق عليه وورد أيضا ما يؤيد الخصوصية وهو ما أخرجه ابن حبان وهو قوله صلى الله عليه وسلم لسليك في آخر الحديث لا تعودن لمثلها وممايضعف الاستدلال به على جواز التحية في تلك الحالة أنهم أطلقوا ان التحية تفوت بالجلوس فهذا ما اعتل به من طعن في الاستدلال بهذه القصة على جواز التحية وكله مردود لان الاصل عدم الخصوصية والتعليل بكونه عليه الصلاة والسلام قصد التصدق عليه لا يمنع القول بجواز

التحية فإن المانعين منها لا يجيزون التطوع لعلة التصدق قال ابن المنير لو ساغ ذلك لساغ مثله في التطوع عند طلوع الشمس وسائر الأوقات المكروهة ولا قائل به ومما يدل على أن أمره بالصلاة لم ينحصر في قصد التصدق معاودته عليه الصلاة والسلام بأمره بالصلاة في الجمعة الثانية بعد أن حصل له في الجمعة الأولى ثوبان تصدق بهما عليه فدخل بهما في الثانية فتصدق بأحدهما فنهاه صلى الله عليه وسلم عن ذلك أخرجه النسائي وابن خزيمة من حديث أبي سعيد أيضا ولأحمد وابن حبان أنه كرر أمره بالصلاة ثلاث مرات في ثلاث جمع فدل على أن قصد التصدق عليه جزء علة لا علة كاملة * وأما إطلاق من أطلق أن التحية تفوت بالجلوس فقد حكى النووي في شرح مسلم عن المحققين أن ذلك في حق العامد العالم أما الجاهل والناسي فلا وحال هذا الداخل محمولة في المرة الأولى على أحدهما وفي المرتين الأخيرتين على النسيان والحامل للمانعين على التأويل المذكور أنهم زعموا أن ظاهره معارض للأمر بالإنصات والاستماع للخطبة وقد أجاب الحافظ ابن حجر عن ذلك وغيره من أدلة المانعين بما يطول ذكره ثم قال وهذه الأجوبة التي قدمناها تندفع من أصلها بعموم قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي قتادة إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين متفق عليه * قال وورد أخص منه في حال الخطبة ففي رواية شعبة عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب إذا جاء أحدكم والإمام يخطب أو قد خرج فليصل ركعتين متفق عليه ولمسلم من طريق أبي سفيان عن جابر أنه قال ذلك في قصة سليك ولفظه بعد قوله فاركعهما وتجوز ثم قال إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما قال النووي هذا نص لا يتطرق إليه التأويل ولا أظن عالما يبلغه هذا اللفظ ويعتقده صحيحا فيخالفه وقال العارف أبو محمد بن أبي جمرة هذا الذي أخرجه مسلم نص في الباب لا يحتمل التأويل انتهى وقد قال قوم إنما أمره صلى الله عليه وسلم بسنة الجمعة التي قبلها ومستندهم قوله عليه الصلاة والسلام في قصة سليك عند ابن ماجه أصليت ركعتين قبل أن تجيء لأن ظاهره قبل أن تجيء من البيت ولهذا قال الأوزاعي إن كان صلى في البيت قبل أن يجيء فلا يصلي إذا دخل المسجد وتعقب بأن المانع من صلاة التحية لا يجيز التنفل حال الخطبة مطلقا ويحتمل أن يكون معنى قوله قبل أن تجيء أي إلى الموضع الذي أنت فيه الآن وفائدة الاستفهام احتمال أن يكون صلاهما في مؤخر المسجد ثم تقدم ليقرب من سماع الخطبة ويؤيده

الا في رواية مسلم أصليت ركعتين بالألف واللام وهي للعهد ولا عهد هنا أقرب من تحية المسجد وأما سنة الجمعة التي قبلها فيأتي الكلام فيها ان شاء الله تعالى وكانت صلاته صلى الله عليه وسلم الجمعة قصدا وخطبته قصدا رواه مسلم والترمذي من رواية جابر بن سمرة زاد في رواية أبي داود يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس * وله في أخرى كان لا يطيل الموعظة يوم الجمعة انما هي كلمات يسيرات وعن عمرو بن حريث أنه صلى الله عليه وسلم خطب وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه رواه مسلم قال ابن القيم في الهدي وكان عليه الصلاة والسلام اذا اجتمع الناس خرج اليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان ولا طرحة ولا سواد فاذا دخل المسجد سلم عليهم فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ثم يجلس ويأخذ بلال في الاذان فاذا فرغ منه قام صلى الله عليه وسلم فخطب من غير فصل بين الاذان والخطبة لا بايراد خبر ولا غيره ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان يعتمد على قوس أو عصا قبل ان يتخذ المنبر وكان يأمر الناس بالدنو منه ويأمرهم بالانصات انتهى وينظر في قوله ولم يكن يأخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان يعتمد على قوس أو عصا قبل ان يتخذ المنبر وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ بسورة الجمعة في الركعة الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية رواه مسلم والترمذي وأبو داود والحكمة في قراءته صلى الله عليه وسلم بسورة الجمعة اشتمالها على وجوب الجمعة وغير ذلك مما فيه من القواعد والحث على التوكل والذكر وغير ذلك وقراءة سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها منهم وتنبيههم على التوبة وغير ذلك مما فيها من القواعد لانهم ما كانوا يجتمعون في مجلس أكثر من اجتماعهم فيها * وفي حديث النعمان بن بشير عند مسلم وكان يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وقد اختلف في العدد الذي تنعقد بهم الجمعة وللعلماء فيه خمسة عشر قولا أحدها تصح من الواحد الثاني اثنان كالجماعة وهو قول النخعي وأهل الظاهر الثالث اثنان مع الامام عند أبي يوسف ومحمد والليث الرابع ثلاثة معه عند أبي حنيفة وسفيان الثوري الخامس سبعة عند عكرمة السادس تسعة عند ربيعة السابع اثنا عشر عند ربيعة أيضا في رواية الثامن مثله غير الامام عند اسحاق * التاسع عشرون في رواية ابن حبيب عن مالك * العاشر ثلاثون كذلك الحادي عشر أربعون بالامام عند امامنا الشافعي واشترط كونهم احرارا بالغين عقلا مقيمين لا يظعنون صيفا ولا شتاء الا لحاجة وان يكونوا حاضرين

من أول الخطبة الى أن تقام الجمعة وحجة الشافعى ما رواه الدارقطنى وابن ماجه والبيهقى فى الدلائل عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد أبى حين ذهب بصره فاذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان صلى على أبى امامة واستغفر له فمكث كذلك حينا لا يسمع الاذان فى الجمعة الا فعل ذلك فقلت له يا أبت استغفارك لابى امامة كلما سمعت أذان الجمعة ما هو قال يا بنى هو أول من جمع بالمدينة قال قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعون رجلا وقال جابر بن عبد الله مضت السنة ان فى كل ثلاثة اماما وفى كل أربعين فما فوق ذلك جمعة خرجه الدارقطنى وروى البيهقى عن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم جمع بالمدينة وكانوا أربعين رجلا قال شيخ الاسلام زكريا الانصارى نفع الله بوجوده قال فى المجموع قال أصحابنا وجه الدلالة ان الامة أجمعوا على اشتراط العدد والاصل الظهر فلا تصح الجمعة الا بعدد ثبت فيه توقيف وقد ثبت جوازها بأربعين وثبت صلوا كما رأيتمونى ولم تثبت صلاته لها بأقل من ذلك فلا يجوز بأقل منه قل وأما خبر انفضاضهم فلم يبق الا اثنا عشر فليس فيه ان ابتداءها كان باثنى عشر بل يحتمل عودهم أو عود غيرهم مع سماعهم أركان الخطبة وفى مسلم انفضوا فى الخطبة وفى رواية البخارى انفضوا فى الصلاة وهى محمولة على الخطبة جمعا بين الاخبار انتهى الثانى عشر أربعون غير الامام عند الشافعى أيضا وبه قال عمر بن عبد العزيز وطائفة الثالث عشر خمسون عند أحمد فى رواية وحكيت عن عمر بن عبد العزيز وطائفة الرابع عشر ثمانون حكاه المازرى الخامس عشر جمع كثير بغير حصر ولعل هذا الاخير أرجحها من حيث الدليل قاله فى فتح البارى

(الباب الثالث فى تهجده صلوات الله وسلامه عليه)

قال الله تعالى له عليه الصلاة والسلام ومن الليل فتهجد به نافلة لك أى بالقرآن والمراد منه الصلاة المشتملة على القرآن والهجود فى اللغة النوم وعن أبى عبيدة الهاجد النائم والهاجد المصلى بالليل وعن الازهرى الهاجد النائم وقال المازرى التهجد الصلاة بعد الرقاد ثم صلاة أخرى بعد رقدة قال وهكذا كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله نافلة لك أى عبادة زائدة فى فرائضك ويمكن نصرة هذا القول بأن قوله فتهجد أمر وصيغة الامر للوجوب فوجب كون هذا التهجد واجبا وروى الطبرى عن ابن عباس أن النافلة للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة لانه أمر بقيام الليل وكتب عليه دون أمته واسناده ضعيف وقيل معناه زيادة

الا خالصة لان تطوع غيره يكفرها على صاحبه من ذنب وتطوعه هو صلى الله عليه
وسلم يقع خالصا له لكونه لا ذنب عليه فكل طاعة يأتي بها صلى الله عليه وسلم
سوى المكتوبة انما تكون لزيادة الدرجات وكثرة الحسنات ولهذا سمي نافلة
بخلاف الامة فان لهم ذنوبا محتاجة الى الكفارات فهذه الطاعات يحتاجون اليها
لتكفير الذنوب والسيآت * وروى مسلم من طريق سعد بن هشام عن
عائشة قالت ان الله افترض قيام الليل في هذه السورة اعني يا أيها المزمل فقام نبي
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى أنزل في آخر هذه السورة التخفيف
فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضته * وروى محمد بن نصر في قيام الليل من
طريق سماك عن ابن عباس شاهد الحديث عائشة في أن بين النسخ والايجاب
سنة وحكى الشافعي عن بعض أهل العلم أن آخر السورة نسخ افتراض قيام الليل
الا ما تيسر منه ثم نسخ فرض ذلك بالصلوات الخمس * وروى محمد بن نصر من
حديث جابر أن نسخ قيام الليل وقع لما توجهوا مع أبي عبيدة في جيش الخبط وكان
ذلك بعد الهجرة لكن في اسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف فوجوب قيام
الليل قد نسخ في حقنا وهل نسخ في حقه صلى الله عليه وسلم أكثر الاصحاب
لا والصحيح نعم ونقله الشيخ أبو حامد عن النص وقالت عائشة قام صلى الله عليه وسلم
حتى تورمت قدماه وفي رواية حتى تفطرت قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله
وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا قالت
فلما بدن وكثر لحمه صلى جالسا فاذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع رواه البخاري
ومسلم والفاء في قوله أفلا أكون للسببية وهي عن محذوف تقديره أأترك تهجدي
أفلا أكون عبدا شكورا والمعنى أن المغفرة سبب لكون التهجد شكرا فكيف
أتركه قال ابن بطال في هذا الحديث أخذ الانسان على نفسه بالشدة في العبادة
وان أضر ذلك ببدنه لانه صلى الله عليه وسلم اذا فعل ذلك مع علمه بما سبق له
فكيف بمن لا يعلم فضلا عمن لم يأمن أنه استحق النار انتهى ومحل ذلك كما قال
الحافظ ابن حجر في فتح الباري ما لم يفض ذلك الى الملال لان حال النبي صلى الله عليه
وسلم كانت أكمل الاحوال فكان لا يمل من عبادة ربه وان أضر ذلك ببدنه بل صح
أنه عليه الصلاة والسلام قال وجعلت قرة عيني في الصلاة كما أخرجه النسائي
من حديث أنس فأما غيره صلى الله عليه وسلم فاذا خشي الملل ينبغي له أن لا يكد
نفسه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله
لا يمل حتى تملوا انتهى لكن ربما دست النفس أو الشيطان على المجتهد في العبادة

عليه اوفيهم أبو بكر وعمر فهابا ان يكلماه وخرج سرعان الناس فقالوا قصرت الصلاة ورجل يدعوه النبي صلى الله عليه وسلم ذا اليدين فقال أنسيت أم قصرت الصلاة فقال لم أنس ولم تقصر فقال بلى قد نسيته فصلى ركعتين ثم سلم فكبر فسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر ثم وضع رأسه فكبر وسجد فسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر وعن ابن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر فسلم من ثلاث ركعات ثم دخل منزله فقام اليه رجل يقال له الخرباق وكان في يديه طول فقال يا رسول الله فذكر صنيعه وخرج غضبان يجر رداءه حتى انتهى الى الناس فقال أصدق هذا قالوا نعم فصلى ركعة ثم سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم رواه مسلم وهو من افراده لم يروه البخاري ورواه أحمد وأبو داود والخرباق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة وآخره قاف هو اسم ذي اليدين كما ذهب اليه الاكثر وطول يديه يمكن أن يحمل على الحقيقة أو كناية عن طولهما بالعمل أو البذل قال الحافظ ابن حجر الظاهر في نظري توحد حديث أبي هريرة وان كان قد جنح ابن خزيمة ومن تبعه الى تعدد هذه القصة والحامل لهم على ذلك اختلاف الواقع في السياقين * ففي حديث أبي هريرة ان السلام وقع من اثنتين وأنه صلى الله عليه وسلم قام الى خشبة في المسجد * وفي حديث عمران هذا أنه سلم من ثلاث وأنه دخل منزله لما فرغ من الصلاة * فأما الاول فقد حكى كيكلدي العلائي ان بعض شيوخه حمله على ان المراد به أنه سلم في ابتداء الركعة الثالثة واستبعده ولكن طريق الجمع يكتفي فيها بأدنى مناسبة وليس بأبعد من دعوى تعدد القصة فانه يلزم منه كون ذي اليدين في كل مرة استفهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك واستفهم النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة عن صحة قوله * وأما الثاني فلعل الراوي لما رآه تقدم من مكانه الى جهة الخشبة ظن أنه دخل منزله لكون الخشبة كانت في جهة منزله فان كان كذلك والا فرواية أبي هريرة أرجح لموافقة ابن عمر له على سياقه كما أخرجه الشافعي وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة انتهى * وعن معاوية بن حديج بضم الحاء المهملة آخره جيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوما فانصرف وقد بقي من الصلاة ركعة فأدركه رجل فقال أنسيت من الصلاة ركعة فرجع فدخل المسجد فأمر بلالا فأقام الصلاة فصلى بالناس ركعة فأخبرت بذلك الناس فقالوا أو تعرف الرجل قلت لا الا أن أراه فمر بي فقلت هو هذا فقالوا هذا طلحة بن عبيد الله رواه أبو داود والبيهقي في سننهما وابن خزيمة في صحيحه وعين الصلاة المغرب وقال ابن

وفي رواية للنسائي كان يصلي العتمة ثم يسبح ثم يصلي بعدها ماشاء من الليل ثم ينصرف فيرقد مثل ما صلى ثم يستيقظ من نومه فيصلي مثل ما نام وصلاته تلك الآخرة تكون الى الصبح وعن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل مصليا الا رأيناه ولا نشاء ان نراه نائما الا رأيناه رواه النسائي وكان اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك أنت الوهاب رواه أبوداود من حديث عائشة وعنها كان عليه الصلاة والسلام اذا هب من الليل كبر الله عشرا وحمد الله عشرا وقال سبحان الله وبحمده عشرا وقال سبحان الملك القدوس عشرا واستغفر الله عشرا وهلل عشرا ثم قال اللهم انى أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة عشرا ثم يفتتح الصلاة رواه أبوداود وقد روى حديث قيامه بالليل ووتره عائشة وابن عباس قال ابن القيم واذا اختلف ابن عباس وعائشة في شيء من أمر قيامه عليه الصلاة والسلام بالليل فالقول قول عائشة لكونها أعلم الخلق بقيامه بالليل انتهى فأما حديث ابن عباس فرواه البخاري ومسلم بلفظ بت عند خالتي ميمونة ليلة والنبي صلى الله عليه وسلم عندها فتحدث النبي صلى الله عليه وسلم مع أهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر أو نصفه قعد ينظر الى السماء فقرأ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار حتى ختم السورة ثم قام الى القربة فاطلق شناقها ثم صب في الجفنة ثم توضأ وضوءا حسنا بين الوضوءين لم يكثر وقد أبلغ فقام يصلي فقمت فتوضأت فقمت عن يساره فأخذ بأذني فأدارني عن يمينه فتتامت صلاته ثلاث عشرة ركعة ثم اضطجع فنام حتى نفخ وكان اذا نام نفخ فآذنه بلال بالصلاة فصلى ولم يتوضأ وكان يقول في دعائه اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وأمامي نورا وخلفي نورا واجعل لي نورا وزاد بعضهم وفي لساني نورا وذكر عصبي ولحمي ودمي وشعري وبشري * وفي رواية فصلى ركعتين خفيفتين ثم قرأ فيهما بأم الكتاب في كل ركعة ثم سلم ثم صلى احدى عشرة ركعة بالوتر ثم نام فأتاه بلال فقال الصلاة يارسول الله فقام فركع ركعتين ثم صلى بالناس * وفي رواية فقام فصلى ثلاث عشرة ركعة منها ركعتا الفجر حزرت قيامه في كل ركعة بقدر يا أيها المزمل * وفي رواية فصلى ركعتين وركعتين حتى صلى ثماني ركعات ثم أوتر بخمس لم يجلس فيهن * وفي رواية النسائي أنه صلى احدى عشرة ركعة ثم نام حتى استثقل فراشه ينفخ فأتاه بلال

الحديث * وفي أخرى له فتوضأ واستاك وهو يقرأ هذه الآية حتى فرغ منها ان في خلق السموات والارض ثم صلى ركعتين ثم عاد فنام حتى سمعت نفخه ثم قام فتوضأ واستاك وصلى ركعتين وأوتر واسلم فاستيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول ان في خلق السموات والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين أطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلاث مرات بست ركعات كل ذلك يستاك ويتوضأ وهو يقرأ هذه الآيات ثم أوتر بثلاث وأما حديث عائشة فعن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت كان خلقه القرآن قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كنا نعد له صلى الله عليه وسلم سواكه وطهوره فيبعثه الله ماشاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات ولا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله ويحمده ويدعو ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين بعد ما يسلم وهو قاعد فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما أسن وأخذه اللحم أوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول فتلك تسع يا بني رواه مسلم وللنسائي كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيستاك ويتوضأ ويصلي تسع ركعات ولا يجلس فيهن الا عند الثامنة ويحمد الله تعالى ويصلي على نبيه ويدعو بينهن ولا يسلم ثم يصلي التاسعة ويقعد ويحمد الله تعالى ويصلي على نبيه ثم يسلم تسليما يسمعنا ثم يصلي ركعتين وهو قاعد زاد في أخرى فتلك احدى عشرة ركعة يا بني فلما أسن صلى الله عليه وسلم وأخذه اللحم أوتر بسبع وصنع في الركعتين مثل صنيعه في الاول ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما سلم فتلك تسع أي بني * وفي رواية له فصلى ست ركعات يخيل الي أنه سوى بينهن في القراءة والركوع والسجود ثم يوتر بركعة ثم يصلي ركعتين وهو جالس ثم يضع جنبه * وعن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين رواه مسلم وأحمد وعنها كان عليه الصلاة والسلام يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء الى الفجر احدى عشرة ركعة ويسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فيسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر وتبين لنا الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن للاقامة رواه أبو داود وعنها قالت كان يصلي ثلاث عشرة ركعة يوتر

من ذلك بغسل ولا يجلس في شيء الا في آخرها رواه البخاري ومسلم * وفي البخاري عن مسروق سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت سبعا وتسعا واحدى عشرة سوى ركعتي الفجر وعنده أيضا عن القاسم ابن محمد عنها كان صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة منها الوتر وركعتا الفجر قال القرطبي أشكلت روايات عائشة على كثير من أهل العلم حتى نسب بعضهم حديثها الى الاضطراب وهذا انما يتم لو كان الراوي عنها واحدا وأخبرت عن وقت واحد والصواب أن كل شيء ذكرته من ذلك محمول على أوقات متعددة وأحوال مختلفة بحسب النشاط وبيان الجواز انتهى * وأما ما أجابت به مسروقا فمرادها أن ذلك وقع منه في أوقات مختلفة فتارة كان يصلي سبعا وتارة تسعا وتارة احدى عشرة وأما حديث القاسم عنها فمحمول على أن ذلك كان غالب أحواله قيل والحكمة في عدم الزيادة على احدى عشرة أن التهجد والوتر مختص بصلاة الليل وفرائض النهار الظهر وهي أربع والعصر وهي أربع والمغرب وهي ثلاث وتر النهار فناسب أن تكون صلاة الليل كصلاة النهار في العدد جملة وتفصيلا وأما مناسبة ثلاث عشرة فبضم صلاة الصبح لكونها نهارية الى ما بعدها انتهى وعن زيد بن خالد الجهني أنه قال لأرمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة قال فصلى ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة رواه مسلم وقوله ثم صلى ركعتين وهما دون اللتين قبلهما أربع مرات هكذا في صحيح مسلم وموطأ مالك وسنن أبي داود وجامع الأصول لابن الأثير فقد كان قيامه عليه الصلاة والسلام بالليل أنواعا أحدها ست ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بثلاث كما في حديث ابن عباس عند مسلم ثانيها أنه كان يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ثم يتم ورده احدى عشرة ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بركعة رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة ثالثها ثلاث عشرة كذلك رواه مسلم من حديث زيد بن خالد الجهني رابعها ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ثم يوتر بخمس سردا متوالية لا يجلس الا في آخرهن رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس خامسها تسع ركعات لا يجلس فيها الا في الثامنة فيذكر الله ويحمده ويدعوه ثم ينهض ولا يسلم فيصلي التاسعة ثم يقعد فيحمده ويدعوه ثم يسلم ثم يصلي ركعتين بعدما يسلم قاعدا رواه مسلم من حديث عائشة سادسها يصلي سبعا كالتسع ثم يصلي بعدها ركعتين جالسا

رواه مسلم أيضا في صحيحه بسلسلتها كان يصلي مثنى مثنى ثم يوتر بثلاث لا يفصل
بينهن رواه أحمد منها ثامنها ما رواه النسائي عن حذيفة أنه صلى مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في رمضان فركع فقال في ركوعه سبحان ربي العظيم مثل ما كان قائما
ثم جلس يقول رب اغفر لي رب اغفر لي رب اغفر لي فصلى الا أربع ركعات حتى
جاء بلال يدعوه الى الغداة ورواه أبو داود ولفظه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي من الليل فكان يقول الله أكبر ثلاثا ذو الملكوت والجبروت والكبرياء
والعظمة ثم استفتح فقرأ البقرة ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه وكان يقول في
ركوعه سبحان ربي العظيم ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحوا من ركوعه
ثم يقول لربي الحمد ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه فكان يقول في سجوده
سبحان ربي الأعلى ثم رفع رأسه من السجود وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من
سجوده وكان يقول رب اغفر لي رب اغفر لي فصلى أربع ركعات فقرأ فيهن البقرة
وآل عمران والنساء والمائدة أو الانعام شك شعبة ورواه البخاري ومسلم بلفظ
صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند
المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء
فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلا اذا مر بآية فيها تسبيح سبح واذا مر
بسؤال سأل واذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول سبحان ربي العظيم فكان
ركوعه نحو قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده زاد في رواية ربنا لك الحمد ثم قام قياما
طويلا قريبا مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريبا من قيامه
وزاد النسائي لا يمر بآية تخويف أو تعظيم لله عز وجل الا ذكره وقد كانت هيئة
صلاته عليه الصلاة والسلام ثلاثة أحدها انه كان أكثر صلاته قائما فعن حفصة
قالت ما رأيته صلى الله عليه وسلم صلى في سبحته قاعدا حتى كان قبل وفاته بعام فكان
يصلي في سبحته قاعدا الحديث رواه أحمد ومسلم والنسائي وصححه الترمذي الثاني
كان يصلي قاعدا ويركع قاعدا رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة
بلفظ واذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد الثالث كان يقرأ قاعدا فاذا بقي
يسير من قراءته قام فركع قائما رواه مسلم من حديث عائشة ولفظه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يصلي جالسا ويقرأ وهو جالس فاذا بقي من قراءته قدر
ما يكون ثلاثين آية أو أربعين آية قام وقرأ وهو قائم ثم ركع ثم سجد ثم يفعل
في الركعة الثانية مثل ذلك وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يصلي متربعا
وأما الدائمة فهي ركعتان صلى الله عليه وسلم لم يصلي ركعتين بعد الوتر جالسا تارة وتارة

يوتر بواحدة ثم يركع ركعتين يقرأ فيهما وهو جالس فاذا أراد أن يركع قام فركع قالت عائشة كان يوتر بواحدة ثم يركع ركعتين يقرأ فيهما وهو جالس فاذا أراد أن يركع قام فركع رواه ابن ماجه وعن أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما اذا زلزلت والكافرون رواه أحمد واختلف في هاتين الركعتين فأنكرهما مالك وكذا النووي في المجموع وقال أحمد لا أفعله ولا أمنعه انتهى والصواب أنه انما فعلهما بيانا لجواز الصلاة بعد الوتر وجواز الصلاة جالسا ولفظة كان لا تفيد دواما ولا اكثرية هنا وغلط من ظنهما سنة راتبة فانه صلى الله عليه وسلم ما داوم عليهما ولا تشبه السنة بالفرض حتى يكون للوتر صلاة بعده

* (واما قيامه عليه الصلاة والسلام ليلة النصف من شعبان) *

فعن عائشة رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل فصلى فأطال السجود حتى ظننت أنه قد قبض فلما رأيت ذلك قمت حتى حركت ابهامه فتحرك فرجعت فلما رفع رأسه من السجود وفرغ من صلاته قال يا عائشة أو يا حميراء أظننت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد خاس بك قلت لا والله يا رسول الله ولكن ظننت انك قد قبضت لطول سجودك فقال أتدرين أي ليلة هذه قلت الله ورسوله اعلم قال هذه ليلة النصف من شعبان ان الله عز وجل يطلع على عباده ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم رواه البيهقي من طريق العلاء بن الحارث عنها وقال هذا مرسل جيد يعني ان العلاء لم يسمع من عائشة وقد ورد في فضل ليلة النصف من شعبان أحاديث كثيرة لكن ضعفها الاكثرون وصحح ابن حبان بعضها وخرجه في صحيحه ومن أمثلها كما نبه عليه الحافظ ابن رجب حديث عائشة قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافع رأسه الى السماء فقال أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله فقلت يا رسول الله قد ظننت انك أتيت بعض نسائك فقال ان الله تعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب رواه أحمد وقال الترمذي ان البخاري ضعفه وفي سنن ابن ماجه باسناد ضعيف عن علي مرفوعا اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول الا مستغفر فأغفر له الا مسترزق فأرزقه الا مبتلى فأعافيه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر وقد كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول يجتهدون ليلة النصف من شعبان في العبادة وعنهم اخذ الناس تعظيمها ويقال انه بلغهم في ذلك

آثار اسرائيلية فلما اشتهر ذلك عنهم اختلف الناس فيه فمنهم من قبله منهم وقد أنكر ذلك أكثر العلماء من أهل الحجاز منهم عطاء وابن أبي مليكة ونقله عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة وهو قول أصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة واختلف علماء أهل الشام في صفة احيائها على قولين أحدهما أنه يستحب احياؤها جماعة في المساجد وكان خالد بن معدان ولقمان بن عامر يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون في المسجد ليلتهم تلك ووافقهم اسحاق بن راهويه على ذلك وقال في قيامها في المساجد جماعة ليس ذلك ببدعة نقله عنه حرب الكرماني في مسائله والثاني أنه يكره الاجتماع لها في المساجد للصلاة والقصص والدعاء ولا يكره أن يصلي الرجل فيها لخاصة نفسه وهذا قول الاوزاعي امام أهل الشام وفقيههم وعالمهم ولا يعرف للامام أحمد كلام في ليلة النصف من شعبان ويتخرج في استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه في قيام ليلتي العيد فانه في رواية لم يستحب قيامهما جماعة لانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه فعلها واستحبها في رواية لفعل عبد الرحمن بن زيد بن الاسود لذلك وهو من التابعين وكذلك قيام ليلة النصف من شعبان لم يثبت فيها شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه انما ثبت عن جماعة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام انتهى ملخصا من اللطائف وأما قوله تعالى في سورة الدخان انا أنزلناه في ليلة مباركة فالمراد بها انزاله تعالى القرآن في ليلة القدر كما قال تعالى انا أنزلناه في ليلة القدر وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن قال الحافظ ابن كثير ومن قال انها ليلة النصف من شعبان كما روى عن عكرمة فقد أبعد النجعة فان نص القرآن أنها في رمضان وأما الحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة أن الاخنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى فهو حديث مرسل ومثله لا تعارض به النصوص انتهى

(وأما قيامه عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان وهو الذي يسمى بالتراويح)

جمع ترويحة وهي المرة الواحدة من الراحة وسميت بذلك لانهم أول ما جمعوا عليها كانوا يستريحون بين كل تسليمتين فعن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان احيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي ولمسلم قالت كان صلى الله عليه وسلم

يجتهد في رمضان مالا يجتهد في غيره وفي العشر الاخير منه مالا يجتهد في غيره وفي رواية الترمذي كان يجتهد في العشر الاواخر منه مالا يجتهد في غيره وعنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في المسجد فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة فلم يخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبح قال قد رأيت الذي صنعتم ولم يمنعني من الخروج اليكم الا اني خشيت أن تفرض عليكم وذلك في رمضان رواه البخاري ومسلم وأبوداود وفي رواية للبخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم خرج من جوف الليل فصلى في المسجد فصلى رجال بصلاته فأصبح الناس يتحدثون بذلك فاجتمع أكثر منهم فخرج عليه الصلاة والسلام في الليلة الثانية فصلوا بصلاته فأصبح الناس يذكرون ذلك فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج فصلوا بصلاته فلما كان في الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله فلم يخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فطفق رجال منهم يقولون أفلا يخرج اليهم حتى خرج لصلاة الفجر فلما قضى الفجر أقبل على الناس ثم تشهد فقال أما بعد انه لم يخف على شأنكم الليلة ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها وفي رواية بنحوه ومعناه مختصرا قال وذلك في رمضان قال في فتح الباري ظاهر الحديث أنه صلى الله عليه وسلم توقع ترتب افتراض الصلاة بالليل جماعة على وجود المواظبة عليها وفي ذلك اشكال وقد بناه بعض المالكية على قاعدتهم في أن الشروع ملزم وفيه نظر وأجاب المحب الطبري أنه يحتمل أن يكون الله عزوجل أوحى اليه أنك ان واظبت على هذه الصلاة معهم افترضتها عليهم فأحب التخفيف عنهم وقيل خشي أن يظن أحد من الامة من مداومته عليها الوجوب قال القرطبي أي يظنوه فرضا فيجب على من ظن ذلك كما اذا ظن المجتهد حل شيء أو تحريمه فانه يجب عليه العمل به وقد استشكل الخطابي أصل هذه الخشية مع ما ثبت في حديث الاسراء من أن الله تعالى قال هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدى فاذا أمن التبديل كيف يقع الخوف من الزيادة وهذا يدفع في صدور الاجوبة المتقدمة وأجاب عنه الخطابي بأن صلاة الليل كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم وأفعاله الشرعية يجب على الامة الاقتداء به فيها يعني عند المواظبة فترك الخروج اليهم لئلا يدخل ذلك في الواجب من طريق الامر بالاقتداء به لا من طريق انشاء فرض جديد زائد على الخمس وهذا كما يوجب المرء على نفسه صلاة نذر فتجب عليه ولا يلزم من ذلك زيادة فرض في أصل الشرع قال وفيه احتمال آخر وهو أن الله تعالى فرض الصلاة خمسين ثم حط معظمها بشفاعة

نبيه صلى الله عليه وسلم فاذا عادت الامة فيما استوهب لها والتزمت ما استدعى له نبيهم عليه الصلاة والسلام منه لم يستنكر أن يثبت ذلك فرضا عليهم قال الحافظ ابن حجر وقد تلقى هذين الجوابين عن الخطابي جماعة كابن الجوزي وهو مبني على ان قيام الليل كان واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى وجوب الاقتداء بأفعاله وفي كل من الامرين نزاع ثم أجاب عنه بثلاثة أجوبة أحدها أنه يحتمل أن يكون المخوف افتراض قيام الليل بمعنى جعل التهجد في المسجد جماعة شرطا في صحة التنفل بالليل قال ويومي اليه قوله في حديث زيد بن ثابت حتى خشيت أن يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم به فصلوا أيها الناس في بيوتكم فمنعهم من التجميع في المسجد اشفاقا عليهم من اشتراطه وأمن مع اذنه في المواظبة على ذلك في بيوتهم من افتراضه عليهم وثانيها أن يكون المخوف افتراض قيام الليل على الكفاية لا على الاعيان فلا يكون ذلك زائدا على الخمس بل هو نظير ما ذهب اليه قوم في العيد ونحوها وثالثها يحتمل أن يكون المخوف افتراض قيام رمضان خاصة فقد وقع في حديث الباب أن ذلك كان في رمضان وفي حديث سفيان بن حسين خشيت أن يفرض عليكم قيام هذا الشهر قال فعلى هذا يرتفع الاشكال لان قيام رمضان لا يتكرر كل يوم في السنة فلا يكون ذلك قدرا زائدا على الخمس وأقوى هذه الاجوبة الثلاثة في نظري الاول * وعن النعمان ابن بشير قال قمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين الى ثلث الليل الاول ثم قمنا معه ليلة خمس وعشرين الى نصف الليل ثم قمنا معه ليلة سبع وعشرين حتى ظننا أن لا ندرك الفلاح فكانوا يسمونه السحور رواه النسائي * واختلف العلماء هل الافضل في صلاة التراويح أن تصلى جماعة في المسجد أو في البيوت فرادى فقال الشافعي وجمهور أصحابه وأبو حنيفة وبعض المالكية وغيرهم الافضل صلاتها جماعة كما فعله عمر بن الخطاب والصحابة واستمر عمل المسلمين عليه لانه من الشعائر الظاهرة فأشبه صلاة العيد فان قلت قد ذكرت أن الحافظ ابن حجر حمل قوله عليه الصلاة والسلام اني خشيت أن تفرض عليكم على التجميع في المسجد وقال انه أقوى الاوجه فالجواب أنه صلى الله عليه وسلم لما مات حصل الأمن من ذلك ورجح عمر التجميع لما في الاختلاف من افتراق الكلمة ولان الاجتماع على واحد انشط لكثير من المصلين * وقال مالك وأبو يوسف وبعض الشافعية وغيرهم الافضل صلاتها فرادى في البيوت لقوله عليه الصلاة والسلام أفضل صلاة المرء في بيته الا المكتوبة قالوا وانما فعلها صلى الله عليه وسلم في المسجد لبيان الجواز

لانه كان معتكفا وأما عدد الركعات التي كان صلى الله عليه وسلم يصليها في رمضان فعن أبي سلمة أنه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على احدى عشرة ركعة يصلي أربعا فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعا فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يارسول الله أتنام قبل أن توتر قال ياعائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي رواه البخاري ومسلم وأما مارواه ابن أبي شيبة من حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يصلي في رمضان عشرين ركعة والوتر فاسناده ضعيف وقد عارضه حديث عائشة هذا وهي أعلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم ليلا من غيرها * وقد كان الامر من زمنه صلى الله عليه وسلم استمر على أن كل واحد يقوم في رمضان في بيته منفردا حتى انقضى صدر من خلافة عمر وفي البخاري أن عمر خرج ليلة في رمضان الى المسجد فاذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر اني لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أجمع ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرج ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم فقال عمر نعمت البدعة هذه والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله وانما اختار أبيا لانه كان أقرأهم كما قال عمر وروى سعيد بن منصور من طريق عروة أن عمر جمع الناس على أبي بن كعب فكان يصلي بالرجال وكان تميم الداري يصلي بالنساء وفي الموطأ أمر عمر أبي بن كعب وتميم الداري أن يقوما للناس في رمضان وروى البيهقي باسناد صحيح أن الناس كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب في شهر رمضان بعشرين ركعة قال الحليمي والسر في كونها عشرين ركعة أن الرواتب في غير رمضان عشر ركعات فضوعفت لانه وقت جد وتشمير وفي الموطأ بثلاث وعشرين وجمع البيهقي بينهما بأنهم كانوا يوترون بثلاث وفي الموطأ عن محمد بن يوسف عن السائب ابن يزيد أنها احدى عشرة وعند عبد العزيز احدى وعشرين والجمع بين هذه الروايات ممكن باختلاف الاحوال ويحتمل أن ذلك الاختلاف بحسب تطويل القراءة وتخفيفها فحيث يطيل القراءة تقل الركعات وبالعكس * وقد روى محمد بن نصر من طريق داود بن قيس قال أدركت الناس في امارة أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز يعني بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون بثلاث وقال مالك هو الامر القديم عندنا * وعن الزعفراني عن الشافعي رأيت الناس يقومون بالمدينة بتسع وثلاثين وبمكة بثلاث وعشرين وليس في شيء من ذلك

ضيق وعنه قال ان أطالوا القيام وأقلوا السجود فحسن وان أكثروا السجود وأخفوا القراءة فحسن والاول أحب الى انتهى وهل يجوز لغير أهل المدينة صلاتها ستا وثلاثين قال النووى قال الشافعى لا يجوز ذلك لغيرهم لان لاهلها شرفا بهجرته صلى الله عليه وسلم ومدفنه ويخالفه قول الحليمى ومن اقتدى بأهل المدينة فقام بست وثلاثين فحسن أيضا وينبغى أن يسلم من كل ركعتين فلو صلى أربعا بتسليمة واحدة لم يصح وفاقا للقاضى حسين فى فتاويه ولو صلى سنة الظهر أو العصر أربعا بتسليمة واحدة جاز والفرق أن التراويح بمشروعية الجماعة أشبهت الفرائض قاله النووى فى فتاويه وصرح به فى الروضة وقد كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة فى قيام رمضان بالليل أكثر من غيره وقد صلى معه حذيفة ليلة فى رمضان قال فقرأ بالبقرة ثم بالنساء ثم آل عمران لا يمر بآية تخويف الا وقف وسأل قال فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فآذنه بالصلاة أخرجه أحمد وأخرجه النساءى وعنده أيضا أنه ما صلى الا أربع ركعات وكان الشافعى فى رمضان ستون ختمة يقرؤها فى غير الصلاة

(الباب الرابع فى صلاته صلى الله عليه وسلم الوتر)

قد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه أوتر بخمس لم يجلس الا فى آخرها لكن أحاديث الفصل أثبت وأكثر طرقا واحتج بعض الحنفية لما ذهبوا اليه من تعيين الوصل والاقتصار على ثلاث بأن الصحابة أجمعوا على أن الوتر بثلاث موصولة حسن جائز واختلفوا فيما زاد أو نقص قال فأخذنا بما أجمعوا عليه وتركنا ما اختلفوا فيه وتعقبه محمد بن منصور المروزى بما رواه من طريق عراك بن مالك عن أبى هريرة مرفوعا وموقوفا لا توتروا بثلاث تشبهوا بصلاة المغرب وقد صححه الحاكم وعن سليمان ابن يسار أنه كره الثلاث فى الوتر وقال لا يشبه التطوع بالفرض انتهى لكن قد روى الحاكم من حديث عائشة أنه كان صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث لا يقعد الا فى آخرهن وروى النساءى من حديث أبى بن كعب نحوه ولفظه يوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ولا يسلم الا فى آخرهن وبين فى عدة طرق أن السور الثلاث بثلاث ركعات والجمع بين هذا وبين ما تقدم من النهى عن التشبيه بصلاة المغرب أن يحمل النهى على صلاة الثلاث بتشهدين وقد فعله السلف أيضا وروى محمد بن نصر من طريق الحسن أن عمر كان ينهض الى الثالثة من الوتر بالتكبير ومن طريق المسور بن مخرمة أن عمر أوتر بثلاث لم يسلم الا فى آخرهن ومن طريق ابن طاوس عن أبيه أنه كان يوتر بثلاث لا يقعد

بينهن وكان ابن عمر يسلم من الركعة والركعتين فى الوتر حتى يأمر ببعض حاجته وهذا ظاهره أنه كان يصلى الوتر موصولا فان عرضت له حاجة فصل ثم بنى على ما مضى وفى هذا رد على من قال لا يصح الوتر الا موصولا وأصرح من ذلك ما روى الطحاوى من طريق سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أنه كان يفصل بين شفعه ووتره بتسليمه وأخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يفعله واسناده قوى وقد استدل بعضهم على فضل الفصل بأنه صلى الله عليه وسلم أمر به وفعله وأما الوصل فورد من فعله فقط وقد حمل المخالف من الحنفية كلما ورد من الثلاث على الوصل مع أن كثيرا من الاحاديث ظاهر فى الفصل كحديث عائشة يسلم من كل ركعتين فانه يدخل فيه الركعتان اللتان قبل الاخيرة فهو كالنص فى موضع النزاع وحمل الطحاوى هذا ومثله على أن الركعة مضمومة الى الركعتين قبلها ولم يتمسك فى دعوى ذلك الا بالنهى عن البتيراء مع احتمال أن يكون المراد بالبتيراء أن يوتر بواحدة فردة ليس قبلها شئ وهو أعم من أن يكون مع الوصل والفصل وقد اختلف السلف فى أمرين أحدهما فى مشروعية ركعتين بعد الوتر عن جلوس والثانى فيمن أوتر ثم أراد أن يتنفل فى الليل هل يكتفى بوتره الاول ويتنفل ما شاء أو يشفع وتره بركعة ثم يتنفل ثم اذا فعل هل يحتاج الى وتر آخر أم لا أما الاول فوقع عند مسلم من طريق أبى سلمة عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى ركعتين بعد الوتر وهو جالس وقد ذهب اليه بعض أهل العلم وجعلوا الامر فى قوله اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا مختصا بمن أوتر آخر الليل وأجاب من لم يقل بذلك بأن الركعتين المذكورتين هما ركعتا الفجر وحمله النووى على أنه صلى الله عليه وسلم فعله لبيان جواز التنفل بعد الوتر وجواز التنفل جالسا وأما الثانى فذهب الاكثر الى أنه يصلى شفعا ما أراد ولا ينقض وتره عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لا وتران فى ليلة وهو حديث حسن أخرجه النسائى وابن خزيمة من حديث طلق بن على وانما يصح نقض الوتر عند من يقول بمشروعية التنفل بركعة واحدة غير الوتر واختلف السلف أيضا فى مشروعية قضاء الوتر فنفاه الاكثر وفى مسلم وغيره عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا نام من الليل من وجع أو غيره فلم يقم من الليل صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة وقال محمد بن نصر لم نجد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى شئ من الاخبار أنه قضى الوتر ولا أمر بقضائه وعن عطاء والاوزاعى يقضى ولو طلعت الشمس الى الغروب وهو وجه عند الشافعى حكاه النووى فى شرح مسلم وعن سعيد بن جبير يقضى من القابلة وعن الشافعية يقضى مطلقا * وقالت عائشة

أوتر صلى الله عليه وسلم من كل الليل من أوله وأوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر رواه البخاري ومسلم وأبوداود والترمذي والنسائي والمراد بأوله بعد صلاة العشاء ويحتمل أن يكون اختلاف وقت الوتر باختلاف الاحوال فحيث أوتر أوله لعله كان وجعا وحيث أوتر في وسطه لعله كان مسافرا وأما وتره في آخره فكان غالب أحواله لما عرف من مواظبته على الصلاة آخر الليل والسحر قبيل الصبح وحكى الماوردي أنه السدس الاخير وقيل أوله الفجر الاول وفي رواية طلحة بن نافع عن ابن عباس عند ابن خزيمة فلما انفجر الفجر قام صلى الله عليه وسلم فأوتر بركعة قال ابن خزيمة والمراد به الفجر الاول وروى أحمد من حديث معاذ مرفوعا زادني ربي صلاة وهي الوتر وقتها من العشاء الى طلوع الفجر وفي اسناده ضعف وكذا في حديث خارجة بن حذافة في السنن وهو الذي احتج به من قال بوجوب الوتر وليس صريحا في الوجوب وأما حديث بريدة رفعه الوتر حق فمن لم يوتر فليس منا وأعاد ذلك ثلاثا ففي سنده أبو المنيب وفيه ضعف وعلى تقدير قبوله فيحتاج من احتج به الى أن يثبت أن لفظه حق بمعنى واجب في عرف الشارع وأن لفظة واجب بمعنى ما ثبت من طريق الآحاد والله أعلم * وقد كان صلى الله عليه وسلم يصلي وعائشة راقدة معترضة على فراشه فاذا أراد أن يوتر أيقظها فأوترت كما في البخاري وهذا يدل على استحباب الوتر في آخر الليل سواء المتهجد وغيره ومحله اذا وثق أن يستيقظ بنفسه أو بايقاظ غيره واستدل به على وجوب الوتر لكونه عليه الصلاة والسلام سلك به مسلك الواجب حيث لم يدعها نائمة للوتر وأبقاها للتهجد وتعقب بأنه لا يلزم من ذلك الوجوب نعم يدل على تأكيد أمر الوتر وأنه فوق غيره من النوافل الليلية وفيه استحباب ايقاظ النائم لادراك الصلاة ولا يختص ذلك بالمفروضة ولا بخشية خروج الوقت بل يشرع ذلك لادراك الجماعة وادراك أول الوقت وغير ذلك من المندوبات قال القرطبي ولا يبعد أن يقال انه واجب في الواجب مندوب في المندوب لان النائم وان لم يكن مكلفا لكن مانعه سريع الزوال فهو كالغافل وتنبيه الغافل واجب والله أعلم * وعن علي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بثلاث يقرأ فيهن بتسع سور من المفصل يقرأ في كل ركعة بثلاث سور آخرهن قل هو الله أحد رواه الترمذي وعن ابن عباس كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد في كل ركعة وعن عائشة كان يقرأ في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا أيها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله أحد والمعوذتين رواه أبو داود والترمذي ولابي داود وكان اذا سلم

قال سبحان الملك القدوس وعند النسائي ثلاثا يطيل في آخرهن وفي رواية ويرفع صوته بالثالثة ✲ وعن علي كان عليه الصلاة والسلام يقول في آخر وتره اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك ومعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي اثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه قال ابن تيمية سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته وقد كان عليه الصلاة والسلام يقرأ في سنة الفجر وفي الوتر بسورتي الاخلاص وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد فسورة قل هو الله أحد متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب اثباته للرب تعالى من الاحدية والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص ونفي الولد والوالد والكفوء المتضمن نفي التشبيه والمثيل والنظير فتضمنت اثبات كل كمال ونفي كل نقص عنه ونفي كل شبيه وهذه هي مجامع التوحيد العملي والاعتقادي فلذلك كانت تعدل ثلث القرآن فان القرآن مداره على الخبر والانشاء والانشاء ثلاثة أمر ونهي واباحة والخبر نوعان خبر عن الخالق تعالى وأسمائه وصفاته وأحكامه وخبر عن خلقه فأخلصت سورة الاخلاص للخبر عنه وعن أسمائه وصفاته فعدلت ثلث القرآن وخلصت قارئها المؤمن بها من الشرك العلمي كما خلصته سورة قل يا أيها الكافرون من الشرك العملي قاله ابن القيم

✲(واما القنوت في الركعة الاخيرة من الوتر في النصف الاخير من شهر رمضان)✲

فقال النووي في الاذكار باستحبابه ولم يذكر لذلك دليلا وقد أخرج أبو داود باسنادين رجالهما ثقات لكن أحدهما منقطع وفي الآخر راو لم يسم أن عمر لما جمع الناس على أبي بن كعب كان لا يقنت الا في النصف الاخير من رمضان

✲ وعن الحسن بن علي قال علمني جدي كلمات أقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت وهذا اللفظ رواية شريك رواه الطبراني وغيره

✲(الباب الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم الضحى)✲

وهي معدودة واختلف الرواة هل صلاها النبي صلى الله عليه وسلم أم لا فمنهم المثبت ومنهم النافي فمن العلماء من رجح رواية المثبت على النافي جريا على القاعدة المعروفة لانها تتضمن زيادة علم خفيت على النافي قالوا وقد يجوز أن يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس ويوجد عند الاقل ومنهم من رجح رواية النافي بقرينة ولم يعتد

رواية المثبت أما الضعفها أو صرفها كما سيأتي عن صلاة الضحى * قال الحاكم وفي الباب عن أبي سعيد وأبي ذر الغفاري وزيد بن أرقم وأبي هريرة وبريدة الاسلمي وأبي الدرداء وعبد الله بن أبي أوفى وعتبان بن مالك وعتبة بن عبد السلمي ونعيم بن همار الغطفاني وأبي أمامة الباهلي وعائشة بنت أبي بكر وأم هانيء وأم سلمة كلهم شهدوا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى انتهى * فأما حديث أبي سعيد فأخرجه الحاكم والترمذي من عطية العوفي عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وقال الترمذي حسن غريب لكن قال النووي عطية ضعيف فلعله اعتضد * وأما حديث أبي ذر الغفاري فرواه البزار في مسنده * وأما حديث زيد بن أرقم فرواه مسلم بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى الحديث * وأما حديث أبي هريرة فرواه البزار في مسنده بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يترك الضحى في سفر ولا في غيره واسناده ضعيف فيه يوسف بن خالد السمتي ضعيف جدا * وأما حديث بريدة الاسلمي فرواه   * وأما حديث أبي الدرداء فرواه الطبراني * وأما حديث ابن أبي أوفى فرواه ابن عدي والحاكم بلفظ قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ركعتين يوم بشر برأس أبي جهل قال بعض العلماء النافين لرواية المثبتين هذا الحديث ان كان صحيحا فهو صلاة شكر وقعت وقت الضحى كشكره يوم فتح مكة * وأما حديث عتبان بن مالك فرواه أحمد من رواية محمود بن الربيع عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بيته سبحة الضحى * وأما حديث عتبة بن عبد فرواه   * وأما حديث نعيم بن همار فرواه   * وأما حديث أبي امامة فرواه   * وأما حديث عائشة فرواه مسلم وأحمد وابن ماجه قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله وعن عبد الله بن شقيق قال سألت عائشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى قالت لا الا أن يجيء من مغيبه * وأما حديث أم هانيء فرواه البخاري ومسلم قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم أر صلاة قط أخف منها غير أنه يتم الركوع والسجود قالت في رواية أخرى وذلك ضحى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها عام الفتح ثماني ركعات في ثوب واحد قد خالف بين طرفيه ولانساءي أنها ذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته

هكذا بياض بالاصل في المواضع الثلاث

يغتسل وفاطمة تستره بثوب فسلمت فقالت من هذه قلت أنا أم هانئ فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفا في ثوب واحد ولأبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح صلى سبحة الضحى ثماني ركعات يسلم من كل ركعتين ✱ وقد استدل بحديث البخاري ومسلم على استحباب تخفيف صلاة الضحى وفيه نظر لاحتمال أن يكون السبب فيه التفرغ لمهمات الفتح لكثرة شغله به وقد ثبت من فعله صلى الله عليه وسلم أنه صلى الضحى فطول فيها أخرجه ابن أبي شيبة من حديث حذيفة ✱ وأما حديث أم سلمة فرواه الحاكم من طريق إسحق ابن بشر المحاربي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى ثنتي عشرة ركعة قلت وروى عن جبير بن مطعم عن أبيه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى ست ركعات رواه الحاكم أيضا وعن أنس بن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في السفر سبحة الضحى ثماني ركعات رواه أحمد وصححه ابن خزيمة والحاكم وعن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الضحى رواه النسائي في سننه الكبرى وأحمد وأبو يعلى وإسناده جيد وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي من الضحى إلا يومين يوم يقدم مكة ويوم يقدم المدينة وعن أبي بكرة عند ابن عدي في الكامل من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي بكرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى فجاء الحسن وهو غلام فلما سجد ركب ظهره الحديث وعمرو بن عبيد متروك ✱ وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ست ركعات رواه الحاكم قال الشيخ ولي الدين العراقي وقد ورد فيها أحاديث كثيرة صحيحة مشهورة حتى قال محمد بن جرير الطبري إنها بلغت حد التواتر وقال ابن العربي وهي كانت صلاة الأنبياء قبل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم قال الله تعالى مخبرا عن داود إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق فأبقى الله تعالى من ذلك في دين محمد العصر ونسخ صلاة الإشراق واحتج القائلون بالنفي بحديث عائشة إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم وما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط وإني لأسبحها رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود وبحديث مورق العجلي قال قلت لابن عمر أتصلي الضحى قال لا قلت فعمر قال لا قلت فأبو بكر قال لا قلت فالنبي صلى الله عليه وسلم قال لا إخاله رواه البخاري وقوله لا إخاله أي لا أظنه وهو بكسر الهمزة وتفتح أيضا والخاء معجمة

وقول الشعبي سمعت ابن عمر يقول ما ابتدع المسلمون أفضل من صلاة الضحى
وروى عن مجاهد قال دخلت انا وعروة بن الزبير المسجد فاذا ابن عمر جالس
عند حجرة عائشة فاذا الناس في المسجد يصلون صلاة الضحى فسألناه عن صلاتهم
فقال بدعة وروى ابن أبي شيبة باسناد صحيح عن الحكم بن الاعرج قال
سألت ابن عمر عن صلاة الضحى فقال بدعة ونعمت البدعة وروى عبد الرزاق
باسناد صحيح عن سالم عن أبيه قال لقد قتل عثمان وما أحد يسبحها وما أحدث
الناس شيأ أحب الى منها وقد جمع العلماء بين هذه الاحاديث بأنه صلى الله عليه
وسلم كان لا يداوم على صلاة الضحى مخافة أن تفرض على أمته فيعجزوا عنها وكان
يفعلها كما صرحت به عائشة كما تقدم وكما ذكرته أم هانىء وغيرها وقول عائشة
ما رأيته صلاها لا يخالف قولها كان يصليها لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يكون
عندها في وقت الضحى الا في النادر من الاوقات لانه قد يكون مسافرا وقد يكون
حاضرا وفي الحضر قد يكون في المسجد وقد يكون في بيت من بيوت زوجاته
أو غيرها وما رأته صلاها في تلك الاوقات النادرة فقالت ما رأيته وعلمت بغير رؤية
أنه كان يصليها باخباره صلى الله عليه وسلم أو باخبار غيره فروت ذلك وقول ابن عمر
لا إخاله فتوقف وكأن سبب توقفه أنه بلغه عن غيره أنه صلاها ولم يثق بذلك عمن
ذكره وأما قوله انها بدعة فمؤول على أنه لم تبلغه الاحاديث المذكورة أو أراد أنه صلى
الله عليه وسلم لم يداوم عليها أو أن اظهارها في المساجد ونحوها بدعة وانما هي سنة
نافلة في البيوت والله أعلم وبالجملة فليس في أحاديث ابن عمر هذه ما يدفع مشروعية
صلاة الضحى لان نفيه محمول على عدم رؤيته لا على عدم الوقوع في نفس الامر
أو الذي نفاه صفة مخصوصة كما قدمناه وقد روى ابن أبي شيبة عن ابن مسعود أنه
رأى قوما يصلونها فأنكر عليهم وقال ان كان ولا بد ففي بيوتكم وذهب آخرون
الى استحباب فعلها غبا فتصلى في بعض الايام دون بعض وكان ابن عباس يصليها
يوما ويدعها عشرة أيام وذهب آخرون الى أنها تفعل لسبب من الاسباب وأنه عليه
الصلاة والسلام انما صلاها يوم الفتح من أجل الفتح وكان الامراء يسمونها صلاة
الفتح متمسكين بما قاله عياض وغيره ان حديث أم هانىء ليس بظاهر في أنه عليه
الصلاة والسلام قصد سنة الضحى وانما فيه أنها أخبرت عن وقت صلاته فقط
قال وقد قيل انها كانت قضاء عما شغل عنه تلك الليلة من حزبه فيها وتعقبه
النووي بأن الصواب صحة الاستدلال به لما رواه أبو داود من طريق كريب عن أم
هانىء أنه صلى الله عليه وسلم صلى سبحة الضحى ولمسلم في كتاب الطهارة ثم

طريق أبي مرة عن أم هانئ في قصة اغتساله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثم صلى ثماني ركعات سبحة الضحى وروى ابن عبد البر في التمهيد من طريق عكرمة بن خالد عن أم هانئ قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فصلى ثماني ركعات فقلت ما هذه الصلاة قال هذه صلاة الضحى واستدل به على أن أكثر الضحى ثمان ركعات واستبعده السبكي ووجه بأن الاصل في العبادة التوقف وهذا أكثر ما ورد من فعله عليه الصلاة والسلام وقد ورد من فعله دون ذلك كحديث ابن أبي أوفى أنه عليه الصلاة والسلام صلى الضحى ركعتين أخرجه ابن عدي وأما ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام مما فيه زيادة على ذلك كحديث أنس مرفوعا من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة أخرجه الترمذي واستغربه وليس في اسناده من أطلق عليه الضعف ومن ثم قال الروياني أكثرها ثنتي عشرة ركعة فقال النووي في شرح المهذب فيه حديث ضعيف كأنه يشير الى حديث أنس لكن اذا ضم اليه حديث أبي الدرداء رفعه وفيه ومن صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة رواه الطبراني وحديث أبي ذر عند البزار وفي اسناده ضعف أيضا قوي وصلح للاحتجاج به ونقل الترمذي عن أحمد ان أصح شيء ورد في الباب حديث أم هانئ وهو كما قال ولهذا قال النووي في الروضة أفضلها ثمان وأكثرها ثنتي عشرة ففرق بين الافضل والاكثر وأجاب القائلون بأنها لا تفعل الا بسبب عن قول أبي هريرة المروي في البخاري أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بثلاث لا أدعهن حتى أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى الحديث بأنه قد روى أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة فأمره بالضحى بدلا عن قيام الليل ولهذا أمره أن لا ينام الا على وتر ولم يأمر بذلك أبا بكر ولا عمر ولا سائر الصحابة انتهى * قال الحافظ ابن حجر وهذه الوصية لابي هريرة قد ورد مثلها لابي الدرداء فيما رواه مسلم ولابي ذر فيما رواه النسائي قال والحكمة في الوصية على المحافظة على ذلك تمرين النفس على جنس الصلاة والصيام ليدخل في الواجب منهما بانشراح ولينجبر ما لعله يقع من نقص * ومن فوائد صلاة الضحى أنها تجزي عن الصدقة التي تصبح على مفاصل الانسان الثلاثمائة وستون مفصلا كما أخرجه مسلم من حديث أبي ذر وقال فيه ويجزي من ذلك ركعتا الضحى وقد ذكر أصحابنا الشافعية انها أفضل التطوع بعد الرواتب لكن النووي في شرح المهذب قدم عليها صلاة التراويح فجعلها في الفضل بين الرواتب والضحى وحكى الحافظ أبو الفضل العراقي في شرح الترمذي أنه اشتهر بين العوام أن من صلى الضحى

ثم قطعها يعنى فصار كثير من الناس يتركها أصلا لذلك وليس لما قالوه أصل بل الظاهر أنه مما ألقاه الشيطان على السنة العوام ليحرمهم الخير الكثير لاسيما ما وقع فى حديث أبى ذر واقتصر فى الوصية للثلاثة المذكورين على الثلاثة المذكورة فى الحديث لأن الصلاة والصيام أشرف العبادات البدنية ولم يكن المذكورون من أصحاب الاموال فكان يجزيهم من الصدقة عن السلامى كما فى الحديث والله أعلم * وروى الحاكم من طريق أبى الخير عن عقبة بن عامر قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلى الضحى بسور منها والشمس وضحاها والضحى والليل ومناسبة ذلك ظاهرة جدا والله أعلم * تنبيه قال شيخ الاسلام والحافظ أبو الفضل ابن حجر قول عائشة فى الصحيح ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح سبحة الضحى يدل على ضعف ما روى عنه صلى الله عليه وسلم ان صلاة الضحى كانت واجبة عليه وقد عدها جماعة من العلماء من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يثبت ذلك فى خبر صحيح وقول الماوردى فى الحاوى انه صلى الله عليه وسلم واظب عليها بعد يوم الفتح الى أن مات يعكر عليه ما رواه مسلم من حديث أم هانىء أنه لم يصلها قبل ولا بعد ولا يقال ان نفى أم هانىء لذلك يلزم منه العدم لانا نقول يحتاج من أثبته الى دليل ولو وجد لم يكن حجة لان عائشة ذكرت أنه كان اذا عمل عملا أثبته فلا تستلزم المواظبة على هذا الوجوب عليه انتهى وقال ابن العربى فى عارضه الاحوذى * أخبرنا أبو الحسن الازدى * أخبرنا طاهر أخبرنا على * أخبرنا أبو العباس عبد الله بن عبد الرحمن العسكرى * حدثنا الحسين الختى * حدثنا أبو غسان * حدثنا قيس عن جابر عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب على النحر ولم يكتب عليكم وأمرت بصلاة الضحى ولم تأمروا بها رواه الدارقطنى

(القسم الثانى فى صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل واحكامها)

وفيه بابان الاول فى النوافل المقرونة بالاوقات وفيه فصلان الاول فى رواتب الصلوات الخمس والجمعة وفيه فروع الاول فى أحاديث جامعة لرواتب مشتركة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين فى بيته وبعد صلاة العشاء ركعتين وكان لا يصلى بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلى فى بيته ركعتين قال وأخبرتنى حفصة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سكت المؤذن من الاذان لصلاة الصبح وبدأ الصبح صلى ركعتين خفيفتين قبل أن تقام الصلاة رواه البخارى فهذه عشر

ركعات لان الركعتين بعد الجمعة لا يجتمعان مع الركعتين بعد الظهر الا لعارض بأن يصلي الجمعة وسنتها التي بعدها ثم يتبين له فسادها فيصلي الظهر ويصلي بعدها سنتها كما نبه عليه الشيخ ولي الدين العراقي واختلف في دلالة كان على التكرار وصحح ابن الحاجب أنها تقتضيه قال وهذا استفدناه من قولهم كان حاتم يقري الضيف وصحح الامام فخر الدين في المحصول أنها لا تقتضيه لا لغة ولا عرفا وقال النووي في شرح مسلم انه المختار الذي عليه الاكثرون والمحققون من الاصوليين وذكر ابن دقيق العيد أنها تقتضيه عرفا فعلى هذا في الحديث دلالة على تكرر هذه النوافل من النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كان دأبه وعادته * وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يصلي في بيته قبل الظهر أربعا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين * وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ثم يصلي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين الحديث وفي آخره وكان اذا طلع الفجر صلى ركعتين رواه مسلم فهذه ثنتا عشرة ركعة وعنها كان صلى الله عليه وسلم لا يدع أربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة وفي رواية لم يكن يتركهما سرا ولا علانية في سفر ولا حضر ركعتان قبل الصبح وركعتان بعد العصر رواه البخاري ومسلم الثاني في ركعتي الفجر قالت عائشة لم يكن صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ولمسلم لهما أحب الي من الدنيا جميعا وكان يصليهما اذا سكت المؤذن بعد أن يستنير الفجر ويخففهما رواه الشيخان وهذا لفظ النسائي واختلف في حكمة تخفيفهما فقيل ليبادر الى صلاة الصبح في أول الوقت وبه جزم القرطبي وقيل ليستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين كما كان يصنع في صلاة الليل كما تقدم ليدخل في الفرض أو ما شابهه في الفضل بنشاط واستعداد تام وقد ذهب بعضهم الى اطالة القراءة فيهما وهو قول أكثر الحنفية ونقل عن الشعبي وأورد البيهقي فيه حديثا مرفوعا من مرسل سعيد بن جبير وفي سنده راو لم يسم وخص بعضهم ذلك بمن فاته شيء من قراءته في صلاة الليل فيستدركها في ركعتي الفجر وأخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح عن الحسن البصري وكان كثيرا ما يقرأ في الاولى منهما قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا الآية التي في البقرة وفي الآخرة قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الى قوله اشهدوا بأنا مسلمون رواه مسلم وأبو داود والنسائي من رواية ابن عباس وفي رواية أبي داود من حديث أبي هريرة قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا في الركعة الاولى وبهذه الآية ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع

الشاهد من أوانا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم قال أبو داود شك الراوي وقال أبو هريرة فقرأ في ركعتي الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد رواه مسلم وأبو داود والترمذي وقد روى ابن ماجه بإسناد قوي عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين قبل الفجر وكان يقول نعم السورتان يقرء بهما في ركعتي الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ولابن أبي شيبة من طريق ابن سيرين عن عائشة كان يقرء فيهما بهما وللترمذي والنسائي من حديث ابن عمر رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا فكان يقرأ بهما وقد استدل بعضهم بهذا على الجهر بالقراءة في ركعتي الفجر ولا حجة فيه لاحتمال أن يكون ذلك عرف بقراءته بعض السورة ويدل على ذلك أن في رواية ابن سيرين المذكورة يسر فيهما القراءة وصححه ابن عبد البر واستدل بعضهم أيضا بهذه الاحاديث المذكورة على أنه لا تتعين الفاتحة لانه لم يذكرها مع سورتي الاخلاص وأجيب بأنه ترك ذكر الفاتحة لوضوح الامر فيها انتهى وكان عليه الصلاة والسلام اذا صلى ركعتي الفجر اضطجع على شقه الايمن رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة لانه عليه الصلاة والسلام كان يحب التيمن وقد قيل الحكمة فيه أن القلب من جهة اليسار فلو اضطجع عليه لاستغرق نوما لكونه أبلغ في الراحة بخلاف اليمين فيكون القلب معلقا فلا يستغرق وهذا انما يصح بالنسبة الى غيره عليه الصلاة والسلام كما لا يخفى وأما ما روى أن ابن عمر رأى رجلا يصلي ركعتي الفجر ثم اضطجع فقال ما حملك على ما صنعت فقال أردت ان أفصل بين صلاتي فقال له وأي فصل أفضل من السلام قال فانها سنة قال بل بدعة رواه ابن الاثير في جامعه عن رزين وكذا ما روى من انكار ابن مسعود ومن قول ابراهيم النخعي انها ضجعة الشيطان كما أخرجهما ابن أبي شيبة فهو محمول على أنهم لم يبلغهم الامر بفعله وأرجح الاقوال مشروعيته للفصل لكن لم يداوم عليه الصلاة والسلام عليه ولذا احتج الائمة على عدم الوجوب وحملوا الامر الوارد بذلك عند أبي داود وغيره على الاستحباب وفائدة ذلك الراحة والنشاط لصلاة الصبح وعلى هذا فلا يستحب ذلك الا للمتهجد وبه جزم ابن العربي ويشهد لهذا ما رواه عبد الرزاق أن عائشة كانت تقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يضطجع لسنة ولكنه كان يدأب ليلته فيستريح وفيه راو لم يسم وقيل فائدتها الفصل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح وعلى هذا فلا اختصاص ومن ثم قال الشافعي ان السنة تتأدى بكل ما يحصل به الفصل من مشي وكلام وغيره حكاه البيهقي وقال النووي المختار أنها سنة

الظاهر حديث أبي هريرة وقد قال أبو هريرة راوي الحديث ان الفصل بالمشي الى المسجد لا يكفي وأفرط ابن حزم فقال يجب على كل أحد وجعله شرطا لصحة صلاة الصبح فرد عليه العلماء بعده حتى طعن ابن تيمية في صحة الحديث لتفرد عبد الواحد ابن زياد به وفي حفظه مقال والحق أنه تقوم به الحجة وذهب بعض السلف الى استحبابها في البيت دون المسجد وهو يحكى عن ابن عمر وقواه بعض شيوخنا بأنه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعله في المسجد وصح عن ابن عمر أنه كان يحصب من يفعله في المسجد أخرجه ابن أبي شيبة وقال عليه الصلاة والسلام من لم يصل ركعتي الفجر فليصلهما بعدما تطلع الشمس رواه الترمذي من رواية أبي هريرة * الثالث في راتبة الظهر عن ابن عمر صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها رواه البخاري ومسلم والترمذي وعن عائشة كان عليه الصلاة والسلام لا يدع أربعا قبل الظهر وركعتين قبل صلاة الغداة رواه البخاري أيضا فاما أن يقال انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى في بيته صلى أربعا واذا صلى في المسجد صلى ركعتين وهذا أظهر واما أن يقال كان يفعل هذا وهذا فحكى كل من عائشة وابن عمر ما شاهده والحديثان صحيحان لا مطعن في واحد منهما وقال أبو جعفر الطبري الاربع كانت في كثير من أحواله والركعتان في قليلها انتهى وقد يقال ان الاربع التي قبل الظهر لم تكن سنة الظهر بل هي صلاة مستقلة كان يصليها بعد الزوال وروى البزار من حديث ثوبان أنه صلى الله عليه وسلم كان يستحب أن يصلي بعد نصف النهار فقالت عائشة يا رسول الله أراك تستحب الصلاة هذه الساعة قال تفتح فيها أبواب السماء وينظر الله تعالى الى خلقه بالرحمة وهي صلاة كان يحافظ عليها آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى * وعن عبد الله بن السائب كان صلى الله عليه وسلم يصلي أربعا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر وقال انها ساعة تفتح لها أبواب السماء وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح رواه الترمذي وروى الترمذي أيضا حديث أربع قبل الظهر وبعد الزوال تحسب بمثلهن في السحر ومامن شيء الا وهو يسبح الله تعالى تلك الساعة ثم قرأ تتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون فهذه والله أعلم هي الاربع التي أرادت عائشة أنه كان لا يدعهن وأما سنة الظهر فالركعتان التي قال ابن عمر ويوضح هذا أن سائر الصلوات سنتها ركعتان وعلى هذا فتكون هذه الاربعة وردا مستقلا سببه انتصاف النهار وزوال الشمس وسر هذا والله أعلم أن انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل وأبواب السماء تفتح بعد زوال الشمس ويحصل

الى الوصل الاول بعد انتصاف الليل فهما وقتا اقرب رحمة هذا وفيه تفتح ابواب السماء
وعند لينزل فيه الرب تبارك وتعالى عن حركة الاجسام * الرابع في سنة
العصر عن علي كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر ركعتين رواه أبوداود
وعن علي أيضا كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل العصر اربع ركعات يفصل بينهن
بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المسلمين والمؤمنين رواه الترمذي
ويروي مرفوعا أيضا حديث رحم الله امرأ صلى قبل العصر اربعا وقالت عائشة
ما كان صلى الله عليه وسلم يأتيني في يومي بعد العصر الاصلى ركعتين وفي رواية
ما ترك ركعتين بعد العصر عندي قط رواه البخاري ومسلم ولمسلم ان أباسلمة سألها
عن السجدتين اللتين كان يصليهما بعد العصر فقالت كان يصليهما قبل العصر ثم انه
شغل عنهما ونسيهما فصلاهما بعد العصر ثم أثبتهما وكان اذا صلى صلاة أثبتها تعني
داوم عليها ولابي داود وقالت كان يصلي بعد العصر ركعتين وينهى عنهما ويواصل
وينهى عن الوصال وقال ابن عباس انما صلى عليه الصلاة والسلام ركعتين بعد
العصر لانه اشتغل بقسمة مال أتاه عن الركعتين اللتين بعد الظهر فقضاهما بعد
العصر ثم لم يعد لهما رواه الترمذي وقالت أم سلمة سمعته صلى الله عليه وسلم ينهى
عنهما ثم رأيته يصليهما حين صلى العصر ثم سألته عنهما فقال انه أتاني أناس من
عبد القيس بالاسلام فشغلوني عن الركعتين بعد الظهر فهما هاتان الحديث وفيه
أن ابن عباس قال كنت أضرب مع عمر بن الخطاب الناس عنهما قال ابن القيم
قضاء السنن الرواتب في أوقات النهي عام له ولامته واما المداومة على تلك
الركعتين في وقت النهي فخاص به قال وقد عد هذا من خصائصه انتهى والدليل
عليه رواية عائشة كان يصلي ركعتين بعد العصر وينهى عنهما ويواصل وينهى
عن الوصال لكن قال البيهقي الذي اختص به صلى الله عليه وسلم المداومة على
ذلك لا اصل القضاء واما رواية ابن عباس عند الترمذي أنه انما صلاهما بعد العصر
لانه اشتغل بقسمة مال أتاه فهو من رواية جرير عن عطاء وقد سمع منه بعد اختلاطه
وان صح فهو شاهد لحديث أم سلمة لكن ظاهر قوله ثم لم يعد معارض لحديث عائشة
المذكور في الباب فيحمل النفي على نفي علم الراوي فانه لم يطلع على ذلك والمثبت
مقدم على النافي وكذا مارواه النسائي من طريق أبي سلمة عن أم سلمة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها بعد العصر ركعتين مرة واحدة الحديث وفي
رواية له عنها لم أره يصليهما قبل ولا بعد فيجمع بين الحديثين بأنه صلى الله عليه وسلم
لم يكن يصليهما الا في بيته فلذلك لم يره ابن عباس ولا ام سلمة ويشير الى ذلك قول

عائشة فى رواية وكان لا يصليهما فى المسجد مخافة أن يثقل على أمّته ومراد عائشة بقولها أما كان فى يومى بعد العصر إلا صلى ركعتين من الوقت الذى شغل عن الركعتين بعد الظهر فصلاهما ولم ترد أنه كان يصلى بعد العصر من أول ما فرضت الصلوات مثلا الى آخر عمره والله أعلم * الخامس فى راتبة المغرب عن ابن مسعود قال ما أحصى ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الركعتين بعد المغرب وفى الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد رواه الترمذى وعن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة فى الركعتين بعد المغرب حتى يتفرق أهل المسجد رواه أبو داود وكان أصحابه عليه السلام يصلون ركعتين قبل المغرب قبل أن يخرج اليهم عليه السلام رواه البخارى ومسلم وأبو داود من حديث أنس وفى رواية أبى داود قال أنس رآنا صلى الله عليه وسلم فلم يأمرنا ولم ينهنا وقال عقبة كنا نفعله على عهده صلى الله عليه وسلم رواه البخارى ومسلم وظاهره أن الركعتين بعد الغروب وقبل صلاة المغرب كان أمرا قررأ صحابه عليه وعملوا به وهذا يدل على الاستحباب وأما كونه عليه الصلاة والسلام لم يصليهما فلا ينفى الاستحباب بل يدل على أنهما ليسا من الرواتب والى استحبابهما ذهب أحمد واسحاق وأصحاب الحديث وعن ابن عمر ما رأيت أحدا يصليهما على عهده صلى الله عليه وسلم وعن الخلفاء الاربعة وجماعة من الصحابة أنهم كانوا لا يصلونهما فادعى بعض المالكية نسخهما وتعقب بأن دعوى النسخ لا دليل عليها ورواية المثبت وهو أنس تقدم على رواية النافى وهو ابن عمر وعن سعيد بن المسيب أنه كان يقول حق على كل مؤمن اذا أذن المؤذن أن يركع ركعتين وعن مالك قول آخر باستحبابهما وعند الشافعية وجه رجحه النووى ومن تبعه وقال فى شرح مسلم قول من قال ان فعلهما يؤدى الى تأخير المغرب عن أول وقتها خيال فاسد منابذ للسنة ومع ذلك فزمنهما يسير لا تتأخر به الصلاة عن أول وقتها ومجموع الادلة يرشد الى استحباب تخفيفهما وقال صلى الله عليه وسلم صلوا قبل المغرب ركعتين لمن شاء خشية أن يتخذها الناس سنة رواه أبو داود وقال المحب الطبرى لم يرد نفى استحبابهما لانه لا يمكن ان يأمر بما لا يستحب بل هذا الحديث من أدل الدلالة على استحبابهما ومعنى قوله سنة أى شريعة وطريقة لازمة وكأن المراد انحطاط مرتبتهما عن رواتب الفرائض ولهذا لم يعدهما أكثر الشافعية فى الرواتب واستدركهما بعضهم وتعقب بأنه لم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم واظب عليهما وقال عليه الصلاة والسلام فى الصلاة بعد المغرب هذه صلاة البيوت رواه أبو داود والنساءى من حديث كعب

ابن عمر وعنه عليه الصلاة والسلام من صلى بعد المغرب ركعتين قبل أن يتكلم رفعت صلاته في عليين رواه ابن رزين * السادس في راتبة العشاء قالت عائشة ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل بيتي الا صلى أربع ركعات أوست ركعات رواه ابوداود وفي مسلم قالت عائشة ثم يصلي بالناس العشاء فيدخل بيتي فيصلي ركعتين وكذا في حديث ابن عمر عند الشيخين وتقدما أول هذا القسم والله أعلم * الفرع السابع في راتبة الجمعة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وبعد العشاء ركعتين وكان لايصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين رواه البخاري ولم يذكر شيأ في الصلاة قبل صلاة الجمعة قال ابن المنير كما حكاه في فتح الباري كأنه يقول الاصل استواء الظهر والجمعة حتى يدل دليل على خلافه لان الجمعة بدل الظهر وقال ابن بطال انما أعاد ابن عمر ذكر الجمعة بعد ذكر الظهر من أجل أنه كان صلى الله عليه وسلم يصلي سنة الجمعة في بيته بخلاف الظهر قال والحكمة فيه أن الجمعة لما كانت بدل الظهر واقتصر فيها على ركعتين ترك التنفل بعدها في المسجد خشية أن يظن أنها التي حذفت انتهى وعلى هذا فينبغي أن لايتنفل قبلها ركعتين متصلتين بها في المسجد لهذا المعنى وقد روى أبو داود وابن حبان من طريق أيوب عن نافع قال كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته ويحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وقد احتج به النووي في الخلاصة على اثبات سنة الجمعة التي قبلها وتعقب بأن قوله كان يفعل ذلك عائد على قوله ويصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته ويدل عليه رواية الليث عن نافع عن عبد الله أنه كان اذا صلى الجمعة انصرف فسجد سجدتين في بيته ثم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك رواه مسلم وأما قوله كان يطيل الصلاة قبل الجمعة فان كان المراد بعد دخول الوقت فلا يصح أن يكون مرفوعا لانه عليه السلام كان يخرج اذا زالت الشمس فيشتغل بالخطبة ثم بصلاة الجمعة وان كان المراد قبل دخول الوقت فذلك مطلق نافلة لاصلاة راتبة فلاحجة فيه لسنة الجمعة التي قبلها بل هو تنفل مطلق وقد أنكر جماعة كون الجمعة لها سنة قبلها وبالغوا في الانكار منهم الامام شهاب الدين أبو شامة لانه لم يكن يؤذن للجمعة الابين يديه عليه الصلاة والسلام وهو على المنبر فلم يكن يصليها وكذلك الصحابة لانه اذا خرج الامام انقطعت الصلاة قال ابن العراقي ولم أر في كلام الفقهاء من الحنفية والمالكية استحباب سنة الجمعة التي قبلها انتهى وقد ورد في سنة الجمعة التي قبلها

احاديث أخرى ضعيفة منها عن أبي هريرة رواه البزار ولفظه كان يصلي قبل الجمعة أربعا وبعدها أربعا وأقوى ما يتمسك به في مشروعية الركعتين قبل الجمعة عموم ما صححه ابن حبان من حديث عبد الله ابن الزبير مرفوعا ما من صلاة مفروضة الا وبين يديها ركعتان قاله في فتح الباري وعن عطاء قال كان ابن عمر اذا صلى الجمعة بمكة تقدم فصلى ركعتين ثم يتقدم فيصلي أربعا واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فيصلي ركعتين ولم يصل في المسجد فقيل له فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله رواه أبو داود وفي رواية الترمذي قال رأيت ابن عمر صلى بعد الجمعة ركعتين ثم صلى بعد ذلك أربعا وعن ابن عمر أيضا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته وفي أخرى أن ابن عمر كان يصلي بعد الجمعة ركعتين يطيل فيهما ويقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وتقدم حديث دخول سليك الغطفاني يوم الجمعة وهو صلى الله عليه وسلم يخطب وقوله صلى الله عليه وسلم له صليت قال لا قال قم فاركع ركعتين مع ما فيه من المباحث في صلاة الجمعة

(الفصل الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم العيدين وفيه فروع)

الأول في عدد الركعات عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم عيد فصلى ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما ثم أتى النساء وبلال معه فأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تتصدق بخرصها وسخابها وفي رواية خرج يوم أضحى أو فطر وفي أخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفطر ركعتين الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنساءي. الفرع الثاني في عدد التكبير عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكبر في الفطر والأضحى في الاولى سبع تكبيرات وفي الثانية خمس تكبيرات زاد في رواية سوى تكبيرتي الاحرام والركوع وعن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم كبر في العيدين في الاولى سبعا قبل القراءة وفي الاخرى خمسا قبل القراءة رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي الفرع الثالث في الوقت والمكان عن أبي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والاضحى الى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة الحديث رواه البخاري ومسلم وفي هذا دليل لمن قال باستحباب الخروج لصلاة العيد الى المصلى وانه أفضل من صلاتها في المسجد لمواظبته صلى الله عليه وسلم على ذلك مع فضل مسجده وعلى هذا عمل الناس في الأمصار وأما أهل مكة فلا يصلونها الا في المسجد من الزمن الاول ولأصحابنا الشافعية وجهان أحدهما الصحراء أفضل لهذا الحديث والثاني وهو الاصح عند

أكثرهم المسجد أفضل الآن بضيق قالوا وابن صلى أول الكل في أيام دولته منه وإنما خرج النبي صلى الله عليه وسلم لضيق المسجد فدل على أن المسجد أفضل إذا اتسع والمراد بالمحل المذكور الذي على باب المدينة الشرقي قال ابن القيم ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة أصابهم مطر فصلى بهم العيد في المسجد ان ثبت الحديث وهو في سنن أبي داود وابن ماجه انتهى ولفظ أبي داود عن أبي هريرة قال أصابنا مطر في يوم فطر فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ولم يخرج بنا الى المصلى الفرع الرابع في الاذان والاقامة عن جابر بن سمرة قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيدين غير مرة ولا مرتين بغير أذان ولا اقامة رواه مسلم وأبو داود والترمذي وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العيد بلا أذان ولا اقامة رواه أبو داود الفرع الخامس في قراءته صلى الله عليه وسلم في صلاة العيدين عن ابن واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الاضحى والفطر بقاف والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر رواه مسلم ومالك وأبو داود والترمذي وعن النعمان ابن بشير قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأ بهما رواه مسلم ومالك وأبو داود والترمذي والنسائي الفرع السادس في خطبته صلى الله عليه وسلم وتقديمه صلاة العيدين عليها عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر يصلون العيدين قبل الخطبة رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وعن جابر أنه صلى الله عليه وسلم خرج يوم الفطر فبدأ بالصلاة قبل الخطبة وفي رواية قام فبدأ بالصلاة ثم خطب الناس فلما فرغ نزل فأتى النساء فذكرهن وهو يتوكأ على يد بلال وبلال باسط ثوبه تلقي فيه النساء صدقة وفي أخرى قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة ثم قام متوكئا على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن فقال تصدقن فان أكثركن حطب جهنم فقامت امرأة من وسط النساء سفعاء الخدين فقالت لم يا رسول الله قال لانكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير قال فجعلن يتصدقن من حليهن ويلقين في ثوب بلال من أقراطهن وخواتمهن رواه البخاري ومسلم وفي رواية أبي سعيد الخدري عند البخاري فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فان كان يريد أن يقطع

بهما فقطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف فقال أبو سعيد فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في أضحى أو فطر فلما أتينا المصلى اذا منبر بناه كثير بن الصلت فاذا مروان يريد أن يرتقيه فقلت له غيرتم والله الحديث ولابن خزيمة خطب عليه الصلاة والسلام يوم عيد على رجليه وهذا يشعر بأنه لم يكن في المصلى في زمانه عليه الصلاة والسلام منبر ويدل على ذلك قول أبي سعيد فلم تزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان ومقتضاه ان أول من اتخذه مروان ووقع في المدونة للامام مالك أن أول من خطب الناس في المصلى على منبر عثمان بن عفان كلمهم على منبر من طين بناه كثير بن الصلت لكنه معضل وما في الصحيحين أصح فقد رواه مسلم من طريق داود بن قيس نحو رواية البخاري ويحتمل أن يكون عثمان فعل ذلك مرة ثم تركه حتى أعاده مروان ولم يطلع على ذلك أبو سعيد قاله شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله تعالى الفرع السابع في أكله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر قبل خروجه الى الصلاة عن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات رواه البخاري وقال قال مرجا بن رجاء حدثني عبيد الله حدثني أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ويأكلهن وترا ورواه الحاكم من رواية عتبة بن حميد عنه بلفظ ما خرج يوم فطر حتى يأكل تمرات ثلاثا أو خمسا أو سبعا أو أقل من ذلك أو أكثر وترا قال المهلب الحكمة في الاكل قبل الصلاة أن لا يظن ظان لزوم الصوم حتى يصلي العيد فكأنه أراد سد هذه الذريعة وقال غيره لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم استحب تعجيل الفطر مبادرة الى امتثال أمر الله تعالى ويشعر بذلك اقتصاره على القليل من ذلك ولو كان لغير الامتثال لأكل قدر الشبع أشار الى ذلك ابن أبي جمرة وقيل لان الشيطان الذي يحبس في رمضان لا يطلق الا بعد صلاة العيد فاستحب تعجيل الفطر بدارا الى السلامة من وسوسته والحكمة في استحباب التمر لما في الحلو من تقوية البصر الذي يضعفه الصوم ولان الحلو مما يوافق الايمان ويعبر به في المنام ويرق القلب ومن ثم استحب بعض التابعين ان يفطر على الحلو مطلقا كالعسل رواه ابن أبي شيبة عن معاوية بن قرة وابن سيرين وغيرهما وفي الترمذي والحاكم من حديث بريدة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ولا يطعم يوم الاضحى حتى يصلي ونحوه عند البزار عن جابر بن سمرة وروى الطبراني والدارقطني من حديث ابن عباس قال من السنة ان لا يخرج يوم الفطر حتى يخرج الصدقة ويطعم شيأ قبل ان يخرج وفي كل من الاسانيد الثلاثة مقال وقد أخذ

أي آثار الفقهاء بما دلت عليه قال ابن المنير وقع أكله صلى الله عليه وسلم في كل من العيدين في الوقت المشروع لاخراج صدقتهما الخاصة بهما فاخراج صدقة الفطر قبل الغدو الى المصلى واخراج صدقة الاضحية بعد ذبحها فاجتمعا من جهة وافترقا من أخرى وقال الشافعي في الام بلغنا عن الزهري قال ما ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيد ولا جنازة قط وفي الترمذي عن علي قال من السنة ان يخرج الى العيد ماشيا وفي ابن ماجه عن سعد القرظي انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى العيد ماشيا وفيه عن أبي رافع نحوه وأسانيد الثلاثة ضعاف وعن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج يوم العيد في طريق رجع في أخرى رواه الترمذي وقد اختلف في معنى ذلك على أقوال كثيرة قال الحافظ ابن حجر اجتمع لي منها أكثر من عشرين وقد لخصتها وبينت الواهي منها فمن ذلك أنه فعل ذلك ليشهد له الطريقان وقيل سكانهما من الجن والانس وقيل ليسوي بينهما في مزية الفضل بمروره أو في التبرك أو ليشم رائحة المسك من الطريق التي يمر بها لانه كان معروفا بذلك وقيل لان طريقه الى المصلى كانت على اليمين فلو رجع منها لرجع على جهة الشمال فرجع من غيرها وهذا يحتاج الى دليل وقيل لاظهار شعائر الاسلام فيهما وقيل لاظهار ذكر الله وقيل ليغيظ المنافقين واليهود وقيل حذرا من كيد الطائفتين أو احداهما وقيل ليعمهم بالسرور به أو التبرك بمروره والانتفاع به في قضاء حوائجهم في الاستفتاء أو التعلم والاقتداء والاسترشاد والسلام عليهم أو غير ذلك وقيل ليزور أقاربه الاحياء والاموات وقيل ليصل رحمه وقيل ليتفاءل بتغير الحال الى المغفرة والرضى وقيل كان يتصدق في ذهابه فاذا رجع لم يبق معه شيء فيرجع في طريق آخر لئلا يرد من يسأله وهذا ضعيف جدا مع احتياجه الى دليل وقيل فعل ذلك لتخفيف الزحام وهذا رجحه الشيخ أبو حامد وقيل كان طريقه التي يتوجه منها أبعد من التي يرجع فيها فأراد تكثير الاجر بتكثير الخطا في الذهاب وأما في الرجوع فيسرع الى منزله وهذا اختيار الرافعي وتعقب بأنه يحتاج الى دليل وبأن أجر الخطا في الرجوع أيضا كما ثبت في حديث أبي بن كعب عند الترمذي وغيره وقيل لان الملائكة تقف في الطرقات فأراد أن يشهد له فريقان منهم وقال ابن أبي جمرة هو في معنى قول يعقوب لبنيه لا تدخلوا من باب واحد فأشار الى أنه فعل حذر اصابة العين انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يخرج الابكار والعواتق وذوات الخدور والحيض في العيدين فأما الحيض فيعتزلن المصلى ويشهدن دعوة المسلمين قالت احداهن يارسول الله احدانا لم يكن

لها جلباب قال فلتعرها أختها من جلابيبها رواه البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له ولا دلالة فيه على وجوب صلاة العيد لان من جملة من أمر بذلك من ليس بمكلف فظهر أن القصد منه اظهار شعائر الاسلام بالمبالغة في الاجتماع ولتعم الجميع البركة وفيه استحباب خروج النساء الى شهود العيد سواء كن شواب أم لا أو ذوات هيآت أم لا لكن نص الشافعي في الام يقتضي استثناء ذوات الهيآت قال وأحب شهود العجائز وغير ذوات الهيآت الصلاة وأما شهودهن الاعياد فأشد استحبابا وادعى بعضهم النسخ فيه وقال الطحاوي وأمره عليه الصلاة والسلام بخروج الحيض وذوات الخدور الى العيد يحتمل أن يكون في أول الاسلام والمسلمون قليل فأريد التكثير بحضورهن ارهابا للعدو وأما اليوم فلا يحتاج الى ذلك وتعقب بأن النسخ لا يثبت بالاحتمال وقد صرح في حديث أم عطية بعلة الحكم وهي شهودهن الخير ودعوة المسلمين ورجاء بركة ذلك اليوم وطهرته وقد أفتت به أم عطية بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمدة ولم يثبت عن أحد من الصحابة مخالفتها في ذلك وأما قول عائشة لو رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد فلا يعارض ذلك لندوره ان سلمنا أن فيه دلالة على انها أفتت بخلافه مع ان الدلالة منه بأن عائشة أفتت بالمنع ليست صريحة وفي قول الطحاوي ارهابا للعدو نظر لان الاستنصار بالنساء والتكثر بهن في الحرب دال على الضعف والاولى أن يخص ذلك بمن يؤمن عليها وبها الفتنة فلا يترتب على حضورها محظور ولا تزاحم الرجال في الطرق ولا في الجوامع قاله في فتح الباري وكان عليه الصلاة والسلام يخرج العنزة يوم الفطر والأضحى يركزها فيصلي اليها رواه النسائي وغيره واذا علمت هذا فاعلم ان للمؤمنين في هذه الدار ثلاثة أعياد عيد يتكرر كل اسبوع وعيدان يأتيان في كل عام مرة من غير تكرار في السنة فأما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع وهو مترتب على اكمال الصلوات المكتوبات من الله تعالى فيه فشرع لهم فيه عيدا وأما العيدان اللذان لا يتكرران في كل عام وانما يأتي كل واحد منهما في العام مرة واحدة فأحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مترتب على اكمال صيام رمضان وهو الركن الثالث من أركان الاسلام ومبانيه فاذا أكمل المسلمون صيام شهر رمضان المفروض عليهم استوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنب وآخره عتق من النار يعتق الله فيه من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالى لهم عقب صيامهم عيدا يجتمعون فيه على شكر الله تعالى وذكره وتكبيره على

ما هداهم له وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو يوم الجوائز يستوفي فيه
الصائمون أجر صيامهم ويرجعون بالمغفرة والعيد الثاني عيد النحر وهو أكبر العيدين
وأفضلهما وهو مرتب على إكمال الحج وهو الركن الرابع من أركان الاسلام
ومبانيه فاذا أكمل المسلمون حجهم غفر لهم وانما يكمل الحج بيوم عرفة فان الوقوف
بعرفة ركن الحج الاعظم ويوم عرفة هو يوم العتق من النار فيعتق الله فيه من النار
من وقف بعرفة ومن لم يقف بها من أهل الامصار من المسلمين فلذلك صار اليوم
الذي يليه عيدا لجميع المسلمين في جميع أمصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهد
لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة وشرع للجميع التقرب اليه تعالى
بالنسك باراقة دماء ضحاياهم فيكون ذلك اليوم شكرا منهم لهذه النعمة والصلاة
والنحر الذي يجتمع في عيد النحر أفضل من الصلاة والصدقة في عيد الفطر ولهذا أمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل شكره لربه على اعطائه الكوثر أن يصلي
لربه وينحر وقد ضحى صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين أقرنين ذبحهما بيده وسمى
وكبر رواه البخاري من حديث أنس قال ورأيته واضعا قدمه على صفاحهما يقول
بسم الله والله أكبر وعن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم أمر بكبش يطأ في سواد
ويبرك في سواد فأتي به ليضحي به قال يا عائشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر
ففعلت ثم أخذها وأخذ الكبش فأضجعه ثم ذبحه قال بسم الله اللهم تقبل من محمد
وآل محمد ومن أمة محمد ثم ضحى به رواه مسلم وعن جابر ذبح النبي صلى الله عليه وسلم
يوم النحر كبشين أقرنين أملحين موجوءين فلما وجههما قال اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض على ملة ابراهيم حنيفا وما أنا من المشركين ان صلاتي
ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين
اللهم منك ولك عن محمد وأمته بسم الله والله أكبر ثم ذبح رواه البخاري وأبو داود
وابن ماجه والدارمي وفي رواية لاحمد والترمذي ذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر
اللهم ان هذا عني وعن من لم يضح من أمتي فهذه أعياد المسلمين في الدنيا وكلها عند
اكمال طاعات مولاهم الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من جزيل الاجر
والثواب فليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن طاعاته تزيد وليس العيد
لمن تجمل باللباس والمركوب انما العيد لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد تفرق
خلع العتق والمغفرة على العبيد فمن ناله منها شيء فهو له عيد والا فهو مطرود بعيد
وأما أعياد المؤمنين في الجنة فهي أيام زيارتهم ربهم عز وجل فيزورونه ويكرمهم
غاية الاكرام ويتجلى لهم فينظرون اليه فما أعطاهم شيأ هو أحب اليهم من ذلك

وهو الزيادة فليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه

ان يوما جامعا شملي بهم * ذاك عيدي ليس لي عيد سواه

(الباب الثاني في النوافل المقرونة بالاسباب)

وفيه أربعة فصول الفصل الاول في صلاته صلى الله عليه وسلم الكسوف وهو لغة التغير الى السواد يقال كسفت الشمس اذا اسودت وذهب شعاعها عن قبيصة ابن المخارق قال كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فزعا يجر ثوبه وأنا معه يومئذ بالمدينة فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام ثم انصرف وانجلت ثم قال انما هذه الآيات يخوف الله بها عباده فاذا رأيتموها فصلوا رواه أبو داود والنسائي وفي قوله عليه الصلاة والسلام يخوف الله بها عباده رد على من يزعم من أهل الهيئة أن الكسوف أمر عادي لا يتأخر ولا يتقدم اذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف وقد ردّ عليهم ابن العربي وغيره بما في حديث أبي موسى عند البخاري حيث قال فيه فقام فزعا يخشى أن تكون الساعة قالوا فلو كان الكسوف بالحساب لم يقع الفزع ولو كان بالحساب لم يكن للامر بالعتق والصدقة والصلاة معنى يعني كما في حديث أسماء عند البخاري لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعتاقة في كسوف الشمس وكما عنده أيضا من حديث عائشة مرفوعا فاذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا فان ظاهر الاحاديث أن ذلك يفيد التخويف وان كل ما ذكر من أنواع الطاعات يرجى ان يدفع به ما يخشى من أثر ذلك الكسوف ومما نقض به ابن العربي وغيره أنهم يزعمون ان الشمس لا تنكسف على الحقيقة وانما يحول القمر بينها وبين أهل الارض عند اجتماعهما في العقدتين فقال هم يزعمون أن الشمس اضعاف القمر في الجرم فكيف يحجب الصغير الكبير اذا قابله أم كيف يظلم الكثير بالقليل لا سيما وهو من جنسه وكيف تحجب الارض نور الشمس وقد وقع في حديث النعمان بن بشير وغيره للكسوف سبب آخر غير ما يزعم أهل الهيئة وهو ما أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه ابن خزيمة والحاكم بلفظ ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله وان الله اذا تجلى لشيء من خلقه خشع له وقد استشكل الغزالي هذه الزيادة وقال انها لم تثبت فيجب تكذيب ناقلها قال ولو صحت لكان تأويلها أهون من مكابرة أمور قطعية لا تصادم أصلا من أصول الشريعة قال ابن بزيزة وهذا أعجب منه كيف يسلم دعوى الفلاسفة ويزعم أنها لا تصادم الشريعة مع أنها مبنية على أن العالم كري الشكل وظاهر الشرع يعطي خلاف ذلك والثابت من

قواعد الشرع أن الكسوف أثر الارادة القديمة وفعل الفاعل المختار فيخلق في هذين الجرمين النور متى شاء والظلمة متى شاء من غير توقيف على سبب أو ربط باقتران والحديث الذي رده الغزالي قد أثبته غير واحد من أهل العلم وهو ثابت من حيث المعنى أيضا لان النورية والاضاءة من عالم الجمال الحسي فاذا تجلت صفة الجلال انطمست الانوار لهيبته ويؤيده قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا انتهى ويؤيد هذا الحديث ما رويناه عن طاوس أنه نظر الى الشمس وقد انكسفت فبكى حتى كاد أن يموت وقال هي أخوف لله منا وقال ابن دقيق العيد ربما يعتقد بعضهم أن الذي يذكره أهل الحساب ينافي قوله يخوف الله بهما عباده وليس بشيء لان لله أفعالا على حسب العادة وأفعالا خارجة عن ذلك وقدرته حاكمة على كل سبب يقتطع ما يشاء من الاسباب والمسببات بعضها عن بعض واذا ثبت ذلك فالعلماء بالله لقوة اعتقادهم في عموم قدرته على خرق العادة وأنه يفعل ما يشاء اذا وقع شيء غريب حدث عندهم الخوف لقوة ذلك الاعتقاد وذلك لا يمنع أن يكون هناك أسباب تجري عليها العادة الى أن يشاء الله خرقها وحاصله أن الذي يذكره أهل الحساب ان كان حقا في نفس الامر لا ينافي كون ذلك مخوفا لعباد الله تعالى قاله في فتح الباري وعن ابن عباس قال انخسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام قياما طويلا نحوا من قراءة سورة البقرة ثم ركع ركوعا طويلا ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم رفع ثم سجد ثم قام قياما طويلا دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الاول ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الاول ثم سجد ثم انصرف وقد انجلت الشمس فقال ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله فقالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيأ في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت قال اني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك خيرا قط رواه البخاري وقوله ورأيت الجنة والنار قال القاضي عياض يحتمل أنه رآهما رؤية عين كشف الله له عنهما وأزال الحجاب بينه وبينهما كما فرج له عن المسجد الاقصى حين وصفه

ويكون قوله عليه الصلاة والسلام في عرض هذا الحائط كما في رواية في جهته وناحيته ويحتمل أن تكون رؤية علم وعرض وحي باطلاعه وتعريفه من أموره مامفصلا بمالم يعرفه قبل ذلك اليوم قال القاضي والاول أولى وأشبه بألفاظ الحديث لما فيه من الامور الدالة على رؤية العين كتناوله العنقود وتأخره مخافة أن يصيبه لفح النار انتهى واستشكل قوله ولو أصبته مع قوله تناولت وأجيب بحمل التناول على تكلف الاخذ لاحقيقة الاخذ وقيل المراد تناولته لنفسي ولو أخذته لكم حكاه الكرماني قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد وقيل المراد بقوله تناولت وضعت يدي عليه بحيث كنت قادرا على تحويله لكن لم يقدر لي قطفه ولو أصبته أي لو تمكنت من قطفه ويدل عليه قوله في حديث عقبة بن عامر عند ابن خزيمة أهوى بيده ليتناول شيأ وفي حديث أسماء عند البخاري حتى لو اجترأت عليه وكأنه لم يؤذن له في ذلك فلم يجترئ عليه قال ابن بطال لم يأخذ العنقود لانه من طعام الجنة وهو لا يفنى والدنيا فانية لا يجوز أن يؤكل فيها ما لا يفنى انتهى وفي حديث أسماء بنت أبي بكر عند البخاري ومسلم ومالك والنسائي قال ما من شيء كنت لم أره الا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار ولقد أوحي الي انكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبا لا أدري أي ذلك قالت أسماء من فتنة المسيح الدجال يؤتى أحدكم في قبره فيقال له ما علمك بهذا الرجل فأما المؤمن أو الموقن لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا واتبعنا هو محمد ثلاثا فيقال نم صالحا قد علمنا ان كنت لموقنا وأما المنافق أو المرتاب لا أدري أي ذلك قالت أسماء فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيأ فقلته وفي رواية فرأى امرأة تخدشها هرة ربطتها حتى ماتت جوعا وعطشا وفي رواية فرأى عمرو بن مالك يجر قصبه في النار وكان أول من غير دين ابراهيم ورأى فيها سارق الحاج يعذب قوله قصبه بضم القاف وسكون الصاد أي أمعاءه وفي رواية عائشة ثم قال يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله ان يزني عبده أو تزني أمته والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الا هل بلغت أي لو تعلمون من عظم انتقام الله من أهل الجرائم وشدة عقابه وأهوال القيامة ما أعلم وما بعدها كما علمت وترون النار كما رأيت في مقامي هذا وفي غيره لبكيتم كثيرا ولقل ضحككم لتفكركم فيما علمتموه وفي حديث عائشة عند البخاري فخرج الى المسجد فصف الناس وراءه فكبر فاقترأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة طويلة ثم كبر فركع ركوعا طويلا ثم قال سمع الله لمن حمده فقام ولم يسجد وقرأ

قراءة طويلة وهي أدنى من القراءة الأولى وزاد في رواية ربنا ولك الحمد واستدل به
على استحباب الذكر المشروع في الاعتدال في أول القيام الثاني من الركعة الأولى
واستشكله بعض متأخري الشافعية من جهة كونه قيام قراءة لا قيام اعتدال
بدليل اتفاق العلماء ممن قال بزيادة الركوع في كل ركعة على قراءة الفاتحة فيه
وإن كان محمد بن مسلمة المالكي خالف فيه والجواب أن صلاة الكسوف جاءت على
صفة مخصوصة فلا مدخل للقياس فيها بل كل ما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم فعله
فيها كان مشروعا لأنها أصل برأسها وبهذا المعنى رد الجمهور على من قاسها على
صلاة النافلة حتى منع من زيادة الركوع فيها فصلاة الكسوف أشبه شيء
بصلاة العيد ونحوها مما يجمع فيه من مطلق النوافل فامتازت صلاة الجنازة بترك
الركوع والسجود وصلاة العيد بزيادة التكبيرات وصلاة الخوف بزيادة الأفعال
الكثيرة واستدبار القبلة فكذلك اختصت صلاة الكسوف بزيادة الركوع
فالآخذ به جامع بين العمل بالنص والقياس بخلاف من لم يعمل به وقد تبين
أن لصلاة الكسوف هيئة تخصها من التطويل الزائد على العادة في القيام
وغيره ومن زيادة ركوع في كل ركعة وقد وردت زيادة في ذلك من طرق أخرى فعند
مسلم من وجه آخر عن عائشة وآخر عن جابر أن في كل ركعة ثلاث ركوعات وعنده
من وجه آخر عن ابن عباس أن في كل ركعة أربع ركوعات ولأبي داود من حديث
أبي بن كعب والبزار من حديث علي أن في كل ركعة خمس ركوعات ولا يخلو إسناد
منها من علة ونقل ابن القيم في الهدى عن الشافعي وأحمد والبخاري أنهم كانوا يعدون
الزيادة على الركوعين في كل ركعة غلطا من بعض الرواة فإن أكثر طرق
الحديث يمكن رد بعضها إلى بعض ويجمعها أن ذلك كان يوم مات إبراهيم عليه
الصلاة والسلام وإذا اتحدت القصة تعين الأخذ بالراجح وجمع بعضهم بين هذه
الأحاديث بتعدد الواقعة فإن الكسوف وقع مرارا فيكون كل من هذه الأوجه جائزا
وقال ابن خزيمة وابن المنذر والخطابي وغيرهم من الشافعية يجوز العمل بجميع
ما ثبت من ذلك وهو من الاختلاف المباح وقواه النووي في شرح مسلم وأبدى
بعضهم أن حكمة الزيادة في الركوع والنقص كان بحسب سرعة الانجلاء
وبطئه فحين وقع الانجلاء في أول ركوع اقتصر على مثل النافلة وحين أبطأ زاد
ركوعا وحين زاد في الإبطاء زاد ثالثا وهكذا إلى غاية ما ورد في ذلك وتعقبه النووي
وغيره بأن إبطاء الانجلاء وعدمه لا يعلم في أول الحال ولا في الركعة الأولى وقد
اتفقت الروايات على أن عدد الركوع في الركعتين سواء وهذا يدل على أنه مقصود

فى نفسه منوى من أول الحال انتهى ملخصا من فتح البارى وعند الامام أحمد أنه
لما سلم حمد الله وأثنى عليه وشهد أن لا اله الا الله وشهد أنه عبد الله ورسوله ثم قال
أيها الناس أنشدكم بالله ان كنتم تعلمون انى قصرت عن شىء من تبليغ رسالات
ربى لما أخبرتمونى ذلك فقام رجل فقال نشهد انك قد بلغت رسالات ربك ونصحت
لأمتك وقضيت الذى عليك ثم قال وايم الله لقد رأيت منذ قمت أصلى ما أنتم لاقون
من أمر دنياكم وآخرتكم وانه والله لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا
آخرهم الاعور الدجال من تبعه لم ينفعه صالح من عمله وفى البخارى وقالت عائشة
وأسماء خطب النبى صلى الله عليه وسلم وقد اختلف فى الخطبة فيه فاستحبها
الشافعى واسحاق وأكثر أهل الحديث وقال ابن قدامة لم يبلغنا عن أحمد ذلك
وقال صاحب الهداية من الحنفية ليس فى الكسوف خطبة لانه لم ينقل وتعقب
بأن الاحاديث ثبتت فيه وهى ذات كثرة والمشهور عند المالكية أنه لا خطبة
لها مع أن مالكا روى الحديث وفيه ذكر الخطبة وأجاب بعضهم بأنه صلى الله عليه
وسلم لم يقصد بها الخطبة بخصوصها وانما أراد أن يبين لهم الرد على من يعتقد ان
الكسوف لموت بعض الناس وتعقب بما فى الاحاديث الصحيحة من التصريح
بالخطبة وحكاية شرائطها من الحمد والثناء والموعظة وغير ذلك مما تضمنته
الاحاديث فلم يقتصر على الاعلام بسبب الكسوف والاصل مشروعية الاتباع
والخصائص لا تثبت الا بدليل انتهى وعن المغيرة بن شعبة عند البخارى كسفت
الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم فقال الناس
كسفت الشمس لموت ابراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس
والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتموهما فصلوا
وادعوا الله وابراهيم هو ابن النبى صلى الله عليه وسلم وقد ذكر جمهور أهل السير
أنه مات فى السنة العاشرة من الهجرة فقيل فى ربيع الاول وقيل فى رمضان وقيل
فى ذى الحجة والاكثر على أنها وقعت فى عاشر الشهر وقيل فى رابعه وقيل فى رابع
عشره ولا يصح شىء منها على قول ذى الحجة لان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذ ذاك
بمكة فى الحج وقد ثبت أنه شهد وفاته وكانت بالمدينة بلا خلاف نعم قيل انه مات
فى سنة تسع فان ثبت فيصح وجزم النووى بأنها كانت سنة الحديبية ولعل ذلك
كان فى آخر ذى القعدة حين رجع منها وفى هذا الحديث أيضا ابطال ما كان أهل
الجاهلية يعتقدونه من تأثير الكواكب فى الارض قال الخطابى كانوا فى الجاهلية
يعتقدون ان الكسوف يوجب حدوث تغير فى الارض من موت أو ضرر فأعلم

النبى

النبي صلى الله عليه وسلم أنه اعتقاد باطل وأن الشمس والقمر خلقان مسخران لله ليس لهما سلطان في غيرهما ولا قدرة للدفع عن أنفسهما وعن عبد الله بن عمرو قال لما كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نودي أن الصلاة جامعة رواه البخاري وقوله ان بفتح الهمزة وتخفيف النون وهي المفسرة وفي رواية له ولمسلم من حديث عائشة بعث صلى الله عليه وسلم منادياً فنادى الصلاة جامعة قال ابن دقيق العيد هذا الحديث حجة لمن استحب ذلك وقد أجمعوا على أنه لا يؤذن له ولا يقام وروى ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف الشمس والقمر ركعتين مثل صلاتكم وأخرجه الدارقطني أيضاً وفيه رد على من أطلق كابن رشيد أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل في كسوف القمر ومنهم من أول قوله صلى أي أمر بالصلاة جمعاً بين الروايتين وقال ابن القيم في الهدى لم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم صلى في كسوف القمر في جماعة لكن حكى ابن حبان في السيرة له أن القمر خسف في السنة الخامسة فصلى النبي بأصحابه صلاة الكسوف فكانت أول صلاة كسوف في الاسلام وهذا ان ثبت انتفى التأويل المذكور وقد جزم به مغلطاي في سيرته المختصرة وتبعه الحافظ زين الدين العراقي في نظمها وفي البخاري من حديث عائشة جهر النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الخسوف بقراءته فاذا فرغ من قراءته كبر فركع فاذا فرغ من الركعة قال سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يعاود القراءة في صلاة الكسوف أربع ركعات في ركعتين وأربع سجدات واستدل به على الجهر فيها بالنهار وحمله جماعة ممن لم ير ذلك على كسوف القمر قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد لان الاسماعيلي روى هذا الحديث من وجه آخر عن الوليد بلفظ كسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مسند أبي داود الطيالسي أنه صلى الله عليه وسلم جهر بالقراءة في صلاة الكسوف وقد ورد الجهر فيها عن علي مرفوعاً وموقوفاً أخرجه ابن خزيمة وغيره وقال به صاحبا أبي حنيفة وأحمد واسحاق وابن خزيمة وابن المنذر وغيرهما من محدثي الشافعية وابن العربي من المالكية وقال الطبري يخير بين الجهر والاسرار وقال الائمة الثلاثة يسر في الشمس ويجهر في القمر واحتج الشافعي بقول ابن عباس قرأ نحواً من سورة البقرة لانه لو جهر لم يحتج الى التقدير وقد روى الشافعي تعليقاً عن ابن عباس أنه صلى بجنب النبي صلى الله عليه وسلم في الكسوف فلم يسمع منه حرفاً ووصله البيهقي من ثلاثة طرق أسانيدها واهية وعلى تقدير صحتها فمثبت الجهر معه قدر زائد فالاخذ به أولى قال ابن العربي الجهر عندي أولى لانها صلاة جامعة

ينادي لها ويخطب فأشبهت العيد والاستسقاء انتهى ملخصا والله أعلم

(الفصل الثاني في صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الاستسقاء)

اعلم أن الاستسقاء طلب السقيا من الله تعالى عند الحاجة اليها كما تقول استعطى أي طلب العطاء ولم يخالف أحد من العلماء في سنية الصلاة في الاستسقاء الا أبو حنيفة محتجا بأحاديث الاستسقاء التي ليس فيها صلاة واحتج الجمهور بالاحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم صلى الاستسقاء ركعتين وأما الاحاديث التي ليس فيها الصلاة فبعضها محمول على نسيان الراوي وبعضها كان في الخطبة للجمعة وتعقبه صلاة الجمعة فاكتفى بها ولو لم تصل أصلا كان بيانا لجواز الاستسقاء بالدعاء بلا صلاة ولا خلاف في جوازه وتكون الاحاديث المثبتة للصلاة مقدمة لان فيها زيادة علم ولا معارضة بينهما والاستسقاء انواع الاول الاستسقاء بصلاة ركعتين وخطبتين ويتأهب قبله بصدقة وصيام وتوبة واقبال على الخير ومجانبة الشر ونحو ذلك من طاعة الله تعالى قال ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متبذلا متواضعا متخشعا متضرعا حتى أتى المصلى فرقى المنبر فلم يخطب خطبتكم هذه ولكن لم يزل في الدعاء والتضرع والتكبير ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيد رواه الترمذي وغيره وفي حديث عبد الله بن زيد المازني قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هذا المصلى ليستسقي ثم استقبل القبلة وقلب رداءه ثم صلى رواه البخاري ومسلم وفي رواية خرج بالناس الى المصلى ليستسقي فصلى بهم ركعتين جهر فيهما بالقراءة واستقبل يدعو ورفع يديه وحول رداءه حين استقبل القبلة وفي رواية قال وحول رداءه وجعل عطافه الأيمن على عاتقه الايسر وجعل عطافه الأيسر على عاتقه الأيمن ثم دعا الله قال الحافظ ابن حجر ولم أقف في شيء من طرق حديث عبد الله بن زيد على سبب ذلك ولا على صفته صلى الله عليه وسلم حال الذهاب الى المصلى ولا على وقت ذهابه وقد وقع ذلك في حديث عائشة عند أبي داود وابن حبان قالت شكى الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحط المطر فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه فخرج حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال أنتم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد أمركم الله ان تدعوه ووعدكم ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين الذي لا اله الا هو يفعل ما يريد اللهم أنت الله الذي لا اله الا أنت الغني ونحن الفقراء اليك اللهم أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغا

الى حين ثم رفع يديه حتى بدا بياض ابطيه ثم حول الى الناس ظهره وقلب أو حول رداءه وهو رافع يديه ثم أقبل على الناس ونزل فصلى ركعتين فأنشأ الله سحابا فرعدت وبرقت ثم أمطرت باذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول فلما رأى ذلك وسرعتهم الى الكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال أشهد أن الله على كل شيء قدير وأني عبد الله ورسوله وقد حكى ابن المنذر الاختلاف في وقتها والراجح أنه لا وقت لها معين وان كان أكثر أحكامها كالعيد لكنها تخالفه بأنها لا تختص بيوم معين وهل تصنع بالليل استنبط بعضهم من كونه صلى الله عليه وسلم جهر بالقراءة فيها بالنهار أنها نهارية كالعيد والا فلو كانت تصلى بالليل لأسر فيها بالنهار وجهر بالليل كمطلق النوافل ونقل ابن قدامة الاجماع على أنها لا تصلى في وقت الكراهة وأفاد ابن حبان أن خروجه صلى الله عليه وسلم الى المصلى للاستسقاء كان في شهر رمضان سنة ست من الهجرة وذكر الواقدي أن طول ردائه صلى الله عليه وسلم كان ستة أذرع في ثلاثة أذرع وطول ازاره أربعة أذرع وشبرين في ذراعين وشبر كان يلبسهما في الجمعة والعيدين وقد روى أبوداود عن عباد استسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه خميصة سوداء فأراد أن يأخذ بأسفلها فيجعله أعلاها فلما ثقلت عليه قلبها على عاتقه وقد استحب الشافعي في الجديد فعل ما هم به صلى الله عليه وسلم من تنكيس الرداء مع التحويل الموصوف وزعم القرطبي تبعا لغيره أن الشافعي اختار في الجديد تنكيس الرداء لا تحويله والذي في الام ماذكرته والجمهور على استحباب التحويل فقط ولا ريب ان الذي استحبه الشافعي احوط وعن أبي حنيفة وبعض المالكية لا يستحب شيء من ذلك واستحب الجمهور أن يحول الناس بتحويل الامام ويشهد له ما رواه أحمد من طريق أخرى عن عباد في هذا الحديث بلفظ وحول الناس معه وقال الليث وأبو يوسف يحول الامام وحده واستثنى ابن الماجشون النساء فقال لا يستحب في حقهن واختلف في حكمة هذا التحويل فجزم المهلب بأنه للتفاؤل بتحويل الحال عما هي عليه وتعقبه ابن العربي بأن من شرط الفأل أن لا يقصد اليه قال وانما التحويل أمارة بينه وبين ربه قيل له حول رداءك ليتحول حالك وتعقب بأن الذي جزم به يحتاج الى نقل والذي رده ورد فيه حديث رجاله ثقات أخرجه الدارقطني والحاكم من طريق جعفر بن محمد بن علي عن أبيه عن جابر ورجح الدارقطني ارساله وعلى كل حال فهو أولى من القول بالظن واستدل بقوله في حديث عائشة ثم صلى ركعتين بعد قوله فقعد على المنبر على أن الخطبة في الاستسقاء قبل الصلاة وهو مقتضى حديث

ابن عباس لكن وقع عند أحمد في حديث عبد الله بن زيد التصريح بأنه بدء بالصلاة قبل الخطبة وكذا في حديث أبي هريرة عند ابن ماجه حيث قال فصلى بنا ركعتين بغير أذان ولا اقامة والمرجح عند الشافعية والمالكية الثاني ولم يقع في شيء من طرق حديث عبد الله بن زيد صفة الصلاة المذكورة ولا ما يقرأ فيها وقد أخرج الدارقطني من حديث ابن عباس أنه يكبر منهما سبعا وخمسا كالعيد وأنه يقرأ فيهما بسبح وهل أتاك وفي اسناده مقال لكن أصله في السنن بلفظ ثم صلى ركعتين كما يصلي في العيدين فأخذ بظاهره الشافعي فقال يكبر فيهما الثاني استسقاؤه عليه الصلاة والسلام في خطبة الجمعة عن أنس أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما ثم قال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم أغثنا اللهم أغثنا اللهم أغثنا قال أنس ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار قال فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم امطرت قال فلا والله ما رأينا الشمس سبتا قال ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فاستقبله قائما فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فادع الله يمسكها عنا قال فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر قال فانقطعت وخرجنا نمشي في الشمس قال شريك فسألت أنس بن مالك أهو الرجل الاول قال لا أدري رواه مسلم وفي رواية قال له فما يشير بيده الى ناحية الا انفرجت حتى رأيت المدينة مثل الجوبة وسال وادي قناة شهرا ولم يجيء أحد من ناحية الا أخبر بجود وقوله يغيثنا بفتح أوله يقال غاث الله البلاد يغيثها اذا أرسل عليها المطر وقوله من باب كان نحو دار القضاء هي دار عمر بن الخطاب وسميت بذلك لانها بيعت في قضاء دينه وقوله هلكت الاموال وفي رواية كريمة وأبي ذر عن الكشميهني هلكت المواشي وهي المراد بالاموال هنا وفي رواية البخاري هلك الكراع بضم الكاف وهو يطلق على الخيل وغيرها وفي البخاري أيضا هلكت الماشية هلك العيال هلك الناس وهو من ذكر العام بعد الخاص والمراد بهلاكهم عدم وجود ما يعيشون به من الاقوات المفقودة بحبس المطر وانقطعت السبل لان الابل ضعفت لقلة القوت عن السفر أو لكونها لا تجد في طريقها من الكلأ ما يقيم أودها

والآكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع أكمة بفتحات تراب المجتمع وقيل الجبل الصغير وقيل ما ارتفع من الارض والظراب بكسر المعجمة جمع ظرب بكسر الراء الجبل المنبسط العالي وقوله مثل الجوبة بفتح الجيم وسكون الواو وفتح الموحدة هي الحفرة المستديرة الواسعة والمراد بها هنا الفرجة في السحاب والجود المطر الغزير وقوله قناة شهرا أي جرى فيه المطر من الماء شهرا وفي هذا دليل على عظم معجزته عليه الصلاة والسلام وهو وأن سخرت السحاب له كلما أشار اليها امتثلت أمره بالاشارة دون كلام لان كلامه عليه الصلاة والسلام مناجات للحق تعالى وأما السحاب فبالاشارة فلولا الامر لما بالطاعة له عليه الصلاة والسلام لما كان ذلك لانها أيضا كما جاء مأمورة حيث تسير وقد رما تقيم وأين تقيم ويرحم الله الشقراطسي فلقد أحسن حيث قال

دعوت للخلق عام المحل مبتهلا * أفديك بالخلق من داع ومبتهل
صعدت كفيك اذ كف الغمام فما * صوبت الا بصوب لوا كف الهطل
أراق بالارض ثجاصوب ريقه * فحل بالروض نسجا رائق الحلل
زهر من النور حلت روض أرضهم * زهرا من النور رصافي النبت مكتمل
من كل غصن نضير مورق خضر * وكل نور نضيد مونق خضل
تحية أحيت الاحياء من مضر * بعد المضرة تروي السبل بالسبل
دامت على الارض سبعا غير مقلعة * لولا دعاؤك بالاقلاع لم تزل

وقوله في الحديث سبتا أي من السبت الى السبت وقوله ثم دخل رجل الظاهر أنه غير الاول لان النكرة اذا تكررت دلت على التعدد وفي رواية ابن اسحاق فقام ذلك الرجل أو غيره وفي رواية لمسلم فتقشعت عن المدينة فجعلت تمطر حواليها وما تمطر بالمدينة قطرة فنظرت الى المدينة وانها لفي مثل الاكليل وهو بكسر الهمزة وسكون الكاف كل شئ دار من جوانبه واشتهر لما يوضع على الرأس فيحيط به وهو من ملابس الملوك كالتاج وفي رواية له أيضا فألف الله بين السحاب ومكثت حتى رأيت الرجل الشديد تهمه نفسه ان يأتي أهله وفي رواية له أيضا فرأيت السحاب يتمزق كأنه الملاء حين تطوى والملاء بضم الميم والقصر وقد تمد جمع ملاءة وهي ثوب معروف واستدل بهذا الحديث على جواز الاستسقاء بغير صلاة مخصوصة وعلى أن الاستسقاء ليس فيه صلاة فأما الاول فقال به الشافعي وأما الثاني فقال به أبو حنيفة وتعقب بأن الذي وقع في هذه القصة مجرد دعاء لا ينافي مشروعية الصلاة لها وقد ثبتت في واقعة أخرى كما تقدم وانه أعلم الثالث استسقاؤه صلى الله عليه

وسلم على منبر المدينة روى البيهقي في الدلائل من طريق يزيد ابن عبيد السلمي قال لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أتاه وفد من بني فزارة بضعة عشر رجلا وفيهم خارجة بن حصن والحر بن قيس وهو أصغرهم فنزلوا في دار رملة بنت الحارث من الانصار وقدموا على ابل عجاف وهم مسنتون فأتوا مقرين بالاسلام فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقالوا يا رسول الله اسنتت بلادنا واجدب جنابنا وغرث عيالنا وهلكت مواشينا فادع ربك ان يغيثنا وتشفع لنا الى ربك ويشفع ربك اليك فقال صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك أنا شفعت الى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العلي العظيم وسع كرسيه السموات والارض وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرحل الجديد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شفقكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي أو يضحك ربنا يا رسول الله قال نعم فقال الاعرابي لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيرا فضحك صلى الله عليه وسلم من قوله فقام صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وتكلم بكلمات ورفع يديه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه في شيء من الدعاء الا في الاستسقاء فرفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك وبهيمتك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام أبو لبابة بن عبد المنذر فقال يا رسول الله ان التمر في المرابد فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا فقال أبو لبابة ان التمر في المرابد ثلاث مرات فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره قال فلا والله ما في السماء قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم امطرت فوالله ما رأوا الشمس سبتا وقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فقال الرجل يا رسول الله يعني الذي سأله ان يستسقي لهم هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه وسلم فدعا ورفع يديه مدا حتى رؤي بياض ابطيه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب والاطيط صوت الاقتاب يعني ان الكرسي ليعجز عن حمله وعظمته اذ كان معلوما أن أطيط الرحل بالراكب انما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله وهذا

مثل لعظمته تعالى وجلاله ولم يكن أطيط وانما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى وقوله طبقا بفتح الطاء والموحدة أى مالئا للارض مغطيا لها يقال غيث طبق أى عام واسع والمربد موضع يجفف فيه التمر وثعلبه ثقبه الذي يسيل منه ماء المطر وعن أنس ابن مالك قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتيناك وما لنا بعير يئط ولا صبى يغط أى ما لنا بعير أصلا لان البعير لابد أن يئط وأنشد

أتيناك والعذراء يدمى لبانها * وقد شغلت أم الصبى عن الطفل
وألقى بكفيه الفتى لاستكانة * من الجوع ضعفا ما يمر ولا يحلى
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامى والعلهز الغسل
وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريئا غدقا طبقا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث تملأ به الضرع وتنبت به الزرع وتحيى به الارض بعد موتها قال فما رد صلى الله عليه وسلم يديه الى نحره حتى التقت السماء بأبراقها وجاء أهل البطانة يضجون الغرق الغرق فقال عليه الصلاة والسلام حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احدق بها كالا كليل وضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على يارسول الله كأنك تريد قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
تطيف به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده فى نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال أجل رواه البيهقى وقوله يدمى لبانها أى يدمى صدرها لامتهانها نفسها فى الخدمة حيث لا تجد ما تعطيه من يخدمها من الجدب وشدة الزمان وأصل اللبان من الفرس موضع اللبب ثم استعير للناس وقوله ما يمر وما يحلى أى ما ينطق بخير ولا شر من الجوع والضعف وقوله سوى الحنظل العامى نسبة الى العام لانه يتخذ فى عام الجدب كما قالوا للجدب السنة والعلهز بالكسر طعام كانوا يتخذونه من الدم ووبر البعير فى سنى المجاعة قاله الجوهرى والغسل الرذل قال السهيلى فان قلت كيف قال أبو طالب وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ولم تره قط استسقاء وانما كان ذلك منه بعد الهجرة وأجاب بما حاصله أن أبا طالب أشار الى ما وقع فى زمن عبد المطلب

حيث استسقى لقريش والنبي صلى الله عليه وسلم معه وهو غلام انتهى وقال
الحافظ ابن حجر ويحتمل أن يكون أبو طالب مدحه بذلك لما رأى من مخائل
ذلك فيه وان لم يشاهد ذلك فيه انتهى قلت وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة
ابن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا أبا طالب أقحط الوادي
وأجدب العيال وأنت فيهم أما تستسقي فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس
دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة
ولاذ الغلام بأصبعه وما في السماء قزعة فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق
واغدودق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول أبو طالب
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه انتهى الرابع استسقاؤه صلى الله عليه وسلم
بالدعاء من غير صلاة عن ابن مسعود أن قريشا أبطؤا عن الاسلام فدعا عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة
والعظام فجاءه أبو سفيان فقال يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وان قومك هلكوا
فادع الله فقرأ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ثم عادوا الى كفرهم فذلك قوله
تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر زاد اسباط عن منصور فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فأطبقت عليهم سبعا وشكا الناس كثرة المطر
فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة عن رأسه فسقوا الناس حولهم
رواه البخاري وأفاد الدمياطي أن ابتداء الدعاء على قريش كان عقب طرحهم
على ظهره سلا الجزور وكان ذلك بمكة قبل الهجرة وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك بالمدينة في القنوت كما في حديث أبي هريرة عند البخاري ولا يلزم من ذلك
اتحاد هذه القصص اذ لا مانع ان يدعو عليهم مرارا والظاهر أن مجيء أبي سفيان
كان قبل الهجرة لقول ابن مسعود ثم عادوا فذلك قوله يوم نبطش البطشة الكبرى
يوم بدر ولم ينقل أن أبا سفيان قدم المدينة قبل بدر وعلى هذا فيحتمل أن يكون أبو
طالب كان حاضرا ذلك فلذلك قال وأبيض يستسقى الغمام بوجهه لكن ورد ما يدل
على أن القصة وقعت بالمدينة فان لم يحمل على التعدد والا فهو مشكل وفي الدلائل
للبيهقي عن كعب بن مرة أو مرة بن كعب قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على مضر فأتاه أبو سفيان فقال ادع الله لقومك قد هلكوا وقد رواه أحمد وابن
ماجه عن كعب بن مرة ولم يشك وأبهم أبا سفيان فقال جاءه رجل فقال استسق
الله لمضر قال يا رسول الله استنصرت الله فنصرك ودعوت الله فأجابك فرفع يديه
فقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا الحديث فظهر ان هذا الرجل المبهم المقول له انك لجريء

هو أبو سفيان لكن يظهر أن قائل استنصرت الله يارسول الله الخ هو كعب بن مرة راوي هذا الحديث لما أخرجه أحمد والحاكم عن كعب ابن مرة المذكور قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فأتيته فقلت يارسول الله ان الله قد نصرك وأعطاك واستجاب لك وان قومك قد هلكوا وعلى هذا فكأن أبا سفيان وكعبا حضرا جميعا فكلمه أبو سفيان بشيء وكعب بشيء فدل ذلك على اتحاد قصتهما وقد ثبت في هذه ما ثبت في تلك من قوله انك لجريء ومن قوله اللهم حوالينا ولا علينا وسياق كعب بن مرة يشعر بأن ذلك وقع بالمدينة لقوله استنصرت الله فنصرك ولا يلزم من هذا اتحاد هذه القصة مع قصة أنس السابقة فهي واقعة أخرى لان في رواية أنس فلم ينزل عن المنبر حتى مطروا وفي هذه فما كان الا جمعة أو نحوها حتى مطروا والسائل في هذه القصة غير السائل في تلك فهما قصتان وقع في كل منهما طلب الدعاء بالاستسقاء ثم طلب الدعاء بالاستصحاء وان ثبت أن كعب ابن مرة أسلم قبل الهجرة حمل قوله استنصرت الله فنصرك على النصر باجابة دعائه عليهم وزال الاشكال المتقدم والله أعلم انتهى ملخصا من فتح الباري الخامس استسقاؤه صلى الله عليه وسلم عند أحجار الزيت قريبا من الزوراء وهي خارج باب المسجد الذي يدعى باب السلام نحو قذفة بحجر ينعطف على يمين الخارج من المسجد عن عمير مولى أبي اللحم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي رافعا يديه قبل وجهه لا يجاوز بهما رأسه رواه أبو داود والترمذي السادس استسقاؤه عليه الصلاة والسلام في بعض غزواته لما سبقه المشركون الى الماء فأصاب المسلمين العطش فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض المنافقين لو كان نبيا لاستسقى لقومه كما استسقى موسى لقومه فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال أوقد قالوها عسى ربكم أن يسقيكم ثم بسط يديه ودعا فما رد يديه من دعائه حتى أظلهم السحاب وامطروا الى أن سال الوادي فشرب الناس وارتووا فصل عن سالم بن عبد الله عن أبيه مرفوعا أنه كان اذا استسقى قال اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين اللهم ان بالعباد والبلاد والبهائم والخلق من اللأواء والجهد والضنك ما لا نشكوه الا اليك اللهم انبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع وأسقنا من بركات السماء وانبت لنا من بركات الارض اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا فارسل السماء علينا مدرارا رواه الشافعي * فصل روى أبو الجوزاء قال قحط أهل المدينة قحطا شديدا فشكوا الى عائشة فقالت انظروا قبر النبي صلى الله

عليه وسلم فاجعلوا منه كوى الى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الابل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق وروى ابن أبي شيبة باسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار قال أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله استسق لأمتك فانهم قد هلكوا فأتى الرجل في المنام فقيل له ائت عمر وفي رواية عبد الرزاق أن عمر استسقى بالمصلى فقال للعباس قم فاستسق وذكر الزبير بن بكار أن عمر بن الخطاب استسقى بالعباس عام الرمادة بفتح الراء وتخفيف الميم وسمي به لما حصل من شدة الجدب فاغبرت الارض جدا العدم المطر وذكر ابن عساكر في كتاب الاستسقاء أن العباس لما استسقى ذلك اليوم قال اللهم ان عندك سحابا وعندك ماء فانشر السحاب ثم أنزل منه الماء ثم أنزله علينا واشدد به الاصل وأطل به الفرع وأدر به الضرع اللهم تشفعنا اليك بمن لا منطق له من بهائمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعة بالغة طبقا اللهم لا نرغب الا اليك وحدك لا شريك لك اللهم نشكوا اليك سغب كل ساغب وعدم كل عادم وجوع كل جائع وعرى كل عار وخوف كل خائف وفي رواية الزبير بن بكار أن العباس لما استسقى به عمر قال اللهم انه لم ينزل بلاء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بي القوم اليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة فاسقنا الغيث فأرخت السماء مثل الحبال حتى اخصبت الارض وعاش الناس وعنده أيضا فحط الناس فقال عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد فاقتدوا أيها الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس فاتخذوه وسيلة الى الله وفيه فما برحوا حتى سقوا وفي ذلك يقول العباس بن عتبة بن أبي لهب

بعمي سقى الله الحجاز وأهله * عشية يستسقي بشيبته عمر

توجه بالعباس في الجدب راغبا * اليه فما ان رام حتى أتى المطر

ومنا رسول الله فينا تراثه * فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر

(القسم الثالث في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم في السفر وفيه فصول)

الاول في قصره صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه واحكامه وفيه فرعان الاول في كم كان عليه الصلاة والسلام يقصر الصلاة تقدم هل القصر رخصة أو عزيمة وما استدل به لكل من القولين في أوائل هذا المقصد وعن أنس بن مالك قال صليت الظهر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أربعا وخرج يريد مكة فصلى

بذى الحليفة العصر ركعتين رواه البخارى ومسلم وهذا الحديث مما احتج به أهل
الظاهر فى جواز القصر فى طويل السفر وقصيره فان بين المدينة وذى الحليفة ستة
أميال ويقال سبعة وقال الجمهور لا يجوز القصر الا فى سفر يبلغ مرحلتين وقال
أبو حنيفة وطائفة شرطه ثلاث مراحل واعتمدوا فى ذلك آثارا عن الصحابة وأما هذا
الحديث فلا دلالة فيه لاهل الظاهر لان المراد أنه صلى الله عليه وسلم حين سافر الى
مكة فى حجة الوداع صلى الظهر بالمدينة أربعا ثم سافر فأدركته العصر وهو مسافر
بذى الحليفة فصلاها ركعتين وليس المراد أن ذا الحليفة غاية سفره فلا دلالة فيه
قطعا والاحاديث المطلقة مع ظاهر القرآن متعاضدان على جواز القصر من حين
يخرج من البلد فانه حينئذ يسمى مسافرا وطويل السفر ثمانية وأربعون ميلا
هاشمية وهى ستة عشر فرسخا وهى أربعة برد والميل من الارض منتهى مد البصر
لان البصر يميل عنه على وجه الارض حتى يفنى أدراكه وبذلك جزم ابن الجوزى
وقيل حده ان تنظر الى الشخص فى أرض مصطحبة فلا تدرى أهو رجل أو امرأة
أو هو ذاهب أو آتى قال النووى الميل ستة آلاف ذراع والذراع أربعة وعشرون
أصبعا معترضة وقد حرره غيره بذراع الحديد المستعمل الآن بمصر والحجاز فى هذه
الاعصار فوجده ينقص عن ذراع الحديد بقدر الثمن فعلى هذا فالميل بذراع الحديد
خمسة آلاف ذراع ومائتان وخمسون ذراعا وهذه فائدة جليلة قل من تنبه لها
وروى البيهقى عن عطاء ان ابن عمر وابن عباس كانا يصليان ركعتين أى يقصران
فى أربعة برد فما فوقها وذكره البخارى فى صحيحه تعليقا بصيغة الجزم ورواه بعضهم
عن صحيح ابن خزيمة مرفوعا من رواية ابن عباس وقد كان فرض الصلاة ركعتين
ركعتين فلما هاجر عليه الصلاة والسلام فرضت أربعا رواه البخارى من حديث
عائشة لكن يعارضه حديث ابن عباس فرضت الصلاة فى الحضر أربعا وفى السفر
ركعتين رواه مسلم وجمع بينهما بما يطول ذكره ثم بعد ان استقر فرض الرباعية
خفف منها فى السفر عند نزول قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة
ويؤيده ما ذكره ابن الاثير فى شرح المسند أن قصر الصلاة كان فى السنة الرابعة
من الهجرة وقيل كان قصر الصلاة فى ربيع الآخر من السنة الثانية ذكره الدولابى
وقيل بعد الهجرة بأربعين يوما الفرع الثانى فى القصر مع الاقامة عن أنس قال
خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان يصلى ركعتين ركعتين
حتى رجعنا الى المدينة قيل له أقمتم بمكة شيأ قال أقمنا بها عشرا رواه البخارى ومسلم
مختصرا قال أقمنا مع النبى صلى الله عليه وسلم عشرة يقصر الصلاة وعن ابن عباس

أقام النبي صلى الله عليه وسلم تسع عشرة يقصر الصلاة فنحن اذا سافرنا تسعة عشر قصرنا وان زدنا أتممنا رواه البخاري وفي رواية أبي داود أنه صلى الله عليه وسلم أقام سبعة عشر بمكة يقصر الصلاة قال ابن عباس فلو أقام أكثر اتم والرواية الأولى بتقديم التاء على السين والثانية بتقديم السين على الموحدة ولابي داود من حديث عمران بن حصين غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح فأقام بمكة ثماني عشرة ليلة لا يصلي الا ركعتين وله من طريق ابن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس أقام صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح خمسة عشر يوما يقصر الصلاة وجمع البيهقي بين هذا الاختلاف بأن من قال تسع عشرة عد يومي الدخول والخروج ومن قال سبعة عشر حذفهما واما رواية خمس عشرة فضعفها النووي في الخلاصة وليس بجيد لان رواتها ثقات ولم ينفرد بها ابن اسحاق فقد أخرجها النسائي من رواية عراك بن مالك عن عبيد الله كذلك فاذا ثبت أنها صحيحة فلتحمل على أن الراوي ظن أن رواية الاصل سبع عشرة فحذف منها يومي الدخول والخروج فذكر أنها خمس عشرة واقتضى ذلك أن رواية تسع عشرة أرجح الروايات وأخذ الشافعي بحديث عمران بن حصين لكن محله عنده فيمن لم يزمع الاقامة فانه اذا مضت عليه المدة المذكورة وجب عليه الاتمام فان أزمع الاقامة في أول الحال على أربعة أيام أتم على خلاف بين أصحابه في دخول يومي الدخول والخروج فيها أولا ولا معارضة بين حديث ابن عباس وحديث أنس لان حديث ابن عباس كان في فتح مكة وحديث أنس كان في حجة الوداع وفي حديث ابن عباس قدم صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعني مكة لصبح رابعة ولا شك انه خرج من مكة صبح الرابع عشر فتكون مدة الاقامة بمكة ونواحيها عشرة أيام بلياليها كما قال أنس وتكون مدة اقامته بمكة أربعة أيام سواء لانه قدم في اليوم الرابع وخرج منها في اليوم الثامن فصلى الظهر في منى ومن ثم قال الشافعي ان المسافر اذا أقام ببلدة قصر أربعة أيام فالمدة التي في حديث ابن عباس يسوغ الاستدلال بها على من لم ينو الاقامة بل كان مترددا متى تهيأله فراغ حاجته يرحل والمدة التي في حديث أنس يستدل بها على من نوى الاقامة لانه صلى الله عليه وسلم في أيام الحج كان جازما بالاقامة تلك المدة ووجه الدلالة من حديث ابن عباس لما كان الاصل في المقيم الاتمام فلما لم يجيء عنه صلى الله عليه وسلم أنه أقام في حال السفر أكثر من تلك المدة جعلها غاية للقصر والله أعلم

﴿الفصل الثاني في الجمع وفيه فرعان أيضا﴾

الاول

الاول في جمعه صلى الله عليه وسلم عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر الى وقت العصر ثم نزل فجمع
بينهما فان زاغت الشمس قبل أن يرتحل صلى الظهر ثم ركب وفي رواية أنه كان
اذا أراد أن يجمع بين صلاتين في السفر أخر الظهر حتى يدخل أول وقت العصر
وفي أخرى كان اذا عجل عليه السير يؤخر الظهر الى أول وقت العصر فيجمع بينهما
ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء رواه البخاري ومسلم وأبوداود
وفي رواية للبخاري كان يجمع بين هاتين الصلاتين في السفر يعني المغرب
والعشاء وفي حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يجمع بين صلاتي الظهر
والعصر اذا كان على ظهر سير ويجمع بين المغرب والعشاء رواه البخاري ولمسلم
جمع بين الصلاة في سفرة سافرها في غزوة تبوك فجمع بين الظهر والعصر والمغرب
والعشاء وله ولمالك وأبي داود والنسائي أنهم خرجوا معه صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك فكان عليه الصلاة والسلام يجمع بين الظهر والعصر والمغرب
والعشاء فأخروا الظهر يوما ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعا ودخل ثم خرج
فصلى المغرب والعشاء جميعا وفي رواية أبي داود والترمذي من حديث معاذ بن
جبل كان في غزوة تبوك اذا زاغت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين الظهر والعصر
فان رحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر حتى ينزل للعصر وفي المغرب مثل ذلك
ان غابت الشمس قبل أن يرتحل جمع بين المغرب والعشاء وان ارتحل قبل أن تغيب
الشمس أخر المغرب حتى ينزل للعشاء ثم يجمع بينهما الفرع الثاني في جمعه صلى
الله عليه وسلم بجمع ومزدلفة عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب
والعشاء بالمزدلفة جميعا رواه البخاري ومسلم ومالك وأبوداود زاد البخاري في رواية
كل واحدة منهما باقامة ولم يسبح بينهما ولمسلم جمع بين المغرب والعشاء بجمع
وصلى المغرب ثلاث ركعات وصلى العشاء ركعتين وفي حديث أبي أيوب
الانصاري عند البخاري ومسلم جمع في حجة الوداع بين المغرب والعشاء في المزدلفة
وفي رواية ابن عباس عند النسائي صلى المغرب والعشاء باقامة واحدة
وفي رواية جعفر بن محمد عن أبيه عند أبي داود صلى الظهر والعصر بأذان واحد
بعرفة ولم يسبح بينهما واقامتين وصلى المغرب والعشاء بجمع بأذان واحد واقامتين
ولم يسبح بينهما

(الفصل الثالث في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم النوافل في السفر)

عن ابن عمر قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانوا

يصلون الظهر والعصر ركعتين ركعتين ولا يصلي قبلهما ولا بعدهما وقال ابن عمر لو كنت مصليا قبلهما أو بعدهما لاتممتهما رواه الترمذي وفي رواية صحبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم أره يسبح في السفر أي يتنفل للرواتب التي قبل الفرائض وبعدها وهو مستفاد من قوله في الرواية الاخرى فكان لا يزيد في السفر على ركعتين قال ابن دقيق العيد وهذا اللفظ يحتمل ان يريد لا يزيد على عدد ركعات الفرض فيكون كناية عن نفي الاتمام والمراد به الاخبار عن المداومة على القصر ويحتمل ان يريد لا يزيد نفلا ويمكن ان يريد ما هو أعم من ذلك وفي رواية مسلم صحبت ابن عمر في طريق مكة فصلى لنا الظهر ركعتين ثم اقبل وأقبلنا معه حتى جاء رحله فجلس وجلسنا معه فحانت منه التفاتة فرأى ناسا قياما فقال ما يصنع هؤلاء قلت يسبحون قال لو كنت مسبحا لاتممت قال النووي أجابوا عن قول ابن عمر هذا بأن الفريضة محتمة فلو شرعت تامة لتحتم أتمامها واما النافلة فهي الى خيرة المصلي فطريق الرفق به أن تكون مشروعة ويخير فيها انتهى وتعقب بأن مراد ابن عمر بقوله لو كنت مسبحا لاتممت يعني أنه لو كان مخيرا بين الاتمام وصلاة الراتبة لكان الاتمام أحب اليه لكنه فهم من القصر التخفيف فلذلك كان لا يصلي الراتبة ولا يتم وفي البخاري من حديث ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يوتر على راحلته وبوب عليه باب الوتر في السفر وأشار به الى الرد على من قال انه لا يسن الوتر في السفر وهو منقول عن الضحاك واما قول ابن عمر لو كنت مسبحا في السفر لاتممت كما أخرجه مسلم فانما أراد به راتبة المكتوبة لا النافلة المقصودة كالوتر وذلك بين من سياق الحديث المذكور عند الترمذي من وجه آخر بلفظ لو كنت مصليا قبلهما أو بعدهما لاتممت واما حديث عائشة عند البخاري أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع أربعا قبل الظهر وركعتين بعدها فليس بصريح في فعله ذلك في السفر ولعلها أخبرت عن أكثر أحواله وهو الاقامة والرجال أعلم بسفره من النساء وأجاب النووي تبعا لغيره بما لفظه لعل النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الرواتب في رحله فلا يراه ابن عمر أو لعله تركها في بعض الاوقات لبيان الجواز انتهى وفي رواية الترمذي من حديث ابن عمر قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر في السفر ركعتين وبعدها ركعتين وفي رواية صليت معه في الحضر والسفر فصليت معه في الحضر الظهر أربعا وبعدها ركعتين وصليت معه في السفر الظهر ركعتين وبعدها ركعتين والعصر ركعتين ولم يصل بعدها شيأ والمغرب في الحضر والسفر سواء ثلاث ركعات لا تنقص في حضر ولا سفر وهي وتر النهار

وبعدها ركعتين وفي حديث أبي قتادة عند مسلم في قصة النوم عن صلاة الصبح
أنه صلى الله عليه وسلم صلى ركعتين قبل الصبح ثم صلى الصبح كما كان يصلي
وقول صاحب الهدي انه لم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم أنه صلى سنة صلاة قبلها
ولا بعدها في السفر الا ما كان من سنة الفجر يرد على اطلاقه ما قدمناه في رواية
الترمذي من حديث ابن عمر وما رواه أبو داود والترمذي من حديث البراء بن عازب
قال سافرت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر سفرا فلم أره ترك ركعتين اذا
زاغت الشمس قبل الظهر وكأنه لم يثبت عنده ذلك لكن الترمذي استغربه ونقل
عن البخاري أنه رآه حسنا وقد حمله بعض العلماء على سنة الزوال لا على الراتبة
قبل الظهر

(الفصل الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم التطوع في السفر على الدابة)

عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي سبحته حيثما توجهت به
ناقته وفي رواية يصلي وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث كان وجهه وفيه نزلت
فأينما تولوا فثم وجه الله وفي رواية رأيته صلى الله عليه وسلم يصلي على حمار وهو
موجه الى خيبر وفي رواية كان يوتر على البعير رواه مسلم وقد أخذ بهذه الاحاديث
فقهاء الامصار في جواز التنفل على الراحلة في السفر حيث توجهت الا ان احمد وأبا
ثور كانا يستحبان أن يستقبلا القبلة بالتكبير حال ابتداء الصلاة والحجة لذلك ما في
حديث أنس عند أبي داود أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يتطوع
في السفر استقبل بناقته القبلة ثم صلى حيث توجهت ركابه وذهب الجمهور الى جواز
التنفل على الدابة سواء كان السفر طويلا أو قصيرا الا مالكا فخصه بالسفر الطويل
وحجته أن هذه الاحاديث انما وردت في أسفاره صلى الله عليه وسلم ولم ينقل عنه
صلى الله عليه وسلم أنه سافر سفرا قصيرا فصنع ذلك وحجة الجمهور مطلق الاخبار
في ذلك وقوله يصلي على حمار قال النووي قال الدارقطني وغيره هذا غلط من عمرو
ابن يحيى المازني وانما المعروف في صلاته عليه الصلاة والسلام على راحلته أو بعيره
والصواب أن الصلاة على الحمار من فعل أنس كما ذكره مسلم ثم قال وفي تغليط راويه
نظر لانه ثقة نقل شيئا محتملا فلعله كان الحمار مرة والبعير مرة أو مرات لكن قد يقال
انه شاذ مخالف لرواية الجمهور والشاذ مردود انتهى وعن يعلى بن مرة عن أبيه
عن جده أنهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسيره فانتهوا الى مضيق فحضرت
الصلاة فمطروا السماء من فوقهم والبلة من أسفل منهم فأذن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو على راحلته فصلى بهم يومئ ايماء فيجعل السجود أخفض من

الركوع رواه الترمذي

(القسم الرابع في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف)

عن جابر قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بذات الرقاع فاذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال تخافني فقال لا فقال من يمنعك مني قال الله فتهدده أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فغمد السيف وعلقه فأقيمت الصلاة فصلى بطائفة ركعتين ثم تأخروا وصلى بالطائفة الاخرى ركعتين وكان للنبي صلى الله عليه وسلم أربع ركعات وللقوم ركعتان رواه البخاري ومسلم ولمسلم فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الاولى فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا ولمسلم والبخاري أيضا من حديث يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى معه صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صفت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما وأتموا لانفسهم ثم انصرفوا فصفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا وأتموا لانفسهم ثم سلم بهم قال مالك وذلك أحسن ما سمعت في صلاة الخوف وما ذهب اليه مالك من ترجيح هذه الكيفية وافقه الشافعي وأحمد على ترجيحها لسلامتها من كثرة المخالفة ولكونها أحوط لامر الحرب وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فوازنا العدو فصاففنا لهم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا فقامت طائفة معه واقبلت طائفة على العدو وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وسجد سجدتين ثم انصرفوا مكان الطائفة التي لم تصل فجاؤا فركع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ركعة

وسجد سجدتين ثم سلم فقام كل واحد منهم يركع لنفسه ركعة ويسجد سجدتين وفي حديث جابر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف ببطن نخل فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم ثم جاءت طائفة أخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم رواه البغوي في شرح السنة وعنه أنه صلى الله عليه وسلم نزل بين ضجنان وعسفان فقال المشركون لهؤلاء صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم وأمهاتهم وهي العصر فاجمعوا أمركم فتميلوا عليهم ميلة واحدة وأن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن يقسم أصحابه شطرين فيصلي بهم وتقوم طائفة أخرى وراءهم وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم فتكون لهم ركعة ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان رواه الترمذي والنسائي قال ابن حزم وقد صح فيها بعني صلاة الخوف أربعة عشر وجها وبينها في جزء مفرد وقال ابن العربي في القبس جاء فيها روايات كثيرة أصحها ستة عشر رواية مختلفة ولم يبينها وقال النووي نحوه في شرح مسلم ولم يبينها أيضا وقد بينها الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي وزاد وجها آخر فصارت سبعة عشر وجها لكن يمكن أن تتداخل وقال صاحب الهدي أصولها ست صفات وبلغها بعضهم أكثر وهؤلاء كلما رأوا اختلاف الرواة في قصة جعلوا ذلك وجها من فعله صلى الله عليه وسلم وإنما هو من اختلاف الرواة انتهى وهذا هو المعتمد وإليه أشار الحافظ العراقي بقوله يمكن تداخلها وقد حكى ابن القصار المالكي أن النبي صلى الله عليه وسلم صلاها عشر مرات وقال ابن العربي أربعا وعشرين وقال الخطابي صلاها عليه الصلاة والسلام في أيام مختلفة بأشكال متباينة يتحرى فيها ما هو الأحوط للصلاة والأبلغ للحراسة فهي على اختلاف صورها متفقة المعنى انتهى وفي كتب الفقه تفاصيل لها كثيرة وفروع يطول ذكرها حكاها في فتح الباري

(القسم الخامس في ذكر صلاته صلى الله عليه وسلم على الجنازة وفيه فروع أربعة) الاول في عدد التكبيرات عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وكبر عليه أربع تكبيرات رواه البخاري ومسلم وعند الترمذي من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم كبر على جنازة فرفع يديه مع أول تكبيرة ووضع اليمنى على اليسرى الفرع الثاني في القراءة والدعاء نقل ابن المنذر عن ابن مسعود والحسن بن علي وابن الزبير والمسور بن مخرمة مشروعية قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق ونقل عن أبي هريرة وابن عمر ليس فيها قراءة وهو قول

مالك والكوفيين وروى عبد الرزاق والنسائى باسناد صحيح عن أبى أمامة
ابن سهل بن حنيف قال السنة فى الصلاة على الجنازة أن يكبر ثم يقرأ بأم القرآن ثم
يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يخلص الدعاء للميت ولا يقرأ الا فى الاولى وفى
البخارى عن سعد عن طلحة قال صليت خلف ابن عباس على جنازة فقرأ فاتحة
الكتاب وقال لتعلموا أنها سنة وليس فيه بيان محل قراءة الفاتحة وقد وقع التصريح
بذلك فى حديث جابر عند الشافعى بلفظ وقرأ بأم الكتاب بعد التكبيرة الاولى
كما ذكره الحافظ زين الدين العراقى فى شرح الترمذى وعن ابن عباس قال صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقرأ بفاتحة الكتاب رواه الترمذى وقال
لا يصح هذا والصحيح عن ابن عباس قوله من السنة وهذا مصير منه الى الفرق بين
الصيغتين ولعله أراد الفرق بالنسبة الى الصراحة والاحتمال وعن عوف بن مالك
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظنا من دعائه اللهم اغفر له وارحمه
وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من
الخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا
من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب
النار قال عوف حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت لدعاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم رواه مسلم وعن واثلة بن الاسقع قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان بن فلان فى ذمتك وحبل جوارك
فقه من فتنة القبر وعذاب النار وأنت أهل الوفاء والحق اللهم اغفر له وارحمه انك
أنت الغفور الرحيم رواه أبو داود وعن أبى هريرة قال كان صلى الله عليه وسلم
اذا صلى على الجنازة قال اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا
وذكرنا وأنثانا اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على
الايمان اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده رواه أحمد وأبو داود والترمذى وعنه
سمعته صلى الله عليه وسلم يقول اللهم أنت ربها وأنت خلقتها هديتها الى الاسلام
قبضت روحها وأنت أعلم بسرها وعلانيتها جئناك شفعاء فاغفر لها رواه أبو داود

(الفرع الثالث فى صلاته صلى الله عليه وسلم على القبر)

عن أبى هريرة أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد ففقدها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسأل عنها فقالوا ماتت قال أفلا آذنتمونى قال فكأنهم صغروا أمرها فقال
دلونى على قبرها فدلوه فصلى عليها رواه البخارى ومسلم زاد ابن حبان فقال فى رواية
حماد بن سلمة عن ثابت ان هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وان الله ينورها

بصلاتي عليهم وأشار إلى أن بعض المخالفين احتج بهذه الزيادة على أن ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم ساق من طريق خارجة بن زيد بن ثابت عن عمه يزيد بن ثابت فذكر هذه القصة وفيها ثم أتى القبر فصففنا خلفه وكبر عليه أربعا قال ابن حبان في ترك انكاره عليه الصلاة والسلام على من صلى معه على القبر بيان جواز ذلك لغيره وأنه ليس من خصائصه وتعقب بأن الذي يقع بالتبعية لا ينتهض دليلا للاصالة وعن عقبة بن عامر أنه صلى الله عليه وسلم خرج يوما فصلى على أهل احد صلاته على الميت ثم انصرف وفي رواية صلى على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات رواه أبو داود والنسائي ورواه الشيخان أيضا بلفظ خرج يوما فصلى على أهل احد كصلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال اني فرط لكم الحديث وفيه الصلاة على الشهداء في حرب الكفار وقد اختلف العلماء في هذه المسئلة فذهب مالك والشافعي وأحمد واسحاق والجمهور إلى أنه لا يصلى عليهم وذهب أبو حنيفة إلى الصلاة عليهم كغيرهم وبه قال المزني وهي رواية عن أحمد اختارها الخلال وحجة الجمهور أنه عليه الصلاة والسلام لم يصل على قتلى احد كما رواه البخاري في صحيحه عن جابر وأما هذه الصلاة فالمراد بها الدعاء وليس المراد بها صلاة الجنازة المعهودة قال النووي أي دعا لهم بدعاء صلاة الميت وأن هذه الصلاة مخصوصة بشهداء احد فانه لم يصل عليهم قبل دفنهم كما هو المعهود من صلاة الجنازة وانما صلى عليهم في القبور بعد ثمان سنين والحنفية يمنعون الصلاة على القبر مطلقا ولو كانت الصلاة عليهم واجبة لما تركها في الاول ثم ان الشافعية اختلفوا في معنى قولهم لا يصلى على الشهيد فقال أكثرهم معناه تحرم الصلاة عليه وهو الصحيح عندهم وقال آخرون معناه لا تجب الصلاة عليهم لكن تجوز وذكر ابن قدامة أن كلام أحمد في الرواية التي قال فيها يصلى عليهم يشير إلى أنها مستحبة غير واجبة قال ابن القاسم صاحب مالك انه لا يصلى على الشهيد فيما اذا كان المسلمون هم الذين غزوا الكفار فان كان الكفار هم الذين غزوا المسلمين فيصلى عليهم الفرع الرابع في صلاته صلى الله عليه وسلم على الغائب عن جابر أنه صلى الله عليه وسلم قال قد توفي اليوم رجل صالح من الحبش فهلم فصلوا عليه قال فصففنا فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ونحن وراءه رواه البخاري ومسلم وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر أربع تكبيرات رواه الشيخان أيضا وعند البخاري من طريق ابن عيينة عن ابن جريج فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة وبهذا الحديث استدل من منع الصلاة على الميت

وهى فى اللغة النماء والتطهير والمال ينمى بها من حيث لا يرى وهى مطهرة لمؤديها من الذنوب وقيل ينمى أجرها عند الله تعالى وسميت فى الشرع زكاة لوجود المعنى اللغوى فيها وقيل لانها تزكى صاحبها وتشهد بصحة ايمانه وهى قيد النعمة وسميت الصدقة صدقة لانها دليل لتصديق صاحبها وصحة ايمانه بظاهره وباطنه وقد فهم من شرعه صلى الله عليه وسلم أن الزكاة وجبت للمواساة وأن المواساة لا تكون الا فى مال له بال وهو النصاب ثم جعلها صلى الله عليه وسلم فى الاموال النامية وهى أربعة أصناف الذهب والفضة اللذان بهما قوام العالم والثانى الزرع والثمار والثالث بهيمة الانعام الابل والبقر والغنم والرابع أموال التجارة على اختلاف أنواعها وحدد صلى الله عليه وسلم نصاب كل صنف بما يحتمل المواساة فنصاب الفضة خمس اواق وهى مائتا درهم بنص الحديث والاجماع وأما الذهب فعشرون مثقالا وأما الزرع والثمار فخمسة اوسق وأما الغنم فأربعون شاة والبقر ثلاثون بقرة والابل خمس ورتب صلى الله عليه وسلم مقدار الواجب بحسب المؤنة والتعب فى المال فاعلاها وأقلها تعبا الركاز وفيه الخمس لعدم التعب فيه ولم يعتبر له حولا بل أوجب فيه الخمس متى ظفر به ويليه الزروع والثمار فان سقى بماء السماء ونحوه ففيه العشر والا فنصفه ويليه الذهب والفضة والتجارة وفيها ربع العشر لانه يحتاج الى العمل فيه جميع السنة ويليه الماشية فانه يدخلها الاوقاص بخلاف الانواع السابقة ولما كان نصاب الابل لا يحتمل المواساة من جنسه أوجب فيها شاة فاذا صارت الخمس خمسا وعشرين احتمل نصابها واحدا فكان هو الواجب ثم انه قدر سن هذا الواجب فى الزيادة والنقصان بحسب كثرة الابل وقلتها وفى كتابه صلى الله عليه وسلم الذى كتبه فى الصدقة ولم يخرجه الى عماله حتى قبض فى خمس من الابل شاة وفى عشر شاتان وفى خمسة عشر ثلاث شياه وفى عشرين أربع شياه وفى خمس وعشرين بنت مخاض الى خمس وثلاثين فاذا زادت واحدة ففيها ابنة لبون الى خمس وأربعين فان زادت واحدة ففيها حقة الى ستين فان زادت واحدة ففيها جذعة الى خمس وسبعين فان زادت واحدة ففيها ابنتا لبون الى تسعين فان زادت واحدة ففيها حقتان الى عشرين ومائة فاذا كانت الابل أكثر من ذلك ففى كل خمسين حقة وفى كل أربعين ابنة لبون وفى الغنم فى كل أربعين شاة شاة الى عشرين ومائة فاذا زادت واحدة فشاتان الى المائتين فان زادت على المائتين ففيها ثلاث شياه الى ثلاثمائة فان كانت الغنم أكثر من ذلك ففى كل مائة شاة شاة ثم ليس فيها شىء حتى تبلغ المائة رواه أبو داود والترمذى

من حديث سالم بن عبد الله بن عمر فرض صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من
تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والانثى والصغير والكبير من المسلمين
وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس الى الصلاة رواه البخاري ومسلم من حديث
ابن عمر وفي رواية أبي داود من حديث ابن عباس فرض صلى الله عليه وسلم زكاة
الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها فجزأها ثمانية أجزاء
رواه أبو داود من حديث زياد بن الحارث الصدائي وهذه الثمانية الاجزاء يجمعها
صنفان من الناس أحدهما من يأخذ لحاجته فيأخذ بحسب شدة الحاجة وضعفها
وكثرتها أو قلتها وهم الفقراء والمساكين وفي الرقاب وابن السبيل والثاني من يأخذ
لمنفعته وهم العاملون عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمون لاصلاح ذات البين والغزاة
في سبيل الله فان لم يكن الآخذ محتاجا ولا فيه منفعة للمسلمين فلا سهم له في الزكاة
واعلم أن الانبياء لا تجب عليهم الزكاة لانهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم
الزكاة فيه وانما تجب عليك زكاة ما أنت له مالك انما كانوا يشهدون ما في أيديهم
من ودائع الله لهم يبذلونه في أوان بذله ويمنعونه في غير محله ولان الزكاة انما هي
طهرة لما عساه ان يكون ممن وجبت عليه لقوله تعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها والانبياء عليهم الصلاة والسلام مبرؤن من الدنس لوجوب العصمة لهم
ولهذا لم يوجب أبو حنيفة على الصبيان زكاة لعدم دنس المخالفة والمخالفة لا تكون
الا بعد جريان التكليف وذلك بعد البلوغ واذا كان أهل المعرفة بالله المشاهدون
لأحديته لا يشهدون لهم مع الله ملكا كما هو مشهور من حكاياتهم فما ظنك
بالانبياء والرسل وأهل التوحيد والمعرفة انما غرفوا من بحارهم واقتبسوا من
أنوارهم انتهى ملخصا من كتاب التنوير للعارف الكبير أبي الفضل بن عطاء الله
الشاذلي اذاقنا الله حلاوة مشربه تنبيه ما حكي أن الامام الشافعي وأحمد بن حنبل
كانا جالسين اذ أقبل شيبان الراعي فقال أحمد بن حنبل للشافعي أريد أن أسأل
هذا المشار اليه في هذا الزمن فقال الشافعي لا تفعل فقال لا بد من ذلك فقال
يا شيبان ما تقول فيمن نسي أربع سجدات من أربع ركعات فقال يا أحمد هذا
قلب غافل عن الله يجب أن يؤدب حتى لا يعود الى مثل ذلك قال فخر أحمد مغشيا
عليه ثم أفاق فقال ما تقول فيمن له أربعون شاة ما زكاتها فقال على مذهبنا أو على
مذهبكم فقال أوهما مذهبان فقال نعم أما على مذهبكم ففي الاربعين شاة شاة
وأما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيأ فقد نقل شيخنا في المقاصد الحسنة

عن ابن تيمية أن ذلك باطل باتفاق أهل المعرفة لان الشافعي وأحمد لم يدركا شيبان الراعي والله أعلم انتهى وقد كان صلى الله عليه وسلم اذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل على آل فلان فأتاه أبو أوفى بصدقة فقال اللهم صل على آل أبي اوفى رواه البخاري ومسلم واختلف في أول وقت فرض الزكاة فذهب الاكثرون الى أنه وقع بعد الهجرة فقيل كان في السنة الثانية قبل فرض رمضان أشار اليه النووي في باب السير من الروضة وجزم ابن الاثير في التاريخ بأن ذلك كان في التاسعة وفيه نظر لما في حديث ضمام بن ثعلبة وحديث وفد عبد القيس ومخاطبة أبي سفيان مع هرقل وكان في أول السابعة وقال فيها يأمرنا بالزكاة وقوى بعضهم ما ذهب اليه ابن الاثير بما وقع في قصة ثعلبة بن حاطب المطولة ففيها لما أنزلت آية الصدقة بعث النبي صلى الله عليه وسلم عاملا فقال ماهذه الا الجزية أو أخت الجزية والجزية انما وجبت في التاسعة فتكون الزكاة في التاسعة لكنه حديث ضعيف لا يحتج بمثله وادعى ابن خزيمة في صحيحه ان فرضها كان قبل الهجرة واحتج بما أخرجه من حديث أم سلمة في قصة هجرتهم الى الحبشة وفيها أن جعفر بن أبي طالب قال للنجاشي في جملة ما أخبره به عن الرجل الذي يأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام انتهى وفي الاستدلال بذلك نظر لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت بعد ولا صيام رمضان فيحتمل أن تكون مراجعة جعفر لم تكن في أول ما قدم على النجاشي وانما أخبره بذلك بعد مدة قد وقع فيها ما ذكر من فريضة الصلاة والصيام وبلغ ذلك جعفرا فقال يأمرنا يعني يأمر أمته وهو بعيد جدا وأولى ما حمل عليه حديث أم سلمة هذا ان سلم من قدح في اسناده ان المراد بقول جعفر يأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام أي في الجملة ولا يلزم من ذلك أن يكون المراد بالصلاة الصلوات الخمس ولا بالصيام صيام شهر رمضان ولا بالزكاة هذه الزكاة المخصوصة ذات النصاب والحول ومما يدل على أن فرض الزكاة كان قبل التاسعة حديث أنس في قصة ضمام بن ثعلبة وقوله أنشدك الله آلله أمرك ان تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا وكان قدوم ضمام سنة خمس وانما الذي وقع في التاسعة بعث العمال لاخذ الصدقات وذلك يستدعي تقدم فريضة الزكاة قبل ذلك ومما يدل على أن فرض الزكاة وقع بعد الهجرة اتفاقهم على أن صيام رمضان انما فرض بعد الهجرة لان الآية الدالة على فرضيته مدنية بلا خلاف وثبت عند أحمد وابن خزيمة والنسائي وابن ماجه والحاكم من حديث قيس بن سعد ابن عبادة قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدقة الفطر قبل ان تنزل

الزكاة ثم نزلت فريضة الزكاة فلم يأمرنا ولم ينهنا ونحن نفعله اسناده صحيح ورجاله رجال الصحيح الا أبا عمار الراوي عن قيس بن سعد وقد وثقه أحمد وابن معين وهو دال على أن فرض صدقة الفطر كان قبل فرض الزكاة فيقتضي وقوعها بعد فرض رمضان قاله الحافظ أبو الفضل بن حجر رحمه الله وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها رواه البخاري من حديث عائشة واذا أتى بطعام سأل عنه أهدية أم صدقة فان قيل صدقة قال لاصحابه كلوا ولم يأكل وان قيل هدية ضرب بيده فأكل معهم رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة وقال عليه الصلاة والسلام لعائشة هل عندكم شيء فقالت لا الا شيء بعثت به اليناً نسيبة من الشاة التي بعثت بها اليها من الصدقة قال انها بلغت محلها رواه البخاري ومسلم وقوله محلها بكسر الحاء أي زال عنها حكم الصدقة وصارت حلالنا وأتى بلحم قد تصدق به على بريرة فقال هو عليها صدقة ولنا هدية رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنساءي وفي حديث عائشة عند البخاري ومسلم دخل صلى الله عليه وسلم وعلى النار برمة تفور فدعا بالغداء فأتى بخبز وأدم من أدم البيت فقال ألم أر برمة على النار تفور قالوا بلى يارسول الله لكنه لحم تصدق به على بريرة واهدت الينا منه وأنت لا تأكل الصدقة فقال هو صدقة عليها وهدية لنا

(النوع الرابع في ذكر صيامه صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن المقصود من الصيام امساك النفس عن خسيس عاداتها وحبسها عن شهواتها وفطمها عن مألوفاتها فهو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الابرار والمقربين وهو لرب العالمين من بين سائر أعمال العاملين كما قال الله تعالى في الحديث الالهي الذي رواه مسلم كل عمل ابن آدم له الا الصيام فهو لي وأنا أجزي به فأضافه تعالى اليه اضافة تشريف وتكريم كما قال تعالى ناقة الله مع أن العالم كله له سبحانه وقيل لانه لم يعبد غيره به فلم يعظم الكفار في عصر من الاعصار معبودا لهم بالصيام وان كانوا يعظمونه بصورة الصلاة والسجود وغيرهما قال في شرح تقريب الاسانيد واعترض بما يقع من عباد النجوم وأصحاب الهيا كل والاستخدامات فانهم يتعبدون لها بالصيام وأجيب بأنهم لا يعتقدون أنها فعالة بأنفسها وقيل لان الصوم بعيد من الرياء لخفائه بخلاف الصلاة والحج والغزو وغير ذلك من العبادات الظاهرات قال في فتح الباري معنى النفي في قولهم لا رياء في الصوم أنه لا يدخله الرياء بفعله وان كان قد يدخله الرياء بالقول كمن يصوم ثم يخبر بأنه صائم فقد يدخل الرياء من هذه الحيثية فدخول الرياء في الصوم انما يقع

من جهة الاخبار بخلاف بقية الاعمال فان الرياء يدخلها بمجرد فعلها انتهى وعن شداد بن أوس مرفوعا من صام يرائى فقد أشرك رواه البيهقى وقيل لانه ليس للصائم ونفسه فيه حظ وقيل لان الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب تعالى فلما تقرب الصائم اليه بما يوافق صفاته أضافه اليه قال القرطبى معناه أن أعمال العباد مناسبة لاحوالهم الا الصيام فانه مناسب لصفة من صفات الحق كأنه تعالى يقول ان الصائم يتقرب الى بأمر هو متعلق بصفة من صفاتى أو لكون ذلك من صفات الملائكة أولانه تعالى هو المنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته بخلاف غيره من العبادات فقد أظهر سبحانه بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها ولذا قال فى بقية الحديث وانا أجزى به وقد علم بأن الكريم اذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء اقتضى ذلك سعة العطاء وانما جوزى الصائم هذا الجزاء لانه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده والمراد بالشهوة فى الحديث شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب ويحتمل أن يكون من العام بعد الخاص لكن وقع فى رواية عند ابن خزيمة يدع لذته من أجلى ويدع زوجته من أجلى وأصرح منه ما روى من الطعام والشراب والجماع من أجلى وللصيام تأثير عجيب فى حفظ الاعضاء الظاهرة وقوى الجوارح الباطنة وحميتها عن التخليط الجالب للمواد الفاسدة واستفراغ الردية المانعة لها من صحتها فهو من أكبر العون على التقوى كما أشار اليه تعالى بقوله كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وقال عليه الصلاة والسلام كما فى البخارى الصوم جنة وهى بضم الجيم الوقاية والستر أى ستر من النار وبه جزم ابن عبد البر وفى النهاية أى يقى صاحبه مما يؤذيه من الشهوات وقال القاضى عياض من الآثام وقد اتفقوا على أن المراد بالصيام هنا صيام من سلم صيامه من المعاصى قولا وفعلا وقد اختلف هل الصوم أفضل أم الصلاة فقيل الصوم أفضل الاعمال البدنية لحديث النسائى عن أبى أمامة قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله مرنى بأمر آخذه عنك قال عليك بالصوم فانه لا عدل له والمشهور تفضيل الصلاة وهو مذهب الشافعى وغيره لقوله عليه الصلاة والسلام واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة رواه أبو داود وغيره

(ثم ان الكلام فى صيامه صلى الله عليه وسلم على قسمين)

القسم الاول فى صيامه صلى الله عليه وسلم شهر رمضان وفيه فصول الاول فيما كان صلى الله عليه وسلم يخص به رمضان من العبادات وتضاعف جوده عليه الصلاة والسلام فيه اعلم أن رمضان مشتق من الرمض وهو شدة الحر لان العرب

لما أرادوا أن يضعوا أسماء الشهور وافق أن الشهر المذكور شديد الحر فسموه بذلك كما سمي الربيعان لموافقتهما زمن الربيع أو لانه يرمض الذنوب أي يحرقها وهو ضعيف لان التسمية به ثابتة قبل الشرع ورمضان أفضل الاشهر كما حكاه الاسنوي عن قواعد الشيخ عز الدين بن عبد السلام وقال النووي وقولهم انه من أسماء الله تعالى ليس بصحيح وان كان قد جاء فيه أثر ضعيف وأسماء الله تعالى توقيفية لا تثبت الا بدليل صحيح انتهى وقد اختلف السلف هل فرض صيام قبل صيام رمضان أم لا فالجمهور وهو المشهور عند الشافعية انه لم يجب قط صوم قبل صوم رمضان وفي وجه وهو قول الحنفية أول ما فرض يوم عاشوراء فلما نزل رمضان نسخ وسيأتي أدلة الفريقين في الكلام على صوم عاشوراء ان شاء الله تعالى وقد كان فرض رمضان في السنة الثانية من الهجرة كما تقدم فتوفي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صام تسع رمضانات ولما كان شهر رمضان موسم الخيرات ومنبع الجود والبركات لان نعم الله تعالى فيه تزيد على غيره من الشهور كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر فيه من العبادات وأنواع القربات الجامعة لوجوه السعادات من الصدقة والاحسان والصلاة والذكر والاعتكاف ويخص به من العبادات ما لا يخص به غيره من الشهور وكان جوده صلى الله عليه وسلم يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما أن جود ربه تعالى يتضاعف فيه أيضا فان الله تعالى جبله على ما يحبه من الاخلاق الكريمة وفي حديث ابن عباس عند الشيخين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة فمجموع ما ذكر في هذا الحديث من الوقت وهو شهر رمضان والمنزل وهو القرآن والنازل به وهو جبريل والمذاكرة وهي مدارسة القرآن حصل له عليه الصلاة والسلام المزيد في الجود والمرسلة المطلقة يعني أنه في الاسراع بالجود أسرع من الريح وعبر بالمرسلة اشارة الى دوام هبوبها بالرحمة والى عموم النفع بجوده صلى الله عليه وسلم كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه ووقع عند الامام أحمد في آخر هذا الحديث لا يسئل شيأ الا أعطاه وتقدم في ذكر صفاته صلى الله عليه وسلم مزيد لذلك وقد كان ابتداء نزول القرآن في شهر رمضان وكذا نزوله الى سماء الدنيا جملة واحدة فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يتعاهده صلى الله عليه وسلم في كل سنة فيعارضه بما نزل عليه من رمضان الى رمضان فلما كان العام الذي توفي فيه صلى الله عليه وسلم

عارضه به مرتين كما ثبت فى الصحيح عن فاطمة رضى الله عنها قال فى فتح البارى وفى معارضة جبريل النبى صلى الله عليه وسلم بالقرآن فى شهر رمضان حكمتان احداهما تعاهده والاخرى تبقية مالم ينسخ منه ورفع مانسخ فكان رمضان ظرفا لانزاله جملة وتفصيلا وعرضا واحكاما وفى المسند عن واثلة بن الاسقع عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أنزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من شهر رمضان وأنزلت الانجيل لثلاث عشرة من شهر رمضان وأنزلت التوراة لست بقين من رمضان وأنزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان وقد دل الحديث على استحباب مدارسة القرآن فى رمضان والاجتماع عليه وعرض القرآن على من هو أحفظ منه وفى حديث ابن عباس أن المدارسة بينه صلى الله عليه وسلم وبين جبريل كانت ليلا وهو يدل على استحباب الاكثار من تلاوة القرآن فى رمضان ليلا لان الليل تنقطع فيه الشواغل وتجتمع فيه الهمم ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر وقد كان صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان كما أخرجه الامام أحمد والنساءى عن أبى هريرة قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان يقول قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم الخير الكثير قال بعض العلماء هذا الحديث أصل فى تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان فكان اذا دخل شهر رجب وشعبان قال اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان رواه الطبرانى وغيره من حديث أنس وكان عليه الصلاة والسلام اذا رأى هلال رمضان قال هلال رشد وخير هلال رشد وخير آمنت بالذى خلقك رواه النساءى من حديث أنس وروى أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول اذا دخل شهر رمضان اللهم سلمنى من رمضان وسلم رمضان لى وسلمه منى أى سلمنى منه حتى لا يصيبنى فيه مايحول بينى وبين صومه من مرض أو غيره وسلمه لى حتى لا يغم هلاله على فى أوله وآخره فيلتبس على الصوم والفطر وسلمه منى أى تعصمنى من المعاصى فيه وهذا منه عليه الصلاة والسلام تشريع

(الفصل الثانى فى صيامه عليه الصلاة والسلام برؤية الهلال)

عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يتحفظ من شعبان مالا يتحفظ من غيره ثم يصوم لرؤية رمضان فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام رواه أبو داود وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتموه فصوموا واذا رأيتموه فأفطروا فان غم عليكم فاقدروا له

رواه مسلم قوله فان غم عليكم أى حال بينكم و بينه غيم فاقدروا له من التقدير أى قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما و يؤيده قوله فى الرواية السابقة فان غم عليه صلى الله عليه وسلم عد ثلاثين وصوم فسر لا قدروا له ولهذا لم يجتمعا فى رواية و يؤكده رواية فاقدروا له ثلاثين قال المازرى حمل جمهور الفقهاء قوله عليه الصلاة والسلام اقدروا له على أن المراد اكمال العدة ثلاثين كما فسره فى حديث آخر قالوا ولا يجوز أن يكون المراد حساب المنجمين لان الناس لو كلفوا به لضاق عليهم لانه لا يعرفه الا الافراد والشرع انما يعرف الناس بما يعرفه جماهيرهم انتهى وهذا مذهبنا ومذهب مالك وأبى حنيفة وجمهور السلف والخلف وفيه دليل أنه لا يجوز صوم يوم الشك ولا يوم الثلاثين من شعبان عن رمضان اذا كانت ليلة الثلاثين ليلة غيم وقال الامام أحمد بن حنبل فى طائفة أى اقدروا له تحت السحاب فيجوزون صوم ليلة الغيم عن رمضان بل قال أحمد بوجوبه وقال ابن سريج وجماعة منهم مطرف بن عبد الله وابن قتيبة وآخرون معناه قدروا بحساب المنازل

(الفصل الثالث فى صومه صلى الله عليه وسلم بشهادة العدل الواحد)

عن ابن عمر قال تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى رأيته فصام وأمر الناس بصيامه رواه أبو داود وصححه ابن حبان وعن ابن عباس قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى رأيت هلال رمضان فقال أتشهد أن لا اله الا الله قال نعم قال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم قال يا بلال اذن فى الناس فليصوموا رواه أبو داود والترمذى والنسائى والمراد فى قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث السابق اذا رأيتموه رؤية بعض المسلمين ولا يشترط رؤية كل انسان بل يكفى جميع الناس رؤية عدل على الاصح فى مذهبنا وهذا فى الصوم وأما فى الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد على هلال شوال عند جميع العلماء الا أبا ثور فجوزه بعدل قال الاسنوى اذا قلنا بالواحد فى الصوم فلا خلاف أنه لا يتعدى الى غيره فلا يقع به الطلاق والعتق المعلقين بدخول رمضان ولا يحل به الدين المؤجل ولا يتم به حول الزكاة كذا أطلقه الرافعى هنا نقلا عن البغوى وأقره وتبعه عليه فى الروضة وصورته فيما اذا سبق التعليق على الشهادة فان وقعت الشهادة أولا وحكم الحاكم بدخول رمضان ثم جرى التعليق فان الطلاق والعتق يقعان كذا نقله القاضى حسين فى تعليقه عن ابن سريج وقال الرافعى فى الباب الثانى من كتاب الشهادات انه القياس انتهى

(الفصل الرابع فيما كان يفعله صلى الله عليه وسلم وهو صائم)

عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي واعلم أن الجمهور على عدم الفطر بالحجامة مطلقا وعن على وعطاء والاوزاعي وأحمد واسحاق وأبي ثور يفطر الحاجم والمحجوم وأوجبوا عليهما القضاء وشذ عطاء فأوجب الكفارة أيضا وقال بقول أحمد من الشافعية ابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان ونقل الترمذي عن الزعفراني أن الشافعي علق القول به على صحة الحديث قال الترمذي كان الشافعي يقول ذلك ببغداد وأما بمصر فمال الى الرخصة انتهى وقال الشافعي في اختلاف الحديث بعد أن أخرج حديث شداد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان الفتح فرأى رجلا يحتجم لثمان عشرة خلت من رمضان فقال وهو آخذ بيدي افطر الحاجم والمحجوم ثم ساق حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم قال وحديث ابن عباس أمثلهما اسنادا فان توقى أحد الحجامة كانت أحب الى احتياطا والقياس مع حديث ابن عباس والذي احفظ عن الصحابة والتابعين وعامة أهل العلم أنه لا يفطر أحد بالحجامة انتهى وأول بعضهم حديث أفطر الحاجم والمحجوم على أن المراد به أنهما سيفطران كقوله تعالى اني أراني أعصر خمرا أي مايؤول اليه ولا يخفى بعد هذا التأويل وقال البغوي في شرح السنة معناه تعرضا للافطار أما الحاجم فلانه لا يأمن من وصول شيء من الدم الى جوفه عند مصه وأما المحجوم فلانه لا يأمن من ضعف قوته بخروج الدم فيؤول أمره الى أن يفطر وقيل معنى افطرا فعلا مكروها وهو الحجامة فصارا كأنهما غير متلبسين بالعبادة وقال ابن حزم صح حديث افطر الحاجم والمحجوم بلا ريب لكن وجدنا من حديث أبي سعيد ارخص النبي صلى الله عليه وسلم في الحجامة للصائم واسناده صحيح فوجب الاخذ به لان الرخصة انما تكون بعد العزيمة فدل على نسخ الفطر بالحجامة سواء كان حاجما أو محجوما انتهى والحديث المذكور أخرجه النسائي وابن خزيمة والدارقطني ورجاله ثقات لكن اختلف في رفعه ووقفه وله شاهد من حديث أنس عند الدارقطني ولفظه أول ما كرهت الحجامة للصائم أن جعفر بن أبي طالب احتجم وهو صائم فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افطر هذان ثم أرخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد في الحجامة للصائم وكان أنس يحتجم وهو صائم ورواته كلهم من رجال البخاري الا أن في المتن ما ينكر لان فيه أن ذلك كان في الفتح وجعفر قتل قبل ذلك ومن أحسن ما ورد في ذلك ما رواه عبد الرزاق وأبو داود عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم

عن الحجامة للصائم وعن المواصلة ولم يحرمهما ابقاء على أصحابه واسناده صحيح والجهالة بالصحابي لا تضر ورواه ابن أبي شيبة عن وكيع عن الثوري بلفظ عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا انما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحجامة للصائم وكرههما للضعف أي لئلا يضعف انتهى ملخصا من فتح الباري والله أعلم وقالت عائشة كان صلى الله عليه وسلم يقبل بعض أزواجه وهو صائم ثم ضحكت رواه البخاري ومسلم ومالك وأبو داود قالت وكان أملككم لاربه أي لحاجته تعني أنه كان غالبا لهواه قال ابن الاثير أكثر المحدثين يروونه بفتح الهمزة والراء يعنون به الحاجة وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الراء وله تأويلان أحدهما أنه الحاجة يقال فيها الارب والارب والاربة والمأربة والثاني أرادت به العضو وعنت به من الاعضاء الذكر خاصة انتهى فمذهب الشافعي والاصحاب أن القبلة ليست محرمة على من لم تحرك شهوته لكن الاولى تركها وأما من حركت شهوته فهي حرام في حقه على الاصح عند أصحابنا وقوله فضحكت قيل يحتمل ضحكها التعجب ممن خالف هذا وقيل تعجبت من نفسها اذ حدثت بمثل هذا مما يستحي من ذكر النساء مثله للرجال ولكنها ألجأتها الضرورة في تبليغ العلم الى ذكر ذلك وقد يكون خجلا لاخبارها عن نفسها بذلك أو تنبيها على أنها صاحبة القصة ليكون ذلك أبلغ في الثقة بها أو سرورا بمكانها من النبي صلى الله عليه وسلم وصحبته لها وروى ابن أبي شيبة عن شريك عن هشام في هذا الحديث فضحكت فظننا أنها هي وروى النسائي عنها قالت أهوى الى النبي صلى الله عليه وسلم ليقبلني فقلت اني صائمة فقال وأنا صائم فقبلني وقد روى أبو داود عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبلها ويمص لسانها يعني وهو صائم واسناده ضعيف ولو صح فهو محمول على أنه لم يبتلع ريقه الذي خالطه ريقها وكان عليه الصلاة والسلام يكتحل بالاثمد وهو صائم رواه البيهقي من رواية محمد بن عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده ثم قال ان محمدا هذا ليس بالقوي ووثقه الحاكم وأخرج له في مستدركه وقالت أم سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من جماع لا حلم ثم لا يفطر ولا يقضي رواه البخاري ومسلم قال القرطبي في هذا فائدتان احداهما انه كان يجامع في رمضان ويؤخر الغسل الى بعد طلوع الفجر بيانا للجواز الثانية أن ذلك كان من جماع لا من احتلام لانه كان لا يحتلم اذ الاحتلام من الشيطان وهو معصوم منه وقال غيره في قولها من غير الاحتلام اشارة الى جواز الاحتلام عليه والا لما كان لاستثنائه معنى ورد بأن الاحتلام من الشيطان وهو معصوم

منه وأجيب بأن الاحتلام يطلق على الانزال وقد يقع الانزال بغير رؤية شيء في المنام وأرادت بالتقييد بالجماع المبالغة في الرد على من زعم أن فاعل ذلك عمدا يفطر انتهى وقال عامر بن ربيعة رأيته صلى الله عليه وسلم يستاك وهو صائم مالا أعد ولا أحصي رواه أبو داود والترمذي

(الفصل الخامس في وقت افطاره عليه الصلاة والسلام)

عن عبد الله بن أبي اوفى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر في شهر رمضان فلما غابت الشمس قال يا بلال انزل فاجدح لنا قال يا رسول الله ان عليك نهارا قال انزل فاجدح لنا قال فنزل فجدح فأتى به فشرب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال بيده اذا غابت الشمس من ههنا وجاء الليل من ههنا فقد افطر الصائم رواه البخاري ومسلم والجدح بجيم ثم حاء مهملة خلط الشيء بغيره والمراد خلط السويق بالماء وتحريكه حتى يستوي ومعنى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا صياما فلما غربت الشمس أمره عليه الصلاة والسلام بالجدح ليفطر فرأى المخاطب آثار الضياء والحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس فظن ان الفطر لا يحصل الا بعد ذهاب ذلك واحتمل عنده أنه صلى الله عليه وسلم لم يره فأراد تذكيره واعلامه بذلك ويؤيد هذا قوله ان عليك نهارا لتوهمه ان ذلك الضوء من النهار الذي يجب صومه وهو معنى قوله في الرواية الاخرى لو أمسيت وتكريره المراجعة لغلبة اعتقاده على أن ذلك نهار يحرم الاكل فيه مع تجويزه أنه عليه الصلاة والسلام لم ينظر الى ذلك الضوء نظرا تاما فقصد زيادة الاعلام ببقاء الضوء والله أعلم قاله النووي

(الفصل السادس فيما كان صلى الله عليه وسلم يفطر عليه)

عن أنس كان صلى الله عليه وسلم يفطر قبل أن يصلي على رطبات فان لم يجد رطبات فتمرات فان لم يجد تمرات حسا حسوات من ماء رواه أبو داود وانما خص عليه الصلاة والسلام الفطر بما ذكر لان اعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خلو المعدة أدعى الى قبوله وانتفاع القوى به لاسيما قوة البصر وأما الماء فان الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس فان رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده ولهذا كان الاولى للظمآن الجائع ان يبدأ بشرب قليل من الماء ثم يأكل بعده قاله ابن القيم

(الفصل السابع فيما كان يقوله صلى الله عليه وسلم عند الافطار)

عن معاذ بن زهرة أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أفطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت وهو حديث مرسل ومعاذ هذا ذكره البخاري

فى التابعين لكن قال معاذ أبو زهرة وتبعه ابن أبى حاتم وابن حبان فى الثقات وذكره يحيى بن يونس الشيرازى فى الصحابة وغلطه جعفر المستغفرى قال الحافظ ابن حجر ويحتمل أن يكون الحديث موصولا ولو كان معاذ تابعيا لاحتمال أن يكون الذى بلغه له صحابيا قال وبهذا الاعتبار أورده أبو داود فى السنن وبالاعتبار الآخر أورده فى المراسيل وخرج ابن السنى والطبرانى فى المعجم الكبير بسند واه جدا عن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا أفطر قال اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت فتقبل منى انك أنت السميع العليم ومن ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم اذا أفطر قال ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الاجر ان شاء الله رواه أبو داود وزاد رزين الحمد لله فى أول الحديث وفى كتاب ابن السنى عن معاذ بن زهرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أفطر قال الحمد لله الذى أعاننى فصمت ورزقنى فأفطرت

(الفصل الثامن فى وصاله صلى الله عليه وسلم)

عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال قالوا انك تواصل قال انى لست كهيئتكم انى أطعم وأسقى رواه البخارى ومسلم وللبخارى أنه صلى الله عليه وسلم واصل فواصل الناس فشق عليهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كهيئتكم انى أظل أطعم وأسقى وفى رواية أنس واصل صلى الله عليه وسلم فى آخر شهر رمضان فواصل ناس من المسلمين فبلغه ذلك فقال لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم انكم لستم مثلى انى أظل يطعمنى ربى ويسقينى وفى رواية لا تواصلوا قالوا انك تواصل قال لست كأحدكم انى أطعم وأسقى رواه البخارى ومسلم والمتعمقون هم المتشددون فى الامر المجاوزون الحدود فى قول أو فعل وفى رواية سعيد بن منصور وابن أبى شيبة من مرسل الحسن انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى وعن عائشة قالت نهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم قالوا انك تواصل فقال انى لست كهيئتكم انى يطعمنى ربى ويسقينى رواه البخارى ومسلم الا أن البخارى قال نهى ولم يقل نهاهم وعن أبى هريرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال فى الصوم فأبوا فلما أبوا ان ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال لو تأخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا رواه البخارى والوصال هو عبارة عن صوم يومين فصاعدا من غير أكل وشرب بينهما قال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر وقد اختلف فى معنى قوله يطعمنى ربى ويسقينى فقيل هو على حقيقته وانه صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بطعام وشراب من عند الله كرامة له فى ليالى صيامه

وتعقب بأنه لو كان كذلك لم يكن مواصلا وبأن قوله أظل يدل على وقوع ذلك بالنهار فلو كان الاكل والشرب حقيقة لم يكن صائما وأجيب بأن الراجح من الروايات لفظ أبيت دون أظل وعلى تقدير ثبوتها فليس محمولة على مطلق الكون لا على حقيقة اللفظ لان المحدث عنه هو الامساك ليلا لا نهارا وأكثر الروايات انما هو أبيت فكأن بعض الرواة عبر عنها بأظل نظرا الى اشتراكهما في مطلق الكون يقولون كثيرا أضحى فلان كذا ولا يريدون تخصيص ذلك بوقت الضحى ومنه قوله تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا فان المراد به مطلق الوقت ولا اختصاص لذلك بنهار دون ليل وليس حمل الطعام والشراب على المجاز بأولى من حمل لفظ أظل على المجاز وعلى التنزل فلا يضر شيء من ذلك لان ما يؤتى به الرسول على سبيل الكرامة من طعام الجنة وشرابها لا تجرى عليه أحكام المكلفين فيه كما غسل صدره الشريف في طست من الذهب مع أن استعمال أواني الذهب الدنيوية محرمة وقال ابن المنير الذي يفطر شرعا انما هو الطعام المعتاد وأما الخارق للعادة كالمحضر من الجنة فعلى غير هذا المعنى وليس تعاطيه من جنس الاعمال وانما هو من جنس الثواب كاكل أهل الجنة في الجنة والكرامة لا تبطل العادة وقال غيره لا مانع من حمل الطعام والشراب على حقيقتهما وأكله وشربه في الليل لا يقطع وصاله خصوصية له بذلك فكأنه لما قيل له انك تواصل قال انى لست في ذلك كهيئتكم أى على صفتكم في أن من أكل منكم أو شرب انقطع وصاله بل انما يطعمنى ربى ويسقينى ولا ينقطع بذلك مواصلتى فطعامى وشرابى على غير طعامكم وشرابكم صورة ومعنى وقال الجمهور هو مجاز عن لازم الطعام والشراب وهو القوة فكأنه قال يعطينى قوة الآكل والشارب ويفيض على ما يسد مسد الطعام والشراب ويقوى على أنواع الطاعة من غير ضعف في القوة أو المعنى ان الله يخلق فيه من الشبع والرى ما يغنيه عن الطعام والشراب ولا يحس بجوع ولا عطش والفرق بينه وبين الاول انه على الاول يعطى القوة من غير شبع ولا رى بل مع الجوع والظماء وعلى الثانى يعطى القوة مع الشبع والرى ورجح الاول بأن الثانى ينافي حال الصائم ويفوت المقصود من الصوم والوصال لان الجوع هو روح هذه العبادة بخصوصها قال القرطبي ويبعده النظر الى حاله عليه الصلاة والسلام فانه كان يجوع أكثر مما يشبع ويربط على بطنه الحجارة انتهى ويحتمل كما قاله ابن القيم في الهدى وابن رجب في اللطائف ان يكون المراد به ما يغذيه الله به من معارفه وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته وقرة عينه بقربه وتنعمه بحبه

والشوق

والشوق اليه وتوابع ذلك من الاحوال التي هي غذاء القلوب ونعيم الارواح وقرة العين وبهجة النفوس فللروح والقلب بها أعظم غذاء وأجله وأنفعه وقد يغنى هذا الغذاء عن غذاء الاجسام مدة من الزمان كما قيل

لها أحاديث من ذكراك تشغلها * عن الشراب وتلهيها عن الزاد
اذا اشتكت من كلال السير أوعدها * روح القدوم فتحيي عند ميعاد

ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب والروح عن كثير من الغذاء الحيواني ولاسيما الفرحان الظافر بمطلوبه الذي قد قرت عينه بمحبوبه وتنعم بقربه والرضى عنه والطاف محبوبه مكرم له غاية الاكرام مع الحب التام أفليس هذا من أعظم غذاء هذا المحب فكيف بالحبيب الذي لا شيء أعظم منه ولا أجل ولا أكمل ولا أعظم احسانا أفليس هذا المحب عند حبيبه يطعمه ويسقيه ليلا ونهارا ولهذا قال اني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني انتهى وحكى النووي في شرح المهذب كما قاله في شرح تقريب الاسانيد أن معناه أن محبة الله تشغلني عن الطعام والشراب قال والحب البالغ يشغل عنهما انتهى فان قلت لم آثر اسم الرب دون اسم الذات المقدسة في قوله يطعمني ربي دون أن يقول يطعمني الله أجيب بأن التجلي باسم الربوبية أقرب الى العباد من الالهية لانه تجلي عظمة لا طاقة لبشر بها وتجلي الربوبية تجلي رحمة وشفقة وقد اختلف الناس في الوصال لنا هل هو جائز أو محرم أو مكروه فقالت طائفة انه جائز ان قدر عليه وهذا يروى عن عبد الله بن الزبير وغيره من السلف وكان ابن الزبير يواصل الايام وروى ابن أبي شيبة باسناد صحيح انه كان يواصل خمسة عشر يوما وذكره من الصحابة أيضا أخت أبي سعيد ومن التابعين عبد الرحمن ابن أبي نعم وعامر بن عبد الله بن الزبير وابراهيم بن يزيد التيمي وأبا الجوزاء كما نقله أبو نعيم في الحلية ومن حجتهم أنه عليه الصلاة والسلام واصل بأصحابه بعد النهي فلو كان النهي للتحريم لما أقرهم على فعله فعلم أنه أراد بالنهي الرحمة لهم والتخفيف عنهم كما صرحت به عائشة في حديثها فمن لم يشق عليه ولم يقصد موافقة أهل الكتاب في تأخير الفطر ولا رغب عن السنة في تعجيل الفطر لم يمنع من الوصال ومن أدلة الجواز أيضا اقدام الصحابة عليه بعد النهي فدل على أنهم فهموا أن النهي للتنزيه لا للتحريم والا لما قدموا عليه وقال الاكثرون لا يجوز الوصال وبه قال مالك وأبو حنيفة ونص الشافعي وأصحابه على كراهته ولهم في هذه الكراهة وجهان أصحهما انها كراهة تحريم والثاني التنزيه واختار ابن وهب وأحمد بن حنبل واسحاق جواز الوصال الى السحر لحديث

أبي سعيد عند البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا فأيكم أراد ان يواصل فليواصل الى السحر وهذا الوصال لا يترتب عليه شيء مما يترتب على غيره لانه في الحقيقة بمنزلة عشائه الا انه يؤخره لان الصائم له في اليوم والليلة أكلة فاذا أكلها في السحر كان قد نقلها من أول الليل الى آخره وكان أخف لجسمه في قيام الليل ولا يخفى أن محل ذلك ما لم يشق على الصائم والا فلا يكون قربة وقد صرح في الحديث بأن الوصال من خصائصه صلى الله عليه وسلم فقال انى لست كهيئتكم وفي الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب قال قال صلى الله عليه وسلم اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر قالوا فجعله مفطرا حكما بدخول وقت الفطر وان لم يفطر وذلك يحيل الوصال شرعا واحتج الجمهور للتحريم بعموم النهي في قوله صلى الله عليه وسلم لا تواصلوا وأجابوا عن قوله رحمة بأنه لا يمنع ذلك كونه منهيا عنه للتحريم وسبب تحريمه الشفقة عليهم لئلا يتكلفوا ما يشق عليهم وأما الوصال بهم يوما ثم يوما فاحتمل للمصلحة في تأكيد زجرهم وبيان الحكمة في نهيهم والمفسدة المترتبة على الوصال وهي الملل من العبادة والتعرض للتقصير في بعض وظائف الدين من اتمام الصلاة بخشوعها واذكارها وسائر الوظائف المشروعة في نهاره وليله وأجابوا أيضا بقوله عليه الصلاة والسلام اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم اذ لم يجعل الليل محلا لسوى الفطر فالصوم فيه مخالف لموضعه وروى الطبراني في الاوسط من حديث أبي ذر أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد قبل وصالك ولا يحل لأحد بعدك ولكن اسناده ليس بصحيح ولا حجة فيه

(الفصل التاسع في سحوره صلى الله عليه وسلم)

عن أبي هريرة عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتسحر فقال انها بركة أعطاكم الله اياها فلا تدعوه رواه النسائي وعن العرباض بن سارية قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السحور في رمضان قال هلم الى الغداء المبارك رواه أبو داود والنسائي وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند السحور يا أنس انى أريد الصيام فاطعمني شيأ فأتيته بتمر واناء فيه ماء وذلك بعد ما اذن بلال قال يا أنس انظر رجلا يأكل معي فدعوت زيد بن ثابت فجاء فقال انى أريد شربة سويق وأنا أريد الصيام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أريد الصيام فتسحر معه ثم قام فصلى ركعتين ثم خرج الى الصلاة رواه النسائي وعن زر بن حبيش قلنا

لحذيفة أى ساعة تسحرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو النهار الا ان الشمس لم تطلع رواه النساءى وعن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قمنا الى الصلاة قال أنس بن مالك قلت كم كان قدر ما بينهما قال قدر خمسين آية رواه البخارى ومسلم والترمذى والنساءى والمراد آية متوسطة لا طويلة ولا قصيرة لا سريعة ولا بطيئة قال ابن أبى جمرة كان صلى الله عليه وسلم ينظر ما هو الارفق بأمته فيفعله لانه لو لم يتسحر لاتبعوه فشق على بعضهم ولو تسحر فى جوف الليل لشق أيضا على بعضهم ممن يغلب عليه النوم فقد يفضى الى ترك الصبح أو يحتاج الى المجاهدة بالسهر وقال القرطبى فيه دلالة على أن الفراغ من السحور كان قبل طلوع الفجر فهو معارض بقول حذيفة هو النهار الا ان الشمس لم تطلع انتهى وأجاب فى فتح البارى بأن لا معارضة بل يحمل على اختلاف الحال فليس فى رواية واحد منهما ما يشعر بالمواظبة

(الفصل العاشر فى افطاره صلى الله عليه وسلم فى السفر وصومه)

عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عام الفتح الى مكة فى رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم وصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس ثم شرب فقيل له بعد ذلك ان بعض الناس قد صام فقال أولئك العصاة أولئك العصاة زاد فى رواية فقيل له ان الناس قد شق عليهم الصيام وانما ينتظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر رواه مسلم وعن ابن عباس قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فصام حتى بلغ عسفان ثم دعا باناء من ماء فشرب نهارا ليراه الناس وأفطر حتى قدم مكة وكان ابن عباس يقول صام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر وأفطر فمن شاء صام ومن شاء أفطر رواه البخارى ومسلم ولمسلم أن ابن عباس كان لا يعيب على من صام ولا على من أفطر قد صام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السفر وأفطر قال النووى رحمه الله اختلف العلماء فى صوم رمضان فى السفر فقال بعض أهل الظاهر لا يصح صوم رمضان فى السفر فان صامه لم ينعقد ويجب قضاؤه لظاهر الآية ولحديث ليس من البر الصيام فى السفر وفى الحديث الآخر أولئك العصاة وقال جماهير العلماء وجميع أهل الفتوى يجوز صومه فى السفر وينعقد ويجزيه واختلفوا فى أن الصوم أفضل أم الفطر أم هما سواء فقال مالك وأبو حنيفة والشافعى والاكثرون الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر فان تضرر به فالفطر أفضل واحتجوا بصومه صلى الله عليه وسلم ولانه يحصل به براءة الذمة فى الحال وقال سعيد بن المسيب والاوزاعى وأحمد

وإسحاق وغيرهم الفطر أفضل مطلقا وحكاه بعض أصحابنا قولا للشافعي وهو غريب واحتجوا بما سبق لأهل الظاهر وبقوله صلى الله عليه وسلم هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه وظاهره ترجيح الفطر وأجاب الأكثرون بأن هذا كله فيمن يخاف ضررا أو يجد مشقة كما هو صريح في الاحاديث واعتمدوا حديث أبي سعيد الخدري قال كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصائم ومنا المفطر ولا يجد الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم يرون أن من وجد قوة فصام فان ذلك حسن ويرون أن من وجد ضعفا فأفطر فان ذلك حسن وهذا صريح في ترجيح مذهب الأكثرين وهو تفضيل الصوم لمن أطاقه بلا ضرر ولا مشقة ظاهرة وقال بعض العلماء الفطر والصوم سواء لتعادل الاحاديث والصحيح قول الأكثرين والله أعلم

(القسم الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم غير شهر رمضان)

وفيه فصول الفصل الاول في سرده عليه الصلاة والسلام صوم أيام من الشهر وفطره اياما عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسرد الصوم فيقال لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم رواه النسائي وعن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى نظن ان لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن أن لا يفطر منه شيأ وكان لا تشاء ان تراه من الليل مصليا الا رأيته ولا نائما الا رأيته وفي رواية ما كنت أحب أن أراه من الشهر صائما الا رأيته ولا مفطرا الا رأيته ولا من الليل قائما الا رأيته ولا نائما الا رأيته رواه البخاري ولمسلم كان يصوم حتى يقال قد صام صام ويفطر حتى يقال أفطر أفطر وعن ابن عباس قال ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا غير رمضان وكان يصوم حتى يقول القائل لا والله لا يفطر ويفطر حتى يقول القائل لا والله لا يصوم رواه البخاري ومسلم والنسائي وزادا ما صام شهرا متتابعا غير رمضان منذ قدم المدينة ففي هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يصم الدهر كله ولا قام الليل كله وكأنه ترك ذلك لئلا يقتدي به فيشق على الأمة وان كان قد أعطى من القوة ما لو التزم ذلك لاقتدر عليه لكنه سلك من العبادات الطريقة الوسطى فصام وأفطر وقام ونام

(الفصل الثاني في صومه صلى الله عليه وسلم عاشوراء)

وهو بالمد على المشهور واختلف في تعيينه فعن الحكم ابن الاعرج قال انتهيت الى ابن عباس وهو متوسد رداءه في زمزم فقلت له أخبرني عن صوم عاشوراء فقال اذا رأيت هلال المحرم فاعدد وأصبح يوم التاسع صائما قلت هكذا كان محمد

صلى الله عليه وسلم يصومه قال نعم رواه مسلم قال النووي هذا تصريح من ابن عباس بأن مذهبه أن عاشوراء هو اليوم التاسع من المحرم ويتأوله على أنه مأخوذ من أظماء الابل فان العرب تسمي اليوم الخامس من أيام الورد ربعا وكذا باقي الايام على هذه النسبة فيكون التاسع عشرا انتهى لكن قال ابن المنير قوله اذا أصبحت من تاسعه فأصبح صائما يشعر بأنه أراد العاشر لانه لا يصبح صائما بعد ان أصبح صائما تاسعه الا اذا نوى الصوم من الليلة المقبلة وهي الليلة العاشرة انتهى وذهب جماهير العلماء من السلف والخلف الى أن عاشوراء هو اليوم العاشر من المحرم وممن قال ذلك سعيد بن المسيب والحسن البصري ومالك وأحمد واسحاق وخلائق وهذا ظاهر الاحاديث ومقتضى اللفظ وأما تقدير أخذه من الاظماء فبعيد ثم ان حديث ابن عباس يرد عليه معنى قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء فقالوا له يا رسول الله يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم اذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا تصريح بأن الذي كان يصومه ليس هو التاسع فتعين كونه العاشر قاله النووي وقال القرطبي عاشوراء معدول عن عاشر للمبالغة والتعظيم وهو في الاصل صفة الليلة العاشرة لانه مأخوذ من العشر الذي هو اسم للعقد واليوم يضاف اليها فاذا قيل يوم عاشوراء فكأنه قيل يوم الليلة العاشرة الا انهم لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليه الاسمية فاستغنوا عن الموصوف فحذفوا الليلة وعلى هذا فيوم عاشوراء هو العاشر وهذا قول الخليل وغيره وقال ابن المنير الاكثر على أن عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر الله المحرم وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية وقال ابن القيم من تأمل مجموع روايات ابن عباس تبين له زوال الاشكال وسعة علم ابن عباس فانه لم يجعل يوم عاشوراء اليوم التاسع بل قال للسائل صم اليوم التاسع واكتفى بمعرفة السائل ان يوم عاشوراء هو اليوم العاشر الذي يعده الناس يوم عاشوراء فأرشد السائل الى صوم التاسع معه وأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصومه كذلك فاما ان يكون فعل ذلك وهو الاولى واما ان يكون حمل فعله على الامر به وعزمه عليه في المستقبل وهو الذي روى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيام يوم عاشوراء يوم العاشر وكل هذه الآثار عنه يصدق بعضها بعضا انتهى فليتأمل وعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض

رمضان ترك عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه رواه البخاري ومسلم ومالك وأبوداود والترمذي واستفيد من هذه الرواية تعيين الوقت الذي وقع الامر فيه بصيام عاشوراء وهو أول قدومه المدينة ولا شك أن قدومه عليه الصلاة والسلام كان في ربيع الاول فحينئذ كان الامر بذلك في أول السنة الثانية وفي السنة الثانية فرض شهر رمضان فعلى هذا لم يقع الامر بصوم يوم عاشوراء الا في سنة واحدة ثم فوض الامر في صومه الى رأى المتطوع فعلى تقدير صحة قول من يدعى أنه كان قد فرض فقد نسخ فرضه بهذه الاحاديث الصحيحة وأما صيام قريش لعاشوراء فلعلهم تلقوه من الشرع السالف ولذا كانوا يعظمونه بكسوة الكعبة وقد روى عن عكرمة أنه سئل عن ذلك فقال اذنبت قريش ذنبا في الجاهلية فعظم في صدورهم فقيل لهم صوموا عاشوراء يكفر ذلك قاله في فتح البارى وعن ابن عمران أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان عاشوراء يوم من أيام الله فمن شاء صامه رواه البخاري ومسلم وأبوداود وفي رواية وكان عبد الله لا يصومه الا أن يوافق صومه وعن سلمة بن الاكوع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اسلم يوم عاشوراء فأمره أن يؤذن في الناس من كان لم يصم فليصم ومن كان أكل فليتم صيامه الى الليل رواه مسلم قال النووى واختلفوا في حكم صوم عاشوراء في أول الاسلام حين شرع صومه قبل صوم رمضان فقال أبو حنيفة كان واجبا واختلف أصحاب الشافعي فيه على وجهين أشهرهما عندهم لم يزل سنة من حين شرع ولم يكن واجبا قط في هذه الامة ولكنه كان متأكد الاستحباب فلما نزل صوم رمضان صار مستحبا دون ذلك الاستحباب والثاني كان واجبا كقول أبي حنيفة وتظهر فائدة الخلاف في اشتراط نية الصوم الواجب من الليل فأبو حنيفة لا يشترطها ويقول كان الناس مفطرين أول يوم عاشوراء ثم أمروا بصيامه بنية من النهار ولم يؤمروا بقضائه بعد صومه وأصحاب الشافعي يقولون كان مستحبا فصح بنية من النهار وتمسك أبو حنيفة بقوله أمر بصيامه والامر للوجوب وبقوله فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه ويحتج الشافعية بقوله هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه والشافعية يقولون أيضا معنى قوله في حديث سلمة فأمره أن يؤذن في الناس من كان لم يصم فليصم الخ ان من كان نوى الصوم فليتم صومه ومن كان لم ينو الصوم ولم يأكل أو أكل فليمسك بقية يومه لحرمة اليوم واحتج أبو حنيفة بهذا الحديث لمذهبه أن صوم الفرض يجب بنية في النهار ولا يشترط تبييتها قال لأنهم نووا في النهار واجزأهم

وأجاب الجمهور عن هذا الحديث بأن المراد امساك بقية النهار لاحقيقة الصوم والدليل على هذا أنهم أكلوا ثم أمروا بالاتمام وقد وافق أبو حنيفة وغيره على أن شرط أجزاء النية في النهار في الفرض والنفل أن لا يتقدمها مفسد للصوم من أكل وغيره انتهى وقال الحافظ شيخ الاسلام أبو الفضل ابن حجر يؤخذ من مجموع الاحاديث انه كان واجبا لثبوت الامر بصومه ثم تأكيد الامر بذلك ثم زيادة تأكيده بالنداء العام ثم زيادته بأمر من أكل بالامساك ثم زيادته بأمر الامهات أن لا يرضعن فيه الاطفال و بقول ابن مسعود الثابت في مسلم لما فرض رمضان ترك عاشوراء مع العلم بأنه ما ترك استحبابه بل هو باق فدل على أن المتروك وجوبه وأما قول بعضهم المتروك تأكد استحبابه والباقي مطلق استحبابه فلا يخفى ضعفه بل تأكد استحبابه باق ولاسيما مع استمرار الاهتمام به حتى في عام وفاته صلى الله عليه وسلم حيث قال لئن عشت لاصومن التاسع والعاشر ولترغيبه في صومه وأنه يكفر السنة فأى تأكيد أبلغ من هذا انتهى وعن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال ما هذا قالوا يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني اسرائيل من عدوهم فصامه فقال أنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه وفي رواية فقال لهم ما هذا اليوم الذى تصومونه قالوا هذا يوم عظيم نجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فيه فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه وفي أخرى فنحن نصومه تعظيما له رواه البخارى ومسلم وأبو داود وقد أجاب صاحب زاد المعاد وغيره عما استشكله بعضهم في هذا الحديث وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قدم المدينة في شهر ربيع الاول فكيف يقول ابن عباس انه قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء بأنه ليس في الحديث أن يوم قدومه وجدهم يصومونه فانه انما قدم يوم الاثنين في ربيع الاول ثاني عشره ولكن أول علمه بذلك وقوع القصة في اليوم الذى كان بعد قدومه المدينة لم يكن وهو بمكة وقال في الفتح غايته ان في الكلام حذفا تقديره قدم عليه الصلاة والسلام المدينة فأقام الى يوم عاشوراء فوجد اليهود فيه صياما ويحتمل أن يكون أولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحساب السنين الشمسية فصادف يوم عاشوراء بحسابهم اليوم الذى قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وهذا التأويل مما يترجح به أولوية المسلمين وأحقيتهم بموسى لاضلالهم اليوم المذكور وهداية المسلمين له ولكن

سياق الحديث يدفع هذا التأويل والاعتماد على التأويل الاول انتهى وقد استشكل أيضا رجوعه عليه الصلاة والسلام الى خبر اليهود وهو غير مقبول وأجاب المازرى بأنه يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم أوحى اليه بصدقهم فيما قالوه أو تواتر عنده النقل بذلك حتى حصل له العلم بذلك قال القاضى عياض رداً على المازرى قد روى مسلم أن قريشا كانت تصومه فلما قدم المدينة صامه فلم يحدث له بقول اليهود حكم يحتاج الى الكلام عليه وانما هى صفة حال وجواب سؤال فقوله صامه ليس فيه ان ابتداء صومه حينئذ ولو كان هذا لحملناه على أنه أخبره من أسلم من علمائهم كابن سلام وغيره قال وقد قال بعضهم يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم بمكة ثم ترك صيامه حتى علم ما عند أهل الكتاب منه فصامه قال وما ذكرناه أولى بلفظ الحديث قال النووى المختار قول المازرى ومختصر ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يصومه كما تصومه قريش فى مكة ثم قدم المدينة فوجد اليهود يصومونه فصامه أيضا بوحى أو تواتر أو اجتهاد لا بمجرد اخبار آحادهم انتهى وقال القرطبى ولعل قريشا كانوا يستندون فى صومه الى شرع من مضى كابراهيم وصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل أن يكون بحكم الموافقة لهم كما فى الحج أو أذن الله له فى صيامه على أنه فعل خير فلما هاجر ووجد اليهود تصومه وسألهم وصامه وأمر بصيامه احتمل أن يكون استئلافا لليهود كما استألفهم باستقبال قبلتهم ويحتمل غير ذلك وعلى كل حال فلم يصمه اقتداء بهم فانه كان يصومه قبل ذلك وكان ذلك فى الوقت الذى يحب فيه موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه ولاسيما اذا كان فيه ما يخالف أهل الاوثان فلما فتحت مكة واشتهر أمر الاسلام أحب مخالفة أهل الكتاب أيضا كما فى حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يا رسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال صلى الله عليه وسلم فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لئن بقيت الى قابل لاصومن التاسع رواه مسلم وهذا دليل الشافعى وأصحابه وأحمد واسحاق القائلين باستحباب صوم التاسع والعاشر جميعا لانه صلى الله عليه وسلم صام العاشر ونوى صوم التاسع قال النووى قال بعض العلماء ولعل السبب فى صوم التاسع مع العاشر أن لا يتشبه باليهود فى افراد العاشر وفى الحديث اشارة الى هذا وقيل للاحتياط فى صوم عاشوراء والاول أولى انتهى وفى رواية البزار من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم عاشوراء صوموه وخالفوا فيه

اليهود وصوموا قبله يوما وبعده يوما ولا تحذفوه فراتب صومه ثلاثة أدناها أن يصام وحده وأ كلها أن يصام يوما قبله ويوما بعده ويلي ذلك أن يصام التاسع والعاشر وعليه أكثر الاحاديث وقال بعضهم قد ظهر أن القصد مخالفة أهل الكتاب في هذه العبادة وذلك يحصل بأحد أمرين اما بنقل العاشر الى التاسع واما بصيامهما معا والله أعلم وفي البخاري من حديث أبي موسى قال كان يوم عاشوراء تعده اليهود عيدا قال صلى الله عليه وسلم صوموه أنتم وهذا ظاهره ان الباعث على الامر بصومه محبة مخالفة اليهود حتى يصام ما يفطرون فيه لان يوم العيد لا يصام وحديث ابن عباس يدل على أن الباعث على صيامه موافقتهم على السبب وهو شكر الله تعالى على نجاة موسى لكن لا يلزم من تعظيمهم له واعتقادهم بأنه عيد أنهم كانوا يصومونه فلعله كان من جملة تعظيمهم أن يصوموه وقد ورد ذلك صريحا في حديث مسلم كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيدا ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم وهو بالشين المعجمة أي هيئتهم الحسنة ومحصل ما ورد في صيامه صلى الله عليه وسلم عاشوراء أربعة أحوال احداها انه كان يصومه بمكة ولا يأمر الناس بصيامه كما تقدم في حديث عائشة عند الشيخين وغيرهما كان عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية وكان صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه الحديث الثانية أنه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ورأى صيام أهل الكتاب وتعظيمهم له وكان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر به صامه وأمر الناس بصيامه وأكد الامر بصيامه والحث عليه حتى كانوا يصومونه أطفالهم كما تقدم في حديث ابن عباس عند الشيخين وغيرهما الثالثة أنه لما فرض صوم شهر رمضان ترك صلى الله عليه وسلم صيامه وقال ان عاشوراء يوم من أيام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه ويشهد له حديث عائشة السابق الحالة الرابعة أنه صلى الله عليه وسلم عزم في آخر عمره ان لا يصومه مفردا بل يضم اليه يوما آخر مخالفة لاهل الكتاب في صيامه كما قدمناه وقد روى مسلم من حديث أبي قتادة مرفوعا أن صوم عاشوراء يكفر سنة وأن صيام يوم عرفة يكفر سنتين وظاهره أن صيام يوم عرفة أفضل من صيام يوم عاشوراء وقد قيل الحكمة في ذلك أن يوم عاشوراء منسوب الى موسى ويوم عرفة منسوب الى النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك كان أفضل والله أعلم وأما ما روى من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه السنة كلها فرواه الطبراني والبيهقي في الشعب وفي فضائل الاوقات وأبو الشيخ عن ابن مسعود والاولان فقط عن أبي سعيد والثاني فقط في الشعب عن

جابر وأبي هريرة وقال ان أسانيدها كلها ضعيفة ولكن اذا ضم بعضها الى بعض أفادت قوة بل قال العراقي في أماليه لحديث أبي هريرة طرق صحح بعضها ابن ناصر الحافظ وأورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق سليمان بن أبي عبد الله عنه وقال سليمان مجهول وسليمان ذكره ابن حبان في الثقات فالحديث حسن على رأيه قال وله طرق عن جابر على شرط مسلم أخرجها ابن عبد البر في الاستذكار من رواية أبي الزبير عنه ورواه هو والدارقطني في الافراد بسند جيد عن عمر موقوفا عليه والبيهقي في الشعب من جهة محمد بن المنتشر قال كان يقال فذكره

(الفصل الثالث في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان)

عن عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا شهر رمضان وما رأيته في شهر أكثر منه صياما في شعبان رواه البخاري ومسلم وفي أخرى لهما لم يكن يصوم شهرا أكثر من شعبان فانه كان يصومه كله وفي رواية الترمذي كان يصومه الا قليلا بل كان يصومه كله وفي رواية أبي داود كان أحب الشهور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصومه شعبان ثم يصله برمضان وللنسائي كان يصوم شعبان أو عامة شعبان وفي أخرى له كان يصوم شعبان الا قليلا وفي أخرى له ايضا كان يصوم شعبان كله قال الحافظ ابن حجر أي يصوم معظمه ونقل الترمذي عن ابن المبارك أنه قال جائز في كلام العرب اذا صام أكثر الشهر أن يقول صام الشهر كله ويقال قام فلان ليلته أجمع ولعله قد تعشى واشتغل ببعض أمره قال الترمذي كان ابن المبارك جمع بين الحديثين بذلك وحاصله أن الرواية الاولى مفسرة للثانية ومخصصة لها وأن المراد بالكل الاكثر وهو مجاز قليل الاستعمال واستبعده الطيبي وقال يحمل على أنه كان يصوم شعبان كله تارة ويصوم معظمه أخرى لئلا يتوهم انه واجب كله كرمضان وقال ابن المنير اما أن يحمل قول عائشة على المبالغة والمراد الاكثر واما أن يجمع بأن قولها الثاني متأخر عن قولها الاول فأخبرت عن أول أمره أنه كان يصوم أكثر شعبان وأخبرت ثانيا عن آخر أمره أنه كان يصومه كله انتهى ولا يخفى تكلفه والاول هو الصواب واختلف في الحكمة في اكثاره صلى الله عليه وسلم من صوم شعبان فقيل كان يشتغل عن صيام الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع فيقضيها في شعبان أشار الى ذلك ابن بطال وفيه حديث أخرجه الطبراني في الاوسط من طريق ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن ابيه عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فربما أخر ذلك حتى يجتمع عليه صوم السنة حتى يصوم

شعبان

شعبان وابن أبي ليلى ضعيف وقيل كان يضع الحديث وقيل كان يصنع ذلك لتعظيم رمضان وورد فيه حديث أخرجه الترمذي من طريق صدقة بن موسى عن ثابت عن أنس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الصوم أفضل بعد رمضان قال شعبان لتعظيم رمضان قال الترمذي حديث غريب وصدقة عندهم ليس بذلك القوي لكن يعارضه ما روى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا أفضل الصوم بعد رمضان صوم المحرم والاولى في ذلك ما جاء في حديث أصح مما مضى أخرجه النسائي وأبو داود وأخرجه ابن خزيمة عن اسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الاعمال الى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم فبين صلى الله عليه وسلم وجه صيامه لشعبان دون غيره من الشهور بقوله انه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان يشير الى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام وشهر الصيام اشتغل الناس بهما فصار مغفولا عنه وكثير من الناس يظن أن صيام رجب أفضل من صيامه لانه شهر حرام وليس كذلك وفي احياء الوقت المغفول عنه بالطاعة فوائد منها أن يكون أخفى واخفاء النوافل وأسرارها أفضل ولاسيما الصيام فانه سر بين العبد وربه ومنها انه شق على النفوس لان النفوس تتأسى بما تشاهد من أحوال بني الجنس فاذا كثرت يقظة الناس وطاعتهم سهلت الطاعات واذا كثرت الغفلات وأهلها تأسى بهم عموم الناس فيشق على نفوس المتيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدي بهم وقد روي في صيامه صلى الله عليه وسلم شعبان معنى آخر وهو انه تنسخ فيه الآجال فروي باسناد فيه ضعف عن عائشة قالت كان أكثر صيام النبي صلى الله عليه وسلم في شعبان فقلت يا رسول الله أرى أكثر صيامك في شعبان قال ان هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت أسماء من يقبض فأنا أحب ان لا ينسخ اسمي الا وأنا صائم وقد روي مرسلا وقيل انه أصح وقد قيل في صوم شعبان معنى آخر وهو ان صيامه كالتمرين على صيام رمضان فلا يدخل في صيامه على مشقة وكلفة بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبل رمضان حلاوة الصوم ولذته فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط واعلم أنه لا تعارض بين هذا وبين النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين وكذا ما جاء في النهي عن صوم نصف شعبان الثاني فان الجمع بينهما ظاهر بأن يحمل النهي على من لم يدخل تلك الايام في صيام اعتاده وأجاب النووي عن كونه عليه الصلاة والسلام لم يكثر الصوم في المحرم مع

قوله افضل الصيام ما يقع فيه بأنه يحتمل أن يكون ما علم ذلك الا في آخر عمره فلم يتمكن من كثرة الصوم في المحرم أو اتفق له فيه من الاعذار كالسفر ما منعه من كثرة الصوم في المحرم وأما شهر رجب بخصوصه وقد قال بعض الشافعية انه أفضل من سائر الشهور وضعفه النووي وغيره فلم يعلم انه صح أنه صلى الله عليه وسلم صامه بل روى من حديث ابن عباس مما صحح وقفه أنه نهى عن صيامه ذكره ابن ماجه لكن في سنن أبي داود أنه صلى الله عليه وسلم ندب الى الصوم من الاشهر الحرم ورجب احدها وفي حديث مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أنه صلى الله عليه وسلم قال له صم من الحرم واترك قالها ثلاثا وفي رواية مسلم عن عثمان بن حكيم الانصاري قال سألت سعيد بن جبير عن صوم رجب ونحن يومئذ في رجب فقال سمعت ابن عباس يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم والظاهر أن مراد سعيد بهذا الاستدلال على أنه لا نهي عنه ولا ندب فيه بعينه بل له حكم باقي الشهور وفي اللطائف روى عن الكتاني أخبرنا تمام الرازي حدثنا القاضي يوسف حدثنا محمد بن اسحاق السراج حدثنا يوسف بن موسى حدثنا حجاج بن منهال حدثنا حماد بن سلمة اخبرنا حبيب المعلم عن عطاء ان عروة قال لعبد الله بن عمر هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم في رجب قال نعم ويشرفه قالها ثلاثا أخرجه أبو داود وغيره وعن أبي قلابة قال ان في الجنة قصر الصوام رجب قال البيهقي أبو قلابة من كبار التابعين لا يقوله الا عن بلاغ والله أعلم

(الفصل الرابع في صومه صلى الله عليه وسلم عشر ذي الحجة)

والمراد بها الايام التسعة من أول ذي الحجة عن هنيدة بن خالد عن امرأته عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذي الحجة رواه أبو داود وعن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما في العشر قط رواه مسلم والترمذي وهذا يوهم كراهة صوم العشر وليس فيها كراهة بل هي مستحبة استحبابا شديدا لاسيما يوم التاسع منها وهو يوم عرفة وقد ثبت في صحيح البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام العمل فيها الصالح أفضل منه في هذه يعني العشر الاول من ذي الحجة واستدل به على فضل صيام عشر ذي الحجة لاندراج الصوم في العمل واستشكل بتحريم الصوم يوم العيد وأجيب بأنه محمول على الغالب والله أعلم وتأول قولها يعني عائشة لم يصم العشر انه لم يصمه لعارض من مرض أو سفر أو غيرهما أو انها لم تره صائما فيه ولا يلزم من ذلك عدم

صيامه في نفس الامر ويدل عليه حديث هنيدة بن خالد الذي ذكرته قال الحافظ ابن حجر وقد وقع في رواية القاسم بن أبي أيوب ما من عمل أزكى عند الله ولا أعظم أجرا من خير يعمله في عشر الاضحى وفي حديث جابر في صحيحي أبي عوانة وابن حبان ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة فقد ثبتت الفضيلة لايام عشر الحجة على غيرها من أيام السنة وتظهر فائدة ذلك فيمن نذر الصيام أو علق عملا من الاعمال بأفضل الايام فلو أفرد يوما منها تعين يوم عرفة لانه على الصحيح أفضل أيام العشر المذكور فان أراد أفضل أيام الاسبوع تعين يوم الجمعة جمعا بين الحديث السابق وبين حديث أبي هريرة مرفوعا خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة رواه مسلم أشار الى ذلك كله النووي في شرحه وقال الداودي لم يرد عليه الصلاة والسلام أن هذه الايام خير من يوم الجمعة لانه قد يكون فيها يوم الجمعة يعني فيلزم تفضيل الشيء على نفسه وتعقب بأن المراد كل يوم من أيام العشر أفضل من غيره من أيام السنة سواء كان يوم الجمعة أم لا ويوم الجمعة فيه أفضل من يوم الجمعة في غيره لاجتماع الفضيلتين فيه والذي يظهر أن السبب في امتياز عشر ذي الحجة امكان اجتماع أمهات العبادات فيه وهي الصلاة والصيام والصدقة والحج ولا يتأتى ذلك في غيرها وعلى هذا هل يختص الفضل بالحاج أو يعم المقيم فيه احتمال انتهى وقال أبو امامة ابن النقاش فان قلت أيما أفضل عشر ذي الحجة أو العشر الاواخر من رمضان فالجواب أن أيام عشر ذي الحجة أفضل لاشتمالها على اليوم الذي ما رؤي الشيطان في يوم غير يوم بدر أدحر ولا أغيظ ولا أحقر منه فيه وهو يوم عرفة ولكون صيامه يكفر سنتين ولاشتمالها على أعظم الايام عند الله حرمة وهو يوم النحر الذي سماه الله تعالى يوم الحج الاكبر وليالي عشر رمضان الاخير أفضل لاشتمالها على ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ومن تأمل هذا الجواب وجده كافيا شافيا أشار اليه الفاضل المفضل في قوله ما من أيام العمل فيهن أحب الى الله من عشر ذي الحجة الحديث فتأمل قوله ما من أيام دون أن يقول ما من عشر ونحوه ومن أجاب بغير هذا التفصيل لم يدل بحجة صحيحة صريحة قط

(الفصل الخامس في صومه صلى الله عليه وسلم أيام الاسبوع)

عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صيام يوم الاثنين والخميس رواه الترمذي والنسائي وعن أبي قتادة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الاثنين فقال فيه ولدت وفيه أنزل علي رواه مسلم وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعرض الاعمال على الله تعالى يوم الاثنين

والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم رواه الترمذي وعن أسامة بن زيد قالت يارسول الله انك تصوم حتى لاتكاد تفطر ونفطر حتى لاتكاد تصوم الا يومين ان دخلا في صيامك والاصمتهما قال أي يومين قلت يوم الاثنين والخميس قال ذانك يومان تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم رواه النساءي وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى مايلفظ من قول الالديه رقيب عتيد قال يكتب كلما تكلم به من خير وشر حتى انه ليكتب قوله أكلت وشربت وذهبت وجئت ورأيت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فأقر ما كان فيه من خير أوشر وألقى سائره وهذا عرض خاص في هذين اليومين غير العرض العام كل يوم فان ذلك عرض خاص دائم بكرة وعشيا ويدل على ذلك مافي صحيح مسلم عن أبي موسى الاشعري قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالى لاينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل الحديث وعن أم سلمة كان صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام الاثنين والخميس من هذه الجمعة والاثنين من المقبلة وفي أول اثنين من الشهر ثم الخميس الذي يليه رواه النساءي وعن عائشة كان يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس رواه الترمذي وعن كريب مولى ابن عباس قال أرسلني ابن عباس وناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى أم سلمة أسئلها أى الايام كان النبي صلى الله عليه وسلم أكثرها صياما قالت السبت والاحد ويقول انهما عيدا المشركين وأنا أحب أن أخالفهما رواه أحمد والنساءي وفيه محمد ابن عمر ولا يعرف حاله ويرويه عنه ابنه عبدالله بن محمد بن عمر ولا يعرف حاله أيضا وعن عبدالله بن بسر عن أخته الصماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم فان لم يجد أحدكم الالحاء عنبة أوعود شجرة فليمضغه رواه أحمد وأبوداود والترمذي وابن ماجه والدارمي قال بعضهم لاتعارض بين هذا وبين حديث أم سلمة فان النهي عن صومه انما هو عن افراده وعلى ذلك ترجم أبوداود فقال باب النهي أن يخص يوم السبت بالصوم وحديث صيامه انما هو مع يوم الاحد قالوا ونظيره هذا أنه نهى عن افراد يوم الجمعة بالصوم الا أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده قال النووي وأما قول مالك في الموطأ لم أسمع أحدا من أهل العلم والفقه ومن يقتدى به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه وأراه كان يتحراه فهذا الذي قاله هو الذي

رآه وقد رأى غيره خلاف ما رأى هو والسنة مقدمة على ما رآه هو وغيره وقد ثبت النهي عن صوم يوم الجمعة فتعين القول به ومالك معذور فانه لم يبلغه قال الداودي من أصحاب مالك ولم يبلغ مالكا هذا الحديث ولو بلغه لم يخالفه قالوا واستحباب الفطر يوم الجمعة ليكون أعون له على وظائف العبادات المشروعة في الجمعة وأدائها بنشاط وانشراح لها والتذاذ بها من غير ملل ولا سآمة كالحاج بعرفة فان قلت لو كان كذلك لم يزل النهي والكراهة بصوم يوم قبله أو بعده لبقاء المعنى والجواب أنه يحصل له بفضيلة الصوم الذي قبله أو بعده ما يجبر ما قد يحصل له من فتور أو تقصير في وظائف يوم الجمعة بسبب صومه والله أعلم

(الفصل السادس في صومه صلى الله عليه وسلم الأيام البيض)

وهي التي يكون فيها القمر من أول الليل الى آخره وهي ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة وليس في الشهر يوم أبيض كله الا هذه الايام لان لياليها أبيض ونهارها أبيض فصح قول من قال الايام البيض على الوصف واليوم الكامل هو النهار بليلته وفيه رد لقول الجواليقي من قال الايام البيض على الوصف واليوم الكامل هو النهار بليلته فجعل البيض صفة الايام فقد أخطأ والله أعلم عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفطر أيام البيض في حضر ولا سفر رواه النسائي وعن حفصة أربع لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدعهن صيام عاشوراء والعشر وأيام البيض من كل شهر وركعتا الفجر رواه أحمد وعن معاذة العدوية انها سألت عائشة أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام قالت نعم فقلت لها من أي أيام الشهر كان يصوم قالت ما كان يبالي من أي أيام الشهر يصوم رواه مسلم قال بعضهم لعله صلى الله عليه وسلم لم يواظب على ثلاثة معينة لئلا يظن تعينها قال وقد جعل الله تعالى صيام هذه الثلاثة أيام من الشهر بمنزلة صيام الدهر لان الحسنة بعشر أمثالها وقد روى أصحاب السنن وصححه ابن خزيمة من حديث ابن مسعود قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من غرة كل شهر وقد تحصل أن صيامه صلى الله عليه وسلم في الشهر على أوجه الاول أنه كان يصوم أول اثنين من الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذي يليه رواه النسائي الثاني كان يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس رواه الترمذي الثالث أيام البيض ثالث عشر ورابع عشر وخامس عشر والرابع أنه كان يصوم ثلاثة غير معينة كما روته معاذة عن عائشة عند مسلم الخامس أنه كان يصوم ثلاثة من أول الشهر

واختاره جماعة منهم الحسن وهو مارواه أصحاب السنن من حديث ابن مسعود قال القاضي عياض واختار النخعي ثلاثة أيام من آخر الشهر لتكون كفارة لما مضى واختار آخرون أول يوم من الشهر والعاشر والعشرين وقيل انه صيام مالك ابن أنس وقال ابن شعبان من المالكية أول يوم من الشهر والحادي عشر والحادي والعشرون ونقل ذلك عن أبي الدرداء وهو موافق لما رواه النسائي من حديث عبد الله بن عمرو صم من كل عشرة أيام يوما وحكى الاسنوى عن الماوردي انه يستحب ايضا صوم الايام السود وهي السابع والعشرون واليومان بعده وتترجح البيض بكونها وسط الشهر ووسط الشيء أعدله ولان الكسوف غالبا يقع فيها وقد ورد الامر بمزيد العبادة اذا وقع فاذا اتفق الكسوف صادف الذي يعتاد صيام البيض صائما فيتهيأ له أن يجمع بين أنواع العبادات من الصيام والصلاة والصدقة بخلاف من لم يصمها فانه لا يتهيأ له استدراك صيامها ورجح بعضهم صيام الثلاثة في أول الشهر لان المرء لا يدرى ما يعرض له من الموانع والله أعلم

(النوع الخامس في ذكر اعتكافه صلى الله عليه وسلم واجتهاده في العشر الاخير من رمضان وتحريه ليلة القدر) اعلم ان الاعتكاف في اللغة الحبس والمكث واللزوم وفي الشرع المكث في المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة ومقصوده ورحه عكوف القلب على الله وجمعيته عليه والفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب الى الله تعالى فيصير انسه بالله بدلا عن أنسه بالخلق ليكون ذلك أنسه يوم الوحشة في القبر حين لا أنيس له وليس بواجب اجماعا الا على من نذره وكذا من شرع فيه فقطعه عامدا عند قوم واختلف في اشتراط الصوم له ومذهب الشافعي انه ليس بشرط لصحة الاعتكاف بل يصح اعتكاف المفطر وقال مالك وأبو حنيفة والاكثرون يشترط الصوم فلا يصح اعتكاف المفطر واحتج الشافعي باعتكافه صلى الله عليه وسلم في العشر الاول من شوال رواه البخاري ومسلم وبحديث عمر انه قال يا رسول الله اني نذرت ان أعتكف ليلة في الجاهلية فقال اوف بنذرك رواه البخاري ومسلم والليل ليس محلا للصوم فدل أنه ليس بشرط لصحة الاعتكاف واتفق العلماء على مشروطية المسجد للاعتكاف الا محمد بن عمر ابن لبابة المالكي فأجازه في كل مكان وأجاز الحنفية للمرأة ان تعتكف في مسجد بيتها وهو المكان المعد للصلاة فيه وهو قول قديم للشافعي وذهب أبو حنيفة وأحمد الى اختصاصه بالمساجد التي تقام فيها الصلوات وخصه أبو يوسف بالواجب منه وأما النفل ففي كل مسجد وقال الجمهور بعمومه في كل مسجد الا لمن تلزمه الجمعة

فاستحبه الشافعي في الجامع وشرطه مالك لان الاعتكاف عنده ينقطع بالجمعة ويجب بالشروع عند مالك وخصه طائفة من السلف كالزهري بالجامع مطلقا وأومأ اليه الشافعي في القديم وخصه حذيفة ابن اليمان بالمساجد الثلاثة وعطاء بمسجدي مكة والمدينة وابن المسيب بمسجد المدينة واتفقوا على أنه لاحد لأكثره واختلفوا في أقله فمن شرط فيه الصيام قال أقله يوم ومنهم من قال يصح مع شرط الصيام في دون اليوم حكاه ابن قدامة وعن مالك يشترط عشرة أيام وعنه يوم أو يومان ومن لم يشترط الصوم قالوا أقله ما ينطلق عليه اسم لبث ولا يشترط القعود واتفقوا على فساده بالجماع وقد كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الاواخر من رمضان رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وعن أبي هريرة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف كل عام عشرا فاعتكف عشرين في العام الذي قبض فيه رواه البخاري وعن أبي سعيد الخدري أنه صلى الله عليه وسلم اعتكف العشر الاول من رمضان ثم اعتكف العشر الاوسط في قبة تركية ثم أطلع رأسه فقال اني اعتكفت العشر الاول ألتمس هذه الليلة يعني ليلة القدر ثم اعتكفت العشر الاوسط ثم أتيت فقيل لي انها في العشر الاواخر فمن اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر فقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر منه قال فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وجهه أثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين رواه الشيخان وفي حديث عبادة بن الصامت أنه صلى الله عليه وسلم خرج يخبر بليلة القدر فتلاحا فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة رواه البخاري ولمسلم من حديث عبد الله بن أنيس أنه صلى الله عليه وسلم قال أريت ليلة القدر ثم أنسيتها وأراني صبيحتها أسجد في ماء وطين قال فمطرت ليلة ثلاثة وعشرين فصلى بنا وأثر الماء والطين في جبهته وأنفه وفي سنن أبي داود عن ابن مسعود مرفوعا اطلبوها في ليلة سبع عشرة وأخرج الطبراني مرفوعا من حديث أبي هريرة التمسوا ليلة القدر في ليلة سبع عشرة أو تسع عشرة أو احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين وقد اختلف العلماء في ليلة القدر اختلافا كثيرا وأفردها بعضهم بالتأليف وقد جمع الحافظ أبو الفضل ابن حجر من كلام العلماء في ذلك أكثر من أربعين قولا كساعة الجمعة ومذهب الشافعي

انحصارها في العشر الاخير كما نص عليه الشافعي فيما حكاه عنه الاسنوي وعن
المحاملي في التجريد انها تلتمس في جميع الشهر وتبعه عليه الشيخ ابو اسحاق في التنبيه
فقال وتطلب ليلة القدر في جميع شهر رمضان ثم الغزالي في كتبه وتردد صاحب
التقريب في جواز كونها في النصف الاخير كذا نقله عنه الامام وضعفه وحكاه ابن
الملقن في شرح العمدة وفي المفهم للقرطبي حكاية قول انها ليلة النصف من شعبان
ودليل الاول حديث أبي سعيد الذي قدمناه قال النووي وميل الشافعي الى أنها
ليلة الحادي والعشرين أو الثالث والعشرين أما الحادي والعشرون فلقوله عليه
الصلاة والسلام في حديث أبي سعيد فقد رأيت هذه الليلة وقد رأيتني أسجد في ماء
وطين من صبيحتها فبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جبهته أثر
الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين وأما الثالث والعشرون فلحديث عبد الله
ابن أنيس المتقدم أيضا وجزم جماعة من الشافعية بأنها ليلة الحادي والعشرين
لكن قال السبكي انه ليس مجزوما به عندهم لاتفاقهم على عدم حنث من علق يوم
العشرين عتق عبده بليلة القدر أنه لا يعتق تلك الليلة بل بانقضاء الشهر على الصحيح
بناء على أنها في العشر الاخير وعن ابن خزيمة من أصحابنا أنها تنتقل في كل سنة
الى ليلة من ليالي العشر الاخير وحاصله قولان ووجه واختار النووي في الفتاوى
وشرح المهذب رأي ابن خزيمة وجزم ابن حبيب من المالكية ونقله عن الجمهور
وحكاه صاحب العدة من الشافعية ورجحه أن ليلة القدر خاصة بهذه الامة ولم
تكن في الامم قبلهم وهو معترض بحديث أبي ذر عند النسائي حيث قال فيه قلت
يارسول الله أتكون مع الانبياء فاذا ماتوا رفعت قال بل هي باقية وعمدتهم قول
مالك في الموطأ بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقاصر أعمار أمته عن
أعمار الامم الماضية فأعطاه الله تعالى ليلة القدر وهذا يحتمل للتأويل فلا يدفع
الصريح في حديث أبي ذر كما قاله الحافظان ابن كثير في تفسيره وابن حجر في فتح
الباري قال وقد ظهر لليلة القدر علامات منها ما في صحيح مسلم عن أبي بن كعب أن
الشمس تطلع في صبيحتها لا شعاع لها ولابن خزيمة من حديث ابن عباس مرفوعا
ليلة القدر لا حارة ولا باردة تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة ولاحمد من حديث
عبادة بن الصامت مرفوعا أنها صافية كأن فيها قمرا ساطعا ساكنة صاحية لاحر
فيها ولا برد ولا يحل لكوكب ان يرمى به فيها وان من أماراتها أن الشمس في صبيحتها
تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لا يحل للشيطان أن يخرج
معها حينئذ وروى البيهقي في فضائل الاوقات أن المياه المالحة تعذب في تلك الليلة

وقد كان صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاخير من رمضان ما لا يجتهد في غيره رواه مسلم من حديث عائشة وفي البخاري عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله وجزم عبد الرزاق بأن شد مئزره هو اعتزاله النساء وحكاه عن الثوري وقال الخطابي يحتمل أن يراد به الجد في العبادة كما يقال شددت لهذا الامر مئزري أي تشمرت له ويحتمل أن يراد به التشمير والاعتزال معا ويحتمل أن يراد به الحقيقة والمجاز فيكون المراد شد مئزره حقيقة فلم يحله واعتزل النساء وتشمر للعبادة وقوله وأحيا ليله أي سهره فأحياه بالطاعة وأحيا نفسه بسهره فيه لان النوم أخو الموت وأضافه الى الليل اتساعا لان النائم اذا حيي باليقظة حيي ليله بحياته وهو نحو قوله لا تجعلوا بيوتكم قبورا أي لا تناموا فتكونوا كالاموات فتكون بيوتكم كالقبور فقد كان عليه الصلاة والسلام يخص العشر الاخير باعمال لا يعملها في بقية الشهر فمنها احياء الليل فيحتمل أن المراد احياء الليل كله ويشهد له حديث عائشة من وجه ضعيف وأحيي الليل كله وفي المسند عنها أيضا قالت كان صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم فاذا كان العشر شمر وشد المئزر وفي حديث ضعيف عن أنس عند أبي نعيم كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل شهر رمضان قام ونام فاذا كان أربعا وعشرين لم يذق غمضا ويحتمل ان تريد باحياء الليل احياء غالبه وقد قال الشافعي في القديم من شهد العشاء والصبح في جماعة ليلة القدر فقد أخذ بحظ منها وروي في حديث مرفوع عن أبي هريرة من صلى العشاء الاخرة في جماعة في رمضان فقد أدرك ليلة القدر رواه أبو الشيخ ومنها أنه كان يوقظ أهله للصلاة في ليالي العشر دون غيره من الليالي ومنها تأخيره الفطور الى السحور ففي حديث أنس وعائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان في ليالي العشر يجعل عشاءه سحورا ولفظ حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا كان رمضان قام ونام فاذا دخل العشر شد المئزر واجتنب النساء واغتسل بين الاذانين وجعل العشاء سحورا أخرجه ابن أبي عاصم ولفظ حديث أنس كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان طوى فراشه واعتزل النساء وجعل عشاءه سحورا واسناد الاول مقارب والثاني فيه حفص بن غياث وقال فيه ابن عدي انه من أنكر ما لقيت له لكن يشهد له حديث الوصال المخرج في الصحيح كما قدمته ومنها اغتساله عليه الصلاة والسلام بين العشاءين المغرب والعشاء روي من حديث علي وفي اسناده ضعف

(النوع السادس في ذكر حجه وعمره صلى الله عليه وسلم)

اعلم ان الحج حلول بحضرة المعبود ووقوف بساحة الجود ومشاهدة لذلك المشهد العلي الرحماني والمام بمعهد العهد الرباني ولا يخفى أن نفس السكون بتلك الاماكن شرف وعلو وأن التردد في تلك المواطن فخار وسمو فان المحال المحترمة لم تزل تفرغ على الحال فيها من سجال وصفها بفيض غامر وحسبك في هذا ما يحكى في أبيات مجنون بني عامر

رأى المجنون في البيداء كلبا * فجر عليه للاحسان ذيلا
فلاموه على ما كان منه * وقالوا لم منحت الكلب نيلا
فقال دعوا الملام فان عيني * رأته مرة في حي ليلا

فينبغي للعبد أن يهتم بأمر الحج ويبادر اليه وينهض فانتهز مع انهاضيحثه عليه ولا يتوانا في غسل أدران سيات العمر بصابون المغفرة ولا يتكاسل عن البدار فيعرضه للفوات بركوب عمياء المخاطرة روى ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال من أراد الحج فليتعجل رواه أبو داود وفي حديث علي بن أبي طالب عنه صلى الله عليه وسلم من ملك راحلة وزادا يبلغه الى بيت الله الحرام فلم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا الحديث رواه الترمذي وخطب عليه الصلاة والسلام فقال أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا رواه مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة وفي رواية النسائي من حديث ابن عباس مرفوعا ان الله كتب عليكم الحج فقال الاقرع بن حابس التميمي كل عام يا رسول الله فقال لو قلت نعم لوجبت الحديث فوجوب الحج معلوم من الدين بالضرورة وقد أجمعوا على أنه لا يتكرر الالعارض كالنذر واختلفوا هل هو على الفور أو على التراخي فقال الشافعي وأبو يوسف وطائفة هو على التراخي الى أن ينتهي الى حال يظن فواته لو أخره عنها وقال مالك وأبو حنيفة وآخرين هو على الفور واختلفوا أيضا في وقت ابتداء فرضه فقيل قبل الهجرة وهو شاذ وقيل بعدها ثم اختلف في سنته فالجمهور على أنه سنة ست لانه نزل فيها قوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله وهذا مبني على أن المراد بالاتمام ابتداء الفرض ويؤيده قراءة علقمة ومسروق وابراهيم النخعي بلفظ واقيموا رواه الطبري بأسانيد صحيحة عنهم وقيل المراد بالاتمام الاكمال بعد الشروع وهذا يقتضي تقدم فرضه قبل ذلك وقد وقع في قصة ضمام ذكر الامر بالحج وكان قدومه على ما ذكره الواقدي سنة خمس وهذا يدل ان ثبت على تقدمه على سنة خمس أو وقوعه فيها وقالت طائفة انه تأخر نزول فرضه الى التاسعة والعاشرة واحتجوا بأن صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود وفيه قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وصالحهم على أداء الجزية والجزية نزلت عام تبوك سنة تسع وفيها نزل صدر سورة آل عمران وناظر أهل الكتاب ودعاهم الى التوحيد ويدل عليه أن أهل مكة وجدوا في أنفسهم بما فاتهم من التجارة مع المشركين لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس الآية فأعاضهم الله من ذلك بالجزية ونزول هذه الآية والمناداة بها انما كان في سنة تسع وبعث الصديق يؤذن بذلك في مكة في موسم الحج وأردفه بعلي وفي الترمذي من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم حج ثلاث حجج حجتين قبل ان يهاجر وحجة بعدما هاجر معها عمرة فساق ثلاثا وستين بدنة ثم جاء علي من اليمن ببقيتها فيها جمل في أنفه برة من فضة فنحرها الحديث وعن ابن عباس حج صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر ثلاث حجج أخرجه ابن حبان والحاكم وهو مبني على عدد وفود الانصار الى العقبة بمنى بعد الحج وهذا لا يقتضي نفي الحج قبل ذلك وقد أخرج الحاكم بسند صحيح الى الثوري ان النبي صلى الله عليه وسلم حج قبل أن يهاجر حججا وقال ابن الجوزي حج حججا لا يعلم عددها وقال ابن الاثير كان عليه الصلاة والسلام يحج كل سنة قبل أن يهاجر وقال جابر في حديثه الطويل كما في رواية مسلم مكث صلى الله عليه وسلم تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاج فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس ان يأتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر فارسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أصنع فقال اغتسلي واستثفري بثوب و أحرمي فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ثم ركب القصوى حتى اذا استوت به ناقته على البيداء نظرت مد بصري بين يديه من راكب وماش وعن يمينه مثل ذلك وعن يساره مثل ذلك ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا وعليه ينزل القرآن وهو يعرف تأويله وما عمل من شيء عملنا به وفي رواية عند النسائي قال جابر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لخمس بقين من ذي القعدة وخرجنا معه حتى اذا أتى ذا الحليفة الحديث وكان خروجه عليه الصلاة والسلام من المدينة بين الظهر والعصر فنزل بذي الحليفة فصلى بها العصر ركعتين ثم بات بها وصلى بها المغرب والعشاء والصبح والظهر وكان نساؤه كلهن معه فطاف عليهن تلك الليلة ثم اغتسل غسلا ثانيا لاحرامه غير غسل الجماع الاول وفي الترمذي عن خارجة بن زيد عن أبيه تجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهلاله واغتسل وفي الصحيحين أن عائشة طيبته

بذريرة وفي رواية قالت كأني أنظر الى وبيص الطيب في مفارقه عليه الصلاة
والسلام وهو محرم وفي رواية قالت طيبته عند احرامه ثم طاف في نسائه ثم أصبح
محرما زاد في رواية ينضخ طيبا وفي رواية طيبته طيبا لا يشبه طيبكم يعني ليس له
بقاء وهذا دل على استحباب التطيب عند ارادة الاحرام وأنه لا بأس باستدامته بعد
الاحرام ولا يضر بقاء لونه ورائحته وانما يحرم في الاحرام ابتداؤه وهذا مذهب
الشافعي وأبي حنيفة وأبي يوسف وأحمد بن حنبل وحكاه الخطابي عن أكثر
الصحابة وحكاه النووي عن جمهور العلماء من السلف والخلف وذهب مالك الى
منع التطيب قبل الاحرام بما تبقى رائحته بعده لكنه قال ان فعل فقد أساء ولا فدية
عليه وعن عائشة قالت كان صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يحرم غسل رأسه
بخطمي وأشنان رواه الدارقطني و في حديث أنس عند أبي داود والترمذي أنه
صلى الله عليه وسلم صلى الظهر ثم ركب راحلته فلما علا على جبل البيداء أهل وفي
رواية ابن عمر عند البخاري ومسلم وغيرهما ما أهل الا من عند المسجد يعني مسجد
ذي الحليفة وفي رواية ما أهل الا من عند الشجرة حين قام به بعيره وفي رواية حين
وضع رجله في الغرز واستوت به راحلته قائما أهل من عند مسجد ذي الحليفة وفي
رواية جابر عند أبي داود والترمذي أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد الحج أذن في الناس
فاجتمعوا له فلما أتى البيداء احرم وفي حديث ابن جبير عند أبي داود قال قلت لابن
عباس عجبت لاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هلال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين أوجب فقال اني لأعلم الناس بذلك انها انما كانت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة واحدة فمن هناك اختلفوا خرج صلى الله
عليه وسلم حاجا فلما صلى في مسجده بذي الحليفة ركعتيه أوجبه في مجلسه فأهل
بالحج حين فرغ من ركعتيه فسمع ذلك منه أقوام فحفظته عنه ثم ركب فلما
استقلت به ناقته أهل وأدرك ذلك منه أقوام وذلك ان الناس انما كانوا يأتون
اليه أرسالا فسمعوه حين استقلت به ناقته يهل فقالوا انما أهل رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين استقلت به ناقته ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما علا على شرف البيداء أهل وأدرك ذلك منه أقوام فقالوا انما أهل حين علا على
شرف البيداء وايم الله لقد أوجبه في مصلاه وأهل حين استقلت به ناقته وأهل حين
علا على شرف البيداء قال سعيد بن جبير فمن أخذ بقول عبد الله بن عباس أهل
في مصلاه اذا فرغ من ركعتيه وهو مذهب أبي حنيفة والصحيح من مذهب
الشافعي ان الأفضل ان يحرم اذا انبعثت به راحلته قال ابن القيم ولم ينقل عنه

صلى الله عليه وسلم أنه صلى الاحرام ركعتين غير فرض الظهر انتهى قلت ثبت
في الصحيحين عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان يركع بذي الحليفة ركعتين
ثم اذا استوت به الناقة قائمة عند مسجد ذي الحليفة أهل قال النووي فيه
استحباب صلاة ركعتين عند ارادة الاحرام ويصليهما قبل الاحرام ويكونان
نافلة هذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة الا ما حكاه القاضي وغيره عن الحسن
البصري انه يستحب كونهما بعد صلاة فرض قال لانه روى أن هاتين الركعتين
كانتا صلاة الصبح والصواب ما قاله الجمهور وهو ظاهر الحديث وقد اختلفت روايات
الصحابة في حجه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع هل كان مفردا أو قارنا أو متمتعا
وروى كل منها في البخاري ومسلم وغيرهما واختلف الناس في ذلك على ستة
أقوال أحدها انه حج مفردا لم يعتمر معه الثاني حج متمتعا تمتعا حل منه ثم أحرم
بعده بالحج كما قاله القاضي أبو يعلى وغيره الثالث أنه حج متمتعا تمتعا لم يحل فيه
لاجل سوق الهدي ولم يكن قارنا الرابع أنه حج قارنا قرانا طاف له طوافين
وسعى له سعيين الخامس أنه حج حجا مفردا اعتمر بعده من التنعيم السادس أنه
صلى الله عليه وسلم حج قارنا بالحج والعمرة ولم يحل حتى حل منهما جميعا وطاف
لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا وساق الهدي واختلفوا أيضا في احرامه على ستة
أقوال أحدها انه لبى بالعمرة وحدها واستمر عليها الثاني أنه لبى بالحج وحده واستمر
عليه الثالث أنه لبى بالحج مفردا ثم أدخل عليه العمرة الرابع أنه لبى بالعمرة
وحدها ثم أدخل عليها الحج الخامس أنه أحرم احراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم
عينه بعد احرامه السادس لبى بالحج والعمرة معا وقد أطنب أبو جعفر الطحاوي
الحنفي في الكلام على ذلك فانه تكلم عليه في زيادة على ألف ورقة كما ذكره عنه
جماعة من العلماء وبينه ابن حزم في حجة الوداع بيانا شافيا وهذه المحب الطبري
تمهيدا بالغا وأشار اليه القاضي عياض والنووي في شرحيهما لمسلم ونقحه الحافظ
ابن حجر مستوفيا الكثير من مباحثه استيفاء كافيا والذي ذهب اليه الشافعي
في جماعة أنه صلى الله عليه وسلم حج حجا مفردا لم يعتمر معه واحتج بما في الصحيحين
ان عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فمنا من
أهل بعمرة ومنا من أهل بحج وعمرة ومنا من أهل بالحج وحده وأهل رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالحج فهذا التقسيم والتنويع صريح في اهلاله بالحج وحده
ولمسلم عنها أنه صلى الله عليه وسلم أهل بالحج وحده ولمسلم أيضا عن ابن عباس
أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج ولابن ماجه عن جابر أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أفرد الحج وعن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم أفرد الحج رواه
البخاري قالوا وهؤلاء لهم قرب في حجة الوداع على غيرهم فأما جابر فهو أحسن الصحابة
سياقا لرواية حديث حجة الوداع فانه ذكرها من حين خروجه صلى الله عليه وسلم
من المدينة الى آخرها فهو أضبط لها من غيره وأما ابن عمر فصح عنه أنه كان آخذا
بخطام ناقته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأنكر على من رجح قول أنس
على قوله وقال كان أنس يدخل على النساء وهن مكشفات الرؤس وانى كنت
تحت ناقته صلى الله عليه وسلم يمسني لعابها أسمعه يلبي بالحج وأما عائشة فقربها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم معروف وكذا اطلاعها على باطن أمره وظاهره
وفعله في خلوته وعلانيته مع كثرة فقهها وعظم فطنتها وأما ابن عباس فمحله من
العلم والفقه في الدين والفهم الثاقب معروف مع كثرة بحثه وتحفظه أحوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم التي لم يحفظها غيره وأخذه اياها من كبار الصحابة
واحتجوا أيضا بأن الخلفاء الراشدين واظبوا على الافراد مع أنهم الائمة الاعلام
وقادة الاسلام والمقتدى بهم فكيف يظن بهم المواظبة على ترك الافضل وبأنه لم
ينقل عن واحد منهم كراهة الافراد وقد نقل عنهم كراهة التمتع والجمع بينهما حتى
فعله علي رضي الله عنه لبيان الجواز وبأن الافراد لا يجب فيه دم بالاجماع بخلاف
التمتع والقرآن وذهب النووي الى ان الصواب أنه صلى الله عليه وسلم كان قارنا قال
ويؤيده أنه صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في تلك السنة بعد الحج قال ولا شك ان
القران أفضل من الافراد الذي لا يعتمر في سنته عندنا ولم يقل أحد ان الحج وحده
أفضل من القران انتهى وقد صرح القاضي حسين والمتولي بترجيح الافراد ولو لم
يعتمر في تلك السنة قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر وترجح رواية من روى القران
بأمور منها ان معه زيادة علم على من روى الافراد والتمتع وبأن من روى الافراد
والتمتع اختلف عليه في ذلك وأشهر من روى عنه الافراد عائشة وقد ثبت عنها أنه
اعتمر مع حجته وابن عمر وقد ثبت عنه أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بالعمرة ثم أهل بالحج
وجابر وقد روى عنه أنه اعتمر مع حجته أيضا وبأن القران رواه عنه صلى الله عليه
وسلم جماعة من الصحابة لم يختلف عليهم فيه وبأنه لم يقع في شيء من الروايات
النقل عنه من لفظه أنه قال أفردت ولا تمتعت بل صح عنه أنه قال لولا أن معي الهدي
لاحللت وأيضا فان من روى القران لا يحتمل حديثه التأويل الا بتعسف بخلاف من
روى الافراد فانه محمول على أول الحال وينتفي التعارض ويؤيده أن من جاء عنه
الافراد جاء عنه صورة القران ومن روى عنه التمتع فانه محمول على سفر واحد

الانسكين ويؤيده أن من جاء عنه التمتع لما وصفه وصفه بصورة القرآن لأنهم اتفقوا
على أنه لم يحل من عمرته حتى أتم عمل جميع الحج وهذه احدى صور القرآن وأيضا
فان رواية القرآن جاءت عن بضعة عشر صحابيا انتهى وعدهم ابن القيم سبعة
عشر عائشة أم المؤمنين وعبدالله بن عباس وعمر بن الخطاب وعلى بن أبي
طالب وعثمان بن عفان باقرار على وعمران بن الحصين والبراء بن عازب
وحفصة أم المؤمنين وأبو قتادة وابن أبي أوفى وأبو طلحة والهرماس بن زياد وأم
سلمة وأنس بن مالك وسعد بن أبي وقاص وجابر وابن عمر قال فهؤلاء سبعة
عشر صحابيا منهم من روى فعله ومنهم من روى لفظ احرامه ومنهم من روى خبره عن
نفسه ومنهم من روى أمره به فان قيل كيف تجعلون منهم ابن عمر وجابرا وعائشة
وابن عباس وعائشة تقول أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحج وفي لفظ
أفرد الحج والاول في الصحيحين والثاني في مسلم وهذا ابن عمر يقول لبى بالحج وحده
ذكره البخاري وهذا ابن عباس يقول أهل بالحج رواه مسلم وهذا جابر يقول أفرد
الحج رواه ابن ماجه قيل ان كانت الاحاديث عن هؤلاء تعارضت وتساقطت فان
أحاديث الباقين لم تتعارض فهب أن أحاديث من ذكرتم لا حجة فيها على القران ولا
على الافراد فما الموجب للعدول عن احاديث الباقين مع صراحتها وصحتها فكيف
وأحاديثهم يصدق بعضها بعضا ولا تعارض بينها انتهى وهذا يقتضي رفع الثلث
عنها والمصير الى أنه صلى الله عليه وسلم كان قارنا ومقتضى ذلك أن يكون القران
أفضل من الافراد والتمتع وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين وبه قال أبو حنيفة
واسحاق بن راهويه واختاره من الشافعية المزني وابن المنذر وأبو اسحاق المروزي
ومن المتأخرين الشيخ تقي الدين السبكي وبحث مع النووي في اختياره أنه صلى الله
عليه وسلم كان قارنا وأن الافراد مع ذلك أفضل مستندا الى أنه صلى الله
عليه وسلم اختار الافراد أولا ثم أدخل عليه العمرة لبيان جواز الاعتمار في أشهر
الحج لكونهم كانوا يعتقدونه من أفجر الفجور وتعقب بأن البيان قد سبق منه
صلى الله عليه وسلم في عمره الثلاث فانه أحرم في كل منها في ذي القعدة وهي عمرة
الحديبية التي صد عن البيت فيها وعمرة القضية وعمرة الجعرانة ولو كان أراد باعتماره
مع حجته بيان الجواز فقط ان مع الافضل خلافه لاكتفى في ذلك بأمره أصحابه ان
يفسخوا حجهم الى العمرة انتهى ومذهب الشافعي ومالك وكثيرين ان أفضلها
الافراد ثم التمتع ثم القران فان قلت اذا كان الراجح أنه عليه الصلاة والسلام كان
قارنا فلم رجح الشافعية والمالكية الافراد على القرآن فقد أجاب عن ذلك النووي

في شرح المهذب بأن ترجيح الافراد لانه عليه الصلاة والسلام اختاره أولا فأهل بالحج وحده وانما أدخل عليه العمرة لمصلحة بيان جواز الاعتمار في أشهر الحج وكانت العرب تعتقده من أفجر الفجور كما ذكرنه وقد ذهب جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى أن التمتع أفضل وهو مذهب أحمد لكونه صلى الله عليه وسلم تمناه فقال لولا اني سقت الهدى لأحللت ولا يتمنى الا الافضل وأجيب بأنه انما تمناه تطييبا لقلوب أصحابه لحزنهم على فوات موافقته والا فالافضل ما اختاره الله تعالى له واستمر عليه صلى الله عليه وسلم وأما القائلون بأنه صلى الله عليه وسلم لبى بالعمرة واستمر عليها فحجتهم حديث ابن شهاب عن سالم عن ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وقال ابن شهاب عن عروة أن عائشة أخبرته عن النبي صلى الله عليه وسلم في تمتعه بالعمرة الى الحج فتمتع الناس معه بمثل الذي أخبرني سالم عن ابن عمر وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه عمرة استمتعنا بها وقال سعد بن أبي وقاص في المتعة صنعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنعناها معه وأجيب بأن التمتع عندهم يتناول القران ويدل له ما في الصحيحين عن سعيد بن المسيب اجتمع علي وعثمان بعسفان فكان عثمان ينهى عن المتعة فقال علي ما تريد الى أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهى عنه فقال عثمان دعنا منك فقال اني لا أستطيع أن أدعك فلما رأى علي ذلك أهل بهما جميعا فهذا يبين أن من جمع بينهما كان متمتعا عندهم وأن هذا هو الذي فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقه عثمان على أنه صلى الله عليه وسلم فعله لكن النزاع بينهما هل ذلك الافضل في حقنا أم لا فقد اتفق علي وعثمان على أنه عليه الصلاة والسلام تمتع وأن المراد بالتمتع عندهم القران فانه عليه الصلاة والسلام قد تمتع تمتع قران باعتبار ترفهه بترك أحد السفرين انتهى وفي فتح الباري عن أحمد أن من ساق الهدى فالقران له أفضل ليوافق فعل النبي صلى الله عليه وسلم ومن لم يسق الهدى فالتمتع له أفضل ليوافق ما تمناه وأمر به أصحابه انتهى وأما من قال انه صلى الله عليه وسلم حج مفردا ثم اعتمر عقبه من التنعيم أو غيره فهو غلط لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا الائمة الاربعة ولا أحد من أهل الحديث قاله ابن تيمية وأما من قال انه حج متمتعا حل فيه من احرامه ثم احرم يوم التروية بالحج مع سوق الهدى فحجته حديث معاوية أنه قصر عن رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشقص على المروة وحديثه في الصحيحين ولا يمكن أن يكون هذا في غير حجة الوداع لان معاوية

أسلم بعد الفتح والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن زمن الفتح محرما ولا يمكن أن يكون في عمرة الجعرانة لوجهين أحدهما أنه في بعض ألفاظ الحديث الصحيح وذلك في حجته الثاني أن في رواية النسائي باسناد صحيح وذلك في أيام العشر وهذا انما كان في حجته وهذا مما أنكره الناس على معاوية وغلطوه فيه وأصابه فيه ما أصاب ابن عمر في قوله انه اعتمر في رجب كما سيأتي وسائر الاحاديث الصحيحة كلها تدل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يحل من احرامه الى يوم النحر وبذلك أخبر عن نفسه بقوله لولا أن معي الهدي لاحللت وقوله اني سقت الهدي وقرنت فلا أحل حتى أنحر وهذا خبر عن نفسه لا يدخله الوهم ولا الغلط بخلاف خبر غيره عنه قاله في زاد المعاد وأما اختلاف الروايات عنه صلى الله عليه وسلم في اهلاله هل هو بالحج أو بالعمرة أو القران والجمع بينها فكل يؤول بما ناسب مذهبه الذي قدمته قال البغوي والذي ذكره الشافعي في كتاب اختلاف الاحاديث كلاما موجزه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد والقارن والمتمتع فكل كان يأخذ عنه أمر نسكه ويصدر عن تعليمه فأضيف الكل اليه على معنى أنه أمر بها وأذن فيها ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الآمر به كما يجوز اضافته الى الفاعل له كما يقال بنى فلان دارا ويريد أنه أمر ببنائها وكما روي أنه عليه الصلاة والسلام رجم ماعزا وانما أمر برجمه ثم احتج بأنه عليه الصلاة والسلام كان أفرد الحج انتهى وقال الخطابي نحوه وقال النووي كان صلى الله عليه وسلم أولا مفردا ثم احرم بالعمرة بعد ذلك وأدخلها على الحج فصار قارنا فمن روى الافراد فهو الاصل يعني حمله على ما أهل به في اول الحال ومن روى القران أراد ما استقر عليه أمره ومن روى التمتع أراد به التمتع اللغوي والارتفاق فقد ارتفق بالقران كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وقال غيره أراد بالتمتع ما أمر به غيره قال وبهذا الجمع تنتظم الاحاديث كلها ويزول عنها الاضطراب والتناقض وقالت طائفة انما احرم صلى الله عليه وسلم قارنا واحتجوا بأحاديث صحيحة صريحة تزيد على العشرين منها حديث أنس في صحيح مسلم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بهما لبيك عمرة وحجا ورواه عن أنس ستة عشر نفسا من الثقات كلهم متفقون عن أنس بلفظ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اهلاله بحج وعمرة معا وأما من قال انه عليه الصلاة والسلام أهل بالعمرة وأدخل عليها الحج فحجته ما في البخاري من حديث ابن عمر قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة الى الحج وأهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدأ صلى الله عليه وسلم فأهل

بالعمرة ثم أهل بالحج وقد تقدم في الأحاديث الكثيرة الصريحة أنه صلى الله عليه وسلم بدأ بالاهلال بالحج ثم أدخل عليه العمرة وهذا عكسه والمشكل في هذا الحديث قوله بدء فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج وأجيب عنه بأن المراد به صورة الاهلال أي لما أدخل العمرة على الحج لبى بهما فقال لبيك بعمرة وحج معا ومذهب الشافعي أنه لو أدخل الحج على العمرة قبل الطواف صح وصار قارنا فلو احرم بالحج ثم أدخل عليه العمرة ففيه قولان للشافعي أصحهما لا يصح احرامه بالعمرة لان الحج أقوى منها لاختصاصه بالوقوف والرمي والضعيف لا يدخل على القوى انتهى وعن ابن عباس قال صلى النبي صلى الله عليه وسلم الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين رواه مسلم وأبو داود وفي رواية الترمذي قلد نعلين واشعر الهدى في الشق الايمن بذي الحليفة وأماط عنه الدم وفي رواية لابي داود بمعناه وقال سلت الدم بيده وفي أخرى باصبعه وعند النسائي أشعر بدنه من الجانب الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين وكان حجه صلى الله عليه وسلم على رحل رث يساوي أربعة دراهم رواه الترمذي في الشمائل وابن ماجه من حديث أنس والطبراني في الاوسط من حديث ابن عباس وعن أسماء بنت أبي بكر قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجاجا حتى اذا كنا بالعرج نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلنا فجلست عائشة الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلست الى جنب أبي بكر وكانت زمالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمالة أبي بكر واحدة مع غلام لابي بكر فجلس أبو بكر ينتظر أن يطلع عليه فطلع عليه وليس معه بعيره فقال له أبو بكر أين بعيرك قال أضللته البارحة قال أبو بكر بعير واحد تضله وطفق يضربه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم ويقول انظروا الى هذا المحرم ما يصنع وما يزيد على ذلك ويتبسم رواه أبو داود وخرج معه صلى الله عليه وسلم أصحابه لا يعرفون الا الحج كما قالت عائشة فبين لهم عليهم الصلاة والسلام وجوه الاحرام وجوز لهم الاعتمار في أشهر الحج فقال من أحب أن يهل بعمرة فليهل ومن أحب أن يهل بحج فليهل رواه البخاري ولاحمد من شاء فليهل بعمرة ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الابواء أو ودان اهدى له الصعب بن جثامة حمارا وحشيا فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال انا لم نرده عليك الا انا حرم رواه البخاري ومسلم وله في رواية حمار وحش وفي أخرى من لحم حمار وحش وفي رواية عجز حمار وحش يقطر دما وفي رواية شق حمار وحش وفي رواية عضوا من لحم

صيد ورواه أبو داود وابن حبان من طريق عطاء عن ابن عباس أنه قال يا زيد ابن أرقم هل علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره واتفقت الروايات كلها على أنه رده عليه الا ما رواه ابن وهب والبيهقي من طريقه باسناد حسن من طريق عمرو بن أمية ان الصعب اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم عجز حمار وحش وهو بالجحفة فأكل منه وأكل القوم قال البيهقي ان كان هذا محفوظا فلعله رد الحي وقبل اللحم قال في فتح الباري وفي هذا الجمع نظر فان كانت الطرق محفوظة فلعله رده حيا لكونه صيدا لا يحل ورد اللحم تارة لذلك وقبله تارة أخرى حيث علم أنه لم يصده لاجله وقد قال الشافعي في الام ان كان الصعب اهدى حمارا حيا فليس للمحرم أن يذبح حمار وحش وان كان اهدى لحما فقد يحتمل أن يكون علم أنه صيد له فرده عليه ونقل الترمذي عن الشافعي أنه رده لظنه أنه صيد من أجله فتركه على وجه التنزه ويحتمل أن يحمل القبول المذكور في حديث عمرو بن أمية على وقت آخر وهو حال رجوعه صلى الله عليه وسلم من مكة ويؤيده أنه جازم فيه بوقوع ذلك في الجحفة وهو في غيرها من الروايات قال بالابواء أو بودان وقال القرطبي يحتمل أن يكون الصعب أحضر الحمار مذبوحا ثم قطع منه عضوا بحضرته صلى الله عليه وسلم فقدمه له فمن قال اهدى حمارا أراد بتمامه مذبوحا لا حيا ومن قال لحم حمار أراد ما قدمه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ويحتمل أن يكون من حمار أطلق وأريد بعضه مجازا قال ويحتمل أنه اهداه له حيا فلما رده عليه ذكاه وأتاه بعضو منه ظانا أنه انما رده عليه لمعنى يختص بجملته فاعلمه بامتناعه أن حكم الجزء حكم الكل قال والجمع مهما أمكن أولى من توهيم بعض الرواة قال النووي قال الشافعي وآخرون ويحرم تملك الصيد بالبيع والهبة ونحوهما وفي ملكه بالارث خلاف وأما لحم الصيد فان صاده أو صيد له فهو حرام سواء صيد له باذنه أو بغير اذنه وان صاده حلال لنفسه ولم يقصد المحرم ثم اهدى من لحمه للمحرم أو باعه لم يحرم عليه هذا مذهبنا وبه قال مالك وأحمد وداود وقال أبو حنيفة لا يحرم عليه ما صيد له بغير اعانة منه وقالت طائفة لا يحل له لحم الصيد أصلا سواء صاده أو صاده غيره له قصده أو لم يقصده فيحرم مطلقا حكاه القاضي عياض عن علي وابن عمر وابن عباس لقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قالوا والمراد بالصيد المصيد ولظاهر حديث الصعب بن جثامة فانه صلى الله عليه وسلم رده وعلل رده بأنه محرم ولم يقل بأنك صدته لنا واحتج الشافعي وموافقوه بحديث أبي قتادة المذكور في صحيح مسلم فانه صلى الله عليه وسلم قال في الصيد الذي صاده أبو قتادة

وهو حلال قال للمحرمين هو حلال فكلوه وفي الرواية الاخرى قال فهل معكم منه
شيء قالوا معنا رجله فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكلها ولما مر صلى
الله عليه وسلم بوادي عسفان قال يا أبا بكر أي واد هذا قال وادي عسفان قال لقد
مر به هود وصالح على بكرين أحمرين خطامهما الليف وأزرهما العباء وارديتهما
النمار يلبون بالحج يحجون البيت العتيق رواه أحمد وفي رواية مسلم من حديث ابن
عباس لما مر بوادي الازرق قال كأني أنظر الى موسى هابطا من الثنية واضعا
أصبعيه في أذنيه مارا بهذا الوادي وله جؤار الى الله بالتلبية ووادي الازرق
خلف أمج بفتح الهمزة والميم والجيم قرية ذات مزارع بينه وبين مكة ميل واحد
ولم يعين في رواية البخاري الوادي ولفظه أما موسى كأني أنظر اليه اذا انحدر من
الوادي يلبي قال المهلب هذا وهم من بعض رواته لانه لم يأت في أثر ولا خبر ان موسى
حي وانه سيحج وانما أتى ذلك عن عيسى فاشتبه على الراوي ويدل عليه قوله
في الحديث الآخر ليهلن ابن مريم بفج الروحاء انتهى وهو تغليط للثقات بمجرد
التوهم وقد ذكر البخاري الحديث في اللباس من صحيحه بزيادة ذكر ابراهيم فيه
أفيقال ان الراوي الآخر قد غلط فزاده وفي رواية مسلم المتقدمة ذكر يونس
أفيقال ان الراوي الآخر قد غلط فزاده وفي رواية مسلم المتقدمة ذكر يونس
أفيقال ان الراوي الآخر قد غلط فزاد يونس وتعقب أيضا بأن توهيم المهلب للراوي
وهم منه والا فأي فرق بين موسى وعيسى لانه لم يثبت أن عيسى منذ رفع نزل الى
الارض وانما ثبت أنه سينزل وأجيب بأن المهلب أراد أن عيسى لما ثبت أنه سينزل
كان كالمحقق فقال كأني أنظر اليه ولهذا استدل المهلب بحديث أبي هريرة الذي
فيه ليهلن ابن مريم بالحج وقد اختلف في معنى قوله كأني أنظر اليه فقيل ان ذلك
رؤيا منام تقدمت له فأخبر عنها لما حج عندما تذكر ذلك ورؤيا الانبياء وحي وقيل
هو على الحقيقة لان الانبياء احياء عند ربهم يرزقون فلا مانع ان يحجوا في هذه
الحالة كما في مسلم عن أنس أنه رأى موسى عليه الصلاة والسلام قائما في قبره
يصلي قال القرطبي حببت اليهم العبادة فهم يتعبدون بما يجدونه من دواعي
أنفسهم لا بما يلزمون به كما يلهم أهل الجنة الذكر ويؤيده ان عمل الآخرة ذكر
ودعاء لقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم الآية لكن تمام هذا التوجيه أن
يقال المنظور اليه هي أرواحهم فلعلها مثلت له صلى الله عليه وسلم في الدنيا
كما مثلت له ليلة الاسراء وأما أجسادهم فهي في القبور قال ابن المنير وغيره يجعل
الله لروحه مثالا ويرى في اليقظة كما يرى في النوم وقيل كأنه مثلت أحوالهم التي

كانت في الحياة الدنيا كيف تعبدوا وكيف حجوا وكيف لبوا ولهذا قال كأني وقيل انه أخبر بالوحي عن ذلك فلشدة قطعه به قال كأني أنظر اليه انتهى وقد ذكرت في مقصد الاسراء من ذلك ما يكفي و يشفي والله الموفق ولما نزل صلى الله عليه وسلم بسرف خرج الى أصحابه فقال من لم يكن معه هدي فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه الهدي فلا وحاضت عائشة فدخل عليها صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا هنتاه قالت سمعت قولك لأصحابك فمنعت العمرة قال وما شأنك قالت لا أصلي قال فلا يضرك انما أنت امرأة من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب عليهن فكوني في حجتك فعسى الله أن يرزقكها رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنساءي وفي رواية قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذكر الا الحج حتى جئنا سرف فطمثت فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال ما يبكيك فقلت والله لوددت اني لم أكن خرجت العام فقال مالك لعلك نفست قلت نعم قال هذا شيء كتبه الله على بنات آدم افعلي ما يفعل الحاج غير ان لا تطوفي بالبيت حتى تطهري الحديث وقد اختلف فيما أحرمت به عائشة كما اختلف هل كانت متمتعة أم مفردة واذا كانت متمتعة فقيل انها كانت أولا أحرمت بالحج وهو ظاهر هذا الحديث وفي حجة الوداع من المغازي عند البخاري من طريق هشام بن عروة عن أبيه قالت وكنت فيمن أهل بعمرة وزاد أحمد من وجه آخر عن الزهري ولم أسق هديا وفي رواية الاسود عنها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلبي لا نذكر حجا ولا عمرة ويحتمل في الجمع أن يقال أهلت عائشة بالحج مفردة كما صنع غيرها من الصحابة ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يفسخوا الحج الى العمرة ففعلت عائشة ما صنعوا فصارت متمتعة ثم لما دخلت مكة وهي حائض ولم تقدر على الطواف لاجل الحيض أمرها ان تحرم بالحج وقال القاضي عياض واختلفوا في الكلام على حديث عائشة فقال مالك ليس العمل على حديث عروة عن عائشة عندنا قديما ولا حديثا قال ابن عبد البر يريد ليس العمل عليه في رفض العمرة وجعلها حجا بخلاف جعل الحج عمرة فانه وقع للصحابة واختلف في جوازه من بعدهم لكن أجاب جماعة من العلماء عن ذلك باحتمال أن يكون معنى قوله ارفضي عمرتك أي اتركي التحلل منها وأدخلي عليها الحج فتصير قارنة ويؤيده قوله في رواية لمسلم وامسكي عن العمرة أي عن أعمالها وانما قالت عائشة وأرجع بحج لاعتقادها ان افراد العمرة بالعمل أفضل كما وقع لغيرها من أمهات المؤمنين واستبعد هذا التأويل لقولها في رواية عطاء عنها وارجع انا بحجة ليس

معها عمرة أخرجه أحمد وهو يقوي قول الكوفيين ان عائشة تركت العمرة وحجت مفردة وتمسكوا في ذلك بقوله لها دعي عمرتك وفي رواية ارفضي عمرتك ونحو ذلك واستدلوا بذلك على أن المرأة اذا أهلت بالعمرة متمتعة فحاضت قبل ان تطوف ان تترك العمرة وتهل بالحج مفردا كما صنعت عائشة لكن في رواية عطاء عنها ضعف والرافع للاشكال في ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر أن عائشة أهلت بعمرة حتى اذا كانت بسرف حاضت فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم أهلي بالحج حتى اذا طهرت طافت بالكعبة وسعت فقال قد حللت من حجك وعمرتك قالت يارسول الله اني أجد في نفسي اني لم أطف بالبيت حتى حججت قال فأعمرها من التنعيم ولمسلم من طريق طاووس عنها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم طوافك يسعك لحجك وعمرتك فهذا صريح في أنها كانت قارنة لقوله قد حللت من حجك وعمرتك وانما أعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها لكونها لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة وقد وقع في رواية مسلم وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا هويت الشيء تابعها عليه ثم قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا وانما قال لهم هذا القول بعد احرامهم بالحج وفي منتهى سفرهم ودنوهم من مكة بسرف كما جاء في رواية عائشة أو بعد طوافه بالبيت كما جاء في رواية جابر ويحتمل تكرار الامر بذلك في الموضعين وان العزيمة كانت آخرا حين أمرهم بفسخ الحج الى العمرة وفي رواية قالت عائشة فمنا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحج حتى قدمنا مكة فقال صلى الله عليه وسلم من أحرم بعمرة ولم يهد فليحلل ومن أحرم بعمرة وأهدى فلا يحل حتى ينحر هديه يوم النحر ومن أحرم بحج فليتم حجه وهذا الحديث ظاهر في الدلالة لابي حنيفة وأحمد وموافقيهما في أن المعتمر المتمتع اذا كان معه الهدي لا يتحلل من عمرته حتى ينحر هديه يوم النحر ومذهب مالك والشافعي وموافقيهما أنه اذا طاف وسعى وحلق حل من عمرته وحل له كل شيء في الحال سواء أكان ساق هديا أم لا واحتجوا بالقياس على من لم يسق الهدي وبأنه تحلل من نسكه فوجب أن يحل له كل شيء كما لو تحلل المحرم بالحج وأجابوا عن هذه الرواية بأنها مختصرة من الرواية التي ذكرها مسلم عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فأهللنا بعمرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه هدي فليهل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا فهذه الرواية مفسرة للمحذوف من الرواية التي احتج بها ابو حنيفة وتقديرها ومن أحرم بعمرة فليهل بالحج ولا يحل حتى ينحر هديه ولا بد من هذا

التأويل لان القصة واحدة والراوي واحد فتعين الجمع بين الروايتين على ما ذكر والله أعلم * ولما بلغ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا طوى بضم الطاء وبفتحها وقيدها الاصيلي بالكسر عند آبار الزاهر بات بها بين الثنيتين فلما أصبح صلى الغداة ثم اغتسل رواه البخاري وللنسائي كان عليه الصلاة والسلام ينزل بذي طوى يبيت به حتى يصلي صلاة الصبح حين يقدم الى مكة ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على أكمة خشنة غليظة ليس في المسجد الذي بني ثم ولكن من أسفل ذلك على أكمة خشنة غليظة وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم دخلها من أعلاها وفي حديث ابن عمر في الصحيح كان صلى الله عليه وسلم يدخل من الثنية العليا يعني أعلى مكة من كداء بفتح الكاف والمد وقال أبو عبيد لا يصرف وهذه الثنية التي ينزل منها الى المعلاة مقبرة مكة وهي التي يقال لها الحجون بفتح الحاء المهملة وضم الجيم ولم يقع أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة ليلا الا في عمرة الجعرانة فانه صلى الله عليه وسلم أحرم من الجعرانة ودخل مكة ليلا فقضى أمر العمرة ثم رجع ليلا فصبح بالجعرانة كبائت كما رواه أصحاب السنن الثلاثة من حديث محرش الكعبي وعن عطاء قال ان شئتم فادخلوا ليلا انكم لستم كرسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اماما فأحب أن يدخلها نهارا ليراه الناس رواه النسائي ثم دخل عليه الصلاة والسلام مكة لاربع خلون من ذي الحجة ودخل المسجد الحرام ضحى من باب بني عبد مناف وهو باب بني شيبة والمعنى فيه أن باب الكعبة في جهة ذلك الباب والبيوت تؤتى من أبوابها وأيضا فلان جهة باب الكعبة أشرف الجهات الاربع كما قاله ابن عبد السلام في القواعد وكان عليه الصلاة والسلام اذا رأى البيت قال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا رواه الثوري عن أبي سعيد الشامي عن مكحول وروى الطبراني عن حذيفة بن أسيد كان عليه الصلاة والسلام اذا نظر البيت قال اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا ومهابة وزد من شرفه وعظمه ممن حجه واعتمره تعظيما وتشريفا وبرا ومهابة ولم يركع عليه الصلاة والسلام تحية المسجد انما بدأ بالطواف لانه تحية البيت كما صرح به كثير من أصحابنا وليس بتحية المسجد ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر أي الاسود وفي رواية جابر عند البخاري استلم الركن والاستلام افتعال من السلام أي التحية قاله الازهري وقيل من السلام بالكسر أي الحجارة والمعنى أنه يومي بعصاه الى الركن حتى تصيبه وكانت محنية الرأس وهي المراد بقوله في الحديث بالمحجن واعلم أن للبيت أربعة أركان الاول له فضيلتان كون

معها عمرة أخرجه أحمد وهو يقوى قول الكوفيين ان عائشة تركت العمرة وحجت مفردة وتمسكوا فى ذلك بقوله لها دعى عمرتك وفى رواية ارفضى عمرتك ونحو ذلك واستدلوا بذلك على أن المرأة اذا أهلت بالعمرة متمتعة فحاضت قبل ان تطوف ان تترك العمرة وتهل بالحج مفردا كما صنعت عائشة لكن فى رواية عطاء عنها ضعف والرافع للاشكال فى ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر أن عائشة أهلت بعمرة حتى اذا كانت بسرف حاضت فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم أهلى بالحج حتى اذا طهرت طافت بالكعبة وسعت فقال قد حللت من حجك وعمرتك قالت يارسول الله انى أجد فى نفسى انى لم أطف بالبيت حتى حججت قال فأعمرها من التنعيم ولمسلم من طريق طاووس عنها فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم طوافك يسعك لحجك وعمرتك فهذا صريح فى أنها كانت قارنة لقوله قد حللت من حجك وعمرتك وانما أعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها لكونها لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة وقد وقع فى رواية مسلم وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا هوى الشىء تابعها عليه ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من كان معه هدى فليهلل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا وانما قال لهم هذا القول بعد احرامهم بالحج وفى منتهى سفرهم ودنوهم من مكة بسرف كما جاء فى رواية عائشة أو بعد طوافه بالبيت كما جاء فى رواية جابر ويحتمل تكرار الامر بذلك فى الموضعين وان العزيمة كانت آخرا حين أمرهم بفسخ الحج الى العمرة وفى رواية قالت عائشة فمنا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحج حتى قدمنا مكة فقال صلى الله عليه وسلم من أحرم بعمرة ولم يهد فليحلل ومن أحرم بعمرة وأهدى فلا يحل حتى ينحر هديه يوم النحر ومن أحرم بحج فليتم حجه وهذا الحديث ظاهر فى الدلالة لابى حنيفة وأحمد وموافقيهما فى أن المعتمر المتمتع اذا كان معه الهدى لا يتحلل من عمرته حتى ينحر هديه يوم النحر ومذهب مالك والشافعى وموافقيهما أنه اذا طاف وسعى وحلق حل من عمرته وحل له كل شىء فى الحال سواء أكان ساق هديا أم لا واحتجوا بالقياس على من لم يسق الهدى وبأنه تحلل من نسكه فوجب أن يحل له كل شىء كما لو تحلل المحرم بالحج وأجابوا عن هذه الرواية بأنها مختصرة من الرواية التى ذكرها مسلم عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع فاهللنا بعمرة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه هدى فليهل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا فهذه الرواية مفسرة للمحذوف من الرواية التى احتج بها أبو حنيفة وتقديرها ومن أحرم بعمرة فليهل بالحج ولا يحل حتى ينحر هديه ولابد من هذا

التأويل

التأويل لان القصة واحدة والراوي واحد فتعين الجمع بين الروايتين على ما ذكر والله أعلم * ولما بلغ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا طوى بضم الطاء وبفتحها وقيدها الاصيلي بالكسر عند آبار الزاهر بات بها بين الثنيتين فلما أصبح صلى الغداة ثم اغتسل رواه البخاري وللنسائي كان عليه الصلاة والسلام ينزل بذي طوى يبيت به حتى يصلي صلاة الصبح حين يقدم الى مكة ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك على أكمة خشنة غليظة ليس في المسجد الذي بني ثم ولكن من أسفل ذلك على أكمة خشنة غليظة وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم دخلها من أعلاها وفي حديث ابن عمر في الصحيح كان صلى الله عليه وسلم يدخل من الثنية العليا يعني أعلى مكة من كداء بفتح الكاف والمد وقال أبو عبيد لا يعرف وهذه الثنية التي ينزل منها الى المعلاة مقبرة مكة وهي التي يقال لها الحجون بفتح الحاء المهملة وضم الجيم ولم يقع أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة ليلا الا في عمرة الجعرانة فانه صلى الله عليه وسلم أحرم من الجعرانة ودخل مكة ليلا فقضى أمر العمرة ثم رجع ليلا فصبح بالجعرانة كبايت كما رواه أصحاب السنن الثلاثة من حديث محرش الكعبي وعن عطاء قال ان شئتم فادخلوا ليلا انكم لستم كرسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اماما فأحب أن يدخلها نهارا ليراه الناس رواه النسائي ثم دخل عليه الصلاة والسلام مكة لاربع خلون من ذي الحجة ودخل المسجد الحرام ضحى من باب بني عبد مناف وهو باب بني شيبة والمعنى فيه أن باب الكعبة في جهة ذلك الباب والبيوت تؤتى من أبوابها وأيضا فلان جهة باب الكعبة أشرف الجهات الاربع كما قاله ابن عبد السلام في القواعد وكان عليه الصلاة والسلام اذا رأى البيت قال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا رواه الثوري عن أبي سعيد الشامي عن مكحول وروى الطبراني عن حذيفة بن أسيد كان عليه الصلاة والسلام اذا نظر البيت قال اللهم زد بيتك هذا تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا ومهابة وزد من شرفه وعظمه ممن حجه واعتمره تعظيما وتشريفا وبرا ومهابة ولم يركع عليه الصلاة والسلام تحية المسجد انما بدأ بالطواف لانه تحية البيت كما صرح به كثير من أصحابنا وليس بتحية المسجد ثم استلم صلى الله عليه وسلم الحجر أي الاسود وفي رواية جابر عند البخاري استلم الركن والاستلام افتعال من السلام أي التحية قاله الازهري وقيل من السلام بالكسر أي الحجارة والمعنى أنه يومى بعصاه الى الركن حتى تصيبه وكانت محنية الرأس وهي المراد بقوله في الحديث بالمحجن واعلم أن للبيت أربعة أركان الاول له فضيلتان كون

الحجر الاسود فيه وكونه على قواعد ابراهيم والثانى الثانية فقط وليس للآخرين شيء منهما فلذلك يقبل الاول ويستلم الثانى فقط ولا يقبل الآخران ولا يستلمان وروى الشافعى عن ابن عمر قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا وكان اذا استلم الركن قال بسم الله والله أكبر وكلما أتى الحجر قال الله أكبر رواه الطبرانى وهل كان صلى الله عليه وسلم طائفا على بعيره أم على قدميه ففى مسلم عن عائشة طاف عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع على بعيره وفيه عن ابى الطفيل رأيته عليه الصلاة والسلام يطوف بالبيت على بعيره وقد اختلف فى علة ذلك فروى أبو داود من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكى فطاف على راحلته وفى حديث جابر عند مسلم أنه صلى الله عليه وسلم طاف راكبا ليراه الناس ويسألوه فيحتمل أن يكون فعل ذلك للامرين قال ابن بطال فيه جواز دخول الدواب التى يوكل لحمها المسجد اذا احتيج الى ذلك لان بولها لا ينجسه بخلاف غيرها من الدواب وتعقب بأنه ليس فى الحديث دلالة على عدم الجواز والجواز مع الحاجة بل ذلك دائر مع التلويث وعدمه فحيث يخشى التلويث يمتنع الدخول وقد قيل أن ناقته عليه الصلاة والسلام كانت منوقة أى مدربة معلمة فيؤمن معها ما يحذر من التلويث قال بعضهم وهذا كان والله أعلم فى طواف الافاضة لا فى طواف القدوم فان جابرا حكى عنه الرمل فى الثلاثة الاول وذلك لا يكون الا مع المشى ولم يقل أحد رملت به راحلته وانما قالوا رمل أى بنفسه وقال الشافعى أما سعيه الذى طاف لمقدمه فعلى قدميه انتهى * ولما استلم صلى الله عليه وسلم الحجر مضى على يمينه فرمل ثلاثا ومشى أربعا وكان ابتداء الرمل فى عمرة القضية لما قدم صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب فقال المشركون انه يقدم عليكم غدا قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها شدة فجلسوا مما يلى الحجر وأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يرملوا ثلاثة اشواط ويمشوا بين الركنين ليرى المشركين جلدهم فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عباس ولما كان فى حجة الوداع رمل صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكان سنة مستقلة قال الطبرى قد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام رمل ولا مشرك يومئذ بمكة يعنى فى حجة الوداع فعلم أنه من مناسك الحج الان تاركه ليس تارك العمل بل لهيئة مخصوصة فكان كرفع الصوت بالتلبية فمن لبى خافضا صوته لم يكن تاركا للتلبية بل لصفتها فلا شىء عليه انتهى فلو ترك الرمل

في الثلاث لم يقضه في الاربع لان هيئتها السكينة فلا تغير والله أعلم ❊ ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه أتى المقام فقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلا فصلى ركعتين والمقام بينه وبين البيت فقرأ فيهما بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم رجع الى الركن الذي فيه الحجر فاستلمه ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ ان الصفا والمروة من شعائر الله أبدء بما بدأ الله به فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت واستقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة حتى اذا انصبت قدماه في بطن الوادي رمل حتى اذا صعدتا مشى حتى أتى المروة وفي حديث أبي الطفيل عند مسلم وأبي داود قال قلت لابن عباس أخبرني عن الطواف بين الصفا والمروة راكبا أسنة هو فان قومك يزعمون أنه سنة قال صدقوا وكذبوا قلت وما قولك صدقوا وكذبوا قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتق من البيوت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه فلما كثر عليه ركب والمشي في السعي أفضل هذا لفظ رواية مسلم وفي أوله ذكر الرمل في طواف البيت وعند أبي داود أن قريشا قالت زمن الحديبية دعوا محمدا وأصحابه حتى يموتوا موت النغف فلما صالحوه على أن يجيئوا العام المقبل فيقيموا ثلاثة أيام فقدم عليه الصلاة والسلام فقال لاصحابه أرملوا بالبيت وفيه طاف صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على بعير لان الناس كانوا لا يدفعون ولا يصرفون عنه فطاف على بعير ليسمعوا كلامه وليروا مكانه ولا تناله أيديهم الحديث وكان صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى المروة رقى عليها واستقبل البيت وكبر الله ووحده وفعل كما فعل على الصفا حتى اذا كان آخر طوافه على المروة قال لو اني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ولجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة ابن جعشم فقال يا رسول الله العامنا هذا أم لابد فشبك صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في أخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين لا بل لابد أبد وهذا يعني فسخ الحج الى العمرة قال النووي واختلف في هذا الفسخ هل هو خاص بالصحابة تلك السنة خاصة أم باق لهم ولغيرهم الى يوم القيامة فقال أحمد وطائفة من أهل الظاهر ليس خاصا بل هو باق الى يوم القيامة فيجوز لكل من أحرم بالحج وليس معه هدي أن يقلب احرامه عمرة ويتحلل بأعمالها وقال مالك والشافعي

وأبو حنيفة وجماهير العلماء من السلف والخلف هو مختص بهم فى تلك السنة لا يجوز بعدها وانما أمروا به تلك السنة ليخالفوا ما كان عليه الجاهلية من تحريم العمرة فى أشهر الحج ومما يستدل به للجماهير حديث أبى ذر فى مسلم كانت المتعة فى الحج لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة يعنى فسخ الحج الى العمرة وفى النسائى عن الحارث بن بلال عن أبيه قال قلت يا رسول الله أرأيت فسخ الحج الى العمرة لنا خاصة أم للناس عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لنا خاصة قال وأما الذى فى حديث سراقة ألعامنا هذا أم لابد فقال لابل لابد أبد فمعناه جواز الاعتمار فى أشهر الحج والقران كما سبق تفسيره فالحاصل من مجموع طرق الاحاديث أن العمرة فى أشهر الحج جائزة الى يوم القيامة وكذلك القران وأن فسخ الحج الى العمرة مختص بتلك السنة والله أعلم انتهى وفى رواية للنسائى أيضا لا تصلح المتعتان الا لنا خاصة يعنى متعة النساء ومتعة الحج يعنى فسخ الحج الى العمرة ومتعة النساء هى نكاح المرأة الى أجل كان ذلك مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم أبيح يوم فتح مكة ثم نسخ فى أيام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيامة وقد كان فيه خلاف فى العصر الاول ثم ارتفع وأجمعوا على تحريمه وكان صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بمنزله الذى نزل فيه بالمسلمين بظاهر مكة يقصر الصلاة فيه وكانت مدة اقامته بمكة قبل الخروج الى منى أربعة أيام ملفقة لانه قدم فى الرابع وخرج فى الثامن فصلى بها احدى وعشرين صلاة من أول ظهر الرابع الى آخر ظهر الثامن ومن يوم دخوله عليه الصلاة والسلام مكة وخروجه يوم النفر الثانى من منى الى الابطح عشرة أيام سواء وقدم على من اليمن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بما أهللت فقال بما أهل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لولا أن معى الهدى لأحللت رواه الشيخان من حديث أنس وفى حديث البراء عند الترمذى والنسائى دخل على على فاطمة رضى الله عنهما فوجدها قد نضحت البيت بنضوح فغضب فقالت مالك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أصحابه فأحلوا قال قلت لها انى أهللت باهلال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيته فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف صنعت قال وقال لى انحر من البدن سبعا وستين أو ستا وستين وامسك لنفسك ثلاثا وثلاثين أو أربعا وثلاثين وامسك من كل بدنة منها بضعة وفى رواية جابر عند مسلم فوجد فاطمة ممن حل ولبست ثوبا صبيغا واكتحلت فانكر ذلك عليها فقالت أبى أمرنى بهذا فقال صدقت صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج قال قلت اللهم انى أهل بما أهل به رسولك قال فان معى الهدى فلا تحل قال فكان جماعة

الهدى الذى قدم به على من اليمن والذى أتى به النبى صلى الله عليه وسلم مائة قال فحل الناس كلهم وقصروا الا النبى صلى الله عليه وسلم ومن كان معه هدى فلما كان يوم التروية وكان يوم الخميس ضحى ركب صلى الله عليه وسلم وتوجه بالمسلمين الى منى وقد أحرم بالحج من كان أحل منهم وصلى صلى الله عليه وسلم بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر فضربت له بنمرة فسار على طريق ضب ولا تشك قريش الا أنه واقف عند المشعر الحرام بالمزدلفة كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية وكانت الحمس وهم قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن قطين الله أى جيران بيته فلا نخرج من حرمه وكان الناس كلهم يبلغون عرفات وذلك قوله تعالى ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وعن جبير بن مطعم قال أضللت حمارا لى فى الجاهلية فوجدته بعرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفات مع الناس فلما أسلمت عرفت ان الله وفقه لذلك وفى رواية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية يقف مع الناس بعرفة على جمل له ثم يصبح مع قومه بالمزدلفة فيقف معهم ويدفع اذا دفعوا الحديث * ولما بلغ صلى الله عليه وسلم عرفة وجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس أمر بالقصوى فرحلت له فركب فأتى بطن الوادى فخطب الناس وقال ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا الا ان كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وان أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتله هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله فاتقوا الله فى النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وقد تركت فيكم ما ان لا تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله وأنتم تسئلون عنى فما أنتم قائلون قالوا نشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس ويقول اللهم أشهد ثلاث مرات ثم اذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيأ وهذا الجمع المذكور مختص بالمسافرين عند الجمهور وعن مالك والاوزاعى وهو وجه للشافعية ان الجمع بعرفة وجمع لانسك فيجوز لكل أحد قال الاسنوى فلا يجوز الا للمسافر بلا خلاف قال الشافعى والاصحاب اذا

خرج الحاج يوم التروية ونووا الذهاب الى أوطانهم عند فراغ مناسكهم كان لهم القصر من حين خروجهم * ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته ركب حتى أتى الموقف فجعل بطن ناقته القصوى الى الصخرات وجعل حبل المشاة بين يديه واستقبل القبلة وكان أكثر دعائه صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فى الموقف اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبى ولك رب تراثى اللهم انى أعوذبك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر اللهم انى أسألك من خير ما تجىء به الرياح وأعوذبك من شر ما تجىء به الريح رواه الترمذى من حديث على وفى رواية ذكرها رزين كان أكثر دعائه صلى الله عليه وسلم يوم عرفة بعد قوله لا اله الا الله وحده لا شريك له اللهم لك الحمد كالذى نقول اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبى وعليك يارب ثوابى اللهم انى أعوذبك من عذاب القبر ووسوسة الصدر ومن شتات الامر ومن شر كل ذى شر وفى الترمذى أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وكان من دعائه فى عرفة أيضا كما فى الطبرانى الصغير من حديث ابن عباس اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى لا يخفى عليك شىء من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنوبه أسألك مسئلة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل جسده ورغم أنفه لك اللهم لا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رؤفا رحيما ياخير المسؤلين ويا خير المعطين * وأتاه صلى الله عليه وسلم ناس من أهل نجد وهو بعرفة فسألوه كيف الحج فأمر مناديا ينادى الحج عرفة من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج أيام منى ثلاثة فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه رواه الترمذى وفى رواية جابر عند أبى داود قال صلى الله عليه وسلم بعرفة وقفت ههنا وعرفة كلها موقف وهناك أنزلت عليه اليوم أكملت لكم دينكم الآية كما فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهناك سقط رجل من المسلمين عن راحلته وهو محرم فمات فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكفن فى ثوبيه ولا يمس بطيب وان يغسل بماء وسدر ولا يغطى رأسه ولا وجهه وأخبر ان الله يبعثه يوم القيامة يلبى رواه البخارى ومسلم أى يبعث على هيئته التى مات عليها واستدل بذلك على بقاء احرامه خلافا للمالكية والحنفية قال النووى يتأول هذا الحديث على أن النهى

عن تغطية وجهه ليس لكون المحرم لا يجوز له تغطية وجهه بل هو صيانة للرأس فانهم لو غطوا وجهه لم يؤمن ان يغطوا رأسه انتهى قال الحافظ ابن حجر وكان وقوع المحرم المذكور عند الصخرات من عرفة والله أعلم * ولما غربت الشمس بحيث ذهبت الصفرة قليلا حين غاب القرص أفاض صلى الله عليه وسلم من عرفة واردف اسامة خلفه وقد شنق للقصوى الزمام حتى ان رأسها ليصيب مورك رحلها و يقول بيده أيها الناس السكينة السكينة وكلما أتى حبلا من الحبال ارخى لها قليلا حتى تصعد وأفاض من طريق المأزمين وفي رواية ابن عباس أنه عليه الصلاة والسلام سمع وراءه زجرا شديدا وضربا للابل فأشار بسوطه وقال أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع يعني بالاسراع وفي رواية أبي داود أفاض من عرفة وعليه السكينة ورديفه اسامة فقال أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بايجاف الخيل والابل فما رأيتها رافعة يديها عادية حتى أتى جمعا وفي رواية أسامة بن زيد عند الشيخين كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق العنق وأخرج الطبراني في المعجم عن سالم ابن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفات وهو يقول

اليك تعدو قلقا وضينها * مخالف دين النصارى دينها

قال في النهاية الحديث مشهور بابن عمر من قوله والقلق الانزعاج والوضين بالضاد المعجمة حزام الرحل * ولما كان صلى الله عليه وسلم في أثناء الطريق نزل فبال وتوضأ وضوءا خفيفا فقال له أسامة الصلاة يارسول الله قال الصلاة أمامك فركب حتى أتى مزدلفة وهي المسماة بجمع بفتح الجيم وسكون الميم وسميت جمعا لان آدم اجتمع فيها مع حواء فازدلف اليها أي دنى منها وعن قتادة انما سميت جمعا لانه يجمع فيها بين صلاتين وقيل لان الناس يجتمعون فيها ويزدلفون الى الله تعالى أي يتقربون اليه بالوقوف فيها فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بها المغرب والعشاء كل واحدة منهما باقامة ولا صلى أثر واحدة منهما وفي رواية فأقام المغرب ثم أناخ الناس في منازلهم ولم يحلوا حتى أقام العشاء الآخرة فصلى ثم حلوا وترك عليه الصلاة والسلام قيام الليل تلك الليلة ونام حتى أصبح لما تقدم له من الاعمال بعرفة من الوقوف من الزوال الى بعد الغروب واجتهاده عليه الصلاة والسلام في الدعاء وسيره بعد الغروب الى المزدلفة واقتصر فيها على صلاة المغرب والعشاء قصرا ورقد بقية ليلته مع كونه عليه الصلاة والسلام كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه ولكنه أراح نفسه الشريفة لما تقدم في عرفة ولما هو بصدده يوم النحر من كونه

نحر بيده المباركة ثلاثا وستين بدنة وذهب الى مكة لطواف الافاضة ورجع الى
منى كما نبه عليه فى شرح تقريب الاسانيد وعن عباس بن مرداس أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فأجيب أنى قد غفرت لهم
ما خلا الظالم فانى آخذ للمظلوم منه قال أى رب ان شئت أعطيت المظلوم من الجنة
وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما أصبح بالمزدلفة أعاد الدعاء فأجيب الى ماسأل
قال فضحك صلى الله عليه وسلم أو قال تبسم فقال أبو بكر وعمر رضى الله تعالى
عنهما بأبى أنت وأمى ان هذه الساعة ما كنت تضحك فيها فما الذى أضحكك
أضحك الله سنك قال ان عدو الله ابليس لما علم ان الله قد استجاب دعاءى وغفر
لامتى أخذ التراب فجعل يحثو على رأسه ويدعو بالويل والثبور فأضحكنى
ما رأيت من جزعه رواه ابن ماجه ورواه أبو داود من الوجه الذى رواه ابن ماجه ولم
يضعفه وقد جاء فى بعض الروايات عن غير العباس ما يبين أن المراد من الامة من
وقف بعرفة وقال الطبرى انه محمول بالنسبة الى المظالم على من تاب وعجز عن وفائها
وقد رواه البيهقى بنحو رواية ابن ماجه ثم قال وله شواهد كثيرة فان صح بشواهده
ففيه الحجة وان لم يصح فقد قال الله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وظلم بعضهم
بعضا دون الشرك وقال الترمذى فى الحديث الصحيح من حج فلم يرفث ولم يفسق
خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وهو مخصوص بالمعاصى المتعلقة بحقوق الله تعالى
خاصة دون العباد ولا تسقط الحقوق أنفسها فمن كان عليه صلاة أو كفارة ونحوها
من حقوق الله تعالى لا تسقط عنه لانها حقوق لا ذنوب انما الذنب تأخيرها فنفس
التأخير يسقط بالحج لا هى نفسها فلو أخرها بعده تجدد اثم آخر فالحج المبرور يسقط
اثم المخالفة لا الحقوق وقال ابن تيمية من اعتقد أن الحج يسقط ما وجب عليه من
الحقوق كالصلاة يستتاب والا قتل ولا يسقط حق الآدمى بالحج اجماعا انتهى
والله أعلم واستأذنت سودة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة جمع وكانت ثقيلة
ثبطة فأذن لها فقالت عائشة فليتنى كنت استأذنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم كما استأذنته سودة وفى رواية فاستأذنته ان تدفع قبل حطمة الناس وكانت
امرأة بطيئة فأذن لها ان تدفع قبل حطمة الناس قالت عائشة فلان أكون
استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما استأذنت سودة أحب الى من مفروح به
رواه البخارى وفى رواية أبى داود والنساءى أرسل صلى الله عليه وسلم بأم سلمة ليلة
النحر فرمت الجمرة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت فكان ذلك اليوم اليوم الذى يكون
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعنى عندها وعند مسلم بعث أم حبيبة من جمع بليل

وفى رواية البخارى ومسلم والنسائى عن ابن عباس قال أرسلنى صلى الله عليه وسلم مع ضعفة أهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة وفى الموطأ والصحيحين والنسائى عن أسماء أنها نزلت ليلة جمع عند المزدلفة فقامت تصلى ساعة ثم قالت يا بنى هل غاب القمر قلت لا ثم صلت ساعة ثم قالت هل غاب القمر فقلت نعم قالت فارتحلوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن للظعن بالضم النساء فى الهوادج وقد اختلف السلف فى ترك المبيت بالمزدلفة فقال علقمة والنخعى والشعبى من تركه فاته الحج وقال عطاء والزهرى وقتادة والشافعى والكوفيون واسحاق عليه دم ومن بات بها لم يجز له الدفع قبل النصف وقال مالك ان مربها فلم ينزل فعليه دم وان نزل فلا دم عليه متى دفع انتهى ولما طلع الفجر صلى النبى صلى الله عليه وسلم الفجر حين تبين الصبح باذان واقامة وفى سنن البيهقى والنسائى باسناد صحيح على شرط مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال للفضل بن العباس غداة يوم النحر التقط لى حصى فالتقط له حصيات مثل حصى الخذف وهو بالمعجمتين ولم يكسرها كما يفعل من لا علم عنده وفى رواية للنسائى قال عليه الصلاة والسلام لابن عباس غداة النحر وهو عليه الصلاة والسلام على راحلته هات القط لى فلقط حصيات مثل حصى الخذف فلما وضعهن فى يده قال بأمثال هؤلاء واياكم والغلو فى الدين فانما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين قال العلماء فى هذا الحديث دليل على استحباب أخذ الحصيات بالنهار وهو رأى البغوى قال ويكون ذلك بعد صلاة الصبح ونص عليه الشافعى فى الام والاملاء لكن الجمهور كما قال الرافعى على استحباب الاخذ بالليل لفراغهم فيه وهل يستحب أن يلتقط جميع ما يرمى به فى الحج وبه جزم فى التنبيه وأقره عليه النووى فى تصحيحه لكن الاكثرون كما قال الرافعى على استحباب الاخذ ليوم النحر خاصة ونص عليه الشافعى أيضا قال فى شرح المهذب والاحتياط ان يزيد فربما سقط منه شئ انتهى ثم ركب النبى صلى الله عليه وسلم القصوى حتى أتى المشعر الحرام فرقى عليه فاستقبل القبلة فحمد الله وكبره وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس وفى رواية غير جابر وكان المشركون لا ينفرون حتى تطلع الشمس وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ذلك فنفر قبل طلوع الشمس وفى حديث على عند الطبرى لما أصبح صلى الله عليه وسلم بالمزدلفة غدا فوقف على قزح واردف الفضل ثم قال هذا الموقف وكل المزدلفة موقف حتى اذا أسفر دفع وفى رواية جابر واردف صلى الله عليه وسلم الفضل بن العباس قال وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيما فلما دفع

صلى الله عليه وسلم مرت ظعن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه من الشق الآخر ينظر وفى رواية كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر قالت يارسول الله ان فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وذلك فى حجة الوداع رواه الشيخان وقد روى أيضا من حديث عبد الله بن عباس لكن رجح البخارى رواية الفضل لانه كان رديف النبى صلى الله عليه وسلم حينئذ وكان عبد الله بن عباس تقدم الى منى مع الضعفة فكأن الفضل حدث أخاه عباشاهد فى تلك الحالة ويحتمل أن يكون سؤال الخثعمية وقع بعد رمى جمرة العقبة فحضره عبد الله بن عباس فنقله تارة عن أخيه لكونه صاحب القصة وتارة عما شاهده ويؤيده ما فى الترمذى ان السؤال المذكور وقع عند المنحر بعد الفراغ من الرمى وان العباس كان شاهدا وفيه أنه عليه الصلاة والسلام لوى عنق الفضل فقال العباس يارسول الله لويت عنق ابن عمك قال رأيت شابا وشابة فلم آمن عليهما الشيطان وظاهر هذا ان العباس كان حاضرا لذلك فلا مانع أن يكون ابنه عبد الله أيضا كان معه وفى هذا الحديث دلالة على جواز النيابة فى الحج عن لا يستطيع من الاحياء خلافا لمالك فى ذلك ولمن قال لا يحج عن أحد مطلقا كابن عمر ونقل ابن المنذر وغيره الاجماع على أنه لا يجوز أن يستنيب من يقدر على الحج بنفسه فى الحج الواجب وأما النفل فيجوز عند أبى حنيفة خلافا للشافعى وعن أحمد روايتان انتهى وفى رواية ابن عباس أن أسامة قال كنت ردف النبى صلى الله عليه وسلم من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى فكلاهما قال لم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى جمرة العقبة رواه الشيخان وغيرهما وفى رواية جابر فلما أتى عليه الصلاة والسلام بطن محسر حرك ناقته وأسرع السير قليلا قال الاسنوى سببه أن النصارى كانت تقف فيه كما قاله الرافعى أو العرب كما قاله فى الوسيط فأمر بمخالفتهم قال وظهر لى فيه معنى آخر وهو انه مكان نزل فيه العذاب على أصحاب الفيل القاصدين هدم البيت فاستحب فيه الاسراع لما ثبت فى الصحيح أمره المار على ديارثمود ونحوهم بذلك وقال غيره وهذه كانت عادته صلى الله عليه وسلم فى المواضع

التى نزل فيها بأس الله بأعدائه وسمى وادى محسر لان الفيل حسر أى أعيى وانقطع عن الذهاب انتهى ثم سلك صلى الله عليه وسلم الطريق الوسطى التى تخرج على الجمرة الكبرى حتى أتى الجمرة التى عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة رمى من بطن الوادى وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وكان رميه صلى الله عليه وسلم يوم النحر ضحى كما قاله جابر فى رواية مسلم والترمذى وأبى داود والنسائى وفى رواية أم الحصين عند أبى داود رأيت أسامة وبلالا أحدهما آخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى رمى جمرة العقبة وفى رواية النسائى ثم خطب فحمد الله وأثنى عليه وذكر قولا كثيرا وعن أم جندب رأيته عليه الصلاة والسلام يرمى الجمرة من بطن الوادى وهو راكب يكبر مع كل حصاة ورجل من خلفه يستره فسألت عن الرجل فقالوا الفضل بن العباس وازدحم الناس فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس لا يقتل بعضكم بعضا واذا رميتم الجمرة فارموا بمثل حصى الخذف وفى هذا دليل على جواز استظلال المحرم بالمحمل ونحوه وقد مر أنه عليه الصلاة والسلام ضربت له قبة من شعر بنمرة وفى رواية جابر عند مسلم وأبى داود قال رأيته صلى الله عليه وسلم يرمى على راحلته يوم النحر وهو يقول خذوا عنى مناسككم لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه وفى رواية قدامة عند الترمذى رأيته يرمى الجمار على ناقة له صهباء ليس ضرب ولا طرد ولا اليك اليك انتهى ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بدنة ثم أعطى عليا فنحر ما غبر وأشركه فى هديه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها وفى رواية جابر عند مسلم نحر عليه الصلاة والسلام عن نسائه بقرة وقالت عائشة نحر صلى الله عليه وسلم عن آل محمد فى حجة الوداع بقرة واحدة رواه أبو داود ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله بمنى ثم قال للحلاق خذ وأشار بيده الى جانبه الايمن ثم الايسر ثم جعل يعطيه الناس وفى رواية أنه قال للحلاق ها وأشار بيده الى الجانب الايمن فقسم شعره بين من يليه ثم أشار الى الحلاق الى الجانب الايسر فحلقه وأعطاه أم سليم وفى أخرى فبدأ بالشق الايمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس ثم قال بالايسر فصنع مثل ذلك ثم قال ههنا أبو طلحة فدفعه اليه وفى أخرى رمى جمرة العقبة ثم انصرف الى البدن فنحرها والحجام جالس وقال بيده على رأسه فحلق الشق الايمن فقسمه بين من يليه ثم قال احلق الشق الآخر فقال أين أبو طلحة فأعطاه اياه رواه الشيخان وعند الامام أحمد أنه استدعى

الحلاق فقال له وهو قائم على رأسه بالموسى ونظر فى وجهه وقال يامعمر أمكنك
رسول الله صلى الله عليه وسلم من شحمة أذنه وفى يدك الموسى قال فقلت له أما
والله يارسول الله ان ذلك لمن نعم الله على ومنه قال أجل وقال البخارى وزعموا ان
الذى حلق للنبى صلى الله عليه وسلم معمر بن عبد الله بن نضلة بن عوف انتهى
وهو عند ابن خزيمة فى صحيحه وعند الامام أحمد وقلم صلى الله عليه وسلم أظفاره
وقسمها بين الناس وعنده أيضا من حديث محمد بن زيد أن أباه حدثه أنه شهد النبى
صلى الله عليه وسلم عند المنحر ورجل من قريش وهو يقسم أضاحى فلم يصبه شىء
ولا صاحبه فحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه فى ثوبه فأعطاه شعره فقسم
منه على رجال وقلم أظفاره فاعطاه صاحبه وكان يخضب بالحناء والكتم وعن أبى
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يارسول الله
وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يارسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر
للمحلقين قالوا يارسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين رواه الشيخان وليس فيه تعيين
هل قاله صلى الله عليه وسلم فى الحديبية أو فى حجة الوداع قالوا ولم يقع فى شىء من
طرقه التصريح بسماعه لذلك من النبى صلى الله عليه وسلم ولو وقع لقطعنا بأنه كان
فى حجة الوداع لانه شهدها ولم يشهد الحديبية وقد وقع تعيين الحديبية من حديث
جابر عند أبى قرة فى السنن ومن طريق الطبرانى فى الاوسط ومن حديث المسور
ابن مخرمة عند ابن اسحاق فى المغازى وورد تعيين حجة الوداع من حديث أبى مريم
السلولى عند أحمد وابن أبى شيبة ومن حديث أم الحصين عند مسلم ومن حديث
قارب بن الاسود الثقفى عند أحمد وابن أبى شيبة ومن حديث أم عمارة عند
الحارث والاحاديث التى فيها تعيين حجة الوداع أكثر عددا وأصح اسنادا ولهذا قال
النووى عقب أحاديث ابن عمر وأبى هريرة وأم الحصين هذه الاحاديث تدل على أن
هذه الواقعة كانت فى حجة الوداع قال وهو الصحيح المشهور وقيل كانت
فى الحديبية وجزم امام الحرمين فى النهاية أن ذلك كان فى الحديبية ثم قال النووى
ولا يبعد أن يكون وقع ذلك فى الموضعين انتهى وكذا قال ابن دقيق العيد انه
الاقرب قال فى فتح البارى بل هو المتعين لتظافر الروايات بذلك فى الموضعين الا ان
السبب فى الموضعين مختلف فالذى فى الحديبية كان بسبب توقف من توقف من
الصحابة عن الاحلال لما دخل عليهم من الحزن لكونهم منعوا من الوصول الى
البيت مع اقتدارهم فى أنفسهم على ذلك فخالفهم النبى صلى الله عليه وسلم وصالح
قريشا على أن يرجع من العام المقبل فلما أمرهم بالاحلال توقفوا فأشارت أم سلمة

أن

أن يفعل هو صلى الله عليه وسلم قبلهم ففعل فتبعوه فحلق بعض وقصر بعض فكان من بادر الى الحلق أسرع الى امتثال الامر ممن اقتصر على التقصير * وقد وقع التصريح بهذا السبب في حديث ابن عباس فان في آخره عند ابن ماجه وغيره انهم قالوا يا رسول الله ما بال المحلقين ظاهرت لهم بالترحم قال لانهم لم يشكوا وأما السبب في تكرير الدعاء للمحلقين في حجة الوداع فقال ابن الاثير في النهاية كان أكثر من حج معه صلى الله عليه وسلم لم يسق الهدى فلما أمرهم أن يفسخوا الحج الى العمرة ثم يتحللوا منها ويحلقوا رؤسهم شق عليهم ثم لما لم يكن لهم بد من الطاعة كان التقصير في أنفسهم أخف من الحلق ففعله أكثرهم فرجح صلى الله عليه وسلم فعل من حلق لكونه أبين في امتثال الامر انتهى قال الحافظ ابن حجر وفيما قاله نظر وان تابعه عليه غير واحد لان المتمتع يستحب في حقه ان يقصر في العمرة ويحلق في الحج اذا كان ما بين النسكين متقاربا وقد كان ذلك في حقهم كذلك والاولى ما قاله الخطابي وغيره ان عادة العرب أنها كانت تحب توفير الشعور والتزين بها وكان الحلق فيهم قليلا وربما كانوا يرونه من الشهرة ومن فعل الاعاجم فلذلك كرهوا الحلق واقتصروا على التقصير انتهى * وفي رواية عبد الله بن عمرو بن العاصي وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى للناس يسئلونه فجاء رجل فقال يا رسول الله لم أشعر فحلقت قبل ان أنحر فقال اذبح ولا حرج ثم جاء رجل آخر فقال يا رسول الله لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي فقال ارم ولا حرج قال فما سئل عن شيء قدم أو أخر الا قال افعل ولا حرج رواه مسلم وفي رواية حلقت قبل أن أرمي * وفي رواية وقف صلى الله عليه وسلم على راحلته فطفق الناس يسئلونه فيقول القائل منهم يا رسول الله اني لم أكن أشعر ان الرمي قبل النحر فنحرت قبل أن أرمي فقال صلى الله عليه وسلم فارم ولا حرج قال فما سمعته يسئل يومئذ عن أمر مما ينسى المرء أو يجهل من تقديم بعض الامور قبل بعض وأشباهها الا قال صلى الله عليه وسلم افعلوا ذلك ولا حرج * وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام بينما هو قائم يخطب يوم النحر فقام اليه رجل فقال ما كنت أحسب ان كذا وكذا قبل كذا وكذا * وفي رواية حلقت قبل ان أنحر نحرت قبل ان أرمي واشباه ذلك * وفي رواية حلقت قبل أن أذبح ذبحت قبل أن أرمي * ومن المعروف ان الترتيب أولى وذلك ان وظائف يوم النحر بالاتفاق أربعة أشياء رمي جمرة العقبة ثم نحر الهدي أو ذبحه ثم الحلق أو التقصير ثم طواف الافاضة مع السعي بعده وقد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة ثم نحر ثم حلق * وقد أجمع

العلماء على مطلوبية هذا الترتيب وأجمعوا أيضا على جواز تقديم بعضها على بعض الا انهم اختلفوا في وجوب الدم في بعض المواضع ومذهب الشافعي وجمهور السلف والعلماء وفقهاء الحديث الجواز وعدم وجوب الدم لقوله عليه الصلاة والسلام للسائل لا حرج فهو ظاهر في رفع الاثم والفدية معا لان اسم الضيق يشملهما وقال الطحاوي ظاهر الحديث يدل على التوسعة في تقديم بعض هذه الاشياء على بعض الا انه يحتمل أن يكون قوله لا حرج أي لا اثم في ذلك وهو كذلك لمن كان ناسيا أو جاهلا وأما من تعمد المخالفة فيجب عليه الفدية وتعقب بأن وجوب الفدية يحتاج الى دليل ولو كان واجبا لبينه صلى الله عليه وسلم حينئذ لانه وقت الحاجة فلا يجوز تأخيره عنه وتمسك الامام أحمد بقوله في الحديث لم أشعر وبما في رواية يونس عند مسلم وصالح عند أحمد فما سمعته يومئذ يسئل عن أمر مما ينسى المرء أو يجهل من تقديم بعض الامور وقبل بعضها الاقال افعل ولا حرج أنه ان كان ناسيا أو جاهلا فلا شيء عليه وان كان عالما فلا قال ابن دقيق العيد ما قاله أحمد قوي من جهة ان الدليل دل على وجوب اتباع الرسول في الحج لقوله خذوا عني مناسككم وهذه الاحاديث المرخصة في تقديم ما وقع عنه تأخيره قد قرنت بقول السائل لم أشعر فيختص الحكم بهذه الحالة وتبقى حالة العمد على أصل وجوب الاتباع في الحج انتهى * وعن أبي بكرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر فقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي كان بين جمادى وشعبان وقال أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا بلى قال فأي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الا لا ترجعوا بعدي كفارا ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم فاشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع رواه الشيخان * وفي رواية للبخاري فودع الناس ووقع في طريق ضعيفة عند البيهقي من حديث ابن عمر سبب ذلك ولفظه أنزلت سورة اذا جاء نصر الله والفتح على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق وعرف أنه الوداع فأمر براحلته

القصوآى فرحلت له فركب و وقف بالعقبة واجتمع اليه الناس فقال يا أيها الناس فذكر الحديث وفيه دلالة على مشروعية الخطبة يوم النحر و به أخذ الشافعى ومن تبعه وخالف فى ذلك المالكية والحنفية فقالوا خطب الحج ثلاثة سابع ذى الحجة و يوم عرفة وثانى يوم النحر بمنى و وافقهم الشافعى الا انه قال بدل ثانى النحر ثالثه لانه أول النفر وزاد خطبة رابعة وهى يوم النحر قال وبالناس حاجة اليها ليعلموا أعمال ذلك اليوم من الرمى والذبح والحلق والطواف وتعقبه الطحاوى بأن الخطبة المذكورة ليست من متعلقات الحج لانه لم يذكر فيها شيأ من أمور الحج وانما ذكر فيها وصايا عامة ولم ينقل أحد انه علمهم فيها شيأ من الذى يتعلق بيوم النحر فعلمنا انها لم تقصد لاجل الحج وقال ابن بطال انما فعل ذلك من أجل تبليغ ما ذكره لكثرة الجمع الذى اجتمع من أقاصى الدنيا فظن الذى رآه انه يخطب قال وأما ما ذكره الشافعى أن بالناس حاجة الى تعليمهم أسباب التحلل المذكورة فليس بمتعين لان الامام يمكنه ان يعلمهم اياها يوم عرفة انتهى وأجيب بأنه صلى الله عليه وسلم نبه فى الخطبة المذكورة على تعظيم يوم النحر وعلى تعظيم ذى الحجة وعلى تعظيم البلد الحرام وقد جزم الصحابة المذكورون بتسميتها خطبة فلا يلتفت لتأويل غيرهم وما ذكره من امكان التعليم ما ذكر يوم عرفة يعكر عليه فى كونه يرى مشروعية الخطبة ثانى يوم النحر وكان يمكن ان يعلموا ذلك يوم عرفة بل يمكن أن يعلموا يوم التروية جميع ما يؤتى به من أعمال الحج لكن لما كان فى كل يوم أعمال ليست فى غيره شرع تجديد التعليم بحسب تجدد الاسباب وأما قول الطحاوى انه لم ينقل أنه علمهم شيأ من أسباب التحلل فلا ينفى وقوع ذلك أو شىء منه فى نفس الامر بل قد ثبت فى حديث عبد الله بن عمرو بن العاصى أنه شهد النبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم النحر وذكر فيه السؤال عن من يقدم بعض المناسك على بعض فكيف ساغ للطحاوى هذا النفى المطلق انتهى * وقد روى أبو داود والنسائى عن عبد الرحمن بن معاذ التيمى قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن فى منازلنا فطفق يعلمهم مناسكهم حتى بلغ الجمار فوضع أصبعيه السبابتين ثم قال بحصى الخذف ثم أمر المهاجرين فنزلوا فى مقدم المسجد وأمر الانصار ان ينزلوا وراء المسجد قال ثم نزل الناس بعد ذلك * وفى رواية عبد الرحمن بن معاذ عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم الناس بمنى وأنزلهم منازلهم فقال لينزل المهاجرون ههنا وأشار الى ميمنة القبلة

والانصار هاهنا وأشار الى ميسرة القبلة ثم قال لينزلن الناس حولهم * وعن ابن أبي نجيح عن أبيه عن رجلين من بني بكر قالا رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بين أوسط أيام التشريق ونحن عند راحلته وهى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خطب بمنى رواه أبو داود * وعن رافع بن عمرو المزني قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس بمنى حين ارتفع الضحاء على بغلة شهباء وعلي يعبر عنه والناس بين قائم وقاعد رواه أبو داود أيضا * وعن ربيعة بن عبد الرحمن بن حصن قال حدثتني جدتي سراء بنت نبهان وكانت ربة بيت في الجاهلية قالت خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الرؤس فقال أي يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم قال أليس أوسط أيام التشريق وفي رواية خطب أوسط أيام التشريق رواه أبو داود أيضا ثم ركب صلى الله عليه وسلم قبل الظهر فأفاض الى البيت فطاف طواف الافاضة وهو طواف الزيارة والركن والصدر وفي البخاري ويذكر عن أبي حسان عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت أيام منى ووصله الطبراني من طريق قتادة عنه * وقال ابن المديني في العلل روى قتادة حديثا غريبا لا نحفظه عن أحد من أصحاب قتادة الا من حديث هشام فنسخته من كتاب ابنه معاذ بن هشام ولم أسمعه منه عن أبيه عن قتادة حدثني أبو حسان عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة ما أقام بمنى الحديث وأتى صلى الله عليه وسلم زمزم وبنو عبد المطلب يسقون عليها فقال انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه * وفي رواية ابن عباس فشرب وهو قائم * وفي رواية فحلف عكرمة ما كان يومئذ الا على بعير لكن لم يعين فيها حجة الوداع ولا غيرها انما التعيين في رواية جابر عند مسلم * واختلف أين صلى صلى الله عليه وسلم الظهر يومئذ ففي رواية جابر عند مسلم أنه صلى الله عليه وسلم صلى بمكة وكذلك قالت عائشة وفي حديث ابن عمر في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى فرجح ابن حزم في كتاب حجة الوداع له قول عائشة وجابر وتبعه على ذلك جماعة لانهما اثنان وهما أولى من الواحد ولان عائشة أخص الناس به ولها من القرب والاختصاص ما ليس لغيرها ولان سياق جابر لحجته صلى الله عليه وسلم من أولها الى آخرها أتم سياق وأحفظ للقصة وضبطها حتى ضبط جزئياتها حتى أقر منها ما لا يتعلق بالمناسك وهو نزوله عليه الصلاة والسلام في الطريق فبال عند الشعب وتوضأ وضوءا خفيفا فمن ضبط هذا

القدر فهو أضبط لمكان صلاته الظهر يوم النحر أولى وأيضا فإن حجة الوداع كانت في آذار وهو تساوي الليل والنهار وقد دفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس إلى منى وخطب بها الناس ونحر بدنه وقسمها وطبخ له من لحمها وأكل منه ورمى الجمرة وحلق رأسه وتطيب ثم أفاض فطاف وشرب من ماء زمزم ووقف عليهم وهم يسقون وهذه أعمال يظهر منها أنها لا تنقضي في مقدار يمكن معه الرجوع إلى منى بحيث يدرك الظهر في فصل آذار * ورجحت طائفة أخرى قول ابن عمر بأنه لا يحفظ عنه في حجته صلى الله عليه وسلم أنه صلى الفرض بجوف مكة بل إنما كان يصلي بمنزله بالمسلمين مدة مقامه وبأن حديث ابن عمر متفق عليه وحديث جابر من أفراد مسلم فحديث ابن عمر أصح منه فإن رواته أحفظ وأشهر وبأن حديث عائشة قد اضطرب في وقت طوافه فروي عنها أنه طاف نهارا * وفي رواية عنها أنه أخر الطواف إلى الليل وفي رواية عنها أنه أفاض من آخر يومه فلم تضبط فيه وقت الإفاضة ولا مكان الصلاة وأيضا فإن حديث ابن عمر أصح منه بلا نزاع لأن حديث عائشة من رواية محمد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن القاسم وابن إسحاق مختلف في الاحتجاج به ولم يصرح بالسماع بل عنعنه فلا يقدم على حديث عبد الله بن عمر انتهى * ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى منى فمكث بها ليالي أيام التشريق يرمي الجمرة إذا زالت الشمس كل جمرة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف عند الأولى والثانية فيطيل القيام ويتضرع ويرمي الثالثة فلا يقف عندها رواه أبو داود من حديث عائشة * وعن ابن عمر عند الترمذي كان صلى الله عليه وسلم إذا رمى الجمار مشى إليها ذاهبا وراجعا * وفي رواية أبي داود وكان يستقبل القبلة في الجمرتين الدنيا والوسطى ويرمي جمرة العقبة من بطن الوادي الحديث واستأذنه صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل السقاية فأذن له رواه البخاري ومسلم من رواية ابن عمر * وفي رواية الإسماعيلي رخص للعباس أن يبيت بمكة ليالي منى من أجل سقايته وفيه دليل على وجوب المبيت بمنى وأنه من مناسك الحج لأن التعبير بالرخصة يقتضي أن مقابلها العزيمة وأن الإذن وقع للعلة المذكورة وإذا لم توجد أو ما في معناها لم يحصل الإذن وبالوجوب قال الجمهور * وفي قول للشافعي وهو رواية عن أحمد وهو مذهب الحنفية أنه سنة ووجوب الدم بتركه مبني على هذا الخلاف ولا يحصل المبيت إلا بأعظم الليل وهل يختص الإذن بالسقاية وبالعباس الصحيح العموم والعلة في ذلك إعداد الماء للشاربين * وجزم الشافعي بالحاق

من له مال يخاف ضياعه أو أمر يخاف فوته أو مريض يتعهده بأهل السقاية كما جزم الجمهور بالحاق الرعاء خاصة وهو قول أحمد قالوا ومن ترك المبيت بغير عذر وجب عليه دم عن كل ليلة ثم أفاض صلى الله عليه وسلم بعد الظهر يوم الثلاثاء بعد ان أكمل رمى أيام التشريق ولم يتعجل فى يومين الى المحصب وهو الابطح وحده ما بين الجبلين الى المقبرة وهو خيف بنى كنانة فوجد أبا رافع قد ضرب قبته هناك وكان على ثقله قال أبو رافع لم يأمرنى صلى الله عليه وسلم ان أنزل الابطح حين خرج من منى ولكنى جئت فضربت فيه قبته فجاء فنزل رواه مسلم * وفيه وفى البخارى عن أنس أنه عليه الصلاة والسلام صلى الظهر والعصر يوم النفر بالابطح وفيهما من حديث أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال من الغد يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا خيف بنى كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعنى بذلك المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبنى عبد المطلب أن لا ينا كحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبى صلى الله عليه وسلم * وعن ابن عباس ليس التحصيب بشئ انما هو منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ليس التحصيب من أمر المناسك الذى يلزم فعله لكن لما نزل به صلى الله عليه وسلم كان النزول به مستحبا اتباعا له لتقريره على ذلك وقد فعله الخلفاء بعده كما فى مسلم * وعن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة بالمحصب ثم ركب الى البيت فطاف به رواه البخارى وهذا هو طواف الوداع ومذهب الشافعى أنه واجب يلزم بتركه دم على الصحيح وهو قول أكثر العلماء وقال مالك وداود هو سنة لا شئ بتركه واختلف فى المرأة اذا حاضت بعد ما طافت طواف الافاضة هل عليها طواف الوداع أم لا وكان ابن عباس يرخص لها ان تنفر اذا أفاضت وكان ابن عمر يقول فى أول أمره انها لا تنفر ثم قال فى آخر أمره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لهن رواه الشيخان وعن عائشة ان صفية بنت حيى حاضت بعد أن أفاضت قال فلا اذا ومعنى أحابستنا أى أمانعتنا من التوجه من مكة فى الوقت الذى أردنا التوجه فيه ظنا منه صلى الله عليه وسلم انها ما طافت طواف الافاضة وانما قال ذلك لانه كان لا يتركها ويتوجه ولا يأمرها بالتوجه معه وهى باقية على احرامها فيحتاج الى أن يقيم حتى تطهر وتطوف وتحل الحل الثانى * وفى رواية فحاضت صفية فأراد النبى صلى الله عليه وسلم منها ما يريد الرجل من أهله فقلت يا رسول الله انها حائض قال أحابستنا هى الحديث وهذا مشكل لانه صلى الله عليه وسلم ان كان علم أنها طافت طواف الافاضة

فكيف يقول أحابستنا هي وان كان ما علم فكيف يريد وفاتها قبل الفعال الثاني ويجاب عنه بأنه صلى الله عليه وسلم ما أراد ذلك منها الا بعد ان استأذنه نساؤه في طواف الافاضة فأذن لهن فكان بانيا على أنها قد حلت فلما قيل له انها حائض جوز أن يكون وقع لها قبل ذلك حتى منعها من طواف الافاضة فاستفهم عن ذلك فاعلمته عائشة أنها طافت معهن فزال ما خشيه من ذلك انتهى * وقالت عائشة يارسول الله تنطلقون بحج وعمرة وأنطلق بحج فأمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يخرج معها الى التنعيم فاعتمرت بعد الحج رواه الشيخان * وفي رواية لمسلم أنها وقفت المواقف كلها حتى اذا طهرت طافت بالكعبة والصفا والمروة ثم قال لها يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حللت من حجتك وعمرتك جميعا فقالت يارسول الله اني أجد في نفسي اني لم أطف بالبيت حين حججت قال فاذهب بها ياعبد الرحمن فأعمرها من التنعيم وذلك ليلة الحصبة زاد في رواية وكان صلى الله عليه وسلم رجلا سهلا اذا هويت الشيء تابعها عليه وقد كانت عائشة قارنة لانها كانت أهلت بالعمرة فحاضت فأمرها فادخلت عليها الحج وصارت قارنة وأخبرها أن طوافها بالبيت وبين الصفا والمروة قد وقع عن حجها وعمرتها فوجدت في نفسها أن يرجع صواحباتها بحج وعمرة مستقلين فانهن كن متمتعات ولم يحضن ولم يقرن وترجع هي بعمرة في ضمن حجتها فأمر أخاها ان يعمرها من التنعيم تطييبا لقلبها * ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة فخرج من كدا بضم الكاف مقصور وهي عند باب شبيكة بقرب شعب الشاميين من ناحية قعيقعان واختلف في المعنى الذي لاجله خالف صلى الله عليه وسلم بين طريقيه فقيل ليتبرك به كل من في طريقه وقيل الحكمة في ذلك المناسبة لجهة العلو عند الدخول لما فيه من تعظيم المكان وعكسه الاشارة الى فراقه وقيل لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما دخل مكة دخل منها وقيل غير ذلك * وفي صحيح مسلم وغيره من حديث ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم لقي ركبا بالروحاء فقال من القوم فقالوا المسلمون يارسول الله فرفعت امرأة صبيا لها في محفة فقالت يارسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر * ولما وصل صلى الله عليه وسلم لذي الحليفة بات بها قال بعضهم ان نزوله لم يكن قصدا وانما كان اتفاقا حكاه القاضي اسمعيل في احكامه عن محمد بن الحسن وتعقبه والصحيح انه كان قصدا لئلا يدخل المدينة ليلا فلما رأى المدينة كبر ثلاثا وقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون لربنا عابدون ساجدون لربنا حامدون

صدق الله وحده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده * ثم دخل المدينة نهارا من طريق المعرس بفتح الراء المشددة وبالمهملتين وهو مكان معروف فكل من المعرس والشجرة التي بات بها صلى الله عليه وسلم في ذهابه الى مكة على ستة أميال من المدينة انتهى ملخصا من فتح الباري وغيره والله أعلم * وأما عمره صلى الله عليه وسلم فالعمرة في اللغة الزيارة ومذهب الشافعي وأحمد وغيرهما أنها واجبة كالحج والمشهور عن المالكية أنها تطوع وهو قول الحنفية وقد اعتمر صلى الله عليه وسلم أربع عمر في الصحيحين وسنن الترمذي وأبي داود عن قتادة قال سألت أنسا كم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حجة واحدة واعتمر أربع عمر عمرة في ذي القعدة وعمرة الحديبية وعمرة مع حجته وعمرة الجعرانة اذ قسم غنيمة حنين هذا لفظ رواية الترمذي وقال حسن صحيح * وفي رواية الصحيحين اعتمر أربع عمر كلهن في ذي القعدة الا التي مع حجته عمرة الحديبية أو زمن الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة في حجته * وعن محرش الكعبي أنه صلى الله عليه وسلم خرج من الجعرانة ليلا معتمرا فدخل مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج من ليلته فأصبح بالجعرانة كبايت فلما زالت الشمس من الغد خرج في بطن سرف حتى جاء مع الطريق طريق جمع ببطن سرف فمن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس رواه الترمذي وقال حسن غريب * وعن ابن عمر قال اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يحج رواه أبو داود * وعن عروة بن الزبير قال كنت أنا وابن عمر مستندين الى حجرة عائشة وانا لنسمع صوتها بالسواك تستن قال فقلت يا أبا عبد الرحمن اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب قال نعم فقلت لعائشة أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن قالت وما يقول قلت يقول اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم في رجب فقالت يغفر الله لابي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب وما اعتمر عمرة الا وانه لمعه قال عروة وابن عمر يسمع فما قال لا ولا نعم سكت * وفي رواية أبي داود عن عروة عن عائشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرتين في ذي القعدة وعمرة في شوال * وفي رواية له عن مجاهد قال سئل ابن عمر كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قال عمرتين فبلغ عائشة فقالت لقد علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع وقد ذكرت الاختلاف فيما كان عليه الصلاة والسلام محرما به في حجة الوداع والجمع بين ما اختلف فيه من ذلك والمشهور عن عائشة أنه عليه الصلاة والسلام كان

مفرد او حديثهما هذا يشعر بأنه كان قارنا وكذا ابن عمر قد انكر على أنس لكونه قال انه عليه الصلاة والسلام كان قارنا مع أن حديثه هذا المتقدم يدل على أنه كان قارنا لانه لم ينقل أنه عليه الصلاة والسلام اعتمر بعد حجته ولم يكن متمتعا لانه عليه الصلاة والسلام اعتذر عن ذلك بكونه ساق الهدى واحتاج بعضهم الى تأويل ماوقع عن عائشة وابن عمر هنا فقال انما يجوز نسبة العمرة الرابعة اليه صلى الله عليه وسلم باعتبار أنه أمر الناس بها وعملت بحضرته لا أنه صلى الله عليه وسلم اعتمرها بنفسه وأنت اذا تأملت ما تقدم من أقوال الائمة فى حجته صلى الله عليه وسلم من الجمع استغنيت عن هذا التأويل المتعسف قال بعض العلماء المحققين وفى عدهم عمرة الحديبية التى صد عنها صلى الله عليه وسلم مايدل على أنها عمرة تامة وفيه اشارة الى صحة قول الجمهور انه لايجب القضاء على من صد عن البيت خلافا للحنفية ولو كانت عمرة القضية بدلا عن عمرة الحديبية لكانتا واحدة وانما سميت عمرة القضية والقضاء لان النبى صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا فيها لا انها وقعت قضاء عن العمرة التى صد عنها اذ لو كان كذلك لكانت عمرة واحدة وأما حديث أبى داود عن عائشة أنه اعتمر فى شوال فان كان محفوظا فلعله يريد عمرة الجعرانة حين خرج فى شوال ولكن انما أحرم بها فى ذى القعدة وأنكر ابن القيم أن يكون صلى الله عليه وسلم اعتمر فى رمضان نعم قد أخرج الدارقطنى من طريق العلاء ابن زهير عن عبد الرحمن بن الاسود بن يزيد عن أبيه عن عائشة قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمرة رمضان فافطر وصمت وقصر وأتممت وقال ان اسناده حسن لكن يمكن حمله على أن قولها فى رمضان متعلق بقولها خرجت و يكون المراد سفر فتح مكة فانه كان فى رمضان واعتمر عليه الصلاة والسلام فى تلك السنة من الجعرانة لكن فى ذى القعدة كما تقدم وأما قول ابن القيم فى الهدى أيضا ولم يكن فى عمره صلى الله عليه وسلم عمرة واحدة خارجا من مكة كما يفعله كثير من الناس اليوم وانما كانت عمره كلها داخلا الى مكة * وقد أقام بمكة بعد الوحى ثلاث عشرة سنة لم ينقل عنه أحد أنه اعتمر خارجا من مكة فى تلك المدة أصلا فالعمرة التى فعلها وشرعها هى عمرة الداخل الى مكة لا عمرة من كان بها فيخرج الى الحل ليعتمر ولم يفعل هذا على عهده أحد قط الا عائشة وحدها انتهى فيقال عليه بعد ان فعلته عائشة بأمره فدل على مشروعيته * وروى الفاكهى وغيره من طريق محمد ابن سيرين قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لاهل مكة التنعيم ومن طريق عطاء قال من أراد العمرة ممن هو من أهل مكة

أوغيرها فليخرج الى التنعيم أو الى الجعرانة فليحرم منها فثبت بذلك ان ميقات العمرة الحل وان التنعيم وغيره فى ذلك سواء والله أعلم

(النوع السابع من عباداته عليه الصلاة والسلام فى ذكر نبذة من أدعيته وأذكاره وقراءته) اختلف هل الدعاء أفضل أم تركه والاستسلام للقضاء أفضل فقال الجمهور الدعاء أفضل وهو من أعظم العبادة ويؤيده ما أخرجه الترمذى من حديث أنس رفعه الدعاء مخ العبادة وقد تواترت الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم بالترغيب فى الدعاء والحث عليه وأخرج الترمذى وصححه ابن حبان والحاكم عنه صلى الله عليه وسلم من لم يسئل الله يغضب عليه وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انى لا أحمل هم الاجابة ولكن هم الدعاء فاذا أتممت الدعاء علمت أن الاجابة معه وفى هذا يقول القائل

لولم ترد نيل ما أرجو وآمله * من جود كفك ما عوّدتنى الطلبا

فانه سبحانه وتعالى يحب تذلل عبيده بين يديه وسؤالهم اياه وطلبهم حوائجهم منه وشكواهم منه اليه وعياذتهم به منه وفرارهم منه اليه كما قيل

قالوا أتشكوا اليه * ما ليس يخفى عليه
فقلت ربى يرضى * ذل العبيد لديه

وقالت طائفة الافضل ترك الدعاء والاستسلام للقضاء وأجابوا عن قوله تعالى وقال ربكم ادعونى أستجب لكم بأن آخرها دل على أن المراد بالدعاء هو العبادة * قال الشيخ السبكى الاولى حمل الدعاء فى الآية على ظاهره * وأما قوله بعد عن عبادتى فوجه الربط ان الدعاء أخص من العبادة فمن استكبر عن العبادة استكبر عن الدعاء وعلى هذا فالوعيد انما هو فى حق من ترك الدعاء استكبارا ومن فعل ذلك كفر وأما من تركه لمقصد من المقاصد فلا يتوجه اليه الوعيد المذكور وان كنا نرى أن ملازمة الدعاء والاستكثار منه أرجح من الترك لكثرة الادلة الواردة فيه * وقال القشيرى فى الرسالة اختلف أى الامرين أولى الدعاء أو السكوت والرضا فقيل الدعاء وهو الذى ينبغى ترجيحه لكثرة الادلة * ولما فيه من اظهار الخضوع والافتقار وقيل السكوت والرضى أولى لما فى التسليم من الفضل انتهى وشبهتهم ان الداعى لا يعرف ما قدر له فدعاؤه ان كان على وفق القدرة فهو تحصيل حاصل وان كان على خلاف ذلك فهو معاند وأجيب بأنه اذا اعتقد أنه لا يقع الا ما قدر الله تعالى كان اذعانا لا معاندة وفائدة الدعاء تحصيل الثواب بامتثال الامر ولاحتمال أن يكون المدعو به موقوفا على الدعاء لان الله تعالى خلق الاسباب

ومسبباتها

وسببا لها انتهى * وقد أرشد صلى الله عليه وسلم أمته لكيفية الدعاء فقال
اذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ليدع بما شاء رواه الترمذي من حديث فضالة بن عبيد وقال عليه الصلاة والسلام
في رجل يدعو أوجب ان ختم بآمين رواه أبو داود وقال لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي
ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ولكن ليعزم المسئلة فان الله لا مكره له رواه البخاري
وغيره ومعنى الامر بالعزم الجد فيه وان يجزم بوقوع مطلوبه ولا يعلق ذلك بمشيئة
الله تعالى وان كان مأمورا في جميع ما يريد فعله ان يعلقه بمشيئة الله تعالى وقيل
معنى العزم ان يحسن الظن بالله في الاجابة فانه يدعو كريما وقد قال ابن عيينة
لا يمنعن أحدكم الدعاء ما يعلم من نفسه يعني من التقصير فان الله تعالى قد أجاب
دعاء شر خلقه وهو ابليس حين قال أنظرني الى يوم يبعثون وقال عليه الصلاة
والسلام يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي رواه الشيخان
وغيرهما وكان عليه الصلاة والسلام يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك
رواه أبو داود من حديث عائشة والجوامع التي تجمع الاغراض الصالحة والمقاصد
الصحيحة أو تجمع الثناء على الله تعالى وآداب المسئلة وكان صلى الله عليه وسلم يقول
في دعائه اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي
وأصلح لي آخرتي التي اليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت
راحة لي من كل شر رواه مسلم من حديث أبي هريرة وكان يقول اللهم انفعني بما
علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما الحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل
النار رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وكان يقول اللهم متعني بسمعي وبصري
واجعلهما الوارث مني وانصرني على من ظلمني وخذ منه بثاري رواه الترمذي من
حديث أبي هريرة ايضا وكان أكثر دعائه ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار رواه الشيخان من حديث أنس وكان يقول رب أعني ولا
تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي واهدني وانصرني على من
بغى علي رب اجعلني لك شاكرا لك ذاكرا لك راهبا لك مطواعا لك مخبتا اليك أواها
منيبا رب تقبل توبتي واغسل حوبتي وأجب دعوتي وثبت حجتي وسدد لساني
واهد قلبي واسلل سخيمة صدري رواه الترمذي وكان يقول اللهم لك أسلمت وبك
آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت اللهم اني أعوذ بعزتك لا اله الا
أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا تموت والجن والانس يموتون رواه الشيخان عن
ابن عباس وكان يقول اللهم اني أسئلك الهدى والتقى والعفاف والغنى رواه مسلم

والترمذى من حديث ابن مسعود وكان يقول اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى
واسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفر لى جدى وهزلى وخطاءى وعمدى
وكل ذلك عندى اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت
أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شىء قدير رواه الشيخان من
حديث أبى موسى وكان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك رواه
الترمذى من حديث أم سلمة وكان يقول اللهم عافنى فى جسدى وعافنى فى سمعى
وبصرى واجعلهما الوارث منى لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش
العظيم والحمد لله رب العالمين رواه الترمذى وكان يقول اللهم اغسل خطاياى بماء
الثلج والبرد ونق قلبى من الخطاياى كما نقيت الثوب الابيض من الدنس رواه
النساءى وكان يقول اللهم انى أسئلك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين
واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون رواه مالك فى الموطأ وكان يدعو
اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين
واغننى من الفقر وأمتعنى بسمعى وبصرى وقوتى وتوفنى فى سبيلك رواه فى الموطأ
وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ فيقول اللهم انى أعوذبك من العجز والكسل
والجبن والهرم والبخل وأعوذبك من عذاب القبر وأعوذبك من فتنة المحيا
والممات رواه الشيخان من حديث أنس وفى رواية أبى داود اللهم انى أعوذبك من
الهم والحزن وضلع الدين وغلبة الرجال وكان يقول اللهم انى أعوذبك من
الجذام والبرص والجنون ومن سيء الاسقام رواه أبو داود والنساءى من حديث
أنس وكان يقول اللهم انى أعوذبك من شر ما عملت ومن شر ما لم أعلم رواه مسلم من
حديث عائشة وكان يقول اللهم انى أعوذبك من قلب لا يخشع ومن دعاء لا يسمع
ومن نفس لا تشبع ومن علم لا ينفع أعوذبك من هؤلاء الاربع رواه الترمذى
والنساءى من حديث ابن عمرو بن العاص وكان يقول اللهم انى أعوذبك من
زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك رواه مسلم وأبو داود
من حديث ابن عمرو بن العاصى أيضا وكان يقول اللهم انى أعوذبك من الفقر
والقلة والذلة وأعوذبك من أن أظلم أو أظلم رواه أبو داود من حديث أبى هريرة وكان
يقول اللهم انى أعوذبك من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق رواه أبو داود من
حديث أبى هريرة أيضا وكان يقول اللهم انى أعوذبك من الجوع فانه بئس
الضجيع وأعوذبك من الخيانة فانها بئست البطانة رواه أبو داود والنساءى من
حديث أبى هريرة أيضا وكان يقول اللهم انى أعوذبك من غلبة الدين وغلبة العدو

وشماتة الاعداء رواه النسائى وكان يقول اللهم انى أعوذبك من الهدم وأعوذبك من التردّى ومن الغرق والحرق والهرم وأعوذبك من أن يتخبطنى الشيطان عند الموت وأعوذبك ان أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذبك من أن أموت لديغا رواه أبو داود والنسائى من حديث أبى اليسر وكان يتعوّذ من عين الجن والانس فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك رواه النسائى وكان اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذبك من شرورهم رواه أبو داود وكان يعوذ الحسن والحسين ويقول ان أباكما كان يعوّذ بها اسماعيل واسحاق أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة رواه البخارى والترمذى وقد استشكل صدور هذه الادعية ونحوها منه صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ووجوب عصمته وأجيب بأنه امتثل ما أمر الله به من تسبيحه وسؤاله المغفرة فى قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ويحتمل أن يكون قاله على سبيل التواضع والاستكانة والخضوع والشكر لربه تعالى لما علم انه قد غفرله ويحتمل أن يكون سؤله ذلك لامته أولاتشريع والله أعلم وكان عليه الصلاة والسلام عند الكرب وهو ما يدهم على الانسان مما يأخذ بنفسه ويحزنه ويغمه يدعو لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا رب السموات والارضين رب العرش العظيم رواه البخارى * وفى رواية لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم لا اله الا الله رب السموات والارضين ورب العرش الكريم قال الطيبى صدّر هذا الثناء بذكر الرب ليناسب كشف الكرب لانه مقتضى التربية ومنه التهليل المشتمل على التوحيد وهذا أصل التنزيهات الجلالية والعظمة التى تدل على تمام القدرة والحلم الذى يدل على العلم اذ الجاهل لا يتصوّر منه حلم ولا كرم وهما أصل الاوصاف الاكرامية انتهى وكان عليه الصلاة والسلام اذا همه أمر رفع رأسه الى السماء وقال سبحان الله العظيم رواه الترمذى من حديث أبى هريرة فان قلت هذا ذكر ليس فيه دعاء فالجواب ان التعرض للطلب تارة يكون بذكر أوصاف العبد من فقره وحاجته وتارة بذكر أوصاف السيد من وحدانيته والثناء عليه وقد قال أمية ابن أبى الصلت فى مدح عبد الله ابن جدعان

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك ان شيمتك الحياء
اذا أثنى عليك المرء يوما * كفاه من تعرضك الثناء

قال سفيان الثورى فهذا مخلوق حين نسب الى الكرم اكتفى بالثناء فكيف

بالخالق أو كان عليه الصلاة والسلام اذا أكربه أمر قال يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث رواه أبوداود من حديث أنس وقال عليه الصلاة والسلام ما كربني أمر الا تمثل لي جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا رواه الطبراني عن أبي هريرة وتقدم في المقصد الثامن مزيد لذلك وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الضالة اللهم رب الضالة وهادي الضالة أنت تهدي من الضلالة اردد على ضالتي بعزتك وسلطانك فانها من عطائك وفضلك رواه الطبراني في الصغير من حديث ابن عمر وكان صلى الله عليه وسلم يدعو هكذا بباطن كفيه وظاهرهما رواه أبوداود عن أنس وقال أبوموسى الاشعري كما عند البخاري دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه وعنده أيضا من حديث ابن عمر رفع صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد لكن في حديث أنس لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في شيء من دعائه الا في الاستسقاء وهو حديث صحيح ويجمع بينه وبين ما تقدم بأن الرفع في الاستسقاء يخالف غيره اما بالمبالغة الى أن تصير اليدان في حذو الوجه مثلا وفي الدعاء الى حذو المنكبين ولا يعكر على ذلك أنه ثبت في كل منهما حتى يرى بياض ابطيه بل يجمع بأن تكون رؤية البياض في الاستسقاء أبلغ منها في غيره واما ان الكفين في الاستسقاء يليان الارض وفي الدعاء يليان السماء قال الحافظ عبد العظيم المنذري وبتقدير عدم الجمع فجانب الاثبات أرجح انتهى وروى الامام أحمد والحاكم وأبوداود أنه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه اذا دعا حذو منكبيه وفي رواية ابن ماجه وبسطهما وهذا يقتضي أن تكونا متفرقتين مبسوطتين لا كهيئة الاغتراف قال الحافظ ابن حجر غالب الاحاديث التي وردت في رفع اليدين في الدعاء انما المراد بها مد اليدين وبسطهما عند الدعاء وروى ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف وهل يمسح بهما وجهه أما في القنوت في الصلاة فالاصح لا لعدم وروده فيه قال البيهقي لا أحفظ فيه عن أحد من السلف شيأ وان روي عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة وقد روي فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر ضعيف مستعمل عند بعضهم في الدعاء خارجها فأما فيها فعمل لم يثبت فيه خبر ولا أثر ولا قياس والاولى أن لا يفعله * وقد دعا صلى الله عليه وسلم لانس فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما أعطيته رواه البخاري وفي الادب

المفرد

المفرد له عن أنس قال قالت أم سليم وهي أم أنس خويدمك ألا تدعو له فقال اللهم أكثر ماله وولده وأطل حياته واغفر له وفي الصحيح أن أنسا كان في الهجرة ابن تسع سنين وكانت وفاته سنة احدى وتسعين فيما قيل وقيل سنة ثلاث وله مائة وثلاث سنين قاله خليفة وهو المعتمد وأكثر ما قيل في سنه أنه بلغ مائة سنة وسبع سنين وأقل ما قيل فيه بلغ تسعا وتسعين سنة وأما كثرة ولده فروى مسلم قال أنس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون على نحو المائة اليوم وورد في حديث رواه الشيخان أن أنسا قال أخبرتني ابنتي أمينة بضم الهمزة وفتح الميم وسكون المثناة التحتية بعدها نون أنه دفن من صلبي الى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرون وقال ابن قتيبة في المعارف كان بالبصرة ثلاث ما ماتوا حتى رأى كل واحد منهم من ولده مائة ذكر لصلبه أبو بكرة وأنس وخليفة بن بدر وزاد غيره رابعا وهو المهلب بن أبي صفرة وأخرج ابن سعد عن أنس قال دعا لي النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره واغفر له فقد دفنت من صلبي مائة واثنين وان ثمرتي لتحمل في السنة مرتين ولقد بقيت حتى سئمت الحياة وأرجو الرابعة وأخرج الترمذي عن أبي العالية في ذكر أنس وكان له بستان يؤتى في كل سنة الفاكهة مرتين وكان فيه ريحان تفوح منه رائحة المسك ورجاله ثقات

* ودعا عليه الصلاة والسلام لمالك بن ربيعة السلولي أن يبارك له في ولده فولد له ثمانون ذكرا رواه ابن عساكر وأرسل عليه الصلاة والسلام الى على يوم خيبر وكان أرمد فتفل في عينيه وقال اللهم اذهب عنه الحر والبرد قال فما وجدت حرا ولا بردا منذ ذلك اليوم ولا رمدت عيناي وبعث صلى الله عليه وسلم عليا الى اليمن قاضيا فقال يارسول الله لا علم لي بالقضاء فقال ادن مني فدنا منه فضرب بيده على صدره وقال اللهم اهد قلبه وثبت لسانه قال على فوالله ما شككت في قضاء بين اثنين رواه أبو داود وغيره وعاد صلى الله عليه وسلم عليا من مرض فقال اللهم اشفه اللهم عافه ثم قال قم قال على فما عاد لي ذلك الوجع بعد رواه الحاكم وصححه والبيهقي وأبو نعيم ومرض أبو طالب فعاده النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي ادع ربك الذي تعبد أن يعافيني فقال اللهم اشف عمي فقام أبو طالب كأنما نشط من عقال فقال يا ابن أخي ان ربك الذي تعبد ليطيعك فقال وأنت يا عماه لئن أطعت الله ليطيعنك رواه ابن عدي والبيهقي وأبو نعيم من حديث أنس وتفرد به الهيثمي وهو ضعيف ودعا عليه الصلاة والسلام لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل رواه البغوي وابن سعد

وفي البخاري اللهم علمه الكتاب فكان عالما بالكتاب حبر الأمة بحر العلم رئيس المفسرين ترجمان القرآن وكونه في الدرجة العليا والمحل الاقصى لا يخفى وقال للنابغة الجعدي لما قال

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في حكم اذا لم يكن له * حكيم اذا ما أورد الامر أصدرا

لا يفضض الله فاك أي لا يسقط الله اسنانك وتقديره لا يسقط الله اسنان فيك فحذف المضاف قال فأتى عليه أكثر من مائة سنة وكان من أحسن الناس ثغرا رواه البيهقي وقال فيه فلقد رأيته ولقد أتى عليه نيف ومائة سنة وما ذهب له سن وفي رواية ابن أبي أسامة وكان من أحسن الناس ثغرا واذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعند ابن السكن فرأيت اسنان النابغة أبيض من البرد لدعوته صلى الله عليه وسلم * وسقاه عليه الصلاة والسلام عمرو بن أخطب ماء في قدح قوارير فرأى فيه شعرة بيضاء فأخذها فقال اللهم جمله فبلغ ثلاثا وتسعين سنة وما في لحيته ورأسه شعرة بيضاء رواه الامام أحمد من طريق أبي نهيك قال أبو نهيك فرأيته ابن أربع وتسعين سنة وليس في لحيته شعرة بيضاء وصححه ابن حبان والحاكم وأخرج البيهقي عن أنس أن يهوديا أخذ من لحية النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم جمله فاسودت لحيته بعد أن كانت بيضاء وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال حلب يهودي للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة فقال اللهم جمله فاسود شعره حتى صار أشد سوادا من كذا وكذا قال معمر وسمعت غير قتادة يذكر أنه عاش تسعين سنة فلم يشب أخرجه ابن أبي شيبة وأبو داود في المراسيل والبيهقي وقال مرسل شاهد لما قبله وقال عليه الصلاة والسلام لابن الحمق الخزاعي وقد سقاه عليه الصلاة والسلام اللهم متعه بشبابه فمرت عليه ثمانون سنة ولم ير شعرة بيضاء رواه أبو نعيم وغيره وجاءته فاطمة وقد علاها الصفرة من الجوع فنظر اليها صلى الله عليه وسلم ووضع يده على صدرها ثم قال اللهم مشبع الجاعة لا تجع فاطمة بنت محمد قال عمران بن حصين فنظرت اليها وقد علاها الدم على الصفرة في وجهها ولقيتها بعد فقالت ما جعت يا عمران ذكره يعقوب بن سليمان الاسفرايني في دلائل الاعجاز ودعا عليه الصلاة والسلام لعروة ابن الجعد البارقي فقال اللهم بارك له في صفقة يمينه قال فما اشتريت شيأ قط الا ربحت فيه وقال لجرير وكان لا يثبت على الخيل وضرب في صدره اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا قال فما وقعت عن فرسي بعد وقال لسعد بن أبي وقاص اللهم أجب دعوته فكان مجاب الدعوة رواه البيهقي والطبراني

في الاوسط ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة رواه الشيخان عن أنس زاد البيهقي من وجه آخر قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا لرجوت ان أصيب تحته ذهبا أو فضة الحديث قال القاضي عياض وقد فتح الله عليه ومات فحفر الذهب في تركته بالفؤس حتى مجلت فيه الايدي وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرض موته على ثمانين ألفا وأوصى بخمسين ألفا بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها وذكر الطبري مما عزاه لصفوة عن الزهري انه تصدق بشطر ماله أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله وكان عامة ماله من التجارة ودعا على مضر فأقحطوا حتى أكلوا العلهز وهو الدم بالوبر حتى استعطفته قريش ولما تلى عليه الصلاة والسلام والنجم اذا هوى قال عتيبة بن أبي لهب كفرت برب النجم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فخرج عتيبة مع أصحابه في عير الى الشام حتى اذا كانوا بالشام زأر أسد فجعلت فرائصه ترعد فقيل له من أي شيء ترعد فوالله ما نحن وأنت في هذا الاسواء فقال ان محمدا دعا على ولا والله ما أظلت هذه السماء من ذي لهجة أصدق من محمد ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه حتى جاء النوم فأحاطوا به وأحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا فجاء الاسد يستنشق رؤسهم رجلا رجلا حتى انتهى اليه فضغمه ضغمة وهو يقول ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس ومات ذكره يعقوب الاسفرايني وتقدم في ذكر أولاده عليه الصلاة والسلام تتمة بنحو هذه * وعن مازن الطائي وكان بأرض عمان قلت يارسول الله اني امرء مولع بالطرب وشرب الخمر والنساء وألحت علينا السنون فاذهبن الاموال وأهزلن الذراري والرجال وليس لي ولد فادع الله ان يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحياء ويهب لي ولدا فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وأته بالحياء وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عني كلما كنت أجد وأخصبت عمان وتزوجت أربع حرائر ووهب الله لي حيان بن مازن رواه البيهقي * ولما نزل صلى الله عليه وسلم بتبوك صلى الى نخلة فمر رجل بينه وبينها فقال صلى الله عليه وسلم قطع صلاتنا قطع الله أثره فأقعد فلم يقم رواه أبو داود والبيهقي لكن سنده ضعيف وأكل رجل عنده بشماله فقال كل بيمينك قال لا أستطيع قال لا استطعت

فارفعها الى فيه فبعد دوالرجل بسر بضم الموحدة وسكون المهملة ابن راعي العير بفتح المهملة وسكون المثناة التحتية رطلب عليه الصلاة والسلام معاوية فقيل له انه يأكل فقال في الثانية لا أشبع الله بطنه فما شبع بطنه أبدا رواه البيهقي من حديث ابن عباس وكان معاوية رديفه يوما فقال يا معاوية ما يليني منك قال بطني قال اللهم املأه علما وحلما رواه البخاري في تاريخه وقال لابي ثروان اللهم أطل شقاه وبقاه فادرك شيخا كبيرا شقيا يتمنى الموت ✽ وكم له صلى الله عليه وسلم من دعوات مستجابات وقد أفرد القاضي عياض بابا في الشفاء ذكر فيه طرفا منها وكذا الامام يوسف بن يعقوب الاسفرايني في كتابه دلائل الاعجاز فكم أجابه الله تعالى الى مسئوله واجناه من شجرة دعائه ثمرة سوله وأما حديث أبي هريرة عند البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها فأريد أن أختبي دعوتي شفاعة لامتي في الآخرة فقد استشكل ظاهره بما ذكرته وبما وقع لنبينا ولكثير من الانبياء صلى الله عليهم وسلم من الدعوات المجابة فان ظاهره ان لكل نبي دعوة مجابة فقط وأجيب بأن المراد بالاجابة في الدعوة المذكورة القطع بها وما عدا ذلك من دعوتهم فهم على رجاء الاجابة وقيل معنى قوله لكل نبي دعوة أي أفضل دعواته ولهم دعوات أخرى وقيل لكل منهم دعوة عامة مستجابة في أمته اما باهلاكهم واما بنجاتهم واما الدعوات الخاصة فنها ما يستجاب ومنها ما لا يستجاب وقيل لكل نبي منهم دعوة تخصه لدنياه أو لنفسه كقول نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقول زكريا فهب لي من لدنك وليا يرثني وقول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وأما قول الكرماني في شرحه على البخاري فان قلت هل جاز ان لا يستجاب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم قلت لكل نبي دعوة مستجابة واجابة الباقي في مشيئة الله تعالى فقال العيني هذا السؤال لا يعجبني فان فيه بشاعة وأنا لا أشك ان جميع دعوات النبي صلى الله عليه وسلم مستجابة وقوله لكل نبي دعوة مستجابة لا ينفي ذلك لانه ليس بمحصور انتهى ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم دعا بشيء فلم يستجب وفي هذا الحديث بيان فضيلة نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء حيث آثر أمته على نفسه وأهل بيته بدعوته المجابة ولم يجعلها دعاء عليهم بالهلاك كما وقع لغيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وظاهر الحديث يقتضي أنه عليه الصلاة والسلام أخر الدعاء والشفاعة ليوم القيامة فذلك اليوم يدعو ويشفع ويحتمل أن يكون المؤخر ليوم القيامة ثمرة تلك الدعوة ومنفعتها وأما طلبها فحصل من

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا كما صاحب مزيد الفتح * وقد أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بالترقي في مراتب التوحيد بقوله فاعلم انه لا اله الا الله فانه ليس أمرا بتحصيل ذلك العلم لانه عالم بذلك ولا بالثبات لانه معصوم فتعين ان يكون للترقي في مراتبه ومقاماته اشارة الى أن العلم به تعالى والسير اليه لانهاية له أبدا فجميع العلوم الحقيقية والمعارف اليقينية في العالم منتظم في سلك تحقيقها وستثمر من أفنان طواياها ولذا اكتفى بعلمها له صلى الله عليه وسلم في الآية فالشأن كله في تصحيح التوحيد وتجريده وتكميله وقد قال تعالى له عليه الصلاة والسلام واذكر اسم ربك وقال واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة لانه لابد في أول السلوك من الذكر باللسان مدة ثم يزول الاسم ويبقى المسمى فالدرجة الاولى هي المرادة بقوله واذكر اسم ربك والمرتبة الثانية هي المرادة بقوله واذكر ربك وفي استيفاء مباحث ذلك طول يخرج عن الغرض وقد تقدم جملة من اذكاره عليه الصلاة والسلام مفرقة في الوضوء والصلاة والحج وغير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله ويتوب اليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة كما رواه عنه أبو هريرة عند البخاري وظاهره أنه يطلب المغفرة ويعزم على التوبة ويحتمل أن يكون المراد أنه صلى الله عليه وسلم يقول هذا اللفظ بعينه ويرجح الثاني ما أخرجه النسائي بسند جيد من طريق مجاهد عن ابن عمر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة وله من رواية محمد بن سوقة عن نافع عن ابن عمر بلفظ ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس رب اغفر لي وتب علي انك أنت التواب الغفور مائة مرة ويحتمل ان يريد بقوله في حديث أبي هريرة أكثر من سبعين مرة المبالغة ويحتمل أن يريد العدد بعينه ولفظ أكثر مبهم فيمكن أن يفسر بحديث ابن عمر المذكور وانه يبلغ المائة وقد وقع في طريق أخرى عن أبي هريرة من رواية معمر عن الزهري بلفظ اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة لكن خالف أصحاب الزهري في ذلك معمر * وأخرج النسائي أيضا من رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة بلفظ اني لاستغفر الله وأتوب اليه كل يوم مائة مرة * وأخرج النسائي أيضا من طريق عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الناس فقال يا أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة واستغفاره عليه الصلاة والسلام تشريع لامته أو من ذنوبهم وقيل غير ذلك وتقدم ما ينتظم في سلك ذلك فان قلت ما كيفية استغفاره عليه الصلاة والسلام فالجواب

أنه ورد في حديث شداد بن أوس عند البخاري رفعه سيد الاستغفار أن تقول اللهم
أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت
أعوذ بك من شر ما صنعت وأبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر
الذنوب إلا أنت قال من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو
من أهل الجنة ومن قالها من الليل موقنا بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة
فتعين أن هذه الكيفية هي الافضل وهو صلى الله عليه وسلم لا يترك الافضل
* وأما قراءته عليه الصلاة والسلام وصفتها فكانت مدا يمد ببسم الله ويمد
بالرحمن ويمد بالرحيم رواه البخاري عن أنس ونعتتها أم سلمة قراءة مفسرة حرفا حرفا
رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقالت أيضا كان عليه الصلاة والسلام
يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف ثم يقول الرحمن الرحيم ثم يقف رواه
الترمذي وقالت حفصة كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها رواه
مسلم وقال البراء كان يقرأ في العشاء والتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا
أو قراءة منه صلى الله عليه وسلم رواه الشيخان فقد كانت قراءته عليه الصلاة
والسلام ترتيلا لا هذا ولا عجلة بل قراءة مفسرة حرفا حرفا وكان يقطع قراءته آية آية
وكان يمد عند حروف المد وكان يتغنى بقراءته ويرجع صوته بها أحيانا كما رجع
يوم الفتح في قراءة انا فتحنا لك فتحا مبينا وحكى عبد الله بن مغفل ترجيعه آآ ثلاث
مرات ذكره البخاري وإذا جمعت هذا الحديث الى قوله زينوا القرآن بأصواتكم
وقوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقوله ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي حسن
الصوت يتغنى بالقرآن أي ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن أي يتلوه
يجهر به يقال منه أذن يأذن أذنا بالتحريك علمت أن هذا الترجيع منه عليه
الصلاة والسلام كان اختيارا لا اضطرارا لهز الناقة له فان هذا لو كان لاجل هز الناقة
لما كان داخلا تحت الاختيار فلم يكن عبد الله بن مغفل يحكيه ويفعله اختيارا
ليتأسى به وهو يرى هذا من هز الراحلة له حتى ينقطع صوته ثم يقول كان يرجع
في قراءته فينسب الترجيع الى فعله ولو كان من هز الراحلة لم يكن فعله فعلا يسمى
ترجيعا وقد استمع عليه الصلاة والسلام ليلة لقراءة أبي موسى الاشعري فلما
أخبره بذلك قال لو كنت أعلم انك تسمعه لحبرته لك تحبيرا أي حسنته وزينته بصوتي
تزيينا وهذا الحديث يرد على من قال ان قوله زينوا القرآن بأصواتكم من باب
القلب أي زينوا أصواتكم بالقرآن فان القلب لا وجه له قال ابن الاثير ويؤيد
ذلك تأييد الاشبهة فيه حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

لكل شيء حلية وحلية القرآن حسن الصوت والله أعلم * وقد اختلف العلماء في هذه المسئلة اختلافا كثيرا يطول ذكره وفصل النزاع في ذلك أن يقال ان التطريب والتغني على وجهين أحدهما ما اقتضته الطبيعة وسمحت به من غير تكلف ولا تمرين وتعليم بل اذا خلا في ذلك وطبعه واسترسلت طبيعته جاءت بذلك التطريب والتلحين فهذا جائز وان اعانته طبيعته على فضل تزيين وتحسين كما قال أبو موسى للنبي صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا والحزين ومن هاجه الطرب والحب والشوق لا يملك من نفسه دفع التحزين والتطريب في القراءة ولكن النفوس تقبله وتستحليه وتستحليه لموافقة الطبع وعدم التكلف والتصنع فهو مطبوع لا متطبع وكلف لا متكلف فهذا هو الذي كان السلف يفعلونه ويسمعونه وهو التغني المحمود الذي يتأثر به التالي والسامع والوجه الثاني ما كان من ذلك صناعة من الصنائع ليس في الطباع السماحة به بل لا يحصل الا بتكلف وتصنع وتمرن كما تتعلم أصوات الغناء بأنواع الالحان البسيطة والمركبة على ايقاعات مخصوصة وأوزان مخترعة لا تحصل الا بالتعلم والتكلف فهذه هي التي كرهها السلف وعابوها وأنكروا القراءة بها وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويتبين الصواب من غيره وكل من له علم بأحوال السلف يعلم قطعا أنهم برآء من القراءة بالحان الموسيقى المتكلفة التي هي على ايقاعات وحركات موزونة معدودة محدودة وانهم اتقى لله من أن يقرؤا بها ويسوغوها ويعلم قطعا انهم كانوا يقرؤن بالتحزين والتطريب ويحسنون أصواتهم بالقراءة ويقرؤنه بشجا تارة وبطرب تارة أخرى وهذا أمر في الطباع ولم ينه عنه الشارع مع شدة تقاضي الطباع له بل أرشد اليه وندب اليه صلى الله عليه وسلم وأخبر عن استماع الله لمن قرأ به وقال ليس منا من لم يتغن بالقرآن وليس المراد الاستغناء به عن غيره كما ظنه بعضهم ولو كان كذلك لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى والمعروف في كلام العرب ان التغني انما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع قال الشاعر

تغن بالشعر اذا ما كنت قائله * ان الغناء لهذا الشعر مضمار

وروى ابن أبي شيبة عن عقبة بن عامر مرفوعا تعلموا القرآن وتغنوا به واكتبوه الحديث والله أعلم وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم سمع أبا موسى الاشعري يقرأ فقال لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود يعني من مزامير داود نفسه كما ذكره أهل المعاني * وفي طريق آخر كما تقدم أن أبا موسى قال يارسول الله لو علمت

أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا قال ابن المنير فهذا يدل على أنه كان يستطيع أن يتلو أشجى من المزامير عند المبالغة في التحبير لأنه قد قلل امثالها وما بلغ الحد وكيف لو بلغ حد استطاعته وقد كان داود عليه الصلاة والسلام اذا أراد أن يتكلم على بني اسرائيل يجوع سبعة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يأتي النساء ثم يأمر سليمان فينادي في الضواحي والنواحي والآكام والاودية والجبال ان داود يجلس يوم كذا ثم يخرج له منبرا الى الصحراء فيجلس عليه وسليمان قائم على رأسه فتأتي الانس والجن والطير والوحش والهوام والعذارى والمخدرات يسمعون الذكر فيأخذ في الثناء على الله بما هو أهله فتموت طائفة من المستمعين ثم يأخذ في النياحة على المذنبين فتموت طائفة فاذا استحر الموت بالخلق قال له سليمان يا نبي الله قد استحر الموت بالناس وقد مزقت المستمعين كل ممزق فيخر داود مغشيا عليه فيحمل على سريره الى بيته وينادي منادي سليمان أيها الناس من كان له مع داود قريب أو حميم فليخرج لافتقاده فكانت المرأة تأتي بالسرير فتقف على زوجها أو ابنها أو أخيها فتدخل به المدينة فاذا أفاق داود في اليوم الثاني قال يا سليمان ما فعل عباد بني اسرائيل فيقول له سليمان قد مات فلان وفلان وهلم جرا فيضع يده داود على رأسه وينوح ويقول يارب داود أغضبان أنت على داود حتى انه لم يمت فيمن مات خوفا منك وشوقا اليك فلا يزال ذلك دأبه الى المجلس الآخر وأقام داود عليه الصلاة والسلام على ذلك ما شاء الله تعالى ولا تظن بما ذكرته من حال بني اسرائيل انهم في ذلك أعلى من هذه الامة فأما المزامير فحسبك ما ذكر من حال أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وأما الموت من الموعظة شوقا أو خوفا فلنا فيه طريقان أحدهما ان نقول ان القوة التي أوتيتها هذه الامة تقاوم الاحوال الواردة عليها فتمسك الحياة فلا تعني القوة الجسمانية بل القوة الروحانية والتأييدات الالهية فلفرط قوة هذه الامة ان شاء الله تعالى تقارب عند سلفها الصالح ما بين حال سماع الموعظة وحال عدم سماعها والى الذكر واطوار اليقين وقد قال بعضهم لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فتماسك قوة السلف عند واردات الاحوال هو الذي فرق بينهم وبين من قبلهم الاترى ان داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام وهما أصحاب المزامير لم يتفق لهما الموت كما اتفق لمن مات وما ذاك من تقصيرهما في الخوف والشوق ولكن من القوة الربانية التي أمدهما بها ولا خلاف بأن داود عليه الصلاة والسلام وان لم يمت من الذكر أفضل ممن مات من أمته وأما نوحه على كونه لم يمت فذلك من التواضع الذي يزيده شوقا لا من

النقص بين آحاد أمته بل لا رتفاعه عنهم رجات وزلفى والى هذه القوة الالهية أشار أبو بكر الصديق رضى الله عنه وقد رأى انسانا يبكى من الموعظة فقال هكذا كنا حتى قست القلوب عبر عن القوة بالقسوة تواضعا ومرتبته بحمد الله محفوظة ومنزلته مرفوعة (الطريق الثانى) ان نقول قد روى ما لا يحصى كثرة عن هذه الامة مثل ما اتفق فى مجالس داود عليه الصلاة والسلام من موت المستمعين للذكر فى مجالس السماع قديما وحديثا ولابى اسحاق الثعلبى جزء فى قتلى القرآن رويناه وعندى من ذلك جملة أريد تدوينها بل قد روى عن كثير من المريدين انهم ماتوا بمجرد النظر الى المشايخ كما حكى أن مريدا لابى تراب النخشبى كان يتجلى له الحق تعالى فى كل يوم مرات فقال له أبو تراب لو رأيت أبا يزيد لرأيت أمرا عظيما فلما ارتحل المريد مع شيخه أبى تراب النخشبى لابى يزيد ووقع بصر المريد عليه وقع ميتا فقال له أبو تراب يا أبا يزيد نظرة منك قتلته وقد كان يدعى رؤية الحق فقال له أبو يزيد قد كان صاحبك صادقا وكان الحق يتجلى له على قدر مقامه فلما رآنى تجلى له على قدر ما رأى فلم يطق فمات واصطلاح أهل الطريق فى التجلى معروف وحاصله رتبة من المعرفة جلية علية ولم يكونوا يعنون بالتجلى رؤية البصر التى قيل فيها لموسى عليه الصلاة والسلام على خصوصية لن ترانى والتى قيل فيها على العموم لا تدركه الابصار واذا فهمت أن مرادهم الذى أثبتوه غير المعنى الذى حصل منه الناس على الياس فى الدنيا ووعد الخواص به فى الاخرى فلا ضير بعد ذلك عليك ولا طريق لسوء الظن بالقوم اليك والله متولى السرائر انتهى ملخصا واذا علمت هذا فاعلم ان السماع فى طريق القوم معروف وفى الجواذب الى المحبة معدود وموصوف وقد نقل اباحته فى القوت عن جماعة من الصحابة كعبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية وكذا عن الجنيد والسرى وذى النون واحتج له الغزالى فى الاحياء بما يطول ذكره خصوصا فى أوقات السرور المباحة تأكيدا له وتهييجا كعرس وقدوم غائب ووليمة وعقيقة وحفظ قرآن وختم درس أو كتاب أو تأليف وفى الصحيحين من حديث عائشة أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى تدففان وتضربان ورسول الله صلى الله عليه وسلم متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف عليه الصلاة والسلام عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فانها أيام عيد وفى رواية دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندى جاريتان تغنيان بغناء يوم بعاث بضم الموحدة والعين المهملة آخره مثلثة اسم حصن للاوس وبالمعجمة تصحيف أى تنشدان الاشعار التى قيلت يوم بعاث وهو حرب كان بين الانصار

فاضطجع على الفراش وحول وجهه فدخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه صلى الله عليه وسلم وقال دعهما واستدل جماعة من الصوفية بهذا الحديث على اباحة الغناء وسماعه بآلة وبغير آلة وتعقب بأن في الحديث الآخر عند البخاري عن عائشة وليستا بمغنيتين فنفت عنهما من طريق المعنى ما أثبته لهما باللفظ لان الغناء يطلق على رفع الصوت وعلى الترنم وعلى الحداء ولا يسمى فاعله مغنيا وانما يسمى بذلك من ينشد بتمطيط وتكسير وتهييج وتشويق لما فيه من تعريض بالفواحش أو تصريح قال القرطبي قولها يعني عائشة ليستا بمغنيتين أي ليستا ممن يعرف الغناء كما يعرفه المغنيات المعروفات بذلك قال وهذا منها تحرز عن الغناء المعتاد عند المشتهرين به وهو الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن وهذا اذا كان في شعر فيه وصف محاسن النساء أو الخمر أو غيرهما من الامور المحرمة لا يختلف في تحريمه قال وأما ما ابتدعه الصوفية في ذلك فمن قبيل مالا يختلف في تحريمه لكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب الى الخير حتى لقد ظهرت في كثير منهم فعلات المجانين والصبيان حتى رقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة وانتهى التواقح بقوم منهم الى أن جعلوها من باب القرب وصالح الاعمال وان ذلك يثمر سني الاحوال وهذا على التحقيق من آثار الزندقة انتهى والحق ان السماع اذا وقع بصوت حسن بشعر متضمن للصفات العلية أو النعوت النبوية المجدية عريا عن الآلات المحرمة والحظوظ الخسيسة الغبية والشبه الدنية وأثار كامن المحبة الشريفة العلية وضبط السامع نفسه ما أمكنه بحيث لا يرفع صوته بالبكاء ولا يظهر التواجد وهو يقدر على ضبط نفسه ما أمكنه مع العلم بما يحب الله ولرسوله ويستحيل لئلا ينزل ما سمعه على مالا يليق كان من الحسن في غاية ولتمام تزكية النفس نهاية نعم تركه والاشتغال بما هو أعلى أسلم لخرق الشبهة والخروج من الخلاف الا نادرا * وقد نقل عن الامام الشافعي ومالك وأبي حنيفة وجماعة من العلماء ألفاظ تدل على التحريم ولعل مرادهم ما كان فيه تهييج شيطاني واذا كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلوب لم يجز أن يحكم فيه مطلقا باباحة ولا تحريم بل يختلف ذلك بالاشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب وهو لمن يرتقي لربه ترقية مثير للكامن في النفوس من الازل حين خاطبنا الحق تعالى بقوله ألست بربكم فما كان في القلب من رقة ووجد وحقيقة فهو من حلاوة ذلك الخطاب والاعضاء كلها ناطقة بذكره مستطيبة لاسمه فالسماع

من أكبر مصايد النفوس واذا اقترنت بالحان مناسبة وكان الشعر متضمنا لذكر المحبوب الحق برز الكامن وذاعت الاسرار سيما في أرباب البدايات وقد شوهد تأثير السماع حتى في الحيوانات الغير الناطقة من الطيور والبهائم فقد شوهد تدلي الطيور من الاغصان على أولي النغمات الفائقة والالحان الرائقة وهذا الجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثيرا يستخف معه الاحمال الثقيلة ويستقصر لقوة نشاطه في سماعه المسافة الطويلة وينبعث فيه من النشاط ما يسكره ويولهه فتراه اذا طالت عليه البوادي وأعياه الاعياء تحت الحمل اذا سمع منادي الحداء يمد عنقه ويصغي الى الحادي ويسرع في سيره حتى ربما أتلف نفسه في شدة السير وثقل الحمل وهو لا يشعر بذلك لنشاطه وقد حكى مما ذكره في الاحياء عن أبي بكر الدينوري أن عبدا اسود قتل جمالا كثيرة بطيب نغمته اذا حداها وكانت محملة احمالا ثقيلة فقطعت مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة وانه حدا على جمل غيرها بحضرته فهام الجمل وقطع حباله وحصل له ما غيبه عن حسه حتى خر لوجهه فتأثير السماع محسوس ومن لم يحركه فهو فاسد المزاج بعيد العلاج زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال واذا كانت هذه البهائم تتأثر بالنغمات فتأثير النفوس النفسانية أولى وقد قال

نعم لولاك ما ذكر العقيق * ولا جابت له الفلوات نوق
نعم أسعى اليك على جفوني * تدانى الحي أو بعد الطريق
اذا كانت تحن لك المطايا * فماذا يفعل الصب المشوق

فمن بدة السماع تلطيف السر ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي على الوفوي حزبه المشهور على الالحان والاوزان اللطيفة تنشيطا لقلوب المريدين وترويحا لاسرار السالكين فان النفوس كما قدمناه لما خلط من الالحان فاذا قيات هذه الواردات السنية الفائضة من الموارد النبوية المحمدية بهذه النغمات الفائقة والاوزان الرائقة تشربتها العروق وأخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد الوفوى المحمدى فاثمرت شجرة خطاب الازل بساقيته من موارد هذه اللطائف عوارف المعارف * تنبيه زعم بعضهم ان السماع أدعى للوجد من التلاوة وأظهر تأثيرا والحجة في ذلك أن جلال القرآن لا تقوم له القوى البشرية المحدثة ولا تقوم له صفاتها المخلوقة ولو كشف للقلوب ذرة من معناه لدهشت وتصدعت وتحيرت والالحان مناسبة للطباع بنسبة الحظوظ لا نسبة الحقوق والشعر نسبته نسبة الحظوظ فاذا علقت الاشجان والاصوات بما في الابيات من الاشارات واللطائف شاكل

بعضها بعضا فكان أقرب الى الخاطر وأخذ على القلوب بشئ كلة المخلوق قاله أبو نصر السراج

* المقصد العاشر في اتمامه تعالى نعمته عليه * بوفاته ونقلته الى حظيرة قدسه لديه * صلى الله وسلم عليه * وزيارة قبره الشريف * وزيارة مسجده المنيف * وتفضيله في الآخرة بفضائل الاوليات * الجامعة لمزايا التكريم وعلى الدرجات * وتشريفه بخصائص الزلفى في مشهد مشاهد الانبياء والمرسلين * وتحميده بالشفاعة والمقام المحمود وانفراده بالسودد في مجمع مجامع الاولين والآخرين * وترقيه في جنات عدن أرقى مدارج السعاده * وتعاليه في يوم المزيد اعلا معالي الحسنى وزياده * وفيه ثلاثة فصول) *

*(الفصل الاول في اتمامه تعالى نعمته عليه * بوفاته ونقلته الى حظيرة قدسه لديه * صلى الله وسلم عليه اعلم وصلني الله واياك بحبل تأييده * وأوصلنا بلطفه الى مقام توفيقه وتسديده * أن هذا الفصل مضمونه يسكب المدامع من الاجفان * ويجلب الفجائع لاثارة الاحزان * ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الايمان * ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الانبياء حتى يخير وأول ما أعلم النبي صلى الله عليه وسلم من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يامحمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم اليه أفواجا فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ وما عندنا خير لك من الدنيا فاستعد للنقلة الينا * وقد قيل ان هذه السورة آخر سورة نزلت يوم النحر وهو صلى الله عليه وسلم بمنى في حجة الوداع وقيل عاش بعدها احدا وثمانين يوما وعند ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس عاش بعدها تسع ليال * وعن مقاتل سبعا * وعن بعضهم ثلاثا ولابي يعلى من حديث ابن عمر نزلت هذه السورة في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الوداع * وفي حديث ابن عباس عند الدارمي لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وقال نعيت الى نفسي فبكت قال لا تبكي فانك أول أهلي لحوقا بي فضحكت الحديث * وروى الطبراني من طريق عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح نعيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادا في أمر الآخرة * وللطبراني أيضا من حديث جابر

لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت الي نفسي فقال له جبريل وللآخرة خير لك من الاولى * وروي في حديث ذكره ابن رجب في اللطائف انه تعبد حتى صار كالشن البالي وكان عليه الصلاة والسلام يعرض القرآن كل عام على جبريل مرة فعرضه ذلك العام مرتين وكان عليه الصلاة والسلام يعتكف العشر الاواخر من رمضان كل عام فاعتكف في ذلك العام عشرين واكثر من الذكر والاستغفار * وقالت أم سلمة كان صلى الله عليه وسلم في آخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه فقلت له انك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم فقال ان ربي أخبرني أني سأرى علما في أمتي وأني اذا رأيته ان أسبح بحمده واستغفره ثم تلا هذه السورة رواه ابن جرير وابن خزيمة وأخرج ابن مردويه من طريق مسروق عن عائشة نحوه * وروى الشيخان من حديث عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى أحد بعد ثمان سنين كالمودع للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال اني بين أيديكم فرط وأنا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض واني لا نظر اليه وأنا في مقامي هذا واني قد أعطيت مفاتيح خزائن الارض واني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وزاد بعضهم فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم * وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا له وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الاسلام لا تبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبي بكر رضي الله تعالى عنه رواه البخاري ومسلم * ولمسلم من حديث جندب سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول قبل أن يموت بخمس ليال وكان أبا بكر رضي الله عنه فهم الرمز الذي أشار به النبي صلى الله عليه وسلم من قرينة ذكره ذلك في مرض موته فاستشعر منه انه أراد نفسه فلذلك بكى * ومازال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله

في آخر عمره فانه لما خطب في حجة الوداع قال للناس خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع عليه الصلاة والسلام من حجة الوداع الى المدينة جمع الناس بماء يدعى خما في طريقه بين مكة والمدينة فخطبهم وقال أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته * قال الحافظ ابن رجب وكان ابتداء مرضه عليه الصلاة والسلام في أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما في المشهور وكانت خطبته المذكورة في حديث أبي سعيد الذي قدمته في ابتداء مرضه الذي مات فيه فانه خرج كما رواه الدارمي وهو معصوب الرأس بخرقة حتى أهوى الى المنبر فاستوى عليه فقال والذي نفسي بيده اني لأنظر الى الحوض من مقامي هذا ثم قال ان عبدا عرضت عليه الدنيا الخ ثم هبط عنه فمارؤى عليه حتى الساعة فلما عرض صلى الله عليه وسلم باختياره اللقاء على البقاء ولم يصرح خفي المعنى على كثير ممن سمع ولم يفهم المقصود غير صاحبه الخصيص به ثاني اثنين اذهما في الغار وكان أعلم الامة بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم فلما فهم المقصود من هذه الاشارة بكى وقال بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا فسكن الرسول صلى الله عليه وسلم جزعه وأخذ في مدحه والثناء عليه على المنبر ليعلم الناس كلهم فضله فلا يقع عليه اختلاف في خلافته فقال ان أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الاسلام لما كان صلى الله عليه وسلم لا يصلح له أن يخالل مخلوقا فان الخليل من جرت محبة خليله منه مجرى الروح ولا يصلح هذا للبشر كما قيل

قد تخللت مسلك الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا

أثبت له أخوة الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم لا يبقى في المسجد خوخة الاسدت الا خوخة أبي بكر اشارة الى أن أبا بكر هو الامام بعده فان الامام يحتاج الى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين المصلين ثم أكد هذا المعنى بأمره صريحا أن يصلي بالناس أبو بكر رضي الله عنه فروجع في ذلك وهو يقول مروا أبا بكر أن يصلي بالناس فولاه امامة الصلاة ولذا قال الصحابة عند بيعة أبي بكر رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا * وكان ابتداء مرضه صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة كما ثبت في رواية معمر عن الزهري وفي سيرة أبي معشر كان في بيت زينب بنت جحش وفي سيرة سليمان

النبي كان في بيت ريحانة والاول هو المعتمد وذكر الخطابي انه ابتدأ به يوم الاثنين وقيل يوم السبت وقال الحاكم أبو أحمد يوم الاربعاء واختلف في مدة مرضه فالأكثر أنها ثلاثة عشر يوما وقيل أربعة عشر وقيل اثنا عشر وذكره في الروضة وصدر بالثاني وقيل عشرة أيام وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه وأخرجه البيهقي باسناد صحيح * وفي البخاري قالت عائشة لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فاذن له فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه في الارض بين العباس ابن عبد المطلب وبين رجل آخر قال عبيد الله فأخبرت عبد الله بالذى قالت عائشة فقال لى عبد الله ابن عباس هل تدرى من الرجل الآخر الذى لم تسم عائشة قال قلت لا قال ابن عباس هو على ابن أبي طالب الحديث وفي رواية مسلم عن عائشة فخرج بين الفضل بن العباس ورجل آخر * وفي أخرى بين رجلين أحدهما أسامة * وعند الدارقطني أسامة والفضل * وعند ابن حبان في أخرى بريرة ونوبة بضم النون وسكون الواو ثم موحدة قيل وهو اسم أمة وقيل هو عبد وعند ابن سعد من وجه آخر بين الفضل وثوبان وجمعوا بين هذه الروايات على تقدير ثبوتها أن خروجه تعدد فتعدد من اتكأ عليه * وعن عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لنسائه انى لا أستطيع ان أدور في بيوتكن فان شئتن أذنتن لى رواه أحمد وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول أين أنا غدا أين أنا غدا يريد يوم عائشة * وذكر ابن سعد باسناد صحيح عن الزهرى أن فاطمة هي التى خاطبت أمهات المؤمنين بذلك فقالت لهن انه يشق عليه الاختلاف * وفي رواية ابن أبي مليكة عن عائشة أن دخوله عليه الصلاة والسلام بيتها كان يوم الاثنين وموته يوم الاثنين الذى يليه * وفي مرسل أبي جعفر عند ابن أبي شيبة أنه صلى الله عليه وسلم قال أين أكون أنا غدا كررها مرتين فعرفن أزواجه أنه انما يريد عائشة فقلن يارسول الله قد وهبنا أيامنا لاختنا عائشة * وفي رواية هشام بن عروة عن أبيه عند الاسماعيلى كان يقول أين أنا غدا حرصا على بيت عائشة فلما كان يومى أذن له نساؤه أن يمرض في بيتي * وعن عائشة انى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة بالبقيع وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول وارأساه فقال بل أنا وارأساه ثم قال ماضرك لومت قبلى فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقالت لكأنى بك والله لوفعلت ذلك لقد رجعت الى بيتي فاعرست فيه ببعض نسائك فتبسم صلى الله عليه وسلم

شهدا في وجعه الذي مات فيه رواه أحمد والنسائي * وفي البخاري قالت
عائشة وارأساه فقال صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وأنا حي فاستغفر لك وأدعو
لك فقالت عائشة واثكلياه والله اني لاظنك تحب موتي فلو كان ذاك لظللت آخر
يومك معرسا ببعض أزواجك فقال صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه لقد هممت
أو أردت أن أرسل الى أبي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم
قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون وقوله بل أنا وارأساه
اضراب يعني دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك واشتغلي بي فان قلت قد اتفقوا
على كراهة شكوى العبد كربه وروى أحمد في الزهد عن طاوس أنه قال أنين
المريض شكوى وجزم أبو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية ان تأوه
المريض مكروه قلت تعقبه النووي فقال هذا ضعيف أو باطل فان المكروه ما ثبت
فيه نهي مخصوص وهو لم يثبت فيه ذلك ثم احتج بحديث عائشة هذا ثم قال فلعلهم
أرادوا بالكراهة خلاف الاولى فانه لا شك ان اشتغاله بالذكر أولى انتهى قال
في فتح الباري ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين
وتشعر بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الاعداء وأما اخبار المريض صديقه أو طبيبه
عن حاله فلا بأس به اتفاقا فليس ذكر الوجع شكاية فكم من ساكت وهو
ساخط وكم من شاك وهو راض فالمعول في ذلك على عمل القلب اتفاقا لا على نطق
اللسان وقد تبين كما نبه عليه في اللطائف ان أول مرضه عليه الصلاة والسلام كان
صداع الرأس والظاهر أنه كان مع حمى فان الحمى اشتدت به في مرضه فكان يجلس
في مخضب ويصب عليه الماء من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن يتبرد بذلك * وفي
البخاري قالت عائشة لما دخل بيتي واشتد وجعه قال أهريقوا علي من سبع قرب
لم تحلل أوكيتهن لعلي أعهد الى الناس فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي صلى
الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده أن قد
فعلتن الحديث وقد قيل في الحكمة في هذا العدد أن له خاصية في دفع ضرر السم
والسحر وسيأتي ان شاء الله تعالى أنه عليه الصلاة والسلام قال
هذا أوان انقطاع أبهري * من ذلك السم وتمسك بعض من أنكر
نجاسة سؤر الكلب به وزعم ان الامر بالغسل منه سبعا انما هو لدفع السمية التي
في ريقه وكانت عليه صلوات الله وسلامه عليه قطيفة فكانت الحمى تصيبه من
يضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال انا كذلك يشدد علينا البلاء
ويضاعف لنا الاجر رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا والحاكم وقال صحيح الاسناد

كلهم من رواية أبي سعيد الخدري وقالت عائشة ما رأيت أحدا كان أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعن عبد الله قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت يا رسول الله انك توعك وعكا شديدا فقال أجل اني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك لان لك أجرين قال أجل ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها الا كفر الله به سيآته كما تحط الشجرة ورقها رواه البخاري والوعك بفتح الواو وسكون العين المهملة وقد تفتح الحمى * وقيل ألم الحمى * وقيل ارعادها الموعوك وتحريكها اياه * وعن الاصمعي الوعك الحر فان كان محفوظا فلعل الحمى سميت وعكا لحرارتها قال أبو هريرة ما من وجع يصيبني أحب الي من الحمى انها تدخل في كل مفصل من ابن آدم وان الله يعطي كل مفصل قسطا من الاجر وأخرج النسائي وصححه الحاكم من حديث فاطمة بنت اليمان أخت حذيفة قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في نساء نعوده فاذا سقاء يقطر عليه من شدة الحمى فقال ان من أشد الناس بلاء الانبياء ثم الذين يلونهم * وفي حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان بين يديه علبة أو ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات الحديث رواه البخاري * وروى أيضا عن عروة أنه صلى الله عليه وسلم قال ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم * وفي رواية ما زالت أكلة خيبر تعاودني والاكلة بالضم اللقمة التي أكل من الشاة وبعض الرواة يفتح الالف وهو خطأ لانه عليه الصلاة والسلام لم يأكل منها الا لقمة قاله ابن الاثير ومعنى الحديث أنه نقض عليه سم الشاة التي أهدتها له اليهودية فكان ذلك يثور عليه أحيانا والابهر عرق مستبطن بالصلب متصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه * وقد كان ابن مسعود وغيره يرون أنه صلى الله عليه وسلم مات شهيدا من السم وعند البخاري أيضا قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح بيده فلما اشتكى وجعه الذي مات فيه طفقت أنا أنفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيد النبي صلى الله عليه وسلم * وفي رواية مالك وأمسح بيده رجاء بركتها ولمسلم فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت انفث عليه وأمسح بيد نفسه لانها كانت أعظم بركة من يدي وأطلقت على السور الثلاث المعوذات تغليبا * وفي البخاري عن عائشة دخل عبد الرحمن ابن أبي بكر على النبي صلى الله عليه وسلم وأنا مسندته الى صدري ومع عبد الرحمن

سواك رطب يستن به فأبده رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره فأخذت السواك فقضمته ونفضته وطيبته ثم دفعته الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستن به فما رأيته استن استنانا قط أحسن منه الحديث قوله فأبده بتشديد الدال المهملة أى أمد نظره اليه وقوله فقضمته بكسر الضاد المعجمة أى لطوله ولازالة المكان الذى تسوك به عبد الرحمن ثم طيبته أى لينته بالماء * وفى رواية له أيضا قالت ان من نعم الله تعالى على ان الله جمع بين ريقى وريقه عند موته دخل عبد الرحمن وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته ينظر اليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه أن نعم * وفى رواية مر عبد الرحمن وفى يده جريدة رطبة فنظر اليه صلى الله عليه وسلم فظننت أن له بها حاجة فأخذتها فنفضت رأسها ونفضتها ودفعتها اليه فاستن بها كأحسن ما كان مستنا ثم ناولنيها فسقطت يده أو سقطت من يده فجمع الله بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة * وفى حديث خرجه العقيلى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها فى مرضه ائتينى بسواك رطب فامضغيه ثم ائتينى به أمضغه لكى يختلط ريقى بريقك لكى يهون على عند الموت قال الحسن لما كرهت الانبياء الموت هون الله عليهم ذلك بلقاء الله وبكلما أحبوا من تحفة أو كرامة حتى ان نفس أحدهم لتنزع من بين جنبيه وهو يحب لذلك كما قدمثل له وفى المسند عن عائشة أيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انه ليهون على الموت لانى رأيت بياض كف عائشة فى الجنة وخرجه ابن سعد وغيره مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتها فى الجنة حتى ليهون على بذلك موتى كأنى أرى كفيها يعنى عائشة فقد كان عليه الصلاة والسلام يحب عائشة حبا شديدا حتى لايكاد يصبر عنها فمثلت له بين يديه فى الجنة ليهون عليه موته فان العيش انما يطيب باجتماع الاحبة وقد سأله صلى الله عليه وسلم رجل فقال أى الناس أحب اليك فقال عائشة فقال من الرجال قال أبوها ولهذا قال لها فى ابتداء مرضه لما قالت وارأساه وددت ان ذلك كان وأنا حى فأصلى عليك وأدفنك فعظم ذلك عليها وظنت أنه يحب فراقها وانما عليه الصلاة والسلام يريد تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما ويروى أنه كان عنده صلى الله عليه وسلم فى مرضه سبعة دنانير فكان يأمرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها فى كفه فقال ماظن محمد بربه لولقى الله وعنده هذه ثم تصدق بها كلها رواه البيهقى انظر اذا كان هذا سيد المرسلين وحبيب رب العالمين المغفور له ماتقدم من ذنبه وما تأخر فكيف حال من لقى الله

وعليه

وعليه دماء المسلمين وأموالهم المحرمة وما يظنه بربه تعالى * وفي البخاري من طريق عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت فسألناها عن ذلك فقالت سارني النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني فأخبرني اني أول أهله يتبعه فضحكت * وفي رواية مسروق عن عائشة أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرحبا يا بنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم سارها * ولابي داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من طريق عائشة بنت طلحة عن عائشة قالت ما رأيت أحدا أشبه سمتا وهديا ودلا برسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامها وقعودها من فاطمة وكانت اذا دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم قام اليها وقبلها وأجلسها في مجلسه وكان اذا دخل عليها فعلت ذلك فلما مرض دخلت عليه فأكبت عليه تقبله واتفقت الروايتان على أن الذي سارها به أولا فبكت هو اعلامه اياها انه ميت في مرضه ذلك واختلفتا فيما سارها به فضحكت ففي رواية عروة انه اخباره اياها بأنها أول أهله لحوقا به * وفي رواية مسروق أنه اخباره اياها انها سيدة نساء أهل الجنة وجعل كونها أول أهله لحوقا به مضموما الى الاول وهو الراجح فان حديث مسروق يشتمل على زيادات ليست في حديث عروة وهو من الثقات الضابطين فما زاده مسروق قول عائشة فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن فسألتها عن ذلك فقالت ما كنت لافشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم فسألتها فقالت أسر الي ان جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وانه عارضني في العام مرتين ولا أراه الا حضر أجلي وانك أول أهل بيتي لحاقا بي * وفي رواية عائشة بنت طلحة من الزيادة أن عائشة لما رأت بكاءها وضحكها قالت ان كنت لاظن أن هذه المرأة من أعقل النساء فاذا هي من النساء ويحتمل تعدد القصة * وفي رواية عن عروة الجزم انه ميت من وجعه ذلك بخلاف رواية مسروق ففيها أنه ظن ذلك بطريق الاستنباط مما ذكره من معارضة القرآن * وقد يقال لا منافاة بين الخبرين الا بالزيادة ولا يمتنع أن يكون اخباره بكونها أول أهله لحوقا به سببا لبكائها ولضحكها معا باعتبارين فذكر كل من الروايتين ما لم يذكره الآخر * وقد روى النسائي من طريق أبي سلمة عن عائشة في سبب البكاء أنه ميت وفي سبب الضحك الامرين الآخرين * ولابن سعد من رواية أبي سلمة عنها

أن سبب البكاء موته وسبب الضحك لحاقها به * وعند الطبرانى من وجه آخر عن عائشة أنه قال لفاطمة ان جبريل أخبرنى أنه ليس امرأة من نساء المؤمنين أعظم رزية منك فلا تكونى أدنى امرأة منهن صبرا وفى الحديث اخباره صلى الله عليه وسلم بما سيقع فوقع كما قال صلى الله عليه وسلم فانهم اتفقوا على أن فاطمة رضى الله تعالى عنها كانت أول من مات من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده حتى من أزواجه عليه الصلاة والسلام * وقد كان صلى الله عليه وسلم من شدة وجعه يغمى عليه فى مرضه ثم يفيق وأغمى عليه مرة فظنوا أن وجعه ذات الجنب فلدوه فجعل يشير اليهم أن لا يلدوه فقالوا كراهية المريض للدواء فلما أفاق قال ألم أنهكم ان تلدونى فقالوا كراهية المريض للدواء فقال لا يبقى أحد فى البيت الا لد وأنا أنظر الا العباس فانه لم يشهدكم رواه البخارى واللدود هو ما يجعل فى جانب الفم من الدواء فأما ما يصب فى الحلق فيقال له الوجور * وفى الطبرانى من حديث العباس انهم أذابوا قسطا بزيت ولدوه به وفى قوله لا يبقى أحد فى البيت الا لد الخ مشروعية القصاص فيما يصاب به الانسان وفيه نظر لان الجميع لم يتعاطوا ذلك وانما فعل بهم ذلك عقوبة لهم لتركهم امتثال نهيه عما نهاهم عنه قال ابن العربى أراد أن لا يأتوا يوم القيامة وعليهم حقه فيقعوا فى خطيئة عظيمة وتعقب بأنه يمكن أن يقع العفو ولانه كان لا ينتقم لنفسه والذى يظهر انه أراد بذلك تأديبهم لئلا يعودوا فكان ذلك تأديبا لا اقتصاصا ولا انتقاما قيل وانما كره اللدود مع أنه كان يتداوى لانه تحقق أنه يموت فى مرضه ومن تحقق ذلك كره له التداوى قال الحافظ ابن حجر وفيه نظر والذى يظهر أن ذلك كان قبل التخيير والتحقيق وانما أنكر التداوى لانه كان غير ملائم لدائه لانهم ظنوا أن به ذات الجنب فداووه بما يلائمها ولم يكن فيه ذلك كما هو ظاهر فى سياق الخبر وعند ابن سعد قالت كانت تأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصرة فاشتدت به فأغمى عليه فلما أفاق قال كنتم ترون ان الله يسلط على ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها على سلطانا لا يبقى أحد فى البيت الا لد فما بقى أحد فى البيت الا لد ولد ميمونة وهى صائمة * وروى أبو يعلى بسند ضعيف فيه ابن لهيعة من وجه آخر عن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم مات من ذات الجنب وجمع بينهما بأن ذات الجنب تطلق بازاء مرضين أحدهما ورم حار يعرض فى الغشاء المستبطن والآخر ريح محتقن بين الاضلاع فالاول هو المنفى هنا وقد وقع فى رواية الحاكم فى المستدرك ذات الجنب من الشيطان والثانى هو الذى أثبت هنا وليس فيه محذور كالاول * وفى حديث

ابن عباس عند البخاري لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا قال عبيد الله فكان ابن عباس يقول الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم قال المازري انما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره لهم بذلك لان الاوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب فكأنه ظهرت منه قرينة دلت على أن الامر ليس على التحتم بل على الاختيار فاختلف اجتهادهم وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن بأنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك عن غير قصد جازم وقال النووي اتفق العلماء على أن قول عمر حسبنا كتاب الله من قوة فقهه ودقيق نظره لانه خشي أن يكتب أمورا ربما عجزوا عنها فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة وأراد أن لا ينسد باب الاجتهاد على العلماء وفي تركه صلى الله عليه وسلم الانكار على عمر اشارة الى تصويبه وأشار بقوله حسبنا كتاب الله الى قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ولا يعارض ذلك قول ابن عباس ان الرزية الخ لان عمر كان أفقه منه قطعا ولا يقال ان ابن عباس لم يكتف بالقرآن مع أنه حبر القرآن واعلم الناس بتفسيره وتأويله ولكنه أسف على ما فاته من البيان بالتنصيص عليه لكونه أولى من الاستنباط والله أعلم

* (ولما اشتد مرضه صلى الله عليه وسلم) *

قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت له عائشة يا رسول الله ان أبا بكر رجل رقيق اذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها فقال انكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس رواه الشيخان وأبو حاتم واللفظ له * وفي رواية أن أبا بكر رجل أسيف * وفي حديث عروة عن عائشة عند البخاري فمر عمر فليصل بالناس فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت قلت لحفصة قولي له ان أبا بكر اذا قام في مقامك لا يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه انكن لانتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت حفصة لعائشة ما كنت لاصيب منك خيرا والاسيف بوزن فعيل وهو بمعنى فاعل من الاسف

وهو شدة الحزن والمراد به هنا رقيق القلب ولابن حبان من رواية عاصم عن شقيق عن مسروق عن عائشة في هذا الحديث قال عاصم والاسيف الرقيق الرحيم وصواحب جمع صاحبة والمراد انهن مثل صواحب يوسف في اظهار خلاف ما في الباطن ثم ان هذا الخطاب وان كان بلفظ الجمع فالمراد به واحدة وهي عائشة رضي الله عنها ووجه المشابهة بينهما في ذلك ان زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الاكرام بالضيافة ومرادها الزيادة على ذلك وهو أن ينظرن الى حسن يوسف ويعذرنها في محبته وأن عائشة أظهرت أن سبب ارادتها صرف الامامة عن أبيها لكونه لا يسمع المأمومين القراءة لبكائه ومرادها زيادة على ذلك وهو أن لا يتشاءم الناس به وقد صرحت هي بذلك كما عند البخاري في باب وفاته عليه الصلاة والسلام فقالت لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته الا أنه لم يقع في قلبي ان يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا والا كنت أرى انه لن يقوم أحد مقامه الا تشاءم الناس به ونقل الدمياطي ان الصديق صلى بالناس سبع عشرة صلاة وقد ذكر الغاكهاني في الفجر المنير مما عزاه لسيف الدين ابن عمر في كتاب الفتوح ان الانصار لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا طافوا بالمسجد فدخل العباس فاعلمه عليه الصلاة والسلام بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي بن أبي طالب كذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل والعباس امامه والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال يا أيها الناس بلغني انكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث اليه فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم لاحقون به فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول والعصر ان الانسان لفي خسر الى آخرها وان الامور تجري باذن الله تعالى ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم في الثمار ألم يوسعوا لكم في الدار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا واني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا وان موعدكم الحوض ألا من أحب ان يرده علي غدا فليكف يده ولسانه الا فيما ينبغي يا أيها الناس

ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس برهم أئمتهم واذا فجر الناس عقوهم
* وفي حديث أنس عند البخاري قال مر أبو بكر والعباس بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقال ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم منا فدخل أحدهما على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب على رأسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشي وعيبتي أي موضع سري أراد انهم بطانته وموضع أمانته والذين يعتمد عليهم في أموره واستعار الكرش والعيبة لذلك لان المجتر يجمع علفه في كرشه والرجل يجمع ثيابه في عيبته وقيل أراد بالكرش الجماعة أي جماعتي وصحابتي يقال عليه كرش من الناس أي جماعة قاله في النهاية * وذكر الواحدي بسند وصله بعبد الله بن مسعود نعى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله أوصيكم بتقوى الله واستخلفه عليكم وأحذركم الله اني لكم منه نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فانه قال لي ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال أليس في جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة المأوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال أهل بيتي الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله فيم نكفنك قال في ثيابي هذه وان شئتم في بياض ثياب مصر أو حلة يمنية قلنا يا رسول الله من يصلي عليك قال اذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فان أول من يصلي على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا على فوجا فوجا فصلوا على وسلموا تسليما وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم واقرؤا السلام على من غاب من أصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا الى يوم القيامة قلنا يا رسول الله ومن يدخلك قبرك قال أهلي مع ملائكة ربي وكذا رواه الطبراني في الدعاء وهو واه جدا * وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيي أو يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت

ثم قال اللهم فى الرفيق الاعلى فقلت اذا لايختارنا فعرفت أنه حديثه الذى كان يحدثنا وهو صحيح * وفى رواية أنها أصغت اليه قبل أن يموت وهو مستند الى ظهرها يقول اللهم اغفرلى وارحمنى وألحقنى بالرفيق الاعلى رواه البخارى من طريق الزهرى عن عروة وما فهمته عائشة من قوله عليه الصلاة والسلام اللهم الرفيق الاعلى أنه خير نظير فهم أبيها رضى الله تعالى عنه من قوله عليه الصلاة والسلام ان عبدا خيره الله بين الدنيا و بين ما عنده فاختار ما عنده أن العبد المراد به هو النبى صلى الله عليه وسلم حتى بكى كما قدمته ذكره الحافظ ابن حجر وعند أحمد من طريق المطلب بن عبد الله عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول ما من نبى يقبض الا يرى الثواب ثم يخير ولاحمد أيضا من حديث أبى مويهبة قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتيت مفاتيح خزائن الارض والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك و بين لقاء ربى والجنة وعند عبد الرزاق من مرسل طاوس رفعه خيرت بين ان أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتى و بين التعجيل فاخترت التعجيل * وفى رواية أبى بردة بن أبى موسى عن أبيه عند النسائى وصححه ابن حبان فقال أسئل الله الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل وظاهره ان الرفيق الاعلى المكان الذى تحصل المرافقة فيه مع المذكورين وقال ابن الاثير فى النهاية الرفيق جماعة الانبياء يسكنون أعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى يقال الله رفيق بعباده من الرفق والرأفة انتهى وقيل المراد به حظيرة القدس وفى كتاب روضة التعريف بالحب الشريف لما تجلى له الحق ضعفت العلائق بينه و بين المحسوسات والحظوظ الضرورية من أدنى معانى الترقيات البشرية فكانت أحواله فى زيادة الترقى ولذلك روى أنه عليه الصلاة والسلام قال كل يوم لا أزداد فيه قربا من الله فلا بورك لى فى طلوع شمسه وكلما فارق مقاما واتصل بما هو أعلى منه لمح الاول بعين النقص وسار على ظهر الهمة ونجمة المطية لقطع هذه المراحل والمقامات والاحوال والسفر الى حضرة ذى الجلال والاتصال بالمحبوب الذى كل شئ هالك الا وجهه وقال السهيلى الحكمة فى اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منها الرخصة لغيره أنه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان لان بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر انتهى ملخصا * قال الحافظ ابن رجب وقد روى ما يدل على أنه قبض ثم رأى مقعده من الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففى المسند قالت يعنى عائشة كان النبى صلى الله عليه

وسلم

وسلم يقول ما من نبي الا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير بين أن ترد اليه الى أن يلحق فكنت قد حفظت ذلك عنه فانى لمسندته الى صدري ونظرت اليه حتى مالت عنقه فقلت قضى قالت فعرفت الذى قال فنظرت اليه حين ارتفع ونظر فقلت اذا والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى فى الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * وفى البخاري من حديث عروة عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لن يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيى أو يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غشى عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم فى الرفيق الاعلى ونبه السهيلي على أن النكتة فى الاتيان بهذه الكلمة بالافراد الاشارة الى أن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد * وفى صحيح ابن حبان عنها قالت أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه فى حجري فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء فلما أفاق قال أسأل الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل * ولما احتضر صلى الله عليه وسلم واشتد به الامر قالت عائشة ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على النبي صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت * وفى رواية فجعل يقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات * قال بعض العلماء فيه أن ذلك من شدة الالم والاوجاع لرفعة منزلته وقال الشيخ أبو محمد المرجاني تلك السكرات سكرات الطرب الا ترى الى قول بلال حين قال له أهله وهو فى السياق واحرباه ففتح عينيه وقال واطرباه غدا ألقى الاحبه محمدا وصحبه فاذا كان هذا طربه وهو فى هذا الحال بلقاء محبوبه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقاء النبي صلى الله عليه وسلم لربه تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وهذا موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه * وفى حديث مرسل ذكره الحافظ ابن رجب أنه عليه الصلاة والسلام قال اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل فأعنى عليه وهونه على * وعند الامام أحمد والترمذى من طريق القاسم عنها قالت ورأيته وعنده قدح فيه ماء وهو يموت فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول اللهم أعنى على سكرات الموت * ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضى الله عنها واكرب أبتاه فقال لها لا كرب على أبيك بعد اليوم رواه البخاري قال الخطابي زعم من لا يعد من أهل العلم ان المراد بقوله

عليه الصلاة والسلام لا كرب على أبيك بعد اليوم أن كربه كان شفقة على أمته لما علم من وقوع الاختلاف والفتن بعده وهذا ليس بشيء لانه كان يلزم ان تنقطع شفقته على أمته بعد موته والواقع أنها باقية الى يوم القيامة لانه مبعوث الى من جاء بعده وأعمالهم تعرض عليه وانما الكلام على ظاهره وان المراد بالكرب ما كان يجده عليه الصلاة والسلام من شدة الموت وكان عليه الصلاة والسلام فيما يصيب جسده من الآلام كالبشر ليتضاعف له الاجر انتهى * وروى ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة انه قد حضر من أبيك ما الله بتارك منه أحدا الموافاة يوم القيامة * وفي البخاري من حديث أنس ابن مالك ان المسلمين بينما هم في صلاة الفجر يوم الاثنين وأبو بكر يصلي بهم لم يفجأهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة فنظر اليهم وهم في صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص ابو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يخرج الى الصلاة قال أنس وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار اليهم بيده صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر * وفي رواية أبي اليمان عن شعيب عند البخاري في الصلاة فتوفي من يومه * وكذا في رواية معمر عنده أيضا وفي حديث أنس لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا قط كان أعجب الينا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا قال فأومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر ان يتقدم وارخى الحجاب الحديث رواه الشيخان وعنه أن أبا بكر كان يصلي بهم في وجع النبي صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه حتى اذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا الحديث رواه مسلم وقد جزم موسى ابن عقبة عن ابن شهاب بأنه صلى الله عليه وسلم مات حين زاغت الشمس وكذا لابي الاسود عن عروة وعن جعفر ابن محمد عن أبيه قال لما بقي من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله قد أرسلني اليك اكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسئلك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك فقال أجدني يا جبريل مغموما وأجدني يا جبريل مكروبا ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم جاءه في اليوم

الثالث فقال له مثل ذلك ثم استأذنه ملك الموت فقال جبريل يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على نبي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله ان الله عز وجل أرسلني اليك وأمرني أن أطيعك في كل ما تأمران أمرتني أن أقبض روحك قبضتها وان أمرتني أن أتركها تركتها فقال جبريل يا أحمد ان الله قد اشتاق الى لقائك فقال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت لما أمرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موطئي من الارض انما كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه فلما توفي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال علي أتدرون من هذا هو الخضر عليه الصلاة والسلام رواه البيهقي في دلائل النبوة * وفي تخريج أحاديث الاحياء للحافظ العراقي وذكر التعزية المذكورة عن ابن عمر ما ذكره في الاحياء وأن النووي أنكر وجود الحديث المذكور في كتب الحديث وقال انما ذكره الاصحاب ثم قال العراقي قد رواه الحاكم في المستدرك من حديث أنس ولم يصححه فلا يصح ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس أيضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في ازار ورداء يتخطا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أصحابه فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت الحديث وفيه ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر لعل هذا الخضر جاء يعزينا ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث علي بن أبي طالب وفيه محمد بن جعفر الصادق تكلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي * والمعروف عن علي ابن الحسين مرسلا من غير ذكر علي كما رواه الشافعي في الام وليس فيه ذكر الخضر عليه الصلاة والسلام قال البيهقي قوله ان الله اشتاق الى لقائك معناه قد أراد لقاءك بأن يردك من دنياك الى معادك زيادة في قربك وكرامتك وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس قال جاء ملك الموت الى النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه ورأسه في حجر علي فاستأذن فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له

على ارجع فاما شاغيل عنك فقال صلى الله عليه وسلم هذا ملك الموت ادخل راشدا فلما دخل قال ان ربك يقرئك السلام فبلغنى أن ملك الموت لم يسلم على أهل بيت قبله ولا يسلم بعده * وقالت عائشة توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى * وفى رواية بين حاقنتى وذاقنتى رواه البخارى والحاقنة بالمهملة والقاف والنون أسفل من الذقن والذاقنة طرف الحلقوم والسحر بفتح السين وسكون الحاء المهملتين هو الصدر والنحر بفتح النون وسكون الحاء المهملة والمراد أنه صلى الله عليه وسلم توفى ورأسه بين عنقها وصدرها وهذا لا يعارضه ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طرق أنه صلى الله عليه وسلم مات ورأسه فى حجر على لان كل طريق منها كما قاله الحافظ ابن حجر لا تخلو من شئ فلا يلتفت لذلك والله أعلم * قال السهيلى وجدت فى بعض كتب الواقدى ان أول كلمة تكلم بها النبى صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله أكبر وآخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى * وروى الحاكم من حديث أنس قال آخر ما تكلم به صلى الله عليه وسلم جلال ربى الرفيع * ولما توفى صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر غائبا بالسنح يعنى العالية عند زوجته بنت خارجة وكان عليه الصلاة والسلام قد أذن له فى لذهاب اليها فسل عمر بن الخطاب سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى عليه الصلاة والسلام فلبث عن قومه أربعين ليلة والله انى لارجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم فأقبل أبو بكر من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة فدخل فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكى ويقول توفى والذى نفسى بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيا وميتا ذكره الطبرى فى الرياض * وقالت عائشة أقبل أبو بكر على فرس له من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مسجى ببرد حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ثم بكى وقال بأبى أنت وأمى لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها رواه البخارى واختلف فى قول أبى بكر رضى الله عنه لا يجمع الله عليك موتتين فقيل هو على حقيقته وأشار بذلك الى الرد على من زعم أنه سيحيى فيقطع أيدى رجال لانه لو صح ذلك للزم أن يموت موتة أخرى فاخبر أنه أكرم على الله من أن يجمع عليه موتتين كما جمعهما على غيره كالذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف وكالذى مر على قرية وهذا أوضح الاجوبة وأسلمها وقيل أراد انه لا يموت موتة أخرى فى القبر

كغيره اذ يحيى ليسئل ثم يموت وهذا جواب الداودي وقيل لا يجمع الله موت نفسك وموت شرعيتك وقيل كنى بالموت الثاني عن الكرب أى لا تلقى بعد كرب الموت كربا آخر قاله فى فتح البارى * وعنها أن عمر قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا والذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال الا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت وقال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال فنشج الناس يبكون رواه البخارى يقال نشج الباكى اذا غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب * وعن سالم بن عبيد الله الاشجعى قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجزع الناس كلهم عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه فأخذ بقائم سيفه وقال لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفى هذا قال فقال الناس يا سالم أطلب انا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا أنا بأبى بكر فلما رأيته أجهشت بالبكاء فقال يا سالم أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر ابن الخطاب يقول لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفى هذا قال فأقبل أبو بكر حتى دخل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فرفع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشأ الريح ثم سجاه والتفت الينا فقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية وقال انك ميت وانهم ميتون يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت قال عمر فوالله لكأنى لم أتل هذه الآيات قط خرجه الحافظ أبو أحمد حمزة ابن الحارث كما ذكره الطبرى فى الرياض له وقال خرج الترمذى معناه بتمامه واستنشاء الريح شمها أى شم ريح الموت وعند أحمد عن عائشة قالت سجيت النبى صلى الله عليه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفنى الله المنافقين ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفى حديث ابن عباس عند البخارى ان أبا بكر خرج وعمر ابن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر ان يجلس

فأقبل اليه الناس وتركوا عمر فقال أبو بكر أما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد
مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل قال والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى
تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم فما أسمع بشرا من الناس الا يتلوها فرحا بها
* وفي حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة أن أبا بكر مر بعمر وهو يقول ما مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين قال وكانوا أظهروا
الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال يا أيها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
مات ألم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك
الخلد ثم أتى المنبر الحديث قال القرطبي أبو عبد الله المفسر وفي هذا أدل دليل على
شجاعة الصديق فان الشجاعة حدوها ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة
أعظم من موت النبي صلى الله عليه وسلم فظهرت عند ذلك شجاعته وعلمه قال
الناس لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطرب الامر فكشفه الصديق
بهذه الآية فرجع عمر عن مقالته التي قالها كما ذكره الوائلي أبو نصر عبد الله
في كتاب الابانة عن أنس بن مالك أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
حين بويع أبو بكر رضي الله تعالى عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستوى على منبره عليه الصلاة والسلام تشهد عمر ثم قال أما بعد فاني قلت لكم
أمس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب
الله ولا في عهد عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني كنت أرجو ان يعيش
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا أي يكون آخرنا موتا أو كما قال فاختار
الله عز وجل لرسوله الذي عنده على الذي عندكم وهذا الكتاب الذي هدى
الله به رسوله فخذوا به تهتدوا لما هدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو نصر
المقالة التي قالها عمر ثم رجع عنها هي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولن
يموت حتى يقطع أيدي وأرجل وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه وخشي الفتنة وظهور
المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر وتفوهه بقول الله عز وجل
كل نفس ذائقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس يتلونها في سكك
المدينة كأنها لم تنزل قط الا ذلك اليوم انتهى * وقال ابن المنير لما مات صلى الله
عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ومنهم من
أخرس فلم يطق الكلام ومنهم من أضنى وكان عمر ممن خبل وكان عثمان ممن أخرس
يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاما وكان علي ممن أقعد فلم يستطع حراكا

واضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدا وكان أثبتهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الانبياء فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك ووقع في حديث ابن عباس وعائشة عند البخاري أن أبا بكر قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما مات كما قدمناه وكذا في رواية غيره * وفي رواية يزيد بن بابنوس عنها عند أحمد أنه أتاه من قبل رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال وانبياه ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته ثم قال واصفياه ثم رفع رأسه فحدر فاه وقبل جبهته وقال واخليلاه * وعند ابن أبي شيبة عن ابن عمر فوضع فاه على جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقبله ويبكي ويقول بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا * وعن عائشة أن أبا بكر دخل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته فوضع فاه بين عينيه ووضع يديه على صدغيه وقال وانبياه واخليلاه واصفياه أخرجه ابن عرفة العبدي كما ذكره الطبري قال ولا تضاد بين هذا على تقدير صحته وبين ما تقدم مما تضمن ثباته بأن يكون قد قال ذلك من غير انزعاج ولا قلق خافضا به صوته ثم التفت اليهم وقال لهم ما قال * وأخرج البيهقي وأبو نعيم من طريق الواقدي عن شيوخه أنهم شكوا في موته صلى الله عليه وسلم قال بعضهم قد مات وقال بعضهم لم يمت فوضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه عليه الصلاة والسلام فقالت قد توفي قد رفع الخاتم من بين كتفيه فكان هذا الذي قد عرف به موته وأخرجه ابن سعد عن الواقدي أيضا * ولما توفي عليه الصلاة والسلام قالت فاطمة يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه من الى جبريل ننعاه رواه البخاري قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وقد قيل الصواب الى جبريل نعاه جزم بذلك سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان قال والأول موجه فلا معنى لتغليط الرواة بالظن وزاد الطبراني يا أبتاه من ربه ما أدناه وقد عاشت فاطمة رضي الله تعالى عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * وان كان من ليلى على الهجر طاويا

* وأخرج أبو نعيم عن علي قال لما قبض صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا الى السماء والذي بعثه بالحق نبيا لقد سمعت صوتا من السماء ينادي وامحمداه

الحديث كل المصائب تهون عند هذه المصيبة * وفى سنن ابن ماجه أنه صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه أيها الناس ان أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بى عن المصيبة التى تصيبه بغيرى فان أحدا من أمتى لن يصاب بمصيبة بعدى أشد عليه من مصيبتى وقال أبو الجوزاء كان الرجل من أهل المدينة اذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فان فى رسول الله أسوة حسنة ويعجبنى قول القائل

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم بأن المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها * نوب تنوب اليوم تكشف فى غد
واذا أتتك مصيبة تشجى بها * فاذكر مصابك بالنبى محمد

ويرحم الله القائل

تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسى بالنبى محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا * فمن لم يمت فى يومه مات فى غد

كانت الجمادات تتصدع من ألم فراقه صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذى كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح كان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكا وقال هذه خشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أحق ان تشتاقوا اليه * وروى أن بلالا لما كان يؤذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فاذا قال أشهد أن محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن تركه بلال الاذان ما أمر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب

لو ذاق طعم الفراق رضوى * لكان من وجده يميد
قد حملونى عذاب شوق * يعجز عن حمله الحديد

* وقد كانت وفاته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين بلا خلاف وقت دخول المدينة فى هجرته حين اشتد الضحاء ودفن يوم الثلاثاء وقيل ليلة الاربعاء فعند ابن سعد فى الطبقات عن على توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء وعنده أيضا عن عكرمة توفى يوم الاثنين فحبس بقية يومه وليلته ومن الغد حتى دفن من الليل وعنده أيضا عن عثمان بن محمد الاخنسى توفى يوم الاثنين حين زاغت الشمس ودفن يوم الاربعاء وروى أيضا عن أبى بن عباس بن سهل عن أبيه عن جده توفى يوم الاثنين فمكث بقية يوم الاثنين والثلاثاء حتى دفن يوم الاربعاء وعنده أيضا عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب توفى يوم الاثنين حين

زاغت الشمس ورثته عمته صفية رضي الله تعالى عنها بمراثي كثيرة منها قولها

ألا يارسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا براولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده * ولكن أخشى من الهجر آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد * وما خفت من بعد النبي المقاليا
أفاطم صلى الله رب محمد * على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدا لرسول الله أمي وخالتي * وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته * يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه أبو سفيان بن الحارث فقال

ارقت فبت ليلي لا يزول * وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما * اصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبريل
وذلك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق رضي الله عنه بقوله

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه * والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك ان حبك قد ثوى * فالصبر عنك لما لقيت يسير
ياليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في جدث علي صخور
فلتحدثن بدائع من بعده * يعيي بهن جوانح وصدور

ورثاه الصديق أيضا بقوله

ودعنا الوحي اذ وليت عنا * فودعنا من الله الكلام

سوى ماقد تركت لنا رهينا * تضمنه القراطيس الكرام

* واخرج ابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي قال بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم عليل فاوجس أهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان السحر غمت فهتف بي هاتف وهو يقول

خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومعقد الاطام

قبض النبي محمد فعيوننا * تبدي الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الا سعد الذابح فعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قبض أو هو ميت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد أحسن حسان بقوله يرثيه عليه الصلاة والسلام

كنت السواد لناظري * فعمي عليك الناظر

من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

* ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه موته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر ورجع الى قوله قال وهو يبكي بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون ان يكونوا أطاعوك وهم في اطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول الخبر ذكره أبو العباس القصار في شرحه لبردة الابوصيري ونقله عن الرشاطي في كتابه اقتباس الانوار والتماس الازهار وذكره ابن الحاج في المدخل وساقه بتمامه والقاضي عياض في الشفاء لكنه ذكر بعضه ويقع في كثير من نسخ الشفاء روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم بتشديد الكاف من بكا والصواب فيها التخفيف لان هذا الكلام انما سمع من عمر رضي الله تعالى عنه بعد موته صلى الله عليه وسلم كما تقدم ونبهت عليه في حاشيتي على الشفاء والله أعلم ويؤيد هذا قوله في الخبر نفسه بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك مالم يتبع نوحا

في كثرة سنه وطول عمره فلقد آمن لك الكبير ومن آمن معه الا القليل ورثاه حسان بن ثابت رضي الله عنه بقوله

بطيبة رسم للرسول ومعهد * مبين وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمحي الآيات من دار حرمه * بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آيات وباقي معالم * وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها * من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها * أتاها البلى فالآي منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده * وقبرا بها واراه في الترب ملحد
أطالت وقوفا تذرف العين دمعها * على طلل القبر الذي فيه أحمد
فبوركت يا قبر الرسول وبوركت * بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيبا * عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين * تباكت وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلما وعلما ورحمة * عشية علوه الثرى لا يوسد
فراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم * وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السموات موته * ومن قد بكته الارض والناس أكمد
وهل عدلت يوما رزية هالك * رزية يوم مات فيه محمد

* ومن عجيب ما اتفق ما روي عن عائشة أنهم لما أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري أنجرد النبي صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا واغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلائل النبوة * وروى ابن ماجه بسند جيد عن علي يرفعه اذا انا مت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس قال في النهاية بفتح الغين المعجمة وسكون الراء والسين المهملتين * وقد روى ابن النجار أنه عليه الصلاة والسلام قال رأيت الليلة اني على بئر من الجنة فأصبح على بئر غرس فتوضأ منها وبزق فيها وغسل صلى الله عليه وسلم ثلاث غسلات الاولى بالماء القراح والثانية بالماء والسدر والثالثة بالماء والكافور وغسله علي والعباس وابنه الفضل يعينانه وقثم وأسامة وشقران مولاه صلى الله عليه وسلم يصبون الماء وأعينهم معصوبة من وراء الستر لحديث علي لا يغسلني الا انت فانه

لا يرى أحد عورتى الا طمست عيناه رواه البزار والبيهقى * وأخرج البيهقى عن الشعبى قال غسل على النبى صلى الله عليه وسلم فكان يقول وهو يغسله صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا * وأخرج أبو داود وصححه الحاكم عن على قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أرى شيأ وكان طيبا حيا وميتا * وفى رواية ابن سعد وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط قيل وجعل على على يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصروا قميصه وحنطوا مساجده ومفاصله ووضؤا منه ذراعيه ووجهه وكفيه وقدميه وجمروه عودا وندا * وذكر ابن الجوزى أنه روى عن جعفر بن محمد قال كان الماء يستنقع فى جفون النبى صلى الله عليه وسلم فكان على يحسوه وأما ماروى أن عليا لما غسله عليه الصلاة والسلام امتص ماء محاجر عينيه فشربه وأنه قد ورث بذلك علم الاولين والآخرين فقال النووى ليس بصحيح * وفى حديث عروة عن عائشة قالت كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض سحولية أخرجه النسائى من رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن عروة واتفق عليه الائمة الستة من طريق هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة بزيادة من كرسف ليس فيها قميص ولا عمامة وليس قوله من كرسف عند الترمذى ولا ابن ماجه زاد مسلم أما الحلة فانما شبه على الناس فيها أنها اشتريت له ليكفن فيها فتركت الحلة وكفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية فأخذها عبد الله ابن أبى بكر فقال لاحبسنها حتى أكفن فيها نفسى ثم قال لو رضيها الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها فباعها وتصدق بثمنها * وفى رواية له أدرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حلة يمانية كانت لعبد الله بن أبى بكر ثم نزعت عنه وذكر الحديث بطوله * وفى رواية أصحاب السنن الاربعة فذكر لعائشة قولهم كفن فى ثوبين وبرد حبرة فقالت قد أتى بالبرد ولكنهم ردوه ولم يكفنوه فيه قال الترمذى حسن صحيح * وفى رواية البيهقى فى ثلاثة أثواب بيض سحولية جدد والسحولية بفتح السين وضمها قال النووى والفتح أشهر وهو رواية الاكثرين * وفى النهاية يروى بالفتح منسوب الى السحول وهو القصار لانه يسحلها أى يغسلها أو الى سحول وهى قرية باليمن وأما الضم فهو جمع سحل وهو الثوب الابيض النقى ولا يكون الا من قطن وفيه شذوذ لانه نسب الى الجمع وقيل ان اسم القرية بالضم أيضا والكرسف بضم الكاف واسكان الراء وضم السين المهملتين وبالفاء القطن * وقال الترمذى روى فى كفن النبى صلى الله عليه وسلم روايات

مختلفة وحديث عائشة أصح الاحاديث في ذلك والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة وغيرهم * وقال البيهقي في الخلافيات قال أبو عبد الله يعني الحاكم تواترت الاخبار عن علي بن أبي طالب وابن عباس وعائشة وابن عمر وجابر وعبد الله ابن مغفل في تكفين النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة * وعن عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في سبعة اثواب وقد روى هذا الحديث أحمد في مسنده وذكر ابن حزم أن الوهم فيه من ابن عقيل أو من بعده * وقد اختلف في معنى قوله ليس فيها قميص ولا عمامة فالصحيح أن معناه أنه ليس في الكفن قميص ولا عمامة أصلا والثاني أن معناه أنه كفن في ثلاثة اثواب خارج عن القميص والعمامة قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد والاول أظهر في المراد وذكر النووي في شرح مسلم أن الاول تفسير الشافعي وجمهور العلماء قال وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث وقال ان الثاني ضعيف فلم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم كفن في قميص وعمامة انتهى وترتب على هذا الخلاف اختلافهم في أنه هل يستحب أن يكون في الكفن قميص وعمامة أم لا فقال مالك والشافعي وأحمد يستحب أن تكون الثلاثة لفائف ليس فيها قميص ولا عمامة واختلفوا في زيادة القميص والعمامة أو غيرهما على اللفائف الثلاثة لتصير خمسة فذكر الحنابلة أنه مكروه وقال الشافعية انه جائز غير مستحب وقال المالكية انه يستحب للرجال والنساء وهو في حق النساء آكد قالوا والزيادة الى السبعة غير مكروهة وما زاد عليها سرف وقال الحنفية ان الاثواب الثلاثة ازار وقميص ولفافة وقد أجمع المسلمون على وجوبه وهو فرض كفاية فيجب في ماله فان لم يكن له مال فعلى من تلزمه نفقته واختلف أصحابنا في المتزوجة اذا كان لها مال هل يجب تكفينها من مالها أو هو على زوجها فذهب الى الاول الرافعي في الشرح الصغير والمحرر والنووي في المنهاج وذهب الى الثاني الرافعي في الشرح الكبير والنووي في الروضة وشرح المهذب وقال فيه قيد الغزالي وجوب التكفين على الزوج بشرط اعسار المرأة وأنكروه عليه انتهى ومتى كانت معسرة فتكفينها على زوجها قطعا ثم ان الواجب ثوب واحد وهو حق الله تعالى لا تنفذ وصية الميت باسقاطه بخلاف الثاني والثالث فانه حق للميت تنفذ وصيته باسقاطهما وفي هذا الحديث أيضا دلالة على أن القميص الذي غسل فيه النبي صلى الله عليه وسلم نزع عنه عند تكفينه قال النووي في شرح مسلم وهذا هو الصواب الذي لا يتجه غيره لانه لو بقي مع رطوبته

لا فسد الا كفان قال وأما الحديث الذى فى سنن أبى داود عن ابن عباس أن
النبى صلى الله عليه وسلم كفن فى ثلاثة أثواب الحلة ثوبان وقيصه الذى توفى فيه
فحديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به لان يزيد بن زياد أحد رواته مجمع على ضعفه
لاسيما وقد خالف بروايته الثقات * وفى حديث ابن عباس عند ابن ماجه
لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته ثم دخل
الناس عليه صلى الله عليه وسلم ارسالا يصلون عليه حتى اذا فرغوا دخل النساء
حتى اذا فرغن دخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحد * وفى رواية أن أول من صلى عليه صلى الله عليه وسلم الملائكة أفواجا
ثم أهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم نساؤه آخرا * وروى أنه لما صلى أهل بيته
لم يدر الناس ما يقولون فسألوا ابن مسعود فأمرهم ان يسألوا عليا فقال لهم قولوا ان
الله وملائكته يصلون على النبى الآية لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات الله البر
الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك
من شىء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين
ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعى اليك باذنك السراج المنير وعليه
السلام ذكره الشيخ زين الدين ابن الحسين المراغى فى كتابه تحقيق النصرة ثم قالوا
أين تدفنونه فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما هلك نبى قط الا يدفن حيث تقبض روحه وقال على وأنا أيضا سمعته
وحفر أبو طلحة لحد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موضع فراشه حيث قبض
* وقد اختلف فيمن أدخله قبره وأصح ما روى أنه نزل فى قبره عمه العباس وعلى
وقثم بن العباس والفضل بن العباس وكان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله
عليه وسلم قثم بن العباس وروى أنه بنى فى قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة
نجرانية كان يتغطاها فرشها شقران فى القبر وقال والله لا يلبسها أحد بعدك قال
النووى وقد نص الشافعى وجميع أصحابه وغيرهم من العلماء على كراهة وضع
قطيفة أو مضربة أو مخدة ونحو ذلك تحت الميت فى القبر وشذ البغوى من أصحابنا
فقال فى كتابه التهذيب لا بأس بذلك لهذا الحديث والصواب كراهة ذلك كما قاله
الجمهور وأجابوا عن هذا الحديث بأن شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه أحد من
الصحابة ولا علموا بذلك وانما فعله شقران لما ذكرناه عنه من كراهيته أن يلبسها
أحد بعد النبى صلى الله عليه وسلم انتهى * وفى كتاب تحقيق النصرة قال ابن
عبد البر ثم أخرجت يعنى القطيفة من القبر لما فرغوا من وضع اللبنات التسع

حكاه ابن زبالة

ولما دفن صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فقالت كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدا الزمان غواليا

صبت على مصائب لو أنها * صبت على الايام عدن لياليا

قال رزين ورش قبره الشريف صلى الله عليه وسلم رشه بلال ابن رباح بقربة بدأ من قبل رأسه حكاه ابن عساكر وجعل عليه من حصباء حمراء وبيضاء ورفع قبره من الارض قدر شبر * وفي حديث عائشة عند البخاري قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقم منه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أو خشي أن يتخذ مسجدا كذا رواية أبي عوانة عن هلال خشي أو خشي على الشك ورواية الضم مبهمة يمكن أن تفسر بأنها هي التي منعت من ابرازه فالهاء ضمير الشأن وكأنها ارادت نفسها ومن وافقها على ذلك وهذا يقتضي أنهم فعلوا ذلك باجتهاد بخلاف رواية الفتح فانها تقتضي أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أمرهم بذلك وقوله لأبرز قبره أي لكشف قبره صلى الله عليه وسلم ولم يتخذ عليه الحائل أو المراد لدفن خارج بيته وهذا قالته عائشة رضي الله تعالى عنها قبل أن يوسع المسجد ولهذا لما وسع المسجد جعلت حجرتها مثلثة الشكل محددة حتى لا يتأتى لاحد أن يصلي الى جهة القبر الكريم مع استقبال القبلة * وفي البخاري أيضا من حديث أبي بكر بن عياش عن سفيان التمار أنه حدثه انه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما أي مرتفعا زاد أبو نعيم في المستخرج وقبر أبي بكر وعمر كذلك واستدل به على أن المستحب تسنيم القبور وهو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد والمزني وكثير من الشافعية وادعى القاضي حسين اتفاق الاصحاب عليه وتعقب بأن جماعة من قدماء الشافعية استحبوا التسطيح كما نص عليه الشافعي وبه جزم الماوردي وآخرون وقول سفيان التماري لا حجة فيه كما قال البيهقي لاحتمال أن قبره صلى الله عليه وسلم في الاول لم يكن مسنما فقد روى أبو داود والحاكم من طريق القاسم بن محمد بن أبي بكر قال دخلت على عائشة فقلت يا أماه اكشفي لي عن قبر النبي صلى الله عليه وسلم فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطية مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء زاد الحاكم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدما وأبو بكر رأسه بين كتفي

النبي صلى الله عليه وسلم وعمر رأسه عند رجلي النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كان في خلافة معاوية فكأنها كانت في الاول مسطحة ثم لما بني جدار القبور في امارة عمر بن عبد العزيز على المدينة من قبل الوليد بن عبد الملك صيروها مرتفعة * وقد روى أبو بكر الآجري في كتاب صفة قبر النبي صلى الله عليه وسلم من طريق اسحاق بن عيسى ابن بنت داود بن أبي هند عن غنيم بن قسطاس المدني قال رأيت قبر النبي صلى الله عليه وسلم في امارة عمر بن عبد العزيز رأيته مرتفعا نحوا من أربع أصابع ورأيت قبر أبي بكر وراء قبره ورأيت قبر عمر وراء قبر أبي بكر أسفل منه ثم الاختلاف في ذلك في أيهما أفضل لا في أصل الجواز رجح المزني التسنيم من حيث المعنى بأن المتسطح يشبه ما يصنع للجلوس بخلاف المسنم ويرجح التسطيح ما رواه مسلم من حديث فضالة بن عبيد أنه أمر بقبر فسوي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها * وعن هشام بن عروة عن أبيه لما سقط عليهم الحائط يعني حائط حجرة النبي صلى الله عليه وسلم في زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا في بنائه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا أنها قدم النبي صلى الله عليه وسلم فما وجدوا أحدا يعلم ذلك حتى قال لهم عروة والله ما هي قدم النبي صلى الله عليه وسلم والله ما هي الا قدم عمر رواه البخاري أيضا والسبب في ذلك ما رواه الآجري من طريق شعيب بن اسحاق عن هشام بن عروة قال أخبرني أبي قال كان الناس يصلون الى القبر الشريف فأمر عمر بن عبد العزيز فرفع حتى لا يصل اليه أحد فلما هدم بدت قدم بساق وركبة ففزع عمر بن عبد العزيز فأتاه عروة فقال هذه ساق عمر وركبته فسري عن عمر بن عبد العزيز وروى الآجري قال رجاء ابن حيوة قبر أبي بكر عند وسط النبي صلى الله عليه وسلم وعمر خلف أبي بكر رأسه عند وسطه وهذا ظاهره يخالف حديث القاسم فان أمكن الجمع والا فحديث القاسم أصح وأما ما أخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن عائشة أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره فسنده ضعيف انتهى ملخصا من فتح الباري * وقد اختلف أهل السير وغيرهم في صفة القبور المقدسة على سبع روايات أوردها ابن عساكر في تحفة الزائر ونقل أهل السير عن سعيد بن المسيب قال بقي في البيت موضع قبر في السهوة الشرقية يدفن فيه عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ويكون قبره الرابع وفي المنتظم لابن الجوزي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى ابن مريم في الارض فيتزوج ويولد له ويمكث خمسا وأربعين سنة ثم يموت فيدفن معي في قبري وأقوم أنا وعيسى ابن مريم من قبر واحد بين أبي بكر وعمر كذا

ذكره

ذكر في تحقيق النصرة والله أعلم فان قلت تقدم أنه عليه الصلاة والسلام توفي يوم
الاثنين ودفن يوم الاربعاء فلم أخر دفنه عليه الصلاة والسلام وقد قال عليه الصلاة
والسلام لاهل بيت أخروا دفن ميتهم عجلوا دفن ميتكم ولا تؤخروه * فالجواب
لما ذكر من عدم اتفاقهم على موته أولا لانهم كانوا لا يعلمون حيث يدفن قال قوم
في البقيع وقال آخرون في المسجد وقال قوم يحمل الى أبيه ابراهيم حتى يدفن عنده
حتى قال العالم الاكبر صديق الامة سمعته يقول ما دفن نبي الا حيث يموت
ذكره ابن ماجه والموطأ كما تقدم وفي رواية الترمذي ما قبض الله نبيا
الا في الموضع الذي يدفن فيه ادفنوه في موضع فراشه ولانهم اشتغلوا في الخلاف
الذي وقع بين المهاجرين والانصار في البيعة فنظروا فيها حتى استقر الامر في الخلافة
ونظاموا فبايعوا أبا بكر ثم بايعوه بالغد بيعة أخرى على ملأ منهم وكشف الله به
الكربة من أهل الردة ثم رجعوا بعد ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنظروا
في دفنه فغسلوه وكفنوه ودفنوه ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان
ليوم قدوم روحه الكريمة كزينة المدينة ليوم قدومه فاذا كان عرش
الرحمن قد اهتز لموت بعض أتباعه فرحا واستبشارا لقدوم روحه فكيف بقدوم
روح الارواح * ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بحرابهم
فرحا بقدومه كما رواه أبو داود من حديث أنس * وفي رواية الدارمي قال أنس
ما رأيت يوما كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة وما رأيت يوما كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي رواية الترمذي لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل
شيء وما نفضنا أيدينا من التراب وانا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا * ومن آياته عليه
الصلاة والسلام بعد موته ما ذكر من حزن حماره عليه حتى تردى في بئر وكذا ناقته
فانها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت * ومن ذلك ظهور ما أخبر أنه كائن بعد موته
مما لا نهاية له ولا عدة يحصيه مما ذكرت بعضه في المقصد الثامن * وفي حديث
أبي موسى عند مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا أراد بأمة خيرا قبض نبيها
قبلها فجعله فرطا وسلفا بين يديها واذا أراد الله هلكة أمة عذبها ونبيها حي
فأهلكها وهو ينظر فأقر عينيه بهلاكها حين كذبوه وعصوا أمره وانما كان
قبض النبي صلى الله عليه وسلم قبل أمته خيرا لانهم اذ قبضوا قبله انقطعت أعمالهم
واذا أراد الله بهم خيرا جعل خيرهم متقدما بقاؤهم بعده فيطيعون على ما أمروا به من

العبادات وحسن المعاملات نسلا بعد نسل وعقبا بعد عقب

(الفصل الثاني في زيارة قبره الشريف ومسجده المنيف)

اعلم أن زيارة قبره الشريف من أعظم الآيات وأرجى الطاعات والسبيل الى أعلى الدرجات ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الاسلام وخالف الله ورسوله وجماعة العلماء الاعلام وقد أطلق بعض المالكية وهو أبو عمران الفاسي كما ذكره في المدخل عن تهذيب الطالب لعبد الحق أنها واجبة قال ولعله أراد وجوب السنن المؤكدة * وقال القاضي عياض انها سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها * وروى الدارقطني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زار قبري وجبت له شفاعتي ورواه عبد الحق في أحكامه الوسطى وفي الصغرى وسكت عنه وسكوته عن الحديث فيهما دليل على صحته * وفي المعجم الكبير للطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من جاءني زائرا لا تعمله حاجة الا زيارتي كان حقا على أن أكون شفيعا له يوم القيامة وصححه ابن السكن * وروى عنه صلى الله عليه وسلم من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني ذكره ابن فرحون في مناسكه والغزالي في الاحياء ولم يخرجه العراقي بل أشار الى ما أخرجه ابن النجار في تاريخ المدينة مما هو في معناه عن أنس بلفظ ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني الا وليس له عذر ولابن عدي في الكامل وابن حبان في الضعفاء والدارقطني في العلل وغرائب مالك وآخرين كلهم عن ابن عمر مرفوعا من حج ولم يزرني فقد جفاني ولا يصح وعلى تقدير ثبوته فليتأمل قوله فقد جفاني فانه ظاهر في حرمة ترك الزيارة لان الجفاء أذى والأذى حرام بالاجماع فتجب الزيارة اذ ازالة الجفاء واجبة وهي بالزيارة فالزيارة واجبة حينئذ وبالجملة فمن تمكن من زيارته ولم يزره فقد جفاه وليس من حقه علينا ذلك * وعن حاطب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين رواه البيهقي عن رجل من آل حاطب لم يسمه عن حاطب * وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من زار قبري أو قال من زارني كنت شفيعا له وشهيدا رواه البيهقي وغيره عن رجل من آل عمر لم يسمه عن عمر * وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني محتسبا الى المدينة كان في جواري يوم القيامة رواه البيهقي أيضا قال العلامة زين الدين ابن الحسين المراغي وينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته صلى الله عليه وسلم قربة للاحاديث الواردة في ذلك ولقوله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم

جاؤك

جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية لان تعظيمه صلى الله عليه وسلم لا ينقطع بموته ولا يقال ان استغفار الرسول لهم انما هو في حال حياته وليست الزيارة كذلك لما أجاب به بعض الائمة المحققين أن الآية دالة على تعليق وجدان الله تعالى توابا رحيما بثلاثة أمور المجيء واستغفارهم واستغفار الرسول لهم وقد حصل استغفار الرسول لجميع المؤمنين والمؤمنات لانه صلى الله عليه وسلم قد استغفر للجميع قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فاذا وجدان مجيئهم واستغفارهم تكملت الامور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته * وقد أجمع المسلمون على استحباب زيارة القبور كما حكاه النووي وأوجبها الظاهرية فزيارته صلى الله عليه وسلم مطلوبة بالعموم والخصوص لما سبق ولان زيارة القبور تعظيم وتعظيمه صلى الله عليه وسلم واجب ولهذا قال بعض العلماء لا فرق في زيارته صلى الله عليه وسلم بين الرجال والنساء وان كان محل الاجماع على استحباب زيارة القبور للرجال وفي النساء خلاف الاشهر في مذهب الشافعي الكراهة قال ابن حبيب من المالكية ولا تدع زيارة قبره صلى الله عليه وسلم والصلاة في مسجده فان فيه من الرغبة ما لا غنى بك ولا بأحد عنه وينبغي لمن نوى الزيارة أن ينوي مع ذلك زيارة مسجده الشريف والصلاة فيه فانه أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال الا اليها وهو أفضلها عند مالك وليس لشد الرحال الى غير المساجد الثلاثة فضل لان الشرع لم يجيء به وهذا الامر لا يدخله قياس لان شرف البقعة انما يعرف بالنص الصريح عليه وقد ورد النص في هذه دون غيرها وقد ورد أن عمر بن عبد العزيز كان يبرد البريد للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم فالسفر اليه قربة لعموم الادلة ومن نذر الزيارة وجبت عليه كما جزم به ابن كج من أصحابنا وعبارته اذا نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم لزمه الوفاء به وجها واحدا انتهى ولو نذر اتيان المسجد الاقصى للصلاة لزمه ذلك على الاصح عندنا وبه قال المالكية والحنابلة لكنه يخرج عنه بالصلاة في المسجد الحرام وصحح النووي أيضا أنه يخرج عنه بالصلاة في مسجد المدينة قال ونص عليه الشافعي في البويطي وبه قال الحنفية والحنابلة وللشيخ تقي الدين بن تيمية هنا كلام شنيع عجيب يتضمن منع شد الرحال للزيارة النبوية المحمدية وأنه ليس من القرب بل بضد ذلك ورد عليه الشيخ تقي الدين السبكي في شفاء السقام فشفى صدور المؤمنين وحكى الشيخ ولي الدين العراقي أن والده كان معادلا للشيخ زين الدين عبد الرحمن ابن رجب الدمشقي في التوجه الى بلد الخليل عليه الصلاة والسلام فلما دنا من البلد قال نويت الصلاة في مسجد

الخليل عليه الصلاة والسلام ليحترز عن شد الرحال لزيارته على طريقة شيخ الحنابلة بن تيمية قال فقلت نويت زيارة قبر الخليل عليه الصلاة والسلام ثم قلت له أما أنت فقد خالفت النبي صلى الله عليه وسلم لانه قال لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد وقد شددت الرحل الى مسجد رابع وأما أنا فاتبعت النبي صلى الله عليه وسلم قال زوروا القبور أفقال الاقبور الانبياء قال فبهت وينبغي لمن أراد الزيارة أن يكثر من الصلاة والتسليم عليه في طريقه فاذا وقع بصره على معالم المدينة الشريفة وما تعرف به فليزد الصلاة والتسليم وليسأل الله أن ينفعه بزيارته ويسعده بها في الدارين وليغتسل ويلبس النظيف من ثيابه وليترحل ماشيا باكيا ولما رأى وفد عبد القيس رسول الله صلى الله عليه وسلم ألقوا أنفسهم عن رواحلهم ولم ينيخوها وسارعوا اليه فلم ينكر ذلك عليهم صلوات الله وسلامه عليه وروينا ماذكره القاضي عياض في الشفاء ان أبا الفضل الجوهري لما ورد الى المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة * لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وأنبئت بأن العلامة أبا عبد الله بن رشيد قال لما قدمنا المدينة سنة أربع وثمانين وستمائة كان معي رفيقي الوزير أبو عبد الله ابن أبي القاسم بن الحكيم وكان أرمد فلما دخلنا ذا الحليفة أونحوها نزلنا عن الاكوار وقوى الشوق لقرب المزار فنزل وبادر بالمشي على قدميه احتسابا لتلك الآثار واعظاما لمن حل تلك الديار فأحس بالشفاء فأنشد لنفسه في وصف الحال لمن حل

ولما رأينا من ربوع حبيبنا * بيثرب أعلاما أثرن لنا الحبا
وبالترب منها اذ كحلنا جفوننا * شفينا فلا بأسا نخاف ولا كربا
وحين تبدى للعيون جمالها * ومن بعدها عنا أزيلت لنا قربا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة * لمن حل فيها أن نلم بها ركبا
نسح سجال الدمع في عرصاته * ونلثم من حب لواطئه التربا
وان بقائي دونه لخسارة * ولو ان كفي تملك الشرق والغربا
فيا عجبا ممن يحب بزعمه * يقيم مع الدعوى ويستعمل الكذبا
وزلات مثلي لاتعدد كثرة * وبعدي عن المختار أعظمها ذنبا

* ولما كنت سائرا لقصد الزيارة في ربيع الآخر سنة اثنين وتسعين وثمانمائة ولاح لنا عند الصباح جبل مفرح الارواح المبشر بقرب المزار من أشرف الديار

تسابق الزوار اليه وتمالوا بالصعود عليه استمتعوا بمشاهدة تلك الآثار واقتباسا لمشاهدة تلك الانوار فبرقت لوامع الانوار النبوية وهب عرف نسمات المعارف المحمدية فطبنا وغبنا اذ شهدنا أعلام ديار أشرف البرية

ألا مع برق يغتدي ويروح * أم النور من أرض الحجاز يلوح
وريح الصبا هبت بطيب عرفهم * أم الروض في وجه الصباح يفوح
اذا ريح ذاك الحي هبت فانها * حياة لمن يغدو لها ويروح
ترفق بنا يا حادي العيس والتفت * فللنور بين الواديين وضوح
فما هذه الا ديار محمد * وذاك سناها يغتدي ويروح
والا فما للركب زاد اشتياقهم * فكل من الشوق الشديد يصيح
وأنت مطايا الركب حتى كأنها * حمام على قضب الاراك تنوح
وقد مدت الاعناق شوقا * وطرفها الى النور من تلك الديار لموح
رأت دار من تهوى فزاد اشتياقها * ودمعها في الوجنتين سفوح
اذا العيس باحت بالغرام ولم تطق * خفاء فما للصب ليس يبوح

* ولما قربنا من ديار المدينة وأعلامها وتدانينا من معاينة رباها الكريمة وآكامها وانتشقنا عرف لطائف أزهارها وبدت لنواظرنا بوارق أنوارها وترادفت وأرادت نخ والعطايا ونزل القوم عن المطايا فأنشدت متمثلا

أتيتك زائرا وودت أني * جعلت سواد عيني أمتطيه
ومالي لا أسير على الاماقي * الى قبر رسول الله فيه

* ولما وقع بصري على القبر الشريف والمسجد المنيف فاضت من الفرح سوابق العبرات حتى أصابت بعض الثرا والجدرات

أيها المغرم المشوق هنيئا * ما أنالوك من لذيذ التلاق
قل لعينيك تهملان سرورا * طال ما أسعداك يوم الفراق
واجمع الوجد والسرور ابتهاجا * وجميع الاشجان والاشواق
ومر العين أن تفيض انهمالا * وتوالي بدمعها المهراق
هذه دارهم وأنت محب * ما بقاء الدموع في الاماق
وكان ما كان مما لست أذكره * فظن خيرا ولا تسئل عن الخبر

ويستحب صلاة ركعتين تحية المسجد قبل الزيارة قيل وهذا اذا لم يكن مروره من جهة وجهه الشريف عليه الصلاة والسلام فان كان استحبت الزيارة قبل التحية قال في تحقيق النصرة وهو استدراك حسن قاله بعض شيوخنا وفي منسك ابن فرحون فان قلت المسجد انما تشرف باضافته اليه صلى الله عليه وسلم فينبغي البداءة بالوقوف عنده

صلى الله عليه وسلم قالت قال ابن حبيب في أول كتاب الصلاة حدثني مطرف عن مالك عن يحيى بن سعيد عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال قدمت من سفر فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم عليه وهو بفناء المسجد فقال أدخلت المسجد فصليت فيه قلت لا قال فاذهب فادخل المسجد وصل فيه ثم ائت فسلم على ورخص بعضهم في تقديم الزيارة على الصلاة قال ابن الحاج وكل ذلك واسع ولعل هذا الحديث لم يبلغهم والله أعلم انتهى ويبنغي للزائر أن يستحضر من الخشوع ما أمكنه وليكن مقتصدا في سلامه بين الجهر والاسرار * وفي البخاري أن عمر رضي الله تعالى عنه قال لرجلين من الطائف لو كنتما من أهل البلد لاوجعتكما ضربا ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقد روى عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال لا ينبغي رفع الصوت على نبي حيا ولا ميتا * وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم فترسل اليهم لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وما عمل علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه مصراعي داره الا بالمناصع توقيا لذلك نقله ابن زبالة فيجب الادب معه كما في حياته * وينبغي للزائر أن يتقدم الى القبر الشريف من جهة القبلة وان جاء من جهة رجلي الصاحبين فهو أبلغ في الادب من الاتيان من جهة رأسه المكرم ويستدبر القبلة ويقف قبالة وجهه صلى الله عليه وسلم وأن يقابل المسمار الفضة المضروب في الرخام الذي في الجدار ولا عبرة بالقنديل الكبير اليوم لان هناك عدة قناديل * وقد روى ان مالكا سأله أبو جعفر المنصور العباسي يا أبا عبد الله أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو أم استقبل القبلة وأدعو فقال له مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصلاة والسلام الى الله عز وجل يوم القيامة لكن رأيت منسوبا للشيخ تقي الدين ابن تيمية في منسكه أن هذه الحكاية كذب على مالك وأن الوقوف عند القبر بدعة قال ولم يكن أحد من الصحابة يقف عنده ويدعو لنفسه ولكن كانوا يستقبلون القبلة ويدعون في مسجده صلى الله عليه وسلم قال ومالك من أعظم الائمة كراهية لذلك وينبغي أن يقف عند محاذاة أربعة أذرع ويلازم الادب والخشوع والتواضع غاض البصر في مقام الهيبة كما كان يفعل بين يديه في حياته ويستحضر علمه بوقوفه بين يديه وسماعه لسلامه كما هو في حال حياته اذ لا فرق بين موته وحياته في مشاهدته لامته ومعرفته بأحوالهم ونياتهم وعزائمهم وخواطرهم وذلك عنده جلي لا خفاء به فان قلت هذه الصفات مختصة بالله تعالى فالجواب أن من انتقل الى عالم البرزخ من

المؤمنين

المؤمنين بعلم أحوال الاحياء غالبا وقد وقع كثير من ذلك كما هو مسطور في مظنة ذلك من الكتب * وقد روى ابن المبارك عن سعيد ابن المسيب ليس من يوم الا وتعرض على النبي صلى الله عليه وسلم أعمال أمته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم فلذلك يشهد عليهم ويمثل الزائر وجهه الكريم عليه الصلاة والسلام في ذهنه ويحضر قلبه جلال رتبته وعلو منزلته وعظيم حرمته وان أكابر الصحابة ما كانوا يخاطبونه الا كأخي السرار تعظيما لما عظم الله من شأنه * وقد روى ابن النجار أن امرأة سألت عائشة رضي الله عنها أن اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفته فبكت حتى ماتت وحكى عن أبي الفضائل الحموي أحد خدام الحجرة المقدسة أنه شاهد شخصا من الزوار الشيوخ أتى باب مقصورة الحجرة الشريفة فطأطأ رأسه نحو العتبة فحركوه فاذا هو ميت وكان ممن شهد جنازته ثم يقول الزائر بحضور قلب وغض طرف وصوت وسكون جوارح واطراق السلام عليك يارسول الله السلام عليك يانبي الله السلام عليك ياحبيب الله السلام عليك ياخيرة خلق الله السلام عليك ياصفوة الله السلام عليك ياسيد المرسلين وخاتم النبيين السلام عليك ياقائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين السلام عليك وعلى سائر الانبياء وسائر عباد الله الصالحين جزاك الله يارسول الله أفضل ماجازى نبيا ورسولا عن أمته وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الامانة ونصحت الامة وجاهدت في الله حق جهاده ومن ضاق وقته عن ذلك أو عن حفظه فليقل ماتيسر منه أو ما يحصل به الغرض * وفي التحفة أن ابن عمر وغيره من السلف كانوا يقتصرون ويوجزون في هذا جدا فعن مالك ابن أنس امام دار الهجرة وناهيك به خبرة بهذا الشأن من رواية ابن وهب عنه يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وعن نافع عن ابن عمر أنه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد ثم أتى القبر المقدس فقال السلام عليك يارسول الله السلام عليك يا أبابكر السلام عليك يا أبتاه وينبغي أن يدعو ولا يتكلف السجع فانه يؤدي الى الاخلال بالخشوع وقد حكى جماعة منهم الامام أبو منصور الصباغ في الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية ابن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب وتوفي في سنة ثمان وعشرين ومائتين

وذكرها ابن النجار وابن عساكر وابن الجوزى فى مثير الغرام الساكن عن محمد ابن حرب الهلالى قال أتيت قبر النبى صلى الله عليه وسلم فزرته وجلست بحذائه فجاء أعرابى فزاره ثم قال ياخير الرسل ان الله أنزل عليك كتابا صادقا قال فيه ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد جئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى وأنشأ يقول

ياخير من دفنت بالقاع أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

* ووقف أعرابى على قبره الشريف وقال اللهم انك أمرت بعتق العبيد وهذا حبيبك وأنا عبدك فأعتقنى من النار على قبر حبيبك فهتف هاتف بى ياهذا تسأل العتق لك وحدك هلا سألت لجميع الخلق اذهب فقد عتقناك من النار

ان الملوك اذا شابت عبيدهم * فى رقهم أعتقوهم عتق احرار
وأنت ياسيدى أولى بذا كرما * قد شبت فى الرق فاعتقنى من النار

* وعن الحسن البصرى قال وقف حاتم الاصم على قبر النبى صلى عليه وسلم فقال يارب انا زرنا قبر نبيك فلا تردنا خائبين فنودى ياهذا ما أذنا لك فى زيارة قبر حبيبنا الا وقد قبلناك فارجع أنت ومن معك من الزوار مغفورا لكم * وقال ابن أبى فديك سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا أنه من وقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وقال صلى الله عليك يامحمد حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يافلان ولم تسقط لك حاجة قال الشيخ زين الدين المراغى وغيره والاولى أن ينادى يارسول الله وان كانت الرواية يامحمد انتهى وقد نبهت على ذلك مع مزيد بيان فى كتاب لوامع الانوار فى الادعية والاذكار فان أوصاه أحد بابلاغ السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فليقل السلام عليك يارسول الله من فلان ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على أبى بكر رضى الله تعالى عنه لان رأسه بحذاء منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماجزم به رزين وغيره وعليه الاكثر فيقول السلام عليك ياخليفة سيد المرسلين السلام عليك يامن أيد الله به يوم الردة الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم ينتقل عن يمينه قدر ذراع فيسلم على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فيقول السلام عليك ياأمير المؤمنين السلام عليك يامن أيد الله به الدين جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا اللهم ارض عنه وارض عنا به ثم يرجع الى موقفه الاول قبالة وجه سيدنا

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد السلام على سيدنا أبي بكر وعمر رضي الله تعالى ويمجده ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويكثر من الدعاء والتضرع ويجدد التوبة في حضرته الكريمة ويسأل الله بجاهه أن يجعلها توبة نصوحا ويكثر من الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم بحضرته الشريفة حيث يسمعه ويرد عليه * وقد روى أبو داود من حديث أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يسلم على الارد الله على روحي حتى أرد عليه السلام * وعند ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة مرفوعا من صلى على عند قبري سمعته ومن صلى على نائيا ابلغته * وعن سليمان ابن سحيم ما ذكره القاضي عياض في الشفاء قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك أتفقه سلامهم قال نعم وأرد عليهم * ولا شك أن حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثابتة معلومة مستمرة ونبينا صلى الله عليه وسلم أفضلهم واذا كان كذلك فينبغي أن تكون حياته صلى الله عليه وسلم أكمل وأتم من حياة سائرهم فان قال سقيم الطبع ردىء الفهم لو كانت حياته صلى الله عليه وسلم مستمرة ثابتة لما كان لرد روحه معنى كما قال الارد الله على روحي يجاب عن ذلك من وجوه أحدها أن هذا الكلام ثبوت وصف الحياة دائما لثبوت رد السلام دائما فوصف الحياة لازم لرد السلام واللازم يجب وجوده عند ملزومه أو ملزوم ملزومه فوصف الحياة ثابت دائما لان ملزوم ملزومه ثابت دائما وهذا من نفاثات سحر البيان في اثبات المقصود بأكمل أنواع البلاغة وأجل فنون البراعة التي هي قطرة من بحار بلاغته العظمى ومنها أن ذلك عبارة عن اقبال خاص والتفات روحاني يحصل من الحضرة النبوية الى عالم الدنيا وقوالب الاجساد الترابية وتنزل الى دائرة البشرية حتى يحصل عند ذلك رد السلام وهذا الاقبال يكون عاما شاملا حتى لو كان المسلمون في كل لمحة أكثر من ألف ألف لوسعهم ذلك الاقبال النبوي والالتفات الروحاني ولقد رأيت من ذلك ما لا أستطيع أن أعبر عنه ولقد أحسن من سئل كيف يرد النبي صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه من مشارق الارض ومغاربها في آن واحد فأنشد قول أبي الطيب

كالشمس في وسط السماء ونورها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

ولا ريب أن حاله صلى الله عليه وسلم في البرزخ أفضل وأكمل من حال الملائكة هذا وسيدنا عزرائيل عليه الصلاة والسلام يقبض مائة ألف روح في آن واحد ولا يشغله قبض عن قبض وهو مع ذلك مشغول بعبادة الله تعالى مقبل على التسبيح

والتقديس فنبينا صلى الله عليه وسلم حي يصلي ويعبد ربه ويشاهده لا يزال في حضرة اقترابه متلذذا بسماع خطابه وقد تقدم الجواب عن قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون في أواخر الخصائص من المقصد الرابع * وقد روى الدارمي عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان أيام الحرة لم يؤذن في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبرح سعيد بن المسيب من المسجد وكان لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وسلم * وذكر ابن النجار وابن زبالة بلفظ قال سعيد يعني ابن المسيب فلما حضرت الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت ركعتين ثم سمعت الاقامة فصليت الظهر ثم مضى ذلك الاذان والاقامة في القبر المقدس لكل صلاة حتى مضت الثلاث الليال يعني ليال أيام الحرة * وقد روى البيهقي وغيره من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الانبياء أحياء في قبورهم يصلون * وفي رواية ان الانبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكن يصلون بين يدي الله حتى ينفخ في الصور وله شواهد في صحيح مسلم منها قوله صلى الله عليه وسلم مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره * وفي حديث أبي ذر في قصة المعراج أن لقي الانبياء في السموات وكلموه وقد ذكرت مزيد بيان لذلك في حجة الوداع من مقصد عباداته وفي ذكر الخصائص الكريمة من مقصد معجزاته وفي مقصد الاسراء والمعراج * وهذه الصلوات والحج الصادر من الانبياء ليس على سبيل التكليف انما هو على سبيل التلذذ ويحتمل أن يكونوا في البرزخ ينسحب عليهم حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور من غير خطاب تكليف وبالله التوفيق واذا ثبت بشهادة قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حياة الشهيد ثبت للنبي صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى والذي عليه جمهور العلماء أن الشهداء أحياء حقيقة وهل ذلك للروح فقط أم للجسد معها بمعنى عدم البلاء قولان وقد صح عن جابر أن أباه وعمرو بن الجموح وكانا ممن استشهدا بأحد دفنا في قبر واحد حتى حفر السيل قبرهما فوجدا لم يتغيرا وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين ذلك وبين أحد ست وأربعون سنة * وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال في شهداء أحد والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد الى يوم القيامة الا ردوا عليه رواه البيهقي عن أبي هريرة وقد قال ابن شهاب بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا من الصلاة على في الليلة الغراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل أجساد الانبياء رواه

أبو داود وابن ماجه ونقل ابن زبالة عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كلمه روح القدس لم يؤذن للارض أن تأكل من لحمه وقد ثبت أن نبينا صلى الله عليه وسلم مات شهيدا لأكله يوم خيبر من شاة مسمومة سما قاتلا من ساعته حتى مات منه بشر ابن البراء وصار بقاؤه صلى الله عليه وسلم معجزة فكان به ألم السم يتعاهده الى أن مات به ولذا قال في مرض موته كما مازالت أكلة خيبر تعادني حتى كان الآن قطعت أبهري والابهران عرقان يخرجان من القلب تتشعب منهما الشرايين كما ذكره في الصحاح قال العلماء فجمع الله له بذلك النبوة والشهادة انتهى * وقد اختلف في محل الوقوف للدعاء فعند الشافعية انه قبالة وجهه كما ذكرته وقال ابن فرحون من المالكية اختلف أصحابنا في محل الوقوف للدعاء ففي الشفاء قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم يقف للدعاء ووجهه الى القبر الشريف لا الى القبلة وقد سأل الخليفة المنصور مالكا فقال يا أبا عبد الله أأستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه الصلاة والسلام الى الله يوم القيامة وقال مالك في المبسوط لا أرى أن يقف عند القبر يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن فرحون ولعل ذلك ليس اختلاف قوله وانما أمر المنصور بذلك لانه يعلم ما يدعو ويعلم آداب الدعاء بين يديه صلى الله عليه وسلم فأمن عليه من سوء الادب فافتاه بذلك وأفتى العامة أن يسلموا وينصرفوا لئلا يدعوا تلقاء وجهه الكريم ويتوسلوا به في حضرته الى الله العظيم فيما لا ينبغي الدعاء به أو فيما يكره أو يحرم فمقاصد الناس وسرائرهم مختلفة وأكثرهم لا يقوم بآداب الدعاء ولا يعرفها فلذلك أمرهم مالك بالسلام والانصراف انتهى ورأيت بمانسب للشيخ تقي الدين بن تيمية في منسكه ولا يدعو وهناك مستقبل الحجرة ولا يصلي اليها ولا يقبلها فان هذا كله منهي عنه باتفاق الائمة ومالك من أعظم الائمة كراهية لذلك والحكاية المروية عنه أنه أمر المنصور أن يستقبل القبر وقت الدعاء كذب على مالك كذا قال والله أعلم انتهى وأما قول الابوصيري في بردة المديح

لاطيب يعدل تربا ضم أعظمه * طوبى لمنتشق منه وملتثم

فقال شارحها العلامة ابن مرزوق وغيره كأنه اشارة الى النوعين المستعملين في الطيب لانه اما ان يستعمل بالشم واليه أشار بقوله لمنتشق واما بالتضمخ واليه أشار بملتثم قال وأقل ذلك بتعبير جبهته وأنفه بتربته حال السجود في مسجد عليه

الصلاة والسلام فليس المراد به تقبيل القبر الشريف فانه مكروه ونقل الزركشي عن السيرافي ان طوبى الطيب وكذا قال ابن مرزوق طوبى فعلى من أنواع الطيب وهذا مبني على ان المراد أن تربته أفضل أنواع الطيب باعتبار الحقيقة الحسية وذلك اما لانه كذلك في نفس الامر أدركه من أدركه أم لا واما باعتبار اعتقاد المؤمن في ذلك فان المؤمن لا يعدل بشم رائحة تربته عليه الصلاة والسلام شيأ من الطيب فان قلت لو كان المراد الحقيقة الحسية لأدرك كل أحد فالجواب لا يلزم من قيام المعنى بمحل ادراكه لكل أحد بل حتى توجد الشروط وتنتفي الموانع وعدم الادراك لا يدل على عدم المدرك وانتفاء الدليل لا يدل على انتفاء المدلول فالمزكوم لا يدرك رائحة المسك مع ان الرائحة قائمة بالمسك لم تنفك عنه ولما كانت أحوال القبر من الامور الاخروية لاجرم لا يدركها من الاحياء الا من كشف الله له الغطاء من الاولياء المقربين لان متاع الآخرة باق ومن في الدنيا فان والفاني لا يتمتع بالباقي للتضاد ولا ريب عند من له أدنى تعلق بشريعة الاسلام ان قبره روضة من رياض الجنة بل أفضلها واذا كان القبر كما ذكرناه وقد حوى جسمه الشريف عليه الصلاة والسلام الذي هو أطيب الطيب فلا مرية انه لا طيب يعدل تراب قبره المقدس ورحم الله أبا العباس أحمد بن محمد العريف حيث يقول في قصيدته التي أولها

اذا ما حدى الحادي باجمال يثرب * فليت المطايا فوق خدي تعبق

ثم قال بعد أبيات

فما عبق الريحان الا وتربها * أجل من الريحان طيبا وأعبق

وله أيضا

ولما تركنا بهم تبدي روائحها * طيبا فيا طيب ذاك الوفد أشباحا

نسيم قبر النبي المصطفى لهم * روض اذا نشروا من ذكره فاحا

ولله در القائل

فاح الصعيد بجسمه فكأنه * روض يتم بعرفه المتأرج

ما جسمه امام بغيره الثرى * والروح منه كالصباح الابلج

وقال ابن بطال في قوله عليه الصلاة والسلام المدينة تنصع طيبها هو مثل ضربه للمؤمن المخلص الساكن فيها الصابر على لاوائها مع فراق الاهل والتزام المخافة من العدو فلما باع نفسه من الله والتزم هذا الامر بان صدقه ونصع ايمانه وقوي لاغتباطه بسكنى المدينة وبقربه من رسوله كما تنصع ريح الطيب فيها

ويزيد عبقا على سائر البلاد خصوصية خص الله بها بلدة رسوله عليه الصلاة والسلام الذى اختار تربتها المباشرة جسده الطيب المطهر وقد جاء فى الحديث أن المؤمن يقبر فى التربة التى خلق منها فكانت هذه تربة المدينة أفضل الترب كما أنه عليه الصلاة والسلام أفضل البشر فلهذا والله أعلم يتضاعف ريح الطيب فيها على سائر البلدان انتهى وينبغى للزائر أن يكثر من الدعاء والتضرع والاستغاثة والتشفع والتوسل به صلى الله عليه وسلم فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه واعلم أن الاستغاثة هى طلب الغوث فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث منه فلا فرق بين أن يعبر بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو التشفع أو التجوه أو التوجه لانهما من الجاه والوجاهة ومعناه علو القدر والمنزلة وقد يتوسل بصاحب الجاه الى من هو أعلى منه ثم ان كلا من الاستغاثة والتوسل والتشفع والتوجه بالنبى صلى الله عليه وسلم كما ذكره فى تحقيق النصرة ومصباح الظلام واقع فى كل حال قبل خلقه وبعده فى مدة حياته فى الدنيا وبعد موته فى مدة البرزخ وبعد البعث فى عرصات القيامة فأما الحالة الاولى فحسبك ماقدمته فى المقصد الاول من استشفاع آدم عليه الصلاة والسلام به لما أخرج من الجنة وقول الله تعالى يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد فى أهل السموات والارض لشفعناك وفى حديث عمر بن الخطاب عند الحاكم والبيهقى وغيرهما واذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ويرحم الله ابن جابر حيث قال

به قد أجاب الله آدم اذ دعى * ونجى فى بطن السفينة نوح
وماضرت النار الخليل لنوره * ومن أجله نال الفداء ذبيح

وصح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسئلك بحق محمد لما غفرت لى قال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يارب انك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت قوائم العرش مكتوبا عليها لا اله الا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لاتضيف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لاحب الخلق الى واذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ماخلقتك ذكره الطبرى وزاد فيه وهو آخر الانبياء من ذريتك وأما التوسل به بعد خلقه فى مدة حياته فمن ذلك الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام عند القحط وعدم الامطار وكذلك الاستغاثة به من الجوع ونحو ذلك مما ذكرته فى مقصد المعجزات ومقصد العبادات فى الاستسقاء ومن ذلك استغاثة ذوى العاهات به وحسبك مارواه النسائى والترمذى عن عثمان بن

حنيف ان رجلا ضرير أتاه صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله أن يعافيني قال فأمره
أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك
محمد نبي الرحمة يا محمد انى أتوجه بك الى ربك فى حاجتى لتقضى اللهم شفعه فى وصححه
البيهقى وزاد فقام وقد أبصر وأما التوسل به صلى الله عليه وسلم بعد موته فى البرزخ
فهو أكثر من أن يحصى أو يدرك باستقصا وفى كتاب مصباح الظلام فى المستغيثين
بخير الانام للشيخ أبى عبد الله بن النعمان طرف من ذلك ولقد كان حصل لى داء
أعيى دواءه الاطبا وأقمت به سنين فاستغثت به صلى الله عليه وسلم ليلة الثامن
والعشرين من جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله
شرفا ومن على بالعود اليها فى عافية بلا محنة فبينا انا نائم اذ جاء رجل معه قرطاس
يكتب فيه هذا دواء داء أحمد بن القسطلانى من الحضرة الشريفة بعد الاذن
الشريف ثم استيقظت فلم أجد بى والله شيأ مما كنت أجده وحصل الشفاء
ببركة النبى صلى الله عليه وسلم * ووقع لى أيضا فى سنة خمس وثمانين
وثمانمائة فى طريق مكة بعد رجوعى من الزيارة الشريفة لقصد مصر اذ صرعت
خادمتنا غزال الحبشية واستمر بها اياما فاستشفعت به صلى الله عليه وسلم فى ذلك
فأتانى آت فى منامى ومعه الجنى الصارع لها فقال لقد أرسله لك النبى صلى الله عليه
وسلم فعاتبته وحلفته أن لا يعود اليها ثم استيقظت وليس بها قلبة كأنما نشطت
من عقال ولا زالت فى عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة سنة أربع وتسعين وثمانمائة
والحمد لله رب العالمين وأما التوسل به صلى الله عليه وسلم فى عرصات القيامة فمما
قام عليه الاجماع وتواترت به الاخبار فى حديث الشفاعة فعليك أيها الطالب
ادراك السعادة الموصل لحسن الحال فى حضرة الغيب والشهادة بالتعلق بأذيال
عطفه وكرمه والتطفل على موائد نعمه والتوسل بجاهه الشريف والتشفع بقدره
المنيف فهو الوسيلة الى نيل المعالى واقتناص المرام والمفزع يوم الجزع والملجأ لكافة
الرسل الكرام واجعله أمامك فيما نزل بك من النوازل وأمامك فيما تحاول من
القرب والمنازل فانك تظفر من المراد بأقصاه وتدرك رضى من أحاط بكل شئ علما
وأحصاه واجتهد مادمت بطيبة الطيبة حسب طاقتك فى تحصيل أنواع القربات
ولازم قرع أبواب السعادات بأظافير الطلبات وارق فى مدارج العبادات ولج
فى سرادق المرادات

تمتع ان ظفرت بنيل قرب * وحصل ما استطعت من الذخائر
فها اذا قد أبحت لكم عطائى * وها قد صرت عندى فى جوارى

فخذ ما شئت من كرم وجود * ونل ما شئت من نعم غزار
فقد وسعت أبواب التداني * وقد قربت للزوار داري
فتمتع ناظريك فيها جمالي * تجلى للقلوب بلا استتار

ولازم الصلوات مكتوبة ونافلة في مسجده المكرم خصوصا بالروضة التي ثبت أنها روضة من رياض الجنة كما رواه البخاري قال ابن أبي جمرة معناه تنقل تلك البقعة بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة ويحتمل أن يكون المراد العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا يعني احتمال كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة قال ولكل وجه منهما دليل يعضده ويقويه من جهة النظر والقياس أما الدليل على أن العمل فيها يوجب روضة فلانه اذا كانت الصلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام بألف فيما سواه من المساجد فلهذه البقعة زيادة على باقي البقع كما كان للمسجد زيادة على غيره وأما الدليل على كونها بعينها في الجنة وكون المنبر أيضا على الحوض كما أخبر عليه الصلاة والسلام وان الجذع في الجنة والجذع في البقعة نفسها فالعلة التي أوجبت للجذع الجنة هي في البقعة سواء على ما أذكره بعد ان شاء الله تعالى والذي أخبر بهذا أخبر بهذا فينبغي الحمل على أكمل الوجوه وهو الجمع بينهما لانه قد تقرر من قواعد الشرع أن البقع المباركة ما فائدة بركتها لنا والاخبار بها لنا الا لتعميرها بالطاعات فان الثواب فيها أكثر وكذلك الايام المباركة أيضا فعلى هذا يكون الموضع روضة من رياض الجنة الآن ويعود روضة كما كان في موضعه ويكون للعامل فيه روضة في الجنة وهو الاظهر لوجهين أحدهما العلو ومنزلته عليه الصلاة والسلام ولما خص الخليل عليه الصلاة والسلام بالحجر من الجنة خص الحبيب عليه الصلاة والسلام بالروضة من الجنة وههنا بحث لم جعلت هذه البقعة من بين سائر البقع روضة من رياض الجنة فان قلنا تعبد فلا بحث وان قلنا لحكمة فحينئذ يحتاج الى البحث والاظهر أنها لحكمة وهي أنه قد سبق في العلم الرباني بما ظهر ان الله عز وجل فضله على جميع خلقه وان كل ما كان منه بنسبة ما من جميع المخلوقات يكون له تفضيل على جنسه كما استقرىء في كل أموره من بدء ظهوره عليه الصلاة والسلام الى حين وفاته في الجاهلية والاسلام فمنها ما كان من شأن أمنه وما نالها من بركته مع الجاهلية الجهلاء حسبما هو مذكور معلوم ومثل ذلك حليمة السعدية وحتى الاتان وحتى البقعة التي تجعل الاتان يدها عليها تخضر من حينها وما هو من ذلك كله معلوم وكان مشيه عليه الصلاة والسلام

حيث ما مشى ظهرت البركات مع ذلك كله وحيث وضع عليه الصلاة والسلام يده المباركة ظهر فى ذلك كله من الخيرات والبركات حسا ومعنى كله ومنقول معروف ولما شاءت القدرة أنه عليه الصلاة والسلام لابد له من بيت ولا بد له من منبر بالضرورة يكثر تردده عليه الصلاة والسلام بين المنبر والبيت فالحرمة التى أعطى غيرهما اذا كان بمشيئة واحدة بمباشرته أو بواسطة حيوان أو غيره تظهر البركة والخير فكيف مع كثرة ترداده عليه الصلاة والسلام فى البقعة الواحدة مرارا فى اليوم الواحد طول عمره من وقت هجرته الى حين وفاته فلم يبق لها من الترفيع بالنسبة الى عالمها أعلى مما وصفناه وهو أنها كانت من الجنة وتعود اليها وهى الآن منها وللعامل فيها مثلها فلو كانت مرتبة يمكن ان تكون ارفع من هذه فى هذه الدار لكانت أعلى مرتبة مما ذكرنا فى جنسها فان احتج محتج لا فهم له بأن يقول ينبغى أن يكون ذلك للمدينة بكمالها لانه عليه الصلاة والسلام كان يطوفها بقدمه مرارا فالجواب أنه قد حصل للمدينة تفضيل لم يحصل لغيرها من ذلك أن ترابها شفاء كما أخبر به عليه الصلاة والسلام مع ما شاركت فيه البقعة المكرمة من منعها من الدجال وتلك الفتن العظام وأنه صلى الله عليه وسلم أول ما يشفع لاهلها يوم القيامة وأن ما كان لها من الوباء والحمى رفع عنها وأنه بورك فى طعامها وشرابها وأشياء كثيرة فكان التفضيل لها بنسبة ما أشرنا اليه أولا بأن تردده عليه الصلاة والسلام فى المسجد نفسه أكثر مما فى المدينة نفسها وتردده عليه الصلاة والسلام فيما بين المنبر والبيت أكثر مما سواه من سائر المسجد فالبحث تأكد بالاعتراض لانه جاءت البركة متناسبة لتكرار تلك الخطوات المباركة والقرب من تلك النسمة المرتفعة لاخفاء فيه الا على مجدأعمى البصيرة فالمدينة أرفع المدن والمسجد أرفع المساجد والبقعة أرفع البقع قضية معلومة وحجة ظاهرة موجودة انتهى * وقال الخطابى المراد من هذا الحديث الترغيب فى سكنى المدينة وأن من ذكر الله فى مسجدها آل به الى روضة من رياض الجنة وسقى يوم القيامة من الحوض انتهى وتقدم فى الخصائص من مقصد المعجزات مزيد لذلك * وعند مسلم من حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام * وقد اختلف العلماء فى المراد من هذا الاستثناء على حسب اختلافهم فى مكة والمدينة أيهما أفضل فذهب سفيان ابن عيينة والشافعى وأحمد فى أصح الروايتين عنه وابن وهب ومطرف وابن حبيب الثلاثة من المالكية وحكاه الساجى

عن عطاء بن أبى رباح والمكيين والكوفيين وحكاه ابن عبد البر عن عمر وعلى وابن مسعود وأبى الدرداء وجابر وابن الزبير وقتادة وجماهير العلماء أن مكة أفضل من المدينة وأن مسجد مكة أفضل من مسجد المدينة لان الامكنة تشرف بعض العبادات فيها على غيرها مما تكون العبادة فيها مرجوحة وقد حكى ابن عبد البر أنه روى عن مالك ما يدل على أن مكة أفضل الارض كلها قال ولكن المشهور عن أصحابه فى مذهبه تفضيل المدينة انتهى وقال مالك المدينة ومسجدها أفضل ومما احتج به أصحابنا لتفضيل مكة حديث عبد الله بن الحمراء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف على راحلته يقول والله انك لخير أرض الله وأحبها الى الله ولولا انى أخرجت منك ما خرجت قال الترمذى حسن صحيح وقال ابن عبد البر وهذا أصح الآثار عنه صلى الله عليه وسلم قال وهذا قاطع فى محل الخلاف انتهى فعند الشافعى والجمهور معناه الا المسجد الحرام فان الصلاة فيه أفضل من الصلاة فى مسجدى وعند مالك وموافقيه الا المسجد الحرام فان الصلاة فى مسجدى تفضله بدون الالف * وعن عبد الله ابن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة فى هذا رواه أحمد وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحه وزاد يعنى فى مسجد المدينة والبزار ولفظه صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فانه يزيد عليه مائة قال المقدرى واسناده صحيح أيضا ومما يستدل به المالكية ما ذكره ابن حبيب فى الواضحة أنه صلى الله عليه وسلم قال صلاة فى مسجدى كألف صلاة فيما سواه وجمعة فى مسجدى كألف جمعة فيما سواه ورمضان فى مسجدى كألف رمضان فيما سواه ومذهب عمر بن الخطاب وبعض الصحابة وأكثر المدنيين كما قاله القاضى عياض أن المدينة أفضل وهو احدى الروايتين عن أحمد وأجمعوا على أن الموضع الذى ضم أعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة كما قاله ابن عساكر والباجى والقاضى عياض بل نقل التاج السبكى كما ذكره السيد السمهودى فى فضائل المدينة عن ابن عقيل الحنبلى أنها أفضل من العرش وصرح الفاكهانى بتفضيلها على السموات ولفظه وأقول أنا وأفضل من بقاع السموات أيضا ولم أر من تعرض لذلك والذى أعتقده لو أن ذلك عرض على علماء الامة لم يختلفوا فيه وقد جاء أن السموات شرفت بمواطىء قدميه بل لو قال قائل ان جميع بقاع الارض أفضل من جميع بقاع السماء

لشرفهما لكونه صلى الله عليه وسلم حالا فيهما لم يبعد بل هو عندى الظاهر المتعين انتهى وحكاه بعضهم عن الاكثرين لخلق الانبياء منها ودفنهم فيها لكن قال النووى الجمهور على تفضيل السماء على الارض أى ما عدا ماضم الاعضاء الشريفة * وقد استشكل ما ذكر من الاجماع على أفضلية ماضم أعضاءه الشريفة على جميع بقاع الارض ويؤيده ما قاله الشيخ عز الدين ابن عبد السلام فى تفضيل بعض الاماكن على بعض من ان الاماكن والازمان كلها متساوية ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفات قائمة بهما قال ويرجع تفضيلهما الى ما ينيل الله العباد فيهما من فضله وكرمه والتفضيل الذى فيهما أن الله تعالى يجود على عباده بتفضيل أجر العاملين فيهما انتهى ملخصا لكن تعقبه الشيخ تقى الدين السبكى بما حاصله ان الذى قاله لا ينفى أن يكون التفضيل لامر آخر فيهما وان لم يكن عمل لان قبر النبى صلى الله عليه وسلم ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة ولساكنه ما تقصر العقول عن ادراكه وليس ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون أفضل وليس محل عمل لنا لانه ليس مسجدا ولا له حكم المسجد بل هو مستحق للنبى صلى الله عليه وسلم وأيضا قد تكون الاعمال مضاعفة فيه باعتبار أن النبى صلى الله عليه وسلم حى كما تقرر وان أعماله مضاعفة فيه أكثر من كل أحد فلا يختص التضعيف بأعمالنا نحن قال ومن فهم هذا انشرح صدره لما قاله القاضى عياض من تفضيل ماضم أعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم باعتبارين أحدهما ما قيل ان كل أحد يدفن فى الموضع الذى خلق منه والثانى تنزل الملائكة والبركات عليه واقبال الله تعالى ولا نسلم أن الفضل للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلى الله عليه وسلم انتهى * وقد روى أبو يعلى عن أبى بكر أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض النبى الا فى أحب الامكنة اليه ولا شك ان أحبها اليه أحبها الى ربه تعالى فان حبه تابع لحب ربه جل وعلا وما كان أحب الى الله ورسوله فكيف لا يكون أفضل وقد قال عليه الصلاة والسلام اللهم ان ابراهيم دعاك لمكة وأنا أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ومثله معه ولا ريب أن دعاء النبى صلى الله عليه وسلم أفضل من دعاء ابراهيم لان فضل الدعاء على قدر فضل الداعى وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وفى رواية بل أشد وقد أجيبت دعوته حتى كان يحرك دابته اذا رآها من حبها وروى الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم انك أخرجتنى من أحب البلاد الى فاسكنى فى أحب البقاع اليك أى

موضع تصيره كذلك فيجتمع فيه الحبان قيل ضعفه ابن عبد البر ولو سلمت صحته فالمراد أحب البلاد اليك بعد مكة لحديث ان مكة خير بلاد الله و في رواية أحب أرض الله الى الله ولزيادة التضعيف بمسجد مكة وتعقبه العلامة السيد السمهودي بأن ما ذكر لا يقتضي صرفه عن ظاهره اذ القصد به الدعاء لدار هجرته بأن يصيرها الله كذلك وحديث ان مكة خير بلاد الله محمول على بدء الامر قبل ثبوت الفضل للمدينة واظهار الدين وافتتاح البلاد منها حتى مكة فقد أنالها وأنال بها ما لم يكن لغيرها من البلاد فظهر اجابة دعوته وصيرورتها أحب مطلقا بعد ولهذا افترض الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم الاقامة بها وحث هو صلى الله عليه وسلم على الاقتداء به في سكناها والموت بها فكيف لا تكون أفضل قال وأما مزيد المضاعفة فأسباب التفضيل لا تنحصر في ذلك فالصلوات الخمس بمنى للمتوجه لعرفة أفضل منها بمسجد مكة وان انتفت عنها المضاعفة اذ في الاتباع ما يربو عليها ومذهبنا شمول المضاعفة للنفل مع تفضيله بالمنزل ولهذا قال عمر رضي الله عنه بمزيد المضاعفة لمسجد مكة مع قوله بتفضيل المدينة ولم يصب من أخذ من قوله بمزيد المضاعفة تفضيل مكة اذ غايته أن للمفضول مزية ليست للفاضل مع أن دعاءه صلى الله عليه وسلم بمزيد تضعيف البركة بالمدينة على مكة شامل للامور الدينية أيضا وقد يبارك في العدد القليل فيربو نفعه على الكثير ولهذا استدل به على تفضيل المدينة وان أريد من حديث المضاعفة الكعبة فقط فالجواب أن الكلام فيما عداها فلا يرد شيء مما جاء في فضلها ولا مما بمكة من مواضع النسك لتعلقه بها ولذا قال عمر لعبد الله بن عياش المخزومي أنت القائل لمكة خير من المدينة فقال عبد الله هي حرم الله وأمنه وفيها بيته فقال عمر لا أقول في حرم الله و بيته شيأ ثم كرر قوله الاول فأعاد عبد الله جوابه فأعاد له عمر لا أقول في حرم الله و بيته شيأ فأشير الى عبد الله فانصرف وقد عوضت المدينة عن العمرة ما صح في اتيان مسجد قبا وعن الحج ما جاء في فضل الزيارة النبوية والمسجد والاقامة بالمدينة بعد النبوة وان كانت أقل من مكة على القول به فقد كانت سببا لاعزاز الدين واظهاره ونزول أكثر الفرائض واكمال الدين حتى كثر تردد جبريل عليه الصلاة والسلام بها ثم استقرها صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة ولهذا قيل لمالك أيما أحب اليك المقام هنا يعني بالمدينة أو مكة فقال ههنا وكيف لا أختار المدينة وما بها طريق الا سلك عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل ينزل عليه من عند رب العالمين في أقل من ساعة * وروى الطبراني حديث المدينة خير من مكة وفي رواية للجندي أفضل من مكة وفيه محمد بن عبد الرحمن

الرد اذ كره ابن حبان فى الثقات وقال كان يخطئ وقال أبو زرعة لين وقال ابن عدى رواياته ليست محفوظة وقال أبو حاتم ليس بقوى * وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهى المدينة تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد أى أمرنى الله بالهجرة اليها ان كان قاله عليه الصلاة والسلام بمكة أو بسكناها ان كان قاله بالمدينة وقال القاضى عبد الوهاب لا معنى لقوله تأكل القرى الا رجوح فضلها عليها أى على القرى وزيادتها على غيرها وقال ابن المنير يحتمل أن يكون المراد بذلك غلبة فضلها على فضل غيرها أى ان الفضائل تضمحل فى جنب عظيم فضلها حتى تكون عدما وهذا أبلغ من تسمية مكة أم القرى لان الامومة لا ينمحى معها ماهى له أم لكن يكون لها حق الامومة انتهى ويحتمل أن يكون المراد غلبة أهلها على القرى والاقرب حمله عليهما اذ هو أبلغ فى الغرض المسوق له انتهى ما قاله السيد السمهودى * وقد أطلت فى الاحتجاج لتفضيل المدينة على مكة وان كان مذهب امامنا الشافعى رحمه الله تفضيل مكة لان هوى كل نفس أين حل حبيبها

على ربع العامرية وقفة * ليملى على الشوق والدمع كاتب
ومن مذهبى حب الديار لاهلها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

على أن للقلم فى أرجاء تفضيل المدينة مجالا واسعا ومقالا جامعا لكن الرغبة فى الاختصار تطوى أطراف بساطه والرهبة من الاكثار تصرف عن تطويله وافراطه * وقد استنبط العارف ابن أبى جمرة من قوله عليه الصلاة والسلام المروى فى البخارى ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة والمدينة التساوى بين مكة والمدينة قال وظاهر هذا الحديث يعطى التسوية بينهما فى الفضل لان جميع الارض يطؤها الدجال الا هذين البلدين فدل على تسويتهما فى الفضل قال ويؤيد ذلك أيضا من وجه النظر أنه ان كانت خصت المدينة بدفنه عليه الصلاة والسلام واقامته بها ومسجده فقد خصت مكة بمسقطه عليه الصلاة والسلام بها ومبعثه منها وهى قبلته فمطلع شمس ذاته الكريمة المباركة مكة ومغربها المدينة واقامته بعد النبوة على المشهور من الاقاويل بمكة مثل اقامته عليه الصلاة والسلام بالمدينة عشر سنين فى كل واحدة منهما كذا قاله وأنت اذا تأملت قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه مسلم من حديث سعد يأتى على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمه وقريبه هلم الى الرخاء والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون والذى نفسى بيده لا يخرج أحد رغبة عنها الا أخلف الله فيها خيرا منه ظهر لك أن فيه اشعارا بذم الخروج من المدينة بل نقل

الشيخ

الشيخ محب الدين الطبري عن قوم أنه عام أبدا مطلقا وقال انه ظاهر اللفظ وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصبر على لأواء المدينة وشدتها أحد من أمتي الا كنت له شفيعا يوم القيامة أو شهيدا وفيه عن سعيد مولى المهري أنه جاء الى أبي سعيد الخدري ليالي الحرة فاستشاره في الجلاء من المدينة وشكى اليه اسعارها وكثرة عياله وأخبره أنه لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها فقال ويحك لا آمرك بذلك اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصبر أحد على لأوائها الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة واللأواء بالمد الشدة والجوع وأو في قوله الا كنت له شفيعا أو شهيدا الاظهر أنها ليست للشك لان هذا الحديث رواه جابر بن عبد الله وسعد بن أبي وقاص وابن عمر وأبو سعيد وأبو هريرة وأسماء بنت عميس وصفية بنت أبي عبيد عنه صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ و يبعد اتفاق جميعهم أو رواتهم على الشك وتطابقهم فيه على صيغة واحدة بل الاظهر انه قاله عليه الصلاة والسلام وتكون أو للتقسيم ويكون شهيدا لبعض أهل المدينة وشفيعا لباقيهم اما شفيعا للعاصين وشهيدا للطائعين واما شهيدا لمن مات في حياته وشفيعا لمن مات بعده أو غير ذلك وهذه خصوصية زائدة على الشفاعة للمذنبين أو للعالمين في القيامة وعلى شهادته على جميع الامم فيكون لتخصيصهم بهذا كله علو مرتبة وزيادة منزلة وحظوة واذا قلنا أو للشك فان كانت اللفظة الصحيحة شهيدا اندفع الاعتراض لانها زائدة على الشفاعة المدخرة لغيرهم وان كانت اللفظة الصحيحة شفيعا فاختصاص أهل المدينة بهذا مع ما جاء من عمومها وادخارها لجميع الامة أن هذه شفاعة أخرى غير العامة وتكون هذه الشفاعة لاهل المدينة بزيادة الدرجات أو تخفيف الحساب أو بما شاء الله من ذلك أو باكرامهم يوم القيامة بأنواع الكرامات ككونهم على منابر أو في ظل العرش أو الاسراع بهم الى الجنة أو غير ذلك من خصوص الكرامات كيف لا يتحمل المشقات من يحب أن يتمتع بسيد أهل الارض والسموات وينال ما وعد به من جزيل المثوبات وجسيم الهبات وانجاز وعده الصادق لشفاعته وشهادته وبلوغ قصده في المحيا والممات وكم عسى تكون شدة المدينة ولأواها والى متى تستمر مشقتها و بلواها ولو تأملت يا هذا لوجدت في البلاد ما هو في الشدة وشظف العيش مثلها أو أشق منها وأهلها مقيمون فيها وربما يوجد فيهم من هو قادر على الانتقال فلا ينتقل وقوى على الرحلة فلا يرتحل ويؤثر وطنه مع امكان الارتحال والقدرة على الانتقال على أن المدينة مع شظف العيش بها في غالب الاحيان قد وسع الله فيها على بعض السكان حتى من أصحابنا من غير أهلها من استوطنها

وحسن فيم احالة وتنعم بها بالله دون سائر البلدان فان من الله على المرء بمثل ذلك هذا الث والا فالصبر للمؤمن أولى فمن وفقه الله تعالى صبره فى اقامته بها ولو على أحر من الجمر فيتجرع مرارة غصتها ليجتلى عروس منصتها ويلقى نزرا من لأوائها ليرقى بذلك من مصائب الدنيا وبلائها * وقد روى البخارى من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها أى ينقبض وينضم ويلتجىء مع أنها أصل فى انتشاره فكل مؤمن له من نفسه سائق اليها فى جميع الازمان لحبه فى ساكنها صلى الله عليه وسلم فأكرم بسكانها ولو قيل فى بعضهم ماقيل فقد حظوا بشرف المجاورة بهذا الحبيب الجليل فقد ثبت لهم حق الجوار وان عظمت اساءتهم فلا يسلب عنهم اسم الجار وقد عمم عليه الصلاة والسلام فى قوله مازال جبريل يوصينى بالجار ولم يخص جارا دون جار وكل ما احتج به محتج من رمى بعض عوامهم السنية بالابتداع وترك الاتباع فانه اذا ثبت ذلك فى شخص منهم فلا يترك اكرامه ولا ينقص احترامه فانه لا يخرج عن حكم الجار ولو جار ولا يزول عنه شرف مساكنته فى الدار كيف ما دار بل يرجى أن يختم له بالحسنى ويمنح بهذا القرب الصورى قرب المعنى

فيا ساكنى أكناف طيبة كلكم * الى القلب من أجل الحبيب حبيب

ولله در ابن جابر حيث قال

هنيئا لكم يا أهل طيبة قد حقا * فبالقرب من خير الورى حزتم السبقا
فلا يتحرك ساكن منكم الى * سواها ولو جار الزمان ولو شقا
فكم ملك رام الوصول لمثل ما * وصلتم فلم يقدر ولو ملك الخلقا
فبشراكم نلتم عناية ربكم * فها أنتم فى بحر نعمته غرقا
ترون رسول الله فى كل ساعة * ومن يره فهو السعيد به حقا
متى جئتم لا يغلق الباب دونكم * وباب ذوى الاحسان لا يقبل الغلقا
فيسمع شكواكم ويكشف ضركم * ولا يمنع الاحسان حرا ولا رقا
وكم من نعمة الله فيها عليكم * فشكرا ونعم الله بالشكر تستبقى
بطيبة مثواكم وأكرم مرسل * يلاحظكم فالدهر يجرى لكم وفقا
أمنتم من الدجال فيها فحولها * ملائكة يحمون من دونها الطرقا
كذلك من الطاعون أنتم بمأمن * فوجه الليالى لا تزال لكم طلقا
فلا تنظروا الا لوجه حبيبكم * وان جاءت الدنيا ومرت فلا فرقا
حياة وموتا تحت رحماه أنتم * وحشرا فستر الجاه فوقكم ملقا

فيا راحلا عنها لدنيا يريدها * أتطلب ما يفنى وتترك ما يبقى
أتخرج عن حوز النبي وحرزه * الى غيره تسفيه مثلك قد حقا
لئن سرت تبغي من كريم اعانة * فأكرم من خير البرية ما تلقى
هو الرزق مقسوم فليس بزائد * ولو سرت حتى كدت تخترق الافقا
فكم قاعد قد وسع الله رزقه * ومرتحل قد ضاق بين الورى رزقا
فعش في حمى خير الانام ومت به * اذا كنت في الدارين تطلب أن ترقا
اذا قمت فيما بين قبر ومنبر * بطيبة فاعرف أن منزلك الارقا
لقد أسعد الرحمن جار محمد * ومن جار في ترحاله فهو الاشقا

* وقد روى الترمذى وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استطاع منكم أن يموت بالمدينة فليمت بها فاني أشفع لمن يموت بها ورواه الطبراني في الكبير من حديث سبيعة الاسلمية * وفي البخارى من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة المسيح الدجال ولا الطاعون وفيه عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان قال في فتح البارى وقد استشكل عدم دخول الطاعون المدينة مع كونه شهادة وكيف قرن بالدجال ومدحت المدينة بعدم دخوله وأجيب بأن كون الطاعون شهادة ليس المراد بوصفه بذلك ذاته وانما المراد أن ذلك يترتب عليه وينشأ عنه لكونه سببه فاذا استحضر ما تقدم في المقصد الثامن من أنه طعن الجن حسن مدح المدينة بعدم دخوله اياها فان فيه اشارة الى أن كفار الجن وشياطينهم ممنوعون من دخول المدينة ومن اتفق دخوله فيها لا يتمكن من طعن احد وقد أجاب القرطبي في المفهم عن ذلك فقال المعنى لا يدخلها من الطاعون مثل الذى وقع في غيرها كطاعون عمواس والجارف وهذا الذى قاله يقتضي أنه دخلها في الجملة وليس كذلك فقد جزم ابن قتيبة في المعارف وتبعه جمع منهم الشيخ محيي الدين النووى في الاذكار بأن الطاعون لم يدخل المدينة أصلا ولا مكة أيضا لكن نقل جماعة أنه دخل مكة الطاعون في العام الذى كان في سنة تسع وأربعين وسبعمائة بخلاف المدينة فلم يذكر أحد أنه وقع الطاعون بها أصلا وأجاب بعضهم بأنه عليه الصلاة والسلام عوضهم عن الطاعون بالحمى لان الطاعون يأتي مرة بعد مرة والحمى تتكرر في كل حين فيتعادلان في الاجر ويتم المراد من عدم دخول الطاعون المدينة قال الحافظ ابن حجر ويظهر لى جواب آخر بعد استحضار الذى

أخرجه أحمد من رواية أبي عسيب بمهملتين آخره موحدة بوزن عظيم رفعه أتاني جبريل بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وأرسلت الطاعون الى الشام وهو ان الحكمة في ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة كان في قلة من أصحابه عددا ومددا وكانت المدينة وبئة كما في حديث عائشة ثم خير صلى الله عليه وسلم في أمرين يحصل بكل منهما الاجر الجزيل فاختار الحمى حينئذ لقلة الموت بها غالبا بخلاف الطاعون ثم لما احتاج الى جهاد الكفار وأذن له في القتال كانت قضية استمرار الحمى بالمدينة تضعف أجساد الذين يحتاجون الى التقوية لاجل الجهاد فدعا بنقل الحمى من المدينة الى الجحفة فعادت المدينة أصح بلاد الله بعد ان كانت بخلاف ذلك ثم كانوا من حينئذ من فاتته الشهادة بالطاعون حصلت له بالقتل في سبيل الله ومن فاته ذلك حصلت له بالحمى التي هي حظ المؤمن من النار ثم استمر ذلك بالمدينة تمييزا لها عن غيرها لتحقق اجابة دعوته وظهور هذه المعجزة العظيمة بتصديق خبره في هذه المدة المتطاولة فكان منع دخول الطاعون من خصائصها ولوازم دعائه صلى الله عليه وسلم لها بالصحة وقال بعضهم هذا من المعجزات المحمدية لان الاطباء من أولهم الى آخرهم عجزوا أن يدفعوا الطاعون عن بلد بل عن قرية وقد امتنع الطاعون من المدينة هذه الدهور الطويلة انتهى ملخصا والله أعلم * ومن خصائص المدينة أن غبارها شفاء من الجذام والبرص بل من كل داء كما رواه ابن رزين العبدري في جامعه من حديث سعد زاد في حديث ابن عمر وعجوتها شفاء من السم ونقل البغوي عن ابن عباس في قوله تعالى لنبوأنهم في الدنيا حسنة أنها المدينة وذكر ابن النجار تعليقا عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت كل البلاد افتتحت بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن وروى الطبراني في الاوسط باسناد لا بأس به عن أبي هريرة رفعه المدينة قبة الاسلام ودار الايمان وأرض الهجرة ومثوى الحلال والحرام وبالجملة فكل المدينة وترابها وطرقها وفجاجها ودورها وما حولها قد شملته بركته صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتبركون بدخوله منازلهم ويدعونه اليها والى الصلاة في بيوتهم ولذلك امتنع مالك رحمه الله تعالى من ركوب دابة في المدينة وقال لا أطأ بحافر دابة في عراص كان صلى الله عليه وسلم يمشي فيها بقدميه صلى الله عليه وسلم وينبغي أن يأتي مسجد قباء للصلاة فيه والزيارة فقد كان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا رواه مسلم في رواية له يأتي بدل يزور فيصلي فيه ركعتين وعنده أيضا أن ابن عمر كان يأتيه كل سبت ويقول رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت وعند الترمذي وابن

ماجه والبيهقي من حديث أسيد بن ظهير الانصاري يرفعه صلاة في مسجد قباء كعمرة قال الترمذي حسن غريب وقال المنذري لانعرف لاسيد حديثا صحيحا غير هذا ورواه أحمد وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف بلفظ من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة وصححه الحاكم وينبغي أيضا بعد زيارته صلى الله عليه وسلم أن يقصد المزارات التي بالمدينة الشريفة والآثار المباركة والمساجد التي صلى فيها عليه الصلاة والسلام التماسا لبركته ويخرج الى البقيع لزيارة من فيه فان أكثر الصحابة ممن توفي في المدينة في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته مدفون بالبقيع وكذلك سادات أهل البيت والتابعين وروى عن مالك أنه قال مات بالمدينة من الصحابة عشرة آلاف وكذلك أمهات المؤمنين سوى خديجة فانها بمكة وميمونة فانها بسرف * وقد كان صلى الله عليه وسلم يخرج آخر الليل الى البقيع فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين رواه مسلم قال ابن الحاج في المدخل وقد فرق علماؤنا بين الافاقي والمقيم في التنفل بالطواف والصلاة فقالوا الطواف في حق الافاقي أفضل له والتنفل في حق المقيم أفضل قال وما نحن بسبيله من باب أولى فمن كان مقيما خرج الى زيارة أهل البقيع ومن كان مسافرا فليغتنم مشاهدته عليه الصلاة والسلام * وحكى عن العارف ابن أبي جمرة أنه لما دخل المسجد النبوي لم يجلس الا الجلوس في الصلاة وأنه لم يزل واقفا بين يديه صلوات الله وسلامه عليه وقد كان خطر له أن يذهب الى البقيع فقال الى أين اذهب هذا باب الله المفتوح للسائلين والطالبين والمنكسرين انتهى * وروى ابن النجار مرفوعا مقبرتان مضيئتان لاهل السماء كما تضيء الشمس والقمر لاهل الدنيا بقيع الغرقد ومقبرة عسقلان * وعن كعب الاحبار قال نجدها في التوراة يعني مقبرة المدينة كقبة محفوفة بالنخيل موكل بها ملائكة كلما امتلأت أخذوها فكفؤها في الجنة وأخرج أبو حاتم من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتي البقيع فيحشرون معي ثم انتظر أهل مكة حتى يحشر بين الحرمين

* (الفصل الثالث في تفضيله صلى الله عليه وسلم) *

في الآخرة بفضائل الاوليات الجامعة لمزايا التكريم وعلى الدرجات وتمجيده بالشفاعة والمقام المحمود المغبوط عليه من الاولين والآخرين وانفراده بالسودد في مجمع جامع الانبياء والمرسلين وترقيه في جنات عدن أرقى مدارج السعادة وتعاليه يوم المزيد في أعلى معالي الحسنى وزيادة * اعلم أن الله تعالى كما فضل نبينا

محمدا صلى الله عليه وسلم فى المبدء بأن جعله أول الانبياء فى الخلق وأولهم فى الاجابة
فى عالم الذر يوم الست بربكم نص له ختم كمال الفضائل فى العود فجعله أول من تنشق
عنه الارض وأول شافع وأول مشفع وأول من يؤذن له بالسجود وأول من ينظر
الى رب العالمين والخلق محجوبون عن رؤيته اذ ذاك وأول الانبياء يقضى بين أمته
وأولهم اجازة على الصراط بأمته وأول داخل الى الجنة وأمته أول الامم دخولا اليها
وزاده من لطائف التحف ونفائس الطرف مالا يحد ولا يعد فمن ذلك أنه يبعث
راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته آدم فمن دونه من الانبياء
واختصاصه أيضا بالسجود لله تعالى امام العرش وما يفتحه الله عليه فى سجوده
من التحميد والثناء عليه مالم يفتحه على أحد قبله ولا يفتحه على أحد بعده زيادة
فى كرامته وقربه وكلام الله له يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع
تشفع ولا كرامة فوق هذا الا النظر اليه تعالى ومن ذلك تكراره الشفاعة
وسجوده ثانية وثالثة وتجديد الثناء عليه بما يفتح الله عليه ومن ذلك كلام الله
تعالى له فى كل سجدة يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع فعل المدل
على ربه الكريم عليه الرفيع المحب ذلك منه تشريفا له وتكريما وتبجيلا وتعظيما
ومن ذلك قيامه عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيره
يغبطه فيه الاولون والآخرون وشهادته بين الانبياء وأممهم واتيانهم اليه يسألونه
الشفاعة ليريحهم من غمهم وعرقهم وطول وقوفهم وشفاعته فى أقوام قد أمر بهم
الى النار ومنها الحوض الذى ليس فى الموقف أكثر أوانى منه وأن المؤمنين كلهم
لا يدخلون الجنة الا بشفاعته ومنها أنه يشفع فى رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم
وهو صاحب الوسيلة التى هى أعلى منزلة فى الجنة الى غير ذلك مما يزيده الله تعالى به
جلالة وتعظيما وتبجيلا وتكريما على رؤس الاشهاد من الاولين والآخرين
والملائكة أجمعين ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * فأما
تفضيله صلى الله عليه وسلم بأولية انشقاق القبر المقدس عنه فروى مسلم من حديث
أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأنا
أول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع وفى حديث أبى سعيد رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر
وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى وأنا أول من تنشق
عنه الارض ولا فخر رواه الترمذى * وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر ثم آتى أهل البقيع

فيحشرون معي ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين قال الترمذي حسن صحيح ورواه أبو حاتم وقال حتى نحشر وتقدم * وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصعق الناس حين يصعقون فأكون أول من قام فاذا موسى آخذ بالعرش فما أدري أكان فيمن صعق وفي رواية فأكون أول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله رواه البخاري والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتا أو رأى شيأ فزع منه ولم يبين في هذه الرواية من العارية محل الافاقة أي من الصعقتين ووقع في رواية الشعبي عن أبي هريرة في تفسير سورة الزمر اني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الاخيرة والمراد بقوله مما استثنى الله قوله تعالى ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله * وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع أن الموتى لا احساس لهم فقيل المراد ان الذين يصعقون هم الاحياء وأما الموتى فهم في الاستثناء في قوله الا من شاء الله أي الا من سبق له الموت قبل ذلك فانه لا يصعق والى هذا جنح القرطبي ولا يعارضه ما ورد في الحديث أن موسى ممن استثنى الله لان الانبياء أحياء عند الله وقال القاضي عياض يحتمل أن يكون المراد صعقة الفزع بعد البعث حين تنشق السماء والارض وتعقبه القرطبي بأنه صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يخرج من قبره فيلقى موسى وهو متعلق بالعرش وهذا انما هو عند نفخة البعث انتهى ووقع في رواية أبي سلمة عند ابن مردويه أنا أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة فأقوم فانفض التراب عن رأسي فآتي قائمة العرش فأجد موسى قائما عندها فلا أدري انفض التراب عن رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله * واختلف في المستثنى من هو على عشرة أقوال فقيل الملائكة وقيل الانبياء وبه قال البيهقي في تأويل الحديث في تجويزه بأن يكون موسى ممن استثنى الله تعالى قال ووجهه عندي أنهم أحياء كالشهداء فاذا نفخ في الصور النفخة الاولى صعقوا ثم لا يكون ذلك موتا في جميع معانيه الا في ذهاب الاستشعار وقيل الشهداء واختاره الحليمي قال وهو مروي عن ابن عباس فان الله تعالى يقول أحياء عند ربهم يرزقون وضعف غيره من الاقوال وقال أبو العباس القرطبي صاحب المفهم الصحيح أنه لم يأت في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل وتعقبه تلميذه في التذكرة فقال قد ورد في حديث أبي هريرة بأنهم الشهداء وهو الصحيح وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عن هذه الآية من الذين لم يشاء الله أن يصعقوا قال هم شهداء الله وصححه الحاكم وقيل هم حملة

العرش وجبريل وميكائيل وملك الموت ثم يموتون وآخرهم موتا ملك الموت وقيل هم الحور العين والولدان في الجنة وتعقب بأن حملة العرش ليسوا من سكان السموات والارض لان العرش فوق السموات كلها وبأن جبريل وميكائيل وملك الموت من الصافين المسبحين ولان الحور العين والولدان في الجنة وهي فوق السموات ودون العرش وهي بانفرادها عالم مخلوق للبقاء فلا شك أنها بمعزل عما خلقه الله للفناء ثم انه وردت الاخبار بأن الله تعالى يميت حملة العرش وملك الموت وميكائيل ثم يحييهم وأما أهل الجنة فلم يأت عنهم خبر والاظهر أنها دار خلود فالذي يدخلها لا يموت فيها أبدا مع كونه قابلا للموت فالذي خلق فيها أولى أن لا يموت أبدا فان قلت قوله كل شيء هالك الا وجهه يدل على أن الجنة نفسها تفنى ثم تعاد ليوم الجزاء ويموت الحور العين ثم يحيون أجيب بأنه يحتمل أن يكون معنى قوله كل شيء هالك أي أنه قابل للهلاك فيهلك ان أراد الله به ذلك الا هو سبحانه فانه قديم والقديم لا يمكن أن يفنى انتهى ملخصا من تذكرة القرطبي ويؤيد القول بعدم موت الحور قولهن نحن الخالدات فلا نموت كما في الحديث ولا يقال المراد من قولهن الخلود الكائن بعد القيامة لانه لا خصوصية فيه والاوصاف المشتركة لا يتباهى بها والله أعلم * وفي كتاب العظمة لابي الشيخ ابن حيان من طريق وهب بن منبه من قوله قال خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة ثم قال للعرش خذ الصور فأخذه فتعلق به ثم قال كن فكان اسرافيل فأمره أن يأخذ الصور فتعلق به فأخذه وبه ثقب بعدد كل روح مخلوقة ونفس منفوسة فذكر الحديث وفيه ثم تجتمع الارواح كلها في الصور ثم يأمر الله اسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح في جسدها فعلى هذا فالنفخ يقع في الصور أولا ليصل النفخ بالروح الى الصور التي هي في الاجساد فاضافة النفخ الى الصور الذي هو القرن حقيقة والى الصور التي هي الاجساد مجاز * وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ورفعه ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا ثم يرسل الله مطرا كأنه الطل فينبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون والليت بكسر اللام وبالمثناة التحتية ثم الفوقية صفحة العنق وهما ليتان وأصغى أمال * وأخرج البيهقي بسند قوي عن ابن مسعود مرفوعا ثم يقوم ملك الصور بين السماء والارض فينفخ فيه والصور قرن فلا يبقى لله خلق في السموات والارض الا مات الا من شاء ربك ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون * وأخرج ابن المبارك في الرقائق من مرسل الحسن بين النفختين أربعون سنة الاولى يميت الله بها كل حي

والاخرى يحيي الله به اكل ميت ولحوه عند
ضعيف * وعن ابن عباس قال قال رسول ا
خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خط
وانا مبشرهم اذا ايسوا الكرامة والمفاتيح
وانا أكرم ولد آدم على ربي يطوف على ألف
رواه الدارمي وقال الترمذي حديث غر
ليست دار تكليف * وفي حديث روا
الله صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة و
كتاب ذخائر العقبى للطبري مما عزاه ل
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة على ناق
البراق خطوها عند أقصى طرفها ويحشر
الحاكم والطبراني بلفظ يحشر الانبياء عـ
بلال على ناقة من نوق الجنة ينادي بالاذ
أشهد أن محمدا رسول الله شهد له المؤمنون مر
في فضائل الاعمال عن كثير بن مرة الـ
عليه وسلم تبعث ناقة ثمود لصالح فيركبها مر
البراق اختصصت به من دون الانبياء يوم
ينادي على ظهرها بالاذان حقا فاذا سمعت
الله قالوا ونحن نشهد على ذلك * وذكر
النجار في تاريخ المدينة عن كعب الاحبار
عن كعب أنه دخل على عائشة رضي الله عنها
وسلم فقال كعب مامن فجر يطلع الانزل
بالقبر ويضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صل
وهبط سبعون ألف ملك يحفون بالقبر يضربو
الله عليه وسلم سبعون ألفا بالليل وسبعون أ
خرج في سبعين ألفا من الملائكة يوقرونه صلى
للحكيم الترمذي من حديث ابن عمر قال خرج
على أبي بكر وشماله على عمر فقال هكذا

خضراء له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة
الدنيا مكتوب عليه ثلاثة أسطر الاول
العالمين الثالث لا اله الا الله محمد
عرضه مسيرة ألف سنة فتسير باللواء
تقف بيني وبين ابراهيم عليه الصلاة
الجنة والسماطان من الناس والنخل
قال سأل عبد الله بن سلام رسول الله
طوله مسيرة الحديث فقال الحافظ
تمام انه موضوع بين الوضع قال والله أعلم
عند الترمذي بسند حسن قال قال
دم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد
الحديث واللواء الراية وفي عرفهم
نل أن تكون بيد غيره باذنه وتكون
مامال لا أنه يمسكها بيده اذ هذه الحالة
انما يمسكها صاحبها ولا يمنعه ذلك من
ولذا لا يليق بامساكها كل أحد
اية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه
هو الثناء على الله بما هو أهله لان ذلك
نبياء * وقد اختلف في هيئة حشر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
و راهبين واثنان على بعير وثلاثة على
شر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا
أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا رواه
اذا الحشر يكون عند الخروج من القبور
ورد بالوصف المذكور وفي حديث ابن
عليه وسلم قال انكم تحشرون حفاة
عدا علينا انا كنا فاعلين ثم يفترق حالهم
شر الكافر على وجهه قال رجل
س الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري رواه الترمذي وفي رواية جامع الاصول عنه أنا أول من تنشق عنه الارض فأكسى وفي رواية كعب حلة خضراء وفي البخاري من حديث ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم تحشرون حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم وأخرج البيهقي وزاد أول من يكسى من الجنة ابراهيم يكسى حلة من الجنة ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر * وفيه أنه يجلس على الكرسي عن يمين العرش ولا يلزم من تخصيص ابراهيم عليه الصلاة والسلام بأنه أول من يكسى أن يكون أفضل من نبينا صلى الله عليه وسلم على أنه يحتمل أن يكون نبينا عليه الصلاة والسلام خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها والحلة التي يكساها يومئذ حلة الكرامة بقرينة اجلاسه عند ساق العرش فتكون أولية ابراهيم في الكسوة بالنسبة لبقية الخلق وأجاب الحليمي بأنه يكسى ابراهيم أولا ثم يكسى نبينا عليهما الصلاة والسلام على ظاهر الخبر لكن حلة نبينا أعلى وأكبر فيجبر بنفاستها ما فات من الاولية * وفي حديث أبي سعيد عند أبي داود وصححه ابن حبان أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعند الحارث بن أبي اسامة وأحمد بن منيع فانهم يبعثون في أكفانهم ويتزاورون في أكفانهم ويجمع بينه وبين ما في البخاري بأن بعضهم يحشر عاريا وبعضهم كاسيا أو يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الانبياء وأول من يكسى ابراهيم عليه الصلاة والسلام أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى ابراهيم وحمل بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء فيكون أبو سعيد سمعه في الشهداء فحمله على العموم وأما ما رواه الطبري في الرياض النضرة وعزاه للامام أحمد في المناقب عن محدوج بن زيد الهذلي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي أما علمت يا علي أنه أول من يدعى به يوم القيامة ربي فأقوم عن يمين العرش في ظله فأكسى حلة خضراء من حلل الجنة ثم يدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض فيقومون سماطين عن يمين العرش ويكسون حللا خضرا من حلل الجنة ألا وان أمتي أول الامم يحاسبون يوم القيامة ثم أبشر فأول من يدعى بك فيدفع لك لوائي وهو لواء الحمد فتسير به بين السماطين آدم وجميع خلق الله تعالى يستظلون بظل لوائي يوم القيامة وطوله مسيرة ألف سنة وسنانه ياقوتة

ياقوتة حمراء قبضته فضة بيضاء زجه درة خضراء له ثلاث ذوائب من نور ذؤابة في المشرق وذؤابة في المغرب والثالثة في وسط الدنيا مكتوب عليه ثلاثة أسطر الاول بسم الله الرحمن الرحيم الثاني الحمد لله رب العالمين الثالث لا اله الا الله محمد رسول الله طول كل سطر ألف سنة وعرضه مسيرة ألف سنة فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بيني وبين ابراهيم عليه الصلاة والسلام في ظل العرش ثم تكسى حلة من الجنة والسماطان من الناس والنخل الجانبان ورواه ابن سبع في الخصائص بلفظ قال سأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لواء الحمد ما صفته قال طوله مسيرة الحديث فقال الحافظ قطب الدين الحلبي كما نقله عنه المحب بن الهمام انه موضوع بين الوضع قال والله أعلم بحقيقة لواء الحمد * وفي حديث أبي سعيد عند الترمذي بسند حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامه ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من بني آدم فمن سواه الا تحت لوائي الحديث واللواء الراية وفي عرفهم لا يمسكها الا صاحب الجيش ورئيسه ويحتمل أن تكون بيد غيره باذنه وتكون تابعة له ومعركة بحركته تميل معه حيث ما مال لانه يمسكها بيده اذ هذه الحالة أشرف وفي استعمال العرب عند الحروب انما يمسكها صاحبها ولا يمنعه ذلك من القتال بها بل يقاتل بها ممسكا لها أشد القتال ولذا لا يليق بامساكها كل أحد بل مثل علي رضي الله تعالى عنه لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وانما أضاف اللواء الى الحمد الذي هو الثناء على الله بما هو أهله لان ذلك هو منصبه في ذلك الموقف دون غيره من الانبياء * وقد اختلف في هيئة حشر الناس ففي البخاري من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على ثلاثة طرائق فرقة راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا رواه الشيخان * وقد مال الحليمي الى أن هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور وجزم به الغزالي وقيل انهم يخرجون من القبور بالوصف المذكور وفي حديث ابن عباس عند الشيخين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم تحشرون حفاة عراة غرلا ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ثم يفترق حالهم من ثم الى الموقف كما في حديث أبي هريرة ويحشر الكافر على وجهه قال رجل يا رسول الله كيف يحشر على وجهه قال أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا

قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة أخرجه الشيخان * وفي حديث أبي ذر عند النسائي مرفوعا أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج فوجا راكبين طاعمين كاسين وفوجا تسحبهم الملائكة على وجوههم وفوجا يمشون ويسعون * وفي حديث سهل بن سعد مرفوعا يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد رواه الشيخان * وفي حديث عقبة بن عامر عند الحاكم رفعه تدنوا الشمس من الارض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ نصف ساقيه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ فخذه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ منكبيه ومنهم من يبلغ فاه وأشار بيده فألجمها فاه ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على رأسه وله شاهد عند مسلم من حديث المقداد بن الاسود وليس بتمامه وفيه تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق وهذا ظاهر في أنهم يستوون في وصول العرق اليهم ويتفاوتون في حصوله فيهم فان قلت الشمس محلها السماء وقد قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب والالف واللام في السماء للجنس بدليل والسموات مطويات بيمينه فما طريق الجمع فالجواب يجوز أن تقام بنفسها دانية من الرؤس في المحشر ليقوى هوله وكربه عافانا الله من كل مكروه * قال ابن أبي جمرة ظاهر الحديث يقتضي تعميم الناس بذلك ولكن دلت الاحاديث الاخرى على أنه مخصوص بالبعض وهم الاكثر ويستثنى الانبياء والشهداء ومن شاء الله وأشدهم الكفار ثم أصحاب الكبائر ثم من بعدهم * وأخرج أبو يعلى وصححه ابن حبان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين قال مقداره نصف يوم من خمسين ألف سنة فيهون على المؤمنين كتدلي الشمس الى أن تغرب * وأخرج أحمد وابن حبان نحوه من حديث أبي سعيد والبيهقي في البعث عن أبي هريرة يحشر الناس قياما أربعين سنة شاخصة أبصارهم الى السماء فيلجمهم العرق من شدة الكرب * وفي البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا ويلجمهم العرق حتى يبلغ آذانهم * وعند البيهقي من حديث ابن مسعود اذا حشر الناس قاموا أربعين عاما شاخصة أبصارهم الى السماء لا يكلمهم والشمس على رؤسهم حتى يلجم العرق كل بر منهم وفاجر * وفي حديث أبي سعيد عند أحمد أنه يخفف الوقوف عن المؤمن حتى يكون كصلاة فريضة مكتوبة وسنده حسن * وللطبراني من حديث ابن عمر ويكون ذلك اليوم أقصر

على المؤمن من ساعة من نهار وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاصي أن الذي يلجمه العرق الكافر أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن وعنه قال يشتد كرب الناس ذلك اليوم حتى يلجم الكافر العرق قيل له فأين المؤمنون قال على كراسي من ذهب و يظلل عليهم الغمام و بسند قوي عن أبي موسى قال الشمس فوق رؤس الناس يوم القيامة وأعمالهم تظلهم * وأخرج ابن المبارك في الزهد وابن أبي شيبة في المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الرأس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق في الارض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل زاد ابن المبارك في روايته ولا يضر حرها يومئذ مؤمنا ولا مؤمنة قال القرطبي المراد من يكون كامل الايمان كما دل عليه حديث المقداد وغيره أنهم يتفاوتون في ذلك بحسب أعمالهم * وفي رواية عند أبي يعلى وصححها ابن حبان أن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول يارب أرحني ولو الى النار وهو كالصريح في أن ذلك كله في الموقف * ومن تأمل الحالة المذكورة عرف عظم الهول فيها وذلك أن النار تحف بأرض الموقف وتدنو الشمس من الرؤس قدر ميل فكيف تكون حرارة تلك الارض وماذا يرون من العرق مع أن كل أحد لا يجد الا قدر موضع قدميه فكيف يكون حال هؤلاء في عرقهم مع تنوعهم فيه ان هذا لمما يبهر العقول ويدل على عظيم القدرة و يقتضي الايمان بأمور الآخرة وأن ليس للعقل فيه مجال ولا يعترض ذلك بعقل ولا قياس ولا عادة وانما يؤخذ بالقبول فتأمل رحمك الله شدة هذا الازدحام والانضمام والاتساق والالتصاق والاجتماع واجتماع الانس والجان ومن يجمع معهم من سائر أصناف الحيوان وانضغاطهم وتدافعهم واختلاطهم وقرب الشمس منهم وما يزاد في حرها ويضاعف في وهجها ولا ظل الا ظل عرش ربك بما قدمته مع ما انضاف الى ذلك من حر البأس لتزاحم الناس واحتراق القلوب لما غشيها من الكروب ولا ريب أن هذا موجب لحصول العطش في ذلك اليوم وكثرة الالتهاب والماء ثم أعز موجود وأعظم مفقود فلا منهل مورود الا حوض صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وزاده فضلا وشرفا لديه ولامته شرب لا مته سواه ولا تبرد أكبادهم الا به فالشربة منه كما ورد تروي الظماء وتشفي من الصدا وتذهب بكل داء فلا يظمأ شاربها ولا يسقم بعدها أبدا ففي حديث أنس عند البزار من شرب منه أي من الحوض شربة لم يظمأ أبدا ومن لم يشرب منه لم يرو أبدا زاد في حديث أبي أمامة عند أحمد وابن حبان ولم يسود وجهه أبدا وفي حديث ثوبان عند الترمذي وصححه الحاكم أكثر الناس عليه ورودا فقراء المهاجرين

* وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي عند الشيخين حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ أبدا * قال القرطبي في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره الى أن الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون الى العكس والصحيح أن للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط والآخر داخل الجنة وكل منهما يسمى كوثرا وتعقبه شيخ الحفاظ ابن حجر بأن الكوثر نهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه فغاية ما يؤخذ من كلام القرطبي أن الحوض يكون قبل الصراط لان الناس يردون الموقف عطاشا فيرد المؤمنون الحوض وتتساقط الكفار في النار بعد أن يقولوا ربنا عطشنا فترفع لهم جهنم كأنها سراب فيقال ألا تردون فيظنونها ماء فيتساقطون فيها * وفي حديث أبي ذر مما رواه مسلم أن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة وهو حجة على القرطبي لانه لان الصراط جسر جهنم وهو بين الموقف والجنة والمؤمنون يمرون عليه لدخول الجنة فلو كان الحوض دونه لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض وظاهر الحديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها * وقال القاضي عياض ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم من شرب منه لم يظمأ بعدها أبدا يدل على أن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار لان ظاهر حال من لا يظمأ أن لا يعذب بالنار ولكن يحتمل أن من قدر عليه التعذيب منهم أن لا يعذب فيها بالظمأ بل بغيره * وعن أنس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال أنا فاعل ان شاء الله قلت فأين أطلبك قال أول ما تطلبني على الصراط قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبني عند الميزان قلت فان لم ألقك عند الميزان قال فاطلبني عند الحوض فاني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن رواه الترمذي وقال حسن غريب * وفي حديث ابن مسعود عند أحمد ثم أوتى بكسوتي فألبسها فأقوم عن يمين العرش مقاما لا يقومه أحد فيغبطني به الاولون والآخرون قال ويفتح لهم من الكوثر الى الحوض الحديث وقد بين في حديث ابن عمرو بن العاصي عند البخاري أن الحوض مسيرة شهر وزاد في رواية مسلم من هذا الوجه وزواياه سواء طوله كعرضه وهذه الزيادة كما قاله في فتح الباري تدفع تأويل من جمع بين مختلف الاحاديث في تقدير مسافة الحوض على اختلاف العرض والطول * وفي حديث أبي سعيد عند ابن ماجه رفعه ان لي حوضا ما بين الكعبة وبيت المقدس * وفي حديث أبي برزة عند الطبراني وابن حبان في صحيحه

ما بين ناحيتي حوضي كما بين أيلة وصنعاء مسيرة شهر عرضه كطوله * وفي حديث أنس عند الشيخين كما بين صنعاء والمدينة * وفي حديث عتبة بن عبد السلمي عند ابن حبان في صحيحه كما بين صنعاء وبصرى * وفي حديث أبي أمامة عند الطبراني ما بين عدن وعمان بضم المهملة وتخفيف الميم وقال ابن الأثير في النهاية في حديث الحوض عرضه من مقامي الى عمان هي بفتح العين وتشديد الميم مدينة قديمة بالشام من أرض البلقاء فاما بالضم والتخفيف فهو صقع عند البحرين انتهى وهذه المسافة كلها متقاربة وظن بعضهم أنه وقع اضطراب في ذلك وليس كذلك وأجاب النووي عن ذلك بأنه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة فالاكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة وحاصله يشير الى أنه أخبر أولا بالمسافة اليسيرة ثم أعلم بالمسافة الطويلة فأخبر بها كان تفضل الله عليه باتساعه شيأ بعد شيء فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة فان قلت هل لكل نبي من الانبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم حوض هناك يقوم عليه كنبينا فالجواب أنه اشتهر اختصاص نبينا عليه والصلاة والسلام بالحوض قال القرطبي في المفهم مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أنه تعالى قد خص نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الاحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي اذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على الثلاثين منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا واجتمع على اثباته السلف وأهل السنة من الخلف انتهى لكن أخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه أن لكل نبي حوضا وأشار الى أنه اختلف في وصله وارساله وأن المرسل أصح والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وهو قائم على حوضه بيده عصى يدعو من عرف من أمته الا وانهم يتباهون أيهم أكثر تبعا واني لارجو أن أكون أكثرهم تبعا وأخرجه الطبراني من وجه آخر عن سمرة موصولا مرفوعا مثله وفي سنده لين * وأخرج ابن أبي الدنيا أيضا من حديث أبي سعيد رفعه وكل نبي يدعو أمته ولكل نبي حوض فمنهم من يأتيه الفئام ومنهم من يأتيه العصبة ومنهم من يأتيه الواحد ومنهم من يأتيه الاثنان ومنهم من لا يأتيه أحد واني لاكثر الانبياء تبعا يوم القيامة وفي اسناده لين فان ثبت فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه فانه لم ينقل

نظيره غيره ووقوع الامتنان عليه به فى سورة انا أعطيناك الكوثر انتهى ملخصا من فتح البارى والقنام كما فى الصحاح الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه والعامة تقول قيام بلا همز * وفى رواية مسلم من حديث أبى هريرة رفعه قال ترد على أمتى الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل عن ابله قالوا يا رسول الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء قالوا والحكمة فى الذود المذكور أنه صلى الله عليه وسلم يريد أن يرشد كل أحد الى حوض نبيه كما تقدم ان لكل نبى حوضا فيكون هذا من جملة انصافه عليه الصلاة والسلام ورعاية اخوانه من النبيين لانه يطردهم بخلا عليهم بالماء ويحتمل أن يكون يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض والله أعلم * وفى حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لحوضى أربعة أركان الاول بيد أبى بكر الصديق والثانى بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمان ذى النورين والرابع بيد على ابن أبى طالب فمن كان محبا لابى بكر مبغضا لعمر لا يسقيه أبو بكر ومن كان محبا لعلى مبغضا لعثمان لا يسقيه على رواه أبو سعد فى شرف النبوة والغيلانى والله أعلم * وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود فقد قال تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب قال أهل المعانى لان لفظة عسى تفيد الاطماع ومن أطمع انسانا فى شىء ثم أحرمه كان عارا والله تعالى أكرم من أن يطمع أحدا فى شىء ثم لا يعطيه ذلك * وقد اختلف فى تفسير المقام المحمود على أقوال أحدها أنه الشفاعة قال الواحدى أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة كما قال صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية هو المقام الذى أشفع فيه لامتى وقال الامام ابن الخطيب اللفظ مشعر بذلك لان الانسان انما يصير محمودا اذا حمده حامد والحمد انما يكون على الانعام فهذا المقام المحمود يجب أن يكون مقاما أنعم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم فحمدوه على ذلك الانعام وذلك الانعام لا يجوز أن يكون تبليغ الدين وتعليمهم الشرع لان ذلك كان حاصلا فى الحال وقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يدل على أنه يحصل للنبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام حمد بالغ عظيم كامل ومن المعلوم أن حمد الانسان على سعيه فى التخلص عن العقاب أعظم من سعيه فى زيادة من الثواب لا حاجة له اليها لان احتياج الانسان فى دفع الآلام العظيمة عن النفس فوق احتياجه الى تحصيل المنافع الزائدة التى لا حاجة فى تحصيلها واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من قوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا هو الشفاعة فى اسقاط العذاب على ما هو مذهب أهل السنة ولما ثبت

أن لفظ الآية مشعر بهذا المعنى اشعاراقويا وورد ت الاخبار الصحيحة فى تقرير هذا المعنى كما فى البخارى من حديث ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة وفيه أيضا عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس يصيرون يوم القيامة جثا كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الى فذلك المقام المحمود فاذا ثبت هذا وجب حمل اللفظ عليه قال ومما يؤيد هذا الدعاء المشهور وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون ونصب قوله مقاما محمودا على الظرفية أى وابعثه يوم القيامة فأقمه مقاما أو على أنه مفعول به وضمن معنى ابعثه معنى أقمه ويجوز أن يكون حالا بعد حال أى ابعثه ذا مقام قال الطيبى وانما نكره لانه أفخم وأجزل أى مقاما محمودا بكل لسان وقول النووى ان الرواية ثبتت بالتنكير وانه كأنه حكاية للفظ القرآن متعقب بأنه جاء فى هذه الرواية بعينها بالتعريف عند النسائى قال ابن الجوزى الاكثر على أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة وادعى الامام فخر الدين الاتفاق عليه القول الثانى قال حذيفة يجمع الله الناس فى صعيد واحد فلا تكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك والمهتدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك ولا ملجأ منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا هو المراد من قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا رواه الطبرانى قال ابن منده حديث مجمع على صحة اسناده وثقة رجاله قال الرازى القول الاول أولى لان سعيه فى الشفاعة يفيد اقدام الناس على حمده فيصير محمودا وأما ما ذكر من الدعاء فلا يفيد الا الثواب أما الحمد فلا فان قيل لم لا يجوز أنه تعالى يحمده على هذا القول فالجواب أن الحمد فى اللغة مختص بالثناء المذكور فى مقابلة الانعام فقط فان ورد لفظ الحمد فى غير هذا المعنى فعلى سبيل المجاز القول الثالث مقام تحمد عاقبته قال الامام فخر الدين وهذا أيضا ضعيف للوجه الذى ذكرنا القول الرابع هو اجلاسه عليه الصلاة والسلام على العرش وقيل على الكرسى روى عن ابن مسعود أنه قال يقعد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم على الكرسى وعن مجاهد أنه قال يجلسه معه على العرش قال الواحدى وهذا قول رذل موحش فظيع ونص الكتاب ينادى بفساد هذا التفسير ويدل عليه وجوه الاول أن البعث ضد الاجلاس يقال بعثت البارك والقاعد فانبعث ويقال بعث الله الميت أى أقامه من قبره فتفسير البعث بالاجلاس تفسير الضد بالضد وهو فاسد والثانى يوجب أنه تعالى لو كان جالسا على العرش بحيث

يجلس عنده محمد صلى الله عليه وسلم لكان محدوداً متناهياً ومن كان كذلك فهو محدث تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً والثالث أنه تعالى قال مقاماً محموداً ولم يقل مقعداً أو لمقام موضع القيام لا موضع القعود والرابع اذا قيل السلطان بعث فلاناً فهم منه أنه أرسله الى قوم لاصلاح مهماتهم ولا يفهم منه أنه أجلسه مع نفسه فثبت أن هذا القول ساقط لا يميل اليه الا قليل العقل عديم الدين انتهى وتعقب القول الثاني بأنه تعالى يجلس على العرش كما أخبر جل وعلا عن نفسه المقدسة بلا كيف وليس اقعاد محمد صلى الله عليه وسلم على العرش موجباً له صفة الربوبية أو مخرجاً له عن صفة العبودية بل هو رفع لمحله وتشريف له على خلقه وأما قوله معه فهو بمنزلة قوله تعالى ان الذين عند ربك وقوله رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة وكل هذا ونحوه عائد على الرتبة والمنزلة والحظوة والدرجة الرفيعة لا الى المكان وقال شيخ الاسلام أبو الفضل العسقلاني قول مجاهد يجلسه معه على العرش ليس بمدفوع لا من جهة العقل ولا من جهة النقل ولا من جهة النظر وقال ابن عطية هو كذلك اذا حمل على ما يليق به قال وبالغ الواحدي في رد هذا القول ونقل النقاش عن أبي داود صاحب السنن أنه قال من أنكر هذا فهو متهم * وقد جاء عن ابن مسعود عند الثعلبي وعن ابن عباس عند أبي الشيخ قال ان محمداً يوم القيامة يجلس على كرسي الرب بين يدي الرب فيحتمل أن تكون الاضافة اضافة تشريف وعلى ذلك يحمل ما جاء عن مجاهد وغيره ويحتمل أن يكون المراد بالمقام المحمود الشفاعة كما هو المشهور وأن يكون الاجلاس هي المنزلة المعبر عنها بالوسيلة كذا قاله بعضهم ويحتمل أن يكون الاجلاس علامة الاذن في الشفاعة واختلف في فاعل الحمد من قوله تعالى محموداً فالاكثر على أن المراد به أهل الموقف وقيل النبي صلى الله عليه وسلم أي أنه يحمد عاقبة ذلك المقام بتهجده بالليل والاول أرجح لما ثبت من حديث ابن عمر بلفظ مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم ويجوز أن يحمل على أعم من ذلك أي مقاماً يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات واستحسن هذا أبو حيان وأيده بأنه نكرة تدل على أنه ليس المراد مقاماً مخصوصاً انتهى فان قلت اذا قلنا بالمشهور أن المراد بالمقام المحمود الشفاعة فأي شفاعة هي فالجواب أن الشفاعة التي وردت في الاحاديث في المقام المحمود نوعان النوع الاول العامة في فصل القضاء والثاني في الشفاعة في اخراج المذنبين من النار لكن الذي يتجه رد هذه الاقوال كلها الى الشفاعة العامة فان اعطاءه لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه وجلوسه على كرسيه كل ذلك

صفات المقام المحمود الذي يشفع فيه ليقضي بين الخلق وأما الشفاعة في اخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك وقد أنكر بعض المعتزلة والخوارج الشفاعة في اخراج من أدخل النار من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وأجاب أهل السنة بأن هذه الآية في الكفار وقال القاضي عياض مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعا بصريح قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا وقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا المفسر بها عند الاكثرين كما قدمته وقد جاءت الاحاديث التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين * وعن أم حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ماتلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ماسبق للامم قبلهم فسألت الله أن يؤتيني فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل * وفي حديث أبي هريرة لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها وأريد أن أختبي دعوتي شفاعة لامتي في الآخرة * وفي رواية أنس فجعلت دعوتي شفاعة لامتي وهذا من مزيد شفقته علينا وحسن تصرفه حيث جعل دعوته المجابة في أهم أوقات حاجاتنا فجزاه الله عنا أحسن الجزاء * وعن أبي هريرة قلت يارسول الله ماذا ورد عليك من الوحي في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد أن لا اله الا الله مخلصا يصدق بها لسانه قلبه * وعن أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد الناس يوم القيامة هل تدرون مم ذلك يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي وتدنو الشمس من جماجم الناس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون الى ما أنتم فيه ألا ترون ما بلغتم ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول الناس لبعض أبوكم آدم فيأتونه فيقولون ياآدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك وأسكنك الجنة ألا تشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه وما بلغنا فقال ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه نهاني عن الشجرة فعصيت نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا عليه الصلاة والسلام فيقولون يانوح أنت أول الرسل الى أهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا ألا ترى الى مانحن فيه ألا ترى الى ما بلغنا ألا تشفع لنا الى ربك فيقول لهم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وانه قد كانت لي دعوة

دعوت بها على قومي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم
فيأتون ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيقولون أنت نبي الله وخليله من أهل الارض
اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث كذبات فذكرها
نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى فيأتون موسى عليه
الصلاة والسلام فيقولون ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته و بكلامه
على الناس ألا ترى الى مانحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله واني قتلت نفسا لم أومر بقتلها
نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى فيأتون عيسى عليه الصلاة
والسلام فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه
وكلمت الناس في المهد ألا ترى مانحن فيه اشفع لنا الى ربك فيقول عيسى عليه
الصلاة والسلام ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده
مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيأتون
محمدا صلى الله عليه وسلم فيقولون يامحمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء وقد غفر
الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ألا ترى مانحن فيه اشفع لنا الى ربك فأنطلق فآتي
تحت العرش فأقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه
شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ثم يقال يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع
فأرفع رأسي فأقول أمتي يارب أمتي يارب فيقال يامحمد أدخل من أمتك من
لا حساب عليه من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى
ذلك من الابواب الحديث رواه البخاري ومسلم قال في فتح الباري وقد استشكل
قولهم لنوح أنت أول الرسل من أهل الارض بأن آدم نبي مرسل وكذا شيث
وادريس وهم قبل نوح ومحصل الاجوبة عن ذلك أن الاولية مقيدة بقوله أهل
الارض لان آدم ومن ذكر معه لم يرسلوا الى أهل الارض أوان الثلاثة كانوا أنبياء
ولم يكونوا رسلا والى هذا جنح ابن بطال في حق آدم وتعقبه القاضي عياض
بما صححه ابن حبان من حديث أبي ذر فانه كالصريح في أنه كان مرسلا وفيه
التصريح بانزال الصحف على شيث وهو من علامات الارسال وأما ادريس
فذهبت طائفة الى أنه كان من بني اسرائيل ومن الاجوبة ان رسالة آدم كانت
الى بنيه وهم موحدون ليعلمهم شريعته ونوح رسالته كانت الى قوم كفار يدعوهم
الى التوحيد *وذكر الغزالي في كتاب كشف علوم الآخرة ان بين اتيان أهل

الموقف آدم واتيا نهم نوحا ألف سنة وكذابين كل نبي ونبي الى نبينا صلى الله عليه وسلم ✽ قال الحافظ ابن حجر ولم أقف لذلك على أصل قال ولقد أكثر في هذا الكتاب من ايراد أحاديث لا أصول لها فلا يغتر بشيء منها ووقع في رواية حذيفة أن الخليل عليه الصلاة والسلام قال لست بصاحب ذلك انما كنت خليلا من وراء وراء بفتح الهمزة فيهما بلا تنوين ويجوز البناء على الضم للقطع عن الاضافة نحو من قبل ومن بعد واختاره أبو البقاء قال الاخفش يقال لقيته من وراء وراء بالضم وقال

اذا أنا لم أومن عليك ✽ ولم يكن لقاؤك الا من وراء وراء

ويجوز فيهما النصب والتنوين جوازا جيدا قاله أبو عبد الله الابي ومعناه لم أكن في التقريب والادلال بمنزلة الحبيب وقيل مراده ان الفضل الذي أعطيته كان بسفارة جبريل ولكن ائتوا موسى الذي كلمه الله بلا واسطة وكرر وراء اشارة الى نبينا صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة فكأنه قال أنا من وراء موسى الذي هو من وراء محمد وسبق مزيد لذلك في الخصائص وأما ما ذكره من الكذبات الثلاث فقال البيضاوي الحق انها انما كانت في معاريض الكلام لكن لما كانت صورتها صورة الكذب اشفق منها استقصارا لنفسه عن الشفاعة لان من كان أعرف بالله وأقرب اليه منزلة كان أعظم خوفا وأما قوله عن عيسى انه لم يذكر ذنبا فوقع في حديث ابن عباس عند أحمد والنساءي اني اتخذت الها من دون الله وفي حديث النضر بن أنس عن أبيه حدثني نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اني لقائم أنظر أمتي عند الصراط اذ جاء عيسى فقال يا محمد هذه الانبياء قد جاءتك يسئلونك لتدع الله أن يفرق جميع الامم الى حيث شاء لعظم ما هم فيه فأفادت هذه الرواية تعيين موقف النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ وان هذا الذي وصف من كلام أهل الموقف كله يقع عند نصب الصراط بعد تساقط الكفار في النار وأن عيسى هو الذي يخاطب نبينا صلى الله عليه وسلم وأن جميع الانبياء يسئلونه في ذلك ✽ وفي حديث سلمان عند ابن أبي شيبة يأتون محمدا فيقولون يا نبي الله أنت فتح الله بك وختم بك وغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وجئت في هذا اليوم وترى ما نحن فيه فقم فاشفع لنا الى ربنا فيقول أنا صاحبكم فيجوس الناس حتى ينتهي الى باب الجنة فان قلت ما الحكمة في انتقاله صلى الله عليه وسلم من مكانه الى الجنة أجيب بأن أرض الموقف لما كانت مقام عرض وحساب كانت مقام مخافة واشفاق ومقام الشافع يناسب أن يكون

فى مكان اكرام * وفى حديث أبى بن كعب عند أبى يعلى رفعه فأسجد له سجدة يرضى بها عنى ثم أمتدحه بمدحة يرضى بها عنى * وفى حديث أبى بكر الصديق فينطلق اليه جبريل فيخر ساجدا قدر جمعة فيقال يا محمد ارفع رأسك * وفى رواية النضر بن أنس فأوحى الله الى جبريل ان اذهب الى محمد فقل له ارفع رأسك وعلى هذا فالمعنى يقول لى على لسان جبريل والظاهر أنه صلى الله عليه وسلم يلهم التحميد قبل سجوده وبعده وفيه ويكون فى كل مكان ما يليق به فانه ورد فى رواية فأقوم بين يديه فيلهمنى بمحامد لا أقدر عليها ثم أخر ساجدا وفى رواية البخارى فارفع رأسى فأحمد ربى بتحميد يعلمنى * وفى رواية أبى هريرة عند الشيخين فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على من محامده وحسن الثناء عليه شيأ لم يفتحه على أحد قبلى ثم يقال يا محمد ارفع رأسك الحديث * وفى رواية البخارى من حديث قتادة عن أنس ثم أشفع فيحد لى حدا ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة قال الطيبى أى يبين لى كل طور من أطوار الشفاعة حدا أقف عنده فلا أتعداه مثل أن يقول شفعتك فيمن أخل بالجماعة ثم فيمن أخل بالصلاة ثم فيمن شرب الخمر ثم فيمن زنا وهكذا على هذا الاسلوب والذى يدل عليه سياق الاخبار ان المراد به تفصيل مراتب المخرجين فى الاعمال الصالحة كما وقع عند أحمد عن يحيى القطان عن سعيد ابن أبى عروبة * وفى رواية ثابت عند أحمد فأقول أى رب أمتى أمتى فيقول أخرج من كان فى قلبه مثقال شعيرة وفى رواية سلمان فيشفع فى كل من كان فى قلبه مثقال حبة من حنطة ثم شعيرة ثم حبة خردل فذلك المقام المحمود * وفى رواية أبى سعيد عند مسلم ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير قال القاضى عياض قيل معنى الخير اليقين بالايمان وأما قوله فى رواية أنس عند البخارى فأخرجهم من النار فقال الداودى كأن راوى هذا الحديث ركب شيأ على غير أصله وذلك أن فى أول الحديث ذكر الشفاعة فى الاراحة من كرب الموقف وفى آخره ذكر الشفاعة فى الاخراج من النار يعنى وذلك انما يكون بعد التحول من الموقف والمرور على الصراط وسقوط من يسقط فى تلك الحالة فى النار ثم تقع بعد ذلك الشفاعة فى الاخراج وهو اشكال قوى * وقد أجاب عنه النووى ومن قبله القاضى عياض بأنه قد وقع فى حديث حذيفة وأبى هريرة فيأتون محمدا فيقوم ويؤذن له فى الشفاعة وترسل معه الامانة والرحم فيقومان جنبى الصراط يمينا وشمالا أى يقفان فى ناحيتى الصراط قال القاضى عياض فبهذا يتصل الكلام لان الشفاعة التى لجأ الناس اليه فيها هى لاراحة

الناس من كرب الموقف ثم تجيء الشفاعة في الاخراج انتهى والمعنى في قيام الامانة والرحم أنهما لعظم شأنهما ومخافة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يوقفان للامين والخائن والمواصل والقاطع فيحاجان عن المحق ويشهدان على المبطل وقد وقع في حديث أبي هريرة بعد ذكر الجمع في الموقف الامر باتباع كل أمة ما كانت تعبد ثم تمييز المنافقين من المؤمنين ثم حلول الشفاعة بعد وضع الصراط والمرور عليه فكان الامر باتباع كل أمة ما كانت تعبد هو أول فصل القضاء والاراحة من كرب الموقف وبهذا يجتمع متون الاحاديث وتترتب معانيها انتهى فظاهر أنه صلى الله عليه وسلم أول ما يشفع ليقضي بين الخلق وأن الشفاعة فيمن يخرج من النار ممن سقط تقع بعد ذلك وأن العرض والميزان وتطاير الصحف يقع في هذا الموطن ثم ينادي لتتبع كل أمة ما كانت تعبد فيسقط الكفار في النار ثم يميز بين المؤمنين والمنافقين بالامتحان بالسجود عند كشف الساق ثم يؤذن في نصب الصراط والمرور عليه فيطفأ نور المنافقين فيسقطون في النار أيضا ويمر المؤمنون عليه الى الجنة فمن العصاة من يسقط ويوقف بعض من نجا عند القنطرة للمقاصصة بينهم ثم يدخلون الجنة وقد قال النووي ومن قبله القاضي عياض الشفاعات خمس الاولى في الاراحة من هول الموقف الثانية في ادخال قوم الجنة بغير حساب الثالثة في ادخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب ان لا يعذبوا الرابعة في اخراج من أدخل النار من العصاة الخامسة في رفع الدرجات انتهى فأما الاولى وهي التي لاراحة الناس من هول الموقف فيدل عليها حديث أبي هريرة وغيره المتقدم وحديث أنس عند البخاري ولفظه يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا الى ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربك فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته ائتوا نوحا وذكر اتيانهم الانبياء واحدا واحدا الى ان قال فيأتوني فأستأذن على ربي فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ثم يقال لي ارفع رأسك سل تعطه وقل يسمع واشفع تشفع فارفع رأسي فاحمد ربي بتحميد يعلمني الحديث وأما الثانية وهي ادخال قوم الجنة بغير حساب فيدل عليها ما في آخر حديث أبي هريرة عند البخاري ومسلم الذي تقدمته فارفع رأسي فأقول يارب أمتي يارب أمتي فيقال يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة قال أبو حامد والسبعون ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب لا يرفع لهم ميزان ولا يأخذون صحفا انما هي براءة مكتوبة لا اله الا الله محمد رسول الله

هذه براءة فلان ابن فلان قد غفر له وسعد سعادة لا شقاء بعدها أبدا في . مرعايه شيء
أسرمن ذلك المقام وأما الثالثة وهي ادخال قوم حوسبوا أن لا يعذبوا فيدل على ذلك
قوله في حديث حذيفة عند مسلم ونبيكم على الصراط يقول رب سلم سلم وأما الرابعة
وهي في اخراج من أدخل النار من العصاة فدلائلها كثيرة وقد روى البخارى عن عمران
ابن حصين مرفوعا يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة
ويسمون الجهنميين وأما الخامسة وهي في رفع الدرجات فقال النووى في الروضة انها
من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر لذلك مستندا فالله أعلم * وقد ذكر
القاضى عياض شفاعة سادسة وهي شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب
في تخفيف العذاب لما ثبت في الصحيح ان العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته
في غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح * وفي الصحيح أيضا من طريق أبي سعيد
انه صلى الله عليه وسلم قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح يبلغ
كعبيه يغلي منه دماغه وزاد بعضهم سابعة وهي الشفاعة لاهل المدينة لحديث
سعد رفعه لا يثبت أحد على لأوائها الا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة وتعقبه
الحافظ ابن حجر بأن متعلقها لا يخرج عن واحد من الخمس الاول وبأنه لو عد مثل ذلك
لعد حديث عبد الملك بن عباد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول أول من أشفع له
أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف رواه البزار وأخرى لمن زار قبره الشريف
وأخرى لمن أجاب المؤذن ثم صلى عليه صلى الله عليه وسلم وأخرى في التجاوز عن تقصير
الصلحاء لكن قال الحافظ ابن حجر انها مندرجة في الخامسة وزاد القرطبي أنه أول
شافع في دخول أمته الجنة قبل الناس وزاد في فتح البارى أخرى فيمن استوت
حسناته وسيآته أن يدخل الجنة لما أخرجه الطبرانى عن ابن عباس قال السابق
بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد برحمه الله والظالم لنفسه وأصحاب
الاعراف يدخلون بشفاعته صلى الله عليه وسلم * وارجح الاقوال في أصحاب
الاعراف أنهم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم وشفاعة أخرى وهي شفاعته
فمن قال لا اله الا الله ولم يعمل خيرا قط لرواية الحسن عن أنس فأقول يارب ائذن لي
فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي
لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله فالوارد على الخمسة أربعة وما عداها لا يرد
كما لا ترد الشفاعة في التخفيف عن صاحبي القبرين وغير ذلك لكونه من جملة
أحوال الدنيا انتهى فان قلت فأي شفاعة ادخرها صلى الله عليه وسلم لامته أما

الاولى فلا تختص بهم بل هى لاراحة الجمع كلهم وهى المقام المحمود كما تقدم وكذلك
باقى الشفاعات الظاهر انه يشاركهم فيها بقية الامم فالجواب أنه يحتمل ان المراد
الشفاعة العظمى التى للاراحة من هول الموقف وهى وان كانت غير مختصة بهذه
الامة لكنهم الاصل فيها وغيرهم تبع لهم ولهذا كان اللفظ المنقول عنه صلى الله
عليه وسلم فيها أنه قال يارب أمتى أمتى فدعى لهم فأجيب وكان غيرهم تبعا لهم فى ذلك
ويحتمل أن تكون الشفاعة الثانية وهى التى فى ادخال قوم الجنة بغير حساب هى
المختصة بهذه الامة فان الحديث الوارد فيها يدخل من أمتى الجنة سبعون ألفا بغير
حساب الحديث ولم ينقل ذلك فى بقية الامم ويحتمل أن يكون المراد مطلقا الشفاعة
المشتركة بين الشفاعات الخمس وكون غير هذه الامة يشاركونهم فيها أو فى بعضها
لا ينافى أن يكون عليه الصلاة والسلام أخر دعوته شفاعة لامته فلعله لا يشفع
لغيرهم من الامم بل يشفع لهم أنبياؤهم ويحتمل أن تكون الشفاعة لغيرهم تبعا
كما تقدم مثله فى الشفاعة العظمى والله أعلم * وعن بريدة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انى لأرجو أن أشفع يوم القيامة عددما على الارض من شجرة
ومدرة رواه أحمد * وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال نحن
آخر الامم وأول من يحاسب يقال أين الامة الامية ونبيها فنحن الآخرون الاولون
رواه ابن ماجه * وفى حديث ابن عباس عند أبى داود الطيالسى مرفوعا
فاذا أراد الله أن يقضى بين خلقه نادى مناد أين محمد وأمته فأقوم وتتبعنى أمتى
غرا محجلين من أثر الطهور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن الآخرون
الاولون وأول من يحاسب وتفرج لنا الامم عن طريقنا وتقول الامم كادت هذه
الامة أن تكون أنبياء كلها وقد صح أن أول ما يقضى بين الناس فى الدماء رواه
البخارى وللنساءى مرفوعا أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين
الناس فى الدماء * وفى البخارى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه أنه قال
أنا أول من يجثو يوم القيامة بين يدى الرحمن للخصومة يريد قصته فى مبارزته هو
وصاحبيه الثلاثة من كفار قريش قال أبوذر وفيهم نزلت هذان خصمان اختصموا
فى ربهم الآية * وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزول
قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن عمله فيما عمل
فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه رواه الترمذى
وقال حسن صحيح * وفى البخارى من حديث عائشة أن النبى صلى الله عليه
وسلم قال من نوقش الحساب عذب * وروى البزار عن أنس ابن مالك عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين ديوان فيه العمل الصالح وديوان فيه ذنوبه وديوان فيه النعم من الله تعالى عليه فيقول لاصغر نعمة أحسبه قال من ديوان النعم خذي ثمنك من عمله الصالح فتستوعب عمله الصالح وتقول وعزتك ما استوفيت وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل الصالح فاذا أراد الله أن يرحم عبدا قال يا عبدي قد ضاعفت حسناتك وتجاوزت عن سيآتك أحسبه قال ووهبت لك نعمي * وروى الامام أحمد بسند حسن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا * وعن أنس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر ما أضحكك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي فقال الله كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء قال يا رب فليحمل من أوزاري وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال ان ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس أن يحمل عنهم من أوزارهم فقال الله للطالب ارفع بصرك فانظر فقال يا رب أرى مدائن من ذهب وفضة مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا أولاي صديق هذا أولاي شهيد هذا قال لمن يعطي الثمن فقال يا رب ومن يملك ذلك قال أنت تملكه قال بماذا قال بعفوك عن أخيك قال يا رب فاني قد عفوت عنه قال الله تعالى فخذ بيد أخيك وأدخله الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المسلمين يوم القيامة رواه الحاكم والبيهقي في البعث كلاهما عن عباد بن أبي شيبة الحبطي عن سعيد ابن أنس عنه وقال الحاكم صحيح الاسناد كذا قال وقد نقل لو ان رجلا له ثواب سبعين نبيا وله خصم بنصف دانق لم يدخل الجنة حتى يرضى خصمه وقيل يؤخذ بدانق سبعمائة صلاة مقبولة فتعطى للخصم ذكره القشيري في التحبير ثم بعد انقضاء الحساب يكون وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي أن يكون بعد المحاسبة فان المحاسبة لتقدير الاعمال والوزن لاظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها وقد ذكر الله تعالى الميزان في كتابه بلفظ الجمع وجاءت السنة بلفظ الافراد والجمع فقيل ان صورة الافراد محمولة على أن المراد الجنس جمعا بين الكلامين وقال بعضهم يحتمل أن يكون تعددها بتعدد الاعمال فيكون هناك موازين للعامل الواحد يوزن بكل ميزان منها صنف من أعماله وذهبت طائفة الى أنها ميزان واحد يوزن بها الجميع وانما ورد في الآية بصيغة الجمع للتفخيم وليس المراد حقيقة العدد وهو نظير قوله كذبت قوم نوح المرسلين

والمراد رسول واحد وهذا هو المعتمد وعليه الاكثرون * واختلف فى كيفية وضع الميزان والذى جاء فى أكثر الاخبار ان الجنة توضع عن يمين العرش والنار عن يسار العرش ثم يؤتى بالميزان فينصب بين يدى الله تعالى فتوضع كفة الحسنات مقابل الجنة وكفة السيئات مقابل النار ذكره الترمذى الحكيم فى نوادر الاصول * واختلف أيضا فى الموزون نفسه فقال بعضهم توزن الاعمال نفسها وهى وان كانت اعراضا الا انها تجسم يوم القيامة فتوزن وقال بعضهم الموزون صحائف الاعمال ويدل له حديث البطاقة المشهور وقد رواه الترمذى من حديث عبد الله بن عمرو ابن العاصى يرفعه بلفظ ان الله يستخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيأ أظلمك كتبتى الحافظون فيقول لا يارب فيقول افلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فقال انك لا تظلم قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شىء فان قلت ان من شان الميزان أن يوضع فى كفة شىء وفى الاخرى ضده فتوضع الحسنات فى كفة والسيئات فى كفة والذى يقابل شهادة التوحيد الكفر ويستحيل ان يأتى عبد واحد بالكفر والايمان معا حتى يوضع الايمان فى كفة والكفر فى أخرى أجاب الترمذى الحكيم بأنه ليس المراد وضع شهادة التوحيد فى كفة الميزان وانما المراد وضع الحسنة المترتبة على النطق بهذه الكلمة مع سائر الحسنات ويدل لما قاله قوله بلى ان لك عندنا حسنة ولم يقل لك عندنا ايمانا وقد سئل عليه الصلاة والسلام عن لا اله الا الله أمن الحسنات هى فقال من أعظم الحسنات أخرجه البيهقى وغيره ويجوز كما قاله القرطبى فى التذكرة ان تكون هذه الكلمة هى آخر كلامه فى الدنيا كما فى حديث معاذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان آخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة وفى التحبير للقشيرى قيل لبعضهم فى المنام ما فعل الله بك قال وزنت حسناتى فرجحت السيئات على الحسنات فسقطت صرة فى كفة الحسنات فرجحت فحلت الصرة فاذا فيها كف تراب ألقيته فى قبر مسلم * وفى الخبر اذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاقة كالانملة فيلقيها فى كفة الميزان التى فيها حسنات فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وسلم بابى أنت وأمى

ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك فمن أنت فيقول انا نبيك محمد وهذه صلاتك على وقد وفيتك اياها أحوج ما تكون اليها ذكره القشيري في تفسيره * وذكر الغزالي انه يؤتى برجل يوم القيامة فما يجد حسنة يرجح بها ميزانه وقد اعتدلت بالسوية فيقول الله له رحمة منه اذهب في الناس فالتمس من يعطيك حسنة أدخلك بها الجنة فما يجد أحدا يكلمه في ذلك الامر الا قال له أنا احوج لذلك منك فييأس فيقول له رجل لقد لقيت الله فما في صحيفتي الا حسنة واحدة وما أظنها تغني شيأ خذها هبة فينطلق بها فرحا مسرورا فيقول الله له ما بالك وهو أعلم فيقول يارب اتفق لي من أمري كيت وكيت قال فينادي الله تعالى بصاحبه الذي وهب له الحسنة فيقول له تعالى كرمي أوسع من كرمك خذ بيد أخيك وانطلقا الى الجنة وكذا تستوي كفتا الميزان لرجل فيقول الله تعالى له لست من أهل الجنة ولا من أهل النار فيأتي الملك بصحيفة فيضعها في كفة الميزان فيها مكتوب أف فترجح على الحسنات لانها كلمة عقوق فيؤمر به الى النار قال فيطلب أن يرد الى الله تعالى فيقول الله تعالى ردوه فيقول الله أيها العبد العاق لاي شيء تطلب الرد الي فيقول الهي اني سائر الى النار وكنت عاقا لابي وهو سائر الى النار مثلي فضعف علي عذابه وأنقذه منها قال فيضحك الله تعالى ويقول عققته في الدنيا وبررته في الآخرة خذ بيد أبيك فانطلقا الى الجنة وقد روى حذيفة ان صاحب الميزان يوم القيامة جبريل عليه الصلاة والسلام وهو الذي يزن الاعمال يوم القيامة واختلف أيضا في كيفية الرجحان والنقص فقال بعضهم ان الراجح من الموزون في الآخرة يصعد عكس ما في الدنيا واستشهد في ذلك بقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب الآية قال الزركشي وهو غريب مصادم لقوله تعالى فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وهل توزن الاعمال كلها أو خواتيمها حكى عن وهب ابن منبه أنه قال انما يوزن من الاعمال خواتيمها واستدل بقوله عليه الصلاة والسلام انما الاعمال بخواتيمها * وذكر الحافظ أبو نعيم عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قضى لاخيه المؤمن حاجة كنت واقفا عند ميزانه فان رجح والا شفعت له وقال بعض أهل العلم فيما حكاه القرطبي في التذكرة ولن يجوز أحد الصراط حتى يسئل على سبع قناطر فأما القنطرة الاولى فيسئل عن الايمان بالله وهو شهادة أن لا اله الا الله فان جاء بها مخلصا جاز ثم يسئل في القنطرة الثانية عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل في القنطرة الثالثة عن صوم شهر رمضان فان جاء به تاما جاز ثم يسئل في القنطرة الرابعة عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز ثم يسئل في القنطرة

الخامسة عن الحج والعمرة فان جاء بهما تامتين جاز ثم يسئل في السادسة عن الغسل والوضوء فان جاء بهما تامين جاز ثم يسئل في السابعة وليس في القناطر أصعب منها يسئل عن ظلامات الناس * وفي حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوز عليه ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى فتخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو الحديث رواه البخاري * وفي حديث حذيفة وأبي هريرة عند مسلم ونبيكم قائم على الصراط يقول يارب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يأتي الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكردس في النار وهذه الكلاليب هي الشهوات المشار اليها في الحديث حفت النار بالشهوات فالشهوات موضوعة على جوانبها فمن اقتحم الشهوة سقط في النار قاله ابن العربي ويؤخذ من قوله فمخدوش الخ ان المارين على الصراط ثلاثة أصناف ناج بلا خدش وهالك من أول وهلة ومتوسط بينهما مصاب ثم ينجو * وفي حديث المغيرة عند الترمذي شعار المؤمنين على الصراط رب سلم رب سلم ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين ان ينطقوا به بل ينطق به الرسل يدعون للمؤمنين بالسلامة فيسمى ذلك شعارا لهم * وفي حديث ابن مسعود فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين أيديهم الحديث وفيه فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرفة العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس ومنهم من يمر كشد الرجل حتى يمر الذي يعطى نوره على ظهر قدميه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار فلا يزال كذلك حتى يخلص فاذا خلص وقف عليها وقال الحمد لله الذي أعطاني ما لم يعط أحدا اذ نجاني منها بعد أن رأيتها الحديث رواه ابن أبي الدنيا والطبراني وروى مسلم قال قال أبو سعيد بلغني ان الصراط احد من السيف وأرق من الشعرة وفي رواية ابن مندة من هذا الوجه قال سعيد بن أبي هلال بلغني ووصله البيهقي عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم مجزوما به وفي سنده لين ولابن المبارك من مرسل عبيد بن عمير ان الصراط مثل السيف وبجنبتيه كلاليب والذي نفسي بيده انه ليؤخذ بالكلوب الواحد أكثر من

ربيعة ومضر وأخرجه ابن أبي الدنيا من هذا الوجه وفيه والملائكة على جنبتيه يقولون رب سلم سلم * وعن الفضيل بن عياض بلغنا ان الصراط مسيرة خمس عشرة ألف سنة خمسة آلاف صعود وخمسة آلاف هبوط وخمسة آلاف استواء أدق من الشعر وأحد من السيف على متن جهنم لا يجوز عليه الا ضامر مهزول من خشية الله ذكره ابن عساكر في ترجمته قال في فتح الباري وهذا معضل لا يثبت قال وعن سعيد بن أبي هلال بلغنا أن الصراط أدق من الشعرة على بعض الناس ولبعض الناس مثل الوادي الواسع أخرجه ابن المبارك وهو مرسل أو معضل * وقد ذهب بعضهم الى أن المراد من قوله تعالى وان منكم الا واردها الجواز على الصراط لانه ممدود على النار * وروى ابن عساكر عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الاحبار أنهم قالوا الورود المرور على الصراط وقيل الورود الدخول وعن أبي سمية قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر ابن عبد الله فقلت له انا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا فقلت انا اختلفنا في ذلك فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضنا يدخلونها جميعا فأهوى بأصبعيه الى أذنيه وقال صمتا ان لم اكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار أو قال لجهنم ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين رواه أحمد والبيهقي باسناد حسن * وأخرج ابن الجوزي كما ذكره القرطبي في التذكرة رفعه الزالون على الصراط كثير وأكثر من يزل عنه النساء قال واذا صار الناس على طرفي الصراط نادى ملك من تحت العرش يا فطرة الملك الجبار جوزوا على الصراط وليقف كل عاص منكم وظالم يالها من ساعة ما أعظم خوفها وأشد حرها يتقدم فيها من كان في الدنيا ضعيفا مهينا ويتأخر عنها من كان فيها عظيما مكينا ثم يؤذن لجميعهم بعد ذلك في الجواز على الصراط على قدر أعمالهم فاذا عصف الصراط بأمة محمد صلى الله عليه وسلم نادوا وامحمداه وامحمداه فيبادر عليه الصلاة والسلام من شدة اشفاقه عليهم وجبريل آخذ بحجزته فينادي صلى الله عليه وسلم رافعا صوته رب أمتي أمتي لا أسألك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي والملائكة قيام عن يمين الصراط ويساره ينادون رب سلم سلم وقد عظمت الاهوال واشتدت الاوجال والعصاة يتساقطون عن اليمين والشمال والزبانية يتلقونهم بالسلاسل والاغلال وينادونهم أما نهيتم عن كسب الاوزار أما أنذرتم كل الانذار أما جاءكم النبي

المختار ذكره ابن الجوزى فى كتابه روضة المشتاق وقد جاء فى حديث أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من أحسن الصدقة فى الدنيا مر على الصراط رواه أبو نعيم وفى الحديث من يكن المسجد بيته ضمن الله له بالروح والرحمة والجواز على الصراط الى الجنة وروى القرطبى عن ابن المبارك عن عبد الله بن سلام اذا كان يوم القيامة جمع الله الانبياء نبيا نبيا وأمة أمة ويضرب الجسر على جهنم وينادى أين أحمد وأمته فيقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبعه أمته برها وفاجرها حتى اذا كان على الصراط طمس الله أبصار أعدائه فيتهافتون فى النار يمينا وشمالا ويمضى النبى صلى الله عليه وسلم والصالحون معه فتتلقاهم الملائكة فيدلونهم على الطريق على يمينك على شمالك حتى ينتهى الى ربه فيوضع له كرسى عن يمين العرش ثم يتبعه عيسى عليه الصلاة والسلام على مثل سبيله وتتبعه أمته برها وفاجرها فاذا كانوا على الصراط طمس الله أبصار أعدائهم فيتهافتون يمينا وشمالا الحديث واعلم أن فى الآخرة صراطين أحدهما مجاز لاهل المحشر كلهم الامن دخل الجنة بغير حساب أو يلتقطه عنق النار فاذا خلص من خلص من الصراط الاكبر حبسوا على صراط آخر لهم ولا يرجع الى النار أحد من هؤلاء ان شاء الله لانهم قد عبروا والصراط الاول المضروب على متن جهنم وقد روى البخارى من حديث أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة والذى نفس محمد بيده لاحدهم أهدى فى الجنة بمنزله منه بمنزله كان فى الدنيا * وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم بأنه أول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها ففى صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أكثر الناس تبعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة وفيه أيضا من حديث أنس قال صلى الله عليه وسلم آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لاحد قبلك ورواه الطبرانى وزاد فيه قال فيقوم الخازن ويقول لا أفتح لاحد قبلك ولا أقوم لاحد بعدك فقيامه له صلى الله عليه وسلم خاصة فيه اظهار لمزيته ومرتبته وانه لا يقوم فى خدمة أحد بعده بل خزنة الجنة يقومون فى خدمته وهو كالملك عليهم وقد أقامه تعالى فى خدمة عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم * وروى سهيل بن أبى صالح عن زياد المهرى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من يأخذ بحلقة الجنة ولا فخر وهو

فى مسند الفردوس لكن من حديث ابن عباس * وعن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى وانا أول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال فيفزع الناس ثلاث فزعات فيأتون آدم فذكر الحديث الى أن قال فيأتونى فانطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فآخذ بحلقه باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لى ويرحبون بى فيقولون مرحبا فأخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد فيقال ارفع رأسك الحديث رواه الترمذى وقال حسن وفى حديث سلمان فيأخذ بحلقة الباب وهى من ذهب فيقرع الباب فيقال من هذا فيقول محمد فيفتح وفى حديث الصور ان المؤمنين اذا انتهوا الى باب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم فى الدخول فيقصدون آدم ثم نوحا ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله عليه وسلم كما فعلوا عند العرصات عند استشفاعهم الى الله عز وجل فى فصل القضاء ليظهر شرف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر كلهم فى المواطن كلها * وروى أبو هريرة مرفوعا أنا أول من يفتح له باب الجنة الا أن امرأة تبادرنى فأقول لها مالك أوما أنت فتقول انا امرأة قعدت على يتامى رواه أبو يعلى ورواته لا بأس بهم قال المنذرى اسناده حسن ان شاء الله وقوله تبادرنى أى لتدخل معى أو تدخل فى أثرى ويشهد له حديث أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وقال بأصبعيه السبابة والوسطى رواه البخارى من حديث سهل بن سعد قال ابن بطال حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة ولا منزلة فى الجنة أفضل من ذلك انتهى ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة كما فى الحديث قبله ووجه التشبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم من شأنه أن يبعث الى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلا لهم ومرشدا وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه ويعلمه ويحسن أدبه * وعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم وهم يتذاكرون قال فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا أن الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابراهيم خليلا وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال آخر فعيسى روح الله وقال آخر فآدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك وموسى كليما وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا وانا حبيب

الله

الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الاولين والآخرين ولا فخر رواه الترمذي * وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول الناس خروجا اذا بعثوا وأنا خطيبهم اذا أنصتوا وقائدهم اذا وفدوا وشافعهم اذا حبسوا وأنا مبشرهم اذا يئسوا ولواء الحمد بيدي ومفاتيح الجنة يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له * وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة رواه مسلم وعنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون الاولون يوم القيامة نحن أول الناس دخولا الجنة فهذه الامة أسبق الامم خروجا من الارض وأسبقهم الى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم الى ظل العرش وأسبقهم الى فصل القضاء وأسبقهم الى الجواز على الصراط وأسبقهم الى دخول الجنة وهي أكثر أهل الجنة * روى عبد الله بن الامام أحمد من حديث أبي هريرة لما نزلت هذه الآية ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال صلى الله عليه وسلم أنتم ثلث أهل الجنة أنتم نصف أهل الجنة أنتم ثلثا أهل الجنة قال الطبري تفرد برفعها ابن المبارك عن الثوري * وفي حديث بهز بن حكيم رفعه أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون * وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى أدخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها أمتي قال الدارقطني غريب عن الزهري فان قلت فما تقول في الحديث الذي صححه الترمذي من حديث بريدة بن الحصيب قال أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلت الجنة قط الا سمعت خشخشتك أمامي الحديث أجاب عنه ابن القيم بأن تقدم بلال بين يديه صلى الله عليه وسلم انما هو لانه كان يدعو الى الله أولا بالاذان ويتقدم أذانه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم قال وقد روي في حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالاذان فتقدمه بين يديه كرامة له صلى الله عليه وسلم واظهارا لشرفه وفضيلته لا سبقا من بلال له * وروى ابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي فقال أبو بكر يا رسول الله وددت لي

أني كنت معك حتى أنظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم أما انك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي * وقد دل هذا الحديث على ان لهذه الامة بابا مختصا يدخلون منه الجنة دون سائر الامم فان قلت من أي أبواب الجنة يدخل النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب أنه قد ذكر الترمذي الحكيم أبواب الجنة كما نقله عنه القرطبي في التذكرة فذكر باب محمد صلى الله عليه وسلم قال وهو باب الرحمة وهو باب التوبة فان قلت كم عدد أبواب الجنة فاعلم أن في حديث أبي هريرة عند الشيخين مرفوعا من أنفق زوجين في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان * وروى الترمذي من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله الا فتحت له من أبواب الجنة الثمانية بزيادة من قال القرطبي وهو يدل على ان أبواب الجنة أكثر من ثمانية قال وانتهى عددها الى ثلاثة عشر بابا كذا قال فان قلت أي الجنان يسكنها النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم منحني الله واياك التمتع بذاته القدسية في الحضرة الفردوسية ان الله تعالى قد اتخذ من الجنان دارا اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة الجنان والله يختار من كل نوع أعلاه وأفضله كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمدا صلى الله عليه وسلم وربك يخلق ما يشاء ويختار * وفي الطبراني من حديث أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن لا يكون معه فيها غيره الا الانبياء والشهداء والصالحون والصديقون وفيها ما لم يره أحد ولا خطر على قلب بشر ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول الا مستغفر يستغفرني فاغفر له الا سائل يسألني فأعطيه الا داع يدعوني فأستجيب له حتى يطلع الفجر * وفي حديث أنه أوري جنة عدن ومنازل المرسلين منها وأوري منازله فوق منازلهم * وروى أبو الشيخ عن شمر بن عطية قال خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات فيقول ازدادي طيبا لأوليائي ازدادي حسنا لأوليائي فتأمل هذه العناية كيف جعل الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل بريته اعتناء

وتشريفا

وتشريفا واظهار الفضل ماخلقه بيده وشرفه وتمييز بذلك عن غيره * وروى الدارمي عن عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا الديوث وفيه أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن تكلم فيه * وروى الدارمي أيضا عن عبد الله بن عمر خلق الله أربعة أشياء بيده العرش والقلم وعدنا وآدم عليه الصلاة والسلام ثم قال لسائر الخلق كن فكان وعنده أيضا عن ميسرة قال ان الله لم يمس شيأ من خلقه غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده فجنة عدن أعلى الجنان وسيدتها وهي قصبة الجنة وفيها الكثيب الذي تقع فيه الرؤية وعليها بدور غمانية أسوار بين كل سورين جنة فالتي تلي جنة عدن من الجنان جنة الفردوس وأصله البستان وهي أوسط الجنان التي دون جنة عدن وأفضلها ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى وهي التي يأوي اليها جبريل والملائكة وعن مقاتل تأوي اليها أرواح الشهداء ثم دار السلام لانها دار السلامة من كل مكروه ثم دار المقامة واعلم ان للجنة أسماء عديدة باعتبار صفاتها ومسماها واحد باعتبار ذاتها فهي مترادفة من هذا الوجه ومختلفة باعتبار صفاتها فاسم الجنة هو الاسم العام المتناول لتلك الذوات وما اشتملت عليه من أنواع النعيم والسرور وقرة العين وهذه اللفظة مشتقة من الستر ومنه سمي البستان جنة لانه يستر داخله بالاشجار والجنان كثيرة جدا كما قال صلى الله عليه وسلم لام حارثة لما قتل ببدر وقد قالت يارسول الله ألا تحدثني عن حارثة فان كان في الجنة صبرت وان كان غير ذلك اجتهدت في البكاء عليه يا أم حارثة انها جنان في الجنة وان ابنك قد أصاب الفردوس الاعلى وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فذكرهما ثم قال ومن دونهما جنتان أي فهذه أربع وقال عليه الصلاة والسلام جنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما وجنتان من فضة آنيتهما ومافيهما رواه الشيخان من حديث أبي موسى الاشعري وقد قسم بعضهم الجنان بالنسبة الى الداخلين فيها ثلاثة جنة اختصاص الهي وهي التي يدخلها الاطفال الذين لم يبلغوا الحلم ومن أهلها أهل الفترات ومن لم تصل اليه دعوة رسول الجنة الثانية جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة من المؤمنين وهي الاماكن التي كانت معينة لاهل النار لودخلوها والجنة الثالثة جنة الاعمال وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر وسواء كان الفاضل دون المفضول أولم يكن غير أنه فضله في هذا المقام بهذه الحالة فمامن

عمل من الاعمال الاوله جنة ويقع التفاضل فيها بين أصحابها بحسب أحوالهم قال صلى الله عليه وسلم يا بلال بم سبقتني الى الجنة الحديث فعلم انها كانت جنة مخصوصة فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم الا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص ينال من دخلها وقد يجمع الواحد من الناس في الزمان الواحد أعمالا من العبادات فيوجد في الزمان الواحد وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك فقد تبين ان نيل المنازل والدرجات في الجنات بالاعمال وأما الدخول فلا يكون الا برحمة الله تعالى كما في البخاري ومسلم من حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته أي يلبسنيها ويسترني بها مأخوذ من غمد السيف وهو غلافه وعند الامام أحمد باسناد حسن من حديث أبي سعيد الخدري لن يدخل الجنة أحد الا برحمة الله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدني الله برحمته وقال بيده فوق رأسه يعني أن الجنة انما تدخل برحمة الله وليس عمل العبد سببا مستقلا بدخولها وان كان سببا ولهذا أثبت الله دخولها بالاعمال في قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون ونفى صلى الله عليه وسلم دخولها بالاعمال في قوله لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولا تنافي بين الامرين لما ذكره سفيان وغيره قال كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمة الله واقتسام المنازل والدرجات بالاعمال ويدل له حديث أبي هريرة ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم رواه الترمذي قال ابن بطال محمل الآية على ان الجنة تنال المنازل فيها بالاعمال فان درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الاعمال ومحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فصرح بأن دخول الجنة أيضا بالاعمال وأجاب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون وليس المراد بذلك أصل الدخول ثم قال ويجوز أن يكون الحديث مفسرا للآية والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم لان اقتسام منازل الجنة برحمة الله وكذا أصل دخول الجنة برحمته حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله وقد تفضل الله عليهم ابتداء بايجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم وأشار الى نحوه القاضي عياض فقال وان من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله وانما هو بفضل الله ورحمته وقال غيره لا تنافي بين ما في الآية والحديث لان الباء التي أثبتت الدخول هي باء السبب التي تقتضي

سببية ما دخلت عليه لغيره وان لم يكن مستقلا بحصوله والباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلا للآخر نحو اشتريت منه بكذا فأخبران دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد وأنه لولا رحمة الله لعبده لما أدخله الجنة لان العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب بمجرده دخول الجنة ولا يكون عوضا لها لانه لو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من الشكر على تلك النعمة بقية لم يقم بها فلذلك لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا من أعمالهم كما في حديث أبي بن كعب عند أبي داود وابن ماجه وهذا فصل الخطاب مع الجبرية النفاة للحكمة والتعليل القائلين بأن القيام للعبادة ليس الا لمجرد الامر من غير أن يكون سببا للسعادة في معاش ولا معاد ولا لنجاة المعتقدين أن النار ليست سببا للاحراق وأن الماء ليس سببا للارواء والتبريد والقدرية الذين ينفون نوعا من الحكمة والتعليل القائلين بأن العبادات شرعت أثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم وانما هي بمنزلة استيفاء الاجير أجرته محتجين بأن الله تعالى يجعلها عوضا عن العمل كما في قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبقوله عليه الصلاة والسلام حاكيا عن ربه تعالى يا عبادي انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم اياها وهؤلاء الطائفتان متقابلتان أشد التقابل وبينهما أعظم التباين فالجبرية لم تجعل للاعمال ارتباطا بالجزاء البتة والقدرية جعلت ذلك بمحض الاعمال وثمنا لها والطائفتان جائرتان منحرفتان عن الصراط المستقيم الذي فطر الله عليه عباده وجاءت به رسله ونزلت به كتبه وهو أن الاعمال أسباب موصلة الى الثواب والعقاب مقتضيات لهما كاقتضاء سائر الاسباب لمسبباتها وان الاعمال الصالحة من توفيق الله تعالى ومنته وصدقته على عبده ان أعانه عليها ووفقه لها وخلق فيه ارادتها والقدرة عليها وحببها اليه وزينها في قلبه وكره اليه اضدادها ومع هذا فليست ثمنا لجزائه وثوابه بل غايتها أن تكون شكرا له تعالى ان قبلها سبحانه ولهذا نفي عليه الصلاة والسلام دخول الجنة بالعمل ردا على القدرية القائلين بأن الجزاء بمحض الاعمال وثمنا لها وأثبت سبحانه وتعالى دخول الجنة بالعمل ردا على الجبرية الذين لم يجعلوا للاعمال ارتباطا بالجزاء فتبين أنه لا تنافي بينهما اذ تواردا النفي والاثبات ليس على معنى واحد فالمنفي استحقاقها بمجرد الاعمال وكون الاعمال ثمنا وعوضا لها ردا على القدرية والمثبت الدخول بسبب العمل ردا على الجبرية والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وقال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر

يحمل الاحاديث على ان العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة مالم يكن مقبولا واذا كان كذلك فأمر القبول الى الله تعالى وانما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه وعلى هذا فمعنى قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون أى تعملونه من العمل المقبول ولا يضر مع هذا أن تكون الباء للمصاحبة أو للالصاق أو للمقابلة ولا يلزم من ذلك أن تكون سببية قال ثم رأيت النووى جزم بأن ظاهر الآيات أن دخول الجنة بسبب الاعمال والجمع بينها وبين الحديث أن التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها وقبولها انما هو برحمة الله وفضله فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بسبب العمل وهو من رحمة الله تعالى انتهى * وروى الدارقطنى عن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم الرجل أنا لشرار أمتى فقالوا فكيف أنت لخيارها فقال أما خيارها فيدخلون الجنة بأعمالهم وأما شرار أمتى فيدخلون الجنة بشفاعتى ذكره عبد الحق فى العاقبة * وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم فى الجنة بالكوثر وهو على وزن فوعل من الكثرة سمى به هذا النهر العظيم لكثرة مائه وآنيته وعظم قدره وخيره فقد نقل المفسرون فى تفسير الكوثر أقوالا تزيد على العشرة ذكرت كثيرا منها فى المقصد السادس من هذا الكتاب وأولاها قول ابن عباس أنه الخير الكثير لعمومه لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبى صلى الله عليه وسلم فلا معدل عنه فقد روى مسلم وأبو داود والنسائى من طريق محمد بن فضيل وعلى بن مسهر كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس واللفظ لمسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فى المسجد اذ أغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما أضحكك يا رسول قال أنزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال انه نهر وعدنيه ربى عز وجل الحديث لكن فيه اطلاق الكوثر على الحوض وقد جاء صريحا فى حديث عند البخارى ان الكوثر هو النهر الذى يصب فى الحوض وعند أحمد ويفتح نهر الكوثر الى الحوض وعند مسلم يغت فيه يعنى الحوض ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق وقوله يغت بالغين المعجمة أى يصب * وفى البخارى من حديث قتادة عن أنس قال لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم الى السماء قال أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر ورواه ابن جرير عن شريك ابن أبى نمر قال سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وسلم مضى به جبريل فاذا هو بنهر عليه قصر

ن لؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال يا جبريل ما هذا النهر قال الكوثر الذي خبأ لك ربك * وروى أحمد عن أنس أن رجلا قال يارسول الله ما الكوثر قال نهر في الجنة أعطانيه ربي لهو أشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل * وعن أبي عبيدة عن عائشة قال سألتها عن قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر فقالت نهر أعطيه نبيكم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم رواه البخاري وقوله شاطئاه أي حافتاه وقوله در مجوف أي القباب التي على جوانبه ورواه النسائي بلفظ قالت نهر في بطنان الجنة قلت وما بطنان الجنة قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت وبطنان بضم الموحدة وسكون المهملة بعدها نون ووسط بفتح المهملة المراد به أعلاها أي أرفعها قدرا أو المراد به أعدلها * وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من الذهب والماء يجري على اللؤلؤ وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل رواه أحمد وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح * وروى عن ابن عباس في قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه سبعون ألف فرسخ ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل شاطئاه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه قبل الانبياء رواه ابن أبي الدنيا موقوفا * وعن أنس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال نهر في الجنة أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل فيه طير أعناقها كأعناق البخت أو أعناق الجزر قال عمر انها لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتها أنعم منها رواه الترمذي وقال حسن والجزر بضم الجيم والزاي جمع جزور وهو البعير قال الحافظ ابن كثير قد تواتر يعني حديث الكوثر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض قال وهكذا روى عن أنس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة * وأما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة فروى مسلم من حديث عبد الله ابن عمرو بن العاصي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو فمن سئل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة قال الحافظ عماد الدين ابن كثير الوسيلة علم على أعلى منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهي أقرب امكنة الجنة الى العرش وقال غيره

الوسيلة فعيلة من وسل اليه اذا تقرب يقال توسلت أي تقربت وتطلق على المنزلة العلية كما قال في هذا الحديث فانها منزلة في الجنة على أنه يمكن ردها الى الاول فان الواصل الى تلك المنزلة قريب من الله فيكون كالقربة التي يتوسل بها ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل الى الله تعالى وهي أعلا درجة في الجنة وأمر صلى الله عليه وسلم أمته أن يسئلوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الايمان وأيضا فان الله تعالى قدرها له بأسباب منها دعاء أمته له بما نالوه على يده من الهدى والايمان وأما الفضيلة فهي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق ويحتمل ان تكون منزلة أخرى أو تفسيرا للوسيلة وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوسيلة درجة عند الله عزوجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة رواه أحمد في المسند وذكره ابن أبي الدنيا وقال درجة في الجنة ليس في الجنة أعلا منها فسلوا الله ان يؤتينيها على رؤس الخلائق وروى ابن مردويه عن على عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله فسلوا لي الوسيلة قالوا يارسول الله من يسكن معك قال على وفاطمة والحسن والحسين لكن قال الحافظ عماد الدين ابن كثير انه حديث غريب منكر من هذا الوجه وعند ابن أبي حاتم من حديث على أيضا أنه قال على منبر الكوفة أيها الناس ان في الجنة لؤلؤتين احداهما بيضاء والاخرى صفراء فاما البيضاء فانها الى بطنان العرش والمقام المحمود من اللؤلؤة البيضاء سبعون ألف غرفة كل بيت منها ثلاثة أميال وغرفها وأبوابها وأسرتها وسكانها من عرق واحد واسمها الوسيلة هي لمحمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته والصفراء فيها مثل ذلك هي لابراهيم عليه الصلاة والسلام وأهل بيته وهذا اثر غريب كما نبه عليه الحافظ ابن كثير أيضا * وعن ابن عباس في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال أعطاه الله في الجنة ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه ومثل هذا لا يقال الا عن توقيف فهو في حكم المرفوع خاتمة عن عائشة قالت جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انك لاحب الي من نفسي وانك لاحب الي من أهلي وانك لاحب الي من ولدي واني لاكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر اليك فاذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك اذا دخلت الجنة رفعت وخشيت أن لا أراك فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم شيأ حتى نزل عليه جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه الآية ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين

والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا رواه أبونعيم وقال الحافظ
أبوعبدالله المقدسي لا أعلم باسناد هذا الحديث بأسا كذا نقله في حادي الارواح
وذكره البغوي في معالم التنزيل بلفظ نزلت يعني الآية في ثوبان مولا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه
فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما غير لونك فقال يارسول الله ما بي من وجع ولا مرض غير اني اذا لم أرك
استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك لانك
ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة في منزلة أدنى من منزلتك وان لم أدخل لا أراك
أبدا فنزلت هذه الآية وكذا ذكره ابن ظفر في ينبوع الحياة لكن قال ان الرجل هو
عبدالله بن زيد الانصاري الذي رأى الاذان وليس المراد أن يكون من أطاع الله
وأطاع الرسول مع النبيين والصديقين الكل في درجة واحدة لان هذا يقتضي
التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول وذلك لا يجوز فالمراد كونهم في الجنة بحيث
يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد
بعضهم بعضا فاذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك فهذا هو المراد من هذه
المعية * وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس أن رجلا قال يارسول الله متى
الساعة قال وما أعددت لها قال لا شيء الا أني أحب الله ورسوله قال أنت مع من
أحببت قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم أنت مع
من أحببت قال أنس فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن
أكون معهم بحبي اياهم * وفي الحديث الالهي الذي رواه حذيفة كما عند الطبراني
بسند غريب انه تعالى قال ما تقرب الى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال
يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه الحديث وفيه من الزيادة على حديث البخاري
و يكون من أوليائي وأصفيائي و يكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء
في الجنة فلله درها من كرامة بالغة ونعمة على المحبين سابغة فالمحب يرقى في درجات
الجنات على أعلا المقامات بحيث ينظر اليه كما ينظر الى الكوكب الغابر في أفق
السموات لعلو درجته وقرب منزلته من حبيبه ومعيته معه فان المرء مع من أحب
ولكل عمل جزاء وجزاء المحبة الجنة والوصول والقرب من المحبوب رؤيت امرأة
مسرفة على نفسها بعد موتها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قيل لها بماذا قالت
بمحبتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه نوديت من اشتهى النظر
الى حبيبنا نستحي أن نذله بعتابنا بل نجمع بينه و بين من يحبه وانظر قوله تعالى

طوبى لهم وحسن مآب وان طوبى اسم شجرة غرسها الله بيده تنبت الحلى والحلل وان أغصانها لترى من وراء سور الجنة وأن أصلها فى دار النبى صلى الله عليه وسلم وفى دار كل مؤمن منها غصن فما من جنة من الجنان الا وفيها من شجرة طوبى ليكون سر كل نعيم ونصيب كل ولى من سره عليه الصلاة والسلام وأنه صلى الله عليه وسلم ملأ الجنة فلا ولى يتنعم فى جنته الا والرسول متنعم بنعمته لان الولى ما وصل الى ما وصل اليه من النعيم الا باتباعه لنبيه صلى الله عليه وسلم فلهذا كان سر النبوة قائما به فى تنعمه وكذلك ابليس ملأ النار فلا عذاب لاحد من أهلها الا وابليس لعنه الله سر تعذيبه ومشارك له فيه وفى البحر لابى حيان عند تفسير قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا قيل هى عين فى دار رسول الله صلى الله عليه وسلم تفجر الى دور الانبياء والمؤمنين واذا علمت هذا فاعلم أن أعظم نعيم الجنة وأكمله التمتع بالنظر الى وجه الرب تبارك وتعالى و رسوله صلى الله عليه وسلم وقرة العين بالقرب من الله ورسوله مع الفوز بكرامة الرضوان التى هى أكبر من الجنان وما فيها كما قال الله تعالى ورضوان من الله أكبر ولا ريب أن الامر أجل مما يخطر ببال أو يدور فى خيال ولاسيما عند فوز المحبين فى روضة الانس وحظيرة القدس بمعية محبوبهم الذى هو غاية مطلوبهم فأى نعيم وأى لذة وأى قرة عين وأى فوز يدانى تلك المعية ولذتها وقرة العين بها وهل فوق نعيم قرة العين بمعية الله ورسوله نعيم فلا شىء والله أجل ولا أكمل ولا أجمل ولا أحلى ولا أعلا ولا أغلا من حضرة يجتمع فيها المحب بأحبابه فى مشهد مشاهد الاكرام حيث يتجلى لهم حبيبهم ومعبودهم الاله الحق جل جلاله خلف حجاب واحد فى اسمه الجميل اللطيف فينفهق عليهم نور يسرى فى ذواتهم فيهيمون من جمال الله وتشرق ذواتهم بنور ذلك الجمال الاقدس بحضرة الرسول الاراس ويقول لهم الحق جل جلاله سلام عليكم عبادى ومرحبا بكم أهل ودادى أنتم المؤمنون الآمنون لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أنتم أوليائى وجيرانى وأحبابى انى أنا الله الجواد الغنى وهذه دارى قد أسكنتكموها وهذه جنتى قد أبحتكموها وهذه يدى مبسوطة ممدودة عليكم وأنا ربكم أنظر اليكم لا أصرف نظرى عنكم أنا لكم جليس وأنيس فارفعوا الى حوائجكم فيقولون ربنا حاجتنا اليك النظر الى وجهك الكريم والرضى عنا فيقول لهم جل جلاله هذا وجهى فانظروا اليه وأبشروا فانى عنكم راض ثم يرفع الحجاب ويتجلى لهم فيخرون سجدا فيقول لهم ارفعوا رؤسكم فليس هذا موضع سجود ياعبادى ما دعوتكم الا لتتمتعوا بمشاهدتى يا عبادى قد رضيت عنكم فلا أسخط عليكم أبدا فما أحلاها من كلمة وما ألذها من

بشرى فعندها يقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وأحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب ان ربنا لغفور شكور وهذا دل على ان جميع العبادات تزول فى الجنة الا عبادة الشكر والحمد والتسبيح والتهليل والذى يدل عليه الحديث الصحيح أنهم يلهمون ذلك كالهام النفس كما فى مسلم من حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتغطون ولا يبولون ويكون طعامهم جشاء ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس يعنى أن تسبيحهم وتحميدهم يجرى مع الانفاس فليس عن تكليف والزام وانما هو عن تيسير والهام ووجه التشبيه أن تنفس الانسان لا بد له منه ولا كلفة ولا مشقة فى فعله فكذلك يكون ذكر الله تعالى على ألسنة أهل الجنة وسر ذلك أن قلوبهم قد تنورت بمعرفته وأبصارهم قد تمتعت برؤيته وقد غمرتهم سوابغ نعمته وامتلأت أفئدتهم بمحبته ومخالته فألسنتهم ملازمة لذكره وقد أخبر تعالى عن شأنهم فى ذلك بقوله تعالى فى كتابه العزيز وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وقوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴿قال مؤلفه وجامعه أحمد بن الخطيب القسطلانى عامله الله بما يليق بكرمه فهذا آخر ما جرى به قلم المدد من هذه المواهب اللدنية وسطرته يد الفيض من المنح المحمدية وذلك وان كثر لقليل فى جنب شرفه الشامخ ويسير مما أكرمه الله به من فضله الراسخ ولو تتبعنا ما منحه الله به من مواهبه وشرفه به من مناقبه لما وسعت بعض بعضه الدفاتر وكلت دون مرماه الاقلام وجفت المحابر وضاقت عن جمعه الكتب وعجزت عن حمله النجب وعلى تفنن واصفيه لحسنه يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف والى الله تعالى أتضرع أن يجعله خالصا لوجهه الكريم مخلصا من شوائب الرياء ودواعى التعظيم وأن ينفعنى به والمسلمين والمسلمات فى الحياة وبعد الممات سائلا من وقف عليه من فاضل أنار الله بصيرته وجبل على الانصاف سريرته أن يصلح بحلمه عثارى وزللى ويسد بسداد فضله خطائى وخللى فالكريم يقيل العثار ويقبل الاعتذار خصوصا عذر مثلى مع قصر باعه فى هذه الصناعة وكساد سوقه بما لديه من مزجات البضاعة وما أبتلى به من شواغل الدنيا الدنية والعوارض البدنية وتحمله من الاثقال التى لو تحملها رضوى لتضعضع أو أنزلت على ثبير لخشع وتصدع لكنى أخذت غفلة الظلام الغاسق والليل الواسق فسرقته من أيدى العوائق والليل يعين السارق واستفتحت مغالق المعانى بمفاتيح

فتح الباري واستخرجت من مطالب كنوز العلوم نفائس الدراري حامداً لله تعالى على ما أنعم وألهم وعلم ما لم أكن أعلم مصلياً مسلماً على رسوله محمد أشرف أنبيائه وأفضل مبلغ لأنبائه وعلى آله وأصحابه وأحبابه وخلفائه صلاة لا ينقطع مددها ولا يفنى أمدها والله أسأل أن ينفع به جيلاً بعد جيل وحسبنا الله ونعم الوكيل وأستودع الله نفسي وديني وخواتيم عملي وما أنعم به علي ربي وهذا الكتاب وأن ينفعني به والمسلمين وأن يردني وأحبابي إلى الحرمين الشريفين على أحسن وجه وأتمه وأن يرزقني الاقامة بهما في عافية بلا محنة وأن يطيل عمري في طاعته ويلبسني أثواب عافيته ويجمع لي وللمسلمين بين خيري الدنيا والآخرة ويصرف عني سوءهما ويجعل وفاتي ببلد رسوله ويمنحنا من المدد المحمدي بما منح به عباده الصالحين مع رضوانه ويمتعنا بلذة النظر إلى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق فإنه سبحانه إذا استودع شيأ حفظه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال مؤلفه رحمه الله تعالى وقد أنهيت كتابة النسخة المنقول منها النسخة المباركة النافعة ان شاء الله تعالى في خامس عشر شعبان المكرم سنة تسع وتسعين وثمانمائة وكان الابتداء في المسودة المذكورة ثاني يوم قدومي من مكة المشرفة صحبة الحاج في شهر محرم سنة ثمان وتسعين وثمانمائة والحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

آمين

آمين

وتم

قد تم ولبس وشاح الختام * وفاح مسكه وعم الانام * بمطبعة الواثق بربه المعين * حضرة الشيخ محمد شاهين * بمحروسة مصر * وقاها الله كل ضير وشر * على ذمة ملتزمها المتوكل على ربه القدير * حضرة محمد أفندى شاهين الصغير * معمما على يد الراجى من ربه محو المآثم * الشيخ أحمد قاسم * وأربع من العلماء الافاضل وذلك فى أواسط شهر جمادى الثانية سنة ١٢٨١ احدى وثمانين ومائتين بعد الالف * من هجرة من له غاية العز والشرف * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

بشرى لنا داعى المسرة أقبلا * ومد برواح الانس وافى مقبلا
وأميط عن وجه الامانى حجبه * والقلب فاز ونال ماقد أملا
لم لا وغرس العلم أصبح يانعا * لما له غيث العناية أخضلا
وزهت أفانين الفنون بروضه * وامتد وارق ظلها فوق الملا
وثماره طابت ولذ مذاقها * وغدا تناولها العسير مسهلا
وعرائس العرفان فينا قد بدت * للخاطبين على المنصة تجتلى
لم لا وهذا النشر من نشر الذى * تلقاه فى عد الصدور الاولا
لاسيما ماعم فيها نفعه * حتى يكون لطبعه مستأهلا
وأحقها المواهب انه * من بينها كان الاعز الامثلا
والشىء بالموضوع يشرف قدره * مهما علا شرفا فذا شبه علا
فجرى امتثال الامر فى تمثيله * حتى تناهى طبعه وتكملا
هذا ولما فاح مسك ختامه * ولنا بحسن الطبع طرا أحذلا
قلنا ابتهاجا منه فى تاريخه * ببشرى لنا عن قرطلى المواهب أكملا

٩٥ ٨٥ ٣٨٩ ١٢٠ ٨١ ٥١٤

١٢٨١

*(على يد رئيس تشغيله المتوكل على ربه المعين * مصطفى افندى شاهين)*

آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائیگا۔

